

منشورات جامعة قسنطينة 1

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

مجلة  
العلوم  
الإنسانية

عدد 42 ، المجلد أ ، ديسمبر 2014

- الهيئة العلمية
- مدير المجلة  
أ.د. عبد الحميد جكون  
رئيس جامعة قسنطينة
- منسق النشر والتنشيط العلمي  
أ.د. ندير بلال
- رئيس التحرير  
أ.د. الهاشمي لوكيا
- مساعد رئيس التحرير  
د. زين الدين بن موسى
- هيئة التحرير  
أ.د. ابراهيم هاروني  
أ.د. عزيز لعكايشي  
د. حورية بن بركات  
أ.د. رياض بوريش  
أ.د. عبد الفتاح بوخمحم  
أ.د. عبد الحق بوعتروس  
أ.د. سعيد كسكاس  
أ.د. حسان حمادة
- أ.د. يسمينة شراد، جامعة قسنطينة 1  
أ.د. زهية موسى، جامعة قسنطينة 1  
أ.د. عبدالله بوخلخال، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة  
أ.د. عبدالرزاق قسوم، جامعة الجزائر  
أ.د. مصطفى بوتفنوشت، جامعة الجزائر  
أ.د. بلقاسم سلاطنية، جامعة بسكرة، الجزائر  
أ.د. عبد الوهاب شمام، جامعة قسنطينة 2  
أ.د. عزوز كردون، جامعة قسنطينة 1  
أ.د. محمد الصغير غانم، جامعة قسنطينة 2  
أ.د. الهاشمي لوكيا، جامعة قسنطينة 2  
أ.د. عبدالعزيز شرابي، جامعة قسنطينة 2  
أ.د. محمود بوسنة، جامعة الجزائر 2  
أ.د. ابراهيم بحاز، جامعة غرداية  
أ.د. علي سعد وطفة، جامعة الكويت  
أ.د. جان فرنسوا غارسية، جامعة نيس، فرنسا  
أ.د. عبد الكريم بلحاج، جامعة أكادال، الرباط، المغرب  
أ.د. طارق بلعج، جامعة تونس، تونس  
أ.د. حسان سعدي، جامعة قسنطينة 1  
أ.د. عبدالعزيز خزاغلة، جامعة اليرموك، الأردن  
د. أمزيان فرقان، جامعة غرونبل II، فرنسا  
د. محمود خليل أبودف، جامعة غزة، فلسطين

## المراسلة والاشتراك

مديرية النشر و التنشيط العلمي، جامعة منتوري، 25000 قسنطينة، الجزائر.  
الهاتف/الفاكس: 02 31.81.87. (0) 213 // بريد الكتروني: revue\_sh@yahoo. fr

الجزائر: 400 د.ج. لعدد واحد - 700 د.ج. للاشتراك السنوي.  
الخارج: 12 دولار أمريكي لعدد واحد - 20 دولار أمريكي للاشتراك السنوي.  
توجه طلبات الاشتراك إلى: عون محاسب جامعة قسنطينة.

حساب الخزينة: 125.140

حساب مركز الصكوك البريدية: 300008/59

العنوان: طريق عين الباي، جامعة قسنطينة 1، 25000 الجزائر.



## قواعد النشر بالمجلة

### قواعد عامة

تنشر مجلة العلوم الإنسانية الأبحاث والدراسات العلمية، الفكرية والأدبية في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية مكتوبة باللغة العربية، الفرنسية أو الإنجليزية. وتكون المقالات مصحوبة بملخصين، إحداهما بلغة المقال والآخر بإحدى اللغتين المتبقيتين، وعدد الكلمات 150 (أو ستة أسطر أقصى تقدير)، مع ذكر الكلمات الأساسية أو المفتاحية.

### كيفية تقديم المقالات

يجب ألا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة مطبوعة على آلة الكمبيوتر، على ورق 21 x 29.7 سم (A 4) وبمسافة واضحة بين السطر والسطر، وأن يترك هامش بثلاث سم على يسار الورقة.  
يكتب المقال بطريقة منظمة: مقدمة، النتائج، المناقشة والخاتمة.  
بعد قبول المقال يطلب من الباحثين كتابته على آلة الكمبيوتر على قرص مضغوط (CD ROM) ليسهل عملية الطباعة بواسطة الكمبيوتر.

### المراجع

يجب أن تذكر المراجع داخل النص بالإشارة إلى رقمها في الفهرس بين قوسين. مثال(5) يشير إلى المصدر في قائمة المراجع و المصادر المستخدمة في البحث.  
عندما يشتمل المرجع على أكثر من مؤلفين يذكر اسم المؤلف الأول متبوعاً بعبارة " آخرون".  
إذا كان المرجع مقالا تذكر أسماء المؤلفين، اسم المجلة ورقمها، سنة النشر وعدد الصفحات المستغلة من البحث.  
بالنسبة للكتب يذكر في الإحالة إلى المرجع اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم الناشر، مكان النشر، سنة الطبع، ورقم الصفحات المستخدمة من الكتاب.  
عندما يكون المرجع أشغال الملتقيات العلمية فإن الإحالة تتضمن اسم المؤلف أو أسماء الباحثين، السنة للتعريف بالملتقى، تحديد مكان وفترة الملتقى، اسم الناشر والصفحة الأولى الخاصة بمناقشة النتائج.

### وسائل الإيضاح

يجب أن تقدم الجداول الإحصائية والرسوم البيانية والخرائط والصور الأصلية مستقلة عن النص في ورق A4 بشكل فردي أو جماعي مع ذكر رقم الجدول أو الشكل.  
للحصول على أشكال وجداول وصور واضحة فإن استعمال الطابعة ليزر أو الحبر أمر ضروري.  
يجب أن تتسم وسائل الإيضاح بالوضوح والنقاء لتسهيل عملية إعادة تصويرها.

- مشروع مدارس المستقبل في دولة الكويت بعد عشر سنوات من تطبيقه: الواقع والتحديات  
حوراء علي حسين- د. غازي عزيزان الرشيدى ..... 7
- صورة المرأة العربية في الإعلام الجديد: بين الواقع والمواقع (حالة يوتوب)  
أ. نصر الدين بوزيان..... 35
- التحضر: دراسة لبعض المشكلات النظرية والمنهجية المتعلقة به  
أ. فتحة هارون..... 51
- المقاربة السياقية للخطاب المسرحي في ضوء الكفاية الإجرائية للنحو الوظيفي الخطابى  
أ. عبد الصمد لميش ..... 73
- الكتابة المتوسلة بلسان الحيوان في الثقافة العربية " في رمزية الخرافة وفنيتها ومقاصدها "  
أ. آمال فرفار ..... 89
- مصطلحات مفتاحية للسانيات الحاسوبية عرض مفاهيمي وصعوبات التناول  
أ. شعيب محمودى ..... 107
- غموض المصطلح في كتابات محمد السعيد الزّاهري ( بين اليهودية والصهيونية أنموذجا )  
أ. عبد الكريم طيبش ..... 117
- الأسلوبية بين الأدبية والعلمية  
د. بوزيد مومني ..... 125
- المنهج الفينومينولوجي، المبادئ والتطبيقات  
د. محمد بن سباع ..... 143
- العلاقات الثقافية بين الأندلس والجزائر في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر  
والحادي عشر الميلاديين (4-5هـ/10-11م)  
د. منصف شلي..... 165
- من آليات فهم النص القرآني " التأويل النحوي "  
أ. عادل قيطوني..... 185

- تقييم جودة الخدمات المصرفية من وجهة نظر الزبائن دراسة حالة البنك الوطني الجزائري  
بمدينة فسنطينة  
أ. شراف عقون ..... 203
- الرقابة الشرعية على أعمال المصارف الإسلامية - دراسة ميدانية لهيئة الرقابة الشرعية ببنك  
الإثمار البحريني  
أ. فتيحة بوهرين - د. نور الدين زعيبط ..... 237
- عشية انضمام الجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة: ما هي الفرص التي يقدمها الذكاء  
الاقتصادي لتعزيز تنافسية شركات التأمين؟"  
د. محي الدين شبيرة ..... 255
- شروط تطبيق نظام مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية في الجزائر  
أ. عميروش بوشلاغم ..... 283
- الإبداع والابتكار في المؤسسات الاقتصادية واقع و تحديات المؤسسات الجزائرية  
د. صندرة سايبى ..... 305
- توازن ميزان العمليات الجارية في الجزائر للفترة 2000-2011  
د. نهلة غراس ..... 325
- محاول قياسية لنمذجة العوامل المحددة لسعر الفائدة في الاقتصاد الجزائري للفترة  
1988-2011 باستخدام أشعة الانحدار الذاتي VAR  
أ. عبد الرزاق كبوط ..... 355
- واقع التفاعل بين مستخدمي الصحافة الإلكترونية العربية دراسة حالة لمنديات الشروق  
أون لاين الجزائرية  
أ. أمينة قجالي ..... 379
- تحليل العلاقة التربوية على ضوء التحليل التعاملي  
أ. صباح حيواني ..... 401
- الجنريك في المسلسلات التلفزيونية العربية - دراسة سيميولوجية  
أ. جمال قواس ..... 419

- مدى مساهمة محتويات الكتاب المدرسي في تنمية الاختيارات المهنية للتلاميذ  
( كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي نموذجاً )  
أ. نضيرة إغمين ..... 441
- المصادر المهنية للإجهاد وعلاقتها بظهور الأمراض السيكوسوماتية لدى سائقي الحافلات  
أ. خضرة حديدان ..... 461
- طفولة في خطر  
أ. سناء عبيدي ..... 477
- تجريم الزنا بين الحفاظ على العرض والآداب العامة والحفاظ على الحرية الجنسية  
أ. دليلة ليطوش ..... 503
- اتفاقية الأمم المتحدة للنقل البحري للبضائع بالمقارنة مع اتفاقية بروكسل  
د. سليم بودليو ..... 515
- الإطار القانوني للتعددية السياسية في الجزائر منذ دستور فبراير 1989 حتى صدور القانون  
04/12 المتعلق بالأحزاب السياسية  
أ. محمد الصالح بن شعبان ..... 531
- إشكالية تنفيذ أحكام المحاكم الدولية الإقليمية لحقوق الإنسان " حالة المحكمة الإفريقية لحقوق  
الإنسان والشعوب"  
د. يوسف بوالقلمح - أ. مريم بوغازي ..... 539
- مساهمة حمولة التدريب والمنافسة الرسمية في تطوير الجانب التقني والطكتي لدى  
لاعبي كرة القدم الجزائريين تحت 17 سنة- " دراسة مقارنة لثلاث مستويات "  
أ. عبد المالك قاسمي ..... 553
- القيادة الإدارية ودورها في نجاح وظيفتي التخطيط والتنظيم داخل الأندية الرياضية لكرة القدم  
د. أحمد حمزة غضبان- د. فتحي بلغول- د. الطاهر بريكي- أ. عامر حملاوي ..... 575

■ إن المقالات المنشورة بهذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.

□ Gouvernance internationale <b>Riadh BOURICHE</b> .....	7
□ La mobilité de la main d'œuvre dans la région euro-méditerranéenne <b>Hadjer REMACHE</b> .....	17
□ Contribution à l'étude de l'alexithymie comme facteur favorisant la consommation de drogue chez l'adolescent <b>Ghanem NAFISSA</b> .....	31
□ La construction de l'autonomie cognitive par le manuel scolaire: Exemple du manuel de français de cinquième année primaire. <b>Atfa MEMAI - Abia ROUAG</b> .....	43
□ Etude sur l'état de santé de la vie de couple chez les jeunes mariés en Algérie. <b>Said Mehdi DERGUINI</b> .....	59
□ Plagiarism: The Weakest Link in Teaching Research Skills <b>Youcef BEGHOUL</b> .....	73
□ Is There a Narrator in This Narrative? <b>Myriam BOUSSAFSAF</b> .....	87
□ A Contrastive Rhetoric of Algerian Students' Use of Connectivity <b>Mokhtar HAMADOUCHE</b> .....	95
□ The Effect of Learning Styles and Motivation on Students' Vocabulary Acquisition: The Case of Second Year LMD Students of English at the University of Constantine1 <b>Hadjer BELLOUT</b> .....	105

■ Les opinions exprimées dans les articles n'engagent que leurs auteurs.

Publication de l'Université CONSTANTINE 1

Revue scientifique semestrielle à comité de lecture

Revue  
SCIENCES  
*HumaineS*

N°42, Tome A, Décembre 2014

### Comité de Rédaction

Pr. Brahim HAROUNI  
Pr. Azziz LAKAICHI  
Dr. Houria BENBARKAT  
Pr. Riadh BOURICHE  
Pr. Abdelfettah BOUKHEMKHEM  
Pr. Abdelhak BOUATROUS  
Pr. Said KESKES  
Pr. HAMADA Hacène

Directeur de la Revue  
Pr. Abdelhamid DJEKOUN  
Recteur  
de l'Université Mentouri  
Constantine

Coordonnateur de la Publication  
et des Activités Scientifiques  
Pr. Nadir BELLAL

Rédacteur en Chef  
Pr. Hachemi LOUKIA

Rédacteur en Chef Adjoint  
Dr. Zine Eddine BENMOUSSA

### Comité Scientifique

Pr. Yasmina CHERAD, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*  
Pr. Zahia MOUSSA, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*  
Pr. Abdellah BOUKHELKHAL, *Université Emir Abdel-Kader, Constantine (Algérie)*  
Pr. Abderazak GUESSOUM, *Université d'Alger (Algérie)*  
Pr. Mostefa BOUTEFNOUCHET, *Université d'Alger (Algérie)*  
Pr. Belkacem SELATNIA, *Université de Biskra (Algérie)*  
Pr. Abdelouahab CHEMMAM, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*  
Pr. Azzouz KERDOUN, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*  
Pr. Hachemi LOUKIA, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*  
Pr. Abdelhadi LAROUK, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*  
Pr. Abdelaziz CHARABI, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*  
Pr. Mohamed Seghir GHANEM, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*  
Pr. Mahmoud BOUSSENA, *Université d'Alger (Algérie)*  
Pr. Ali Saad OUATFA, *Université du Koweït (Koweït)*  
Pr. Jean-François GARCIA, *Université de Nice (France)*  
Pr. Abdelkarim BELHAJ, *Université Agdal, Rabat (Maroc)*  
Pr. Tarek BELLAJ, *Université de Tunis (Tunisie)*  
Pr. Hacene SAADI, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*  
Pr. Abdelaziz KHAZALI, *Université de Yarmouk (Jordanie)*  
Dr. Ameziane FERGUENE, *Université de Grenoble II (France)*  
Dr. Mahmoud Khalil ABOUDAF, *Université de Gaza (Palestine)*

### Correspondance et Abonnement

Direction des Publications et de l'Animation Scientifique, Université Mentouri, Constantine, ALGERIE  
e-mail: [revue\\_sh@yahoo.fr](mailto:revue_sh@yahoo.fr) // Tél./Fax.: 213 (0) 31.81.87.02

**ALGERIE:** 400 DA le numéro, 700 DA l'abonnement annuel.

**ETRANGER:** 12\$ le numéro, 20\$ l'abonnement annuel.

*Chèque à l'ordre de:* Monsieur l'Agent Comptable de l'Université de Constantine.

Compte Trésor: **125.140**

Compte C.C.P.: **300008/59**

Adresse: Route Aïn El Bey, Université Mentouri, 25000 Constantine, Algérie.





## INSTRUCTIONS AUX AUTEURS

### **I- Généralités**

La revue **Sciences Humaines** publie dans trois langues: arabe, français et anglais. Deux résumés doivent être fournis, l'un dans la langue de l'article, l'autre en arabe si l'article est rédigé dans une autre langue, ou en français (ou anglais) si l'article est rédigé en arabe. **Les résumés ne doivent pas dépasser 150 mots**. Les articles non publiés ne sont pas renvoyés à leurs auteurs.

### **II- Manuscrits**

Les articles soumis à la publication (trois exemplaires) ne doivent pas dépasser 20 pages dactylographiées (tableaux, figures, graphiques, bibliographie,... compris) avec une large marge à gauche (3 cm), imprimé sur papier de format 21 x 29,7 cm (A4) avec interligne de bonne lisibilité. Une certaine flexibilité est permise aux auteurs, mais ils doivent organiser le texte clairement en sections telles que: Introduction, Détails expérimentaux, Résultats, Discussion et Conclusion. Les articles plus longs seront publiés par partie dans des numéros successifs, chaque partie étant déterminée par les auteurs. Il est demandé en outre aux auteurs de bien vouloir accompagner le résumé de leurs articles de mots clés les plus complets possibles.

Dans le souci de gain de temps et de respect des échéances de publication, il est recommandé aux auteurs de prendre en charge la saisie complète de leur article sur micro-ordinateur, et de le transmettre à la revue, après qu'ils aient été avisés de l'acceptation pour publication, sous forme de fichiers sur CD.ROM, lesquels seront recopiés par les soins du service.

Toutefois, étant donné que la mise en forme finale de l'article est réalisée par P.A.O. (Publication Assistée par Ordinateur), il est demandé aux auteurs d'éviter tout formatage de leur texte. Aussi faudra-t-il éviter de le styliser.

### **III- Bibliographie**

Les références bibliographiques citées dans le texte doivent ne comporter que le N° de la référence entre crochets (ex.: [5]). Si le nom de l'auteur apparaît dans le texte, il doit être suivi par le N° de la référence. Lorsque la référence comporte plus de deux auteurs, seul le premier est cité, suivi de "et al".

Pour les articles, la référence complète comporte les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre de l'article, le titre du périodique (en se conformant aux abréviations admises), le volume, le N° du périodique, l'année de publication et les pages concernées.

Pour les ouvrages, la référence doit comporter les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre complet de l'ouvrage, le volume, le tome, la première et la dernière page se rapportant aux résultats discutés, le numéro de l'édition s'il y en a plusieurs, le nom de l'éditeur, le lieu et l'année d'édition.

Pour les rencontres scientifiques (congrès, proceedings,...), la référence comporte les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre de la communication, l'identification de la rencontre, le lieu, la période et les pages concernées.

### **IV- Iconographie**

Les tableaux, planches, graphiques, cartes, photographies, etc. doivent être fournis à part, en hors-texte. Ils doivent être présentés sur feuilles blanches de format A4, individuellement ou en groupe, et comporter en dessous, la mention "tableau" ou "figure" affectée d'un numéro.

Les illustrations et les figures doivent être claires, faites professionnellement et adéquates pour la reproduction: une réduction éventuelle de 50% doit conduire à une taille et une épaisseur des caractères convenables pour une bonne lisibilité. Par ailleurs, pour les figures réalisées sur ordinateur, afin que le contraste soit maximal, l'usage d'une imprimante laser ou à jet d'encre est indispensable.

Les légendes affectées de leurs numéros doivent être regroupées dans une page à part.

La présentation finale de l'article sera laissée à l'appréciation du comité de rédaction.

- مشروع مدارس المستقبل في دولة الكويت بعد عشر سنوات من تطبيقه: الواقع والتحديات  
حوراء علي حسين- د. غازي عزيزان الرشيدى ..... 7
- صورة المرأة العربية في الإعلام الجديد: بين الواقع والمواقع (حالة يوتوب)  
أ. نصر الدين بوزيان ..... 35
- التحضر: دراسة لبعض المشكلات النظرية والمنهجية المتعلقة به  
أ. فتحة هارون ..... 51
- المقاربة السياقية للخطاب المسرحي في ضوء الكفاية الإجرائية للنحو الوظيفي الخطابى  
أ. عبد الصمد لميش ..... 73
- الكتابة المتوسلة بلسان الحيوان في الثقافة العربية " في رمزية الخرافة وفنيتها ومقاصدها "  
أ. آمال فرفار ..... 89
- مصطلحات مفتاحية للسانيات الحاسوبية عرض مفاهيمي وصعوبات التناول  
أ. شعيب محمودى ..... 107
- غموض المصطلح في كتابات محمد السعيد الزّاهري ( بين اليهودية والصهيونية أنموذجا )  
أ. عبد الكريم طيبش ..... 117
- الأسلوبية بين الأدبية والعلمية  
د. بوزيد مومنى ..... 125
- المنهج الفينومينولوجي، المبادئ والتطبيقات  
د. محمد بن سباع ..... 143
- العلاقات الثقافية بين الأندلس والجزائر في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر  
والحادي عشر الميلاديين (4-5هـ/10-11م)  
د. منصف شلى ..... 165
- من آليات فهم النص القرآني " التأويل النحوي "  
أ. عادل قيطوني ..... 185

- تقييم جودة الخدمات المصرفية من وجهة نظر الزبائن دراسة حالة البنك الوطني الجزائري  
بمدينة فسنطينة  
أ. شراف عقون ..... 203
- الرقابة الشرعية على أعمال المصارف الإسلامية - دراسة ميدانية لهيئة الرقابة الشرعية ببنك  
الإثمار البحريني  
أ. فتيحة بوهرين - د. نور الدين زعيبط ..... 237
- عشية انضمام الجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة: ما هي الفرص التي يقدمها الذكاء  
الاقتصادي لتعزيز تنافسية شركات التأمين؟"  
د. محي الدين شبيرة ..... 255
- شروط تطبيق نظام مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية في الجزائر  
أ. عميروش بوشلاغم ..... 283
- الإبداع والابتكار في المؤسسات الاقتصادية واقع و تحديات المؤسسات الجزائرية  
د. صندرة سايبى ..... 305
- توازن ميزان العمليات الجارية في الجزائر للفترة 2000-2011  
د. نهلة غراس ..... 325
- محاول قياسية لنمذجة العوامل المحددة لسعر الفائدة في الاقتصاد الجزائري للفترة  
1988-2011 باستخدام أشعة الانحدار الذاتي VAR  
أ. عبد الرزاق كبوط ..... 355
- واقع التفاعل بين مستخدمي الصحافة الإلكترونية العربية دراسة حالة لمنتديات الشروق  
أون لاين الجزائرية  
أ. أمينة قجالي ..... 379
- تحليل العلاقة التربوية على ضوء التحليل التعاملي  
أ. صباح حيواني ..... 401
- الجنريك في المسلسلات التلفزيونية العربية - دراسة سيميولوجية  
أ. جمال قواس ..... 419

- مدى مساهمة محتويات الكتاب المدرسي في تنمية الاختيارات المهنية للتلاميذ  
( كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي نموذجاً )  
أ. نضيرة إغمين ..... 441
- المصادر المهنية للإجهاد وعلاقتها بظهور الأمراض السيكوسوماتية لدى سائقي الحافلات  
أ. خضرة حديدان ..... 461
- طفولة في خطر  
أ. سناء عبيدي ..... 477
- تجريم الزنا بين الحفاظ على العرض والآداب العامة والحفاظ على الحرية الجنسية  
أ. دليلة ليطوش ..... 503
- اتفاقية الأمم المتحدة للنقل البحري للبضائع بالمقارنة مع اتفاقية بروكسل  
د. سليم بودليو ..... 515
- الإطار القانوني للتعددية السياسية في الجزائر منذ دستور فبراير 1989 حتى صدور القانون  
04/12 المتعلق بالأحزاب السياسية  
أ. محمد الصالح بن شعبان ..... 531
- إشكالية تنفيذ أحكام المحاكم الدولية الإقليمية لحقوق الإنسان " حالة المحكمة الإفريقية لحقوق  
الإنسان والشعوب"  
د. يوسف بوالقلمح - أ. مريم بوغازي ..... 539
- مساهمة حمولة التدريب والمنافسة الرسمية في تطوير الجانب التقني والطكتي لدى  
لاعب كرة القدم الجزائريين تحت 17 سنة- " دراسة مقارنة لثلاث مستويات "  
أ. عبد المالك قاسمي ..... 553
- القيادة الإدارية ودورها في نجاح وظيفتي التخطيط والتنظيم داخل الأندية الرياضية لكرة القدم  
د. أحمد حمزة غضبان- د. فتحي بلغول- د. الطاهر بريكي- أ. عامر حملاوي ..... 575

■ إن المقالات المنشورة بهذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.

□ Gouvernance internationale <b>Riadh BOURICHE</b> .....	7
□ La mobilité de la main d'œuvre dans la région euro-méditerranéenne <b>Hadjer REMACHE</b> .....	17
□ Contribution à l'étude de l'alexithymie comme facteur favorisant la consommation de drogue chez l'adolescent <b>Ghanem NAFISSA</b> .....	31
□ La construction de l'autonomie cognitive par le manuel scolaire: Exemple du manuel de français de cinquième année primaire. <b>Atfa MEMAI - Abia ROUAG</b> .....	43
□ Etude sur l'état de santé de la vie de couple chez les jeunes mariés en Algérie. <b>Said Mehdi DERGUINI</b> .....	59
□ Plagiarism: The Weakest Link in Teaching Research Skills <b>Youcef BEGHOUL</b> .....	73
□ Is There a Narrator in This Narrative? <b>Myriam BOUSSAFSAF</b> .....	87
□ A Contrastive Rhetoric of Algerian Students' Use of Connectivity <b>Mokhtar HAMADOUCHE</b> .....	95
□ The Effect of Learning Styles and Motivation on Students' Vocabulary Acquisition: The Case of Second Year LMD Students of English at the University of Constantine1 <b>Hadjer BELLOUT</b> .....	105

■ Les opinions exprimées dans les articles n'engagent que leurs auteurs.

## مشروع مدارس المستقبل في دولة الكويت بعد عشر سنوات من تطبيقه: الواقع والتحديات

### ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع التعليم في مدارس المستقبل بعد مرور عشر سنوات من تطبيق المشروع ، بالإضافة إلى الوقوف على أهم التحديات التي تواجه مدارس المستقبل منذ انطلاقتها. ولتحقيق هذا الهدف، صممت استبانة احتوت على تسعة وعشرين (29) بنداً، وزعت على مئتين وست وتسعين (296) معلمة فصل، بالإضافة إلى إحدى وعشرين (21) معلمة تنمية مهارات وذلك في جميع مدارس المستقبل الست الموجودة في دولة الكويت والموزعة في ثلاث مناطق تعليمية (حولي- العاصمة - مبارك الكبير). وكشفت النتائج أن فكرة مدارس المستقبل المتمثلة بالتركيز على التلميذ كفرد لا تزال قائمة من خلال تواجد معلمتين داخل الفصل، بالإضافة إلى تواجد معلمة تنمية مهارات لعلاج الضعف لدى التلاميذ. وفلسفة هذا النظام المبني على العمل الجماعي مستمرة إلى الآن، مع وجود بعض المعوقات التي تتعرض لها المعلمات. وبينت الدراسة أن الاهتمام بالأمر غير المعرفية أصبح شكلياً ، كما أسفرت الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة تبعاً لمتغير التخصص، وفروق ذات دلالة إحصائية تبعاً لمتغير الخبرة معتمداً على حسب المحاور، وفي المقابل لم تكن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة تبعاً لمتغير الجنسية والمؤهل العلمي.

حوراء علي حسين  
د. غازي عنيزان الرشيد  
قسم أصول التربية  
جامعة الكويت  
الكويت

### Abstract

#### مقدمة

**تعنير** المدرسة من المؤسسات الاجتماعية المهمة في المجتمع ، فهي التي تقوم على تحقيق أهدافه وفق خطط ومناهج وعمليات وتفاعل وأنشطة داخل الصفوف المدرسية وخارجها (الزبون، 2011).

This paper aims at understanding the actual current education of process in “Future Schools” ten years after launching the project, and to identify the most important challenges that Future Schools have encountered since they started. For this goal, a questionnaire was prepared that contained 29 items given to 296

لقد اتجه اهتمام الباحثين والمفكرين التربويين إلى التركيز على مخرجات التعليم والتي لها أثر كبير على المجتمع ، فبعد دخولنا القرن الواحد والعشرين أصبحت التطورات السريعة في شتى المجالات تنعكس بشكل واضح وكبير على الأفراد والمجتمعات، وبفضل التكنولوجيا المتطورة صار العالم كقرية صغيرة، لذلك توجهت أنظار الباحثين التربويين إلى طرق وأساليب جديدة تساعد في إعداد المتعلمين الإعداد السليم القادر على مواكبة هذا التقدم والتطور، وأصبحت المدرسة تحمل على أكتافها حملا كبيرا وعبئا ثقيلا من أجل البحث عن سبل وطرق للرفع من كفاءاتها وزيادة الجودة في التعليم، وينبغي أن يتم هذا الأمر من خلال دراسة دقيقة للمدرسة كمنظومة كاملة ووضع خطط مستقبلية واستراتيجيات بعيدة المدى (الزبون، 2011، جمل والراميتي، 2006).

يتكون مفهوم مدرسة المستقبل من كلمتين هما مدرسة والمستقبل : كلمة (مدرسة) وهي كلمة معروفة، إلا أن هناك اختلافا بين التربويين في معناها، فالبعض يرى أنها بمفهومها التقليدي عبارة عن مبنى فيه فصول، ومسرح، وملاعب، وما إلى ذلك، بينما يرى البعض الآخر بأنها تطلق على النظام التعليمي بأكمله، بفلسفته وأهدافه ووسائله.

أما الكلمة الأخرى فهي كلمة (المستقبل) ، وهي التي تضيف للمدرسة المضمون الجديد الذي يميزه عن باقي المدارس، فكلمة المستقبل غير مقيدة بزمن محدد، فقد يكون المستقبل هو الغد، أو يمكن أن يكون بعد سنة من الآن، أو عشر سنوات، أو ثلاثون، أو حتى خمسون، وكل هذا يعبر عن المستقبل، ولذلك من المهم تحديد المستقبل بفترة زمنية محددة حتى يسهل وضع الخطط المستقبلية بشكل سليم (جمل والراميتي، 2006).

إن الانفجار المعرفي الهائل والتطور التكنولوجي المذهل ، أدى بالتربويين إلى مراجعة شاملة للأسس التربوية ، "وقد عاد الحديث مرة أخرى عن حاجتنا إلى إنسان

class teachers as well as to 21 "Skills Development" teachers in all 6 Future Schools in Kuwait, in the three Educational Areas (Hawalli, Asimah, and Mubarak Al Kabeer). The results show that the concept of Future Schools which concentrates on the student as individual still exists through two teachers available in the class as well as a Skill Development teacher to handle students' weaknesses.

The philosophy of this system that is based on teamwork is ongoing till now with some obstacles those teachers may face. Further, this paper shows that the attention in non-cognitive issues has been unreal and there is a statistical indicator for differences the individuals of the sample for the specialty variable as well as a statistical indicator for differences according to the experience variable based on the axes. On the other hand, there was no statistical marker for differences between the individuals of the sample according to the nationality or certification variables.

جديد ، ويرى الكثير صعوبة تحديد مواصفاته ، حيث لم تحدد بعد ملامح مجتمع المعلومات الذي يصنع هذا الإنسان من أجله ، وعلى الرغم من ذلك فهناك شبه إجماع على صعوبة تحقيق ذلك ، دون أسس تربوية مغايرة ، ومن أجل ذلك كان لا بد من الاتجاه إلى ما يعرف بمدارس المستقبل" (حافظ ، 2013 : 24).

لقد عرف مكتب التربية بدول الخليج العربي 1420 هـ) مدرسة المستقبل بأنها: "مشروع تربوي يطمح إلى بناء نموذج مبتكر لمدرسة حديثة متعددة المستويات تستمد رسالتها من الإيمان بأن قدرة المجتمعات على النهوض، وتحقيق التنمية الشاملة معتمدة على جودة إعداد بنائها التربوي والتعليمي، ولذا تعد مدرسة المستقبل المتعلمين فيها لحياة عملية ناجحة، مع تركيزها على المهارات الأساسية والذهنية، بما يخدم الجانب التربوي والقيمي لدى المتعلمين" (مكتب التربية بدول الخليج العربي 1420هـ، 1).

### مشكلة الدراسة

يعد مشروع مدارس المستقبل حديثاً نسبياً في دولة الكويت، وجاءت هذه دراسة بعد مرور عشر سنوات من تطبيق المشروع لتحاول تشخيص الواقع والتعرف على موقع فكر وفلسفة هذا المشروع في الحياة اليومية للمدارس التي تطبق هذا المشروع. كما أن التحديات التي واجهتها و تواجهها هذه المدارس هي من صميم اهتمام هذه الدراسة .

### أهداف الدراسة

تتركز أهداف الدراسة على هدفين رئيسيين :

1. التعرف على واقع التعليم في مدارس المستقبل بعد مرور عشر سنوات من تطبيق المشروع.
2. التعرف على أهم التحديات التي تواجه مدارس المستقبل بعد مرور عشرة سنوات من انطلاقها.

### أسئلة الدراسة

من أجل تحقيق أهداف الدراسة احتوى البحث على خمسة أسئلة وهي:

**السؤال الأول:** ما هو واقع تدريس معلمتي الفصل الدراسي في مدارس المستقبل؟  
**السؤال الثاني:** ما هو واقع تدريس معلمة تنمية المهارات داخل الفصل الدراسي في مدارس المستقبل؟

**السؤال الثالث:** ما هو واقع الاهتمام بالجوانب غير المعرفية في مدارس المستقبل؟

**السؤال الرابع :** ما هي أهم التحديات التي تواجه مدارس المستقبل حالياً؟

**السؤال الخامس:** هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية على محاور الدراسة ترجع لمتغيرات (الجنسية/ المؤهل العلمي/التخصص الدراسي /الخبرة) في مدارس المستقبل ؟



## أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من محاولة التعرف على واقع مدارس المستقبل في دولة الكويت، من حيث واقع تدريس المعلمين داخل الفصل الدراسي، ومعلمة تنمية المهارات، والاهتمام بالجوانب غير المعرفية في مدارس المستقبل، ويمكن تحديد أهمية الدراسة من خلال النقاط التالية:

أ. أنها تبحث في واقع تدريس المعلمين ومعلمة المهارات في مدارس المستقبل.  
ب. البحث في التحديات التي تواجه مدارس المستقبل بعد مرور 10 سنوات من تطبيق المشروع.

د. يؤمل أن تكون هذه الدراسة إضافة للباحثين والأكاديميين عن واقع مدارس المستقبل بدولة الكويت.

هـ. يمكن لهذه الدراسة أن تكون مفيدة لمدرء المدارس للتعرف على الواقع الحاصل داخل الفصول الدراسية، وبالتالي الاستفادة من نتائجها في مواجهة التحديات التي تواجه مدارسهم.

## مصطلحات الدراسة

### مدرسة المستقبل:

• عرفها الزبون (2011، ص 60) بأنها "مشروع تربوي يطمح لبناء نموذج مبتكر لمدرسة حديثة متعددة المستويات تستمد رسالتها من الإيمان بقدرة المجتمعات على النهوض وتحقيق التنمية الشاملة، معتمدة على جودة إعداد بنائها التربوي والتعليمي، لذا فإن المدرسة تعد المتعلمين فيها لحياة عملية ناجحة مع التركيز على المهارات الأساسية والعصرية والعقلية بما يخدم الجانب التربوي والقيمي لدى المتعلمين."

• عرفها العبد الكريم (1423، ص2) بأنها "المدرسة المتطورة التي يسعى التربويون لإيجادها لتلبي حاجات المتعلمين المختلفة ولتزودهم بالأسس المناسبة لمواصلة دراستهم الجامعية أو ما في مستواها، وتزودهم بما يؤهلهم للعيش بفعالية وبتكيف في مجتمعهم الحديث."

• والتعريف الذي تتبناه هذه الدراسة هو أنها: مدارس حكومية ضمن سلم التعليم الابتدائي، تابعة لوزارة التربية في دولة الكويت، لها نظام مختلف عن بقية المدارس الحكومية، من خلال إتباع نظام معلم الفصل، ووجود معلم لتنمية المهارات في المواد الأساسية ودعم للأهداف غير المعرفية.

### معلم الفصل

• يقصد بمعلم الفصل في هذه الدراسة: هو معلم مقيم داخل الفصل يعمل على تدريس المواد سواء كانت مواد أدبية مثل (اللغة العربية/التربية الإسلامية/الاجتماعيات) أو مواد علمية (العلوم/الرياضيات).

• عرفته العيسى بأنه " معلم متخصص في إحدى المواد الأساسية (اللغة العربية أو اللغة الإنجليزية أو الرياضيات) له نصاب تدريسي مرن أو ثابت ، وله فصل دراسي منفصل، يقوم باستقبال التلاميذ الذين تنقصهم مهارات أو ثلاث مهارات أساسية في المادة وأكثر، لتدريسهم بصورة مكثفة مراعيًا الفروق الفردية والحالة الاجتماعية النفسية للتلاميذ، لمساعدتهم في تعلم هذه المهارات بصورة فردية (العيسى ،2011).

### المخرجات غير المعرفية

• "هي مجموعة من الأهداف التي تعزز الجانب القيمي والأخلاقي عند التلاميذ من خلال مجموعة من الممارسات والأنشطة والمناسبات والفعاليات التي يتم التخطيط لها من قبل إدارة المدرسة" (الرشدي ، 2014 ، ص 128).

### الإطار النظري

#### المبحث الأول: مدارس المستقبل

بداية، لماذا نحتاج إلى إصلاح وتغيير التعليم؟

"إننا نحتاج إلى إصلاح التعليم، ليتسنى للتلاميذ استكشاف بيئاتهم بشكل أفضل، والتعرف على المجتمعات بصورة أوضح ومحاولة لتنمية اهتماماتهم والرقى بتفكيرهم ليخوضوا غمار الحياة بشكل أفضل" (جمل و الراميتي، 2006).

فالعصر الذي نشهده يتميز بتغيرات سريعة في شتى الميادين من أجل مواكبة التقدم والتطور المعرفي الهائل، ولهذا ظهر اتجاه إلى استشراف المستقبل الذي قد يساعد الأمم والمجتمعات على استيفاء متطلبات هذا المستقبل.

وفي إطار الجهود المبذولة في الدول وخاصة المتقدمة منها لتطوير أنظمتها التعليمية والتربوية ، انطلقت مجموعة من التجارب العلمية في مجال المدرسة الحديثة والقادرة على الوفاء بمتطلبات المستقبل وأعبائه، أطلق البعض عليها "مدارس المستقبل" (الزبون، 2013).

عرفها (العبد الكريم، 1423، ص2) بأنها "المدرسة المتطورة التي يسعى التربويون لإيجادها، لتلبي حاجات المتعلمين المختلفة، ولتزودهم بالأسس المناسبة لمواصلة دراستهم الجامعية أو ما في مستواها ، وتزودهم بما يؤهلهم للعيش بفاعلية وبتكيف في مجتمعهم الحديث".

كما عرفها القرني (2009، ص9) بأنها "مؤسسة تربوية تتمتع بقدر كافي من الإدارة الذاتية لبرامجها المدرسية، وتوظيف التقنية توظيفاً هادفاً وإيجابياً في ظل نظام محكم من التقويم والمساءلة والمشاركة المجتمعية من أجل إعداد جيل معرفي مسئول قادر

على تطوير ذاته، متوائماً مع متطلبات سوق العمل، مؤهلاً للتعايش مع الآخرين والإفادة من الحضارة العالمية".

#### أهداف مدرسة المستقبل

أشار مجموعة من الباحثين إلى عدة أهداف مرجوة من مدرسة المستقبل (محمود (2010) والرشيدى والعازمي (2010) وحافظ (2013) منها :

1. تحسين المخرجات التعليمية من خلال تجويد العمليات التعليمية التربوية.
2. تحقيق الجودة في التعليم ، وذلك من خلال الاهتمام بكافة العناصر في العملية التعليمية.
3. التطلع إلى المستقبل والقدرة على التعامل مع متغيراته مع المحافظة على ثوابت الأمة وقيمها.
4. بناء الفرد بناء شاملاً للجوانب العقلية والمهارات الوجدانية والسلوكية وإكساب المتعلم مهارات التعلم الذاتي بهدف دفعه نحو التعليم المستمر.
5. تنمية ذاتية للمتعلم من خلال مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.
6. إعداد المتعلمين لمواجهة التحديات الصعبة والتغيرات المتلاحقة.

#### أهمية مدرسة المستقبل

تظهر أهمية الاهتمام بمدارس المستقبل من دور التعليم في تنمية الأجيال والأفراد لتحقيق التقدم والتطور في شتى المجالات التربوية والاقتصادية والاجتماعية والتقنية.

وقد وضحت كثير من الدراسات أهمية مدارس المستقبل منها دراسة أجراها Alamutk et al (2010) تؤكد على ضرورة تحديث وتطوير التعليم المدرسي المستقبلي لإعداد الطلاب ذكورا وإناثا مع تركيز المعلمين على الأهداف التي تكون مواكبة لعصر التكنولوجيا والانفجار المعرفي.

وكما أشار كلا من Miettunen & Mattila (2007) إلى أهمية تطوير وتحديث طرق التدريس التقليدية وبرامجها لدى المعلمين إلى طرق دراسية تقوم على جذب انتباه الطلاب، وذلك من خلال الوسائل التكنولوجية الحديثة المطورة، والعمل على تطبيق كل ذلك من خلال نظام تعليمي مستحدث أو ما يسمى بمدارس المستقبل.

#### المعلم والمتعلم في مدرسة المستقبل

من المهم والضروري أن يواجه المعلم موجة التطور التكنولوجي المستمرة، وعليه أن لا يكتفي بما تقدمه المدرسة من دورات تدريبية ، بل ينبغي عليه أن يتعلم ويجيد كيف يدرّب نفسه بنفسه باستمرار، كما يجب عليه العمل مع زملائه المعلمين كفريق واحد ومتجانس، يتبادلون الخبرة فيما بينهم ويستفيد بعضهم من بعض. وبناء على التوقعات في النظام التعليمي الجديد، وضح (جمل والراميتي، 2006) حاجة المجتمع

إلى معلم جديد قادر على تحمل مسؤولية تعليم وتربية أجيال المستقبل، و للوصول إلى هذا الهدف وضح لنا (محمد وحوالة، 2005) أن علينا الاهتمام بذلك المعلم بجميع مراحل إعداده سواء كان من خلال سياسة الانتقاء والقبول للطلاب بكليات التربية أو من خلال الاهتمام بتدريبه أثناء الخدمة، كما أضافت (أبوالسعود، 2012) أن يتم إعداد المعلم إعداداً جيداً لمواجهة التغيرات السريعة المتلاحقة.

وأشار كلا من حافظ (2010) و زايد (2013) إلى الاحتياجات التي ينبغي توافرها في معلم المستقبل:

1. نحتاج إلى معلم خبير في طرائق البحث عن المعرفة لإرشاد الطلاب إلى عالم المعلومات المتجدد.
2. نحتاج إلى دور المعلم التفاعلي، من خلال التواصل لإشباع الحاجات الفردية للطلاب.
3. نحتاج إلى دور المعلم المهني، لتحسين أدائه من خلال التوجه الذاتي أو التعاون مع زملائه، كما نحتاج إلى روح المبادرة لدى المعلم للتجديد والتطوير من ذاته وخبراته.

ومن هنا يمكن تحديد أدوار المتعلم في مدرسة المستقبل كما ذكرتها الصقعي (2013) في أن يمتلك هذا المتعلم مجموعة من المهارات تكمن في: التعلم الذاتي والمستمر، التفكير الناقد وحل المشكلات، التعلم التعاوني والجماعي، استخدام التقنيات الحديثة، إجادة مهارات التواصل ومهارات عليا بالتفكير بشكل عام .

بالإضافة إلى ما سبق ذكره، هناك مجموعة من الكفايات يجب أن يمتلكها متعلم المستقبل كما ذكرها (زايد ، 2013) ومن أهمها:

1. امتلاك مفاتيح المعرفة ليصبح قادراً على التعلم الذاتي ومتابعة التعلم.
2. المحافظة على الهوية الوطنية والقومية والدينية والثقافية.
3. امتلاك مهارة التخطيط للمستقبل والنجاح فيه بالإضافة إلى مهارة التفكير الناقد والتفكير الاستدلالي والقدرة على الحوار والنقاش.

#### المبحث الثاني : لمحة من تاريخ مدارس المستقبل ونشأتها في دولة الكويت

وضح كلا من الرشدي والغازمي (2010) والرشدي (2012) لمحة مختصرة عن كيفية إنشاء مدارس المستقبل تلخصت في:

#### تنفيذ المشروع:

بداية عام 2005 - 2006 بدأ التنفيذ ميدانيا للمشروع، وذلك بتطبيقه في مدرسة الفضل بن العباس الابتدائية بنين التابعة لمنطقة حولي التعليمية، ثم انضمت إليها في السنة التالية مدرسة شيخان الفارسي، ثم تم التوسع بتطبيق المشروع بانضمام أربعة

مدارس ابتدائية أخرى مع بداية العام الدراسي 2007-2008 ، ليصير إجمالي عدد المدارس المنظمة للمشروع ستة مدارس، وهي أسماء بنت يزيد التابعة لمنطقة حولي التعليمية، ومدرستي أسماء بنت عمرو الأنصارية الابتدائية بنات ومدرسة عبد الكريم السعيد الابتدائية بنين التابعتان لمنطقة مبارك الكبير التعليمية، ومدرسة ابن سينا الابتدائية بنين التابعة لمنطقة العاصمة التعليمية.

### فلسفة المشروع

ما هي الأمور التي يركز عليها مشروع مدارس المستقبل في دولة الكويت ؟

تتركز في مجموعة من النقاط كما ذكرها (الرشيدى 2014) :

1. التركيز على التلميذ كفرد في التعلم داخل الفصل الدراسي وتهيئة معلمتين اثنتين للمواد الأساسية تكونان داخل الفصل الدراسي، ولقد جاء هذا النظام بناء على الفلسفة العالمية التي تؤكد على وجود معلم مجموعة أو معلم صف في المرحلة الابتدائية، فبدلاً من الاعتماد على معلم مادة سيكون التعليم في مدارس المستقبل بتخصيص معلمة لتعليم المواد الأدبية و تدرس (اللغة العربية والاجتماعيات)، ومعلمة للمواد العلمية وتدرس (الرياضيات والعلوم) وذلك لكل فصل.

2. الاهتمام بالمخرجات المعرفية والمهارات الأساسية، ويقصد بالمخرجات المعرفية تلك المهارات والمعلومات التي يجب أن يكتسبها التلميذ، وجاء التركيز في مدارس المستقبل على مواد اللغة العربية واللغة الإنجليزية والرياضيات، وهناك عدة محاور ذكرها الرشيدى (2014) والرشيدى والعازمي (2010) وهي:

أ. وجود معلمتين لكل فصل: إن وجود معلمتين في الفصل الدراسي للمواد العلمية والأدبية يساهم في معرفة خصائص المتعلمين، وبالتالي معرفة نقاط الضعف ونقاط القوة لدى التلاميذ، وهذا يساعد في اختيار طرق التدريس التي تناسب معهم ، ووضع آلية وخطة مناسبة للارتقاء بمستواهم التعليمي.

ب. وجود معلمة تنمية مهارات: من وظائف المؤسسات التعليمية، الارتقاء بمستوى التلاميذ من خلال الخطط العلاجية المقننة، لأنه من الطبيعي أن يواجه التلاميذ صعوبات أثناء التعلم، وجاء مشروع مدارس المستقبل في دولة الكويت في المرحلة الابتدائية ليهتم بالمهارات الأساسية لدى تلاميذ هذه المرحلة، وهي اتقان القراءة والكتابة والحساب، لذلك تم تخصيص معلمات ثلاث ذوات خبرة لمعالجة الضعف في تلك المهارات، على أن يتم تدريب المعلمات تلك المهارات تدريباً متخصصاً لعلاج الضعف وصعوبات التعلم.

ج. الاهتمام بالمخرجات غير المعرفية وشخصية المتعلم: إن من أصعب الأمور التي تواجه المجال التربوي هو بناء شخصية المتعلم، وكيفية عرض الاتجاهات والقيم

والسلوكيات الإيجابية لدى المجتمع، وقد اهتم مشروع مدارس المستقبل في هذا الجانب اهتماما كبيرا، وخطط له ليكون جزءا رئيسيا من نظام العمل، فهناك مجموعة من الأهداف غير المعرفية التي تهدف مدارس المستقبل بدولة الكويت إلى تحقيقها لدى تلميذ المرحلة الابتدائية وهي:

- (1) تعزيز مشاعر الولاء وحب الوطن.
- (2) تنمية السلوك والأخلاق إلى الأفضل.
- (3) تنمية حب التعلم وحب المدرسة.
- (4) تعزيز الثقة بالنفس ومفهوم الذات.
- (5) تعزيز القدرة على تحمل المسؤولية.
- (6) تعزيز التفكير الإبداعي والتفكير الناقد.
- (7) تأكيد روح التعاون والعمل الجماعي.
- (8) تعزيز مشاعر الاحترام والتقدير للأسرة والمجتمع بأسره.
- (9) تدعيم احترام الرأي الآخر وأدب الحوار.

وتركز مدارس المستقبل بالإضافة لذلك على الاهتمام بتهيئة بيئة التعلم، والاهتمام بحل مشكلة الثقل الحقيبي لتلميذ هذه المرحلة مع توفير خزانة للتلاميذ بشكل فردي .

#### الدراسات السابقة

من خلال الاطلاع على العديد من الأبحاث والدراسات التي لها علاقة بمدارس المستقبل، نجد أنها دراسات قليلة على المستوى العربي خلافا للدراسات الأجنبية، وبالأخص تلك المتعلقة بتنمية مهارات التلاميذ، وذلك لحدثة هذا النوع من البرامج.

أجرى Miller (2003) دراسة هدفها تقييم أثر تدريس المعلمين المساعدين للتلاميذ الضعاف في مهارة القراءة لتلاميذ الصف الأول الابتدائي في مدارس محدودة الموارد المالية في الولايات المتحدة الأمريكية. كانت عينة الدراسة عبارة عن مجموعتين: مجموعة تجريبية قدمت لتلاميذها حصص مساعدة بما لا يقل عن 4 مرات أسبوعيا لمدة 30 إلى 40 دقيقة في كل حصة، والمجموعة الثانية كانت مجموعة ضابطة، وبينت النتائج أن أداء تلاميذ المجموعات التجريبية الذين تلقوا مساعدة من المعلمين المساعدين كانت قراءتهم أفضل من المجموعة الضابطة.

وبينت دراسة Nevin et al (2008) دور المعلمين المساعدين، وقد استخدمت الاستبانة في هذه الدراسة، وتضمنت نتائجها أن المعلم المساعد في الصف يعمل على مساعدة تلاميذه في المرحلة الابتدائية على تعلم الكثير من المواد مثل القراءة والكتابة والرياضيات واللغة الانجليزية ومهارات الحياة، كما يساعد التلاميذ في المرحلة الثانوية على تعلم العلوم (الأرض والكون، الأحياء) والرياضيات (الهندسة والجبر). وهدفت دراسة Vadasy (2008) إلى تنمية وتطوير مهارات القراءة لدى التلاميذ الذين يعانون من صعوبات بالقراءة على المدى الطويل وذلك من خلال المعلمين

المساعدين. احتوت عينة الدراسة 79 تلميذاً، قدم لهم اختبار بعدي في نهاية السنة وبنفس السنة التي قدمت لهم المساعدة والعلاج، وكذلك تم اختبارهم في نهاية السنة الثالثة. أسفرت نتائج هذه الدراسة على أن أثر التدخل العلاجي الذي تلقاه التلاميذ في السنة الأولى دام إلى نهاية السنة الثالثة وكانت نسبة إفادتهم ما بين 50% في الطلاقة بالقراءة و 40% في القراءة والاستيعاب للكلمات و 30% في الإملاء.

وجاءت دراسة Fetissoff et al (2008) محاولة لتحسين المهارات الاجتماعية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، باستخدام أنشطة جماعية تعاونية في الفصل الدراسي في ولاية ويسكانسون وحددت الدراسة مجموعة من المهارات الاجتماعية مثل (تحمل المسؤولية، التعاون، ضبط النفس، الاحترام، التعاطف). كانت عينة الدراسة 70 تلميذاً من تلاميذ الصف الثالث والخامس الابتدائي، أجريت عليهم دراسة مسحية استهدفت التلاميذ والوالدين والمعلمين، وبينت النتائج تحسناً قليلاً في المهارات الاجتماعية لدى التلاميذ، وفسر المعلمون هذه النتيجة في عدم وجود الوقت الكافي لتطبيق الأهداف على النحو المطلوب، وكان من الأفضل بدؤها مع بداية السنة، وكذلك بينت الدراسة أن مهارة الاحترام هي من أكثر المهارات التي يحتاج التلميذ التركيز عليها.

أما دراسة العيسى (2011) فقد تطرقت لطرح مفهوم تفريد التعليم من خلال تجربة مدارس المستقبل الابتدائية في دولة الكويت، والتي ارتكزت على نظام معلم الفصل وبرنامج تنمية المهارات وبرنامج تعزيز المخرجات غير المعرفية، بغية الوصول إلى فاعلية النظام في تعزيز العلاقة بين المعلم والمتعلم. اتبعت الدراسة في تصميمها المنهج الوصفي واستخدمت ثلاثة أنواع من طرق البحث: طريقة البحث الكيفية، وطريقة البحث الكمية، وطريقة البحث المشتركة. أشارت نتائج الدراسة إلى أن الطابع العام للمشروع ما زال بحاجة إلى ترسيخ فلسفة ومبادئ ومفاهيم التعليم الفعال في فكر القائمين، والجهود بحاجة أيضاً إلى دعم تربوي من قبل المختصين في وزارة التربية في المقام الأول، ومن نتائجها أيضاً أنها بينت أن جميع عناصر التدريس الفعال متوفرة في فصول مدارس المستقبل، و لكن لم يتم تفعيل دور المجموعات من قبل معلمات بعض الفصول، وبينت أن هناك اختلافاً في آلية تطبيق تنمية المهارات للطلاب الضعاف كما بينت المعوقات التي واجهتها تلك المدارس كالعدد الكبير للطلاب، وحددت الأمور التي تساعد في الضغط على برنامج تنمية المهارات مثل (عدم تمتع المعلمة بجدول مرن - عدم تحديد نسبة الطلبة بالبرنامج...) إلا أن هناك نقاط قوة تمت الإشارة إليها، منها أن البرنامج يساعد على التعرف على التلاميذ بصورة أشمل، وبينت أيضاً أن أداء التلاميذ الضعاف تطور في كل مادة من مواد برنامج تنمية المهارات.

وهدفت دراسة الصقبي (2012) إلى قياس اتجاهات المعلمات نحو العمل في مدارس المستقبل في دولة الكويت، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وطبقت الدراسة في ستة مدارس مختلفة ضمن مشروع مدارس المستقبل في دولة الكويت في

العام الدراسي 2012 / 2013 م. ولقد تم استخدام الاستبانة كأداة للدراسة، واحتوت على مقياس اتجاهات المعلمات نحو العمل في مدارس المستقبل. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى غالبية معلمات مدارس المستقبل على دراية بنظام مدارس المستقبل، كما بينت أن الغالبية لم يتم تعيينهم على رغبتهم مما أدى إلى انخفاض الرضا الوظيفي لديهم، كما أن المدارس لم تكن معدة ومجهزة بحيث تتميز عن غيرها عدا مدرسة شيخان، وكذلك التواصل مع أولياء الأمور لم يكن ما يميزه عن سائر المدارس.

أما عن دراسة (المعمري، 2014) فقد هدفت إلى التعرف على واقع التربية من أجل المواطنة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية من خلال تبني مقارنة بين مفاهيم المواطنة والمواطنة المسؤولة وواقع تطبيقها في الأنظمة التربوية الخليجية، وفهمها من قبل الطلبة والمعلمين، وتبنت الدراسة المنهج وخرجت الدراسة بالنتائج التالية: أن مفهوم المواطنة داخل المناهج المدرسية لا يزال بعيداً عن المفهوم الحديث الذي يسعى إلى بناء مواطنين بمهارات تؤهلهم للمشاركة في صنع القرارات المتعلقة بحياتهم، وتتيح لهم معرفة الدولة وأنظمتها وقوانينها ودورهم في تشكيلها.

#### إجراءات الدراسة:

##### 1- منهجية الدراسة

استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في جمع المعلومات، حيث يعتمد المنهج على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع دون أي محاولة للتأثير أو التدخل، وهذا هو مرمى وهدف الدراسة.

##### 2- مجتمع الدراسة

تم تطبيق الدراسة على جميع معلمات الفصول (العلمي والأدبي) و معلمات تنمية المهارات بمدارس المستقبل الستة في الكويت في ثلاث مناطق تعليمية (حولي- العاصمة – مبارك الكبير).

##### 3- عينة الدراسة

تم تطبيق الدراسة على معلمات القسم العلمي والأدبي (معلمة فصل)، ومعلمات تنمية المهارات وكان العدد الكلي لمعلمات الفصول (296) معلمة، والعدد الكلي لمعلمات تنمية المهارات (21) معلمة، لذا فعينة الدراسة هي نفسها مجتمع الدراسة. اشتملت العينة على (317) معلمة من معلمات مدارس المستقبل، تم توزيع الاستبانة عليهن، استرجعت منها (195) استبانة، وتم استبعاد الاستبانات الناقصة.



النسبة	المجموع	المدارس						المتغيرات	
		أسماء بنت عمرو	عبد الكريم السعيد	شيخان الفارسي	الفضل بن العباس	أسماء بنت يزيد	ابن سينا		
26.2	51	18	12	7	10	1	3	3-1	الخبرة
24.6	48	11	3	10	16	2	6	6-4	
49.2	96	16	10	19	24	20	7	أكثر من 6	
89.7	175	38	24	33	46	19	15	بكالوريوس	المؤهل العلمي
10.3	20	7	1	3	4	4	1	ماجستير	
45.1	88	18	8	15	29	11	7	مواد علمية	التخصص
54.9	107	27	17	21	21	12	9	مواد أدبية	
40.0	78	27	11	4	20	16	0	كويتية	الجنسية
60.0	117	18	14	32	30	7	16	غير كويتية	
195		45	25	36	50	23	16	عدد العينة	
100.0		23.1	12.8	18.5	25.6	11.8	8.2	النسبة	

حيث يظهر الجدول أن نصف أفراد العينة خبراتهم أكثر من (6) سنوات ، كما أن أغلب المعلمات حاصلات على المؤهل الجامعي، وتزيد نسبة المعلمات غير الكويتيات على المعلمات الكويتيات في هذه الدراسة.

#### 4- أداة الدراسة:

تمت عملية بناء مقياس الدراسة الحالية حسب الخطوات التالية:

##### أ. إعداد الصيغة الأولية للمقياس :

○ تم عمل مسح للدراسات الأجنبية والعربية التي تناولت موضوع الدراسة.

##### ب. صياغة الاستبانة:

- بعد مراجعة الدراسات السابقة والاطلاع على فقراتها، تم صياغة (29) فقرة لقياس واقع العمل في مدارس المستقبل، وروعي في اختيار الفقرات أن تكون مناسبة لطبيعة دور (عينة البحث)، كما روعي أن تكون الفقرات واضحة ومحددة وبسيطة.
- اشتملت الإستبانة على ثلاثة محاور هي :

**المحور الأول :** واقع تدريس معلمتين داخل الفصل الدراسي في مدارس المستقبل ويتضمن (13 بندا).

**المحور الثاني:** واقع تدريس معلمة تنمية المهارات داخل الفصل الدراسي في مدارس المستقبل ويتضمن (9 بنود).

**المحور الثالث :** واقع الاهتمام بالجوانب غير المعرفية في مدارس المستقبل ويتضمن (7 بنود).

بالإضافة لسؤال مفتوح لمعرفة المزيد من التحديات التي تواجه المعلمات بمدارس المستقبل.

### ج. طرق قياس الدرجات :

بعد إعداد الفقرات، تم اعتماد البدائل التالية للإجابة على فقرات واقع العمل في مدارس المستقبل {معترض بشدة تأخذ (1)، معترض تأخذ (2)، محايد تأخذ (3)، موافق تأخذ (4)، موافق بشدة تأخذ (5)}.

### 5- صدق وثبات أداة الدراسة :

أ. صدق المحكمين :

• الصدق الظاهري

تم تحكيم الاستبانة لدى مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الكويت وقد بلغ عددهم (5) محكمين بالإضافة المختصين بالشؤون التربوية، وبناء على ذلك تم الحصول على مجموعة ملاحظات من المحكمين أخذت بعين الاعتبار وعدلت بناء عليها بعضاً من عبارات الاستبانة، وأخذت بالفقرات التي كانت عليها أكثر ملاحظات من قبل المحكمين سواء من حذف أو تعديل أو إضافة.

### ب. صدق التكوين للمقياس (Construct Validity)

وذلك بالكشف عن مدى ارتباط المحاور والدرجة الكلية للاستبانة .  
جدول (4) معامل الارتباط بين كل محور والدرجة الكلية للاستبانة

المهارات	درجة الارتباط بالدرجة الكلية للاستبانة
1. واقع تدريس معلمتين داخل الفصل الدراسي	**0.762
2. واقع تدريس معلمة تنمية المهارات داخل الفصل	**0.703
3. واقع الاهتمام بالجوانب غير المعرفية في مدارس المستقبل	*0.467

\*دال عند 0.05 - \*\* دال عند 0.01

يبين من الجدول (4) وجود ارتباط موجب دال بين كل محور والدرجة الكلية للاستبانة عند مستوى 0.01 للمحور الأول والثاني، وعند مستوى 0.05 للمحور الثالث، مما يعني صدق التكوين للاستبانة (Construct Validity) .

### ج. الثبات Reliability:

تم حساب ثبات أداة الدراسة بطريقتين :

الأولى: معادلة (ألفا كرونباخ) Cranach's Alpha

الثانية: التجزئة النصفية Split – half بطريقة ( سيبرمان – بروان ) وجاءت النتائج كما بالجدول التالي:

جدول (5) معاملات الثبات

التجزئة النصفية Split – half	معامل ألفا كرونباخ Cranach's Alpha	عدد البنود	الأدوات
0.520	0.782	13	1. واقع تدريس معلمتين داخل الفصل الدراسي
0.567	0.583	9	2. واقع تدريس معلمة تنمية المهارات داخل الفصل
0.544	0.513	7	3. واقع الاهتمام بالجوانب غير المعرفية في مدارس المستقبل
0.511	0.750	29	الاستبانة ككل

أظهرت الجدول (5) المعاملات المستخرجة من معادلة ألفا كرونباخ والتجزئة النصفية معاملات درجة ثبات مقبولة لأداة الدراسة.

### 6- الأساليب الإحصائية :

تم اختيار الاختبارات الإحصائية التي تتناسب مع أسئلة الدراسة المستخدمة ومتغيرات الدراسة وهي:

- التكرارات والنسب المئوية، والمتوسطات والانحرافات المعيارية، واختبار T test، وتحليل التباين الأحادي ANOVA.

نتائج الدراسة الميدانية

السؤال الأول: ما هو واقع تدريس معلمتين داخل الفصل الدراسي في مدارس المستقبل؟

للإجابة على السؤال الأول تم استخراج التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية للمحور الأول للاستبانة :

جدول (6) التكرارات والنسب المئوية والمتوسط والانحراف المعياري لبنود المحور الأول.

الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط	درجات الموافقة					العبارة	م
			معتراض بشدة	معتراض	محايد	موافق	موافق بشدة		
2	0.772	4.26	2	5	12	97	79	فلسفة نظام مدارس المستقبل قائمة على العمل الجماعي من خلال وجود معلمتين بالفصل.	1
			1.0	2.6	6.2	49.7	40.5		
6	0.912	4.09	3	13	16	95	68	وجود معلمتين بالفصل يساعد التلاميذ في مدارس المستقبل على اكتساب العديد من المهارات الاجتماعية.	2
			1.5	6.7	8.2	48.7	34.9		
4	0.867	4.10	3	9	19	98	66	وجود معلمتين في الصف يساعد على إدارته بسهولة أكثر	3
			1.5	4.6	9.7	50.3	33.8		
11	0.920	3.65	2	20	56	83	34	تستخدم معلمة مدرسة المستقبل أسلوب التعليم القائم على الحوار بمساعدة المعلمة الأخرى بالفصل.	4
			1.0	10.3	28.7	42.6	17.4		
13	1.159	3.05	19	46	60	47	23	لم يتغير نظام العمل في مدارس المستقبل في الكويت منذ أن بدأ النظام عام 2005.	5
			9.7	23.6	30.8	24.1	11.8		
1	0.743	4.28	2	1	19	92	81	ما زال العمل قائما في مدارس المستقبل على وجود معلمتين بالفصل .	6
			1.0	5.	9.7	47.2	41.5		
3	0.804	4.22	2	5	19	91	78	هناك دور تفاعلي بين معلمتي الفصل في مدارس المستقبل .	7
			1.0	2.6	9.7	46.7	40.0		
7	0.908	4.00	1	14	32	85	63	التدخل من قبل المعلمة المساعدة داخل الفصل يساعد في تحسين مهارة التلاميذ ويطورها	8
			0.5.	7.2	16.4	43.6	32.3		

12	1.278	3.28	20	35	55	41	44	لا يوجد لدى المعلمة الوقت الكافي لمساعدة المعلمة الأخرى داخل الفصل .	9
			10.3	17.9	28.2	21.0	22.6		
10	1.095	3.81	7	17	46	62	63	لا تستطيع معلمة الفصل حضور الحصة المساندة بسبب ضغط العمل.	10
			3.6	8.7	23.6	31.8	32.3		
5	0.803	4.10	-	9	27	95	64	وجود معلمة أخرى بالفصل يساعد على تفادي الكثير من العقبات	11
			-	4.6	13.8	48.7	32.8		
9	0.885	3.90	3	10	39	95	48	وجود معلمة أخرى بالفصل يعمل على النهوض بالعملية التعليمية.	12
			1.5	5.1	20.0	48.7	24.6		
8	0.894	3.90	1	17	31	97	49	تساعد المعلمة الأخرى بالفصل على استغلال الوقت مما يعود بتحصيل أفضل للطلاب .	13
			0.5	8.7	15.9	49.7	25.1		
	0.493	3.89						المحور ككل	

يتبين من الجدول (6) أن فكر مدارس المستقبل المتمثل بالتركيز على التلميذ كفرد من خلال وجود معلمتين داخل الفصل لا يزال قائماً ، حيث رأت الأغلبية العظمى من أفراد العينة أن هذه الآلية لا تزال قائمة ، وأن فلسفة هذا النظام المبني على العمل الجماعي مستمرة ، وأن التفاعل بين المعلمتين داخل الفصل لا يزال موجوداً ، وأن وجودهما ساعد على إدارة الصف بسهولة أكثر وساهم في تفادي الكثير من العقبات. والجدير بالذكر أن ثلث أفراد العينة يرى أن نظام العمل في مدارس المستقبل قد اعتراه تغيير و تبديل كما جاء في البند رقم (5).

كما أن أكثر من 40% من أفراد العينة يرى أنه لا يوجد لدى المعلمة الوقت الكافي لمساعدة زميلتها الأخرى داخل الفصل. و يرى حوالي ثلثي أفراد العينة أن ضغط العمل لا يساعد معلمة الفصل على حضور الحصة المساندة التي تلقاها زميلتها في الفصل.

**السؤال الثاني: ما هو واقع تدريس معلمة تنمية المهارات داخل الفصل الدراسي في مدارس المستقبل؟**

جدول (7) التكرارات والنسب المئوية والمتوسط والانحراف المعياري لبنود المحور الثاني

م	العبارة	درجات الموافقة					المتوسط	الانحراف المعياري	الترتيب
		موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة			
14	تقوم معلمة تنمية المهارات في مدارس المستقبل بالتركيز على علاج نقاط الضعف لدى التلاميذ .	65	100	15	9	5	4.09	0.909	1
		33.5	51.5	7.7	4.6	2.6			
15	لا يوجد اهتمام من قبل الإدارة بدور معلمة تنمية المهارات في مدارس المستقبل	17	33	52	50	42	2.65	1.238	8
		8.8	17.0	26.8	25.8	21.6			
16	ألغي العمل بنظام معلمة تنمية المهارات بمدارس المستقبل .	10	37	48	49	50	2.53	1.210	9
		5.2	19.1	24.7	25.3	25.8			
17	تقوم معلمة تنمية المهارات بمدارس المستقبل بعلاج الضعف لدى التلاميذ مما يجعلهم مهينين لاستقبال المهارات الجديدة .	50	103	33	8	-	4.01	0.772	2
		25.8	53.1	17.0	4.1	-			
18	لم توفر الإدارات المدرسية العدد الكافي من معلمات تنمية المهارات في مدارس المستقبل .	35	52	50	40	17	3.25	1.222	5
		18.0	26.8	25.8	20.6	8.8			
19	لا يوجد لدى معلمة تنمية المهارات الوقت الكافي لأداء مهمتها .	14	50	68	35	27	2.94	1.134	7
		7.2	25.8	35.1	18.0	13.9			
20	هناك ضغط كبير على معلمة تنمية المهارات بسبب قلة عددهن و كثرة التلاميذ .	32	60	70	22	10	3.42	1.056	4
		16.5	30.9	36.1	11.3	5.2			
21	توفر المدرسة دورات بصورة مستمرة لمعلمات تنمية المهارات مما ينعكس على أدائهن بالفصل.	19	49	78	37	11	3.14	1.023	6
		9.8	25.3	40.2	19.1	5.7			
22	تعطى دورات للمعلمات الجدد حول كيفية نظام العمل في مدارس المستقبل.	52	55	38	27	22	3.45	1.324	3
		26.8	28.4	19.6	13.9	11.3			
							3.28	0.533	

لم يتم احتساب البيانات الناقصة عند تحليل النتائج

الجدول رقم (7) يشرح واقع تدريس معلمة تنمية المهارات من وجهة نظر أفراد العينة، حيث ترى أغليبيتهن أن المعلمة لا تزال تركز على علاج نقاط الضعف لدى التلاميذ مما يجعلهم مهيبين لاستقبال المهارات الجديدة، ونجد أن (25%) من أفراد العينة يتفق على عدم وجود دورات تدريبية للمعلمات الجدد أو دورات مستمرة لمعلمات تنمية المهارات في هذه المدارس، وقرابة من نصف أفراد العينة (47.4%) يرى أن معلمة تنمية المهارات تتعرض لضغط كبير ناجم عن قلة أعدادهن وكثرة عدد التلاميذ الضعاف الذين تتعامل معهم، وأن (45%) من أفراد العينة يرى أن الإدارات المدرسية لم توفر العدد الكافي من معلمات تنمية المهارات.

**السؤال الثالث: ما هو واقع الاهتمام بالجوانب غير المعرفية في مدارس المستقبل؟**

جدول (8) التكرارات والنسب المئوية والمتوسط والانحراف المعياري لبنود المحور

الثالث

الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط	درجات الموافقة					العبارة	م
			معارض بشدة	معارض	محايد	موافق	موافق بشدة		
1	0.750	4.24	1	4	18	93	76	تعزز مدارس المستقبل الانتماء الوطني لدى التلاميذ .	23
			0.5	2.1	9.4	48.4	39.6		
2	0.750	4.17	1	2	28	93	68	تعزز مدارس المستقبل الانتماء الديني لدى التلاميذ .	24
			0.5	1.0	14.6	48.4	35.4		
3	0.811	4.05	1	7	31	95	58	تنمي مدارس المستقبل شخصية المتعلم من جميع الجوانب .	25
			0.5	3.6	16.1	49.5	30.2		
4	0.910	4.00	5	3	40	83	61	التلاميذ في مدارس المستقبل قادرون على المحافظة على الهوية الوطنية.	26
			2.6	1.6	20.8	43.2	31.8		
7	1.037	2.84	21	47	75	39	10	لم يعد هناك اهتمام بالجوانب غير المعرفية بمدارس المستقبل	27
			10.9	24.5	39.1	20.3	5.2		
6	1.061	3.02	20	33	76	50	13	الاهتمام بالجوانب غير المعرفية بمدارس المستقبل أصبح شكليا.	28
			10.4	17.2	39.6	26.0	6.8		
5	1.193	3.35	17	28	52	60	35	لا يوجد اختلاف بين القيم التي تركز عليها مدارس المستقبل و المدارس الأخرى .	29
			8.9	14.6	27.1	31.3	18.2		
	0.438	3.67						المحور ككل	

### لم يتم احتساب البيانات الناقصة عند تحليل النتائج

الجدول (8) يؤكد على أن مدارس المستقبل لا تزال تعزز قيم الانتماء الديني والوطني لدى التلاميذ ، كما أنها تهتم بتنمية شخصية المتعلم كما قال بذلك أغلبية أفراد العينة.

إلا أن اللافت للانتباه أن ثلث أفراد العينة يرى أن الاهتمام بالجوانب غير المعرفية أصبح شكليا في مدارس المستقبل و لم يعد هناك كثير من الاهتمام بهذه المسألة ، كما يؤكد ربع أفراد العينة على عدم وجود اختلاف في القيم التي تركز عليها مدارس المستقبل وتلك التي تمارس في المدارس الحكومية الأخرى.

### السؤال الرابع : ما هي أهم التحديات التي تواجه مدارس المستقبل حاليا؟

جدول (9) تحليل كفي للتحديات التي تواجه مدارس المستقبل من وجهة نظر

المعلمت بالمدارس.

التكرار	%	التحديات
20	10.3	1. إعداد المعلمت إعدادا جيدا يتناسب و طبيعة العمل القائم بمدارس المستقبل
19	9.7	2. كثافة التلاميذ في مدارس المستقبل بالمقابل يوجد نقص بالفصول
19	9.7	3. ضغوطات على المعلمت لجلوسها مع معلمة المادة الأخرى لمساعدتها داخل الفصل الدراسي .
18	9.2	4. تحتاج بعض المواد إلى تحديث لمواكبة تغيرات العصر.
14	7.2	5. تخصيص برنامج بكليات إعداد المعلمت لإعداد معلمت مؤهلات للعمل في مدارس المستقبل .
12	6.2	6. جهل بعض الإداريات المقصود من مدارس المستقبل
10	5.1	7. قلة الأجهزة والتقنيات المعاونة
7	3.6	8. الحاجة الى التدريب المستمر لمواكبة كل جديد
6	3.1	9. توعية اعلامية مكثفة لمدارس المستقبل ودورها
4	2.1	10. هناك ضغوط ملاحظ من أولياء الأمور
3	1.5	11. كثرة الحصص مما دفع بعض المعلمت للنقل خارج مدارس المستقبل
2	1.0	12. تخفيف الاعباء الادارية عن معلمت مدارس المستقبل
2	1.0	13. توفير حوافز مالية مجزية مقابل المجهود المبذول بمدارس المستقبل
2	1.0	14. تدريس المعلمت مادتين أو اكثر خارج تخصصها

الجدول (9) يظهر تحليلا كفيًا للسؤال المفتوح الذي طلب فيه من أفراد العينة تحديد أهم التحديات التي تواجه مدارس المستقبل حاليا ، حيث برزت أهم التحديات مقسمة على حسب عدد ونسبة تكرارها:

1. إعداد المعلمت إعدادا جيدا يتناسب و طبيعة العمل القائم بمدارس المستقبل.



2. كثافة التلاميذ في مدارس المستقبل بالمقابل يوجد نقص بالفصول.
3. ضغوطات على المعلمات لجلوسهن مع معلمة المادة الأخرى لمساعدتها داخل الفصل الدراسي.
4. تحتاج بعض المواد إلى تحديث لمواكبة تغيرات العصر.
5. تخصيص برنامج بكليات إعداد المعلمات لإعداد معلمات مؤهلات للعمل في مدارس المستقبل.

السؤال الخامس: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية على محاور الدراسة ترجع لمتغيرات (الجنسية، المؤهل العلمي، التخصص الدراسي، الخبرة) في مدارس المستقبل؟

يتناول هذا الجزء التعرف على أثر مجموعة من المتغيرات على محاور الدراسة: جدول(10) الفروق بين أفراد العينة تبعا لمتغيرات (الجنسية، المؤهل العلمي، التخصص)

#### يتبين أعلاه ما يلي :

يوضح جدول (10) فيما يخص متغير الجنسية عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد العينة تبعا لهذا المتغير. وتكرر النتيجة نفسها مع متغير المؤهل، حيث لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد العينة تعزى لمتغير

الدرجة الكلية	محاور الدراسة			المتغيرات	
	الاهتمام بالجوانب غير المعرفية	واقع تدريس معلمة تنمية المهارات	واقع تدريس معلمتين	الجنسية	
105.90	25.41	29.68	51.19	م	كويتي
11.566	3.055	5.048	6.392	ع	ن=78
104.81	25.87	29.36	50.25	م	غير كويتي
10.548	3.073	4.649	6.441	ع	ن=117
.677	1.017	.448	1.006	ت	
.499	.310	.655	.316	الدلالة	
				المؤهل العلمي	
105.65	25.64	29.53	50.79	م	بكالوريوس
10.629	3.075	4.810	6.581	ع	ن=175
101.75	26.11	29.05	49.20	م	ماجستير
13.242	3.027	4.817	4.697	ع	ن=20
.426	.426	1.367	1.048	ت	
.674	.670	.182	.296	الدلالة	
				التخصص	
103.84	25.39	28.56	50.18	م	علمي
11.430	2.838	4.938	6.627	ع	ن=88
106.40	25.92	30.25	50.99	م	أدبي
10.452	3.236	4.565	6.255	ع	ن=107
2.467	2.485	.870	.875	ت	
.015	.014	26.386	.383	الدلالة	

المؤهل العلمي. يظهر الجدول أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد العينة تبعاً لمتغير التخصص الدراسي لصالح طلاب التخصص الأدبي فيما اختفت الفروق بالمحاور الأخرى.

جدول (11) الفروق بين أفراد العينة تبعاً لمتغير (الخبرة)

الدلالة	قيمة (ف)	متوسط المربعات	درجة الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين	المجالات
0.044	3.171	127.896	2	255.792	بين المجموعات	واقع تدريس معلمتين
		40.333	192	7743.880	داخل المجموعات	
			194	7999.672	المجموع	
0.015	4.274	95.268	2	190.537	بين المجموعات	واقع تدريس معلمة تنمية
		22.293	191	4257.917	داخل المجموعات	
			193	4448.454	المجموع	
0.062	2.816	25.979	2	51.957	بين المجموعات	الاهتمام بالجوانب غير المعرفية
		9.226	189	1743.662	داخل المجموعات	
			191	1795.620	المجموع	
0.012	4.550	526.358	2	1052.716	بين المجموعات	الدرجة الكلية
		115.674	192	22209.468	داخل المجموعات	
			194	23262.185	المجموع	

ويوضح الجدول (11) وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الخبرة على محاور الدراسة. وأن قيمة (ف) دالة إحصائياً بالنسبة لكل محور من محاور الدراسة والدرجة الكلية عدا محور (الاهتمام بالجوانب غير المعرفية) عند مستوى دلالة 0.01، وهذا يعني وجود فروق دالة بين استجابات عينة البحث لفئات الخبرة، وباستخدام اختبار LSD (أقل فرق دال) وجدت الدراسة ما يأتي:

جدول ( 12 ) نتائج المقارنات البعدية لمحاور الدراسة التي وجدت بينها فروق

الاتجاه لصالح	الدلالة	الفرق	المتوسط	العدد	سنوات الخبرة	محاور الدراسة
---------------	---------	-------	---------	-------	--------------	---------------

المحور الأول: واقع تدريس معلمين		المحور الثاني: معلمة تنمية مهارات		نتائج المقارنات البعدية للدرجة الكلية	
خبرة 4-6		-	52.50	48	6-4
	0.015	3.127	49.37	51	3-1
خبرة 1-3		-	30.20	51	3-1
	0.040	1.700	28.50	96	أكثر من 6 سنوات
خبرة 4-6		-	30.71	48	6-4
	0.009	2.208	28.50	96	أكثر من 6 سنوات
خبرة 4-6		-	109.00	48	6-4
	0.003	5.729	103.27	96	أكثر من 6 سنوات

يتبين من الجدول (12) وجود فروق بين متوسطات الدرجات بين المعلمات ذوات الخبرات (من 4-6 سنوات و 1-3 سنوات) لصالح ذوات الخبرة 4-6 سنوات عند مستوى دلالة  $(\alpha = 0.05)$  بمحور (واقع تدريس معلمين).

أما بالنسبة للمحور الثاني ( واقع تدريس معلمة تنمية المهارات ) بالجدول (12) نجد أيضا أن هناك فروق بين متوسطات الدرجات بين ذوات الخبرات (من 1-3 سنوات وخبرة أكثر من 6 سنوات) لصالح ذوات الخبرة من (1-3) سنوات عند مستوى دلالة  $(\alpha = 0.05)$ .

كما يتبين من جدول (12) الفروق بين متوسطات الدرجات بين ذوات الخبرات (من 4-6 سنوات) و(أكثر من 6 سنوات) لصالح ذوات الخبرة من ( 4-6) سنوات عند مستوى دلالة  $(\alpha = 0.05)$ .

ويظهر كذلك الفروق بين متوسطات الدرجات بين ذوات الخبرات من (4-6 سنوات) وخبرة (أكثر من 6 سنوات) لصالح ذوات الخبرة من (4-6 سنوات) عند مستوى دلالة  $(\alpha = 0.05)$  بالدرجة الكلية.

#### تفسير النتائج

يظهر من نتائج الدراسة أن هناك مجموعة من القضايا الجديرة بالمناقشة والتفسير:

• **واقع تدريس معلمتين داخل الفصل الدراسي في مدارس المستقبل:**

يتبين من خلال النتائج التي عرضت سابقا أن فكرة مدارس المستقبل ما زالت قائمة ، والتي تصب تركيزها على التلميذ من خلال وجود معلمتين داخل الفصل الدراسي ، وفي رأي أفراد العينة كان ذلك له الأثر على سهولة إدارة الفصل وتفاذي العقبات ، إلا أن الدراسة أظهرت في المقابل وجود عقبات واجهت المعلمتين داخل الفصل ألا وهي عدم وجود وقت كافي لكي تساعد كلا منهما الأخرى ، بالإضافة إلى الضغط الحاصل في العمل مما يعيق المعلمة على حضور الحصة المساندة ، وهذا قد يشير إلى أن الدعم الذي حظي به هذا المشروع قل وتقلص خلال السنوات الماضية بدليل أن المعلمة في هذه المدارس تواجه حاليا عقبات قد تتشابه مع زميلاتها في المدارس الحكومية ، وهذا ما أكدته دراسة العيسى حيث أشارت إلى أن مشروع مدارس المستقبل ما زال بحاجة إلى دعم تربوي من قبل المختصين في وزارة التربية في المقام الأول.

• **واقع تدريس معلمة تنمية المهارات داخل الفصل الدراسي في مدارس المستقبل:**

إن نظام العمل في وجود معلمة تنمية مهارات ما زال قائما وأنها ما زالت تعمل بنفس النظام القائم على علاج نقاط الضعف لدى التلاميذ ، وهذا قد يدل على أن مشروع مدارس المستقبل لا يزال يحظى بدعم من وزارة التربية بدليل استمرارية هذا النظام وفق الرؤية التي وصلت له، إلا أن الضغط الذي اعتري تدريس معلمة تنمية المهارات تمثل في عدم وجود دورات تدريبية لهؤلاء المعلمات بالإضافة للضغوط المتمثلة بكثرة التلاميذ الضعاف وهذا ما تؤكدته دراسة (بركات و حرز الله، 2010) التي أسفرت على أن ازدياد الصفوف بالطلبة أدى إلى انخفاض تحصيلهم) ، وترى الدراسة الحالية أن السبب وراء هذا التحدي قد يعود إلى عدم وجود دعم فني للقائمين على هذا المشروع ، و هذا الدعم الفني المتمثل ببناء كفاءات وقدرات في هذه المدارس من أهم متطلبات نجاح التغيير التربوي. كما توافقت هذه النتيجة مع دراسة العيسى (2011)

و(Fullan and Waston (2000).

• **واقع الاهتمام بالجوانب غير المعرفية في مدارس المستقبل:**

تظهر الدراسة أن الاهتمام بالجوانب غير المعرفية لا يزال يحظى باهتمام ، وإن كان هذا الاهتمام أقل من المؤمل ، و ترى الدراسة أن السبب في ذلك قد لا يرجع إلى فكر مدارس المستقبل بل قد يعود إلى الفكر والثقافة السائدة في النظام التعليمي الحكومي في الكويت، الذي يركز في مجمله على الجوانب المعرفية، وهذا ما تؤكدته دراسة حمدان (2009) في أن التركيز على الجوانب المعرفية وخاصة المستويات الدنيا منها كالنذكر والفهم بعيدة عن المستويات العليا للتفكير كالنقويم والتركيب. وكما تؤكد دراسة أحمد (د.ت) أن هناك تركيز على الجوانب المعرفية من خلال ما يسمى بالعمولة

يسعى إلى التركيز على الفكر الثقافي بعيدا عن القيم والمثل والفضائل، وهذه الثقافة السائدة التي تعزز الجوانب المعرفية على الجوانب المهارية والسلوكية قد لا تزال تشكل عنصر ضغط على سياسة التعامل مع المهارات والمخرجات غير المعرفية في مدارس المستقبل.

• **الفروق بين المتغيرات (التخصص العلمي - الجنسية - المؤهل التربوي - الخبرة) في مدارس المستقبل:**

نلاحظ من خلال ما تم عرضه بالجدول السابقة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات التخصص (علمي/أدبي) بمحور(الاهتمام بالجوانب غير المعرفية) و جاءت النتيجة لصالح طلاب التخصص الأدبي، فمن الممكن أن تعزى تلك النتيجة إلى تركيز المواد الأدبية في طبيعة مناهجهم على الجوانب غير المعرفية من خلال تحضير الدروس ومناقشة التلاميذ بها، بعكس التخصص العلمي ، فطبيعة المواد العلمية تحكم على المعلمة السير في طريق علمي جامد بعيد عن مناقشة الجوانب غير المعرفية في تدريسهم وإن كانوا يدعون عكس ذلك، وهذا ربما ما تعزى له النتيجة.

كما أن الفروق في الخبرة لدى المعلمات لصالح الأكثر خبرة في بند واقع تدريس المعلمتين ربما لأنهن مارسن العمل في مدارس المستقبل مدة أطول فلمسن واقع التدريس أكثر ، أما بالنسبة لبند تدريس معلمة تنمية المهارات فجاء لصالح الأقل خبرة وقد يرجع السبب في أنهن مارسن العمل منذ البداية في مدارس المستقبل فنشرين النظام وفق ما كان مخطط له ويطبقن قواعدها بحذافيرها، و ربما قد يعود السبب إلى أنهن تعرض لضغوط العمل بشكل أقل من ذوات الخبرة الكبيرة، وتؤيد ذلك دراسة طلافحة (2013) ،حيث أكدت أن مستوى ضغوط العمل عند معلمي الدراسات الاجتماعية للمرحلة الأساسية في العاصمة عمان جاء لصالح ذوي الخبرة المتوسطة.

**توصيات :**

- تبني مقرر في الجامعة لتدريس فلسفة نظام العمل في مدارس المستقبل لإعداد المعلمات الإعداد المتكامل للعمل في تلك المدارس.
- عمل تنمية مهنية شاملة للمعلمات الجدد لتأهيلهن للعمل في مدارس المستقبل.
- توفير ورش عمل مستمرة للمعلمات لمواكبة كل ما هو جديد في الميدان التربوي.
- محاولة تقليل العبء الإداري على المعلمات والتركيز على مهامهن الرئيسية.

**المراجع**

**المراجع العربية :**

- أبو السعود، سونيا أحمد. (2012). درجة توافر خصائص مدرسة المستقبل في المدارس الحكومية في محافظات الضفة الغربية من وجهات نظر المديرين. رسالة ماجستير. جامعة النجاح الوطنية.
- بركات، زياد وحرز الله، حسام (2010) أسباب تدني مستوى التحصيل في مادة الرياضيات لدى طلبة المرحلة الأساسية الدنيا من وجهة نظر المعلمين في محافظة طولكرم. ورقة مقدمة للمؤتمر التربوي الأول لمديرية التربية والتعليم في محافظة الخليل بعنوان "التعليم المدرسي في فلسطين: استجابة الحاضر واستشراف المستقبل: في 16-17/5/2010.
- حمدان، حلمي رؤوف حلمي (2009). مدى ملائمة أهداف أسئلة التقويم مع أهداف الأمثلة حسب تصنيف بلوم للأهداف المعرفية في كتاب الرياضيات للصف الحادي عشر العلمي. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة بيرزيت. فلسطين.
- جمل ، محمد والرامي، فواز. (2006). مدرسة المستقبل. مجموعة رؤى وأفكار ودراسات معاصرة. ط1 ، دار الكتاب الجامعي ، العين: الإمارات العربية المتحدة.
- حافظ، محمد عبد الفتاح .(2013). المدارس الذكية ومدرسة المستقبل ، ط1 ، مؤسسة حورس: الإسكندرية.
- الرشيدي، غازي عنيزان والعازمي، مزنة. (2010). تقويم لبرنامج تنمية المهارات بمدارس المستقبل من وجهة نظر المعلمات وأولياء الأمور. مجلة كلية التربية بالزقازيق (دراسات تربوية ونفسية).
- الرشيدي، غازي عنيزان. (2012). النظام التربوي والتعليمي بدولة الكويت (ط1). الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
- الرشيدي، غازي عنيزان. (2014). مدارس المستقبل في دولة الكويت - نظرة على الفكر وتحليل الممارسة. ط1 ، مكتبة الفلاح: الكويت.
- زايد، نبيل محمد (2013). التعليم والتعلم ... المعلم والمتعلم في مدرسة المستقبل ، مجلة كلية التربية بالزقازيق ، دراسات تربوية ونفسية العدد (79).
- الزبون ، محمد سليم .(2011)، ملامح مدرسة المستقبل من وجهة نظر الخبراء التربويين في الأردن، دراسات العلوم التربوية، مجلد 38، ملحق 1.
- الصقبي، بدور خالد (2013). اتجاهات المعلمات نحو العمل في مدارس المستقبل في دولة الكويت. رسالة ماجستير. جامعة الكويت.
- طلافه، حامد عبد الله (2013). ضغوط العمل عند معلمي الدراسات الاجتماعية للمرحلة الأساسية في الأردن والمشكلات الناجمة عنها. مجلة الجامعة الإسلامية

- للدراستات التربوية والنفسية، مجلد 21، العدد الأول، ص 257 - ص 294 متوفر على الرابط :
- www2.iugaza.edu.ps/ar/periodical/articles/..pdf -
- العبد الكريم، راشد (1423هـ). مدرسة المستقبل التحولات الرئيسية، ورقة عمل مقدمة في ندوة (مدرسة المستقبل)، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية (الرياض).
- علي أحمد، نافز أيوب محمد (د.ت). انعكاسات العولمة على التعليم. جامعة القدس. فلسطين. متوفرة على الرابط:
- http://www.qou.edu/arabic/researchProgram/researchersPages/nafzAyoub/r4\_drNafzAyoub.pdf -
- العيسى، بشائر فهد (2011). دور مدارس المستقبل في تعزيز مفهوم الاهتمام بالتلميذ الفرد في مدارس المرحلة الابتدائية في دولة الكويت. رسالة ماجستير. جامعة الكويت.
- القرني، علي بن حسن يعين الله. (2009). متطلبات التحول التربوي في مدرسة المستقبل الثانوية بالمملكة العربية السعودية في ضوء تحديات اقتصاد المعرفة ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية.
- المعمري، شيف بن ناصر. (2014). التربية من أجل المواطنة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية : الواقع و التحديات. رؤى إستراتيجية.
- محمد، مصطفى عبد السميع وحوالة، سهير محمد. (2005). إعداد المعلم وتنميته وتدريبه ، ط 1 ، عمان: دار الفكر.
- محمود، محمد جابر. (2010). رؤية تربوية لبعض أدوار مدير مدرسة المستقبل 26 (2) ، 52-108 .
- وزارة التربية. (2003). إستراتيجية التعليم العام في دولة الكويت 2005-2025.
- مكتب التربية العربي. (1420هـ). مشروع مدرسة المستقبل. وزارة التربية. (2005)

#### المراجع الأجنبية:

- Alamutka, K., Redecker, C., Punie, Y., Ferrari, A., Cachia, R., and Centeno, C. (5-7 February, 2010). The future of learning: European teachers' visions. Report to E-Twinning Conference: A foresight consultation. Luxembourg: publications office of the European Union. Retrieved January 15, 2013, from:

- [ftp://ftp.jrc.es/pub/EURdoc/JRC59775\\_TN.pdf](ftp://ftp.jrc.es/pub/EURdoc/JRC59775_TN.pdf)
- Miettunen, J., Mattila, P. (26 -28 September, 2007). Motivating learning in mobile and game-based environments experiences in everyday classroom work the path to the school of the future. Conference ICL2007. Villach, Austria. Retrieved December 30, 2012, from:
- [http://telearn.archives-ouvertes.fr/docs/00/25/71/52/PDF/266\\_Final\\_Paper.pdf](http://telearn.archives-ouvertes.fr/docs/00/25/71/52/PDF/266_Final_Paper.pdf)
- Miller, S. (2003). Partners-in-reading: using class room assistants to provide tutorial assistance to struggling first grade readers. Journal of education for students placed at risk. 8 (3), 333-349
- Fetisoff, K. & kry, J skilling, A. (2008). Improving social skills in elementary students through classroom meeting. Master, saint xavier university & Pearson Achievement Solutions, Inc. Chicago, Illinois.
- Fullan, M. and waston, N. (2000) School Based Management: re conceptualizing to improve learning outcomes. School effectiveness and school improvement, 11,453-473
- Vadasy, P, sanders, E., and Abbott, R. (2008). “Effects of supplement Early Reading Intervention at 2 – year follow up: Reading skill Growth patterns and predictors”. Scientific studies of reading. 12 (1), 51 – 89.
- Nevin, A., Malian, I., and liston, A. (2008). “Para educators profile in Inclusive classrooms: Analysis of national survey Data and follow-up interviews in California”. Paper presented at the annual meeting of the national Resource center for paraprofessionals.



## صورة المرأة العربية في الإعلام الجديد: بين الواقع والمواقع (حالة يوتوب)

### ملخص

تعالج هذه الورقة البحثية صورة المرأة العربية في الإعلام الجديد من خلال دراسة وتحليل عينة من المواد (الفيديوهات) المنشورة بـ"اليوتوب". وقد تم تقسيم الورقة إلى ثلاث عناصر؛ يعنى أولها بتقديم خلفية ومدخل وجيز حول الموضوع المدروس، فيما يختص العنصر الثاني بتوضيح منهجية الدراسة. أما العنصر الثالث والأخير فيستعرض النتائج المتوصل إليها مرفقة ببعض التحليلات والقراءات.

أ. نصر الدين بوزيان

كلية علوم الإعلام والاتصال  
والسمعي بصري  
جامعة قسنطينة 3  
الجزائر

### مقدمة

## استقطبت

صورة المرأة في وسائل الإعلام اهتماما كبيرا في الأوساط العلمية الأكاديمية على المستويين العربي والعالمي. فقد بادرت "اليونسكو" (UNESCO) سنة 1979 بإعداد ونشر دراسة متكاملة تمحورت حول صورة المرأة في وسائل الإعلام. وقد شملت الدراسة جوانب عدة مست الإشهار، الإذاعة، التلفزيون، السينما والصحافة. وتقر الدراسة بالصورة السلبية التي اقترنت بالمرأة والتي غالبا ما كانت تظهر كأداة جنسية، وهو الأمر الذي جعل النساء يعبرن عن انزعاجهن وتأثرهن بالصور-سيما الأشهارية منها- والتي عادة ما تقزمهن وتستغل أجسادهن كأداة ديكور وتجميل ووسيلة لشد الانتباه<sup>(1)</sup>، فتحولت المرأة بالتالي إلى أداة تستعمل في التسويق للمنتجات المختلفة<sup>(2)</sup>.

### Résumé

Le présent article traite de l'image de la femme arabe dans les nouveaux médias à travers l'analyse d'un échantillon de vidéos publiées sur le *Youtube*. En bref, l'article est composé trois parties. La première partie donne un bref aperçu sur l'objet d'étude, la deuxième présente la méthodologie de l'étude. La dernière partie, quant à elle, est consacrée à l'exposé et à l'analyse des résultats.

ورغم الأهمية الكبيرة التي تمتعت بها هذه الدراسة التي تفاعلت -على ما يبدو- مع السياقات العلمية الأكاديمية وعدد من الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة في فترة الستينات والسبعينيات، إلا أنها أبدت نوعا من التحفظ وراحت تتساءل عن دور وسائل الإعلام من خلال طرح التساؤل المحوري الآتي: هل وسائل الإعلام منتجة للثقافة أو عاكسة لها؟(3)

لكن ومن خلال السنوات اللاحقة والتحولات المتلاحقة، باتت من المؤكد أن المرأة التي تمثل نصف المجتمع تحولت إلى منتج للاستهلاك واقتزنت بها جملة من الصفات النمطية التي تعكسها وسائل الإعلام (المرأة كأداة جنسية، المرأة المثيرة، القليلة العقل...)، وهي صفات باتت تنم عن نظرة قديمة تبرز الشروط التي تعيشها المرأة(4).

فصورة المرأة في الأفلام الأمريكية، تظهرها على أنها المرأة الجميلة، الناعمة، ذات الشعر الطويل بالإضافة إلى مجموعة من الأوصاف التي تتجنب ذكرها والتي لا تعكس واقع ولا صفات المرأة الأمريكية، فنسبة الأمريكيات التي تعكسها هذه الصورة في وسائل الإعلام تمثل أقلية. كما أن كندا بعد الحرب العالمية الثانية شاع بها نموذج المرأة الماكثة في البيت وأصبح طاغيا على صورتها الإعلامية، وذلك بغرض تميم العمل المنزلي ومن وراء ذلك حث النساء على البقاء في البيت وفسح المجال أمام الرجل للعمل(5).

ومنذ سنوات عدة، وانطلاقا من سنوات الثمانينات خصوصا، باتت المرأة بمثابة محور إستراتيجية التسويق التجاري، سيما في ظل تزايد الرغبة في الدفع لاستهلاك المنتجات المختلفة، وهو ما يعكس صورة غير عادلة وغير موضوعية عن المرأة. فقد أظهرت دراسات وأعمال "جورج جربنر" (George Gerbner) ومساعديه أن الأحاديث التي تدور بين الرجل والمرأة في وسائل الإعلام عادة ما تندرج ضمن سياق عاطفي، كما أن المرأة غالبا ما تختزل أدوارها في الأدوار المنزلية ويتم إظهارها على أنها غير قادرة على إنجاز عملها ومسيرتها المهنية خارج البيت(6).

وبالاستناد على مقولة "مارشال مكلوهان"، التي تفيد بأن العالم تحول إلى قرية كونية، يمكن أن ندرك سريعا أن ما تعانيه المرأة الغربية ليس مختلفا كثيرا عما ما تعانيه المرأة العربية مع الإقرار بوجود خصوصيات ثقافية، سياسية، اجتماعية، واقتصادية متباينة. فرغم تباعد المسافات الجغرافية إلا أن ظاهرة عولمة الإعلام والإتاحة المعلوماتية أوجدت صورة نمطية لا تختلف في كلياتها بين الغرب والعرب. فيكفي مثلا أن نشير أن نسبة البرامج التلفزيونية المستوردة سنة 1978 كانت تتراوح بين 30 و75 بالمائة في 91 بلدا ناميا وما يمثل 55 بالمائة كمتوسط من جميع البرامج المقدمة(7).

وفي ظل الانتشار الواسع للفضائيات والانترنت، يمكن فعلا اعتبار أن الصورة التي تنقلها وسائل الإعلام الغربية والعربية لم تعد مختلفة كثيرا؛ فالكثير من البرامج العربية المشهورة هي بمثابة إعادة استنساخ للبرامج الغربية (The voice, Arab's got talent ... وغيرها). كما توجد الكثير من القنوات التي تبث المضامين الأجنبية أمثال: Mbc 2, Mbc action, fox Movies ... وغيرها.

وقد وقفت العديد من الدراسات على صورة المرأة في وسائل الإعلام العربية والغربية على حد سواء، نذكر منها دراسة "ناجي نهر النهر"(8) الذي أبرز بعض الصور السلبية التي

حملها مسلسل "سنوات الضياع" المدبلج لمخرجه "م أيدن بولوث" (مسلسل عرض سنة 2008 على قناة Mbc1 ولقي إقبالا واسعا في الأوساط العربية) وأيضا الصور السلبية التي تضمنها برنامج "ستايل" (Style) الذي يعرض منذ 2002 بقناة Mbc إلى غاية الآن (فيفري 2014).

ورغم أهمية ودور وسائل الإعلام التقليدية المختلفة (صحافة، مجلات، إذاعة، تلفزيون وسينما) إلا أن ظهور ما يعرف بالإعلام الجديد، جدد النقاش وأعاد طرح العديد من التساؤلات عن الدور أو الصورة التي يقدمها عن المرأة، مع الإشارة إلى الفروقات الموجودة بين العمل الإعلامي والأعمال الفنية السينمائية والتلفزيونية.

وبغض النظر عن الجدل الواسع الذي يكتنف الإعلام الجديد والتنظير حوله، سواء اعتبرناه "ترميما" أو "إضافة" تكفل التفاعلية، العالمية والتشاركية أو اعتبرناه نوعا جديدا للإعلام، فإن الإعلام الجديد -كما يشيع تسميته- يتيح تطبيقات ويتسم بخصوصيات تستدعي الوقوف عندها.

وسيتم التركيز في دراستنا على "اليوتوب" الذي يعد أحد أوجه الإعلام الجديد وموضوعا جديرا بالدراسة، فـ"اليوتوب" قادر على تقديم صورة عن المرأة بالصوت والصورة وبشكل جديد يختلف عن الصوت والصورة المقدمة من طرف التلفزيون إلى حد كبير نظرا للخصوصيات التي يزر بها.

وينبغي في هذا الصدد الوقوف على بعض المصطلحات والمعلومات الخاصة بـ"اليوتوب". فقد ارتفع عدد زواره من 350 مليون زائر شهريا في 2009 إلى 02 مليار مشاهدة فيديو يوميا في ماي 2010 ليصل إلى 04 مليار مشاهدة فيديو يوميا في 23 جانفي 2012<sup>(9)</sup>.

ورغم أن انتشار وازدهار "اليوتوب" في بدايته ارتبط، كما هو معروف، بإعادة نشر برنامج "اليزي ساندي" (Lazy Sunday) المأخوذ من برنامج "الحياة الليلية يوم السبت" (Saturday night live) الخاص بقناة "أن، بي، سي" التي طلبت لاحقا من المشرفين على "اليوتوب" سحبها هي ومقتطفات من الألعاب الأولمبية الشتوية لـ2006، إلا أن "اليوتوب" لم ينظر إليه أبدا على أنه منافس محتمل للتلفزيون أو وسيلة إعلامية جديدة في طور البلورة. لتأتي أحد الدراسات مؤخرا لتكشف أن الأحداث والمستجدات كانت من أكثر المواضيع المبحوث عنها في "اليوتوب" خلال فترة الدراسة التي دامت 15 شهرا (2011-2012)، وهو ما يجعل من "اليوتوب" بمثابة فيديوهات إعلام تحت الطلب<sup>(10)</sup>. فلقد تحول "اليوتوب" إلى قاعدة مرجعية في متابعة الأحداث والمستجدات، لدرجة أن البعض يتساءل عن إمكانية تعويضه للجرائد الناطقة والمصورة (JT)، كون هذه القاعدة تحولت إلى مصدر رئيسي للأحداث على الأنترنت حسب دراسة لمركز (Pew) الذي ذهب لحد الحديث عن شكل جديد للإعلام المرئي. كما كشف المركز ظهور علاقة جديدة بين المدونين ومؤسسات الإعلام عبر قاعدة "اليوتوب"، كون الفيديوهات الأكثر شعبية هي تلك التي نشرها مدونون وتم إعادة نشرها عبر وسائل الإعلام<sup>(11)</sup>.

كما تشير دراسة مركز "بيو" الأمريكي (Pew)، وبشكل صريح، إلى أن هذا الشكل الجديد للعلاقة بين وسائل الإعلام والمواطن تعد أكثر ديناميكية وتنوعا، وتوضح أن أكثر ما يزيد من أثر وانتشار "اليوتوب" كوسيلة إعلامية هو الطابع الأصيل (Authentique)

والعرضي (Spectaculaire)، ما يخلق تحديات جديدة ويجعل وسائل الإعلام التقليدية سيما التلفزيون بحاجة إلى إعادة النظر، خصوصا وأن بعض المؤسسات المرموقة أمثال "رويترز" على سبيل المثال عقدت شراكة مع "اليوتوب"<sup>(12)</sup>.

كما تدلل أرقام أخرى على أهمية "اليوتوب"، بحيث تشير دراسة تعود إلى 2008 (أي قبل تحقيق الازدهار والانتشار الواسع لـ"اليوتوب") إلى أن 64 بالمائة من المبحوثين الذين يشاهدون الفيديوهات عبر الانترنت يستعملون "اليوتوب" و35 بالمائة يستعملون المواقع التقليدية الخاصة بوسائل الإعلام، مع الإشارة إلى أن محتوى الفيديوهات يمثل 79 بالمائة موسيقى، 70 بالمائة ترفيه، 48 بالمائة أفلام و45 تعنى بالأحداث والمستجدات<sup>(13)</sup>.

كما تظهر دراسة للهيئة العليا لنشر الأعمال وحماية الحقوق في الأنترنت (Hadopi) التي اعتمدت على طريقة "راندون والك" (Randon Walk) وشملت ما يفوق 3000 فيديو تم نشره في "اليوتوب" شهر مارس 2013، أن 22.60 بالمائة من الفيديوهات هاوية، 22.18 بالمائة إعلامية (فيديوهات صنعت ونشرت من قبل وسائل الإعلام)، 13 بالمائة موسيقية (فيديو كليب)، إضافة إلى الأفلام والمسلسلات والمؤتمرات والخطب وغيرها والتي جاءت نسبها أقل بكثير مما سبق ذكره<sup>(14)</sup>.

وبخصوص المحتويات الإعلامية السمعية البصرية نجد أن 33.92 بالمائة رياضية، 30.25 منوعات، 25.24 أخبار، 02.04 بالمائة مجلات، و8.55 أفلام وثائقية<sup>(15)</sup>.

ومما سبق نقف على:

أولاً: الإسهام المعتبر للهواة، أو ما يعرف بـ"إعلام المواطن"، فصورة المرأة لا تبنى كما في السابق من مؤسسات بعينها ترمي لخدمة أغراض اقتصادية، سياسية، ثقافية أو اجتماعية، بل يمكن أن يشارك فيها "المواطن الصحفي".

ثانياً: الإقبال الواسع على "اليوتوب" وبروزه كوسيلة "إعلامية" تمتلك الصورة والصوت وإمكانيات النشر العالمي، التفاعلي والتشاركي، وما لذلك من أثر محتمل سواء في تشكيل، تغيير أو ترسيخ صورة المرأة.

**منهجية الدراسة:**

**منهج الدراسة:**

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يعرف بأنه -الطريقة التي تقوم على جمع المعلومات والبيانات وتدوينها ومحاولة تفسيرها وتحليلها من أجل قياس ومعرفة أثر وتأثير العوامل على إحداث ظاهرة من الظواهر محل الدراسة بهدف استنتاج النتائج ومعرفة

كيفية ضبط هذه العوامل وأيضاً التنبؤ بالظاهرة محل الدراسة في المستقبل<sup>(16)</sup>، فهذه الخصائص والمميزات هي التي جعلتنا نعتد عليه.

#### عينة الدراسة وطريقة ومبررات اختيارها:

شملت الدراسة في المجمل عينة تصل إلى 120 فيديو منشور بموقع "اليوتوب"، أخضع منها 60 فيديو للتحليل البسيط و60 أخرى للتحليل المقارن.

ففي المرحلة الأولى، شملت الدراسة عينة تصل إلى 60 فيديو، تم تحديدها انطلاقاً من البحث في إجمالي الفيديوهات المنشورة بـ"اليوتوب" بالاعتماد على كلمتين مفتاحيتين في البحث تتصل بشكل مباشر بالموضوع المبحوث وبثلاث لغات هي: العربية، الفرنسية والانجليزية. وتمثل الكلمتين المفتاحيتين في: "المرأة العربية"، "Femme arabe" و"Arabic Women".

وفي هذا الصدد، نشير إلى أن الفيديوهات جاءت موزعة على ثلاث فئات فرعية؛ فئة الفيديوهات المبحوث عنها باللغة العربية وفئة الفيديوهات المبحوث عنها باللغة الفرنسية وأخيراً فئة الفيديوهات المبحوث عنها باللغة الانجليزية، مع الإشارة إلى أن كل فئة فرعية مشكلة من 20 فيديو بما يمثل 60 فيديو في المجموع. وينبغي الإشارة مرة أخرى إلى أن الـ20 فيديو الخاصة بكل فئة فرعية تمثل إجمالي الفيديوهات المنشورة في الصفحة الأولى للبحث. ومن اللائق أن نوضح في هذا الإطار أحد أهم مبررات أخذ الفيديوهات المنشورة بالصفحة الأولى للبحث والاكتفاء بها مرتبط أساساً بالخاصية التي يتسم بها المدونون أو مستعملو الانترنت إجمالاً حسب ملاحظتنا وحسب العديد من الدراسات التي أبرزت أن مستعملي الانترنت هم أفراد قلقون وباحثون مستعجلون عن المعلومة أو مضمون بعينه. وعليه فغالبية مستعملي الانترنت -حسب تقديرنا- لا يمكن أن يتجاوزوا الـ20 فيديو وبالتالي الصفحة الأولى دون تغيير مفردة أو مفردات البحث.

أما السنتين (60) فيديو الثانية، فتندرج في الجزء الثاني من الدراسة الذي سعينا من خلاله إلى الوقوف على مدى ثبات واحتمالية تغير نتائج البحث بعد يوم من تحديد مفردات عينة الدراسة السنتين الأولى.

وعليه فإن التحليل المقارن استخدم بداية للمقارنة بين نتائج البحث الأول في "اليوتوب" باللغات الثلاث (العربية، الفرنسية والانجليزية) والبحث الثاني الذي جاء بعد يوم لاحق لتاريخ تحديد مادة التحليل. كما استندت الدراسة على مقارنة نتائج تحليل المضمون حسب الفئات الفرعية الثلاث التي اعتمدنا في تحديدها على محدد اللغة.

#### أدوات جمع البيانات:

اكتفت الدراسة بأداة واحدة هي أداة تحليل المضمون التي تعتمد أساساً على الأسلوب الكمي في عمليات التحليل بهدف القيام بالتحليل الكيفي استناداً على أسس موضوعية<sup>(17)</sup>. وبالرغم من كون التحليل الكيفي ذاتي انطباعي إلا أننا نسعى -من خلال اللجوء إلى الاعتماد على أداة تحليل المضمون- إلى الاستناد على أسس يمكن اعتبارها موضوعية إلى حد "كبير" نظراً

لحرصها على تبيين الفئات والمؤشرات المعتمدة من جهة والأهم من ذلك السعي إلى تكميم البيانات ومعالجتها احصائياً، وهو الأمر الذي تبرزه العديد من المراجع على غرار كتاب "دراسات في مناهج البحث العلمي" لـ"سمير محمد حسين" الذي سبق الإشارة إليه.

وقد استندت الدراسة على وحدة الفكرة في تحليل المضمون وحددت لنفسها ست فئات للتحليل تتمثل في:

الموضوع المعالج.

مرات المشاهدة.

مدة المادة المنشورة.

الفترة المنقضية على نشر مادة التحليل.

مصدر مادة التحليل.

نوع المادة المنشورة.

نتائج الدراسة:

نستعرض فيما يلي النتائج التي توصلت إليها الدراسة مرفقة ببعض القراءات التحليلات:

أولاً بخصوص المواضيع المعالجة:

تنوعت المواضيع التي تدور حولها مادة التحليل وتعددت، فقد شملت المواضيع المعالجة واقع المرأة العربية وحقوقها (الإنسانية، السياسية وغيرها)، نمط عيشها، وركزت في مرات أخرى على إبراز جمالها ونشاطاتها الجموعية وأسأت لها في أحيان أخرى. وفيما نشرع في تناول المواضيع التي عالجتها مادة التحليل اعتباراً من لغة البحث كوننا وقفنا على اختلافات ملفتة انطلاقا من متغير لغة البحث الموظفة:

فبالنسبة للبحث باللغة العربية لاحظنا أن جل المواضيع المعالجة ذات بعد ايجابي في طرحها، بحيث انصبت تارة على التغني بالمرأة العربية (عبر ثلاث فيديو كليب)، وانصبت في غالبيتها على معالجة الانشغالات المختلفة المتعلقة بالمرأة العربية وتناولت في هذا الصدد "واقع المرأة العربية بعد الثورات"، "المرأة العربية بعد أحداث الربيع العربي"، "المرأة العربية وإحداث التغيير في المجتمع"، "حقوق المرأة العربية المهضومة"، "تقرير يرسم رؤية قائمة للمرأة العربية"، "تغريب المرأة العربية"، "هل تراجع حقوق المرأة العربية في العالم العربي"، "الدور السياسي للمرأة في العالم العربي".

والملاحظ أن مادة التحليل وإن تطرقت للعديد من الانشغالات ذات البعد السياسي في المقام الأول وتولت طرحها في شكل يسعى للدفاع عن هذه الانشغالات والمطالبة بالحقوق بشكل ايجابي إلا أن الصورة التي قدمت عن المرأة كانت تعكسها في ثوب "الضحية" المهضومة الحقوق و"الضعيفة" في مجتمع عربي "ذكوري"، وهو ما شكل عدة أحكام عن المرأة العربية قد تختلف الآراء حول مدى صحتها. وتدور هذه الأحكام في مجملها في كون المرأة العربية إمرة "مقهورة"، "مهضومة الحقوق"، "ضعيفة"، "مغلوبة على أمرها"، "مغربة في بلدها" وتعاني غلبة وهيمنة الرجل في جل المجالات الحياتية. وفي هذا الصدد ينبغي الإشارة إلى

الفروقات العديدة الموجودة بين الدول العربية التي جعلنا من المفروض نتحاشى التعميم واستخلاص الأحكام الجاهزة التي تقدم عن المرأة العربية.

ويبدو حسب تقديرنا أن هناك توجهها مبالغاً فيه ودعوات عديدة تنادي بتحرر المرأة انطلاقاً من نموذج وتوجهات غربية "غريبة" عن المجتمعات العربية، وهو ما يدعونا للتساؤل عن نموذج المرأة التي تحاول أن تقدمه هذه الفيديوهات. فتقودنا هذه الفيديوهات في النهاية إلى إشكالية مطروحة بحدّة في الوسط العربي وهذه الفيديوهات تعد -حسب تقديرنا- مرآة عاكسة لهذا الإشكال "الجوهري"، ويتعلق الأمر بالنقاش المتعلق بالمرأة ككيان اجتماعي وسياسي واقتصادي، فالعديد من التساؤلات بل والإشكالات تحوم حول المرأة (مكانتها، تميمين مكانتها، حقوقها وأدوارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية...). ويبدو أن تراجع النخبة العربية وتعاطف دور جملة من المؤثرات والمتغيرات على رأسها الإعلام والتكنولوجيا - اللذان باتت تأثيراتهما تطل كإفّة مناحي الحياة- أصبحت تقدم اليوم "امرأة نموذج" مغايرة تختلف عن "المرأة العربية النموذج" فيما مضى.

كما نجد أن أحد الفيديوهات يركز على تحدي المرأة العربية للقيود والمقاومة للأخذ بحقوقها، ويتعلق الأمر بفيديو يحمل عنوان "أقوى امرأة في المملكة العربية السعودية تقود سيارتها في وضوح النهار اليوم"، وهو ما يحيلنا إلى الجدل الإعلامي الذي عاشته المملكة العربية السعودية حول حق قيادة المرأة السعودية للسيارة من عدمه. ويبدو بالتالي أن "اليوتوب" أو الإعلام الجديد يمثل متفلساً أو على الأقل فضاءاً للتعبير وامتداداً للنقاش.

وبالإضافة إلى ذلك، أحصت الدراسة فيديوهات خاصة بمؤتمر رابطة المرأة العربية وفيديو ترويجي لبرامج قناة تلفزيونية متخصصة في شؤون المرأة، وفيديو واحد في شكل هزلي، وفيديو آخر خاص بمنتج صيني في "شكل بدلة جنسية تتمتع بنفس مواصفات المرأة"، وهو الفيديو الذي حاز على ثاني أعلى نسبة مشاهدة (103250 مرة).

وبالنسبة للبحث باللغة الانجليزية وقفنا على توجه غالب لمادة التحليل نحو مواضيع جمالية مع التركيز على إبراز جمال المرأة العربية (07 فيديوهات). وعلى ما يبدو فإن هذه الفيديوهات هي طريقة تود من خلالها المرأة العربية القول "إني موجودة" خصوصاً وأن الفيديوهات التي نصل إليها عند البحث باللغة الانجليزية (تسميتها بالانجليزية) مصدرها يحيلنا إلى أسماء عربية. وعليه يمكن اعتبار هذه الفيديوهات محاولة لتتمين الجمال العربي وشد الانتباه إليه ومحاولة أيضاً تسعى لإيصال فكرة محددة للآخر، خصوصاً في ظل "طغيان" الصورة التي تروجها وسائل الإعلام (أفلام، حصص وبرامج المرأة...) عن الجمال الأنثوي والمرأة الغربية.

كما ركزت فيديوهات أخرى على إبراز المرأة العربية وهي ترقص (04 فيديوهات)، وهي فيديوهات تسيء إلى حد كبير للمرأة العربية كونها تظهر نساء بمظاهر "فاضحة، مثيرة وجنسية" وغير أخلاقية، وتسعى لكسر طابوهات من باب أن "الممنوع مرغوب"، وهو ما يجسده مثلاً فيديو خاص برقص امرأة سعودية، الأمر الذي يمكن اعتباره إساءة مبطنة للمرأة السعودية والمرأة المسلمة ككل خصوصاً وأن دلالة المكان لها خصوصية ومغزى يريد الفيديو الإشارة إليها بشكل مباشر من خلال اسم الفيديو.

وعكس الفيديوهات الأربعة السابقة التي تسيء للمرأة العربية، نجد فيديوهات أخرى ركزت على إبراز معاناة ومشاكل المرأة العربية، كفيديو حول استغلال المرأة السورية في مخيمات اللاجئين واثنين آخرين سعياً لإسماح صيحات لنساء عربيات، فيما ركز آخر على الزواج بالغضب المفروض على النساء، وتساءل فيدو آخر عن أسباب حرمان المرأة العربية من التعبير عن رأيها وموقفها. وكلها فيديوهات تعكس صورة مفادها أن المرأة العربية تعاني ومقهورة لكن الاختلاف هذه المرة مقارنة بالبحث باللغة العربية يمكن في قلة التعميم، فالأحكام المطلقة تظل مرتبطة بالحالات المشاهدة وضمنياً يمكن أن نقف على بعض الأبعاد السياسية في بعضها خصوصاً الفيديو المتعلق بمعاناة واستغلال النساء السوريات في المخيمات والذي يبدو أنه يسعى في المقام الأول إلى حشد التأييد الدولي.

وأحد أكثر ما شد انتباهنا، هو فيديو حول "كيفية عيش المرأة في دبي"، وهو الفيديو الذي لقي أعلى نسبة مشاهدة بما يقارب 3.3 مليون مشاهدة، وهو فيديو تشرح فيه امرأة عربية إماراتية طريقة العيش في "دبي"، وتعكس صورة ايجابية إلى حد كبير. ومن الواضح بالتالي أن طريقة عيش المرأة العربية - سيما بدولة الإمارات العربية - حركت الفضول عند الكثيرين، خصوصاً في ظل الخصوصيات التي تنتم بها هذه الدولة، أهمها التمثيل الواسع لمختلف جنسيات العالم (200 جنسية مقيمة بالإمارات حسب إحصائيات 2013<sup>(18)</sup>)، وما يفوق هذا العدد من الجنسيات قصدت الإمارات من أجل السياحة أو العمل...).

أما بالنسبة للبحث باللغة الفرنسية، فنجد أن المواضيع أكثر تنوعاً مما سبق، بحيث شملت حرية وتحرير المرأة العربية (2 فيديو)، "مشاجرة لامرأة عربية مع امرأة سوداء"، نشاطات لـ"ليلي بن علي" بصفتها رئيسة منظمة المرأة العربية" (3 فيديوهات)، "المنتدى الخامس للمرأة العربية الجديدة" (3 فيديوهات)، "التمييز العنصري ضد امرأة عربية بفرنسا"، شعر للمرأة العربية، أغنية حول المرأة، "مؤتمر للمرأة العربية والإفريقية"، "المرأة العربية والسياسة"، خطبة إمام لنصح المرأة المسلمة وتوجيهها، نصائح خاصة بتناول الطعام عند الحمل. كما أطلعنا نتائج البحث على فيديو "جنسي" لا أخلاقي يسيء إلى امرأة قبائلية بالصوت والصورة وحتى في التسمية، وفيديو آخر خاص بالرقص العربي الذي يرمي للإثارة والإساءة.

ورغم بعض السلبيات التي تم الوقوف عليها في الفيديوهات الأخرى إلا أنه وقفنا على نوع من المبالغة وأحسنا بنوع من الصراع والتناقض أحياناً، فمن جهة نلاحظ أن بعض الفيديوهات التي وضعت من قبل مصادر ذات أسماء أجنبية تعكس المرأة العربية في قالب سيء (حالة الفيديو اللاأخلاقي) ومبالغ فيه عندما يتعلق الأمر بحرية المرأة التي تقدم على أنها تعيش الويلات، في حين يبرز فيديو آخر التمييز العنصري الذي تعرضت له امرأة عربية بفرنسا مع الإشارة إلى أن تسمية مصدر هذا الفيديو فرنسية وكان لسان حال المقارنة يقول بأن "البلد الذي يدعو للحرية لا يمارسها". كما اجتهد فيديو آخر في إبراز خوف "امرأة عربية تشاجرت مع امرأة سوداء" والتصنيف فيه تمييز على أساس العرق واللون ويدفع إلى التساؤل عن النية من وراء اسم الفيديو والفيديو في حد ذاته.



أما باقي الفيديوهات فهي في مجملها مقاطع لنشاطات جمعوية على غرار المنتدى الخامس للمرأة العربية والمؤتمر والتي لم تستوقفنا فيها نقاط مهمة تستدعي التحليل المعمق.

#### ثانيا - مرات المشاهدة:

بلغ إجمالي عدد مشاهدات مادة التحليل (عينة الفيديوهات) 11 مليون و813 ألف و711 مرة (11813711 مشاهدة) أي ما يقارب الـ12 مليون مشاهدة، وهو رقم يعكس العدد "الهائل" للمشاهدات الخاصة بعينة الدراسة، وهو رقم يعكس أيضا أهمية "اليوتيوب" والدور الذي يضطلع به في تقديم صورة عن المرأة العربية.

وقد تفاوتت مرات المشاهدة من فيديو لآخر وبفروقات إحصائية واسعة، ففي الوقت الذي لم تتجاوز مرات مشاهدة أحد الفيديوهات 73 مرة فقط وصلت مرات مشاهدة فيديو آخر إلى 3 مليون و282 ألف و568 مشاهدة (3282568 مرة) أي ما يمثل ضعف الفيديو الذي أحصينا أقل مرات مشاهدة له بما يقارب 45 ألف مرة (449666 مرة).

وبالتركيز على تقسيم عدد مرات المشاهدة حسب لغة البحث في "اليوتيوب"، فقد وقفت الدراسة على فروقات إحصائية معتبرة كون أكبر عدد مرات المشاهدة ارتبط بالبحث باللغة الانجليزية، فقد أحصينا ما يقارب 11 مليون مشاهدة (10944555 مشاهدة) مقابل ما يفوق بقليل نصف مليون مشاهدة (500108 مشاهدة) عند البحث باللغة العربية وما يفوق 350 ألف (369048 مرة) مشاهدة لعينة التحليل عند البحث باللغة الفرنسية.

وعليه نلاحظ أن مشاهدات مادة التحليل (عينة الفيديوهات) انطلقا من البحث باللغة الانجليزية تمثل نسبة 92.64 بالمائة من إجمالي المشاهدات، وهو ما يجعلنا نؤكد على الأهمية والدور الذي يضطلع به "اليوتيوب" في تقديم صورة عن المرأة العربية خصوصا وأن البحث باللغة الانجليزية في "اليوتيوب" يرتبط بأفراد يتحكمون بهذه اللغة. ورغم الإقرار بأن هناك عددا من العرب يتحكمون في هذه اللغة إلا أننا نعتبر في هذه الحالة أن الأمر يتعلق بصورة المرأة العربية عند الأجانب أو بالأحرى على الصعيد الخارجي، فمن الراجح أن تكون الغالبية الساحقة من الذين تعرضوا لهذه الفيديوهات التي نصل إليها انطلاقا من البحث بكلمات انجليزية هم من غير سكان المنطقة العربية لسببين؛

السبب الأول متعلق بمتغير اللغة كون اللغة المستعملة على نطاق واسع في المنطقة العربية هي اللغة العربية، والسبب الثاني مرتبط بمتغير المعرفة، فالفرد العربي يفترض أن لا يحركه هاجس البحث في "اليوتيوب" عن المرأة العربية كونه يعيش معها ويعرفها على الأحرى.

لكن في المقابل، نميل إلى اعتبار أن الأجنبي أو المغتربين أو أبناء المغتربين أو بعض الأشخاص الراغبين في زيارة المنطقة العربية أو إشباع فضول والوقوف على بعض الأفكار المسبقة التي وصلتهم بطريقة أو بأخرى، فهم الأفراد الذين يمكن أن نجد لديهم -حسب تقديرنا- الرغبة والمبادرة في البحث ومتغير اللغة يدعم إلى حد كبير هذا الطرح (أي البحث

بالانجليزية وقلة نسبة المشاهدة حول الموضوع عند البحث باللغة العربية والتي لم تتجاوز الـ04.23 بالمائة).

#### ثالثا - مصدر مادة التحليل:

وقفت الدراسة على تعدد مصادر نشر مادة التحليل (الفيديوهات) وتوزعها بين الهواة في المرتبة الأولى بنسبة 63.33 بالمائة ووسائل الإعلام في المرتبة الثانية بنسبة 30 بالمائة ثم المنظمات غير الحكومية في المرتبة ما قبل الأخيرة بنسبة لا تتجاوز الـ05 بالمائة وأخيرا مؤسسة خاصة واحدة هي مصدر مادة التحليل بما يوازي نسبة الـ01.66 بالمائة.

ومن الواضح بالتالي أن إسهام الهواة في النشر والإعلام الجديد تحديدا عبر "اليوتوب" محل الدراسة معتبر. ولكن ذلك لا يقلل من أهمية وسائل الإعلام وإسهامها في النشر عبر تطبيقات الإعلام الجديد. ويمكن الإشارة في هذا الصدد، وبالأخذ بعين الاعتبار اللغة الموظفة في البحث، أن نسبة 75 بالمائة من مادة التحليل المحصل عليها بعد البحث في "اليوتوب" باللغة العربية مصدرها هي وسائل الإعلام المعروفة: الجزيرة، العربية، سكاى نيوز، روتانا، قناة المرأة العربية، العربية DW، MBC، BBC Arabia، AIAan، ON TV. أما نسبة الـ25 بالمائة فهي عبارة عن إسهامات هواة.

وتوضح النسبتين السابقتين امتداد نشاط وسائل الإعلام "التقليدية" إلى ما يعرف بالإعلام "الجديد" وأيضا قلة إسهام الهواة، وهو ما يجعل من وسائل الإعلام "التقليدية" تواصل تقديم صورة المرأة في الإعلام الجديد بالشكل التي تعكسها في ما نتحفظ بتسميته بالإعلام "التقليدي".

أما فيما يخص البحث باللغة الفرنسية فنلاحظ أن 90 بالمائة من مادة التحليل مصدرها هواة مقابل 05 بالمائة من وسائل إعلامية و05 بالمائة مؤسسات خاصة (بغرض الإشهار)، وهو ما يبرز أن "المرأة العربية" موضع لاهتمام جماهيري أكثر من أن تكون موضع لاهتمام إعلامي بالإضافة إلى المشاركة الأكبر للأفراد في "اليوتوب"، وهو أمر لا يختلف عليه الأمر عند البحث باللغة الانجليزية كون 75 بالمائة من مادة التحليل مصدرها هواة و15 بالمائة مصدرها هي المنظمات غير الحكومية و10 بالمائة مصدرها وسائل الإعلام.

#### رابعا - نوع المادة المنشورة:

أحصت الدراسة 25 مادة إعلامية بما يوازي نسبة 41.66 بالمائة، وهي نسبة تؤكد وتبرز دور وسائل الإعلام ومنتجاتها الإعلامية بشكل مباشر وغير مباشر، بحيث عمد عدد من الهواة إلى نشر مضامين سبق نشرها عبر وسائل الإعلام "التقليدية". كما أحصت الدراسة 21 فيديو عبارة مقاطع مصورة من قبل الهواة أي ما يمثل نسبة 35 بالمائة من إجمالي عينة التحليل، وهو ما يبرز أيضا أهمية ما ترصده عدسات كاميرات الهواة في عكس صورة المرأة العربية. أما بالنسبة للفيديوهات المركبة (مونتاغ هواة) فبلغ عددها 08 بما يمثل نسبة 13.33 بالمائة،

وكذا 03 فيديوهات كليب (05 بالمائة)، إضافة إلى مادة ترفيحية واحدة، مادة اشهارية واحدة ومادة توعوية واحدة بما يمثل نسبة 01.66 بالمائة لكل مادة على حدة.

وبالتركيز على النسب حسب لغة البحث، فقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، لكن قبل استعراضها -وبغرض تجاوز أي لبس محتمل- نشير إلى أن نوعية المادة الإعلامية غير مرتبطة بالضرورة بمصدر المادة المنشورة، وهو السبب الذي أوجد تباينا في النسب بين النسب الخاصة بنوعية المادة المنشورة من جهة والنسب الخاصة بمصدر هذه المادة من جهة أخرى. وكمثال توضيحي، نشير إلى أن الهواة بإمكانهم تسجيل أو أخذ فيديو خاص بمؤسسة إعلامية معينة ونشره، ففي هذه الحالة المصدر ليس المؤسسة الإعلامية بل الهاوي الذي وضع الفيديو على "اليوتوب" كما أن المؤسسات الإعلامية لا تنشر بالضرورة مادة إعلامية، فقد تنشر مادة اعلانية أو غيرها، وهو الحال الذي صادفنا في هذه الدراسة فقناة "روتانا" (التي سبق ذكرها في فئة مصدر مادة التحليل) مثلا هي قناة غنائية وبالتالي تنشر بالدرجة الأولى "الفيديوكليات".

عموما، جاءت النتائج الخاصة بفئة نوع المادة المنشورة حسب اللغة الموظفة في البحث على النحو الآتي:

بالنسبة للبحث باللغة العربية: توصلت الدراسة إلى أن 70 بالمائة من مادة التحليل عبارة عن مادة إعلامية، 15 بالمائة كليب فيديو، 05 بالمائة مونتاج هاوي، 05 بالمائة مقطع فيديو هواة و05 بالمائة مادة ترفيحية.

بالنسبة للبحث باللغة الانجليزية: 40 بالمائة مقاطع فيديو للهواة، 30 بالمائة مونتاج هاوي، 25 بالمائة مادة إعلامية و05 بالمائة مادة توعوية.

بالنسبة للبحث باللغة الفرنسية: 60 بالمائة مقاطع فيديو للهواة، 30 بالمائة مادة إعلامية، 05 بالمائة مونتاج هاوي و05 بالمائة مادة اشهارية.

#### خامسا - مدة المادة المنشورة:

بلغ إجمالي وقت مادة التحليل تسع ساعات وستة وأربعون دقيقة وستة وثلاثون ثانية (9سا و46د و36ثا)، منها 5 ساعات و37 دقيقة و26 ثانية خاصة بالفيديوهات المحصل عليها عند البحث باللغة العربية، وساعتان (02) و14 دقيقة و32 ثانية خاصة بالفيديوهات المحصل عليها عند البحث باللغة الانجليزية و1 ساعة و54 دقيقة و38 ثانية خاصة بالفيديوهات المحصل عليها عند البحث باللغة الفرنسية.

ومن الواضح أن مادة التحليل العربية تحتل الصدارة من حيث مدة المادة المنشورة، والمادة الانجليزية تحتل المرتبة الثانية، فيما تحتل المادة الفرنسية المرتبة الأخيرة. ويعود ذلك أساسا إلى طول المواد الإعلامية العربية الخاصة بوسائل الإعلام التي فاقت في حالتين الـ51 دقيقة في المقابل لم تتجاوز أطول مادة عند البحث بالانجليزية الـ25 دقيقة ووصلت أطول مادة عند

البحث بالفرنسية إلى 47 دقيقة. وعلى ما يبدو فإن لطول المادة أثرا على نسب المشاهدة، فقصر مدة المواد المنشورة عند البحث باللغة الانجليزية كان لها أثرا في تقديرنا على العدد المهم من المشاهدات التي سبق الإشارة إليها. وفي هذا الصدد نشير إلى أن أعلى عدد مرات المشاهدة في اللغات الثلاث تراوحت فيها مدة الفيديو بين 3 و6 دقائق، فالنجاح بالتالي في استقطاب المشاهدات وتقديم صورة معينة عن المرأة العربية في الإعلام الجديد لا يرتبط بالساعات الطوال بل بدقائق معدودات.

سادسا بخصوص الفترة المنقضية على نشر مادة التحليل:

تفاوتت الفترة المنقضية على وضع الفيديوهات في "اليوتوب" بين شهر وست سنوات. وقد لاحظنا أن أغلب الفيديوهات الناتجة عن البحث باللغة الفرنسية لم تتجاوز فترة نشرها السنة. أما أغلب الفيديوهات الناتجة عن البحث باللغتين العربية والانجليزية فقد تجاوزت فترة نشرها السنة.

ولعل أهم ما تبرزه البيانات المتوصل إليها من قبل الدراسة هي الأهمية التي يمثلها "اليوتوب" كأرشيف للفيديوهات يمكن العودة إليها من جهة وتظل عرضة للمشاهدة من جهة أخرى. فبعد العودة للمقارنة وقفنا على تزايد عدد المشاهدات وعدم رصد تغير فيما يتعلق بالبحث باللغتين العربية والانجليزية سوى تغير الترتيب خلافا للبحث باللغة الفرنسية الذي أفرز عن تغيرات جد محسوسة وظهر فيديوهات جديدة في الواجهة الأولى للبحث قدرنا بعد تحليلها أنها تقدم صورة أكثر سلبية من الفيديوهات التي تم رصدها في المرة الأولى.

#### الخاتمة

رغم أنه من الصعب جدا الحديث عن صورة المرأة العربية في الواقع، نظرا لغياب واقع موضوعي محدد في العلوم الإنسانية والاجتماعية<sup>(19)</sup>، فيمكن الحديث عن نظرات إدراكية غير متشابهة<sup>(20)</sup>، إلا أنه من المعلوم أن مواقع الانترنت في نشرها للمواد لا تراعي ولا تعكس ما هو موجود في الواقع.

ومن المعروف أيضا، أن لوسائل الإعلام مجتمعة دورا مهما في تشكيل، ترسيخ وتغيير الصور لدى الأفراد وما لذلك من أثر على التصورات الفردية والجماعية، مع الإقرار بأن قضية التصورات الخاصة بالمرأة في وسائل الإعلام تمثل إشكالية نظرا لتعقدها<sup>(21)</sup>.

كما أنه من الصعب جدا، في ظل التطورات التكنولوجية والحياتية، الحديث عن إمكانية إعادة إرجاع الصورة إلى هيأتها الأولى، فصورة المرأة بين الواقع والمواقع ستظل حتما متفاوتة. لكن في المقابل، فإن العرب بإمكانهم جعل هذا التفاوت لصالح خدمة العرب والمرأة العربية، فالعرب والمرأة العربية عانيا كما أبرزته دراسات عدة من صور وأحكام تكاد تصبح لصيقة بهما، وبإمكانهما بالاعتماد على الإعلام الجديد تقديم صورة حقيقية عن ذاتهما ولما لا السعي لتقديم المرأة العربية في صورة جيدة والسعي لبلوغ هذه الصورة. فالتحد والرهان اليوم مرتبط بالصورة الخارجية التي يمكن أن يكون لها انعكاسات ايجابية مباشرة أو غير مباشرة على الحياة اليومية، فاستقطاب الاستثمارات والمعرفة والسياح... مثلا هي أمور ترتبط بالصورة التي يمتلكها الآخر عن العرب. كما أن الرهان والتحدي مرتبط في المقام الثاني بالصورة الداخلية أي تلك الصور التي تتشكل لدى العرب عن أنفسهم. ولعل ما توصلت إليه

الدراسة الحالية فيما يتعلق بالجمال العربي الذي تسوق له فتيات -كما يتضح من تسمياتهن- هو ردة فعل تجاه صور جاهزة لديهن. فقد وقفت الدراسة على أن العديد من الفيديوهات الخاصة بإبراز جمال المرأة العربية، تظهر صوراً لفتيات ونساء عربيات تزين على الطريقة الغربية، وهو ما يدفعنا إلى التساؤل عن صورة الجمال ومحدداته، ويقودنا إلى جوانب أخرى عدة مرتبطة بطريقة لباس المرأة العربية وسلوكياتها وغيرها من الجوانب الأخرى التي أثرت فيها وسائل الإعلام، مما جعل المرأة العربية وحتى الرجل يرسمان صوراً عن العربية أو العربي وغيرهم انطلاقاً من قيم وصور وأحكام يبدو أن لوسائل الإعلام الدور الأكبر في صناعتها، وخصوصاً مضامين الإعلام الأجنبية.

وعليه فإننا نعتقد أن الإعلام الجديد يتيح فرصاً وتحديات مهمة في تقديم صورة المرأة العربية التي تعدّ حسبنا العمود الفقري للمجتمع، وصورتها الداخلية والخارجية محورية في ترقية وتنمية المجتمع وتحقيق الرقي، فالصور الجاهزة التي تجعل من المرأة مثلاً أداة جنسية أو إستراتيجية للتسويق هي صور "هدامة" تؤثر على الأطفال والمراهقين والشباب بل وكافة شرائح المجتمع في مختلف جوانب الحياة.

وكما سبق ذكره في نتائج هذه الدراسة، فإن صوراً عدة تتشكل وتتغير، بعضها سلبي وبعضها إيجابي وبعضها الآخر حقيقي وواقعي... لكن الأهم من ذلك بالنسبة لنا هو الاستثمار في الإعلام الجديد ومختلف التطبيقات التي يتيحها والتفكير جيداً في كيفية توظيفه في خدمة الصالح العام العربي.

#### هوامش المادة العلمية:

- 1- UNESCO. Image, rôle et condition sociale de la femme dans les médias : Recueil et analyse des documents de recherche. Etudes et documents d'information. Publié par l'organisation des nations Unies pour l'éducation, la science et la culture. Paris. France. 1979. P11.
- 2 - Ibid. P16.
- 3 - Ibid. P7.
- 4 - <http://www.agoravox.fr/actualites/medias/article/de-l-image-des-femmes-dans-les-138936> Date de visite: 16/02/2014.
- 5 - <http://www.zerocliche.com/lima.html> Date de visite: 16/02/2014.
- 6- Pierre- Olivier Dupuy , Pascal Marchaud. Médias, stéréotypes et discrimination. Préjugés et stéréotype. Projet à l'initiative de AFPS. Disponible sur le net : <http://www.prejuges-stereotypes.net/espaceDocumentaire/DupuyMarchand.pdf>
- 7- عزي عبد الرحمان. فضاء الإعلام. ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون. الجزائر. 1994. ص.185.

8- ناجي نهر النهر. صورة المرأة في وسائل الإعلام العربية: دراسة تحليلية لتناول صورة المرأة في قناة MBC. رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال. كلية الآداب والتربية. الأكاديمية العربية المفتوحة. الدانمرك. 2008.

<sup>9</sup> - <http://fr.wikipedia.org/wiki/YouTube> Date de visite: 16/02/2014.

<sup>10</sup>- <http://www.ledevoir.com/societe/medias/354726/youtube-de-plus-en-plus-un-media-d-information-selon-une-etude> Date de visite: 16/02/2014.

<sup>11</sup> - [http://www.journaldunet.com/ebusiness/le-net/etude-pew-youtube-actualite-0712\\_shtml](http://www.journaldunet.com/ebusiness/le-net/etude-pew-youtube-actualite-0712_shtml). Date de visite: 16/02/2014.

<sup>12</sup>-<http://www.clubic.com/television-tv/video-streaming/youtube/actualite-501828-etude-youtube-plateforme-privilegiee-informer-video.html> Date de visite: 16/02/2014.

<sup>13</sup> - Sylvain Dejean et autres. Un étude sur les pratiques de consommation de vidéos sur internet. Marsouin (Mole Armoricaïn de recherche sur la société de l'information et les usages d'internet). 2008. Pp : 3-4. Disponible sur le net : <http://www.marsouin.org/IMG/pdf/etudeusagep2p.pdf>

<sup>14</sup>- Qualification et quantification des contenus –Youtube- . Département recherche, études et veille (DREV). Haute autorité pour la diffusion d'œuvres et la protection des droits sur Internet (HATOPI). P8. Disponible sur le net : <http://hadopi.fr/sites/default/files/page/pdf/DREV-20130319-YouTube%20Resultats.pdf>

<sup>15</sup> - Ibid. meme page.

16- عثمان حسن عثمان. المنهجية في كتابة البحوث والرسائل الجامعية. منشورات الشهاب. 1988.

17 - سمير محمد حسين. دراسات في مناهج البحث العلمي: بحوث الإعلام. ط2. عالم الكتاب. القاهرة. مصر. 1995. ص ص:232-233.

<sup>18</sup> - The national council of Tourism and antiquities, Arabic Arab Emirates. Languages, population and religion. In Official website: <http://www.uaetourism.ae/web/guest/languages-population-religion;jsessionid=6E4DA4D4D3B110836F767E4AB249E501> 28-02-2015.

<sup>19</sup> - Alex Muchielli. La nouvelle communication. Armand Colin. Paris. France. 2000. P42.

<sup>20</sup> - Ibid. P44.

<sup>21</sup> - Christine Chan-Meetoo. La représentation de la femme dans les médias. De la discrimination subtile aux stéréotypes flagrants. Disponible sur le net : <http://comstudies.files.wordpress.com/2010/01/christinameetoo.pdf>

### قائمة المراجع:

- سمير محمد حسين. دراسات في مناهج البحث العلمي: بحوث الإعلام. ط2. عالم الكتاب. القاهرة. مصر. 1995.
- عثمان حسن عثمان. المنهجية في كتابة البحوث والرسائل الجامعية. منشورات الشهاب. 1988.
- عزي عبد الرحمان. فضاء الإعلام. ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون. الجزائر. 1994.
- ناجي نهر النهر. صورة المرأة في وسائل الإعلام العربية: دراسة تحليلية لتناول صورة المرأة في قناة MBC. رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال. إشراف: حسن السوداني ولطفي حاتم. كلية الآداب والتربية. الأكاديمية العربية المفتوحة. الدنمرك. 2008.
- Alex Muchielli. La nouvelle communication. Armand Colin. Paris. France. 2000.
- Christine Chan-Meetoo. La représentation de la femme dans les médias. De la discrimination subtile aux stéréotypes flagrants. Disponible sur le net : <http://comstudies.files.wordpress.com/2010/01/christinameetoo.pdf>
- <http://www.agoravox.fr/actualites/medias/article/de-l-image-des-femmes-dans-les-138936> Date de visite: 16/02/2014.
- <http://www.zerocliche.com/lima.html> Date de visite: 16/02/2014.
- <http://fr.wikipedia.org/wiki/YouTube> Date de visite: 16/02/2014.
- <http://www.ledevoir.com/societe/medias/354726/youtube-de-plus-en-plus-un-media-d-information-selon-une-etude> Date de visite: 16/02/2014.
- <http://www.journaldunet.com/ebusiness/le-net/etude-pew-youtube-actualite-0712.shtml>. Date de visite: 16/02/2014.
- <http://www.clubic.com/television-tv/video-streaming/youtube/actualite-501828-etude-youtube-plateforme-privilegiee-informer-video.html> Date de visite: 16/02/2014.
- Qualification et quantification des contenus –Youtube- . Département recherche, études et veille (DREV). Haute autorité pour la diffusion d'œuvres et la protection des droits sur Internet (HATOPI). P8. Disponible sur le net : <http://hadopi.fr/sites/default/files/page/pdf/DREV-20130319-YouTube%20Resultats.pdf>
- Pierre- Olivier Dupuy , Pascal Marchaud. Médias, stéréotypes et discrimination. Préjugés et stéréotype. Projet à l'initiative de AFPS. Disponible sur le net :

<http://www.prejudes->

[stereotypes.net/espaceDocumentaire/DupuyMarchand.pdf](http://www.prejudes.net/espaceDocumentaire/DupuyMarchand.pdf)

- Sylvain Dejean et autres. Un étude sur les pratiques de consommation de vidéos sur internet. Marsouin (Mole Armoricaïn de recherche sur la société de l'information et les usages d'internet). 2008. Pp : 3-4. Disponible sur le net :

<http://www.marsouin.org/IMG/pdf/etudeusagep2p.pdf>

- The national council of Tourism and antiquities, Arabic Arab Emirates. Languages, population and religion. In Official website:

[http://www.uaetourism.ae/web/guest/languages-population-](http://www.uaetourism.ae/web/guest/languages-population-religion;jsessionid=6E4DA4D4D3B110836F767E4AB249E501)

[religion;jsessionid=6E4DA4D4D3B110836F767E4AB249E501](http://www.uaetourism.ae/web/guest/languages-population-religion;jsessionid=6E4DA4D4D3B110836F767E4AB249E501) 28- 02-2015.

- UNESCO. Image, rôle et condition sociale de la femme dans les médias : Recueil et analyse des documents de recherche. Etudes et documents d'information. Publié par l'organisation des nations Unies pour l'éducation.



## التحضر: دراسة لبعض المشكلات النظرية والمنهجية المتعلقة به

### ملخص

إذا كان مفهوم التحضر عبارة عن انتقال مكان الإقامة من الريف إلى المدينة وما يترتب عنه من تغير في الخصائص الاجتماعية من عادات اجتماعيه وثقافية بالمجتمعات المتقدمة، فإن نفس هذه الظاهرة رغم أنها تحدث نتيجة هذا الحراك الجغرافي للسكان نحو المدن بالدول النامية، إلا أنها لا تنطوي بالضرورة على نفس الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي ترافق عملية الانتقال لهؤلاء السكان مما يؤثر بالتالي على المعنى الاصطلاحي أحيانا لمُدلول هذه العبارة في بعدها الاجتماعي و غير الاجتماعي.

لذا تأتي محاولتنا هذه لتوضيح ماهية هذه الظاهرة من حيث الاصطلاح وتحديد كعملية ولو نسبيًا، سعيًا منّا للتعرف على طبيعتها وبعض جوانب اللبس الذي يواجهنا كدارسين لهذه الظاهرة، سواء بالمجتمعات المتقدمة أو بمجتمعاتنا النامية التي تعيش عصر العولمة والانفتاح بأشكاله الاقتصادية التكنولوجية والثقافية.

### أ. فتيحة هارون

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
جامعة سطيف 2  
الجزائر

### مقدمة

**إن** تحديد المفاهيم العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية تعد عملية من العمليات الصعبة التي تواجه الباحث عند مناقشته بعض موضوعات هذا العلم بل تكاد تكون إحدى الخصائص اللصيقة بهذا العلم الاجتماعي بما في ذلك العلم الذي يندرج في إطاره طرح هذا الموضوع الذي نحن بصدد مناقشته من خلال هذه المقالة، وهو "السوسيولوجيا الحضرية"، لكونها العلم الذي يختص بدراسة الظاهرة الحضرية وكل ما يرتبط بالحياة الحضرية من مشكلات، فكلمة "حضر أو حضري ذاتها رغم أنها تشكل مادة أولية في بناء هذا العلم ونظرياته؛ إلا أنها كثيرًا ما تستخدم في مواقف شديدة

### Résumé

Si le concept de l'urbanisation désigne l'exode rural qui s'accompagne avec les changements qui touchent différents aspects socio-économiques et culturels, il s'apparente à celui des sociétés développées.

Notre travail met en exergue l'essence du phénomène du point de vue terminologique et en tant que processus social.

Nous tenterons de dépister sa nature et lever les ambiguïtés auxquelles nous faisons face qu'il s'agisse de sociétés développées ou en voie de développement. Ces dernières, qui vivent l'ère de la globalisation mondiale et connaissent une large ouverture économique, technologique et culturelle.

Nous tenterons de dépister sa nature et lever les ambiguïtés auxquelles nous faisons face qu'il s'agisse de sociétés développées ou en voie de développement, cette dernière qui assistent l'ère de la globalisation mondiale et vie une large ouverture économiques technologiques et culturelles .

التنوع وما يزال يحيط بها الغموض في استخداماتها اللغوية والاصطلاحية أحيانا وذلك بسبب حداثة تناولها العلمي لاسيما بمجتمعاتنا من جهة، و تعدد دلالاتها بتعدد العلماء والنظريات، والمذاهب التي اتجهت اتجاهات أحيانا كثيرة متعارضة في تحديد

ماهيتها، وكذا الحقائق الاجتماعية المرتبطة بها، مما حال ولا يزال يحول دون التوصل إلى تعميمات حولها كظاهرة اجتماعية من جهة، كما حال دون استناد هذا العلم الاجتماعي الحضري إلى موقف نظري موحد يجمع عليه كافة المشتغلين به من جهة أخرى.

لذلك سوف نلتزم هنا بوضع تعريف محدد للظاهرة من خلال مناقشته طوال هذا العمل وذلك في إطار هذا النسق المعرفي باعتباره ضرورة منهجية تقتضيها نسبة التحضر "كمفهوم" و"كعملية اجتماعية" من خلال الإشارة للخبرات التاريخية التي خبرتها المجتمعات الإنسانية في عملية مرورها ومعايشتها لهذه الظاهرة بين مجتمعات متقدمة وأخرى نامية؛ هذه الأخيرة التي تعيش في مرحلتها الراهنة تحولات اجتماعية، واقتصادية وسياسية واسعة، سواء أكان ذلك على الصعيد المحلي، أم العربي أم الدولي بشكل لم تشهده في تاريخها الطويل. ولعل أبرز هذه التحولات وأكثرها تعقيدا تلك التي تتمثل في انتقالها من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية، خاصة في ظل تعاظم درجة التحضر ونمو المدن بها بشكل لا نظير له. وبالنظر لما تطرحه هذه العملية من مشكلات وانفجار حضري خاصة في ظل العولمة.

إذ أصبحت المدن العربية تضيق بساكنيها، نتيجة لزيادتهم الديموغرافية المضطربة والناجمة عن ارتفاع تيارات الهجرة الريفية الحضرية نحوها وباضطراد معدلات نموها الطبيعي. الأمر الذي أدى ولا يزال يؤدي إلى تدني مستويات الخدمات الإرتكازية والخدمة العامة بها، وتفاقم الجماعات الهامشية التي تعيش درجات مخيفة من الفقر وما أسفرت وتسفر عنه من تطور للحركات الاجتماعية بفعل ما يعرف "بالربيع العربي" ، إن صح لنا تسميته كذلك، هذا الأخير الذي أحدث اضطرابا عميقا بالكثير من هذه المجتمعات بفعل تكتلات الفئات العمالية والمهنية، وغير المهنية (البطالة)، المطالبة بحقوقها الاجتماعية والسياسية، لدرجة جعلت الأوضاع القائمة بهذه المجتمعات يبدو كل شيء فيها في حالة تعثر، أو يعيش أزمة حقيقية لم تعرفها عبر التاريخ لتراجع الاقتصاديات الحضرية المحلية بهذه البلدان وما ترتب عنها من آثار.

وعلى ذلك تبدو أهمية معالجة هذه الظاهرة والاهتمام العلمي بهذه المجتمعات، بدءا من تحديد المفاهيم الأولية التي تقوم عليها ظاهرة التحضر "كعملية اجتماعية بها . كخطوة لفهم ودراسة التغير الذي تعرفه هذه المجتمعات. إلا أن التطرق في هذه الورقة

إلى تحديد المقصود بمصطلح التحضر وما يرادفه من مصطلحات، ويجعلنا نقر منذ البداية بمدى اشتراكه مع غيره من المفاهيم والمصطلحات كمصطلح الحضرية والنمو الحضري وعمليات الانتشار الثقافي وغيرها من المصطلحات التي تقوم عليها النظرية السوسيولوجية الحضرية. وهو ما يؤكد "سجوبرج" حينما يقول (1) إن من بين العقبات الأساسية التي تواجهها في الصياغة النظرية لعلم الاجتماع الحضري هو غموض بعض المفاهيم الأساسية وعدم تحديدها بصورة كافية. ومن بين هذه المفاهيم التي تستند إليها النظرية، والتي لها أهمية كبيرة في الدراسة المتعلقة بنشأة المدن ونموها والظواهر الحضرية التي تواجه المدن المعاصرة بشكل يقتضي مزيدا من البحث والدراسة هو "مفهوم التحضر".

ولتوضيح ذلك نورد بعض التعريفات على سبيل المثال وليس الحصر لتبين بعض هذا التداخل في المعنى، وعدم التحديد الاصطلاحي للمصطلح، بدءا من التحديد اللغوي حيث يظهر هذا التداخل لي طرح كإشكال مفاهيمي "مدلول التحضر، وان كنا في الحقيقة لا نركز على المدلول اللغوي، بقدر ما نود أن نؤكد التركيز هنا على المعنى الاصطلاحي الذي يعالجه علم الاجتماع الحضري كفرع متخصص من فروع علم الاجتماع. وكذا تحديد العمليات الأساسية المصاحبة للتحضر وتلخيص أبعادها مع تقديم مقترح منهجي لبحثها كظاهرة.

#### أولا : التحديد المفاهيمي للتحضر والمصطلحات المرتبطة به:

يعرف التحضر نظريا "بأنة عبارة عن ذلك المؤشر الدال عن القفزة النوعية التي يحققها المجتمع في حياته و مستوى معيشتة. إذ هو في نظر بعض الحتميين القدامى: يعني الانتقال من مستوى معيشي يكتفي فيه الفرد بضروريات الحياة، إلى مستوى معيشي آخر يتطلع فيه إلى الكماليات بتعبير "إبن خلدون" والانتقال من مجتمع بسيط متجانس بتعبير "سبنسر"، إلى مجتمع أحر أكثر تعقيدا أو تباينا، أو الانتقال من المجتمع ذي التضامن الآلي، إلى المجتمع ذي التضامن العضوي بمفهوم "إميل دوركايم". بمعنى أنه مؤشر دال على التغير الاجتماعي الإيجابي الذي ينتاب المجتمع بعدد جوانبه. (2)

وإذا كانت هذه التعاريف البسيطة و المختصرة جدا والمقدمة أعلاه تنطبق أكثر على حالة المجتمعات الصناعية المتقدمة، فإنها لا تنطبق إلى حد كبير على الكثير من المجتمعات التابعة للعالم النامي التي تعيش حالة غير طبيعية من تحضرها الحديث رغم كونه أي "التحضر" يعد في الحقيقة ظاهرة تاريخية بهذه المجتمعات. إلا انه في الواقع الجزائري والمغربي وغيره من البلدان التبعية العربية لم يأت نتيجة لثورتها الصناعية أو السياسية أو الثقافية، كتلك التي خبرتها الدول المتقدمة، بل جاء نتيجة لعوامل تاريخية ارتبطت بالأساس بالظاهرة الاستعمارية التي خضعت لها هذه البلدان بما فيه الجزائر، وما ترتب عنها من تفكيك للبنيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التقليدية بهذه المجتمعات، مما ساهم في ارتفاع معدلات الهجرة

الريفية نحو المدن بها ، وزيادة نموها الديموغرافي. وهو ما يجعل هذا البعد التاريخي مهم في حد ذاته لفهم واقع الظاهرة الحضرية بهذه المجتمعات، خاصة في إطار ما يعرف بالعلاقة الجدلية التي تربط الريف بالمدينة بهذه المجتمعات. وهو ما اكسب هذه الظاهرة خصائص ميزتها عن غيرها من المجتمعات المتقدمة، والتي يمكن تلمس بعض ملامحها كظاهرة من خلال مناقشة بعض التعريفات الملخصة لهذه الظاهرة من خلال هذه المقالة.

إذ يعرف التحضر " في موسوعة العلوم الإجتماعية: "بأنه هو العملية التي بمقتضاها تحتشد نسبة كبيرة من سكان إحدى المجتمعات في المدن وهي عملية قد ترتبط أو لا ترتبط بالتصنيع. (3)

- وبذلك يتم الإشارة في هذا التعريف للتحضر بالتركيز على العنصر الديموغرافي كأساس لتعريف هذه العملية من خلال الإشارة الى حجم السكان ومنه التأكيد بذلك على المدلول أو التصور الديموغرافي بشكل واضح.

- التأكيد على عدم وجود ارتباطات قائمة بين هذه العملية وعمليات التصنيع، رغم أنها عمليات شهدتها بشكل مكثف المجتمعات الغربية، حيث جاءت عمليات التحضر بها، كنتيجة حتمية لها، مقارنة بالمجتمعات النامية، والتي في الغالب من الأحيان أدت هذه العمليات إلى تضخمها، بدلا من تحضرها.

- الملاحظ من جهة ثانية أن هذا التعريف للتحضر تضمن تعريفا للمدن مستقلا عن عملية التحضر. إذ عندما ترتفع نسبة السكان القادمين من مناطق متباعدة للإقامة في المدينة، فإن التحضر يحدث بهذه الحالة كنتيجة لذلك. لكن هذا التعريف يحصر بذلك نطاق التحضر في عملية جد محدودة تتمثل في (التركز السكاني).

وفي إطار نفس هذا التصور يعرف التحضر: بأنه يتمثل في "جملة القوى والعوامل التي تؤدي إلى نمو وتوسع المدن، نتيجة تغير التوزيع السكاني الناجم عن الهجرة الواسعة من الأقاليم ذات الإمكانيات الضعيفة إلى المراكز الجاذبة. (4)

- إن هذا التعريف جاء تركيزه على عملية التحضر ذاتها، وليس على ما يترتب عليها من آثار جانبية وظروف تبعية ؛ أي تأكيد الجانب الديناميكي للعملية فقط ، دون الأخذ في الاعتبار الجانب الاجتماعي، والسلوكي (الكيفي ) لها. والذي نتصور أنه يشكل جانبا لا يقل أهمية في نتائجه وآثاره عن الجانب الأول الديموغرافي (الكمي).

- كما نسجل أن التحضر وفقا لهذا التعريف يتم أو قد تتم عن طريق الخروج الريفي والزيادة الطبيعية لسكان الحضر المقيمين. أي أنها تتم إما بزيادة عدد أماكن التجمع السكاني (بعملية الضم السكاني)، أو بنمو حجم التجمعات السكانية – الزيادة الطبيعية نفسها للسكان أو بالطريقتين معا.

- ناهيك عما أكتنف التعريف الثاني من غموض بفعل إشارته للقوى و العوامل التي تساهم في عملية النمو السكاني دون تحديد لطبيعتها نصياً، مما يسمح بعدد التاويلات حولها.

أما من وجهة النظر الاقتصادية فيعرف التحضر: " بأنه يعني حركة انتقال و تحول إلى تنظيمات اقتصادية أكثر تعقيداً، أي الانتقال من حالة تقوم فيها الحياة على أساس العمل والإنتاج الأولي كالزراعة و الصيد أو غيرها من الأنشطة الأولية، إلى حالة تقوم فيها الحياة على أساس العمل الصناعي والإداري والخدماتي والتجاري .

- مما يعكس الارتباط القائم بين التحضر والتصنيع لاسيما بالمجتمعات الغربية الصناعية دون المجتمعات النامية. وهو عكس ما جاء في التعريف السابق ؛ باعتبار الصناعة- في حد ذاتها مثلما تؤكد النظرية الخلدونية، وغير الخلدونية - من "أنصار المدرسة الأمريكية" جراس" خاصة Norman Scott Brien Gras تعد ظاهرة حضرية (5). ووفقاً للتعريف المقدم إذا نلاحظ من جهة أخرى، ارتباط كلا المفهومين (التحضر والنمو الحضري) بحركة الانتقال وتحول هذه التنظيمات إلى نوع أكثر تعقيداً.

- غير أن هذا التعريف يمكننا من طرح التساؤل التالي: هل أن مجرد انتقال الناس من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، ومن العمل بالأرض وغيرها من الحرف المرتبطة بها، إلى أنماط الأعمال والمهن الحضرية من إدارية وتجارية وصناعية وحكومية يجعله حضرياً؟

والإجابة تكون بالإيجاب مرة أخرى بالنسبة للمجتمعات المتقدمة الغربية، بحكم أن تحضرها الاجتماعي جاء كنتيجة حتمية لعملية نموها الاقتصادي وثورتها الاجتماعية التنظيمية، وكذا الاتصالية؛ بل إن تطورها التنظيمي الحالي تعدى مستواها المحلي إلى المستوى الإقليمي والعالمي، حيث أخذت هذه المجتمعات طريقها نحو ميلاد جديد، مما يشير إلى حجم التغير الذي بلغته هذه المجتمعات.

في الوقت الذي أصبحت فيه مدننا تعيش الأزمة إن في بنيتها الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية، ذلك أن التحضر بها لم يرتبط بالتصنيع وبتعقيداته التنظيمية بنفس الدرجة، والمستوى يمثل هذه التحولات المذكورة. وعلى ذلك فالإجابة تكون بالسلب. وبذلك لم يتضمن التحضر ذلك الارتباط القائم بين العمل الصناعي كأساس، وعملية التحضر رغم أن هذا الأساس (الاقتصادي) يمكن الاعتماد عليه في تحديد الجوانب الأساسية المرتبطة بعملية التحضر، بل يعد هذا الأساس من المحكّات الهامة في دراسة الفروق الريفية- الحضرية، حيث يساهم في كثير من الأحيان في تعميق الفهم السوسبيولوجي للظاهرة، لكونه يتضمن إلى جانب التغيرات الديموغرافية (الكمية) ، جوانب أخرى تساعد على التحضر، إلا أنها لا تجعل من الإنسان المتنقل إلى المدينة

"حضريا" بالضرورة، مما يفرض وجود مجموعة من التغيرات الأخرى المرتبطة بالجانب السلوكي والتفكير والقيم الاجتماعية وفي الاتجاهات عموما.

- وبناء عليه يمكن القول أن "التحضر" يعني التركيز السكاني الذي ينبع في الأصل من قرار الأفراد أو الجماعات السكانية في الانتقال من منطقة ريفية إلى منطقة حضرية، أو بفعل عوامل قاهرة، وما يمكن أن يترتب عن ذلك من تغيرات في نظمها الاقتصادية والاجتماعية عموما. وهي التغيرات التي تعرف "بأنها كيفية"، مما يؤكد وجود اتجاه آخر في دراسة التحضر وهو الاتجاه السلوكي أو التنظيمي مثلما يتجه البعض لتسميته.

- إذ وفقا لهذا التصور يرى بعض علماء الاجتماع ان التحضر يتضمن حدوث تغيرات في القيم التي يؤمن بها الأفراد، كما يتضمن تغيرات في اتجاهات الناس نحو العمل (نوعية النشاط) أو الحرفة، وليست تحولات من عمل لآخر كما يبين ذلك "إدريس فالح نايف عزام" (6)، أو تغيرات في العمل نفسه.

وهو ما قد يتوفر لريفين لم يغادروا أراضيهم الزراعية، رغم أن التغير في المهنة يعتبر هو الآخر تغيرا كفيما في تحليل كل من "سوروكين و زممرمان" اللذين يؤكدان أن تغيير المهنة، يعتبر متغيرا رئيسيا يمكن أن يترتب عليه سلسلة من التغيرات الكمية الأخرى كما أوضحه "محمد عاطف غيث" في إحدى مؤلفاته وغيره من الباحثين الذين اهتموا بدراسة التحضر. (7)

- وعلى هذا الأساس فالتعريف يكمن في كونه تناول التحضر كعملية ذات اتجاه واحد، يتمثل في الانتقال إلى المدينة. في الوقت الذي لا يشترط فيه بعض الباحثين العيش في المدينة، أو الإقامة فيها كأساس للتحضر. وبالتالي الإشارة إلى الدور الذي تلعبه وسائل الاتصال في نشر الثقافة الحضرية إلى جوانب الريف. وهو ما يذهب إليه "ويرث" وفريدمان. (8)

إذ بالإمكان أن يتحضر الإنسان أو أن يتصرف بأسلوب حضري رغم إقامته بالريف، مما يعني أن التحضر يعني أيضا انتقال ملامح الحياة الحضرية، والأنماط الثقافية الحضرية وانتشارها من المدينة نحو القرية، كما يؤكد "عيد المنعم نور" الذي يرى أن التحضر يمكن أن يتم بأسلوبين، الأول وهو الذي تمت الإشارة إليه. أما الأسلوب الثاني، وهو الذي يتم عن طريق انتقال أو غزو الأساليب الحضرية الريف و قراه، بأي صورة من الصور التي ينتج عنها امتصاص لقيم و أنماط الحضرة -

مع تأكده أن التغير في الاتجاهين يسير في عصرنا الحالي بسرعة فائقة تفوق أي عصر من العصور التي مرت بها البشرية (9). وهو ما قد لا يتفق حوله الكثير من

الباحثين. مما يبرز أهمية كبيرة للتغير في الاتجاهات، أكثر منه التغير في الواقع (المهني) للأفراد المتحضرين.

رغم أن المحك المهني يعدّ بحدّ ذاته جانبا رئيسيا في عملية التحضر، ومحددا من المحددات الخاصة بعملية التحضر. مما يكشف عن بعض الغموض في تحديد أو التمييز بين السبب والنتيجة، حيث تعتبر المدينة مصدر التحضر.

ومن هنا نلاحظ أن مفهوم التحضر قد ارتبط بمعاني كثيرة و متعددة حيث يوجد خلط بين التحضر وبعض التعريفات المرتبطة به كالنمو الحضري والحضرية والانتشار الثقافي مثلما تقدم.

ففي التلخيص الذي قدمه لوجلي صالح الزوي " في مؤلفه " علم الاجتماع الحضري " - تعرف الحضرية "بالمدينة"- أين تمّ تعريفها بأنها: " تشير إلى طريقة الحياة المميزة لأهل المدن الذين يتبعون عادة أسلوبا معيناً في حياتهم. " لكننا عند قراءة هذا التعريف لا نعثر على ما يمكننا من تحديد طبيعة هذه الحياة أو الأسلوب المعين للحياة نصياً، أي في إطار هذا التحديد الاصطلاحي للمفهوم فهو يعرف المدنية -la civilisation- " بأنها عكس مفهوم البدائية تماما. وهي كذلك عكس القبلية والهمجية، والوحشية. وهي مرحلة من مراحل التطور الإنساني بعد أن يحرز هذا الأخير تطورا أو تقدما في مختلف ميادين الحياة والعلاقات و النظم الاجتماعية والرقي العلمي، والأدبي و الفني، الذي ينتقل من جيل إلى جيل في المجتمع. (10)

- وبذلك يكون هذا التعريف عبارة عن حصر شامل لسّمات الحضرية و التحضر بدلا من أن يتسم بالتحديد بالوضوح.- فالحضرية تعني أسلوبا أو نمطا للحياة بينما التحضر " urbanisation " يعني التركيز السكاني. وأن الاختلاف بينهما كبير، لأن الأسلوب أو النمط أمر يتعلق بالسلوك اليومي. وهو ما لم يشر إليه التعريف السابق بوضوح.

كما أن الغموض الذي اكتنف عملية التحديد جاء نتيجة لاستخدامه مصطلحات عديدة يشار من خلالها على أنها عكسية، تكون مرادفة لمصطلح التحضر والحضرية. في الوقت الذي نجد أن لكل منها معاني محددة؛ مما يؤكد ما ذهب إليه "كلايد مينشل" في أن هذه المصطلحات غالبا ما تستخدم الواحد منها بدل الآخر (11). ويرجع بعضهم هذا الخلط إلى عمليات التحليل والتفسير التي يذهب إليهما بعضهم عند معالجة هذه الظاهرة. فمدلول " المدنية" في المعجم الوسيط تعني: الحضارة واتساع العمران، وهو مصطلح يصف أكثر الجانب المادي لأي حضارة من الحضارات . ونقول "مجتمع مدني" وهو مصطلح له مدلولاته التي لها علاقة بالموطن والمجتمع و الدولة. (12)

ووفق تحديد "Sanders" فالتحضر ظاهرة تدعو الناس إلى ترك الأرياف والتوجه للمدن وتكوين علاقات جديدة تسمح لهم باحتلال مراكز جديدة؛ بينما يرى من جهة أخرى أن للتحضر مصطلحه الآخر "urbanisme" أي الحضريّة، وتعني بقاء الناس في قراهم وأخذهم بأساليب المدينة والتحضر بتقبلهم للنسق القيمي الحضري الذي يؤثر في نظرتهم نحو تدرجات المكانة لديهم، مما يساهم في التخلي عن أدوارهم التقليدية وممارسة أدوار جديدة. (12)

- ونستنتج بذلك أن هذا التعريف إذ استخدم مصطلح التحضر كمرادف من جهة لمصطلح النمو الحضري .

- كما نلمح وجود تداخل بين مفهوم الحضريّة، و بين الانتشار الثقافي للثقافة الحضريّة من المدينة نحو الريف أو البادية؛ باعتبار أن عملية النمو الحضري تختلف عن التحضر في كون أنها نتيجة مادية له، تنعكس على المدينة بحدودها الطبيعية. وهو توجه "يتوافق مع ما يذهب إليه كلا من"روبرت وولف،" و"فريدمان" في تصور الحضريّة كعملية لانتشار الخصائص الحضريّة خارج حدود المدن. (13)

- إلا أن الحضريّة ليست وجهاً آخر من وجوه التحضر حسب ما جاء في تحليل "ساندرز"، بل الحضريّة هي نتيجة كيفية له، إن لم تكن هي كذلك. (14)

فالتصور هذا، يجعل المدينة سبباً للتحضر بدلاً من اعتبارها نتيجة له. كما انه لا يفسر في نظر العديد من المتخصصين السوسولوجيين نشأة المدن وتطورها.

ووفقاً لتأكيدات الباحثين بما فيهم "جرالد بريز، فإن التحضر يعد عبارة عن عملية التحول إلى حضر، بالانتقال إلى المدن، والتحول من الزراعة إلى غيرها من المهن الشائعة في المدن وما يرتبط بذلك من تغيير في الأنماط السلوكية. (15)

وهو الاتجاه الذي يؤكد " Petermann " ، حيث يعرف ظاهرة التحضر: " بأنها عملية اجتماعية يقوم الفرد خلالها بالهجرة من الريف إلى المدينة والتكيف والتطبع بأخلاق وعادات وسلوكيات أبناء المدن، وتقبل أسلوب الحياة وأنماط العلاقات الاجتماعية الموجودة بها، وكذا الخضوع للقوانين وأنظمة مؤسساتها وتشكيلاتها الاجتماعية. (16)

وبذلك يشير كلّ منهما إلى أن التحضر يعد عملية تغيير كمّي، وكيفي في آن واحد. كما أنه يؤدي إلى تغييرات أو تحولات كبيرة في خصائص وسمات، ووظائف المجتمعات المحلية الحضريّة، دون أن يتم شرح الكيفية التي تتم بها كعملية.

وبناء على ما سبق يمكننا أن نقدم الملاحظات العامة حول التعريفات المطروحة، إذ ندون مجموعة من العناصر التي اشتركت فيها هذه الأخيرة وهي كالآتي:



### تلخيص عام لبعض الملاحظات حول المفاهيم المقدمة:

**أولاً:** كل تعريف من هذه التعريفات تناولت بالتحديد جانباً من جوانب الظاهرة مما يثير صعوبة معينة في التوصل إلى التعرّف على الظاهرة بمختلف جوانبها وفي شموليتها.

**ثانياً:** تعريفات عالجت عملية التحضر بشكل عام و غير محدد، مما يحول دون التعرف على معالمه كعملية أو كموضوع.

**ثالثاً:** تعريفات ظهر فيها الكثير من الغموض بل والخلط بين المصطلحات، كالتحضر والحضرية، والنمو الحضري، وعملية الانتشار الثقافي.

**رابعاً:** تعريفات عالجت التحضر من جانبه الديناميكي الكمي (الديموغرافي)، دون وجود أي نصّ واضح بالتعريف، لجانب التحضر الكيفي أو الإشارة إليه أحياناً لكن بشكل غير صريح. مما يؤثر على التناول العلمي للموضوع أو الظاهرة، كما يطرح أحياناً للباحثين بعض الصعوبات المتعلقة بالقياس الإحصائي للظاهرة، رغم وضوحه كتصور منهجي لدراساتها وتحليلها.

في الوقت نفسه عالجت تعريفات أخرى عملية التحضر من جانبه الكيفي مما قد يساهم في تحليل جوانب الظاهرة سوسولوجياً، وبالتالي تحديدها كمفهوم؛ غير أن ذلك يطرح بعض الصعوبات للباحثين لاعتمادها على معطيات غير قابلة نسبياً للتحقق الإمبريقي، رغم أن كلا البعدين الديموغرافي، والسوسولوجي يعتبران جانبيين مكملين لبعضهما البعض.

**خامساً:** وردت تعريفات عالجت بعض خصائص الحياة الحضرية كجمال للتحضر، كما لو كانت محددات للتحضر كعملية اجتماعية، دون الإشارة إلى بعض جوانب التغيرات الأخرى المصاحبة له وكذا العمليات المرتبطة به.

وبناء عليه يمكن القول أن التحضر يمكن أن يوصف بأنه: العملية التي تصبح الحضرية أسلوباً مميزاً للحياة – وهذه العملية تتضمن مجموعة من المؤشرات والخصائص التي يتمّ التحول إليها كعملية اجتماعية. إذ يتم انتقال الأفراد عن طريق الهجرة إلى المراكز الحضرية، و تحولهم من العمل الزراعي إلى مهن أخرى أكثر ملاءمة لحياة المدينة. وتأثر هؤلاء إثرها ببعض المؤثرات الجديدة بالنسبة للشخص المتبني لهذا الأسلوب المعيشي الجديد أو للجماعات الاجتماعية، والتي تظهر في أنماط سلوكهم. وعلى ذلك يمكن اعتبار الحضرية بمثابة عملية تكيف مع الحياة الجمعية بطريقة يتلاءم من خلالها الشخص أو الجماعة ليصبح فرداً حضرياً أو جماعة حضرية.

**ثانياً :** العمليات الاجتماعية الأساسية المصاحبة للتحضر:

إنه وبناء على ما تقدم من تحليل للتعريفات المدرجة، فإن عملية التحضر هي نتاج عمليات أساسية ينتج في تكاملها إطارا متكاملًا لهذه العملية الاجتماعية، ندونها باختصار كالاتي:

أ- **عملية الحراك الفيزيقي-الجغرافي للسكان** :- من الريف إلى المدينة خاصة في ظل تطور وسائل النقل الحديثة، مما يساعد على تسريع هذه الحركة نحو المدن نتيجة لما يعرف بـ la mobilité spatiale.

ب- **عملية التمرکز في المدن وما يرتبط بها من حراك مهني**: إذ يعد هذا العامل أحد الأطر الأساسية التي تساهم في تحديد الطبيعة الاقتصادية والتخصّصية لهذه البيئة. مما يمكن الباحثين من تحديد مدى إسهامها في تغيير صور الإنتاج لدى الوافدين إليها، ودور كل ذلك في إحداث التغيرات على طبيعة السلوك الإنساني الناجم عن هذا التحول.

ج- **عمليات التكيف التدريجي للسكان طبقا لشروط الحياة الحضرية وما يظهر من تغيير في أنماط السلوك المقيمين حضريا** :

د- **هذا إلى جانب أن مفهوم التحضر يرتبط بالأساس بالبعد المكاني**: وعليه فإن القيم التي ترتبط به غالبا ما تتأثر بهذا البعد. فالمجال الحضري ليس مكانا بالمعنى الجغرافي، أو الاقتصادي حسيما أو ضحنه في ثنايا هذا العمل، وإنما هو في الأصل **مكان اجتماعي** تنشأ في ظله العلاقات الاجتماعية بين سكانه. سواء أعلق هذا السلوك بالفرد أم الجماعات المتحضرة - مما يساعد الباحث على دراسة- سمات الفرد المتحضر، أو سمات الجماعة المتحضرة. سواء أكانت أسرة أم جماعة اجتماعية أم مجتمعا محليا.

هـ- **العملية السيكولوجية المتمثلة في الاتجاه نحو الفردية**: نتيجة لانقسامية هذه العلاقات التي تربطه كفرد بالأخرين و بحكم ظرفيتها ومنه انعزاليتها. (17)

### ثالثا: أبعاد التحضر كعملية اجتماعية:

وبالاستنتاج من كل ما تقدم فإن التحضر يشتمل على البعدين التاليين :

**البعد الأول**: يتم بموجبه الانتقال من الحياة القروية إلى حياة المدينة - يتم إثرها خضوع الفرد للحراك المهني وما يرتبط به من تغيرات في المستوى المعيشي للأفراد المقيمين بها.

**البعد الثاني**: وكنتيجة للبعد الأول يتم تبني الفرد المقيم حضريا الأسلوب الخاص بالحياة الحضرية - وتصبح بذلك الحضرية مؤشرا من المؤشرات الدالة على حدوث التغيير الاجتماعي، والثقافي. أو مثلما تؤكد "فاديه عمر الجولاني" أن التحضر يشتمل على ركيزتين أساسيتان أو جانبين أحدهما ديناميكي "والآخر بنائي إستاتيكي"، يتمثل الأول في التحضر، والثاني في الحضرية، وتعكس الطابع المميز للمجتمع المحلي

الحضري أو الأسلوب الخاص الذي تتسم به طريقة الحياة" في المجتمع الحضري، وفي نفس الوقت تصبح من العوامل المؤدية إليه . فالتحضر وفقا لما تم إيضاحه هو عملية و نتيجة في الآن معا. (18)

وهكذا نخلص بناء على ما سبق إلى تلخيص يتناسب وموضوع هذه المقالة والهدف منها، والتي تنظر إلى أن مفهوم التحضر كما هو في مجتمعاتنا العربية و في الجزائر بالذات يختلف عن مفهوم بعض الدارسين الذين ينظرون إلي التحضر وكأنه عبارة عن عملية انتشار للثقافة الحضرية التي تنتهي إلى حالة تسود فيها تلك الثقافة في القطاعات غير الحضرية، بفعل إشعاع البيئة الحضرية للأفكار والخبرات الحضرية السلوكية نحو تلك المناطق بحيث يتم تمثلها، والتكيف مع الأنماط الحضرية الوافدة إليها، مما يفضي إلى القضاء التدريجي على العناصر الثقافية التقليدية، بحيث تصبح عملية التحضر مرادفة بذلك لعملية الانتشار الثقافي من البيئة الحضرية نحو الريف أو ما يحيط بها من أطراف. لتنتهي بذلك وبالتدرج، إلى حالة من التكيف الجماعي مع الجديد سواء توفرت إلاقامة الحضرية في المدينة أم لا. وهو ما لا تتجه إليه الدراسة بهذه الورقة البحثية.

فالتحضر إذا: هو عملية أساسية من عمليات التغيير الاجتماعي التي يتم بموجبها أو عن طريقها انتقال أهل الريف أو البادية إلى المدينة وإقامتهم بمجتمعها المحلي. أو هو بمثابة إعادة توزيع السكان من الريف إلى المدينة. وهي بذلك عملية يكتسب من خلالها الأفراد طريقة وسلوكا وسمات تميزهم عن غيرهم، نطلق على هذه المميزات "الخصائص الحضرية" التي تتميز بالتغير السريع سواء من حيث الحركة السكانية، أو من حيث التغيير في النظم الاقتصادية، وقد تكون اقل سرعة فيما يتعلق بالنظم الاجتماعية، أو من حيث التغيير في القيم والعادات والنظرة إلى الحياة مثلما أشار إلى ذلك "بيترمان" في موضع سابق وأكدته النظرية الورثية: "الحضرية كطريقة في الحياة" التي نشرها سنة 1938. (19) حيث عرف الحضرية بأنها تشير إلى أشكال الفعل والتنظيم الاجتماعي التي تظهر بصورة منظمة في التفاعل المستمر نسبيا للمناطق ذات الأعداد الكبيرة من السكان المتباينين، هذا الحجم السكاني يخلق تنوعا كبيرا في العلاقات الاجتماعية الاولية وما يمكن أن يترتب عليها من ظواهر (20). والتحضر بناء على كل ذلك إذا، يعرف بأنه عملية و نتيجة في آن واحد.

وهو ما يتفق وتعريف "بريز" الذي يؤكد ضرورة تناول السوسولوجي لظاهرة التحضر في بعديها الكمي و الكيفي. إلا أننا لم نعر في تعريفه على أي توضيح أو إشارة نهدي بها لتحديد البداية والكيفية التي تتم بها عملية التحضر كعملية تغير كمي وكيفي معا.

رابعا : المدخل المتعدد كافتراح منهجي لتحليل ظاهرة التحضر (كعملية اجتماعية):

إذا كانت التعريفات المحددة لمدلول التحضر كمفهوم تعددت لغويا واصطلاحا، فإن تناولها المنهجي هو الآخر لا يكاد يخرج عن هذا الإطار أو القاعدة المنهجية في كثير من الأحيان مما يفرض على الدارس لهذه الظاهرة (التحضر كعملية) ضرورة تناولها العلمي من زواياها المتعددة . بل إن هذا الاتجاه يكاد يفرض نفسه كسبيل وحيد لتحقيق الفهم الشمولي للظاهرة، لكونه السبيل الوحيد لإيجاد الارتباط القائم بين مكونات هذه الظاهرة، بحيث تنصهر مع بعضها لتكشف عن طبيعتها (المعقدة). إذ الأمر يستلزم دراستها بشكل متكامل لا ترى فيه العناصر المكونة لها بقدر ما تتناول ككل. ومنه التخلي عن إطار التحليل الجزئي في مجال دراسة ظاهرة التحضر – الحالية. إذ وفقا للمقترح "الورثي المنهجي" (21) لتحليل ظاهرة التحضر يمكننا الاستعانة بالأبعاد الأساسية المشار إليها سلفا، وفقا للتحليل المفاهيمي لمدلول التحضر كعملية اجتماعية، باعتبارها عناصر مشكلة "الكل حضري متكامل، ترتبط مع بعضها بعضا، ارتباطا الأسباب بالنتائج و العكس صحيح. وفقا للمخطط البياني التالي :

**التحضر:** ← إلى الحضرية (كنتيجة نهائية لعملية التحضر) وهي أي الحضرية ← بدورها تعطي عملية التحضر ذاتها ← معناها الكيفي في النهاية.  
**الحضرية:** عبارة عن نتيجة كيفية لعملية التحضر ← بينما النمو الحضري هو ← النتيجة الكمية له

وبتعبير آخر إذا أمكننا اعتبار التحضر عبارة عن فعل يقوم به فرد أو جماعة ، والمهاجرين من الريف إلى المدينة وما يترتب عليه من حراك مهني، والذي بدوره يؤسس لحراك اجتماعي يمس أدوار أو مكانات هؤلاء الأفراد. وبالتالي أنماط سلوكهم كفاعلين اجتماعيين؛ فإنه يمكن اعتبار ردّ الفعل لذلك على أنه يتكون من قسمين كما أوضحها إدريس فالح نايف عزام. (22)

- أ- رد فعل كمي: يتمثل في التحضر، ويبدو من خلال الحدود الطبيعية للمدينة.  
 ب- رد فعل كيفي يتمثل في الحضرية، ويبدو من خلال سيادة أنماط الحياة الحضرية على سلوك وتصرفات، وأنماط التفكير والاعتقاد للمتحضرين.  
 ج- أما المدينة : فهي المجال الطبيعي والوحيد لهذه العمليات (23). تتميز بخصائص إيكولوجية تحدد بناء عليها بعديها المشار إليهما كما تتحدد بهما. ومنه يتوجب علينا أن نحدد مدخلنا كالاتي:

1 - إن تناول المنهجي المقترح لمعالجة موضوع التحضر كعملية اجتماعية يؤدي بنا للقول بأنه من المناسب أن نعيّن اتجاهنا من حيث مشتملات النظرة إلى التحضر بكونه عملية اجتماعية تتم على أساس بعدين أساسيين كمي وكيفي.

2- ونشير بالرغم من ذلك إلى إمكانية تناول هذا الموضوع إما من جانبه الكمي ذي الطابع الدينامي لعملية التحضر- والتركيز في دراستها كموضوع، أو كوحدة للتحليل السوسولوجي.

3- أو تناوله من الجانب الكيفي لعملية التحضر- وكمحور يتم تسليط الضوء عليه كمحور أساسي للموضوع المعالج، بالنظر لما يشمله من تغيير في الأنماط السلوكية - إثر الإقامة الحضرية الدائمة للسكان الحضرية. مما يؤدي إلى سيادة نمط للحياة متميز عن غيره من أنماط الحياة الاجتماعية الأخرى. رغم أن المداخل السابقة الذكر ليست هي كل ما يمكن أن نتوصل إليه نظريا في دراسة المجتمع الحضري.

إلا أن إبرازها كأبعاد يمكن أن تحقق للدارس الفهم الشمولي للظاهرة، إذ يفرض بذلك هذا التناول اعتماد الجوانب المشكلة لديناميات الواقع المدروس. ولتحقيق هذا الفهم السوسولوجي للظاهرة يمكن النظر إليها على أنها نسق يتكون من مجموعة من الأبعاد المتداخلة، و المؤثرة، والمتأثرة بعضها ببعض، سواء في بعدها الإيكولوجي، أو الديموغرافي، والاجتماعي، والقيمي الثقافي والسيكولوجي وهكذا... وفقا لتوجهات الباحث ومتطلبات البحث . ومنه الاستعانة بمداخل النظرية المعروفة في هذا العلم المتخصص ، والتي من شأنها أن تساعد على تفسير التنظيم الاجتماعي للمجتمع الحضري سواء في نسقه الإيكولوجي أو الديموغرافي أو الاجتماعي والثقافي أو السيكولوجي وغيرها.

- مع أننا نشير إلى إمكانية استخدام الباحث إحدى هذه المداخل كإيكولوجية أو الديموغرافية، أو القيم الثقافية والاجتماعية كمتغيرات مستقلة لمحاولة تفسير بعض وجوه هذا البناء الاجتماعي كل على حدا؛ مع الإشارة إلى إمكانية أن تختلف هذه الأبعاد في الدراسة باختلاف وتباين اتجاهات الباحثين. وهو ما يمكن أن يطرح بعض الصعوبة في التناول المنهجي للموضوع الذي يتمثل في ظاهرة التحضر كعملية. وذلك يعود لأسباب موضوعية ترتبط بمجموعة من الاعتبارات ذات الصلة بطبيعة التحضر كموضوع: والتي تمتاز بها عملية التحضر نفسها ويمكن تلخيصها فيما يلي: (24)

أ- كونها من عداد عمليات التغيير الاجتماعي المعقدة التي تشمل جوانب كثيرة تصعب الإحاطة بها في آن واحد إلا في ضوء نظرية متكاملة ، وهو ما يفتقر إليه هذا النظام العلمي لغياب إطار نظري موحد أو نظرية متكاملة يمكن أن تغطي الموضوع بعمامة. وهو ما حال ويحول دون وجود نظرية للتحضر تفسرها كعملية وذلك لاعتبارين:

- أن عملية التحضر كمصطلح أو كعملية تأخذ طابعا نسبيا إلى حد كبير -لاختلافها باختلاف المجتمعات الإنسانية - مجتمعات متقدمة - ومجتمعات نامية-؛ لعدم تطابق نتائجها البحثية مع تلك الخاصة بدول العالم النامي. لذلك تطرح صعوبة الاستفادة منها في مجال استخدام تصوراتها البحثية والاستعانة بها لدراسة هذه المجتمعات من جهة.

- ومن جهة أخرى فإن هذا العلم حتى وقتنا هذا ظلّ يفتقر لمناهج علمية واضحة للقياس السوسولوجي لتوفر هذا العلم على عدد قليل من المؤشرات الكمية التي يمكن اعتمادها لقياس الظاهرة الحضريّة، فضلا عن نسبتها بالنسبة للمجتمعات هذه سواء، المتطورة أو الخاصة بالمجتمعات التامية، وهو ما يحول دون التوصل لتحديد مقبول لما نقصده "بمفهوم التحضر وغيره من المفاهيم الأساسية بهذا العلم بحكم خاصية النسبية هذه. أي اختلاف هذه المجتمعات تاريخيا، واجتماعيا، و تكنولوجيا، وثقافيا، مما ساهم ويساهم في ظهور اتجاهات متباينة لدراساتها. انه ووفقا لنماذج التحليل المقترحة حول الظاهرة بتلك المجتمعات المتطورة تمت معالجة الظاهرة كالآتي:

1- تم تناولها أولا وفقا للتصور الذي يفترض وجود قطيعة بين العالم الريفي

والحضري.

2- تم الانتقال إلى النموذج الذي يتصور أو يفترض وجود اتصال

"continuum" بين العالمين.

3- تم الانتقال إلى التصور الذي يفترض وجود سيطرة كلية للعالم الحضري على

العالم الريفي خاصة في ظلّ التحول الذي يعرفه هذا العلم، لتطوره إلى علم تجريبي على يد رواد المدرسة الأمريكية مدرسة "شيكاجو". إلى جانب التحولات العالمية بفعل سيطرة العولمة اقتصاديا، وثقافيا. حيث لم يعد المجال يسمح في إطار هذه الدراسات، الحديث عن ثنائية ريف- مدينة. إذ أن الاقتصاد الدولي الجديد أنتج هندسة متغيرة للإنتاج والاستهلاك، والعمالة وإدارة رؤوس الأموال، والمعلومات. هذه الهندسة تنكر المعنى الخاص لأي مكان يقع خارج موقعه. وعلى ذلك يتوجب على هذه المجتمعات استبدال فكرة التمييز بين الريف والمدينة- بفكرة شبكات التفاعلات خاصة في ظلّ السياسات الرأسمالية التي تقوم على مبدأ "دعه يعمل دعه يمر"، وكشعار لتحقيق تنمية مجتمعاتها. مما أدى إلى انهيارها كفكرة - لتقلص المكان وتداخل الحدود بين الريف والمدينة.

إذ لم يعد هناك مجال لوجود مصطلح ريف- مدينة بل وحسب تحليل " Henri

Lefebvre" و" Keyser" يمكن الوقوف على ترتيب لهذا العالم الذي هو الريف" إلى

أنماط متباينة، منها نمط "ريف عميق أو ما يسميه « le rural profond" و"ريف نصف زراعي"، و"ريف متحوّل"، وآخر "راكد"، وإلى "ريف - بين الحالتين"- أي نصف متحوّل.

مما يكشف لنا عن تنوع في تركيب هذه التشكيلات، وفقا لدرجة تفاعلها مع الحياة الحضريّة فيما يخص مجالها، ونشاط سكانها، و تفاعلها الثقافي الذي أصبح إختراقه لهذا المجال الريفي لا حدود له، بفعل تكنولوجيا الاتصال والرقمنة الحديثة.(25)

الأمر الذي حال دون وجود مجال للحديث عن ريف" - مدينة"، أو حضري خالص" وريفي خالص" بل وجود خليط منهما.

في الوقت الذي ظلّ فيه هذا الخليط بارزا في الدول النامية خاصة بمراكز المدينة المتروبوليتانية"، مثلما أشار إلى ذلك "محمد ياسر الخواجة" في إحدى مؤلفاته (26)، نتيجة تشابك العلاقات القائمة بين المجتمعين الريفي والحضري، وما أحدثه من ظواهر تريف المدينة وأحيانا تحضر نسبي للريف .

### الخاتمة

إن هذا العمل لا يسمح لا بالتوسع أكثر للتعلم في عديد القضايا التي يطرحها مفهوم التحضر" إلا انه وتقيداً بمنهجية العمل الذي تفرضه علينا هذه الورقة البحثية يمكننا تلخيص ما يلي:

1- إنه وبناء على ما تقدم لقد استقرّ لدينا أنه إذا كان التحضر في البلدان المتقدمة عبارة عن نتيجة طبيعية ناجمة عن تطور تكنولوجي واجتماعي، ترتبت عنه نتائج ارتبطت ولا تزال، بأنماط جديدة للثقافة الحضرية، أو كأسلوب للحياة بها، وبالتالي فإن دراسته سواء أكانت كمفهوم أو كعملية لا تطرح بنفس الغموض والتعقيد واللبس الذي لمسناه في المجتمعات غير المتقدمة، حديثة التحضر بالعالم النامي.

2- إن التحضر الحديث الذي خبرته هذه البلدان ظلّ غير طبيعي ومشوش لكونه ارتبط بالغزو الاستعماري وعمليات التحديث السريعة وبما عايشته هذه البلدان من مشاكل وإختلالات ، مما يفرض توخي الحذر عند تحديدها المفاهيمي، ذلك أن تحديد المفاهيم ووضع التعريفات واتساق القضايا يشكل في حدّ ذاته جزءاً من التحديد النظري لأي بحث، مما يكشف أهميتها في أي نسق علمي.

3- إن هذا التدقيق بالنسبة لمجتمعاتنا ليس فقط من أجل تعميق الفهم العلمي لأبعادها كظاهرة سواء من حيث النشأة أو عوامل ظهورها وتطورها التاريخي ، بل بالنظر لما تنتجه من إمكانية للباحث لرسم التوقع المحتمل لها ولنموها كظاهرة مستقبلا، لاسيما في ظلّ تأثيرات العولمة، بهذه المجتمعات التي لم تتضح بعد بها بعض ملامح هذه العملية على فضائها الحضري.

وعند هذا الحد يمكننا القول أنه إذا كان المجتمع الحضري المعولم أصبح من الظواهر الاجتماعية المعاصرة فإنه يظلّ مرتكزا بالأساس على جانبيين أساسيين. (26)

يتمثل الجانب الأول منه: في الجانب الديناميكي الذي ينعكس في عملية التحضر التي شرحناها، فيما يمثّل جانبه الثاني، الجانب البنائي: الذي يتمثل في الحضرية التي تمثل طريقة وأسلوب الحياة الحضرية الثابتة نسبياً، والتي تخضع كتجربة إنسانية

ومجتمعية لعنصري الزّمان والمكان كمتغيرين أساسيين يكسبانها طابعها الخاص بالنسبة لكل مجتمع لكنها كظاهرة اجتماعية ليس لديها خصائص عامة ذات شمول.

### الهوامش

<sup>1</sup> - فادية عمر الجولان علم الاجتماع الحضري ، مركز الاسكندرية للكتاب -سلسلة الكتاب الجامعي، 1998، ص 42.

\* - **التعريف اللغوي للتحضر** يشير إلى:

حضر(حضر-حضور-وحضارة-ضد غاب .حضارة أقام في الحضر الحضر-والحضارة-والحاضرة-القرى-والأرياف-والمنازل-المسكونة. فهي خلاف البدو والبدواة والبادية - الحضارة.الإقامة في الحضر .المدينة. ويضيف المنجد إلى مادة حضر كلمة تحضر .وذلك في ذكره :أن البدوي تشبه بأخلاق الحضر فتحضر... ويعني بالحضر عموما كل استقرار حققه الفرد في مكان ما بشرط أن يكون لأمد بعيد.

ومن ثم كان مصطلح البداوة يعني ضيق السعي من مكان لآخر وراء المرعي. وإذا كان الاستقرار بمراكز عمرانية- حضرية كانت أم ريفية هو نقيض البداوة، فان ذلك يؤكد على أن القرية و الريف يدخلان ضمن مفهوم الحضر. ويضفي ذلك تعقيدات شتى على التمييز بين الريف والحضر التي لم تزل محل نقاش أكاديمي مستفيض. ولقد ورد في لسان العرب المحيط<sup>2</sup> أن لفظ "حضر" من الحضور نقيض الحضور الغياب . والحضر خلاف البدو. ويشق من الحضر الحاضر أي المقيم سواء في المدن أو القرى. في مقابل البادي أي المقيم في البادية. والحضر، والحضري، والحاضرة خلاف البادية. ويشير "محمود الكردي" في أحد مؤلفاته أن هذا المنجد يضيف إلى مادة كلمة تحضر وذلك في ذكره أن البدوي تشبه بأخلاق الحضر فتحضر.

ويعني بالحضر عموما كل استقرار يحققه الفرد في مكان ما بشرط أن يكون لأمد بعيد. ومن ثم كان مصطلح البداوة يعني بمعناه الضيق، السعي من مكان لآخر وراء المرعي. أما الحضرية فهو الاتجاه نحو سكن المناطق الحضرية وتعميرها، والعمل على توسيع نطاقها. وهو اتجاه عالمي وليس قاصرا على منطقة بعينها رغم ما تتسم به من تفاوت في الدرجة والمستوى.

وبذلك فان التحضر في اللغة كمفهوم، يشير وبشكل واسع إلى الحضر والحاضرة وهي المدن والقرى والريف. سميت لان أهلها حضر. والأمصار ومساكن الديار التي تكونت لهم بها قرار. والحضارة الإقامة في الحضر. كما أن البداوة والإقامة في البادية والحاضر ضد المسافر. والحاضر المقيم في المدن والقرى. والبادي المقيم في البادية. وفلان حاضر بموضع كذا أي مقيم. وبالتالي يتضح من لفظ الحضر لغة انه يتمثل في الإقامة والاستقرار الدائم في الأمصار والمدن والقرى والريف وما يصحب ذلك من احتراف السكان بحرفة تكفيهم في معيشتهم على الدوام كالتجارة، والزراعة، والصناعة.

غير أن ابن خلدون في فهمه لمسألة الحضر يرجعها إلى مصدرها الأساسي أو اشتقاقها اللغوي المأخوذ من "الحاضرين". الذي يعني الاستقرار في المكان بصورة دائمة زائد أنهم لا يهتمون بالزراعة إلا من ندر منهم.



- وعموما إذا كان هذا التعريف اللغوي لمفهوم التحضر في اللغة العربية، فإنه و في اللغات الأجنبية فلقد كان من النادر استخدام كلمة "حضري" Urbanus في اللغة الانجليزية فيما قبل القرن التاسع عشر . وتشير كلمة الحضر "urbs" في اللاتينية إلى الاصطلاح الذي كان الرومان يستخدمونه للدلالة على المدينة وخاصة مدينة روما. وقد تضمن قاموس أكسفورد المختصر تعريفا لها بأنها كل ما يتصل بالمدن أو حياة المدينة.
- 2- منجد الطلاب: دار المشرق-ش.م.م الطبعة البيروت -لبنان 1982ص 167.
- المنجد في اللغة والعلوم والآداب .المطبعة الكاثوليكية طبعة 9 بيروت .د.س) ص 13. في مؤلف محمود الكردي ص30.
- 3- ابن منظور .لسان العرب المحيط.دار لسان العرب -بيروت دون سنة نشر ص659
- 4- محمود الكردي -التحضر -دراسة اجتماعية .الكتاب الأول والقضايا والمناهج -ص30.
- 5- عبد الحميد بوقصاص:النماذج الريفية والحضرية للمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري -مخبر التنمية والتحويلات الكبرى في المجتمع الجزائري، جامعة باجي مختار عنابة ، ديوان المطبوعات الجامعية قسنطينة ص101.
- 6- محمد بومخلوف التحضر وواقع المدن العربية في مؤلف جماعي - دراسات في المجتمع العربي المعاصر - تحرير خضر زكريا - الأهالي للتوزيع-دمشق- سوريا ، 1999 ، ص 100.
- موسوعة العلوم الاجتماعية ترجمة "عادل الهوا ري مسعد مصلوح"- مكتبة الفلاح - الكويت 1995- ص ص 742-743 .
- 7- إسحاق يعقوب قطب وأبو عياش الاتجاهات المعاصرة و الدراسات الحضرية ، جامعة الكويت 1979 ، ص99.
- 8- عبد العزيز بودن ، النمو الحضري و المفاهيم المرتبطة به، في مؤلف : مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ،العدد 23 ، جوان 2005 ، ص 62.
- 9- ادريس فالح نايف عزام ،التحضر و أثره في الأسرة الأردنية ، دراسة ميدانية جامعة اربد ، الأردن، 1975، ص 8.
- 10- عاطف غيث علم الاجتماع الحضري مدخل نظري دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1988، ص ص 82-79.
- 11- عبد العزيز بودن، مرجع سبق ذكره ص 66.
- 12- عبد المنعم نور؛ الحضارة والتحضر- دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري - مكتبة القاهرة الحديثة الطبعة الأولى 1970 ، ص 56.
- 13- لوجلي صالح الزوي ، علم الاجتماع الحضري، منشورات قار يونس - ط الأولى ، 2002 ، ص 31.

- 14- جيرالد بيريز - مجتمع المدينة في البلاد النامية - دراسة في علم الاجتماع الحضري، ترجمة د. محمد الجوهري، 1998، ص 30.
- انظر في ذلك متروك الفالح، المجتمع والديمقراطية و الدولة في البلدان العربية - دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تعريف المدن مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 2002، ص ص 9-27.
- 15- Sanders Irwin ,Approach to social change in bennai and others /the planing Chang-ed holtrinhart & Winston N ,Y :1962 in مؤلف د.ادريس فالح نايف عزام ، مرجع سابق، 9.
- 16- جون فريدمان، وروبرت وولف،التحول الحضري،ترجمة إدريس القزتم، احمد الربايعة، الجامعة الأردنية 1979، ص 12 في مؤلف : بودن عبد العزيز في مؤلف مجلة العلوم الإنسانية، مرجع سبق ذكره ، ث 66.
- 17- إدريس فالح نايف عزام، مرجع سابق، ص 9.
- 18- جيرالد بيريز التحضر في البلاد النامية ، دراسة في علم الاجتماع الحضري ، مرجع سبق ذكره ، ص 35.
- 19- احسان محمد الحسن، التصنيع وتغير المجتمع ، دار الرشيد للنشر، بغداد 1981 ، ص70.
- 20- محمود الكردي، التحضر و دراسة اجتماعية، الكتاب الأول، القضايا والمناهج، دار المعارف 1986 ، ص127.
- 21- محمد بومخلوف، التوطين الصناعي وقضايا المعاصرة الفكرية والتنظيمية والعمرانية والتنمية ، التحضر دار الأمة للطباعة والتوزيع ط 1 ، ص23 ، بتصرف طفيف.
- 22- فادية عمر الجولاني ، مرجع سابق ، ص 46.
- 23- Jean Remy et Liliane Voye, La ville et l'urbanisation; modalités d'analyse sociologique- édition duculot , 2007,p 189.
- 24- وجدي شفيق عبد اللطيف، علم الاجتماع الحضري والصناعي، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، 2007، ص75.
- Wirth propose trois perspectives d'analyses .partant de là, il propose trois perspectives différentes mais inter reliées ; pour analyser empiriquement une ville :une perspective écologiques .une analyse de la ville en tant que forme d'organisation sociale , et une analyse de la personnalité urbaine et comportement collectif ,in jean Rémy Liliane Voye - la ville et urbanisation op.cit., p p 188 -192-
- 25- متروك الفالح، مرجع سابق، ص14.
- إدريس فالح نايف عزام ، مرجع سابق ، ص 14.
- إدريس الفايف عزام ، المرجع نفسه ، ص 21.

- Anne Rolin- anthropologie urbaine - Armand colin /ed uef,paris 2002 pp 70-71

- وجدي شفيق عبد اللطيف ، علم الاجتماع الحضري و الصناعي ، دار و مكتبة الاسراء للطبع و النشر و التوزيع ، 2007، ص49

26- فادية عمر الجولان، مرجع سابق ، (ص45)

## المراجع

1. المنجد في اللغة والعلوم والآداب، المطبعة الكاثوليكية طبعة 9، بيروت.د.س.ن ، في مؤلف محمود الكردي.
2. ابن منظور ، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، دون سنة نشر.
3. منجد الطلاب، دار المشرق، ش: م.م الطبعة بيروت، لبنان 1982.
4. عبد الحميد بوقصاص، النماذج الريفية والحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري، مخبر التنمية والتحويلات الكبرى في المجتمع الجزائري، 2001.
5. موسوعة العلوم الاجتماعية ترجمة "عادل الهواري مسعد مصلوح"، مكتبة الفلاح ، الكويت 1995.
6. إسحاق يعقوب قطب وأبو عياش ، الاتجاهات المعاصرة والدراسات الحضرية ، جامعة الكويت 1979 .
7. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر ، عدد 23، جوان 2005.
8. عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري مدخل نظري، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1988.
9. عبد المنعم نور، الحضارة والتحضر ، دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري، مكتبة القاهرة الحديثة الطبعة الأولى، 1970.
10. لوجلي صالح الزوي ، علم الاجتماع الحضري، منشورات قار يونس - ط الأولى سنة 2002.
11. جيرالد بيريز ، مجتمع المدينة في البلاد النامية ، دراسة في علم الاجتماع الحضري ، ترجمة د. محمد الجوهري 1998.
12. متروك الفالح، المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية ، دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تريف المدن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2002 .

13. إدريس فالح نايف عزام ، التحضر وأثره في الأسرة الأردنية، دراسة ميدانية بمدينة اربد، جامعة القاهرة، 1975.
14. جون فريدمان ، وروبرت وولف،التحول الحضري،ترجمة إدريس القزتم ،احمد الربايعية الجامعة الأردنية، 1979.
15. احسان محمد الحسن ، التصنيع و تغير المجتمع – دار الرشيد للنشر - بغداد 1981.
16. محمود الكردي – التحضر و دراسة اجتماعية - الكتاب الأول – القضايا والمناهج دار المعارف 1986 .
17. محمد بومخلوف ، التوطين الصناعي و قضايا المعاصرة الفكرية والتنظيمية والعمرانية والتنمية \_ التحضر، دار الأمة للطباعة والتوزيع ط- 1 .
18. فادية عمر الجولاني، علم الاجتماع الحضري، مركز الإسكندرية للكتاب، 1998 سلسلة الكتاب الجامعي .
19. وجدي شفيق عبد اللطيف، علم الاجتماع الحضري والصناعي، دار ومكتبة الإسراء للطبع و النشر والتوزيع 2007.
20. مجموعة مؤلفين، دراسات في المجتمع العربي المعاصر، تحرير خضر زكريا ، دار الأهالي، 1999 .
21. 23- Jean Remy et Liliane Voye, La ville et l'urbanisation; modalités d'analyse sociologique- édition duculot , 2007.
22. Anne Raulin : Anthropologie urbaine, Paris, Armand Colin, 2001.

## المقاربة السياقية للخطاب المسرحي في ضوء الكفاية الإجرائية للنحو الوظيفي الخطابي

### ملخص

في هذا المقال، يحاول التطرق إلى أحد الجوانب النظرية المهمة في التحول الذي عرفته نظرية النحو الوظيفي في نموذجها الأخير المسمى (النحو الوظيفي الخطابي)<sup>(1)</sup> حيث يتناول السياق الذي تمت مَوْقَعَتُهُ داخل النظرية، من خلال إضافته كمكون من مكونات نموذجها الأخير. كما يحاول أيضا، التطرق إلى ما يمكن أن يمده المكون السياقي للكفاية الإجرائية لتحليل العرض المسرحي، عبر تحديد "الوضعيات التخاطبية"، كمفهوم إجرائي مشتق من السياق، واستثماره في التطبيق على الخطاب المسرحي.

أ. عبد الصمد لميش  
قسم الآداب واللغة العربية  
جامعة المسيلة  
الجزائر

### مقدمة

**عرفت** نظرية النحو الوظيفي \_ التي يعود تأسيسها إلى أواخر السنوات السبعين من القرن الماضي على يد مجموعة من الباحثين يرأسهم اللساني الهولندي<sup>(2)</sup> ("سيمون ديك" Simon Dik) - عرفت تناميا نظريا في السنوات الأخيرة الماضية، أفضى بها إلى الإعلان عن نموذج خطابي جديد، عرف باسم "النحو الوظيفي الخطابي"، (Functional Discourse Grammar)<sup>(3)</sup>، المنسوب إلى الباحثين ("هنخفلا"، و"ماكنزلي"، (2008))<sup>(4)</sup>، وهو نموذج قدم ليكون قميّنا بمقاربة كافة أنماط الخطاب بمختلف أحجامه وأقسامه، ابتداء بالمفردة

### Abstract

This article focus on the new developments of the theory of "Functional Grammar" in its new model which named "Functional Discourse Grammar" .

The article also examines the context as a new component in the model, which gives us the communicative situation as a concept used in the empirical analysis of theatrical discourse.

وانتهاء بالنص، مع تحديد دقيق لموضوع الدرس؛ تحديداً ينافح عن الطبيعة التواصلية للخطاب، ووحدة الدنيا التي هي "الفعل الخطابي". هذا، إلى جانب مفاهيم أخرى تحيط بأنماط الخطاب ومستوياته وطبقاته، مع تفسير لكيفية تحقق الخطاب في ظل مبدأ الانعكاس النيوي القاضي بتبعية الخصائص الصرفية-التركيبية والصوتية في البنية السطحية، للخصائص التداولية الدلالية في البنية التحتية.

فاختيار النحو الوظيفي الخطابي لمقاربة الخطاب المسرحي، تعززه المفاهيم الجديدة التي أتى بها في السنوات الأخيرة، ابتداء من سنة 1997<sup>(5)</sup> إلى يومنا هذا، سواء ما تعلق بإعادة ضبط موضوع الدرس، أو ما تم تسطيره في السنوات القليلة الماضية من مفاهيم تخص النموذج الحوارى للنحو الوظيفي،<sup>(6)</sup> الذي زود بمقلوبه، ليغطي دورة التخاطب في عمليتي إنتاج الخطاب وتأويله، بالإضافة إلى مَوْقَعَة السياق كـمكون داخل النموذج.

### 1. الكفاية الإجرائية للنحو الوظيفي:

يأتي الحديث عن الكفاية الإجرائية للنحو الوظيفي، في سياق تحديد الهدف المتوخى من الدرس، والمتمثل في السعي إلى تحقيق جملة من الكفايات هي: الكفاية النفسية، والكفاية التداولية، والكفاية النمطية، والكفاية الإجرائية. فإذا كانت الكفايات الثلاثة الأولى كفايات نظرية تتعلق بالجهاز الواسف للنظرية حين يوجه إلى الوصف اللغوي المحض، فالكفاية الأخيرة هي كفاية تطبيقية، ترتبط باستثمار نتائج البحث وتوظيفها كأدوات للتطبيق على ظواهر أو ميادين تكون اللغة جزءاً منها.

ولمصطلح الكفاية الإجرائية مرادفان هما "الكفاية الانطباقية"<sup>(7)</sup>، و"الكفاية المراسية"<sup>(8)</sup>، وهي مصطلحات لما يمكن اعتباره مجالاً جديداً تحت تسميات مترادفة، وهو مجال يعبر عن مدى واقعية نموذج نظرية النحو الوظيفي ودرجتها التطبيقية، بالنظر إلى ملموسيتها في وصف وتفسير بنية اللسان العامة. وعلى قدرتها النفعية وإمكانية إسهامها في حل مشكلات علوم أخرى؛ كالتعليمية والترجمة والنقد الأدبي وأمراض الكلام، والأمراض النفسية المسببة للاضطرابات اللغوية، وتحليل النصوص... وغيرها. حيث يمكن أن تعتبر هذه المقاربات لهذه الميادين كفايات يتم تحقيقها، وتوزيعها اصطلاحياً، نحو الكفاية التطورية (نسبة إلى تطور اللغة)، والكفاية التعليمية، والكفاية الترجمة، والكفاية السيميائية، والكفاية الحاسوبية، والكفاية النقدية... الخ.<sup>(9)</sup>

فالنظرية اللسانية - وظيفية كانت أم غير وظيفية - يجب أن تحرز كفايتين اثنتين: كفاية لغوية تحرزها حين تستشرف مستوى الوصف الملائم لظواهر اللغات البشرية، وكفاية إجرائية تحرزها حين تستطيع نفس النظرية - لا نظرية أخرى- أن تطبق في مجالات اجتماعية اقتصادية.<sup>(10)</sup> فتكون معدة لأن تجاوز حقل وصف وتفسير الظواهر اللغوية إلى حقل آخر أعم يمكن تسميته "القطاع الاقتصادي-الاجتماعي".<sup>(11)</sup>

بل إنّه من الممكن الذهاب إلى أبعد من ذلك والقول إنّ النظريات اللسانية – أو بعضها على الأقل – مُعدّة الآن لأن تلج كذلك الأنساق التواصلية التي لا تستخدم اللغة، كالإيماء والرسم والأفلام الصامتة والقطع الموسيقية "الصامتة". وهذا الأمر وارد بحكم أنّ للتواصل -بمختلف قنواته اللغوية وغير اللغوية- نسفاً عاماً موحدًا، وأن النظريات اللسانية قادرة على وصف هذا النسق.<sup>(12)</sup>

## 2. نظرية النحو الوظيفي:

تنتمي نظرية "النحو الوظيفي"، إلى تيار لساني يضم مجموعة من النظريات تتخذ "الوظيفة" كمفهوم ومكون قاعدي في جهازها الواصف. والسياق المناسب لفهم النظرية، هو ربطها بالخط العام الذي يبدأ من ظهور المدرسة اللسانية المسماة بـ"حلقة براغ" التي انبثقت عن لسانيات "دوسوسير" خلال العقدين الثاني والثالث من القرن الماضي، وينتهي بميلاد النحو الوظيفي مع اللساني "سيمون ديك"، بوضع أول نموذج للنظرية سنة 1978، في كتابه "النحو الوظيفي".

ليس القصد مما سبق، التأريخ للنظريات اللسانية التي ظهرت خلال هذه الفترة، وإنما تبيان الخط العام الذي تسير في اتجاهه قصد تمييزها<sup>(13)</sup>.

فمن الناحية المنهجية، وبالنظر- في الوقت نفسه وبعين المقارنة- إلى ما يعاصر هذا الاتجاه من مدارس غير وظيفية، يُميز عامة في الدرس اللساني الحديث والمعاصر بين ثلاث تيارات، تعد بمثابة العناوين البارزة التي يمكن أن تحال إليها أغلب النظريات اللسانية، وهي: (التيار البنيوي، والتيار التحليلي، والتيار التواصلية-التداولي)، ويمكن وسم بدايات هذه التيارات بالثورات في مجال البحث اللساني؛ حيث شهد القرن العشرون ثلاث ثورات كبرى:<sup>(14)</sup>

- ثورة بنيوية بقيادة (دوسيسير). (Ferdinand de Saussure).

- وثورة توليدية تحويلية تحت لواء تشومسكي. (Naomi Chomsky).

- وثورة تبليغية "تواصلية" بزعامة هايمس. (Dill Hymes).

ونظرية النحو الوظيفي تنتمي إلى التيار الثالث، وهو التيار الذي يعزى فيه إلى "هايمس" عالم الأجناس الأميركي، فضل المناداة بالقدرة التبليغية أو التواصلية (Compétence de communication) موضوعاً للدرس اللغوي، بدلا من "القدرة اللغوية" لتشومسكي.<sup>(15)</sup> فالنظرية هي من النظريات التي تعتمد أدوات اللغة كمنطلق منهجي أساسي، وتسعى في وصف القدرة التواصلية كموضوع للدرس، فيتوقع أن يُصاغ جهازها الواصف كاستجابة لشرط الانسجام بين النموذج النحوي وموضوع الدرس، على أساس إضافة مكون تداولي يشكل مع المكون الدلالي دخلاً للمكونين الصرفي- التركيبي والصوتي، حيث يتخذ المكون التداولي وضعاً قاعدياً بالنسبة للمكونات الأخرى، يمدّها ثلاثتها بما يحتاج إليه اشتغالها من معلومات.

هذا، خلافا للنظريات اللسانية ذات التوجه الصوري، التي تستبعد أدوات اللغة وتحصر القدرة -التي هي موضوع الدرس- في القدرة اللغوية الصّرف، حيث يُتوقَّع أن يُصاغ النموذج فيها اقتصارًا على ثلاثة مكونات هي المكون التركيبي-الصرفي والمكون الدلالي والمكون الصوتي. على أساس أنّ المكونين الثاني والثالث "تأويلان" لا تأثير لهما في المكون الصرفي - التركيبي ذي الاستقلال التام. (16)

أما نماذج نظرية النحو الوظيفي، فهي متعددة، حيث أعيدت صياغتها بإنماء مكوناتها وتعديل شكل جهازها الواصف، لذلك فقد عرفت منذ نشأتها صياغات مختلفة هي (17):

- النموذج النواة، أو نموذج ما قبل النموذج المعياري (ديك 1978).

- النموذج المعياري (ديك 1989) و (ديك 1997 أ ب)

- النحو الوظيفي المتنامي" (ماكنزي 1998)

- نحو الطبقات القالبي (المتوكل 2003)

- نحو الخطاب الوظيفي (هنخفلد وماكنزي 2008)

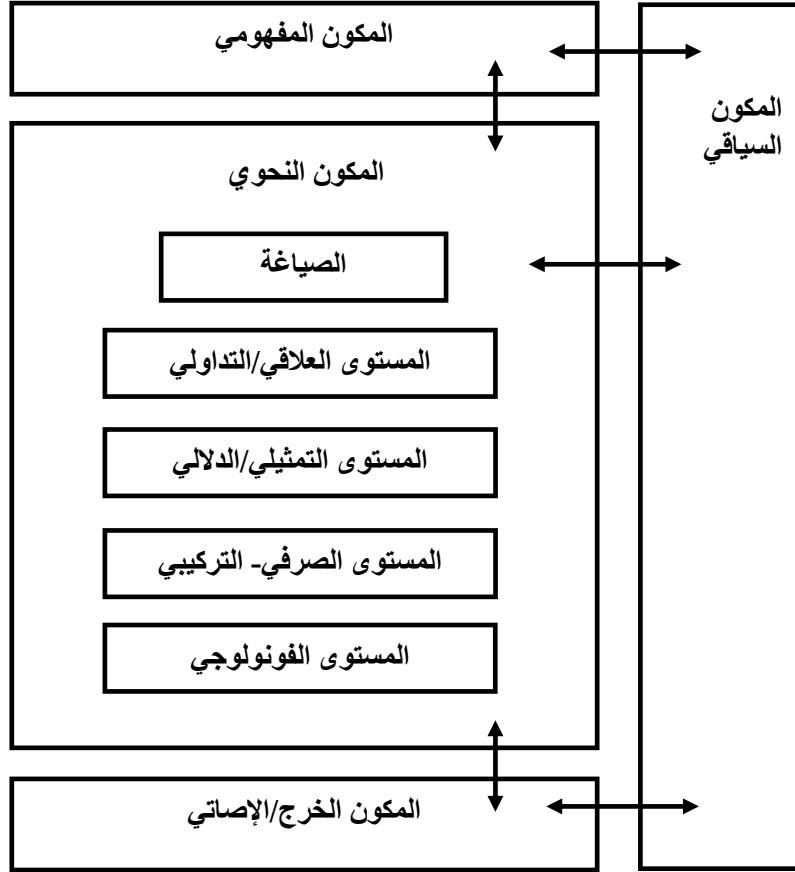
والمنتبع للنظرية في البيئة العربية، يجدها أن هذه الأخيرة قد تعرفت على نظرية النحو الوظيفي من خلال نموذجين هما، "النموذج النواة" ويمكن إلحاق "النموذج المعياري" به، من خلال كتابات اللساني المغربي، أحمد المتوكل، وأهمها: (اللسانيات الوظيفية مدخل نظري)، وكتاب (الوظائف التداولية في اللغة العربية)، ونموذج "نحو الطبقات القالبي" من خلال كتاب أحمد المتوكل (الوظيفية بين الكلية والنمطية) على وجه خاص. (18)

### 3. النحو الوظيفي الخطابية:

يعد نموذج "النحو الوظيفي الخطابية" آخر نماذج نظرية "النحو الوظيفي"، وهو المعتمد حاليا لدى المشتغلين بالنظرية، ويأتي تقديمه في سياق السعي لتحقيق أكبر قدر من الكفاية النفسية في مجال وصف وتفسير مخرجات "مستعمل اللغة الطبيعية". (19)

ويتكون جهازه الواصف من أربع مكونات هي: (المكون النحوي، المكون المفهومي/المعرفي، والمكون السياقي، والمكون الخرج /الإصاتي). أما صيغة النموذج فتوضح معالمه الكبرى الترسيمية الآتية: (20)





تقرأ الترسيمة كما يلي(21):

أ- تُرصد داخل المكون المفهومي كل المعارف المتوافرة لدى منتج الخطاب، بما في ذلك معارفه اللغوية الصّرف والمعارف الخطابية، إضافةً إلى معارفه عن العالم، الواقعي منه والمتخيّل. ويشكّل المكون المفهومي القوّة الدافعة لباقي المكونات.

ب- تحدد خصائص الخطاب في المكون النحوي في ثلاث مستويات: مستوى علاقي (تداولي)، ومستوى تمثيلي (دلالي)، ومستوى بنيوي ينشطر إلى مستوى صرفي-تركيبى ومستوى فونولوجي.

المستويان العلاقي والتمثيلي خرجان لإوالية الصياغة التي تمثل للخطاب في المستوى الأول، في شكل فعل يتضمن فحوى قضويا قوامه فعل إحالي وفعل حملي، ولخصائص الخطاب الدلالية في المستوى الثاني.

وتتكفل إواليات قواعد التعبير بنقل المستويين العلاقي والتمثيلي إلى مستوى بنيوي تحدد فيه الخصائص الصرفية التركيبية والخصائص الصوتية.

ج- أما رابع المكونات، فهو المكون الذي يُطلق عليه " المكون الخرج " أو المكون الإصطائي، وهو ذو طبيعة مسموعة إذا كان الخطاب منطوقاً، وطبيعة غير مسموعة (خطية أو إشارية) إذا كان الخطاب غير منطوق. وتجدر الإشارة ، بصدد هذا المكون الفونولوجي، إلى أنه يفضي إلى تمثيل مجرد متدرج في البنية التحتيّة، يمكن أن يتحقق بواسطة المكون الخرج بالصوت أو الخط أو الإشارة أو غير ذلك.

د- يضطلع المكون السياقي برصد وتخزين المعلومات المستقاة من السياق بشقيه المقالّي والمقامي، وإمداد المكونات الأخرى بها عند الحاجة. هذه المعلومات، كما هو معلوم، فنّان : معلومات تُؤخذ من الموقف التواصلّي نفسه مباشرة عن طريق الإدراك الحسيّ، ومعلومات تُفاد من خطابا سابق يُشار إليها، عادةً، بالعود الإحالي. كما يقوم هذا المكون بدور الربط بين المكونات الثلاثة الأخرى.(22)

#### 4. السياق في النحو الوظيفي الخطابي وتأويل الخطاب:

يضطلع المكون السياقي -كما أشير إليه سابقا- بمهمة رصد وتخزين المعلومات المستقاة من السياق بشقيه المقالّي والمقامي(23)، معلومات تُؤخذ من الموقف التواصلّي والذي يشكل مصدرا لمعلومات الفئة الأولى، أي التي تُؤخذ عن طريق الإدراك الحسي، فيتعلق بما يمكن إدراكه مباشرة بالحواس مما هو موجود من عناصر مغذية للخطاب لحظة التخاطب، كما في المثال الآتي(24):

- هل يمكن أن تعيرني هذا الكتاب الذي تقرأه.

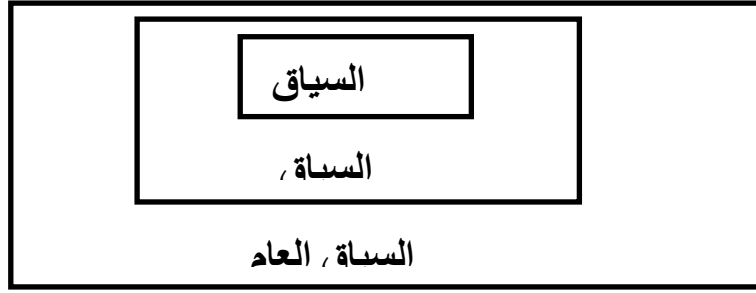
وأما معلومات الفئة الثانية، فهي متوفرة لا في ما يمكن رصده عن طريق الإدراك، وإنما يقع في خطاب لغوي سابق، نحو العبارة الآتية:

أ- انتهيت من قراءة الرواية التي اشتريتها قبل أمس من مكتبة المعرفة.

ب- هل يمكنك أن تُعيرنيها؟

وفي مجال الحديث عن دور المكون السياقي في إنتاج وتأويل العبارات اللغوية والخطاب والأدبي، فإن الأبحاث-التي تنامت في الفترة الأخيرة- مست جانبيين مهمين: الجانب الأول، يتعلق بالمكونات، والجانب الثاني، يتعلق بدور السياق في عمليتي إنتاج الخطاب وتأويله.

فبالنسبة إلى المكونات(25)، فيرى المتوكل أنه إلى جانب المكونين السابقين، يمكن إضافة مكون ثالث هو (السياق العام)، فتصبح المكونات مجتمعة أشبه ما تكون بتلك الأطر ذات العلاقة الاحتوائية السلمية، التي تضيق كلما اقتربنا من العبارة اللغوية، مثلما توضحه الترسمة الآتية:



(أ) - والمقصود بالسياق العام، الخلفية الاجتماعية الثقافية للمتخاطبين: (جغرافيا، وطبقيا، وسنا، وغير ذلك من المحددات ذات الصلة).

(ب) - أما السياق المقامي، فهو مجموعة العناصر المتواجدة في الموقف التواصلية أثناء عملية التخاطب، شريطة أن تكون ذات تأثير في هذه العملية إنتاجا وفهما. وهذه العناصر المتوفرة في السياقين السابق ذكرهما، تندرج فيما يسمى بالمركز الإشاري، الذي يتضمن المتكلم والمخاطب والزمان والمكان، كما في الترسمة التالية:  
المركز الإشاري:

{(ك)،(ط)،(زم)،(مك)}

(ج) - أما السياق المقالي، فهو محط رصد وتخزين ما سبق العملية التواصلية من خطاب ملفوظ/مكتوب، (وما تلاها كذلك حين الحاجة إليه).

وأما فيما يتعلق بدور السياق في عمليتي الإنتاج والتأويل<sup>(26)</sup>، فالمكون يقوم أثناء اشتغاله داخل نموذج نحو الخطاب الوظيفي بدورين أحدهما مباشر والآخر غير مباشر.

أ- فالدور المباشر، حينما يتعالق بدون واسط مع أحد مستويات المكون النحوي الأربعة، ومن أمثلته؛ تدخل السياقين المقامي والمقالي في انتقاء القوة الإنجازية أو الوظائف التداولية (محور ، بؤرة، ...) وتدخل السياق العام في انتقاء الوحدات المعجمية والمكونات الصرفية التركيبية وفقا للخلفية الاجتماعية الثقافية لمنهج الخطاب.

ب- أما الدور غير المباشر، فيتجلى حين يكون تدخله في مستوى من المستويات الأربعة، مؤثرا بكيفية من الكيفيات في مستوى آخر، مثال هذا ما يحصل حين تنتقى إحدى الوظائف التداولية، كالبؤرة مثلا، بالنظر إلى المحددات السياقية المقامية أو المقالية، ثم تنتقى البنية الصرفية التركيبية والبنية النبرية التطريزية وفقا للوظائف التداولية الواردة في المستوى العلاقي.<sup>(27)</sup>

إن العلاقة التي يمكن أن تجمع متكلمًا بمخاطب، لا بد أن تستحضر السياق وفق ما تقتضيه عملية التواصل، وأن حضوره يأخذ وضع التشارك الضروري لمعلومات

السياق بمختلف مكوناته والمعلومات التي تتضمنها تلك المكونات، بما يسمح بالانعكاس، حتى في السياق ككون من مكونات نموذج مستعمل اللغة الطبيعية. فيشكل بذلك حلقة وصل مهمة، كونه يغذي عملية التأويل لدى المتلقي. (28)

### 5. وحدات التحليل في النحو الوظيفي الخطابي:

أما فيما يخص وحدات التحليل في نحو الخطاب الوظيفي، فيشار إلى التعديل الذي مس موضوع الدرس والوحدة الدنيا للخطاب، حيث تم الانتقال من الجملة إلى الفعل الخطابي، سواء أكان الفعل الخطابي جملة، أم نصا كاملا، أم مركبا اسميا، أم مفردة، شريطة أن تشكل هذه المقولات وحدات تواصلية قائمة الذات. بهذا الانتقال على مستوى الوحدة الخطابية الدنيا، تصبح الترسيمة الخاصة بالوحدة الدنيا القابلة للتحليل في نظرية النحو الوظيفي كما يلي (29):

حيث  $\infty = \text{نص/جملة/مركب اسمي/مفردة}$

استدعى هذا التعديل الذي حصل في موضوع الدرس، إعادة النظر في طبيعة ومقومات البنية التداولية، حيث أصبح يمثل لها على أساس أنها فعل خطابي ("فعل لغوي" في مصطلح سورل (سورل 1969))، باعتباره الوحدة الدنيا للخطاب، وأنه يتكون من قوة إنجازية (خبر، استفهام، أمر،...) ومؤشري المتكلم والمخاطب وفحوى خطابي. ويتضمن الفحوى الخطابي فعلاً إحاليًا وفعلاً حمليًا (أو أفعالاً إحالية وأفعالاً حملية)، كما يتبين من الترسيمة الآتية (30) (1):

( فعل خطابي 1: [ قوة إنجازية(ك) (ط) فحوى خطابي 1: [فعل إحالي(1) (فعل حملي(1) [ (فحوى خطابي(1) ] (فعل خطاب(1) )

والمستوى التداولي تبعا لهذا التعديل -والذي أصبح يسمى "المستوى العلاقي"- أصبح متضمنا لطبقتين كبيرتين: "نقطة" و "فعل خطابي"، باعتبار الفعل الخطابي الوحدة الدنيا للخطاب. توضيح البنية العلاقية في الترسيمة التالية (2):

[نقطة 1: [ [فعل خطابي 1: [قوة

إنجازية] (ك) (ط) [فحوى 1: [حمل(1) Ω(1) (إحالة(1) Ω(1) [فحوى خطابي(1) ] (فعل خطابي(1) ] (نقطة 1) ]

حيث □ = مخصّص ، و Ω = وظيفة تداولية ، و ك = متكلم، و ط = مخاطب.

أما النقطة فيعرفها هنجفاد وماكنزي بأنها " الفعل الخطابي أو الأفعال الخطابية التي تشكّل مداخل أحد المشاركين في الحوار" (31). والمثال الآتي يوضح إمكان اشتغال النقطة على فعل خطابي أو أكثر:

أ- رأيت عليا مهموما اليوم. فعل خطابي 1  
ب- أتدري ما سبب اغتمامه؟ فعل خطابي 2

محاورة

80

نقطة 1

نقطة 2

ج- مع الأسف لم ينجح في امتحان البكالوريا هذا العام. فعل خطابي

حيث تضمنت النقلة الحوارية الأولى، أو مداخلة المتكلم الأول فعيلين خطابيين، وهي نقلة حوارية واحدة، في مقابل النقلة الحوارية الثانية أو مداخلة المتكلم الثاني. (32)

والملاحظ، أنه في حالة النقلة التي تتضمن أكثر من فعل خطابي واحد، فإنّ العلاقة التي تقوم بين الأفعال الخطابية التي تكوّنونها تكون إما علاقة "تكافؤ" أو علاقة "تبعيّة"؛ ففي حالة التكافؤ، تكون كلّ الأفعال الخطابية أفعالاً "نوويّة"، أما في الحالة الأخرى، فيتميّز بين الفعل الخطابي النووي والأفعال التابعة. (33)

أما هنخفاد وماكنزي، فيشيران في معرض الحديث عن النقلة بأنّها الطبقة العليا في المستوى العلاقي، لكن هذا لا يعني عدم ورود طبقة تعلوها كطبقة "المحاورّة" (34).

في هذا الاتجاه، يقترح المتوكل أن تكون هذه الطبقة "الحديث" في حالة الخطاب الذي لا حوار فعليا فيه، و"المحادثة" أو "المحاورّة" حين يتقاسم المشاركون في الخطاب دورَي المتكلم والمخاطب بالتناوب. (35)

بهذه الإضافة تصبح بنية المستوى العلاقي البنية (3) بدلاً من البنية (2) :

(3) ( ) [ حديث / محادثة 1 : [ نقلة 1 [ ..... ] [ نقلة 1 ] ] ( ) [ حديث / محادثة 1

((

في هذا المنظور، تُفهم "النتقلة" على أنّها مداخلة أحد المشاركين، وعلى أنّها فعل أو مجموعة أفعال خطابية.

## 6. الوضعيات التخاطبية للخطاب المسرحي:

يتميز الخطاب المسرحي بصفة تعدد المتلقين، وتعدد الوضعيات التخاطبية نتيجة انفتاح العلاقة بين المتكلم/ الكاتب ونصه المكتوب من جهة، وبين النص في حد ذاته والمتلقين/القراء من جهة ثانية، وبين النص والعرض المسرحي وما يتضمّنه من متلقين/متفرجين من جهة ثالثة، خاصة إذا تأمل الباحث في هذه العلاقة الأخيرة، التي تعبر عن عملية انتقاء لعلامات استدعائية أو إحالية، تصنع من الركح مجموعة مؤشرات رمزية تمهيدا لتلقي عملية التحويل الخطابية المتجسدة في (الحوار المسرحي) المنطوق، الذي حول عن الخطاب/الحوار المسرحي المكتوب.

لذلك فالكفاية الإجرائية الوظيفية ترصد الخطاب في سياقه، ولا تحققي بينيته إلا ضمن وضعية تخاطبية معينة ومحددة، وأي منهج يقارب الخطاب المسرحي ويخرج

عن هذا التصور سيجابه لا محالة، بجملة من الإشكالات المعقدة. فهو ينظر إلى الخطاب المسرحي لا من حيث الثنائيات التي نجدها في أغلب الدراسات التي أقيمت عليه (كثنائية النص مقابل العرض)، بل من حيث هو رسالة نصية بين متخاطبين تتعدّد جهات إرسالها وجهات تلقّيها. محكومة بظروف إنتاجها المقامية والمقالية، ضمن السياق العام الثقافي الفني، بمختلف عناصره المؤطرة لعملية التواصل والمساعدة على نجاحها أو المسهمة في فشلها. (36)

## 6.1. تحديد الوضعيات التخاطبية في الخطاب المسرحي:

انطلاقاً مما سبق، يميز في الخطاب المسرحي بين عدة وضعيات تخاطبية هي:

1. وضعية تخاطبية كلية، تربط بين المؤلف/الباح والنص/الرسالة في جميع الأحوال، حيث يبقى النص محافظاً على علاقته بمؤلفه وذلك من خلال المؤشرات الحاضرة في متن النص الورقي، (اسم المؤلف، توقيعه في آخر المقدمة،...) (النصوص التوجيهية))، أو بوسيلة الإعلان المعتادة السابقة للعرض المسرحي على الركح والتي يؤشر فيها لمؤلف المسرحية المزمع عرضها، أو بالإشارة إليه في (جينيريك التسجيل في حالة التحجر).

2. وضعيات تخاطبية تؤطرها علاقات خاصة داخل الوضعية التخاطبية الكلية؛ حيث يتوفر لدينا في المحصلة، ثلاث وضعيات تخاطبية جزئية أو مشتقة. وفيما يلي تفصيل الحديث عن هذه الوضعيات التخاطبية، جميعاً.

### 6.1.1. الوضعية التخاطبية الكلية:

إذا كانت هذه الوضعية والتي اخترنا لها مصطلح الوضعية التخاطبية الكلية، (37) تربط المؤلف بالنص، إلا أنها تقطع صلته المباشرة به وترصدها ضمن الخطابات التي تمتاز بالحضور غير المباشر للمتكلم، وذلك تبعاً لطبيعة الخطاب المسرحي المتمثلة في كونه نصاً يحتوى على نصوص متبادلة عبر النقلات؛ فهو يبني على المحاكاة الموقفية من خلال استحضار الموقف التواصلية، واقتراح ما يمكن أن يؤدي من أفعال خطابية لا بين المؤلف والقارئ/المتلقي، بل بين شخصيات يقترحها أو يرشحها المؤلف لتقوم بدور نقل الرسالة نيابة عنه وبطريقة غير مباشرة وذلك بجعلها تتحاور، حتى تبدو مقنعة وجديرة بأن تقرأ. (38)

ويتأسس هذا الوضع التخاطبي عند اللحظة التي يصدر فيها نص الخطاب ويتلقاه القارئ في شكل ورقي.

وما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن مرحلة التأسيس إما أن تكون منهيّة للوضعية الخطابية، أو موسعة لها بأن تكون (ناقلة)؛ بمعنى أنها تختار من بين القراء من ينقلها إلى العرض، وذلك بتدخل قارئ هو "المخرج" الذي ينقل النص بمعنية "الممثلين" إلى العرض بعد أن مر على الوضع التخاطبي الأول.

## 6.1.2. الوضعيات التخاطبية الجزئية :

بناء على تحدد الوضع التخاطبي العام، تشتق الأوضاع التخاطبية الخاصة المشار إليها سابقا، وهي:

- 1 - الوضعية التخاطبية: (النص-القارئ)،
  - 2- الوضعية التخاطبية: (العرض-المتفرج/ركح)،
  - 3- الوضعية التخاطبية: (العرض المتحجر-المشاهد /وسائط سمعية بصرية).
- وفيما يلي تفصيل لهذه الوضعيات التخاطبية الثلاثة.

### 6.1.2.1. الوضعية التخاطبية: النص/القارئ:

وهي تنميط -إن صح القول- لثنائية (نص-قارئ)، وهي الوضعية الأولى التي يتحقق فيها الخطاب المسرحي، حيث يستدعي تشغيل نموذج مستعمل اللغة الطبيعية لدى المتلقي. والتشغيل المكثف للقالب التخيلي من أجل بناء "الفضاء الدرامي" انطلاقا من قراءته لنص المسرحية، كشرط لازم لتقبل القيم الإبلاغية الثابوية فيه<sup>(39)</sup>، ولذلك يمكن القول بأن النص -كرسالة مكتوبة منقطعة عن مؤلفها انقطاعا تقتضيه طبيعة الوضع التخاطبي- يحتاج إلى امتلاك القارئ لمقدرة نصية تخيلية لأجل اكتمال الرسالة الخطابية؛ والمتمثلة فيما يمكن أن يجره الحوار المسرحي معه من نظام إحالي يوزعه المؤلف بشكل مقصود على نقلات شخصيات المسرحية.

### 6.2.1.2. الوضعية التخاطبية: العرض/الجمهور المتفرج:

في الوضعية التخاطبية هذه، يتحول النص إلى باث ناطق، بعد أن يتم نقله من طرف المخرج والممثلين من الوضعية (1) إلى الوضعية (2)، حيث يبنى العرض عن طريق إنطاق النص المكتوب بواسطة الممثلين، وإرفاقه بالعناصر الإخراجية (الأزياء، الممثلين ومهاراتهم، الخلفيات، الاضواء)، حيث يعمل الممثل على حمل النص والحفاظ عليه ونقله عبر التحقيق الصوتي الأمين.

فيميز إذن، في الفضاء التخاطبي لهذا الوضع، تبعا لمعيار الأوضاع الخطابية السائدة، بين فضاء العرض في علاقته بالجمهور، من حيث هو فضاء تواصلية متجسد فعلا يعود أثره على الجمهور، وفضاء النص الورقي الذي ينحصر أثره على القارئ.

### 6.2.1.3. الوضعية التخاطبية: العرض المتحجر/المشاهد:

والمقصود بتحجير العرض تسجيله وفق وسائل التسجيل المعروفة بالمسجل السمعي البصري، "الكاميرا" تحديدا<sup>(40)</sup>. وهو ما يولد وضعية تخاطبية مخصوصة، تضم مرسلا ومشاهدا/متلقيا متأخرا عن العرض الفعلي زمانا. فهي وضعية تخاطبية يكون الباث فيها هو العرض المتحجر، والمنقول عبر وسائط سمعية بصرية إلى متلق هو المتفرج أو المشاهد.

وهذه الوضعية، تعد بمثابة امتداد للوضعية السابقة (2)، حيث إن سمة النقل فيها غير محدثة للتغيير، فهي تقوم بالتحجير فقط.

### 7. الوضعيات التخاطبية وتحليل الخطاب المسرحي:

تعد الوضعية التخاطبية، أحد المخرجات الإجرائية لمكون السياق في نحو الخطاب الوظيفي؛ فهي تشتق من السياق بمختلف مكوناته خاصة المقامية منه، وأما مفهومها - في سياق التحليل الإجرائي للخطاب الأدبي عموماً والخطاب المسرحي خصوصاً- فهو ما ينتج عن تعالق خطابي بين جملة من النقلات داخل مشهد مسرحي، بما يحتويه من عناصر إشارية ركحية تخص الشخصيات المتحاورة، انطلاقاً من المركز الإشاري، والطبقي، والسني، والسلمي لكل شخصية، هذه العناصر الإشارية هي ما يوجه نقلات الشخصيات، وما يتولد من مداخلتها من قيم خطابية ركحية (أي ذات انعكاس ركحي).

وأما ما يوطر الوضعيات التخاطبية، فجملة من المعايير، تحدد عددها وحدودها وعلاقتها في الخطاب المسرحي الواحد.

والوضعية التخاطبية الركحية -أي وضعية العرض المسرحي- هي وضعية محكومة بالمعاني والدلالات الإشارية الركحية، التي لا مناص من إدراجها كعامل في تحديد الوضعيات التخاطبية الممكنة، وتبعاً لذلك، تحديد الخصائص السطحية للبنية التحتية الخطابية لحوار العرض المسرحي.

علماً أن بنية العرض المسرحي تخضع لما يسمى بالانشطار إلى مجموعة من الوضعيات التخاطبية التي تتعدد داخل العرض؛ فقد يحتوي العرض الواحد على عدة مشاهد، أو فصول يتغير فيها المركز الإشاري (شخصيات/ممثلين، وخلفيات، وعناصر إشارية،...)، فيرافقه تحول في محور الخطاب جزئياً أو كلياً.

ويعد تحديد الوضعيات التخاطبية في العرض المسرحي بمثابة تقسيم للعرض، ومجالاً تتخصص فيه المراكز الإشارية، فتفصيل البحث فيها ضروري، بل لازم، لكشف ما يسفر عنه التعالق الحاصل بين بنية المراكز الإشارية للمتخاطبين وبين اختيارات المؤلف والعارض/المخرج، خاصة الاستراتيجيات التي يسلكها هذين الأخيرين، فتسم البنية التحتية (التداولية/الدلالية) على مستوى كل من فعل الخطاب ومكوناته، والنمط الخطابي وخصائصه.

### الخاتمة

حاول هذا المقال إضاءة جانبين مهمين من جوانب نظرية النحو الوظيفي، جانب التعريف بنموذجها الأخير وبمكوناته خاصة المكون السياقي، الذي أظهر أن النظرية النحوية أصبحت تولى أهمية كبيرة للسياق باعتباره موضع تحقق الخطاب إنتاجاً، وموضع يسمح بتأويله من خلال رصد المراكز الإشارية لكل عملية تخاطبية، مما يسهم في وصف وتفسير الخطاب انطلاقاً مما يقدمه السياق لمستعمل اللغة الطبيعية من



إمكانيات تسمح بإنجاح عملية التواصل والتي منها التواصل الفني المتعلق بالخطاب المسرحي.

أما بالنسبة إلى الجانب الثاني الذي تمت إضاءته في هذا البحث، فقد تبين فيه أن الكفاية الإجرائية ستجد ضالتها لا محالة إن هي أعملت المفهوم الإجرائي المشتق من السياق، وهو مفهوم الوضعيات التخاطبية بما تحويه من مراكز إشارية، والذي تم استثماره في الكشف عن تعدد للوضعيات التخاطبية، مما يوفر للمحلل اللساني فرصة اختيار الأدوات الإجرائية للتحليل وفق ما تدفعه إليه حاجة البحث لديه لاختيار واحدة أو أكثر من الوضعيات التخاطبية السالفة الذكر.

### الهوامش

1- ترجم عنوان النظرية من الإنجليزية بعبارة: "النحو الوظيفي الخطابي" من طرف اللساني المغربي عز الدين البوشيخي. ينظر: عز الين البوشيخي: نموذج مستعمل اللغة الطبيعية من النحو الوظيفي إلى النحو الوظيفي الخطابي. أعمال ندوة: المنحى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه. منشورات جامعة مولاي اسماعيل، كلية الآداب والعلوم الانسانية، مكناس، سلسلة الندوات عدد 20، 2009. ص ص 189.

2- سيمون ديك باحث هولندي، ولد في هولندا سنة 1940، درس في البداية اللسانيات اللاتينية في كلية الآداب بجامعة أمستردام التي شغل فيها منصب عميد، ثم النحو الوظيفي الذي يعد أول مؤسس لنظريته التي حملت هذا الاسم في كتابه الأول سنة 1978: 1978: Functional Grammar. North-Holland. Amsterdam. ثم أصبحت معروفة باسم نظرية النحو الوظيفي منذ سنة 1988 إلى اليوم، وقد توفي سنة 1995.

3- ينظر:

Hengeveld, Kees; Mackenzie, J. Lachlan: Functional Discourse Grammar: A Typologically-Based Theory of Language Structure. Oxford: Oxford (University Press (August, 2008).

4- الباحث Kees Hengeveld ، أستاذ بجامعة أمستردام (Amsterdam) بهولندا. والباحث J. Lachlan Mackenzie أستاذ بجامعة لسيون (Lisbonne.) بالبرتغال.

5 - ينظر:

Dik, Simon C .The theory of Functional Grammar; Part 2, Complex and Derived Constructions. [TFG2]. Berlin : Mouton de Gruyter. 1997

6 - ينظر:

J. Lachlan Mackenzie: Cognitive adequacy in a dialogic Functional Discourse Grammar, Language Sciences 34 (2012) 421-432

7- ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار

- الأمان، الرباط. ط1، 2006. ص.152
- 8 - ينظر: يحيى بعبيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي. رسالة دكتوراه مرقونة بمكتبة كلية الآداب واللغات، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2005-2006. ص 88.
- 9 - يحيى بعبيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي. ص88-98
- 10- محمد مليطان: نظرية النحو الوظيفي- دراسة في المصطلح والمعجم، رسالة دكتوراه مرقونة بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب 2011. ص ص 15-17.
- 11- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التتميط والتطور. الدار العربية للعلوم ناشرون (مع آخرين). بيروت. ط1. 2012. ص.30
- 12 - أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية و النمطية، دار الأمان، الرباط. ط1، 2003. ص.51
- 13 - ينظر: يحيى بعبيطيش: مرجع سابق. وينظر أيضا:
- CS Butler: Functional Theories of Language : Encyclopedia Of linguistics .2006. p 696
- 14- ملحوظة: لا يعني هذا التحديد التناكر لأول الاتجاهات الوظيفية في مراحل سابقة، كجهد (أعضاء حلقة براغ اللغوية) (Members of the Prague Linguistic) في الثلاثينيات من القرن العشرين، وخاصة ما جاء به جاكبسون في مجال دراسة وظائف اللغة، وفق منهج بين فيه عناصر عملية التحليل وهي: المخاطب، والمخاطب، والخطاب، ومقام الخطاب، وقناة التخاطب، ووضع الخطاب "CODE". وتتولد عن هذه العناصر وظائف هي: (الوظيفة المرجعية F.REFERENTIELLE ) (الوظيفة التعبيرية F.EXPRESSIVE) (الوظيفة الانتباهية F.PHATIQUE) (الوظيفة الإفهامية F.CONATIVE) (الوظيفة ما وراء لغوية F.META-LINGUISTIQUE) (الوظيفة الشعرية F.POETIQUE). وقد اعتبر جاكبسون الوظيفة التبليغية أهم وظيفة، أما باقي الوظائف فتتمحور حولها، لأنّ التبليغ هو الماهية الأولى للغة.
- 15- يحيى بعبيطيش: مرجع سابق. ص 30.
- 16- أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص ص 40 -41.
- 17 - أحمد المتوكل: مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي، دار الكتاب الجديد بيروت. 2009. ص ص 7-8.
- 18 - للإطلاع على النماذج يحال القارئ على كتب أحمد المتوكل ومقالاته. حيث يعد أول الباحثين العرب الذين انبروا لتقديم النظرية إلى العالم العربي لفترة تجاوزت الثلاثة عقود، أي منذ بُعيد تأسيسها إلى يومنا هذا.
- 19- ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي.
- 20 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط. الدار العربية للعلوم ناشرون (مع آخرين). بيروت. ط1. 2010. ص ص 16 – 44 .
- وينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 86.
- 21- أحمد المتوكل: نفسه، ص ص84-87.
- 22 - ينظر:

23- Hengeveld, Kees; Mackenzie, J. Lachlan: Functional Discourse Grammar. pp11-14.

23 - ينظر:

Hengeveld, Kees; Mackenzie, J. Lachlan: Functional Discourse Grammar: p11.

24 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص. 17

25 - ينظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، ص. 38

26 - ينظر: أحمد المتوكل: نفسه، ص. 38

27 - أحمد المتوكل: نفسه، ص. 37

28 - ينظر:

F. Cornicish .language Science 38 (2013) pp83-98. p.95

29 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص. 32.

30 - أحمد المتوكل: نفسه، ص. 33.

31 - ينظر:

Hengeveld, Kees; Mackenzie, J. Lachlan: Functional Discourse Grammar: p 50.

32 - أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية ، قضايا ومقاربات. ص. 53.

33 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص. 34

34- ينظر:

Hengeveld, Kees; Mackenzie, J. Lachlan: Functional Discourse Grammar: p 50.

35 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص. 32

36 - ينظر:

Michel Pruner: L'analyse du texte de théâtre. Armand Colin, paris, 2000. P83 .

37- فان دايك: النص والسياق. تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000. ص ص 228-225-282

38- للإشارة، فإن المؤلف قد يختار من الشخصيات ما يعبر بها عن رأيه الخاص فينطق على لسانها بما يعبر عن قناعاته وأفكاره الشخصية، وقد يظهر موقفه من خلال تغليب موقف شخصية أو عدة شخصيات على مواقف الآخرين.

39 - يميز في الخطاب المسرحي بين نص الخطاب، ونص خطاب العرض.

40- يتخصص العرض في هذا الوضع بصفة التحجر، الذي نتج عن فعل التسجيل السمعي البصري، كما يتخصص، أيضا، من حيث خصائص التسجيل الذي يستند على مبدأ التبئير، حيث يركز المصور دائما على المتكلم فيوجه إليه عدسة الكاميرا. من هنا، يأتي الفرق بين العرض المشاهد مباشرة أو العرض الحي والتسجيل، إضافة إلى أن التحجير هو تحجير لكل العرض بما فيه الجمهور الذي يرصد في شكل تجاوب صوتى.

كما يتقاطع هذا الوضع مع الوضع الأول (نص-قارئ)، من حيث الإمكانية التي يوفرها

التسجيل أثناء مشاهدة الشريط، بحيث يمكن للمتحصل على نسخة من التسجيل، أن يقدم أو يؤخر في الشريط أثناء المشاهدة تماما كما يفعل القاريء.  
ينظر: معجم المصطلحات السينمائية، ماري تيريز جورنو، تر: فائز بشور، جامعة باريس3، السربون الجديدة.

## الكتابة المتوسلة بلسان الحيوان في الثقافة العربية " في رمزية الخرافة وفياتها ومقاصدها "

### ملخص

انعكست العلاقة الوثيقة بين الإنسان العربي وحيوانات بيئته على عالمه النفسي، كما تجلت في إرثه الثقافي المتنوع منذ فترة مبكرة من تاريخه، ويوضح هذا المقال أن التوسل بلسان الحيوان ليس بالفن الجديد على الثقافة العربية، ولم يكن كتاب " كليله ودمنة" أول عهدا به ، ولقد بلغ هذا الفن ذروة سامقة في توظيف رمز الحيوان في السياقات الإنسانية المختلفة ومحاكاة قيمته الرمزية المتولدة عن تشاكله مع عالم الإنسان ، مما منح المبدع إمكانات تعبيرية أرحب لتحقيق المقاصد المختلفة.

أ. آمال فرفار

قسم الآداب واللغة العربية  
جامعة عنابة  
الجزائر

### مقدمة

**يعد** الحكي على لسان الحيوان جزء من تقليد ثقافي عرفته آداب العالم منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا ويلجأ المبدعون على اختلاف مقاماتهم من العامة، فلاسفة، متصوفة، أدباء، شعراء ... إلى هذا النوع الأدبي، لأن مستقبل الخطاب خاصا كان أم عاما عادة ما ينفرد مما يتكرر على أسماعه من مواعظ وعبر، فقدت بريق تأثيرها بحكم التعود وحدة الأسلوب المباشر، ولهذا فخرق المؤلف في صيغة إرسال الخطاب يجعله يسترجع سلطة التأثير، خاصة إذا كان الوسيط ممن لا يعقل ولا ينطق من أنواع حيوانات البر والبحر وأصناف الطيور والزواحف والهوام، فإذا بها مصدر الحكمة والمعرفة ولسان الأخلاق والفضائل، وهذا عين العجيب الذي تنتشر له الصدور

### Abstract

The close relationship between the Arab human and animals of his environment is reflected in his psychological world, and largely manifested in his diverse cultural heritage since the early period of its history. This article shows that animal spokesman is not a new art in Arab culture, the book " Panchatantra " first outdated him. This particular literature reached the peak heights of the art in the recruitment of the animal code in various humanitarian contexts and generated its symbolic value for correlation with the human world , giving creative potential for artists to express different purposes .

وتطرب له النفوس فتأمله العقول وقد يستقيم به السلوك. وقد تبوأ هذا الفن مكانة مرموقة في آداب الشعوب، لتميّزه عن سائر الأشكال التعبيرية الأخرى، فقد جمع بين المعقول واللامعقول وبين الحقيقة والخيال وبين الجد والطرافة وبين التسلية والتعليم، مع كل ما يزرخ به من طاقات إيحائية كثيفة منحته الخلود، وفي خضم الجدل حول الأمم الرائدة في هذا النوع الفني، والذي حصر التنافس بين اليونان والفرس والهند ومصر القديمة وبلاد الرافدين، فقد أردنا من خلال هذا البحث أن نؤكد أن التوسل بلسان الحيوان ليس بالفن الجديد على الثقافة العربية، ولم يكن كتاب "كليلة و دمنة" أول عهد العرب بهذا الفن إذ عرف قصص الحيوان في أمثال العرب وأساطيرهم وأشعارهم القديمة وقصصهم القرآني، وقصصهم الفني، كما بلغوا ذروة سامقة في استثمار طاقاته الفنية وإمكاناته التعبيرية الرحبة.

### أولا : الحيوان في الثقافة العربية:

ارتبطت حياة العربي بحياة الحيوان أليفة ووحشيه ارتباطا وثيقا، فقد كان الحيوان الأليف مصدرا للغذاء والدفيء من مسكن وملبس ومطية في السفر، ورفيقا في الغزو وحارسا أمينا، أو وحشيا: "...يرجى خيره أو يخشى أذاه، فيوسم بسمه القداسة وتكون له حرمة خاصة". (1)

وانعكست هذه العلاقة الوثيقة على صور عديدة من حياتهم، فقد سمو أبناءهم بأسماء الحيوان وخاصة الوحشي منه لما لتلك الحيوانات من دلالات القوة والذكاء والمكر والفتنة والسرعة... وغيرها من مثل: الصقر والهيثم والعقاب وعكرمة، وحيدرة وأسامة وهرثمة وهي أسماء للأسد، ونهشل وأوس ومعناها الذئب، ومن أسماء الهوام: حنش وجندب وذر وعلس وهو القراد والأرقم وهو الحية، كما سمو يربوعا وحسلا وضبعا وضبا، كما أطلقوا أسماء بعض الحيوانات على الأماكن مثل: دارة الذؤيب ودارة الغزيل ودارة العجلة ودارة الكبشات.

كما سمو بعض منازل السماء وبعض النجوم بأسماء الحيوانات مثل: السرطان والجدي والسماك. (2)

كما انعكست هذه العلاقة الوطيدة في أشعارهم وقصصهم وأساطيرهم وأمثالهم وفي كتابهم المقدس وفي كتبهم العلمية... وغير ذلك.

### 1- الحيوان في القرآن الكريم:

ذكر الحيوان في مواضع عديدة من آيات القرآن الكريم (3)، باعتباره آية من آيات الخالق في خلقه ومنافعه، أو باعتباره مرافقا للصالحين أو معجزة من معجزات الأنبياء أو شخصية من شخصيات قصصهم أو تصويرا لدوره الهام في حياة الإنسان عموما ومرافقه له في أطوار بناء الحضارة.

ولعل من أهم صور احتفاء القرآن بذكر الحيوان هو تسمية عدة سور باسم الحيوان وهي كالتالي: سورة البقرة، سورة الأنعام، سورة النحل، سورة النمل، سورة العنكبوت، سورة العاديات (الخيول)، وسورة الفيل.

وقد ذكر القرآن الكريم الحيوان في سياقات عديدة ونمثل بمثال لكل سياق – لضيق المقام- :

#### أ - سياق العقاب:

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (4)

#### ب - سياق التشبيه وضرب الأمثال:

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ۗ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (5)

#### ج - وصف خلق ذميم عند البشر:

وقال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (6)

#### د - التحريم:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمِ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (7)

#### هـ - ذكر عجائب و منافع الحيوان بصفة عامة:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (8)

#### و- معجزة من معجزات الأنبياء :

قال تعالى: ﴿قَالَ قِيْلَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾ (9)

#### ز - شخصية من شخصيات القصص القرآني:

قال تعالى: ﴿قَبَعَتْ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۗ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِي ۗ فَاصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (10)

#### والحيوانات التي تكلمت في القرآن الكريم هي :

أ - الهدهد (11): وقد كان الهدهد سببا سخره الله لإسلام أمة كاملة، أنقذهم من عبادة غير الله، فخلد ذكره في التاريخ بأن ارتبط اسمه باسم نبي الله سليمان، فيقال: "هدهد سليمان" (12)، وخلد ذكره في آيات القرآن.

ب - النملة (13) التي سمع سيدنا سليمان عليه السلام كلامها فأمر جنده من البشر والجن والوحش والطير أن يميلوا عن وادي النمل ويتقدموا، فخلدت كلماتها التي حذرت بها معسكر النمل آيات يتلوها المسلمون أثناء الليل وأطراف النهار. (14)

## 2- الحيوان في الأمثال العربية:

حفلت الأمثال العربية بتوظيف الحيوان، ويكفي أن نعود إلى أحد أهم مصادر الأمثال (15)، لنقف على هذه الحقيقة التي تؤكد على مدى العلاقة الوطيدة بين الإنسان العربي وعالم حيوانات بيئته، هذا العالم الذي ألفه العربي ومثل جانبا مهما من حياته، فانعكس على واقعه النفسي وإرثه الثقافي.

وفي تصفح لعدد هائل من الأمثال العربية (16)، وقفنا على كثافة حضور الحيوانات فيها بشكل لافت حيث شكّلت نسبة عالية من مجموع أمثال الكتاب، حتى أننا لا نبالغ إذا قلنا أن أكثر أمثال العرب مضروبة بحيوانات بيئتها أليفها ومتوحشها، أي الحيوانات التي رافقت العربي وخبر صفاتها وطباعها وتقرّس في أشكالها وأحوالها، وصارت هذه الصفات والطباع مثلا تقاس عليه سلوكيات البشر وتمثل بها أخلاقهم.

كما وقفنا أيضا على اختلاف نسبة حضور حيوانات على أخرى، فهناك مجموعة من الحيوانات يتكرر ورودها في الأمثال بشكل كبير وأهمها: الكلب والذئب، وهذا يؤكد مرة أخرى فكرة أن العربي اهتم بأكثر الحيوانات التي تشكل جزءا من مشهده واقعه وأكثرها ارتباطا به، فأجداهما الكلب الذي يمثل الحارس الأمين على ماله ومصدر عيشه من غنم وماعز.. وغير ذلك، والثاني يُعتبر العدو (الذئب) الذي يفتك بماله وأمنه ووجوده، وتلخص هذه الفكرة أمثال منها: "من خشي ذئبا أعد له كلبا". (17)

وتعددت الحيوانات المذكورة في الأمثال العربية، مع اختلاف نسبة ورود كل واحد، وكلها ارتبطت ببيئة الإنسان العربي، وأذكر معظم ما ورد في الأمثال: الإبل، الضأن، والظبي، البغل، الخيل، الأسد، الهر، الحمار، المعزاة، النمر، الثعلب، البقر، القرد... وغيرها.

ومن الطيور: الغراب، الصقر، الحمامة، الديك، الطاووس، الهدهد، الكروان، العقاب، الحبارى، النعام.

ومن الزواحف: الأفعى، الحرباء، الضب.



ومن الحشرات: النمل، الذباب، الجراد، الفراشة، البرغوث، البعوض، الخنفساء.  
ومن البرمائيات: السلحفاة والضفدع.  
ونذكر في الجدول التالي بعض الأمثال التي وردت فيها بعض هذه الحيوانات :

الحيوان	المثل
1- الجمل	- الجمل من جوفه يجتر. ص:206.
2- الحمار	- أصبح فيما دهاه كالحمار الموحول. ص:472.
3- الكباش	- عند النطاح يغلب الكباش الأجم. ص:580.
4- الخيل	- الخيل أعلم بفرسانها. ص:278.
5- العقرب	- تلذغ العقرب وتصيء. ص:148.
6- الأفعى	- أطول ذماء من الأفعى. ص:513.
7- الدواجن	- إذا صاحت الدجاجة صياح الديك فلتذبح. ص:73.
8- النعام	- أصح من بيض النعام. ص:484.
9- العقرب	- تلذغ العقرب وتصيء. ص:148.
10- الذباب	- أطفل من ذباب. ص:518.

وقد استعمل العربي أمثال الحيوان في كلامه لأغراض لا تختلف عن أغراض الأمثال عامة من بيان التشبيه والتمثيل بين الحالة الواقعة والمثل الذي يضرب فيها، فهي تغني السياق الذي توظف فيه جمالياً وبلاغياً ودلالياً، فنقل الصور الذهنية إلى صور حسية يقوي المعنى ويجعله أثبت في الذهن، كما أنه قول موجز يغني عن كلام

كثير، كما أنه مبني على التعريض، فالنفس بطبيعتها تنفر من النصح المباشر، وبذلك تتحقق الموعدة والعبارة.

### 3- قصص أمثال الحيوان: وضعت قصص الأمثال لتفسير الأمثال وهي:

(... قصص موضوع مصنوع متخيّل ناشئ عن اشتغال وتشغيل الإبداعية الجمعية والفردية...) (18) لأداء الوظيفة التي أريدت لها وهي تفسير المثل نصًا ومناسبة وظهورًا. (19)

أما ما وضع منها لتفسير أمثال الحيوان فقليل نذكر منه :

#### أ- قصة حكومة الضب بين الأرنب والثعلب :

قال الميداني : ( هذا مما زعمت العرب على ألسن البهائم قالوا : إن الأرنب التقطت ثمرة، فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت : يا أبا الحسل فقال : سميعا دعوت، قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلا حكمتما قالت: فاخرج إلينا، قال : في بيته يؤتى الحكم، قالت : إني وجدت ثمرة، قال: حلوة فكليها، قالت: فاختلسها الثعلب، قال: لنفسه بغى الخير، قالت: فلطمته، قال: بحقك أخذت، قالت : فلطمني، قال: حرّ انتصر، قالت: فاقض بيننا، قال: قد قضيت، فذهبت أقواله كلها أمثالا ) . (20)

#### ب - " لا أحب تخديش وجه صاحب"

و يضرب للرجل يريك من نفسه النصيحة ثم يغدر، (تزع العرب أن الثعلب رأى حجرا أبيض بين لصيين فأراد أن يغتال به الأسد، فأناه ذات يوم فقال: يا أبا الحارث، الغنيمة الباردة، شحمة رأيتهما بين لصيين، فكرهت أن أدنو منها، وأحببت أن تولى ذلك أنت، فهلم لأريكها، قال: فانطلق به حتى قام به عليه، فقال دونك يا أبا الحارث، فذهب الأسد ليدخل فضايق به المكان فقال له الثعلب: أردس برأسك، أي ادفع برأسك، قال: فأقبل الأسد يردد برأسه حتى نشب فلم يقدر أن يتقدم ولا أن يتأخر، ثم أقبل الثعلب [يخدشه] من قبل دبره، فقال الأسد ما تصنع يا ثعلبة؟ قال: أريد لأستنتذك، قال فمن قبل الرأس إذن، فقال الثعلب: لا أحب تخديش وجه صاحب). (21)

وقد جمع الميداني قصص هذه الأمثال في كتابه، وحرص على تصديرها بصيغة "روي عن العرب" أو "تزع العرب" أو هذا "مما زعمت العرب على ألسنة البهائم"، وهذا ما يؤكد أنها أصول من وضع المخيال الجمعي العربي.

### 4- قصص الحيوان في الشعر العربي القديم:

حفلت قصائد الشعراء القدامى بحضور الحيوان (فالشعر العربي وبخاصة البدوي منه قد تحدث عن الحيوان حديثا طويلا، تحدث عن الأنيس منه ولم يهمل الوحشي بل أشرك بين هذا وذاك...). (22)

فإذا بالحيوان يعكس العالم النفسي للشاعر، فنجده يحس ويتألم ويشعر بالغبرة والحنين ويبيكي الفراق والبعد، وقد ناجى الشعراء (...النوق والخيل والحمام والظباء ووحش الفلاة ومخاطبتهم اليوم والغربان في شؤم نعيها المنذر بخراب الديار وتصدع الشمل وفراق الأحبة...) (23)، وقد تعددت نماذج محاوره الشعراء للحيوانات (24)، ومنها ما نجده في دالية الشاعر "أبي صخر الهذلي" في رثاء ابنه "تليد" وقد عبر عن لوعته لفراقه من خلال محاورته لحمامة سألته عن "ساق حر" وهو الفرخ الذي هلك من قديم، وتقول الأسطورة إن الحمام تبكيه في هديلها وتنوح عليه، وسألها الشاعر عن ابنه "تليد" ومن أبيات القصيدة:

تجهنا غاديين فساءتني      بواحدةها، وأسأل عن تليد  
فقلت لها: فأما ساق حرّ      فبان مع الأوائل من ثمود  
فقلت: لن ترى أبدا تليدا      بعينك آخر الدهر الجديد  
كلانا ردّ صاحبه بيأس      وأشجان وتأميل بعيد (25)

كما قص الشعراء على لسان الحيوان أعجب القصص وأبلغ الحكم والعبر، مثلما نجده في في رائية النابغة الذبياني، الذي أورد في سياق الشكوى والعتاب قصة الحية " ذات الصفا " ليعبر عن غضبه من لؤم " بني مرة " وتحالفه عليه وعلى قومه جورا وغدرا، ومطلع القصيدة:

ألا أبلغا ذبيان عني رسالة      فقد أصبحت عن منهج الحق جائرة

فاستدعى قصة المثل " كيف أعدوك وهذا أثر فأسك "، فشبّه ما حدث بينه وبين " بني مرة"، بما لاقته حية " ذات الصفا " من حليفها، يقول:

وإني لألقى من ذوي الضغن منهم      وما أصبحت تشكو من الوجد ساهره  
كما لقيت ذات الصفا من حليفها      ما انفكت الأمثال في الناس سائرة

وخالصة قصّة " ذات الصفا " أن أخوين كانا في إبل لهما وقد أجدبت بلادهما وكانا قريبين من واد خصيب تحميه حية، فأراد أحد الأخوين أن يأتي الوادي لترعى فيه الإبل، ورغم تحذير أخيه إياه من الحية لم يأبه وهبط الوادي ورعى إبله زمانا، فنهشته الحية وقتلته، فقرر أخوه أن يأخذ بثأره من الحية فيقتلها أو يتبع أخاه، فلما لقيها وهمّ بقتلها عرضت عليه الصلح مقابل أن تعطيه كل يوم ديناراً، وتسمح له بالنزول إلى الوادي، فوافق بعد أن حلف لها وأعطاه الموائيق بأن لا يضرّها ". (26)

فقلت له أدعوك للعقل وأفيا      ولا تغشيني منك بالظلم بادره  
فواتقها بالله حين تراضيا      فكانت تريه المال غباً وظاهره (27)

فلما كثر ماله ما أغناه، ذكر أخاه فلم يطب له العيش وهو ينظر كل يوم إلى قاتل أخيه، فعمد إلى فأس ثم قعد لها منتظرا فلما مرّت ضربها ولكنه أخطأها فدخلت

جرها، أما الفأس فوقعت في الجبل فوق جحرها وأثرت فيه، ومنذ تلك الحادثة قطعت الحية عنه الدينار. (28)

فلمّا توفى العقل إلا أقله	وجارت له نفس عن الحقّ جانرة
تذكر أنّي يجعل الله جنّة	فيصبح ذا مال ويقتل وائره
فلما رأى أن ثمر الله ماله	وأثل موجودا وسدّ مفاقره
أكبّ على فأس يحدّ غرابها	مذكّرة من المعاول باتره
فقام لها من فوق حجر مشيد	ليقتلها أو يخطئ الكفّ بادره
فلما وقاها الله ضربة فأسه	وللشرعين لا تغمض ناظره (29)

فلما خاف شرّها وندم على نقض العهد، عرض عليها أن ينسبها ما فات، ويتوثقها من جديد فرفضت الحية وقالت: " كيف أعاودك وهذا أثر فأسك " (30) ، وكذلك قبر أخيه، فهذين الأثرين سيذكرانها دائما بما حدث. (31)

فقالتم يمين الله أفعل إنني	رأيتك مسحورا يمينك فاجره
أبى لي قبر لا يزال مقابلي	وضربة فأس فوق رأسي فاقره (32)

وهي قصيدة تصف تمكن الضغائن والأحقاد من النفوس، مما يقود إلى الغدر وخيانة العهد، وهو ما يفسد صفو العلاقات ويشيع فيها البغض والعداء والقطيعة.

لقد وظف الشاعر قصص الحيوان في شعره قصص الحيوان في شعره (.. على سبيل" التمثيل" أو ضربا من" القياس"، فيكون القصد" الحجاجي " فيه واضحا والغاية الإقناعية معلنة غير خفية، ولأن حيز الشعر ضيق بمساحة البيت المحدودة.. وكل القيود اللغوية والعروضية.. فإن القصة الحيوانية تميل إلى الاختزال والبساطة على مستوى الأحداث والشخوص والحبكة وتقنيات القص من وصف وسرد وحوار.. (33).

لكن رغم بساطة القصة الحيوانية في الشعر إلا أنها استطاعت أن تتمثل المواقف والآراء، فأكسبت النص الشعري من خلال رمز الحيوان طاقة دلالية قادرة على التأثير والإقناع، كما أكدت على البعد الإنساني العميق فيها.

## 5- ملاحم الحيوان :

وتجمع بين نوعين فنيين ( الملحمة وخرافة الحيوان)، وتتحرر ملحمة الحيوان من العناصر الفنية التي تقوم عليها الملاحم الكلاسيكية أو التاريخية أو العلمية أو الملاحم

الفلسفية والدينية باستثناء عنصر النفس الملحمي الذي يدرجها ضمن هذا النوع، ومن أشهرها:

#### - رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان لإخوان الصفا :

وهي واحدة من أشهر الرسائل التي وضعها إخوان الصفا خلال القرن الرابع للهجرة، وتلخص فلسفة ومعارف الآخرة وعلوم إخوان الصفا التي ضمنوها رسائلهم الأخرى، وتعرض أفكارهم في الخلق والتكوين، كما تحاول تأريخ العلاقات بين الإنسان والجن لغاية ظهور الإسلام، وتمثل أنموذجا لملمحة الحيوان لاشتمالها على جل العناصر الشكلية والموضوعية التي يتميز بها هذا النوع الفني، وتجسد الملمحة ثراء في شخصياتها من حيث الكم والنوع ما بين سبعين رجلا من الشخصيات الإنسانية، أما العدد الأكبر فهو من الشخصيات الحيوانية ما بين حيوانات مفترسة وأليفة وحيوان البحر والحشرات وأكثرها من الطيور بأنواعها، كما ضمت شخصيات من الجن، وتعرض مواضيعها التي أشرنا إليها من خلال قضية فلسفية أمام محكمة بكل أركانها من ادعاء واتهام واستجواب ومرافعات ودفاع ... وغير ذلك.

و يبدو تأثرها بفن خرافة الحيوان جليًا وبكتاب "كليلة ودمنه" بشكل خاص من ناحية البناء الفني، والتشابه في أدوار الحيوانات، كما وردت شخصية " كليلة " أخو "دمنة " في هذه الرسالة الملحمية، ويشير فاروق سعد إلى سبب عدم تصريح إخوان الصفا بتأثرهم بكتاب "كليلة ودمنة"، كونهم تأثروا به من الناحية الشكلية لا غير، لا من ناحية أفكارهم وفلسفتهم وأرائهم التي شرحوها في رسالتهم.(34)

#### - منطق الطير للشاعر الصوفي فريد الدين العطار (545هـ\_627 هـ):

وهي ملحة حيوان صوفية في قالب شعري قصصي بلغت (4650 بيتا ) تحكي رحلة الطيور بقيادة الهدد إلى السيمرغ (وهو الطائر الخرافي الوحيد بين طيور الرسالة ورمز به إلى ملك قوي وهو عند الفرس بمثابة العنقاء عند العرب)، بجبل قاف ولم تصله إلا بعد التغلب على مشاق اجتياز الوديان السبعة، فظفرت بالبقاء بفنائها فيه، وقد مثل فريد الدين العطار فيها بأهل العرفان ورياضتهم الشاقة للارتقاء من مقام إلى مقام للوصول إلى المقام السابع في طريقهم للفناء في الحق، والاطلاع على الحقيقة (627هـ)، وقد تأثر العطار "برسالة الطير" لكل من ابن سينا والغزالي، كما اتفق مع رسالتي "الغفران " لأبي العلاء المعري، و"التوابع والزوابع " لابن شهيد في منطق الرحلة. (35)

#### 6- توظيف الحيوان في القصص الفني :

انحدر جنس الأدب على لسان الحيوان إلى مدونة التراث الأدبي العربي عن طريق الترجمة، ويعدّ ابن المقفع (ت142هـ) مترجم كليلة ودمنة مؤسساً لهذا الجنس الجديد، ذلك أن حكايات الحيوان قبل كليلة ودمنة في تراثنا الأدبي العربي كانت إما شعبية فطرية مفسرة لبعض مظاهر الكون أو لبعض صفات الحيوان وطبائعه، أو شارحة لما سار بين العامة من أمثال، أو ما جاء في كتب العهد القديم أو القرآن الكريم أو ما هو متصل بالمعتقدات القديمة، وكلها كانت تروى شفاهاً إما نثراً أو شعراً وما عدا هذا فمتأخر عن كليلة ودمنة ومتأثر به (36) إذ تبوأ كتاب "كليلة ودمنة" مكانة متميزة في مدونة الأدب العربي، وعد نصاً تأسيسياً لجنس الحكاية على لسان الحيوان، وقد أحدث صدًى واسعاً وتأثيراً بعيد المدى على امتداد تاريخ تلقيه، وتعود شهرة الكتاب إلى عدّة عوامل أهمها براعته في الترجمة وتمكنه من اللغة العربية، ثم إلى طبيعة هذا الجنس الأدبي الفنية القابلة للانتشار وتجاوز الحدود. (37)

وكتاب "كليلة ودمنة" هو أوّل كتاب أدبي في موروثنا الحكائي، انتقل بقبصص الحيوان من المرحلة الشفاهية (الفولكلورية) عند العرب إلى مرحلة الكتابية (الأدبية)، ومن هنا تتجلى قيمته التاريخية والفنية معاً، باعتباره أول كتاب قصصي في تاريخ الأدب العربي مجموع في صعيد واحد منخصص في فن سردي واحد هو قصص الحيوان الرمزية الأليغورية". (38)

لكن التراث الشفهي الذي سبق المرحلة الكتابية، عدّ من العوامل المهمة التي هيأت سياقاً مناسباً احتضن هذا الجنس الوافد عن طريق الترجمة.

وقد فاقت ترجمة ابن المقفع النص إلى العربية ما سبقها من ترجمات من حيث شهرتها وقيمتها الفنية وانتشارها شرقاً وغرباً، ومن خلالها تعرف طلاب المعرفة وعلماء الأخلاق والسياسة وقراء الأدب على هذا النوع الفني على مر العصور.

والحكاية الإطارية التي تحوي الكتاب بجميع أبوابه، من البداية حتى الخاتمة هي قصة الملك الهندي المستبد "دبشليم" الذي طلب من حكيمه الفيلسوف "بيدبا" رأس البراهمة أن يؤلف له خلاصة الحكمة بأسلوب مسل، فكان كتاب "كليلة ودمنة" الذي يرمي إلى إصلاح الأخطاء وتهذيب العقول وكل ذلك على لسان "كليلة ودمنة" وهما اثنان من حيوانات ابن أوى، لقد جلس بيدبا من دبشليم مجلس شهرزاد من شهريار، ولم يتركه إلا كما تركته وقد ارتدع عن ظلمه وجهله واستبداده، وصار عادلاً ومنصفاً عاقلاً كما ورد في قصة تأليف الكتاب وقد ذكرها ابن المقفع في مقدمة كتابه.

وسنّ ابن المقفع منهجاً جلياً يمكن أن يسلكه كل قارئ للنصوص التي تتوسل بلسان الحيوان، فقال: (... أن يعرف الوجوه التي وضعت له والرموز التي رمزت فيه، وإلى أي غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم وأضافه إلى غير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالاً، فإن قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني ولا أيّ ثمرة يجتني منها ولا أيّ نتيجة تحصل له من مقدّمات ما تضمّنه هذا الكتاب، وإنّه إن كانت

غايته منه استتمام قراءته والبلوغ آخره دون تفهم ما يقرأ منه لم يعد عليه شيء يرجع إليه نفعه). (39)

أما سبب ترجمة ابن المقفع له، فلا تختلف عن سبب تأليفه في أصله وهو نصح الملوك ووعظهم، وقيل إنه أراد به وعظ الخليفة المنصور لما رأى من شدته وبطشه واحتكامه إلى السيف في شأن كثير من الناس، لقد وصف ابن المقفع بكل دقة ما يجري في بلاط الملوك والساسة من دسائس ومكائد وصراع بين الأهواء السياسية والمصالح المتضاربة.

لم يكن ابن المقفع في "كليلة ودمنة" مترجماً بالمعنى الدقيق للكلمة ولا مؤلفاً خالصاً، فقد أعاد إنتاج هذا النص بروح عربية إسلامية، "لقد تصرّف في أسلوب السرد ومعانيه بما يتوافق والذوق العربي" (40) أسلوب عكس طريقته المميزة في النثر الفني أو ما يعرف "بمدرسة ابن المقفع"، كما يرى بعض الدارسين بعد المقارنة الحديثة بين نص كليلة ودمنة والأصل الهندي، أن ابن المقفع أضاف بنى قصصية تربو على النصف مغايرة للأصل الهندي.

وقد أثرت الترجمة العربية بدورها في الفارسية الحديثة، حيث عرفته الآداب العالمية باعتباره إبداعاً قصصياً عربياً بعد ضياع أصوله الهندية والفارسية والسريانية منذ القرن الرابع الهجري، فأصبح كليلة ودمنة على حسب ترجمة ابن المقفع له أصلاً لكل ترجمة في اللغات الأخرى لهذا الكتاب. (41)

فإذا كانت الهند صاحبة الفضل في إنشاء هذا القصص، فإلى الثقافة العربية يرجع الفضل في وصول هذه القصص إلى العالم.

- وقد تناصت عدة إبداعات مع "كليلة ودمنة" تصريحا وتضمينا، سواء تزامنت مع كتاب كليلة ودمنة أو تلتته فإنها جميعها تأثرت به وحاكلته.

ومن أشهر من نسج على منوال كليلة ودمنة نثرا نذكر:

حجة الدين هاشم محمد بن أحمد بن زعفر (568هـ) في كتابه "سلوان المطاع في عدوان الأتباع" (42)، وألف عبد السلام بن أحمد غانم المقدسي المعروف بشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام (ت678هـ) كتاب "كشف الأسرار عن حكم الأطيوار والأزهار" (43)، ولعل آخر كتاب وضع نثرا في الأدب العربي القديم على نمط كليلة ودمنة كتاب "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" لأحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي (مرزبان نامة). (44)

أما من حاكى "كليلة ودمنة" شعرا، فنذكر منهم علي بن داود، وبشر بن المعتمر، وأبو المكارم أسعد بن خاطر (45)، كما نظمه القاضي الأسعد بن مماتي المصري

(ت606هـ) لصالح الدين الأيوبي، وكذلك عبد المؤمن بن الحسن الصاغاني من أهل القرن السابع الهجري، فنظم كتابا على مثاله "كليلة ودمنة" أسماه "درر الحكم في أمثال الهنود والعجم" وجمال الدين النقاش من أدباء ق 9هـ. (46)

ولعل أشهر هؤلاء الشعراء هو "أبان بن عبد الحميد اللاحي" (ت200هـ) حيث صاغ "كليلة ودمنة" شعرا في نحو أربعة عشر ألف بيت لم يصلنا منها إلا نحو سبعين بيتا فقط، وقد رواها الصولي في كتابه "الأوراق". (47)

وقد سار على نهجه ابن الهبارية (ت504هـ)، ولاسيما في اختيار الرجز والقافية المزدوجة، (48) وهو من أشهر من نظموا قصص الحيوان في الأدب العربي .

#### ثانيا : مقاصد التوسل بلسان الحيوان :

المؤولون لدلالة الحيوان فريقان فهناك من يمنحونه معنى ثابتا، يقول الجاحظ: ( وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الإنسان بالقمر والشمس والغيث والبحر وبالأسد والسيف وبالحية والنجم، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حدّ الإنسان، وإن ذموا قالوا: هو الكلب والخنزير وهو القرد والحمار[...] وهو الجمل والقُرْثبي، ثم لا يدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسمائهم ولا يخرجون بذلك الإنسان إلى هذه الحدود والأسماء). (49)

وهناك معنى متحول بحسب مقاصد المتخاطبين والسياق الذي وظف فيه، يقول الجاحظ في الحمار مثلا: ( وللناس في مدحه وذمه أقوال متساوية بحسب الأغراض). (50)

لكننا في الأعمال الفنية الأدبية نتحدث عن محاكاة القيمة الرمزية التي يمثلها كل حيوان (...كل خطاب ينطق به حيوان يكون مطابقا للموقع الذي يحتله هذا الأخير في مجمع الحيوان، والدور الذي يلعبه فيه فيختلف دور الأسد عن دور ابن أوى أو الثعلب أو التمساح وتلك تصاغ حسب الموقع الذي يحتله في قمة التراتب الحيواني، فيندرج سلوكه في إطار الدور المبرمج المخصص له مسبقا: تستهدف المحاكاة الطريقة التي يجب أن يتصرف بها ويعبر بها، والنتيجة هي استنساخ نمط قد حُددت سماته بصورة نهائية). (51)

توظّف الحيوانات في السياقات الإنسانية المختلفة لتعبر عن نماذج إنسانية متنوعة، بكل صفاتها العقلية والخلقية لبلوغ مقاصد نقدية وسياسية واجتماعية وفكرية ولغوية وأدبية... وغير ذلك.

ونستشهد ببعض الحيوانات قصد توضيح مفهوم الحيوان والأنموذج الإنساني ووظائفه، من خلال الجدول التالي :



الحيوان	الأنموذج الإنساني	الصفات العقلية والخلقية	المقصد
الذئب	صديق ماهر ومخادع، الإنسان الشرير، الإنسان الذكي في الاحتيال والتلاعب.	الغدر، الرغبة في التملك، عدم الوفاء بالعهد.	نقد ثقافة الاستبداد والظلم ونقد الطبائع التي تستبيح الوسائل من أجل الغايات.
النمر	الملك المتجبر المستبد	الشراسة والبخل، وضيق الخلق، قوة السلطة.	
الثعلب	الإنسان العاقل المجرب، الداهية الحكيم، الخبير، الإنسان الماهر، الذكي	الذكاء ورجاحة العقل وبعد النظر، المكر والحيلة.	تصوير دقائق العلاقات الإنسانية والاجتماعية، تصوير الدسائس والخطط والمؤامرات.
الحمار	الرعية المتعبة المغلوبة على أمرها الفقيرة الذليلة.	الطيبة، الذلة، والمسكنة	شكوى المحكومين من جور الحكام وظلم القواد.
الثعبان	أديب خطيب ماهر، طيب، الإنسان غير المسامح، المرأة الغاوية، عالمة الفقيهية، رمز قوى الشر، رمز الانبعاث، رمز الخطيئة، رمز إخصاب الفكر.	الشر، الدهاء، القوة، الحقد، العلم، الغواية، الحكمة.	التعبير عن الظلم والحقد، الحض على الوفاء بالعهد ومؤازرة الأخ ظالما أو مظلوما، دليل على علم العلماء، التعبير عن فتنة المرأة، اللذة، الغواية، التعبير عن الحكمة والحياة، عقاب المذنبين، التعبير عن قوى الشر في المسيحية، انبعاث الحياة.

وقد وظفت النماذج والمقاصد الموضحة في الجدول في العديد من المؤلفات التراثية (52)، ولكن هذه الحيوانات قد تظهر وتتكلم في سياق مقاصد أخرى.

### ثالثا : فنيات الاستعارة المثلية ( الخرافة ) و وظائفها :

والخرافة هي الجنس الذي يقترب من الاستعارة الخالصة، فالتوجه المزدوج سمة جوهرية فيها " فالخرافة مركبة بصورة تتيح قراءتين مختلفتين، قراءة غير واعية لا تذهب أبعد من ظاهر القول، وقراءة واعية تخترق المعنى الأول، وتبلغ إلى حيث تتألق شعلة الحكمة، هاتان القراءتان بعيدا عن أن تتعارضوا، فإنهما تتكاملان تهيئ الأولى للثانية، والقارئ الذي لا يبلغ الغاية ويتوقف في المرحلة الأولى هو كما أن رجلا لو أتى بجوز صحاح في قشوره لم ينتفع به حتى يكسره ويستخرج ما فيه". (53)

إنه المعنى الكامن في حديث الحيوان، والذي يرمز إلى شيء خارجه، إنه لعبة الظاهر والباطن، لعبة الحضور والغياب، حيث يجب تغييب المعنى الأول للانتقال إلى المعنى الثاني، " فالمعنى الأول ينزع إلى الإمحاء كلياً [...]". (54) ليبرز المعنى المجازي الموازي لمعنى القصة السطحي والمتزامن معه في الوقت نفسه، هذا المجاز يجعل من الشخصيات الحيوانية والمشاهد والأحداث تشير إلى ما يناظرها سياسيا أو اجتماعيا أو دينيا، (فما القصة الحيوانية إلا استعارة تمثيلية لحالة إنسانية، والكل يدرك أن الطاقة الحجاجية في الاستعارة متأتية بالأساس من قدرتها على التقريب بين عنصرين من نظامين مختلفين - وهنا نظام حيواني وآخر إنساني - مع محاولة جاهدة لطمس ما بينهما من فروق وذلك خلافا للمقارنة التي تجري عادة بين عنصرين من نظام واحد ) (55) ، فمن خلال علاقة الشبه التي تربط حالاً بحال ضمن استعارة كبرى، تمرر حكاية الحيوان القيمة العلمية أو الأخلاقية المقصودة للمتلقي على اختلاف مستوياته.

**- وظائفها :** توفر قصص الحيوان بما فيها من دلالات رمزية إمكانات تعبيرية أرحب للمبدع وفضاءات أفسح للتأويل للمتلقي، ويمكن حصر وظائف الكتابة المتوسلة بلسان الحيوان في :

- الوظيفة السياسية : لقد توسلت الخرافة بلسان الحيوان لتواري خلاف ما تظهر، والخوف من بطش السلطان وقمع السلطة يدفع الأديب إلى تعويض البشر بالحيوانات التي تضطلع بمهمة النقد السياسي، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن نشأة فن الخرافة يرتبط بالسياسة، فهي تظهر في عصور الاستبداد وتهدف إلى إقامة التوازن بين المحكومين وحكامهم.

- الوظيفة الفنية ويرتبط بها أيضا مقصد التسلية والمتعة:تعلو الوظيفة الشعرية في الخرافة، إذ يتواشج الجمال مع الإقناع لاعتمادها على المجاز وتكثيف المعنى من طريق الرمز والإيحاء، وإنطاق ما لا ينطق، فنقدم للقارئ عالما فوق-طبيعي خيالي ممتع، وأحداث مشوقة تستميل الأذهان وتستأثر بالألباب، فتحرك العاطفة وتستفز العقل للتفكير .

الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية:إن الحكمة جوهر حكاية الحيوان قد تستهدف سلبيات الفرد وأمراض المجتمع، فتنوجه إليهما بغاية الوعظ والإصلاح، فتدعو إلى المبادئ

والمثل والقيم التي من المفروض أن تكوّن أخلاق الفرد فتنعكس على الحياة الاجتماعية بصفة عامة.

- الوظيفة التعليمية: لعنا لا نبالغ إذا قلنا أن الغرض التعليمي هو أحد الأغراض الثابتة في الحكاية المتوسلة بلسان الحيوان إن لم تكن جوهرها، حيث تعد الخرافة أحد مصادر تعليم اللغة والتدريب على الأساليب الأدبية، وتنمية الخيال وصقل الذوق الفني، فالقصة الحيوانية من أهم طرق تبسيط المعرفة، وضرب من ضروب النصح والوعظ والتفكير، والتعليم بالمشابهة والمحاكاة وضرب المثل من أفضل سبل التعليم لأنه يبتعد عن صرامة المعنى المباشر وحدته، فبقدر ما يحوي هذا القصص من التشويق والمتعة بقدر ما يقدم من مواضيع معرفية وعلمية ولغوية

وختاماً نخلص إلى أن العرب عرفت الكتابة المتوسلة بلسان الحيوان في فترة مبكرة من تاريخها ومن البدايات البسيطة إلى مرحلة من النضج؛ جعلت منه نوعاً أدبياً قائماً بخصائصه الفنية المتميزة وجليلاً بمقاصده الدلالية العميقة، تأثر بما لدى الأمم الأخرى و أثر فيها، وأسهم بمادة قصصية على لسان الحيوان أغنت التراث الإنساني على امتداد العصور.

#### هوامش المادة العلمية:

- 1 - محمد عجبنة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار محمد علي للنشر - دار الفارابي، ط2، صفاقس - بيروت، 2005، ص.277.
- 2 - المرجع نفسه، ص 278.
- 3- في أكثر من 140 آية من آيات القرآن الكريم.
- 4- سورة الأعراف، الآية 133.
- 5 - سورة الحج، الآية 73.
- 6 - سورة لقمان، الآية 19.
- 7 - سورة المائدة، الآية 3.
- 8 - سورة النحل، الآية 66.
- 9 - سورة الشعراء، الآية 31-32.
- 10 - سورة المائدة، الآية 31.
- 11 - سورة النمل، الآية 20-28.
- 12 - ينظر في قصة الهدد كاملة:

- أحمد بهجت: قصص الحيوان في القرآن، دار الشروق، ط4، القاهرة- بيروت، 2000، من ص ص 120-136.
- 13- سورة النمل، الآية 18-19.
- 14- ينظر في قصة النملة:
- أحمد بهجت : قصص الحيوان في القرآن، ص ص 138-146.
- 15- مجمع الأمثال وأيام العرب في الجاهلية و الإسلام، للميداني.
- 16- يقول الميداني: "وسميت الكتاب مجمع الأمثال لاحتوائه على عظيم ما ورد منها، وهو ستة آلاف ونيف، والله أعلم ما بقي منها، فإن أنفاس الناس لا يأتي عليها الحصر ولا تنفذ حتى ينفذ العصر".
- مقدمة مجمع الأمثال وأيام العرب في الجاهلية والإسلام، تدقيق: أحمد علي حسن، طارق الأشهب، مكتبة الآداب، مج 1، ط1، القاهرة، 2011، ص11.
- 17- المرجع نفسه، ص 929.
- 18- فرج بن رمضان، الأدب العربي القديم ونظرية الأجناس- القصص، دار محمد علي الحامي، ط1، صفاقس، تونس، 2001، ص 163.
- 19- ينظر: المرجع نفسه، ص 164.
- 20- الميداني، مجمع الأمثال، مج 2، ص 647.
- 21 - المرجع نفسه ، مج 2، ص ص 839-840.
- 22- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ج1، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط3، بيروت - لبنان، 1969، ص 18.
- 23- أبو العلاء المعري، الصاهل والشاحج، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1984، ص38.
- 24- ومنها محاوره الشاعر النجاشي (ت40هـ) المخضرم، والفرزدق (ت110هـ) الشاعر الأموي للذئب.
- 25 - أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص257.
- 26- الميداني، مجمع الأمثال، ص 730.
- 27- النابغة الذبياني ، الديوان، تحقيق وشرح : كرم البستاني، دار صادر، بيروت، دت، ص 69.
- 28- الميداني، مجمع الأمثال، مج 2، ص 730.

- 29- النابغة الذبياني ، الديوان، ص ص 70 - 74.
- 30- يضرب لمن لا يفي بالعهد، مجمع الأمثال، مج 2، ص730.
- 31- المرجع نفسه ، مج 2، ص730.
- 32- النابغة الذبياني ، الديوان، ص 75.
- 33 - سامية الديردي ، أدب الحيوان عند العرب قص وحجاج ،( كلية ودمنة لابن المقفع، النمر والثعلب لسهل بن هارون، الصاهل والشاحج للمعري، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الطرفاء لابن عربشاه )، مركز النشر الجامعي، تونس، 2012، ص09.
- 34- ينظر، فاروق سعد، إخوان الصفا، تداعي الحيوانات على الإنسان، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط3، بيروت، 1983، ص ص 14-26.
- 35- ينظر : حسين جمعة، من القواسم المشتركة بين الأدبين العربي والفرسي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، ع94، دمشق، 2005.
- 36- غنيمي هلال ، الأدب المقارن، دار العودة و الثقافة ، ط5 ، بيروت ، دب ص184.
- 37- ينظر: فرج بن رمضان، الأدب العربي القديم ونظرية الأجناس، القصص، دار محمد علي الحامي، ط1، صفاقس ، تونس2001، ص117.
- 38- محمد رجب النجار، النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابة، فنونه، مدارسه، أعلامه، ط1، الكويت ، 1996 ، ص 256.
- 39- المرجع نفسه، ص32.
- 40- بديع محمد جمعة، دراسات في الأدب المقارن، ص 192.
- 41- ينظر: عبد الرزاق حميدة، قصص الحيوان في الأدب العربي، مكتبة الأنجلو المصرية د. ت، ص 135.
- وكذلك: محمد رجب النجار، النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابة، ص258.
- وكذلك: غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 187.
- 42- محمد رجب النجار، النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابة، فنونه، مدارسه، أعلامه، ص 264.
- 43- ينظر المرجع نفسه ، ص264.
- 44- ينظر: المرجع السابق، ص265.
- 45- غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص ص 184 - 187.

- 46- عبد الرزاق حميدة، قصص الحيوان في الأدب العربي، ص: 137. وغنيمي هلال، الأدب المقارن، ص187.
- 47- حسن محسن، الشعر القصصي، دار النهضة العربية، ط1، القاهرة، 1980، ص19.
- 48- ينظر : غنيمي هلال ، الأدب المقارن، ص ص 184- 186 .
- 49- الجاحظ، الحيوان، ج 8، ص 211 .
- 50- المرجع نفسه، ص ص238-251.
- 51- كليطو، عبد الفتاح، المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشراوي، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط2، المغرب 2001، ص 108.
- 52- نذكر على سبيل المثال:
- إخوان الصفا، الرسائل، ج2، تحقيق: بطرس البستاني، ج2، ر9، دار صادر، بيروت، 1957، ص ص 215-271.
- أبو العلاء المعري ، رسالة الصاهل والشاحج، ص ص 180- 181.
- الميداني ، مجمع الأمثال ج2، ص 145 .
- أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران، ص367.
- الجاحظ ، الحيوان ،ج6، ص 125 .
- 53- كليطو، عبد الفتاح، المقامات: السرد والأنساق الثقافية، ، ص108.
- 54- تودوروف، تزفيتان، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة : الصديق بوعلام ، دار الكلام ، ط1 ، الرباط ، 1993 ، ص ص 89-146.
- 55 - سامية الدريدي ، أدب الحيوان عند العرب قص وحجاج، ص 107 .

## مصطلحات مفتاحية للسانيات الحاسوبية عرض مفاهيمي وصعوبات التناول

### ملخص

يسعى الباحث في هذا المقال إلى عرض بعض المفاهيم الرئيسية هي بمثابة مفاتيح مدخلية إلى اللسانيات الحاسوبية ، إذ كثيرا ما يجهل بعض الباحثين والأساتذة المتخصصين في حقل الدراسات اللغوية هذا المجال المعرفي المعقد والمتشاك الذي يعتمد الحاسوب في معالجة البيانات والمعلومات اللغوية .

ويحاول الباحث في الأخير عرض الصعوبات والتحديات التي تواجه اللسانيات الحاسوبية ، من ذلك مشكلة السياق التي تُعد مشكلة عالقة أو مرجأة إلى حين ، فالسياق ليس له ضوابط تضبطه كالنحو والصرف ، ولا يسعنا أن نقوم برصد كل المواقف اللغوية التي نعيشها ونحدد لها أداءات لغوية تناسبها ، فاللغة خلقة تستجيب لمستلزمات الموقف والموقف لا يمكن التنبؤ به إذ هو محكوم بعوامل كثيرة من خارج اللغة .

أ. شعيب محمودي

قسم الآداب واللغة العربية  
جامعة قسنطينة 1  
الجزائر

### Abstract مقدمة

**يرى** علماء الحاسوب أو الحاسوبيون أن الارتقاء الحقيقي لحواسيبهم الآلية لا أمل فيه ما لم تستطع تلك الآلات محاكاة أو مراهة وظائف الذهن اللغوية (1) وبذلك تكون الأبحاث المتعلقة بمجال اللسانيات الحاسوبية قد ركزت اهتماماتها على تفسير كيفية اشتغال العقل البشري في تعامله مع اللغة معرفة واكتسابا واستعمالا. ومن ثم سعى الحاسوبيون واللغويون إلى ربط العلاقة بين اللسانيات والمعلومات. من هذا المنطلق تسعى هذه المقالة إلى تقديم عرض لبعض المفاهيم الرئيسية لتكون بمثابة مفاتيح مدخلية نلج من خلالها للسانيات الحاسوبية . إذ كثيرا ما يجهل بعض الباحثين والأساتذة المتخصصين في حقل الدراسات اللغوية هذا المجال المعرفي المعقد والمتشاك

This article exposes some key concepts to computational linguistics, for many researchers and teachers of linguistics ignore this field of knowledge known by its complexity and involvedness , since it is based on computer in treating linguistic data and information. One major difficulty is the problem of context which is suspended or delayed to another term, since this context has no exact rules like grammar , we are not able to detect all linguistic situations that we live , then , we define for each adequate linguistic performances , because of the nature of language which is creative and obeys to situational conditions . Besides, this situation is unexpected and relies on many extra linguistic factors.

الذي يعتمد الحاسوب في معالجة البيانات والمعلومات اللغوية .

**اللسانيات والتكنولوجيا المعلوماتية :** " ضرورة الالتقاء وميلاد اللسانيات الحاسوبية "

بلغ التطور التكنولوجي ذروته بسبب التقدم الرهيب الذي حققه العلم في بناء أجيال متطورة من الحواسيب ، وقد كان لهذا التطور أن يكتسح مجالات الحياة كلها ، وأن يعمل على تجديد النظر العلمي، وتحديث الأساليب التي يطبقها العلماء في ميادين العلم المختلفة .

فكان من الطبيعي أن تتأصل وتتوثق الصلة بين اللغة والحاسوب، وذلك لسبب أساسي هو كون اللغة تجسيدا لما هو جوهري في الإنسان أي نشاطه الذهني وتجلياته، في الوقت نفسه الذي يتجه فيه الكمبيوتر نحو محاكاة وظائف الإنسان وقدراته الذهنية (2).

ولكن لا أحد يستطيع القول أن العمل هنا يضاهي العمل هناك ، غير أنه من المؤكد أن أوجه التشابه كثيرة بينهما ، ما جعل الحاسوب يتفوق على كل الابتكارات العلمية السابقة، بل إن الإنجازات العلمية والتكنولوجية اللاحقة كلها ما كانت لتتال هذا الحظ الوافر من الوجود لو لم يكن الحاسوب قد عمل على حل الكثير من مشكلاتها المعقدة وتجاوز عقباتها.

وقد كان جليا لدى العلماء من البداية أن نقطة الالتقاء بيننا وبين الإبداعات التي يقدمها الحاسوب هي اللغة التي يتعامل بها الحاسوب وبها نتعامل معه . من هذا المنطلق توجهت أنظار العلماء إلى الاستفادة من ديناميات اللغات الإنسانية في بناء النظام اللغوي للحاسوب، وقد أدى هذا إلى ولادة فرع من فروع اللسانيات هو علم اللسانيات الحاسوبية ( Computational Linguistics ) .

### مصطلحات مفاتيح :

#### 1/ اللسانيات الحاسوبية : مفهومها .

لعلّ اللسانيات الحاسوبية أحدث فروع اللسانيات ، إن لم نقل أهم هذه الفروع جميعا في زمن يتعاطم فيه الاهتمام بالآلة والتقنية (3). واللسانيات الحاسوبية مجال معرفي لغوي يعتمد الحاسوب في معالجة البيانات والمعلومات اللغوية (4). وهذا العلم كما يقول نهاد الموسى " نظام بيئيّ ؛ بين اللسانيات وعلم الحاسوب " (5) ينتسب شطره الأول إلى اللسانيات وموضوعها اللغة ، وشطره الآخر حاسوبي وموضوعه ترجمة اللغة إلى رموز وعلاقات رياضية يفهمها الحاسوب ، أو تطويع اللغة الطبيعية لتكون لغة تحاور مع الحاسوب بما يفضي إلى أن يقوم الحاسوب بكثير من الأنشطة اللغوية التي يؤديها الإنسان (6).



وللسانيات الحاسوبية مكوّنان : جانب نظري والآخر تطبيقي .

أمّا النظري (أو اللسانيات الحاسوبية النظرية) فتنناول قضايا في اللسانيات النظرية ؛ تتناول النظريات الصورية الشكلية للمعرفة اللغوية التي يحتاج إليها الإنسان لتوليد اللغة وفهمها<sup>(7)</sup> .

وأمّا التطبيقي فيُعنى بالنتائج العملي لنمذجة الاستعمال الإنساني للغة<sup>(8)</sup> ، وهو استثمار النظريات الصورية للمعرفة اللغوية ، وتطوير تطبيقات حاسوبية تتناول اللغة الطبيعية تحاكي فيها الفعل اللغوي عند الإنسان وهذا الفعل نوعان : تحليل وتركيب .

التحليل يراد به الفهم ، والتركيب يعني الإنتاج أو التوليد .

وأمّا منتهى الغاية التي تنشدها اللسانيات الحاسوبية فهي أن نهبيء للحاسوب كفاية لغوية تشبه الإنسان حين يستقبل اللغة ويدركها ويفهمها ثم يعيد إنتاجها .

والكفاية اللغوية هنا هي المؤدّي الضمني لمفهوم تشومسكي ، وهي تتألف على المستوى النظري من<sup>(9)</sup>

**أولاً : استدخال قواعد اللغة العربية في نظامها الصوتي ،** وأنساقها الصرفية ، وأنماط نظمها الجمالية ، وأنحاء أعرابها ، ودلالات ألفاظها ، ووجوه استعمالها وأساليبها في البيان ، وأحكام رسمها الإملائي .

وبيان ذلك أنّ لكل لغة نظمها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية الخاصة التي تتأسس على قواعد يكتسبها الناطق باللغة على نحو غير واع ، ويؤديها بتلقائية . ومن أمثلة ذلك من اللغة العربية :

ففي النظام الصرفي مثلاً يعرف العربي الأبنية الصرفية للاسم والفعل ، وما هو مشترك بينهما ، ويعرف أبنية اسم الفاعل واسم المفعول واسم المكان ، فإذا التبتت الأبنية الصرفية استعان بالسياق ليفض اللبس .

وفي النظام النحوي يعرف قواعد إعراب الأسماء والأفعال والحروف ، ويعرف قواعد تركيب الجملة الاسمية ، وتركيب الجملة الفعلية ، وما يعرض لكل واحدة منهما من امتدادات من الشمال أو اليمين .

وفي الدلالة يعرف معاني المفردات المعجمية، ويستعين بالسياق ليزيل الالتباس بين الألفاظ المشتركة. وكذا القول في النظام الأسلوبي والهجائي. وهذه القواعد اللغوية متناهية مهما بلغ عددها.

**ثانياً : إنتاج عدد لامتناه من الأداءات اللغوية الصحيحة ،** فبالرغم من أن بناء اللغة على قواعد محدودة ، إلا أننا نستطيع أن نوّلد من هذه القواعد عدداً غير محدود ولا معدود من الأداءات اللغوية . وهذا ما عرّفته العرب بـ "القياس والتمثيل" وعرّفه تشومسكي بـ "اللاتناهي" :

مثلاً من الصرف :

يُصاغ اسم المكان من الثلاثي على وزن (مَفْعَل) ، إلا أن يكون مكسور العين في المضارع (يَفْعَل) ، ولكنه يسعنا أن نصوغ وفقاً لهما عدداً غير متناه من أسماء المكان في العربية ، وإنما يشبه هذا البناء قالبا نصباً فيه اللبّن ، القالب واحد وعدد اللبّن غير متناه .

مثلاً من النحو :

تنبني الجملة الفعلية العربية على الهيئة التالية :

فعل ثم فاعل (إن كان الفعل لازماً)

فعل ثم فاعل ثم مفعول به ( أول وثان وثالث إن كان الفعل متعدياً)

وأما ترتيب هذه العناصر فثمة مرونة في التقديم والتأخير محكومة بقواعد وجوبية وأخرى جوازية ، وغيرخاف أنّ هذه الأنماط الفعلية محدودة مهما تزايد عددها ، ولكننا ننتج أونوّد من هذه القواعد المحدودات عددا لايتناهى من الجمل :

صافح عليّ صديقَه	نزل المطرُ
تناول محمدُ الطعامَ	نامَ عليّ
وجدَ عليّ الحاسوبَ مفيداً	أقبلَ الليلُ

ثالثاً : مرجع في تمييز الخطأ من الصواب (10)

ويتشكل هذا المرجع من قواعد النظام اللغوي العربي الذي اكتسبه الناطق ، فيصير هذا النظام مرجعه الذي يحتكم إليه في ردّ ما يرد عليه من أخطاء وسقطات . وذلك بتفسير الخطأ ثمّ تصويبه بالعودة إلى القاعدة يعرفها .

فإن كتب أحدهم : كتب الطالبُ الدرسَ

صوّبناه بقولنا : إنّ الدرسَ منصوب لوقوع الفعل عليه .

وإن قال أحدهم : سبّرتُ عليك كثيراً

عدنا إلى معجمنا المختزّن من أنّ (السبّر) لا يكون في هذا السياق وإنما القصد (صبرت).

رابعاً: (11) ومن تمام الكفاية اللغوية كفاية تواصلية أن يستخدم اللغة وفقاً لمقتضيات السياق (سياق المقام وسياق المقال) كما قالت العرب قديماً : لكل مقام مقال. والناطقون الأصليون بلغة ما يميزون هذا باكتساب اللغة عرفياً وذلك أنهم يميزون ما ينبغي قوله من موافق معينة ، فلا يضل عنهم أنّ التعزية تقتضي عبارات خاصة ، وللتهنئة عبارات خاصة ، ... الخ

هذه هي الكفاية التي تتأتى للإنسان بالسليقة ، وتُهدَّب بالمران والدربة والتتقيف . فكيف يكون للحاسوب وهو جهاز أصمّ مثل ما يكون للإنسان ؟

## 2/ الوصف والتوصيف:

مبلغ القول أنّ الوصف للإنسان ، وأنّ التوصيف للحاسوب وهو يقابل الحدس عند الإنسان ، فلإنسان حدس وليس للحاسوب حدس ، ولإنسان فهم وليس للحاسوب حتى الآن فهم (12).

وبيان الفرق بينهما يتمثل في أنّ وصف العربية هو ما وقع للعلماء العرب من قواعد استنبطوها من الأداء اللغوي الواقعي أو الفعلي بالإضافة إلى ما يتحصل من معرفة بالحدس والسليقة والخبرة المعرفية والتتقف والعرف اللغوي والمقام (13).

وأما التوصيف فهو الوصف اللغوي المجرد ، تضاف إليه كل الاحتمالات التي ليس بمقدور الحاسوب أن يتعرّف عليها ، من ذلك المقولات التي تعتمد في تأويلها الدلالي على السياق ومعرفة العالم الخارجي...

وهذه أمثلة عربية نسوقها توضح لنا المقصود: (14)

إذا سمع العربي جملة : دخل موسى المستشفى، فإنه يحلل هذا التركيب إلى عناصره ، ويعرف علائقه ، فيحصل لديه الفهم .

فإذا سمع جملة : دخل المستشفى موسى ، أدرك مباشرة أنّ موسى هو الفاعل مع تأخره ، ولم يحتج إلى بيان أنّ المستشفى لا يصحّ أن يكون فاعلا في هذا التركيب . أمّا الحاسوب فإنه يحتاج إلى قائمة من البيانات المعجمية حول كلّ كلمة وردت في الجملة حتى يدرك أنّ المستشفى لا يدخل موسى .

وإذا سمع المتعلّم (الواو) في مثل :

عادَ المسافرُ وأهله .

عادَ المسافرُ وأهله نائمون .

عادَ المسافرُ والغروب .

عرف أنّ الواو في الأولى(عاطفة) وفي الثانية (حالية) وفي الثالثة (للمعية) معوّلا على مرجع (الحدس) يكون دليله إلى (الفهم) وإقامة (الفرق) .

أمّا الحاسوب فهو محتاج إلى ثبوت من القرائن الإضافية والبيانات الضافية حول كل مفردة في الجمل إلى جانب عيار مستوفى للواو يعيّن معناها في كل جملة ويدلّ على الفرق بين كل واو وغيرها في هذه الجملة .

## 3/ الحدس :

الحدس ميزة عقلية يستطيع بها الإنسان أن يتلمس الصلة بين ما هو كائن ، وما ينبغي أن يكون ، ولو كانت هذه الصلة إدراكا مباشرا ليس له مرجعية ذات إحساس ،

لكان من السهل علينا القول : إنّ الحاسوب له حدس . فالحاسوب يعمل وفق ما صُمم له من برامج من غير إحساس ولا شعور، فهو يدفع بما يُدفع به إليه .

من هنا لم تكن قدرة الحاسوب على الحدس كذلك التي عند البشر، ولذلك ليس من المتوقع أن يكون الحاسوب قادراً على تقدير الأمور ووضعها في نصابها ، إلاً بمقتضى حدود البرمجة ، وهي حدود حسية معلومة .

#### 4/ الذكاء والذكاء الاصطناعي :

##### تعريف الذكاء وتحديد مظاهره :

مما لا شك فيه ، أنّ الذكاء هو خصيصة من الخصائص المميزة للبشر. حيث إنّه حصيلة جملة من القدرات كالفهم والابتكار والتعبير. إنّهُ بعبارة أخرى ملكة الفهم عند الإنسان فهم الأشياء والتعريفات المختلفة، بضبط الدلالة وتوضيح الأفكار والمعارف والقيام بالاستنتاج والاستدلال والتفسير والتحليل والتذكر وتحديد الأهداف ورسم الخطط وحل المشكلات وإدراك العلاقات. وعلى الرغم من التعقيدات التي أحاطت بالدراسات المتعلقة بماهية الذكاء ، فقد وضعت تعريفات عامة له مستندة إلى هذه القدرات المنسوبة إليه. فهذه التعريفات كما يقول الدكتور أحمد عزت راجح، تعريفات متداخلة حيث إنها تجمع كلها حول مرونة التكيف للذكاء، كما في اعتبار "بيني" الفرنسي الذي يلخص ذلك في أربع قدرات هي: الفهم والابتكار والنقد والقدرة على توجيه الفكر في اتجاه معين واستبقاؤه فيه مثل تنفيذ أوامر عدة متتالية الواحدة تلو الأخرى.

إنّ الذكاء ليس عملية عقلية معينة فقط كالاستدلال والتذكر أو التعلم ، بل إنه عملية شاملة أو قدرة عامة تؤثر في جميع العمليات العقلية بنسب متفاوتة . بعبارة أخرى، إنه جوهر النشاط العقلي كله . فهو يظهر في جميع تصرفات الفرد وأوجه نشاطه مع وجود استعدادات نوعية إلى جانبه.(15)

##### تعريف الذكاء الاصطناعي :

إذا كان من الصعب تحديد مصطلح الذكاء الطبيعي الإنساني والحيواني تحديداً جامعاً مانعاً، كما يعتقد علماء النفس المعرفي الذين يكتفون فقط بالاتفاق على تحديد بعض مظاهره، فإنّ الذكاء الاصطناعي كعلم حديث ذو خلفيات ومرجعيات علمية متعددة، له هدف واحد واستراتيجية أساسية هي فهم ملكة الذكاء لدى الإنسان ، حتى يستطيع الحاسوب استيعاب المعرفة والمعلومات الإنسانية. ويعتبر الذكاء الاصطناعي فرعاً من المعلومات يقوم بإعادة إنتاج بعض مظاهر الذكاء الإنساني من إدراك للعلامات اللغوية وغير اللغوية وفهماها واستيعابها وتخزينها ثم إنتاجها واستخدامها في ظروف جديدة . ويختلف العلماء في تعريف الذكاء الاصطناعي ، فالبعض ينظر إليه كأحد العلوم التطبيقية ويحدد الهدف الرئيس له بجعل الحاسوب الآلي أكثر ذكاء ، ثم فهم الذكاء الإنساني وجعل الحاسوب أكثر نفعاً للإنسان . بينما يعرفه آخرون بأنه دراسة القدرات العقلية الإنسانية من خلال بناء برامج للحاسوب تحاكي هذه القدرات . ويوضح

هذا التعريف الأخير أنهما ينظران إلى الذكاء الاصطناعي بوصفه علما يسعى لتفسير ظاهرة طبيعية إنسانية وهي ظاهرة الذكاء الإنساني ذات البعد الرمزي في جوهرها (16).

### صعوبات ومشاكل التناول :

تواجه اللسانيات الحاسوبية كثيرا من التحديات ، فعلى الجبهة اللغوية يمكن تلخيص هذه التحديات في مشكلتين أساسيتين :

- فوضى المصطلحات وقصورها .
- قصور البحوث والمراجع العربية .

#### أ/ فوضى المصطلحات وقصورها :

يعاني مجال اللغة والحاسوب على السواء فوضى المصطلحات ، ويكفي أن نستدل على ذلك ببعض المصطلحات العربية لرأسي موضوع اللسانيات الحاسوبية ذاتهما: كلمتي Computer/Linguistics مرادفات عربية لترجمة مصطلح (Linguistics) : اللسانيات، اللغويات، الألسنية، علوم اللسانيات، علم اللغة، علم اللغة الحديث، الدراسات اللغوية .

مرادفات عربية لترجمة مصطلح (Computer) : حاسوب، حاسب آلي، حاسب إلكتروني، دماغ إلكتروني، حاسبة آلية، حاسبة إلكترونية، نظامة، رتابة، حسابة، كمبيوتر (17).

#### ب/ قصور البحوث والمراجع العربية :

تفتقر المكتبات العربية في مجال الدراسات اللغوية الحديثة . وتندر البحوث اللغوية المتعمقة، وبخاصة تلك التي تطبق نتائج النظريات الحديثة للسانيات، أما على مستوى مراجع الحاسوب العربية فلا يتجاوز المتوافر منها كتب المبادئ ، وتعلم لغات البرمجة ...

أما إذا انتقلنا إلى اللسانيات الحاسوبية ذاتها ، فنسجد معظم البحوث باللغة الإنجليزية يغلب عليها طابع فني يركز على الأمور المتعلقة بالمعالجة الآلية للحروف إدخالا وإخراجا، وقليلاً منها يناقش بعض الأمور المتعلقة بالصرف العربي ، ورغم ندرتها لا يوجد حصر دقيق لها (18).

أما على المستوى المنهجي الإجرائي فإن معالجة اللغة العربية كباقي اللغات الطبيعية ليس بالأمر اليسير ، بل ذلك يتطلب مجموعات وفرق بحث متخصصة في الميدان متكاملة التصور هندسيا واضحة من حيث المعلم والمناهج الإيستيمولوجية .

إضافة إلى أنّ أغلب الأنظمة الذكية المجربة على اللغات الطبيعية حتى الآن لم تسلم من مشاكل وعقبات سواء على المستوى المنهجي أو الوصفي الصوري للغة المعالجة بحيث إنّ لغتنا العربية علاوة على ذلك هي ذات خصوصية معقدة باعتبارها تنتمي

للغات الإعرابية ولذلك يجب التعامل مع ظواهرها بحذر، مع أنّ مظهر خصوصية النظام اللغوي هو الأشدّ جلباً للتجريب ومحاولة الوصول إلى نتائج مرضية وإيجابية تصلح لبناء الأنظمة الآلية . كما نؤكد صعوبة الفضاء الحاسوبي لدقته من جهة ، ولزنبقية دلالة اللغة من جهة أخرى .

ومن المشكلات العالقة أو المرجأة إلى حين ، مشكلة السياق وإن كانت هناك محاولات لتحديده وضبطه ؛ فالسياق ليس له ضوابط تضبطه كالنحو أو الصرف ، ولا يسعنا أن نقوم برصد كل المواقف اللغوية التي نعيشها ونجرّد لها أداءات لغوية تناسبها ، فاللغة خلّاقة تستجيب لمستلزمات الموقف ، والموقف لا يمكننا التنبؤ به ، إذ هو محكوم بعوامل كثيرة من خارج اللغة كالعلاقة بين المشاركين في الحدث التواصلية ، وأحوال الطقس ، والظروف السياسية ، وموقع التحدث... الخ .

### هوامش المادة العلمية :

- 1- بلقاسم اليوبي " اللسانيات الحاسوبية : مفهومها وتطورها ومجالات تطبيقاتها" ، مكناسة : مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مكناس ، العدد 12، 1998، ص 44 .
- 2- نفسه ، ص 46 .
- 3- وليد أحمد العناتي " اللسانيات الحاسوبية العربية: رؤية ثقافية " ، فكر ونقد ، العدد 82 ، أكتوبر 2006 ، ص 27 .
- 4- بلقاسم اليوبي ، المرجع السابق ، ص 46 .
- 5- نهاد الموسى ، العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية ، ص 53 .
- 6- وليد أحمد العناتي ، المرجع السابق ، ص 27 .
- 7- نهاد الموسى ، المرجع السابق ، ص 54 .
- 8- نفسه ، ص 46 .
- 9- وليد أحمد العناتي ، المرجع السابق ، ص 28 .
- 10- نفسه ، ص 29 .
- 11- نفسه ، ص 30 .
- 12- العربية نحو توصيف جديد، ص 69 .
- 13- اللسانيات الحاسوبية العربية ، مرجع سابق ، ص 30 .
- 14- نهاد الموسى ، مرجع سابق، ص 30.
- 15- عز الدين غازي " الذكاء الاصطناعي : هل هو تكنولوجيا رمزية ؟ " ، مجلة فكر للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 06 ، 2008 ، ص 45 .
- 16- نفسه ، ص 49 .

- 17- نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب ، تعريب 1988، ص ص 18- 19 .  
18- نفسه ، ص ص 19-20 .

## غموض المصطلح في كتابات محمد السعيد الزّاهري ( بين اليهودية والصهيونية أنموذجا )

### ملخص

شاع الكثير من المصطلحات السياسية والدينية والأدبية في كتابات رواد الحركة الوطنية الجزائرية في النصف الأول من القرن العشرين، وهذه المصطلحات مازال الكثير منها في حاجة ماسة إلى وقات جادة لبيان ماهيتها وأبعادها في سياقها التاريخي والسياسي والاجتماعي الديني ومنها: الصهيونية واليهودية والإسرائيلية التي ترددت في فني الرسالة والمقالة عند محمد السعيد الزاهري. وتحاول هذه المقالة الموسومة بـ (غموض المصطلح في كتابات محمد السعيد الزّاهري (بين اليهودية والصهيونية أنموذجا) إزالة الغموض الذي اكتنف تلك المصطلحات.

أ . عبد الكريم طيبش  
المركز الجامعي - ميله  
الجزائر

### Abstract

In the first half of the twentieth century, many political, religious and literary terms have been widely popularized in the writings of the Algerian National Movement's pioneers. A lot of these terms remain in need of serious consideration to designate their essence and dimensions in their historical, political and socio-religious context. Such terms include Zionism, Judaism and Israelism that have been frequently repeated in Mohammed El-Saeed El-Zahri's art of letters and essays. The present article explores these terms and concepts in Mohammed El-Saeed El-Zahri's works (Judaism and Zionism as a model) in order to eliminate the ambiguity that surrounds them.

### مقدمة

**يرصد** هذا البحث بعض نشاطات الصهيونية من خلال فنين من فنون النثر الأدبي الجزائري الحديث، هما: فنا المقال والرسالة، وقد لعب هذان الفنان دورا كبيرا في مقاومة الشعب الجزائري للكثير من الهجمات الشرسة - الداخلية والخارجية العربية والإسلامية - تعرض لها هذا الشعب، ومنها نشاطات بعض الجمعيات اليهودية في الشمال الإفريقي، والتي تفاعل أعضاؤها مع تصريحات زعماء اليهود في العالم، الداعية إلى ضرورة تخليص أرض الميعاد من أيادي العرب والمسلمين. وتبشير)، (كانت الطبعة الأولى بـ (المطبعة السلفية) بالقاهرة 1926م، والثانية بـ ( مطبعة

الاعتدال) بدمشق 1933، والثالثة بـ (دار الكتب) بالجزائر 1983 م(4).



## إرهاصات الاهتمام بمشكلة فلسطين لدى رواد الحركة الوطنية

### قضية ضياع فلسطين:

نستعرض في مقالنا هذا ما تعرضت له فلسطين من إشكال مع اليهود في القطر الجزائري وذلك قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها بقليل من خلال فكر كل من الزاهري وعمر راسم في مقالين ورسالة تم نشرهما في صحيفة البرق الزاهرية.

نشر المقال الأول بعنوان: (الصهيونية)، في العدد 20، الاثنين 24 جويلية 1927 م. ص 2/1. أما المقال الثاني فكان بعنوان: (أين تذهب أموالنا) وتم نشره في العدد 15، بتاريخ 20 جوان 1927 م. ص 1. في حين نشرت الرسالة في العدد 11 جويلية 1927 م. ص 3/2. بعنوان: (رسالة مفتوحة إلى المعلم فريدمان رئيس الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي).

تُعدّ جريدة (البرق) الزاهرية التي أشرنا إليها وثيقة تثبت بأن رجال الأدب والفكر في الجزائر كانوا يتابعون أحداث العالم العربي والإسلامي، ويتفاعلون معها بكتاباتهم الشعرية والنثرية على حدّ سواء.

وقد أعلن محمد السعيد الزاهري في فاتحة هذه الجريدة - وهو أحد أبرز كتابها - أن خطة هذه الرصيفة الأسبوعية تشمل في مقاومتها: المحتل الفرنسي وأعوانه من شيوخ الطرقية وشخصيات جزائرية عميلة، كما صرّح في إحدى نقاط هذه المقدمة أنه يجتهد في أن تكون تلك الجريدة صوتا للأمة العربية والإسلامية. ومن كتاباته في هذه الجريدة المعبرة عن موقف الجزائريين إزاء ما يجري من أحداث عالمية، مقال بعنوان: (الصهيونية)، بين من خلاله الخطر الداهم على الأمة الإسلامية. وقد اعتبره السعيد الزاهري خطرا حقيقيا ورزءا جلا ليس على فلسطين وحدها بل على سائر البلاد الإسلامية.

لقد أدلى السعيد الزاهري بدلوه في قضية الصهيونية قبل الحرب العالمية الأولى، وحذر من وعد بلفور المشنوم، وبذلك يكون - في اعتقادنا - أول شخصية أدبية جزائرية في تاريخ الحركة الوطنية بعد الشيخ راسم تنبّه إلى أطماع اليهود في العالمين العربي والإسلامي، ولم يسبقه (في هذه المسألة غير الشيخ راسم) (5).

لقد انتقد الأديب السعيد الزاهري عبر جرائد تونس أولا - يوم أن كان طالبا بالزيتونة - كل الذين لم يحركوا ساكنا إزاء تصريحات اليهود المناهضة للمسلمين، ومنهم باي تونس. وقد أشار إلى ذلك في مقال بعنوان: الصهيونية، فقال: (وقد انتقدت قبل الحرب على باي تونس، وعلى صحافي تونس الذين نشروا بارتياح وشماتة ما كان يقول الراهب أمام الباي أيام الاحتفالات من الأدعية بإنقاذ وطنه الذي كان تحت سيطرة المسلمين وكان لا يكلمه إلا بالعبرانية) (6). وكما تدل العبارة السابقة على رجاحة عقل الزاهري المبكرة، وإدراكه المتقدم لأهمية المسائل الكبيرة والمصيرية للأمتين العربية والإسلامية، فهي تدل أيضا على استشرافه لمستقبل القضية الفلسطينية - القريب منها

والبعيد - في ظل ضعف الشعوب العربية والإسلامية من ناحية، وولاء أغلب قياداتها السياسية والكثير من نخبتها المثقفة للمحتل الأوروبي.

ونظراً لتأثر محمد السعيد الزاهري بمواقف عمر راسم فقد أورد في مقدمة المقال فقرة طويلة - اقتبسها مما كتبه عمر راسم - ويعتبر أنذاك في مقدمة رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر - في جريدته "ذو الفقار" نقلاً عن مجلة "المنار" التي كان يصدرها محمد رشيد رضا مع تعليق على موقف القائمين عليها - حول مسألة الصراع المحتدم بين الأمة الإسلامية والفكر اليهودي الصهيوني. ويدل هذا التعليق على نضج مواقف الحركة الوطنية الجزائرية في النصف الأول من القرن العشرين، كما يعتبر النقل الحرفي للفقرة على الأمانة العلمية من ناحية وعلى التطابق التام بين وجهات نظر النخبة الوطنية الجزائرية ومواقفها قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها في قضية صراع الأمة الإسلامية مع اليهود. وما اقتباس محمد السعيد الزاهري في مقاله: (الصهيونية) في سنة 1927م لتعليق عمر راسم حول نظرة المنار سنة 1914م إلا دليل على ما ذهبنا إليه.

وحتى نقف على موقف كل من الأدبيين لا بد من العودة إلى مقتطفات من المقال الذي نشرته مجلة المنار.

جاء في مجلة "المنار" العبارة الآتية: (يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين: إما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونية على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد إن أمكن... ) (7).

وكان رد عمر راسم سريعاً بقوله: (هذا خطأ فاحش من صاحب "المنار" لأنه يريد أن يرضي الدخلاء بتنازل أهل البلاد إليهم، حتى يعترفوا لهم بالمساواة) (8).

ويستمر عمر راسم في تعليقه بعد عرضه للأمر الثاني برأي منه سياسي حصيف صريح وذلك لخطورة عاقبة الأمة العربية لما دعت إليه مجلة "المنار" من تسامح وتصالح، وإمكانية الاتفاق على الجمع بين مصالح العرب والصهاينة في أرض فلسطين (إن اتفاق زعماء العرب أبناء الفاتحين وأهل البلاد مع زعماء اليهود مستحيل، لأنه اعتراف بزعامة اليهود، ورضا بمشاركة هؤلاء الأجانب في بلاد اشتراها آبائهم بدمائهم الطاهرة، فلا يحق لغير العرب وهم أبناء إبراهيم الأصفياء الأركباء الموعودون بتلك البقعة المطهرة، أن يملك تلك الأرض، ولا لغير راية الإسلام أن تخفق عليها ما دام في عروق العرب دم، وفي أجسام المسلمين روح مسلمة، وليعلموا أن أنساق الدولة العثمانية، وانفصال (بلغاريا) و(صربيا) و(طرابلس) وتنازعها الداخلي، كل ذلك مقدمة لاستقلال (فلسطين)، ونتيجة أعمال اليهود بواسطة أوروبا، وهم من جهة وسانسهم من جهة أخرى. وإن استمر الحال على ما هو عليه بقيت دولة الخلافة تحت سلطة "كارصو"\*\*\*\* وهو الذي خلع عبد الحميد. ورئيس حزب الاتحاد يهودي صهيوني وجاويد. و"حقي" بائع طرابلس لأخيه "لوزاتي"، فلا شك أن تقع

الدولة في مخالاب اليهود يوما ما، ولا يكفيها حينئذ لنجاتها لا الست مدرعات التي أوصلت عليها ولا العشرون. فيجب عليها الانتباه، وعلى أبناء العرب العمل<sup>(9)</sup>.

لئن كان هذا موقف عمر راسم الصريح والمستغرب لرأي مجلة "المنار" المعبرة عن رأي المسلمين في المشرق العربي، فإن السعيد الزاهري - بعد أكثر من عقد كامل من الزمن - أعطى صورة أكثر وضوحا لحقيقة ما يجري في الجزائر من نشاطات بعض زعماء اليهود، وحذر من خطورة الوضع، ونجمل ذلك فيما يأتي:

- كل ما أشار إليه عمر راسم وحذر منه قبل الحرب العالمية الأولى، أصبح من المسائل الوقتية، من تظاهر اليهود بمبادئهم صراحة وعلى مرأى وسماع من الشعوب العربية والإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة الإسلامية سنة 1924.

- النشاطات المكثفة لليهود عبر تنظيم وعقد الاجتماعات في أوروبا وخاصة فرنسا ومستعمراتها ومنها الجزائر. وتهدف هذه اللقاءات إلى:

- مساندة الحركة الصهيونية ماديا ومعنويا.

- الجراءة في دعوة أبناء إسرائيل إلى الإعانة المالية تحقيقا للمشروع المقدس لليهود، وإظهار راية سليمان.

- إظهار معنويات اليهود العالمية في إمكانية إقامة الوطن الموعود في أرض فلسطين رغم الهلال والصليب.

- إبراز نظرة اليهود للعرب، بأنهم أمة متكاسلة لا تحب العمل. أما اليهود فأمة نشيطة تستولي بنشاطها الفعال على الأرض المقدسة في زمن ليس بالبعيد.

والجميل في هذا المقال: (الصهيونية) هو ما يعبر عن سعة إطلاع السعيد الزاهري وتواصل نشاطه من أجل تنوير الرأي العام الجزائري بحقيقة الصراع الدائر في أرض الإسراء والمعراج في تلك الفترة.

لقد وعد الأديب الزاهري قراء جريدة (البرق) بأنه سينقل للناس جميعا بعض فصول كتاب مترجم إلى اللغة الفرنسية عثر عليه بنفسه، ليكشف بعض قرارات تلك الجمعية السرية الصهيونية المنعقدة في بال بسويسرا سنة 1887م، غير أن السلطات الفرنسية - وكعادتها - خنقت أنفاس الجريدة وحالت دون نشر تلك الوثائق الهامة.

### وجهة نظر رجال الحركة الوطنية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى:

تعرض محمد السعيد الزاهري - أيضا- في مقال آخر بعنوان: (أين تذهب أموالنا) بشيء من التفصيل إلى نشاط اليهود في أرض الجزائر وبإشراف المحتل الفرنسي نفسه، ويتمثل ذلك النشاط في اجتماع اليهود بـ( مركز العساكر والبحرية) المتواجد في الجزائر دعت إليه شخصية معروفة تدعى: المحامي اليهودي (ناطان لابين).

عرف محمد السعيد الزاهري في مقدمة هذا المقال بجمعية (كسيرن هايسود) بأنها الخزانة المعتمدة من تبرعات اليهود والمستمرة والتي هدفها هو (بناء معهد سليمان، وتأسيس مملكة اليهود، وعلى الأقل لإعانة مستعمري أرض الميعاد)<sup>(10)</sup>. ثم انتقل إلى ذكر أشهر الجمعيات اليهودية ذيوها وهي جمعية: (الاتحاد الإسرائيلي) التي أسسها رجل يدعى: (كريميو) المشهور بمحاولاته المتكررة والجادة في تنشيط وإحياء قانون أصدرته فرنسا تميز بآثاره السلبية على الجزائريين وهو قانون التجنس. وبعد ذلك وجه الزاهري نداء قويا لضمير الشعب الجزائري يخبره فيه بمجيء المحامي اليهودي (ناطان لابيرن) إلى أرض الجزائر، مفوضا من لدن جمعية (كسيرن هايسود). جاء ليدعو بحرارة إخوانه الإسرائيليين لكي يعينوا إخوانهم بالمال في أرض الميعاد، وكان نداء الزاهري بأسلوب إنكاري على تخاذل الجزائريين أمام تحركات اليهود في أرض الجزائر بقوله: (فليتدبر إخواننا وزعمائنا، وليتأملوا في نشاط اليهود ووطنيتهم)<sup>(11)</sup>. وبعد هذا النداء ذكرهم بكيفية اختطاف اليهود لأرض فلسطين من بين أيدي العرب جميعا رغم ما عرف عن اليهود من تفرق وتشتت في العالم، وبعدها (ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله)<sup>(12)</sup> ولسنين طويلة. واستمر المقال يذكر الشعب الجزائري بأحقية العرب في أرض فلسطين وبكون اليهود من الظالمين المعتدين على ممتلكات ومقدسات الأمة الإسلامية، جاعلا استعمار اليهود لفلسطين لا يختلف أبدا عن بقية الاستعمار الأوروبي الجاثم على صدر الأمة العربية والإسلامية. وانتهى المقال إلى خلاصة فاصلة وجريئة، تكشف تأثر رواد الحركة الوطنية بالأحداث التي تمر بها الأمة الإسلامية ومنها فلسطين قال الزاهري: (لا نرضى أن تكون الأموال التي اختلسوها منا ومن غيرنا بالربا وبالوجوه المعلومة أساسا لبناء ملكهم، ونفوذ سياستهم على إخواننا المسلمين أهالي فلسطين الحقيقيين)<sup>(13)</sup>.

لعل هذه العبارة دعوة جادة من هذا الأديب إلى الثورة على اليهود في الجزائر آنذاك، وسلاحها المقاطعة الاقتصادية كما أشار إلى ذلك في غير هذا الموضع، وبالضبط في رسالة بعث بها إلى رئيس الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي قائلا له: (مع أنكم تعلمون أنه لو اعتصب المسلمون عليكم وقطعوا معاملاتكم لرجعتم كلكم إلى الحالة التي تستحقونها والتي تليق بكم لأنكم أسأتم لمن أحسن إليكم ومن كان سببا في غناكم وتحريككم)<sup>(14)</sup>.

وكما لم يتوان محمد الزاهري في إغلاظ القول إلى كل من يسعى في أرض الجزائر لتغليب اليهود على المسلمين في فلسطين بدعم مادي أو معنوي، فإنه لم يبخل على الجزائريين ببعض أسماء الذين جاھروا لهم بالسوء للجزائريين خاصة وللمسلمين عامة، ومن هذه الأسماء: لبيرن، هانري، شارل أبو الخير، الشيبب بن هيومن كاتب الشبيبة الاشتراكية. وكذلك لم يخف رأيه المبطن بشيء من التهديد والوعيد قائلا: (فلسطين في أرض عربية إسلامية، وإن أموالنا وأتعابنا وأرواحنا التي أزهقت في الحروب الأخيرة لا تذهب وراء سعي المرابين).<sup>(15)</sup>

### المقاطعة الاقتصادية خيار استراتيجي :

أما في رسالة بعث بها هذا الأديب إلى رئيس الطائفة اليهودية فقد استطاع أن يكشف فيها بصدق عن الحالة المزرية التي عاشها الشعب الجزائري في ظل الاحتلال. وقد نشر هذه الرسالة في جريدته الأولى (الجزائر) عام 1925م، ونظرا لأهمية الموضوع فقد أعاد نشرها في جريدته الثانية (البرق) عام 1927م في العدد الخامس عشر منها. واختيار السعيد الزاهري لشخصية الراهب (فريدمان) \*\*\*\* قد يدلنا على أن الحركة الوطنية وقتئذ في مستوى التحدي وتحمل المسؤولية. كما يدل أيضا على أن الجزائري على موعد مع نهضة حقيقية، يحمل مشعلها رواد تسلحوا بالعلم والعمل معا.

لقد احتوت هذه الرسالة على ثلاث فقرات؛ تخللها مضمون تاريخي، وتحليل واقعي بتركيز كبير، وبعد في النظر، رغم أنها لم تكن بالطويلة ولا بالموجزة. بدأ الفقرة الأولى فيها ببناء غرضه التحدي، وختمها بتحذير ملؤه الاعتزاز والكبرياء، وما بين النداء والتحدي كان مضمونا تاريخيا، ذكر فيه الزاهري ذلك الراهب بالزمن الغابر لليهود في ظل الأمم العيسوية، وحالهم السعيد في كنف الأمة الجزائرية حاضرا، وكيف تنكر اليهود اليوم للجزائريين، حيث استعبدوا أهلها وسخروا منهم جميعا وكان ذلك في الفقرة الأولى. أما الفقرة الثانية فكانت عبارة عن تحليل واقعي لأسباب رفاهية هؤلاء اليهود في الجزائر من جهة وتعاسة الجزائريين في أرضهم من جهة أخرى. وفي الفقرة الأخيرة رأى هذا الأديب أن أرواح الجزائريين عزيزة لم تمت رغم القهر والظلم اللذين تعرضوا له من قبل اليهود، وقد نبّه في الوقت نفسه وحذر تلك الطائفة من التدخل في شؤون الجزائريين السياسية والاقتصادية، ثم وضع لهم شروط التعايش السلمي الذي يكفل الحقوق، ويحفظ الواجبات بين اليهود الدخلاء والجزائريين أصحاب الأرض.

لمح الزاهري في ختام تلك الرسالة إلى ضرورة لجوء الجزائريين إلى خيار المقاطعة الاقتصادية للسلع اليهودية من أجل ضرب مكانتهم الاقتصادية حيث قال: ( مع أنكم تعلمون أنه لو اعتصب المسلمون عليكم، وقطعوا معاملاتكم رجعتكم كلكم إلى الحالة التي تستحقونها والتي تليق بكم لأنكم أسأتم لمن أحسن إليكم، ومن كان سببا في غناكم وتحريككم)<sup>(16)</sup>. أما عن الشروط التي ذكرها السعيد الزاهري للعيش بسلام، فأملها عليه حال الجزائريين المزري؛ إذ وصل بهم الأمر إلى مستوى معيشة البهائم في نظر اليهود. ومجمل شروط التعايش السلمي بين اليهود والجزائريين فملخصها كما يأتي:

- ألا يتدخل اليهود في شؤون الجزائريين السياسية والاقتصادية.

- أن يرفعوا الأذى عن الجزائريين، وأن يعطوا الشعب حقه.

- ألا يتعصب اليهود ضد الجزائريين.

وختم السعيد الزاهري هذه الرسالة بدعوة وتذكير هما: ( فلا تتعصبوا ولا تتكاتفوا، وإلا فالتعصب يجلب التعصب، ولا تنسوا أن الأغلبية لنا، ونحن أحق بالسيادة فيها

منكم، فانتيه أيها الراهب ونيه إخوانك لعلمهم يرجعون، والسلام على من اتبع الهدى<sup>(17)</sup>.

### الخلاصة

والخلاصة أن:

- اهتمام علماء الجزائر وأدبائها بالقضية الفلسطينية وما كانت تتعرض له كان مبكراً.

- ما كان ينقص هؤلاء الأدباء هو غموض في صياغة المصطلح بين اليهودي والصهيوني ومع ذلك فإن كتاباتهم كانت تؤدي دوراً ريادياً في التنبيه لهذه القضية مقارنة بما كان يكتب آنذاك في المشرق وقد رأينا تعليق الزاهري على ما كتب في مجلة المنار (وما أدراك ما مجلة المنار) بين مفكري الصهيونية وبين نظرائهم من إخواننا المشاركة آنذاك.

- ولقد امتد هذا التفكير حول القضية الفلسطينية بعد الحرب العالمية الثانية إلى ما نجده في كتابات محمد البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر الثانية وإلى أحداث الثورة التحريرية.

### هوامش المادة العلمية:

- \* عالم سوري ولد في دمشق عام 1886م، رحل إلى الكثير من مدن العالم العربي والإسلامي طلباً للمزيد من العلم، منها اسطنبول، أصدر مجلة الفتح، والزهاء، توفي عام 1969م.
1. محمد الهادي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1926م.
2. ينظر، محمد بن سميحة: (من أعلام الجزائر، محمد السعيد الزاهري)، البصائر عهد الاستقلال، ع 408، من 8 إلى 14 سبتمبر 2008م، ص 21.
- \*\* من أشهر علماء جامع الزيتونة.
- \*\*\* من شخصيات الجمعية التي نالها قلم الزاهري محمد البشير الإبراهيمي وتوفيق المدني ومبارك الملي.
3. محمد بن سميحة: (من أعلام الجزائر، محمد السعيد الزاهري)، البصائر عهد الاستقلال، ع 408، من 8 إلى 14 سبتمبر 2008م، ص 22.
4. المرجع نفسه، ص ن.
5. الرائد: (الصهيونية) البرق، عدد 20، الاثنين 24 جويلية 1927 م. ص 2/1.
6. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
7. المصدر نفسه، ص ن.

8. ينظر المصدر نفسه. ص ن.
- \*\*\*\* هو المحامي Emmanuel Carasso يهودي تركي، نشأ وسط عائلة ذات نفوذ، كان من أوائل المشتركين في حركة تركيا الفتاة وكان مسئولاً أمام جمعية الاتحاد والترقي عن إثارة الشغب وتحريضه ضد السلطان عبد الحميد الثاني، لعب دوراً هاماً في احتلال إيطاليا لليبيا نظير مبلغ من المال دفعته إليه إيطاليا، توفي عام 1934م.
9. المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
10. الراصد: (أين تذهب أموالنا) البرق ، عدد 15، بتاريخ 5 محرم الحرام 1345هـ الموافق لـ 20 جوان 1927م. ص 1.
11. المصدر نفسه. الصفحة نفسها.
12. سورة البقرة آية 61.
13. الراصد: (أين تذهب أموالنا)، البرق، مصدر سابق، ص ن.
14. ابن الجزائر: (رسالة مفتوحة إلى المعلم فريدمان رئيس الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي)، البرق، عدد 18، 11 جويلية 1927م. ص 3/2.
15. الراصد: (أين تذهب أموالنا)، البرق، مصدر سابق، ص ن.
- \*\*\*\*\* راهب مسؤول عن النشاط اليهودي على مستوى الشمال الإفريقي.
16. ابن الجزائر: (رسالة مفتوحة إلى المعلم فريدمان رئيس الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي)، البرق، عدد 18، ص 3/2.
17. المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

## الأسلوبية بين الأدبية والعلمية

### ملخص

فرق علم اللغة الحديث بين قطبي الثنائية اللغوية: (اللغة والكلام)، إذ اللغة نظام من الإشارات تعبر عن أفكار، والكلام الجانب التنفيذي لذلك النظام، فإن الدراسة الأسلوبية تعنى بالكلام والممارسة الفعلية للغة، لأنه يمثل الاستعمال الفردي الذي هو مجالها، وهي تبحث في اللغة بما تعكسه من انفعالات وعواطف ومشاعر، وليس بما فيها من أفكار وموضوعات، وموضوعها اللغة كأداة للتعبير والفعل، فيتضح أن الأسلوب غير اللغة أو التعبير بل هو شكله، لأن الأسلوب طريقة للتعبير عن الفكر باللغة، وإنّ الأسلوبية دراسة لهذا التعبير.

د . بوزيد مومني

قسم الآداب واللغة العربية  
جامعة جيجل  
الجزائر

### Abstract

Modern linguistics make differences between (language and speech) because language is a system of signs expressing ideas, and the speech means the executive side of this system; so the stylistic study means the speech and language practice, as it represents the individual use that is his space, he leans on the tongue, including reflects the emotions and feelings, not understanding the ideas and themes, its subject is language as a tool to speak and act, the style is not the language or the method of expression but its form, because the style is a way of expressing the thought with language, and style is a study of the expression

### مقدمة

**أجمع** الباحثون على أن "الأسلوب" من أهم المقولات التي توحد بين علمي اللغة والأدب، وأن دراسته ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما كونه ركيزة لغوية ونوعا من التعبير المنفرد بخواص تعبيرية لغوية غير لغوية كما ذهب إليه الدكتور كمال بشر في قوله: " وحقيقة الأمر عندنا أن علم الأسلوب ينتمي إلى مجالين: - مجال الدراسات اللغوية وذلك بالنظر إلى الأسلوب على أنه بناء أو هيكل لغوي مكونة عناصره من وحدات لغوية جاءت منسوقة وفقا لمعايير لغوية على وجه من وجوه. - والأسلوب أيضا ينتمي إلى مجال الأدب ونقده بوصفه نوعا من التعبير منفردا بخواص



تعبيرية مميزة لغوية وغير لغوية، ويوصفه نمطا خاصا من الكلام يفى أولا بأغراضه الأدبية والثقافية والاجتماعية والنفسية أيضا. (1)

وإذا كانت اللغة بناء إلزاميا على الأديب من حيث الشكل فإن الأسلوب هو تلك الإمكانيات التي تحققها اللغة، ويستغل أكبر قدر ممكن منها الكاتب أو صانع الجمال الماهر الذي لا يهمله تأدية المعنى وحسب، بل ينبغي أيضا الوصول إلى المعنى بأوضح السبل وأحسنها وأجملها وإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب وانعدم معه الأسلوب (2) وللفادة نتعرض إلى علاقة علم الأسلوب ببعض العلوم اللغوية والأدبية الأخرى:

### الأسلوبية والبلاغة:

تعرضت البلاغة القديمة لأزمة حقيقية مع ظهور الرومانسية وتفكك القواعد الكلاسيكية في الصياغات اللسانية. وهي أزمة لم تعرفها البلاغة طوال تاريخها الأوروبي منذ ظهور كتابي أرسطو "الخطابة" و"فن الشعر" اللذين احتلا مكانة مرموقة في صياغة التصورات النقدية التي عرفها عصر النهضة الأوروبية حتى العصور الحديثة. وقد قيل عن هذه البلاغة أنها ماتت وأفسحت المجال لعلوم أخرى كالأسلوبية والشعرية لتتربع على عرشها.

وكان ظهور الدراسات الأسلوبية المعتمدة في جانب كبير منها على اللسانيات البنيوية التي أحدثها (دي سوسير) في كتابه محاضرات في "علم اللغة العام" الذي نشر بالفرنسية عام 1913، هو الرافعة التي انتشلت البلاغة من الهوة التي سقطت فيها، بحيث صارت الدراسات الأسلوبية التي طورها "شارل بالي" وأتباعه، بديلا عن الدراسات البلاغية. وهذه الأسلوبية تستند إلى قواعد معرفية تتمثل في تعريف الناقد الفرنسي "بيير جيرو" للأسلوبية بوصفها "دراسة للتعبير اللساني" ثم للبلاغة التي هي عنده "أسلوبية القدماء" (3) وبها يتحدد، كما يقولون، تشغيل آلية المنهجية الأسلوبية بوصفها الوجه الجديد للبلاغة، أو هي البلاغة الحديثة نفسها.

ومن المعروف أيضا أن علم اللسان قد تفاعل مع مناهج النقد الجديد فأرسي قواعد علم الأسلوب الذي يعتمد كثيرا على درجات تحدد ظهور الملامح اللسانية المتغيرة، هذه الملامح التي يمكن لنتائجها أن تضبط باستخدام التحليل الإحصائي (4). علما بأن فكرة الأسلوب فكرة قديمة ترجع إلى بداية التفكير البلاغي الأوروبي، وقد ارتبطت أول أمرها بالبلاغة أكثر من ارتباطها بالنقد. ولم يكن لذلك من سبب سوى أن الأسلوب قد درس من حيث هو عنصر التأثير في الخطابة. والخطابة القديمة كانت تختلف عن الأنواع الأدبية الأخرى بمضامينها السياسية والوعظية والحجاجية الجدلية. ولذا كان على الخطيب، كي يحقق مراميه في الخطبة، أن يستخدم ألفاظا مقنعة وعبارات محكمة وأشكالا من الكلام التي تجعل النص واضحا ملموسا. وقد وردت الإشارة إلى كل ذلك في كتاب الخطابة لأرسطو وفي كتاب الأسلوب الرفيع (The

(sublime style) لمؤلفه" لونجانيوس "الذي عني بالأخلاق مثلما عني بالمنابع الروحية للأدب. (5)

ومهما يكن من أمر فإن الذي تركه لنا التراث البلاغي الأوربي وما كتب حول الأسلوب، يعد من الأفكار الرئيسية التي قام عليها النقد الذي يميز بين المادة والطريقة في الفن، أو ما نسميه العلاقة بين المضمون والشكل. وشيء من هذا القبيل غالباً ما قيل مقروناً بالاستعارة Metaphor التي تستخدم فيها اللغة للتعبير عن الفكرة استخداماً خاصاً بحيث تكون اللفظة ثوباً للمعنى، بينما يكون الأسلوب هو التصميم الذي يخاط هذا الثوب طبقاً له، كما يقول غراهام هوف في كتابه الأسلوب والأسلوبية. (6)

فمن أبرز المفارقات بين المنظورين البلاغي والأسلوبي أن البلاغة علم معياري يرسم الأحكام التقييمية ويرمي إلى تعليم مادته. وموضوعه بلاغة البيان، بينما تنفي الأسلوبية عن نفسها كل معيارية وتعزف عن إرسال أحكام تقييمية بالمدح أو التهجين ولا تسعى إلى غاية علمية البتة، فالبلاغة تحكم بمقتضى أنماط مسبقة وتصنيفات جاهزة بينما تتحدد الأسلوبية بقيود منهج العلوم الوصفية. والبلاغة ترمي إلى خلق الإبداع بوصاها التقييمية بينما تسعى الأسلوبية إلى تحليل الظاهرة الإبداعية بعدما يتقرر وجودها". (7)

ومن هنا نستطيع أن نقول : البلاغة علم معياري يحكم من خلال مقاييس مسبقة وقواعد جاهزة يقضي إلى جزم عقلائي غايته تعليمية أما الأسلوبية فهي علم وصفي يستقري الظاهرة الإبداعية ضمن منهج يتتبع الأحداث والظواهر المشتتة لتنتهي إلى خصائص مشتركة. والبلاغة تفصل الشكل عن المضمون فميزت الأغراض عن الصور بينما توحد الأسلوبية بين الدال والمدلول في تأليفهما معاً للدالة، أي بين مستوى الصياغة ومستوى المفهوم. "والبلاغة تقوم على تصور الشيء تبعاً لنموذج سابق فـ"ماهية" الشيء تسبق "وجوده" بالتعبير الفلسفي أما الأسلوبية فهي لا تُحدد للأشياء ماهيتها إلا من خلال وجودها فهي تدرك الشيء من خلال معاينة أو دراسة الخطاب الأدبي. (8)

إن هدف علم البلاغة يتمثل في خلق الإبداع إذ يعتبر الكفيل الوحيد لعملية الإخراج الفني بحيث يعمل على "طبع الكلام بطابع الإحساس الجمالي الذي لا يغيب أثره عن الإنتاج الذي يتوخى منه صاحبه أن يكون إنتاجاً فنياً، فلا يكون الكلام بليغاً إلا إذا أخذ من الألوان البلاغية ما يحصل به مقاصده الفنية التعبيرية والنفسية والاجتماعية وما إلى ذلك". (9)

### الأسلوبية والنحو:

لقد كان للقدمات تصور كلي للحياة الفكرية وخاصة في حقل اللغة والدين، فمن إشعاعات القرآن الكريم، توسعت المدارك وتفجرت العلوم المرتبطة به أولاً، والهادفة

إلى خدمته قصد استكشاف معانيه التشريعية ثانياً، وكانت العلوم الإسلامية مرتبطة أوثق ارتباط بعلم اللسان، وكان التواصل قائماً بين دراسة الشعر والتوحيد والنحو والتفسير وغير ذلك مما تداخل بعضه في بعض ومد بعضه بعضاً في تكامل مثمر انعكس على كل فروع المعرفة الإسلامية بالثراء والخصوبة وجعل مجال البحث فسيحاً ومتشابكاً وصعباً.

فقد كانت مجالس ابن عباس جامعة للغة والأدب والتفسير والفقه والنحو، ومسائله مع نافع بن الأزرق معروفة كما أصبحت العلوم اللغوية مقدمات ضرورية للمفسر، وامتزجت المادة الأصولية بالمادة اللغوية امتزاجاً ملحوظاً، وأصبحت كتب الأصول مصادر في معاني الحروف وأصناف الدلالة والاستثناء حتى ألف القرافي الأصولي كتابه "الاستغناء في أحكام الاستثناء" (10).

لقد كانت علوم النحو واللغة والمنطق والأصول والمعاني... تمثل لحمة عدد هائل من العلوم لا يستغني عن واحد منها إلا انعكس ذلك سلبياً على الفهم السليم لمضامينها، ولم يكن اللغويون في القرون الأولى-خاصة- منفصلين عن النحاة، بل كانوا يمتزجون في معظم الأحوال حتى لا نرى فرقا بين هاتين الطائفتين، ولذلك كانت كتب الطبقات والتراجم تجمع بين النحويين واللغويين في صعيد واحد كطبقات النحويين واللغويين لابن قاضي شهبة وإنباه الرواة للقفطي وبغية الوعاة للسيوطي...

وكانت نتيجة التعاون بين اللغويين والنحويين في ظل مناخ فكري معين، الاحتفال بعدد من المقولات كالجنس والعدد والملكية والتعيين. بالإضافة إلى اشتراكهم في تلك النظريات الكلية التي تتعلق بمكونات الأجزاء في الجملة وترتيب هذه الأجزاء وإعراب كل منها وبيان وظائفها.

وقد حاول الجرجاني ترتيب العلوم اللغوية وإفضاء بعضها إلى بعض حيث قال: "فالترتبة الدنيا تتعلق بالواضع، والثانية بالتصريفي والثالثة بالنحوي والرابعة بصاحب علم المعاني والخامسة بصاحب علم البيان والسادسة بصاحب علم البديع، ويجب على صاحب كل علم منها ألا يتسلم الكلام ممن قدمه إلا بعد كمال صنعته" (11) فإذا غني علم المعاني بإقامة الصرح وغني البيان بتقديم اللبانات ومواد البناء، فإن علم البديع يُعنى بطلاء المبنى وزخرفته فهو علم طرق التحسين الكلي القائم على علاقات" (12).

لقد كانت العلوم متداخلة يظهر بعضها بعضاً، ويفيد بعضها البعض، ولم يكد يفصل النحو عن اللغة ولا المعاني عن البيان إلا أخيراً حيث وضعت الحدود لتمييز كل علم من الآخر وحصره في منطقة تحرم على غيره من العلوم أن ينفذ إليها. فأصبح بعض علماء العربية ينظرون إلى هذه الفروع كما لو كانت منفصلة، يقول كمال بشر: "إننا لا ننكر إدراكهم لنوع من الارتباط بين هذه المستويات وهو كونها تخدم غرضاً رئيسياً واحداً، وهو الحفاظ على اللغة وصيانة القرآن الكريم، ولكن الارتباط الذي نعنيه هنا أن علوم اللغة ومسائلها العامة لا تعدو أن تكون جوانب لشيء واحد أو حلقات في

سلسلة واحدة وهي بهذا المعنى تستلزم أمرين: أولهما: أنه لا يجوز الفصل بين هذه الفروع فصلاً يبنى عن استقلال أي واحد منها والاكتفاء به في معالجة أية قضية لغوية. وهذا الكلام يقودنا إلى الأمر الثاني: وهو ضرورة اعتماد كل فرع على الآخر وحمية الالتجاء إلى نتائجه وخصوصاً بحوثه للاستفادة منها. (13)

أخيراً نستطيع القول: إنَّ النحو هو مجال القيود والأسلوب مجال الحريات وعلى هذا الاعتبار كان النحو سابقاً في الزمن للأسلوبية، إذ هو شرط واجب لها. كما أنها رهينة القواعد النحوية الخاصة باللغة المقصودة، ولكنها مرهنة ذات اتجاه واحد لأننا إذا سلمنا بأن لا أسلوبية بدون نحو، فلا نستطيع إثبات العكس فنقول لا نحو بلا أسلوبية.

على هذا المقتضى « يحدد لنا النحو ما لا نستطيع أن نقول من حيث يضبط لنا قوانين الكلام بينما تقف الأسلوبية ما بوسعنا أن نتصرف فيه عند استعمال اللغة، فالنحو ينفى والأسلوبية تثبت، معنى ذلك أن الأسلوبية علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة». (14) أما النحو فهو علم "يرعى الجانب الصوابي في الكلام من حيث الصحة والفساد في مستوى تأليف الجملة ووضع كل كلمة في مكانها الذي وضعته العرب فيه" (15) ثم يأتي علم المعاني للتدخل في النظام العام للجملة.

### الأسلوبية والتداولية:

لقد ارتبطت الأسلوبية ارتباطاً معقداً بالبنيوية كارتباطها باللسانيات في صيغتها الأولى- التي جاء بها دي سوسير- فشارل بالي جمع محاضرات أستاذه ونشرها بعد وفاته، هو الذي أنشأ الأسلوبية التعبيرية. (16) ولقد تعددت مذاهب الأسلوبية، وكثر مزاولوها وتكاثر مع ذلك منتقدوها، بل والقائلون بجفافها وقرب زوالها. (17) ويصّر المتمسكون بهذا المنهج أنه صالح للتطبيق على النصوص، وأنه لا يتعارض مع الثورة المعرفية التي تشهدها علوم اللسان ما دام مسلماً إجرائياً في مقارنة الخطابات الأدبية خصوصاً. وقد تعددت العناوين التي تعتبر الأسلوبية مزوداً منهجياً للمحلل بقائمة من الأدوات والرؤى التي تسهل على صاحب القراءة الوقوف على أدبية النص من خلال "دراسة شروطها الشكلية دراسة فنية". (18) إن المقاربة الأسلوبية بما هي تطبيقية إجرائية، تلغي الأبعاد التي تخرج عن البعد اللساني المحض للظاهرة الأدبية، وإن أقرت بوجود نواح اجتماعية ونفسية وثقافية واقتصادية تؤثر في "صناعة النص"، فإنها لا تهتم بها في تحليل النص لأنّ مثل ذلك الاهتمام يؤدي بالأسلوبية إلى إبداء أحكام، وهو ما تعزف عنه عزوفاً مبدئياً، وهذا ما يميّزها عن النقد الأدبي الذي يعطي حكماً على الأثر (النص) المنقود.

بهذا المعنى نفهم الاتصال بين الأسلوبية والمنهج النصّاني والانفصال بينهما في الوقت ذاته. فهما متصلان لانكباهما على النص إجراء وتطبيقاً، ولاشتراكهما في

اعتماد الوسائل اللغوية (الأصوات، المفردات، التراكيب، الصور، المجازات، الجُمَل ...). في تحليل النص. وهما مختلفان من جهة الرؤية: فالنص في المنهج النصاني هو مركز يستقطب التحليل أمّا منزلة النص في الأسلوبية فيُنظر إليه من جهة وقوعه ضمن ثنائية السُّنة والعدول (أو النمط والانزياح، أو الاستعمال المعياري والاستعمال الأدبي، أو اللغة العادية والكلام الأدبي...). لذلك قيل إنّ الدراسات النصية تنظر "إلى المنظور الأسلوبي بصورة هامشية. فالأسلوبية تضع قاعدة أو معيارا متحققا بالقوة في اللغة العادية، وتقابلها مع الانحرافات في الأسلوب. ويتعارض هذا التصور مع فكرة مركزية النص.

إن الشعرية المقارنة تلجأ إلى التحليلات الأسلوبية لكنها تضعها ضمن نظام حتى أنّ مصطلح النقد النصي ذاته لا يُستخدم إلا بشيء من التحفظ" (19) ولعل هذه المفارقة التي تسمى الممارسة الأسلوبية هي التي بوّأتها منزلة العلم المساعد الذي يقف في مفترق الطرق. فالشكلاونيون الروس من جهة وشارل بالي من جهة أخرى، قد حدّدا - فيما يذكر مولينييه- وقوع الأسلوبية "في مفترق الأدب واللسانيات أي في تقاطع مجموعة محدّدة (النصوص الأدبية) مع جهاز من التصوّرات والمناهج المتدبرة بطريقة خصوصية (اللسانيات البنيوية). ومنذ ذلك الحين، لم توجد أسلوبية إلا وهي بنيوية". (20) فالأسلوبية تحلل النصوص الأدبية خاصة: تصف أدبيتها وتبيّن الخواص الفنية الموجودة في الجماليات الكلامية" (21) لذلك فهي تقف عند حدود التشخيص والوصف الفني ولا تتجاوز ذلك إلى الحكم على الأثر (كما هو الحال في النقد الأدبي). وليس تعيين حدود الأسلوبية هذه قولا يُنقص من قيمتها أو يدعو إلى هجرها، ولكن من المفيد فهم سيرورة المناهج الناتجة عن احتكاكها وتعايشها.

غير أن مولينييه يقيم علاقة تواصل متين بين الأسلوبية والبراغماتية تجعل الأولى موجّهة للثانية، وليس العكس حيث ينطلق صاحب كتاب "الأسلوبية" من أن البراغماتية تدرس نظرية الأعمال اللغوية كما ظهرت مع أوستين وسورل، فهي تنظر إلى الأقوال بما هي مسرح تظهر عليه ثلاثة مستويات من العمل اللغوي:

- العمل اللغوي.
- العمل المتضمن في اللغة (أو اللاقولي).
- عمل أثر القول.

ويعود مولينييه إلى برّوندونير "الذي يرى أن كل فعل كلامي هو تحقيقي لذاته ولمجرد كونه إنتاجا كلاما، في حين أن القيمة التأثيرية تختص بتحقيق موقف ملموس تحقيقا فعليا بواسطة التكلم وحده". (22)

ويرى الباحث الفرنسي أن قيمة العمل الفني هي شيء إضافي، فهي "لا توجد في أي مكون من مكوناته" وهي - مع ذلك- "تنتهي إلى طبيعة لغوية- وهذا هو واقعها المادي- وتنتهي في الوقت نفسه إلى طبيعة الحدث غير اللغوي بقدر ما يصبح الفعل

اللغوي نفسه حدثاً في العالم، تماماً مثل اللوحة الفنية، أو السيمفونية، أو المنحوتة في عالم الأشكال الجمالية، ومثل الطاولة أو المحرك في العالم الاجتماعي-الاقتصادي. هذه القيمة علامة الرهان البراغماتي للفن الكلامي، وهي هدفه ونتيجة له". (23)

وتضع هذه القيمة النشاط الكتابي على أساس كونه ممارسة للمرجعية الذاتية في العمل اللغوي.

إن الفعل الكلامي الذي يتسم بكونه أدبياً هو "تأثيري" أو لا يكون شيئاً. فالأدبية هي انجازية performativité مطلقة للغة إذ تتحول إلى وظيفة شعرية، أي إن الفعل الخلاق لشيء لغوي يكون هو نفسه مرجع هذا الشيء". (24)

يبدو للباحث أنّ هذا التوجيه الذي عمد إليه مولينيه لكل من التداولية والأسلوبية محكوماً بمحاولة إخراج الأسلوبية من المضيق الذي آلت إليه ولا سيما "أسلوبية الأثر" كما يقول هو (25)، ثم إن إمكانية تلاقي هذين المنهجين على صعيد واحد، لا يمكن أن تتم إلا إذا صادق التداوليون والأسلوبيون معا على تصور موحد في نظرية المعنى: فإذا اقتصر التداوليون على المعنى المقامي واعتبروه عمدة التفسير، وانكبّ الأسلوبيون على المعنى اللغوي (الحرفي المجازي)- على حدّ تعبيره- فقط فإن هذا الاقتراق الجوهرية في تصور المعنى لا يسمح بتلاقي المنهجين إلا إذا عدّل كل منهما من منظوره إلى هذه المسألة المركزية.

وثمة مشابهة كثيرة للخلط بين منهج الأسلوبية ومنهج التداولية، لعل من بينها علاقة المنهجين كليهما بالبلاغة. فضلاً عن الرأي القائل بوراثة الأسلوبية للبلاغة، فقد شاع أن "الأسلوبية مرتبطة تاريخياً بالبلاغة" (26) فضلاً عن الرأي القائل، بوراثة الأسلوبية للبلاغة، ثم ما تشهده الوسائل والوجوه البلاغية من استثمار واستغلال في إطار للأسلوبية المطبقة على النص الأدبي. ويقوم التصور الأسلوبية للبلاغة- من منظور مولينيه - على اعتبار البلاغة ثلاث بلاغات:

1- البلاغة الإقناعية وهي "التيار الأكثر ذيوعا وهو المتصل بفن الإقناع إذ يعمد بانث (خطيب) إلى فعل أمر أو تفكير بأمر، ولا يوجد مبدئياً ما يدعوهم أو يرغبهم في فعله أو التفكير فيه، نصل هكذا إلى التفريق بين ثلاثة أصناف كبيرة من الفصاحة وهي:

أ - الإقناع بالصحيح أو بالخطأ

ب - الإقناع بالعدل أو بالظالم

ج - الإقناع بالنافع (المشرف) أو بالضارّ (المخزي) ". (27)

2- بلاغة الإنشائية "هي إجمالاً دراسة التعابير البيانية" وأعلام هذا الصنف من البلاغة (28) قد أنشأوا نظرية المجازات ذات بنى صغرى وأخرى ذات بنى كبرى وهذه النظرية تشكل التفكير الأسلوبى لبعض الآثار مهما كانت، إذ علينا أن نلاحظ جيداً ضرورة التفريق في الاستعمال اللغوي الأساسي للغة المجازية بين وجهة نظر الباحث الذي يعمل على نقل مدلول ثابت إلى مجموعة من الدوال، وبين وجهة نظر المتلقي الذي يتقبل دالاً واحداً فيسعى إلى وضعه في تركيب المدلولات الصحيح، أو لا يسعى إلى ذلك.

3- البلاغة النمطية ويقصد بها فنون محاكمة مؤلفات الفكر محاكمة جيدة، وهي فنون لا تحصى، تتوجه للنقاد كما لممارسي اللغة الجميلة، وقد سيطرت بذلك على عالم الكتابة الرسمية منذ عصر "لابرويار" إلى زمن "أناتول فرانس" وأندريه جيد". ويشير "مولينييه" إلى أن هذا الضرب الأخير من البلاغة الذي ظهر على هامش الضربين الأولين وازدهر في فرنسا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وتواصل في التعليم المؤسساتي حتى القرن التاسع عشر، قد لفظ أنفاسه الأخيرة وأصبح مسدود الأفق . (29)

والملاحظ أنّ الأسلوبية المعاصرة قد استثمرت كلاً من البلاغة الإقناعية وبلاغة الإنشائية بل أكثر من ذلك فمباحثهما – عند مولينييه – جزء لا يتجزأ من الأسلوبية. فالبلاغة الإقناعية هي التي تحلل "مجازات ذات بنى كبرى من الدرجة الثانية وهي نماذج منطقية مقالية خاصة بإثراء الاستراتيجيات البرهانية هذا التوجه، يتفق مع الأبحاث الحالية في البراغماتية سواء بمحاولة سبر الأساليب البرهانية والفعالة الراجعة إلى تلقظ خيالي بالكلام داخل كون أدبي معطى أو بمحاولة قياس المحمل الثقافي في المنتجات الأدبية المعتمدة أعمالاً لغوية مخصوصة. فهذا التصور النظري للأسلوبية يشير إلى أنّ البلاغة والتداولية تعدّان منجمين تغرف الأسلوبية منهما ما تعتبره صالحاً ليثريّ مقاربتها للنص.

إن رؤية الأسلوبية لهذين العلمين تتسم بالتجزئية، بمعنى أنها تهمل "فلسفة" كل علم ومقوماته الإبستمولوجية وتعتبره مادة خاماً قابلة للاستغلال في إطار الأسلوبية المعرفي. وليس الأمر على القدر ذاته بالنسبة إلى البلاغة أو بالنسبة إلى التداولية.

فبالأسلوبية قد "استباحت" أدوات التحليل البلاغي بل وظفتها بشكل يستأصلها من المنظار النظري التقليدي. أما التداولية – بما هي علم/ منهج حديث – فتستفيد منها الأسلوبية من جهة تعديل النظرة إلى العمل الأدبي باعتباره واقعا تحت طائلة نظرية الأعمال اللغوية (العمل القولي والعمل اللاقولي وعمل أثر القول)، مع أن البعد الثالث المتصل بالقيمة غير اللسانية للقول ليست هدفاً أدبياً، فالأسلوبية لا تهتم بها، ولكنها تقرأ لها حساباً. وتترك أمر تحليلها للتداولية. فالأسلوبية والتداولية كلتاهما منهج من مناهج تحليل الخطاب. وهما تتقاطعان من بعض الجهات نحو اهتمامهما بالكيان اللغوي الذي

يتجلى فيه القول، غير أن كل واحدة منهما تتميز بخصوصية المقاربة: فإذا كانت الأسلوبية تقف عند حدود جمالية القول، فإن التداولية تنظر في قيمة القول خارج العالم اللساني، أي تنظر إلى البعد العملي للقول.

إن الذي نقف عليه في هذه المماثلة العامة بين التداولية والأسلوبية أنهما تتوازيان توازياً يشاكل ذلك الذي شهده تاريخ البلاغة بين ضربَي البلاغة الكبيرين: البلاغة الإقناعية / الخطابية والبلاغة الإنشائية / الجمالية.

فالتجاور بينهما قد استُعيد في هذا العصر بين التداولية (بما هي وريثة الضرب الأول من البلاغة) والأسلوبية (بما هي وريثة الضرب الثاني).

### الأسلوبية والنقد:

إن العلاقة بين الأسلوبية والنقد هي علاقة موضوع، أما الاختلاف ففي المنهج، فالأسلوبية تحاول أن تدرس ما هو داخل النص على عكس النقد وهي بالتالي تتجاوز ذاتية النص وذلك بمنهجها الموضوعي.

الأسلوبية تحلل وتنتهي عند التحليل بينما النقد يحلل ليفسر ويؤول « فقد لا نعترض كمتفقين أو كمتعنيين بالنقد على مقاربة النص الأدبي كبنية وقد نوافق على عزل مؤقت لهذه البنية ولكن هل يمكننا أن نبقى النص في عزله؟ وهل أن النص هو حقاً معزول؟ وهل أن استقلالية النص تعني إقامة الحدود بينه وبين ما هو خارج أو قطعه عن هذا الخارج؟ هذه التساؤلات قد طرحتها يمى العيد وتجيب عنها بقولها: "إن النص الأدبي على تميزه واستقلاله، يتكون أو ينهض وينبني في مجال ثقافي موجود في مجال اجتماعي، وإن ما هو (داخل) في هذا النص الأدبي هو وفي معنى من معانيه (خارج) كما أن ما هو (خارج) هو أيضاً وفي معنى من معانيه (داخل) النص أو النصوص الأدبية التي يمكننا أن ننظر في استقلالها كبنية. هي ومن حيث وجودها في المجتمع عنصر في بنية هذا المجتمع وإذا كان المنهج البنيوي لا يمكنه أن ينظر بحكم عامل العزل إلى هذه الصفة المزدوجة لموضوعه أي في كونه بنية وفي الوقت نفسه عنصراً في البنية فإنه -أي المنهج البنيوي- يتحدد كمنهج يقتصر على إقامة الجمل بين الداخل والخارج أو بتعبير جدلي على رؤية الخارج في هذا الداخل.(30)

فمع ظهور البنيوية في القرن العشرين، بتأثير من لسانيات دي سوسير، ودعوته إلى دراسة النص من الداخل وإقصائها لجميع السياقات الخارجة عن النص، راحت جل المناهج النقدية المعاصرة تحذو حذوها في قراءتها النصوص الأدبية.

نجد الأسلوبية من المقاربات التي اقتصرت في درسها للنص الأدبي على جانبه "اللغوي" ومن هنا فإن الجانب اللغوي هو مجال الباحث الأسلوبية، أما ما يتصل بالأثر الجمالي، أو تحليل عمل الشاعر، أو الروائي، أو المسرحي وجدانياً، جمالياً



وموقفاً أو سواه فكل ذلك يكون مهمة الناقد الأدبي بعد ذلك" (31) بصفة أكثر شمولية، وذلك ما يطلع به النقد بثتى اتجاهاته.

تعد الأسلوبية اتجاهاً من اتجاهات النقد الأدبي، إن لم نقل جزءاً منه، وإن كنا نجد أن كل من الباحث الأسلوبي، والناقد الأدبي يقوم بالممارسة لفعل القراءة كل حسب ما توفرت له من رؤية وأدوات إجرائي، حينها لا نجد فرقاً أو احتواء أحدهما للآخر، مادام كل منها يحاول أن يقارب النص الإبداعي بأدواته الإجرائية، غير أن الناقد الأدبي يصبح أكثر منهجية عندما يستوعب ويلتزم بأحد المناهج، يستقي منه أدواته، ليقارب النصوص الأدبية.

فالنقد الأدبي لن يوفق في عمله ما لم يستعن بمنهج نقدي من المناهج النقدية المعروفة، كل بحسب أدواته الإجرائية، وطرائقه ومقولاته في استنطاق النصوص الأدبية، وفهم العملية الإبداعية من ناص ونص وملتق.

### الأسلوبية واللسانية:

هناك من حاول محو الأسلوبية ونادى بموتها وقال بأنه « على ذوي الاختصاص أن يأخذوا بعين الاعتبار بأن الأسلوبية لا يمكن أن تفصل عن اللسانية ولا أن تبحث خارج نطاقها، ذلك لأن اللسانية تشكل قاعدة ثابتة لضمانة الموضوعية ودقة البحث في دراسة أي أسلوب كان، في أي نص أدبي كان ». (32)

قد حاول الناقد " ميشال أريغيه" - الذي أعلن موت الأسلوبية - أن يرسم طريق هذا الاحتضار ليعطي في النهاية لمفهوم علم الأساليب معنى جديداً خاصاً: الأسلوبية هي « وصف لغوي للنص الأدبي » وذلك في مقال نشر له في عدد خاص من مجلة «اللغة الفرنسية».

فاللسانية تبقى الأكثر رواجاً واستخداماً إلا أن هذا العلم لا يبدو قادراً على تلبية كل المطالب وكل العلوم تأخذ من غيرها ما تحتاجه لكي تحقق استقلالها «فمن حقائق المعرفة أن الأسلوبية ترتبط باللسانيات ارتباطاً الناشئ بعلّة نشوئه، فلقد تفاعل علم اللسان مع مناهج النقد الأدبي الحديث حتى أخصبه فأرسي معه قواعد علم الأسلوب وما فتئت الصلة بينهما قائمة أخذاً وعطاء بعضها في المعالجات وبعضها في التنظير، غير أن كلا العلمين قد قويت دعائمه وتجلت خصائصه فتفرد بمضمون معرفي جعله خليفاً بمجادلة الآخر في فرضياته وبراهينه وما يتوسل به إلى إقرار حقائقه ». (33)

بدأت الدراسات اللغوية تأخذ الصبغة العلمية الوصفية بعيداً عن المعيارية الحكمية، ومع مجيء لسانيات دي سوسير في مطلع القرن العشرين، ومناداتها بدراسة اللغة تزامنياً، دراسة علمية وصفية، تقصي من غاياتها الاحتكام إلى المعايير واستصدار

الأحكام القطعية، يضاف إلى ذلك إقصاء الدراسة التعاقبية التاريخية للغة، وعلى هذا النهج، ومن هذا الرحم اللساني المحض نهلت الدراسة طريقة تعاملها مع اللغة من خلال النصوص "فإذا كانت لسانيات دي سوسير قد أنجبت أسلوبية بالي، فإن هذه اللسانيات نفسها قد ولدت البنيوية التي احتكت بالنقد الأدبي فأخصبا معاً "شعرية" جاكبسون، و"إنشائية" تودوروف، و"أسلوبية" ريفاتير. ولئن اعتمدت كل هذه المدارس على رصيد لساني من المعارف، فإن الأسلوبية معها قد تبوأ منزلة المعرفة المختصة بذاتها أصولاً ومناهجاً" (34)، ما دامت أخصب المناهج وأقربها إلى الدراسات اللغوية الحديثة المعتمدة الوصف العلمي منهجاً.

أخذت الأسلوبية من اللسانيات الصفة العلمية الوصفية في الدراسة اللغوية، غير أنها درست الخطاب ككل، وما يتركه هذا الخطاب من أثر في نفس المتلقي، في حين نجد أن اللسانيات قد اتجهت إلى دراسة الجملة بالتنظير واستنباط القواعد التي تستقيم بها، والقوانين التي من خلالها تكتسب طابع العلمية.

زودت اللسانيات المنهج الأسلوبي بطابع العلمية الوصفية في دراسة النصوص من خلال لغتها، وبذلك جعلت منه منهجاً علمياً وصفيّاً ينأى عن الدراسة المعيارية الحكيمة، التي وقعت فيها البلاغة القديمة مما ولد عقمها وجمودها.

والأسلوبية بوصفها منهجاً نقدياً يصنفها جون دوبوا على أنها: "فرع من فروع علم اللسان"، وهذا ما يؤكد ميشال أريفي بقوله: "الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات"، وهو إثبات لدور اللسانيات في بلورة مفهوم الأسلوبية.

وقد نادى رومان جاكبسون (1896-1982) في إحدى محاضراته الشهيرة إلى توثيق العلاقة بين اللسانيات والأدب عموماً" ثم نادى عبد السلام المسدي بمد الجسور بين النقد وعلم اللسان عن طريق علم الأسلوب"، مؤكداً أن المعرفة الإنسانية هي مدينة للسانيات بفضل كثير، سواء في مناهج بحثها أم في تقدير حصيلتها العلمية"، وكذلك جون لويس كابانيس الذي دافع عن قوة العلاقة بين علم اللسان والنقد الأدبي، من خلال بيان مظاهر التأثير اللساني في النقد (دروس سوسير، مبادئ الشكلانيين الروس).

### الأسلوبية وعلم الدلالة:

لقد استفادت الأسلوبية كثيراً من علم الدلالة كون هذا الأخير مهم جداً في فهم النص الأدبي – شعراً كان أو نثراً-، كما يقوم بتحليل بناء المكونة له على الصعيدين الخارجي والداخلي "ذلك أن النص يتحرك ضمن دلالاته، ولا شيء يقوى على ضبط هذه الدلالات وتحديد مواقعها أو رسمها وبنائها قدر ما يقوى الأسلوب عليه، ومن هنا نرى

قيمة علم الدلالة بالنسبة للتحليل الأسلوبي حيث لا غنى للمحلل عنه، وإن اقتضاء هذا الأمر إنما يعني في أحد وجوه ضرورة هذين العلمين أو اشتراكهما معا للإمساك بالمتغيرات الدلالية التي ينطوي عليها الحدث الأسلوبي". (35)

إن النص الأدبي هو نظام لغوي يعبر عن ذاته وقد احتلت قضية الدلالة اللغوية وماهيتها وأبعادها النفسية والاجتماعية جزء كبيرا من اهتمامات النقاد الأسلوبيين "وتحليل الدلالة اللغوية عندهم يخضع إلى مقاييس أربعة هي:

- دلالة أساسية معجمية
- دلالة صرفية
- دلالة نحوية
- دلالة سياقية موقعية

وهذه الدلالات تأتلف في كل متكامل لتشكل الخصوصية الفنية والجمالية للنص الأدبي، وبهذه الصيغة يتم تلقيها، لأن العمل الفني ليس موضوعا بسيطا بل هو تنظيم معقد بدرجة عالية، وذو سمة مترابكة، مع تعدد المعاني والعلاقات اللغوية فيه". (36)

إن البنية اللغوية-كما يقول صلاح فضل-لا تتحدد بالكلمات، بل بالصيغ، وعندما يتم تفكيكها إلى وحدات دنيا، بحثا عن أعدادها وحقولها وتبادلاتها، تكون قد فقدت مواقعها في منظومة التركيب الشعري، وهي التي تمنحها أبرز فعاليتها الوظيفية موسيقيا ودلاليا فـ"شبكة العلاقات المجازية والرمزية المعقدة في الشعر تتركز وظائفها الجمالية في تعقيد نسيجها الدلالي المتميز. الأمر الذي يجعل الإحصاء المعجمي مهما تقدمت سبله، واستخدمت فيه تكنولوجيا الحواسيب الآلية، لا يعدو أن يكون مجرد مؤشر مساعد في تحليل بعض طبقات لغة الشعر، دون أن يحجب لنا ضرورة الاستمرار في العمل اليدوي الممتع في تحديد علاقات الدوال بالمدلولات بمستوياتها المختلفة ونقد النتائج التي يسفر عنها التحليل". (37)

وعلم الدلالة أشمل من الأسلوبية، ولكن لا يمكن فصله عنها "فكما تستعين علوم اللغة الأخرى بالدلالة للقيام بتحليلاتها، يحتاج علم الدلالة-لأداء وظيفته-إلى الاستعانة بهذه العلوم. فلكي يحدد الشخص معنى الحدث الكلامي لابد أن يقوم بملاحظات تشمل الجوانب الآتية:

- أ- ملاحظة الجانب الصوتي الذي قد يؤثر على المعنى...
- ب- دراسة التركيب الصرفي للكلمة وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها...
- ت- مراعاة الجانب النحوي. . .
- ث- بيان المعاني المفردة للكلمات، وهو ما يعرف باسم المعنى المعجمي...
- ج- دراسة التعبيرات التي لا يكشف معناها بمجرد تفسير كل كلمة من كلماتها. (38)

فعلم الدلالة إذا يهتم "بالجانب المعجمي، وما تدل عليه الكلمات، مع تتبع لمستجدات المعنى الذي يلحق بتلك الدلالات، أو ما يدفع -بسبب التطور- إلى أن يتبدل ما تشير إليه تلك الكلمات أو سواها. ومن الممكن متابعة "الدلالة" من خلال النظام اللغوي الذي يتميز بخصائصه النحوية والصرفية، والتي تشكل لهذا النظام بنيته الخاصة به". (39) وبالتالي فعلم الدلالة بحاجة ماسة ومستمرّة إلى العلوم اللغوية الأخرى كالنحو والصرف، بل يحتاج إلى كل ما له علاقة بالبنية اللغوية.

إن الموضوع الحقيقي لعلم الدلالة هو "المعنى" ولا أحد ينكر قيمة المعنى بالنسبة للعلوم اللغوية وخاصة الأسلوبية فبدون المعنى لا يمكن أن تكون لغة، وبدون لغة لا وجود للأسلوبية إطلاقاً.

### الأسلوبية والشعرية:

وترتبط الأسلوبية أيضاً بالشعرية (أو ما يصطلح عليها بالإنشائية)، هذه الأخيرة التي يصنفها جون دوبوا أيضاً على أنها: "جزء لا يتجزأ من اللسانيات، وهي العلم الشامل الذي يبحث في البنيات اللسانية"، أما جون كوهين فيقول: "دل مصطلح الشعر على كل موضوع خارج عن الأدب، أي كل ما من شأنه إثارة الإحساس، فاستخدمت في الفنون الأخرى: شعر الموسيقى، شعر الرسم، والأشياء الموجودة في الطبيعة". فالشعرية هي ذلك الأثر الذي يلي إنتاج العمل الأدبي وتبقى بصماته باقية بعد ذلك، وهذا ما يقرره تودوروف بقوله: "ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية، إذ ما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي ويعود الفضل كبير إلى جاكبسون في الاهتمام بالشعريات، ونظريته اللسانية التواصلية التي اهتدى فيها إلى مفهوم الرسالة، وما يمكن أن تولده من دلالات كالوظيفة الشعرية التي تكون فيها الرسالة غاية في ذاتها، لأنها العمل الفني المعنى بالدراسة".

والشعريات: "هي بخلاف تأويل الأعمال النوعية لا تسعى إلى تسمية المعنى، بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل علم، ولكنها بخلاف هذه العلوم التي هي علم النفس، وعلم الاجتماع تبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته، فالشعريات إذن مقاربة للأعمال مجردة وباطنية في الآن نفسه"، وهي: "الكليات النظرية عن الأدب نابعة من الأدب نفسه إلى تأسيس مساره، فهي تناول تجريدي للأدب مثلما هي تحليل

داخل له. وتبرز مسألة التداخل بين الأسلوبية والشعرية، إذ إن للأسلوبية علاقة بالشعرية، بحيث تشمل هذه الشعرية الأسلوبية بوصفها مجالاً من مجالاتها البارزة"، لكن جون لويس كابانيس يبين ذلك بطريقته الخاصة، حيث يؤكد أن التداخل بين الشعرية والأسلوبية راجع إلى اهتمامها في الفترات الأخيرة- بالأسلوب، ومفهوم الانحراف، وفكرة الجنس، فهو على الرغم من أنه حاول التقريب بين أسلوبية شارل بالي التي كانت تهتم بالتعبير عن العواطف في اللسان دون الاعتناء بالآثار الأدبية، وأساليب ليو سبيتزر التي عمدت إلى دراسة أسلوب الكاتب، ونظرت إلى الأسلوب على أنه انحراف نسبة القاعدة التي يكونها اللسان المعاصر، فتطورت الأسلوبية حتى وجدت نفسها معنية بالأسلوب، ومفهوم الانحراف، والجنس الأدبي، والخطاب، فتقاطعت مع الشعرية التي كانت تقوم على دراسة هذه الموضوعات خصوصاً ذلك المسمى بالأسلوب الشعري الرمزي، والأسلوب النثري، كما فعله جون كوهين، لكنه يعود ويحاول وضع الفرق بينهما كون الدرس اللساني يفرق بين الشعرية والأسلوبية من حيث حدودهما العلمية وطبيعتهما، ذلك أن الاتجاه الشعري يظل مسوساً بمنظار منهجي لا يبحث عن الصفة المميزة للأسلوب، ولا يدرس الخصائص المميزة للعلامات إلا داخل منظومة الأثر، لأن الأعمال من مشمولات الأسلوبية.

من هنا فإن كل عمل أدبي هو مجرد انتقاء من لغة معينة على أن لا يفهم الانتقاء أنه انتقاء من أشياء جاهزة بل هو خلق خاص". (40)

كما أنّ طريقة استعمال كل مبدع للألفاظ هي التي تخلق له أسلوبه الخاص، من هنا فقد قال الناقد (بوفون) مقولته الشهيرة (الأسلوب هو الرجل نفسه)، بمعنى أن الأسلوب الخاص بهذا المبدع أو ذلك هو حصيلة مجموعة من العمليات الذهنية والفكرية والثقافية وطريقة تناول والمقدرة على التعرف إلى التشابه للوصول إلى التميز، فلغة الأدب تقوم باستغلال بُنى اللغة بكثير من التعمد والتنظيم، وأي عدم توازن أو خلل بين العناصر اللغوية والتصويرية والإيقاعية سيخفف من شعرية الخطاب وتقرده، إذ شعرية تنبع من تعانق التراكيب المميزة مع العناصر الأخرى، والمبدع الحاذق هو الذي يسخر إمكانات اللغة ويتلاعب بتراكيبها مما يمنح نصّه خصوصية شعرية تجعله يتميز عن غيره.

هوامش المادة العلمية:

1. كمال بشر التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص21.
2. ريمون طحان الألسنية العربية 2 دار الكتاب اللبناني- بيروت، لبنان (د. ت) ص116-117.
3. بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، لبنان (د. ت)، ص29.
4. سندس عبد الكريم، شعر رشيد أيوب، دراسة أسلوبية (رسالة دكتوراه)، ص3.
5. إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، دار النشر، بيروت 1997، ص67.
6. غراهام هوف، الأسلوب والأسلوبية، مرجع سابق، ص15.
7. عبد السلام المسدي - الأسلوبية والأسلوب، مرجع سابق، ص53.
8. إبراهيم الرماني - مدخل إلى الأسلوبية - مرجع سابق، ص44.
9. الطاهر قطبي - التوجيه النحوي للقراءات النحوية في سورة البقرة، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، سنة1991، ص2.
10. المبرد، الكامل، نشر بتحقيق طه محسن، مطبعة الإرشاد، بغداد 1982، 70-72.
11. ابن سينا. الإشارات والتنبيهات، شرح نصر الدين الطوسي، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، ط3، ص3-4.
12. تمام حسان. الأصول، دراسة أبيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (نحو، فقه اللغة، بلاغة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1982، ص389.
13. كمال بشر. التفكير اللغوي بين القديم والجديد، مرجع سابق، ص149.
14. عبد السلام المسدي - الأسلوبية والأسلوب، مرجع سابق، ص63.
15. الطاهر قطبي، التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في سورة البقرة مرجع سابق، ص02.
16. يقول جورج مولينييه عن مدرسة بآلي الأسلوبية: " فأسلوبية بآلي ليست إنجازا أدبيا ولا فرديا. (انه) يستعمل العمل الأدبي كسند وكإطار أو كذريعة تتيح تحليل أفعال اللغة الشعورية، وتكتسي هذه العلاقة الأخيرة أهميتها انطلاقا من هذه النظرية واعتبارا لعموميتها ولتمثيليتها البنيوية بالنظر إلى النسق الشامل للغة ما (مثلا الفرنسية في النصف الأول من القرن العشرين)". تاريخ الأسلوبية: جورج مولينييه، تعريب عز الدين العامري وعبد المنعم الشنتوف، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، طرابلس ليبيا، صيف- خريف 1996، العددان85-86، ص146.

17. يقول جورج مولينييه: " كان يظن سنتي 1968 و 1974 أن الأسلوبية قد ماتت، إذ إن للعلوم أعمارا ( . . ) وابتداء من سنة 1987 عشنا عودة الأسلوبية" لجورج مولينييه تعريب صابر الحباشة، جريدة الصحافة، الورقات الثقافية، العدد 243- 29 أكتوبر 1999.
18. المرجع نفسه.
19. جيزيل فالانسي: Gisèle Valency النقد النصي"، ضمن كتاب: "مدخل إلى مناهج النقد الأدبي"، ترجمة د. رضوان ظاظا، مراجعة د. المنصف الشنوفي، عالم المعرفة، الكويت، العدد 221، مايو/ أيار 1997، ص 216 .
20. جورج مولينييه: "الأسلوبية"، تعريب صابر الحباشة، جريدة الصحافة، الورقات الثقافية، العدد 243، 29 أكتوبر 1999.
21. جورج مولينييه: دراسة الأسلوب والبحث، وأدوات الفن الأدبي"، ترجمة د. بسام بركة، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت لبنان- طرابلس ليبيا، شتاء 1998 العدد 94، السنة 19، ص 231.
22. جورج مولينييه: دراسة الأسلوب والبحث، وأدوات الفن الأدبي، مرجع سابق، ص 232.
23. المرجع نفسه، ص 234.
24. جورج مولينييه: دراسة الأسلوب والبحث، وأدوات الفن الأدبي، مرجع سابق ، ص 234.
25. المرجع نفسه ، ص 235.
26. جورج مولينييه: "الأسلوبية"، ترجمة صابر الحباشة، الصحافة، الورقات الثقافية، العدد 243، 29 أكتوبر 1999.
27. جورج مولينييه: "الأسلوبية"، مرجع سابق.
28. من أعلام هذا الصنف من البلاغة الذين نظروا له دي مارسيه Du Marsais وفونتانيي Fontanier و بون أوم Bonhomme ولوغارن (Le Guern).
29. جورج مولينييه: " الأسلوبية"، مرجع سابق.
30. يمني العيد - في معرفة النص، ط1 بيروت، ص 38
31. رجاء عيد - البحث الأسلوبي معاصرة وتراث -دار المعارف، مصر، ط1/ 01/ 1993، ص 33.
32. عزة آغا ملك - الأسلوبية من خلال اللسانية-مرجع سابق، ص 84.

33. عبد السلام المسدي – الأسلوبية والأسلوب - مرجع سابق، ص ص 5، 6.
34. المرجع نفسه، ص 51.
35. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث ج1، دار هوم، الجزائر، ص 48.
36. المرجع نفسه، ص 89.
37. صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1995، ص 45.
38. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1992، ص ص 13، 14.
39. رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث - مرجع سابق - ، ص 65.
40. محمد الأسعد، مقالة في اللغة الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 80، ص 40.



## المنهج الفينومينولوجي، المبادئ والتطبيقات

### ملخص

إن هدف هذه الدراسة هو التعريف بالمنهج الفينومينولوجي ومبادئه وميادين تطبيقاته، على اعتبار أنه من أهم مناهج البحث في التفكير الفلسفي المعاصر. لذا سنحاول تتبع تطور المنهج الفينومينولوجي عند كل من مؤسس الفينومينولوجيا ادموند هوسرل وأهم تلامذته مارتن هيدغر، وكذا أهم ممثلي المنهج الفينومينولوجي في فرنسا، موريس ميرلو بونتي، محاولين إبراز تحولات المنهج الفينومينولوجي وتنوع تطبيقاته عند الفلاسفة الفينومينولوجيين السابقين الذكر، وبالتالي طبيعة النتائج و الحقائق المتوصل إليها من خلال هذه التحولات.

د. محمد بن سباع

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية  
جامعة قسنطينة 2  
الجزائر

### مقدمة

إن سبب اهتمامنا بهذا الموضوع، يرجع إلى أن الفينومينولوجيا تعتبر من أكبر مذهب فلسفي معاصر، كما أنها سعت إلى حل الكثير من المشكلات المطروحة في الفكر الغربي، وهذا ما جعل من الفينومينولوجيا فلسفة ومنهجاً في الوقت ذاته.

إن الفينومينولوجيا الترنسندنتالية لدى هوسرل، على الرغم من أنها قدمت منهاجاً فينومينولوجياً حاولت من خلاله نقد أهم مقولات الحداثة والتي هي مقولة الذاتية من خلال تقديم قراءة جديدة

### Résumé

Le but de cette étude, est la définition de la méthode phénoménologique, ses principes et ses différents champs d'application. Cette méthode est considérée comme l'une des plus importantes méthodes de la pensée philosophique contemporaine.

Nous essayons de suivre son évolution chez le fondateur de la phénoménologie Edmund Husserl, son brillant élève Martin Heidegger et la meilleure représentation de la méthode phénoménologique en France Maurice Merleau-Ponty

للكوجيتو الديكارتي والعمل على إعادة موضعة الذات في العالم من خلال إخراجها من أوليتها المعرفية وجعلها أكثر ارتباطاً بموضوعها المعروف، و الأهم من كل هذا هو أنها حاولت تجاوز تناقضات المعارف والعلوم الموجودة في الفكر الغربي خصوصاً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلا أن هذا المنهج عرف بعض النقائص حاولت الفينومينولوجيا الأنطولوجية لدى هيدغر تجاوزها، خصوصاً ما تعلق بالأرضية التي تجمع بين الذات والموضوع، أي الأساس الأنطولوجي لهذه العلاقة، فكان التحول في البحث الفينومينولوجي من الماهية إلى الواقع أو إلى الوجود من خلال دراسة حالات تواجد الموجود أو ما يسميه هيدغر بتحليل الأنية لكن هيدغر لم يكتف بالفينومينولوجيا لوحدها كمنهج بل دعمها بالهيرمينوطيقا التي تساعد على فهم وتأويل تواجد الموجود في الوجود .

هذا، وبعد أن انتقلت الفينومينولوجيا إلى فرنسا، وجد أهم ممثلي المذهب الفينومينولوجي هناك والذي هو موريس ميرلوبونتي، أن الفينومينولوجيا عموماً والمنهج الفينومينولوجي خصوصاً تشوبه الكثير من التناقضات والنقائص، لدى هوسرل أو لدى هيدغر، فكان له أن قدم لنا تصورات جديدة سواء ما تعلق بطبيعة مبادئه أو ما تعلق بمبادئ تطبيقاته. لنحاول في هذه الدراسة التعرف على مبادئ المنهج الفينومينولوجي و تطبيقاته لدى كل من هوسرل و هيدغر وميرلوبونتي على التوالي، لكن قبل ذلك سنحاول التعرف على مفهوم الفينومينولوجيا.

## I- مقارنة في الفينومينولوجيا:

يعد ضبط مفهوم الفينومينولوجيا (1) نقطة الانطلاق بالنسبة إلى أي باحث في ميدان الفلسفات الفينومينولوجية، حتى ولو كانت الفينومينولوجيا نشأة أو تاريخاً تمثل جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الفلسفة، إلا أن ما نتوخاه من هذه المقاربة المفهومية، ليس تكراراً لبداهة سائدة، أو من قبيل مساهمة بسيطة في حفريات الفينومينولوجيا، وإنما سعياً منا لجعلها نقطة انطلاقاً للتساؤل حول مصيرها وحاضرها، فهي خطوة لا بد منها في إدراك ماهية الفينومينولوجيا وقراءة استفتاحية تمكننا من ضبط الهوية الفلسفية للمصطلح.

تحيل اللفظة الفرنسية *phénoménologie* والتي تتكون من جزئين هما *phénomène* و *logique* إلى الكلمتين اليونانيتين *phénoménon* و *logos*، وعلى الرغم من أن المذهب الفينومينولوجي ارتبط بهوسرل كمؤسس له، إلا أن أول من استخدم مصطلح "فينومينولوجيا" هو يوهان هانريش لامبرت *Johann-Heinrich Lambert* وذلك في كتابه "الأورغانون الجديد" الذي ظهر سنة 1764، والمعنى الذي أعطاه للفينومينولوجيا في هذا الكتاب هو "علم الظاهر" (2) أو فقه الظاهر، حيث اعتبر الفينومينولوجيا بمثابة أورغانون جديد، يميز الحق من الخطأ، وهو ما ساهم في توضيح مشكلة الميتافيزيقا في ما بعد وبالتحديد علاقة الحاسة بالعقل المحض، مثل ما نجده عند كانط *Kant* (1724-1804).

استخدم ايمانويل كانط، مصطلح الفينومينولوجيا -كما تؤكد على ذلك الموسوعة الفلسفية العالمية- في الجزء الرابع من كتابه "المبادئ الميتافيزيقية الأولى لعلم الطبيعة" (3)، كما استخدمه في كتاب "نقد العقل المحض" وبالتحديد في قسم "الديالكتيك الترنسندنتالي"، حيث يقول كانط في مدخل هذا القسم تحت عنوان "في الظاهر الديالكتيكي" ما يلي: "يجب الاحتراز من عد الظاهرة والظاهر شيئا واحدا" (4). وما نلاحظه على معنى مصطلح الفينومينولوجيا في هذه المرحلة، هو ارتباطها بما يظهر، كما أنها أخذت معنا نقديا سواء مع لامبرت أو مع كانط، على وجه الخصوص، من خلال أن الذات العارفة لا تعرف إلا ما يظهر في الخبرة الحسية المباشرة في إطار الشروط القبلية للمعرفة، خصوصا شرطي الزمان والمكان. ثم بعدها ولأول مرة نجد أن مصطلح الفينومينولوجيا يكون عنوانا لكتاب، وهو "فينومينولوجيا الروح" أن *phénoménologie de l'esprit* الذي صنفه هيغل (1831-1770 Hegel)، والذي صدر لأول مرة سنة 1807.

إن الحديث عن هيغل، وبالتحديد عن "فينومينولوجيا الروح"، هو بالتأكيد حديث عن رؤية جديدة للفينومينولوجيا، تمثل انعطافا حاسما في مسارها، فعلى الرغم من أن هيغل لم يؤسس للمذهب الفينومينولوجي إلا أن أغلب مؤرخي الفلسفة والباحثين يصرون على إلحاقه بهذا المذهب. لكن ما نتفق حوله فعلا هو أن مضمون هذا الكتاب كان يبشر بظهور توجه فلسفي جديد، فإذا كان مصطلح الفينومينولوجيا كما رأينا إلى غاية هذا المرحلة يعني علم الظاهر أو المعرفة الممكنة، فما هو المفهوم الذي تعطيه "فينومينولوجيا الروح" للفينومينولوجيا؟

يؤكد هيغل على أن الفينومينولوجيا هي "علم تجربة الوعي" (5)، و هي تجربة تعد بمثابة مسار جدلي يتبعه الوعي، من أجل بلوغ المطلق وذلك مرورا بمراحل أو لحظات مهمة ومتنوعة هي: الوعي كمعرفة بالموضوع الخارجي، ثم الوعي كمعرفة لذاته وأخيرا معرفة الروح، حيث تكون فينومينولوجيا الروح هي معرفة هذه السيرة الجدلية لبلوغ المطلق (6). وهذا ما يلخص لنا مسار الذات، أي الوعي، من الذات إلى الشيء-في-ذاته إلى الروح، حيث تكون وظيفة الفينومينولوجيا هي معاينة الانتقال من المحسوس إلى ما فوق المحسوس وبالتالي إلى معرفة المطلق.

إن معرفة المطلق، أو استعادة الروح هو ما يسمى بالفينومينولوجيا في "فينومينولوجيا الروح"، حيث يكون الهدف من وراء خبرة الوعي وتتبع مساره الجدلي الذي يسلكه لبلوغ المطلق عبر مراحل متنوعة -على اعتبار أن المرحلة اللاحقة تشمل السابقة- هو وصف ذلك الجهد من أجل تحقيق الذات أو بالأحرى استعادتها، وهذا ما يبين لنا أن مفهوم الظاهرة عند هيغل باعتبارها مرحلة من مراحل الوعي، هو أكثر ارتباطا بالتاريخ وليس بالجوانب المعرفة كما رأينا مع كانط.

إن مصطلح الفينومينولوجيا، منذ ظهر مع لامبارت مرورا بكانط وصولا إلى هيغل، ظل يحمل تقريبا المعنى نفسه ألا وهو الظاهر أو المظهر، وعليه فقد تأخر

ظهور المذهب الفينومينولوجي إلى بداية القرن العشرين أي إلى غاية ظهور كتاب "الأبحاث المنطقية" لادموند هوسرل سنة 1901، حيث أحدثت فينومينولوجيا هوسرل تأثيرا كبيرا على الفلسفة المعاصرة، حتى أصبحت الفينومينولوجيا من أكبر التيارات الفلسفية، وعلى الرغم من أن أتباعه سلك كل منهم طريقا جديدا غير الذي حدده هوسرل منذ البداية، إلا أنه كان لهم جميعا رغم اختلاف توجهاتهم قاسم مشترك، هو أنهم فكروا مع هوسرل وليس مثل هوسرل، وهذا ما أدى إلى تطور الفينومينولوجيا ومباحثها فارتبطت بالوجود و الفن والأخلاق والدين... ولكن على الرغم من كل هذه التوجهات المتنوعة، إن لم نقل المختلفة، إلا أن كل الفينومينولوجيين المعاصرين يؤكدون على أهمية وقيمة فينومينولوجيا هوسرل كمذهب وكمنهج.

نبدأ من حيث بدأ هوسرل، وذلك بتوضيح مفهوم الفينومينولوجيا، حيث اعتبرها مجالا جديدا من البحث، يمكن أن يقدم لنا موضوعية جديدة، إذ يقول: "هو علم جديد، إنه الفينومينولوجيا" (7). وكأن هوسرل يبشرنا بظهور هذا العلم الجديد، وتعني كلمة الجدة هنا ارتباطها بالموضوع والمنهج على حد سواء. فما هو الموضوع الذي تختص الفينومينولوجيا بدراسته؟ وما هو المنهج الذي ينتج من خلاله الفينومينولوجي إلى دراسة هذا الموضوع؟.

نحاول الإجابة عن السؤال الأول، ونؤجل الإجابة عن الثاني إلى حين اكتمال شروطها. يقول هوسرل في كتابه "فكرة الفينومينولوجيا": "إن السمة الفارقة للفينومينولوجيا هي أنها تحليل للماهية، وبحث في الماهية في نطاق اعتبار نظري محض... فهي تفترض أن تكون علما ومنهجا بين الممكنات... انطلاقا من أسس الماهية التي لها إنما هي ممكنة عموما، مشكلة ومباحث [الفينومينولوجيا] هي تبعا لذلك مباحث عامة في الماهية" (8)، وهذا ما يبين لنا أن الماهية هي مادة البحث التي يشتغل عليها الفينومينولوجي، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو ما الذي يقصده هوسرل بالماهية؟.

يجيبنا هوسرل بقوله: "إن هوية الماهية، تتحدد من خلال الماهية ذاتها، بما هي معطاة في الحدس أو في الوعي كما هو، إنها لا تتغير" (9)، والعودة إليها خطوة منهجية لا بد منها في دراسة الظواهر، من ناحية ارتباطها بذلك المحتوى الكامن في الشعور أو الوعي، والأكثر من ذلك، المعطى في الحدس المباشر، وبالتالي تتجاوز فينومينولوجيا هوسرل ذلك التمييز أو الحد الفاصل الذي وضعه كانط من قبل بين الظاهرة والشيء-في-ذاته ويصبح المفهوم الجديد للظاهرة، يشير إلى ما يظهر على ساحة الوعي، حيث يمكن معرفتها عن طريق وصف ماهيتها وذلك بالتعالي.

توصف فينومينولوجيا هوسرل بالمتعالية Transcendantale وهو مصطلح استخدمه كانط من قبل في كتابه "نقد العقل المجرد"، وكان يعني به الشروط القبلية للمعرفة والتي لا تتم هذه المعرفة دونها. أما بالنسبة إلى هوسرل فإن المعنى مختلف عنده؛ حيث أن الإشكالية الترنسندننتالية بأكملها، تتمحور حول علاقة الأنا الخاص بي ego مع ما

يوضع في البداية بكيفية تلقائية: نفسي أنا، ثم علاقة هذا الأنا وحياة وعيي مع العالم الذي أنا على وعي به" (10)، ذلك أن جوانب القبلية تظهر من خلال العودة إلى الذات العارفة والتي يسبق وجودها العالم، لأنها هي مصدر معرفتنا به.

وهكذا تتضح لنا معالم الموضوع الذي تختص الفينومينولوجيا الترنسندنتالية لدى هوسرل بدراسته والذي هو الماهية، لكن: "الفينومينولوجيا تدل كذلك في الأصل على منهج وعلى موقف لفكر" موقف الفكر الفلسفي "و" المنهج الفلسفي "بخاصة (11). إن ما تتميز به الفينومينولوجي، ويجعلها في الوقت نفسه تختلف عن الفلسفات الأخرى، هو أنها فلسفة للمنهج تعمل على وصف أفعال الوعي وموضوعاته، وهنا نصل إلى الإجابة عن السؤال المتعلق بالمنهج الفينومينولوجي لدى هوسرل.

## II- منهج الرد الفينومينولوجي في الفينومينولوجيا المتعالية لدى هوسرل :

إن ما يميز هوسرل، عن غيره من الفلاسفة الألمان، هو أنه لم يكن هناك تأثير ديني على فلسفته، فهو لم يتكون تكويناً لاهوتياً، على الرغم من أصوله اليهودية، بل كان شديد الاهتمام بالعلوم، خصوصاً منها الرياضيات، وهذا ما يمكن أن نعتبره مبرراً موضوعياً ومعرفياً ومنهجياً، في تأسيس مشروعه النقدي والمتمثل في حل أزمة العلوم الأوروبية حيث لاحظ هوسرل أن الفلسفة مهددة بفقدان مكانتها أمام العلم فكان هدفه بالتالي في هذه المرحلة، هو محاولة إقامة الفلسفة كعلم صارم، من خلال وضع مبادئ الفينومينولوجيا الترنسندنتالية.

لقد صنف هوسرل كتاباً موسوماً ب: "أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية" *La crise des sciences européennes et la phénoménologie transcendantale* وإن قراءة سريعة في عنوان هذا الكتاب، تبين لنا بوضوح أنه يشخص المشكل القائم والذي يتعلق بالمعارف والعلوم التي يقوم عليها الفكر الأوروبي، وكذا الحل المناسب الذي يتطلبه هذا المشكل، ألا وهو الفينومينولوجيا الترنسندنتالية، التي رأى فيها هوسرل إمكانية واسعة خصوصاً من الناحية المنهجية لتجاوز هذه الأزمة. وما يجب التأكيد عليه هنا، هو أن مشروع هوسرل النقدي هو مشروع ابستمولوجي في المقام الأول، وقد تحيلنا هذه الصفة إلى المشروع الكانطي، لكن ما يميز هوسرل عن كانط، هو أن هذا الأخير سعى إلى نقد العقل فقط وبالتالي إصلاحه، أما هوسرل فإن مشروعه أعم، بل وأهم، انه إصلاح للإنسانية.

ولأجل انجاز هذه المهمة، دخلت الفينومينولوجيا الترنسندنتالية عند هوسرل في حوار مع العقلانية الغربية، بدءاً بمناقشة أهم مقولات الحداثة، وصولاً إلى نقد وتجاوز أهم المذاهب والعلوم التي تمثل الفكر الأوروبي، وانطلاقاً من هذا نشأت الأسئلة التالية: ما المقصود بأزمة الفكر الغربي؟ ما هي أهم المذاهب والعلوم التي تشكل جوانب هذه الأزمة؟ والأهم من كل هذا كيف يكون المنهج الفينومينولوجي أفقاً ابستمولوجياً لتجاوز هذه الأزمة؟.

لقد ظهرت فينومينولوجيا هوسرل في ظل أزمة العلم، أو بالأحرى كنتيجة حتمية فرضها واقع الفكر الأوروبي المتأزم، وقد وضح لنا هوسرل مفهوم الأزمة قائلًا: "إن أزمة علم ما، لا تعني سوى أن علميته الحقبة أي الكيفية التي حدد بها مهمته، وأنشأ بها المنهجية الكفيلة بانجاز هذه المهمة بأكملها أصبحت موضع سؤال" (12)، والأزمة بهذا المعنى ترتبط بالمنهج كما ترتبط بالموضوع أيضا، لأنهما شرطين ضروريين لأي حقل معرفي لكي يصير علما، ولأن نظرية المعرفة التقليدية تبنى على علاقة الذات العارفة بالموضوع المعروف، مع إعطاء الأولوية لأحد الطرفين على الآخر، وذلك باختلاف المذاهب، فقد جاءت الفينومينولوجيا الترنسندنتالية لدى هوسرل كتجاوز للصرع التقليدي بين النزعتين التجريبية من جهة والعقلانية من جهة أخرى.

لا يمكننا الحديث، عن نقد الفينومينولوجيا الترنسندنتالية لدى هوسرل للحدث، دون الانطلاق من ديكارت (Descartes 1596-1645)، لأن العلاقة بينهما بقدر ما هي وطيدة فهي علاقة نقدية، فحتى ولو كان هوسرل يؤكد في الكثير من الأحيان على أن ديكارت قدم لنا أهم اكتشاف في تاريخ الفلسفة ألا وهو الكوجيتو: "أنا أفكر، إذن أنا موجود" je pense donc je suis، (13) إلا أن ما نلاحظه، هو اختلاف المشروعين الديكارتي والهوسرلي؛ حيث أنه إذا كانت نقطة الانطلاق عند ديكارت، هي الشك في حقائق العالم، فهي عند هوسرل، وضع هذا العالم بين قوسين، أو ما يسميه بالتوقف عن الحكم، كما أن الفينومينولوجيا لدى هوسرل، تسعى إلى الثورة على نظرية المعرفة التقليدية، وبالتالي تقديم حل ابستمولوجي جذري لها، لكن في هذه الفكرة بالذات، كانت استفادة هوسرل من ديكارت، فكيف ذلك؟.

يثمن هوسرل، قيمة الكوجيتو الديكارتي، من حيث أن فيه عمقا، يصعب استنفاده وهذا العمق هو ما سيكون فيما بعد محل تأويل من قبل هوسرل. إن أهمية المنهج الديكارتي تكمن من ناحية: "أنه قد تم لأول مرة وضع الطبقة الدنيى لكل المعرفة الموضوعية، أي الأرضية المعرفية لكل العلوم القائمة، لكل العلوم المتعلقة بالعالم أصد التجربة بالمعنى المعتاد، التجربة الحسية موضع سؤال، من منظور نقد المعرفة" (14). وما نفهمه من هذا القول هو أن هوسرل يريد توظيف المهمة النقدية للمعرفة التي أسسها ديكارت، والتي ستجعل من الفينومينولوجيا الترنسندنتالية، منهجا نقديا يحاول حل المشكلات المعرفية القائمة، دون أن تكون هذه المهمة النقدية موجهة فقط إلى التجربة الحسية كما كانت مع ديكارت، وإنما موجهة إلى نقد التجربة بمعناها الواسع، وبكل أبعادها الحسية والنفسية.

إن ما استفاده هوسرل من ديكارت هو الأساس الابستمولوجي في نقد العلوم والمعارف، وقد كان هذا في الوقت نفسه نقطة انطلاق لإعادة قراءته أو التفكير فيما لم يفكر فيه، بحيث يمكننا أن نقول بأن هوسرل فكر مع ديكارت ضد ديكارت، و إن ما يعيبه عليه هو أنه لم يستثمر النتائج المتوصل إليها من خلال الكوجيتو، وهو ما اعتبره سوء تأويل ديكارت لذاته، حيث يقول: "مع الأسف، إن ديكارت لم يحقق التجذر

الأصيل لأفكاره من ناحية أنه لم يخضع كل أفكاره السابقة، والعالم كلية إلى الايبوخية" (15) وبالتالي فإن هوسرل قدر قيمة وأهمية الكوجيتو أكثر من مكتشفه، لأنه لم يتوقف عنده، وإنما بحث داخله فكان له أن اكتشف فيه ما لم يكتشفه ديكرت. فما الذي اكتشفه هوسرل في الكوجيتو؟.

تقدم لنا قراءة هوسرل للكوجيتو الديكارتي، كوجيتو جديد، يتجاوز الذاتية الديكارتية التي تفصل بين الوعي والعالم، ويجعل الأنا مرتبطاً بما يفكر فيه، فيكون الكوجيتو الجديد على النحو التالي: أنا- أفكر-موضوع التفكير ego-cogito-cogitatum (16). وينتقل النقد الفينومينولوجي من تجاوز الديكارتية، إلى علوم ومعارف شكلت دعامة أساسية للفكر الغربي، ألا وهي الرياضيات من جهة، والنزعة السيكلولوجية من جهة أخرى، فقد أولاهما هوسرل اهتماماً كبيراً خصوصاً النزعة السيكلولوجية، التي نقدها في أغلب مؤلفاته. فأين تتجلى بالتحديد معالم الأزمة في هذه العلوم والمذاهب وكيف واجهها وتجاوزها المنهج الفينومينولوجي؟.

شهدت الرياضيات في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ما يعرف بأزمة الأسس، وهذا ما جعل علماء الرياضيات يسعون لحل هذه الأزمة باللجوء إلى المنطق من خلال إحداث تقارب بين مباحث الرياضيات ومباحث المنطق، وكان السؤال الذي حاول هوسرل الإجابة عنه أو بالأحرى تبيان حدوده هو هل النزعة العلمية هي الإمكانية الوحيدة لفهم الواقع؟ وقد لاحظ أن الطبيعة أصبحت بمثابة كون رياضي كما لاحظ أن الرياضيات الخالصة لا تتعلق إلا بالأشكال المجردة للصور المكانية والزمانية خصوصاً في ميدان الهندسة وهذا ما جعله يعترض على هذا التصور بقوله: " لكن مما له أهمية كبيرة ملاحظة ما حدث من إقحام لعالم المثاليات، الذي هو تركيب نظري رياضي محل العالم الواقعي، المعطى واقعياً في الإدراك، إنه عالم التجربة الممكنة، عالم عيشنا اليومي". (17)

إن هذا العالم، الذي يتحدث عنه هوسرل، هو الذي تم تهميشه بإحلال عالم الطبيعة محله، إنه عالم المعيش أو عالم الحياة، أي حياة الوعي الخالص القصدي، وهنا مكن الأزمة؛ لأنه تم إحلال الحدس الهندسي محل الحدس الأصلي الكامن فيه، وبالتالي أصبحت الصيغ الرياضية غطاء يحجب عالم المعيش بكل ما يحمله هذا العالم من تجارب وحقائق، ولكن اهتمام هوسرل بأزمة الرياضيات لم يكن بقدر اهتمامه بالنزعة السيكلولوجية التي شكلت أكبر قسم من أزمة العلوم والمذاهب الأوروبية.

إن الاعتراض على النزعة السيكلولوجية، خصوصاً على موقفها من القوانين المنطقية، لم يرتبط فقط بهوسرل، بل كان هذا المذهب عرضة للنقد من قبل أغلب المفكرين والفلاسفة المعاصرين، أما مكن اعتراض هوسرل على هذه النزعة، فهو اعتبارها للمقولات والأحكام المنطقية كأحداث نفسية بسيطة، فلو أسست المعرفة على الحوادث النفسية، لكانت الحقائق مختلفة باختلاف هذه الحوادث من شخص إلى آخر وبالتالي لا يمكن في النهاية الوصول إلى معرفة موضوعية (18). ولتوضيح الفكرة

أكثر، نقول إن النزعة السيكلوجية لا تفصل بين عملية التفكير والفكرة في حد ذاتها، بصفتها ما يتم التفكير فيه، فمثلا عندما نقول:  $4 < 3$  و  $3 < 2$  فإن  $4 < 2$ ، فهنا نميز بين الحالة السيكلوجية التي نصف من خلالها العملية وبين الانجاز الفعلي لهذه العملية والحالة الأولى من اختصاص السيكلوجيا، أما الثانية فهي من اختصاص المنطق، وهذا ما لم تدركه النزعة السيكلوجية، وبالتالي هذا ما جعل هوسرل يتجه إلى المنطق المحض.

إنه لتجاوز الاختلاف في الحقائق الذي يترتب عن الأنا النفسي، يؤكد هوسرل على ضرورة العودة إلى قوانين المنطق المحض، المرتبطة بالفكر المحض، لأن ما يمتاز به هذا المنطق هو: "أنه عالم من الموضوعات المثالية عالم "تصورات"، كما اعتدنا القول فكل حقيقة هنا ليست غير تحليل الماهية، أو التصور حيث أن ما تتطلبه هذه التصورات هو عدم الفصل بين محتواها ومعناها" (19). وما تجدر الإشارة إليه هو أن هوسرل تفتن إلى ضرورة اللجوء إلى قوانين محضة للمنطق، لتبيان الطريقة الصحيحة للتفكير، وهذا هو البعد الحقيقي للمنطق ولكن الإمكانية الواسعة التي سمحت لهوسرل بنقد النزعة السيكلوجية وبالتالي تجاوزها، كانت ممثلة في القصدية (20) والتي أخذها عن برنتانو Brentano لأن برنتانو أول من أكد على تلك الخاصية التي تتميز بها الظواهر النفسية، والتي لم يتفطن لها علماء النفس من قبل، ألا وهي العلاقة الموجودة بين الظاهرة ومحتواها ليصبح كل معيش نفسي هو معيش قصدي. وعليه يقدم لنا هوسرل مفهوما جديدا للذاتية، فليست هي ذات تشك في العالم مثل الذات الديكارتية ولا هي ذات ترتبط بالشروط القبلية للمعرفة مثل الذات الكانطية، وإنما هي ذات متعالية تقصد موضوعها وتكون منبع الحقيقة واليقين.

إن الظواهر في فينومينولوجيا هوسرل تتميز بتكوينها القصدي، وللتعرف على هذه الخاصية، ما علينا إلا تحويل انتباهنا نحو فكرنا وأحواله، أي بانعكاس الفكر على ذاته. ولتوضيح هذه المقولة الأساسية في الفينومينولوجيا الترنسندنتالية لدى هوسرل، ننطلق من التساؤل التالي: ما المقصود بالطابع القصدي للوعي؟ وكيف يظهر؟. يقول هوسرل في "التأملات الديكارتية": "إن المهمة التي أعطيتها لتأملاتي الفينومينولوجية هي... فهم كل الموضوعات القصدية المرتبطة بأفعال الذات" (21)، حيث أن كل ما يصدر عن الوعي هو ذو طابع قصدي، أي أن هناك معنا محايا للوعي في كل ما يصدر عنه من أفعال، كالإدراك والتخيل... ويكون هذا القصد هو إحالة متبادلة بين الذات العارفة وموضوعها المعروف.

ولتوضيح هذه الفكرة، نقول إن الطابع القصدي هو ما يميز المعيش الكامن في الوعي، وهذا ما تؤكد لنا عبارة هوسرل: "كل ما يوجد في الوعي هو كل ما يظهر" (22)، ولكن إذا كان القصد هو ما يضمن احتواء الوعي لموضوعه، فما هو دور القصد بالنسبة إلى هذا الموضوع؟ يجيبنا هوسرل: "إنه حماية لهذا الموضوع" (23) وبالتالي فالمعيش القصدي هو ظاهرة ليس لأنه معيش أو خبرة، وإنما لأن القصد هو ما



يضمن ظهوره على ساحة الوعي، وليس أدل على ذلك من قول هوسرل: "إن المعيشات المعرفية تنطوي بحسب طبيعتها، على قصد أي أنها تقصد شيئاً، وتتعلق بهذا النحو أو ذاك بموضوع" (24)، فالطابع القصدي هو الارتباط الموجود بين أفعال الوعي والموضوعات الكامنة في هذه الأفعال، وهذا ما يدل على قيمة وأهمية الطابع القصدي الذي يكون قد قدم حلاً لمشكلة الإدراك في فينومينولوجيا هوسرل، وذلك لأن الوعي القصدي ليس فقط مرتبطاً بموضوعه بل هو مصدر هذا الموضوع.

وبناء على ما سبق، ومن خلال النقد الذي وجهه هوسرل إلى المذاهب والعلوم السابقة الذكر، يمكننا حصر أهم مظاهر أزمة العلوم الأوربية في:

- النظرة إلى العالم نظرة مجردة صورية، وهو الخطأ الذي وقعت فيه الرياضيات وهذا ما أدى بالمعرفة خصوصاً العلمية منها، إلى الانحراف عن المسار الحقيقي بحيث كان من الأولى الاتجاه إلى الأشياء ذاتها لا تجريدها وصورنتها.
- عدم التمييز بين المفاهيم، كالعملية الفكرية والعملية النفسية، وكذلك الواقع والروح، وهو الخطأ الذي وقعت فيه بعض المذاهب خصوصاً النزعة النفسية.

وما يمكن قوله، هو أن مظاهر أزمة العلوم الأوربية على تنوعها، إلا أنها تشترك في خاصية واحدة ألا وهي تجاوزها وتغطيتها للمجال الحيوي الخالص أو عالم الحياة، وهذا ما جعل هوسرل يسعى للبحث عن أساس مطلق للمعرفة، من خلال وضع منهج يتناسب مع طبيعة هذه المهمة، حيث يقول: "إني لن أصل إلى أي معطى مطلقاً بريئاً من كل مفارقة إلا بمنهج قد جعلنا له اسم الرد الفينومينولوجي" (25)، ويقوم المنهج الفينومينولوجي على بعض الخطوات والمراحل التي يتبعها الفينومينولوجي بدءاً بالإيبوخية، حيث يقول هوسرل: "إننا نلجأ إلى الإيبوخية لتغيير الموقف الطبيعي الذي هو الموقف السائد، وذلك ليس لأسباب عرضية بل ماهوية" (26)، إن الإيبوخية هي خطوة ضرورية في منهج الرد الفينومينولوجي، لأنها تعمل على تجاوز المواقف والأحكام السابقة المتناقضة، التي تعطي الأولوية إما للذات وإما للموضوع، وهذا ما ترفضه الإيبوخية وبالتحديد ترفض إصدار حكم إزاءه.

أما الخطوة الثانية، فهي الرد الماهوي حيث: "يحصل مجرد التأمل الحدسي في معطى ضمن تعقل المعيش المقصود وفي أنا "ظاهرة" هذا التعقل" (27)، فننتقل هنا من العالم إلى الوعي، ولكن ما لاحظته هوسرل في هذه المرحلة أننا لا نصل كلية إلى المعرفة الخالصة وهذا ما أدى به إلى وضع خطوة جديدة في المنهج الفينومينولوجي ألا وهي الرد المتعالي، حيث يقول هوسرل: "حتى أحصل على الظاهرة المحضة، يتعين علي مرة أخرى أن أضع العالم والزمان والأنا، موضع سؤال حتى أستخلص الظاهرة المحضة، أي الفكر المحض" (28). إنه في هذه المرحلة يوضع الوعي وكل المراحل السابقة بين قوسين بهدف الوصول إلى الماهيات الخالصة للظواهر، ومعاينة الأنا المفكر ذاته لأنه شرط معرفي سابق على أي فعل أو حكم أو خبرة، وتكون النتيجة

المتوصل إليها بعد كل عمليات التقويس، هي الأنا المتعالي الخالص الذي يتأسس عليه العالم.

وهكذا تظهر لنا مبادئ وتطبيقات المنهج الفينومينولوجي لدى هوسرل في طابعه المعرفي أو الابدستيمولوجي، وهو ما يقول عنه مؤسس الفينومينولوجيا ذاته: "إن المطلوب إذا هو فينومينولوجيا، أي فيما نحن بسبيله فينومينولوجيا المعرفة، بوصفها نظرية في ماهيات الظواهر المعرفية المحضة" (29)، وبالتالي تعبر الفينومينولوجيا كما أرادها هوسرل عن ذلك المسار النقدي لأهم مقولات الحدائثة خصوصا مقولة الذاتية وبالتالي العمل على إعادة موضعة الذات في العالم بإخراجها من أوليتها المطلقة، التي تقوم على أداء دور سلبي ألا وهو الشك في العالم إلى ذات مانحة المعنى لهذا العالم.

### III- مكانة المنهج الفينومينولوجي في المسألة الأنطولوجية لدى هيدغر:

يبدأ "الوجود والزمان"، بهذه العبارة "إن سؤال الوجود، سقط اليوم في النسيان" (30)، وكان هيدغر وانطلاقا من مقولات التحليل النفسي، يعتبر أن سؤال الوجود من مكبوتات لا شعور الفلسفة، وأنه -أي هيدغر- من سيقوم بدور المحلل، لكن التحليل -أو بالتحديد التخطيط- هذه المرة سيكون على تاريخ الميتافيزيقا الغربية، لأنها اهتمت بالبحث في الموجود على حساب الوجود.

تعد نقطة الانطلاق، وكذا التحول في الوقت نفسه، في مشروع هيدغر، هي إعادة صياغة السؤال، من "ما هو" إلى "من هو"، أي من البحث في ماهية الوجود إلى مسالة كينونة الوجود، حيث يقول هيدغر: "إن الوجود" ليس إلها ولا أساسا للعالم، فالوجود أكثر بعدا من أي موجود لكنه أقرب من الإنسان، حيث يكون كل موجود، سواء كان صخرا أو حيوانا، أو عمليا فنيا، أو آلة، أو كان ملكا للإله فإن الوجود هو الأقرب" (30)، وبالتالي يظهر لنا أن مسالة الوجود هي موضوع بحث المنهج الفينومينولوجي لدى هيدغر من ناحية إعادة إحياء السؤال عنه، ولأجل ذلك لا بد من إنجاز مهمتين، تكون أولاهما تحليل الأنية أو ما يسميه هيدغر بالأنطولوجيا الأساسية، أما ثانيتهما فهي تجاوز الميتافيزيقا. تعتبر الأولى مرحلة مؤقتة لبلوغ سؤال الوجود، في حين تعد الثانية نقدا لتاريخ الفلسفة الغربية من أفلاطون إلى نيتشه؛ لأنها ميتافيزيقا الموجود. لنتساءل الآن: ما المقصود بالأنية؟ وكيف يتم تحليل تواجد الموجود؟ ثم كيف تتم مجاوزة الميتافيزيقا؟ والسؤال الأهم، كيف يطبق المنهج الفينومينولوجي في كل هذه المسائل؟.

إن ما يميز فينومينولوجيا هيدغر عن فينومينولوجيا هوسرل هو أن الحديث عن الإنسان لا يرتبط أبدا بالوعي أو الذات الخالصة، وإنما من خلال أفق الزمان، بل وحتى الحديث عن الزمان لا يكون من ناحية ماهوية كما كان مع أوغسطين مثلا، وإنما من ناحية الكينونة ولأجل ذلك ينحت هيدغر لهذا الموجود المختلف عن الموجودات الأخرى مصطلحا خاصا به وهو الأنية Dasein، ومعناها "الوجود- هناك"، أي الكائن الملقى في العالم الموجود دائما بالقرب من الأشياء ومع غيره من الناس، والأكثر من

ذلك المتميز بعلاقته بالوجود واهتمامه بالسؤال عنه وحمله مسؤوليته على كنفه (31)، لأن هيدغر أدرك أن "الدازين" كائن أنطولوجي يتميز بكيونته الخاصة، وعليه فإن فهم وجود هذا الموجود هو أساس الأنطولوجيا، وفي هذه النقطة بالتحديد تختلف أنطولوجيا هيدغر عن الأنطولوجيا التقليدية، وليس أدل على ذلك من قول هيدغر: "إن الموجود الإنساني بين كل الموجودات هو الموجود الذي يفكر" (32)، وبالتالي هذا ما يسمح له بأن يكون: "راعي الوجود" (33) سنكتفي هنا فقط بذكر أهم خصيصة لهذا الموجود- نظرا للمقتضيات المعرفية والمنهجية لهذه الدراسة- وهي ما يسميه هيدغر "بالتواجد"، الذي لا يعني تحقيق الشيء أو تنفيذه، كما كان في الفلسفات السابقة: "حيث فهمته فلسفات العصور الوسطى على أنه إنجاز الفعل، ونظر إليه كانط على أنه الحقيقة بمعنى الخبرة الموضوعية، وربطه هيغل بفكرة الذات المطلقة التي تعرف ذاتها وتمثله نيتشه في فكرة العود الأبدية" (34). لقد رفض هيدغر كل هذه التصورات لمفهوم التواجد وأعطاه معنى مختلفا يفيد "التخارج" Existence ، فيقول عنه: "تخارج الإنسان هو ماهيته... وماهية الإنسان هي وجوده" (35)، حيث يفتح الإنسان على الوجود كما أنه يستشرف مستقبله كذلك، ويمكنه من خلال تواجده أن يفهم ذاته، وبالتالي أن يكون وجودا أصيلا أو لا يكون.

نصل الآن إلى الحديث عن المهمة الثانية، ألا وهي مجاوزة الميتافيزيقا (36)، حيث يشخص لنا هيدغر الخطأ الذي وقعت فيه الميتافيزيقا الغربية، أو بالأحرى نشأت عنه بقوله: "لقد درست الموجود في وجوده وفكرت هكذا في وجود الموجود، لكن الميتافيزيقا الغربية لم تفكر في الفرق بين الوجود والموجود" (37) ويعتبر إهمال هذا الفرق وبالتالي نسيان الوجود، هو الميزة الغالبة على كل مراحل الميتافيزيقا، لأنها من خلال عدم إدراكها لهذا الفرق أعطت الأولوية للموجود على حساب الوجود ، "فكانت في كل عصر تقدم تأويلا معينا للوجود ومفهوما محددا للحقيقة" (38)، وهذا التأويل الذي يتحدث عنه هيدغر هو ما يتمثل في فكرة "المثال" عند أفلاطون وفكرة "الحيوان الناطق" عند أرسطو، وفكرة "الأنا المفكر" عند ديكارت، وفكرة "إرادة القوة" عند نيتشه وفكرة "الأنا المتعالي" عند هوسرل، وهكذا يكون أفلاطون الحلقة الميتافيزيقية الأولى أما نيتشه فيمثل آخرها أما هيدغر، فسيعمل على تجاوز كل هذا التاريخ.

لقد ذهب هيدغر إلى حد توجيه منهجه الفينومينولوجي ككل إلى فهم الوجود، وذلك من خلال ما يسميه هيدغر بالفينومينولوجيا الأنطولوجية وهيرمينوطيقا الدازين، والتي تبين أن فهم الوجود ينبغي أن يتم من خلال فهم الموجود أو الكائن، وعليه، يتبين لنا إذا تحول وظيفة المنهج الفينومينولوجي مع هيدغر من معرفة الذات إلى كينونة الذات؛ لأن الكائن هو من يطرح سؤال الكينونة، وبالتالي تتحول القصدية مع هيدغر إلى ظاهرة وجودية، وتتحول الفينومينولوجيا الترنسندنتالية إلى فينومينولوجيا هيرمينوطيقية حيث تعبر القصدية عن مشروعه المتمثل في الخروج من الوعي كوعي إلى الوعي بالوجود أي من الأنا أفكر إلى الأنا الموجود.

ولو عدنا إلى "الوجود والزمان"، فإننا نجد هيدغر يتحدث عن مسألة الوجود في أفق الزمان كأفق ترنسندنتالي يطرح خلاله سؤال الوجود، وحتى أن مسألة التحطيم الفينومينولوجي للميتافيزيقا التقليدية تكون في إطار مسألة الزمان، ولقد حاول هيدغر أن يقدم لنا مفهوما جديدا للوجود الإنساني في علاقته بالزمان مبينا في الوقت نفسه كيف يكون التعالي في الزمان نحو الوجود، حيث يقول: "إن زمانية الوجود-في-العالم تقوم في الوقت نفسه على المكانة الخاصة للأنية... لأن تحليل الأنية يبين لنا كيفية تزامن الزمانية" (39) ولبلوغ هذه الإمكانية، يبين هيدغر أن المفهوم الفلسفي حول الزمان لا يختلف عن المفهوم الشائع له في الحياة اليومية وبالتالي، فالزمان الحقيقي هو الذي نشعرنا بوجودنا لأنه أفق أو تعالي نحو هذا الوجود وعليه فإن هيدغر لم يهتم في منهجه الفينومينولوجي بمسألة تعليق الحكم أو وضع العالم بين قوسين كما نجد في المنهج الهوسرلي وإنما اتخذ من نظرتة الفينومينولوجية للزمان كمبرر لإعادة طرح سؤال الوجود، بل والمسألة الأنطولوجية ككل لكون أن النتيجة المتوصل إليها ليس اكتشاف الأنا المتعالي أو المعرفة الخالصة وإنما الأنا الكائن في الوجود.

وهذا ما يتضح لنا أن الذاتية أو ما يسميه هيدغر بالأنية، ليست وعيا مغلقا على ذاته وإنما هي انفتاح على العالم، حيث يقول هيدغر: "إن الأنية هي الوجود هنا وهذا يعني أن الأنية هي وجود في، أي وجود - في-العالم، وهذا ما يمثل حقيقة الأنية بما هي أنية" (40)، إن الأنية هي بمثابة إسقاط Project نحو العالم وهي من المفاهيم الأساسية في كتاب "الوجود والزمان"، ويعبر عنها هيدغر بالوجود - في-العالم، لأن قصدية الدازين تتجه نحو فهم كينونته: "حيث يفتح الدازين على شيء ما بصفة عامة، وهذا الانفتاح يعبر عن اهتمامه بالعالم، بما هو وجود، وهو ما نسميه بإسقاط الدازين عن الوجود نحو الوجود". (41)

إن هيدغر يبين لنا في أغلب المؤلفات والمقالات التي كتبها خصوصا "نداء الحقيقة" و"هيلدرلين وماهية الشعر" و"ما الفلسفة؟" وغيرها، أن الميتافيزيقا الغربية بقيت لمدة زمنية طويلة تحاول أن تجيب عن السؤال "ما"، بحثا عن الماهية دون أن تتجه إلى الموضوع الحقيقي و الذي هو الوجود، وهو يتساءل: "ألا يتوه بنا السؤال عن الماهية في فراغ التعميم الذي يكتم على أنفاس الفكر؟ أليس من شأن المجازفة بطرح مثل هذا السؤال أن يبين أن الفلسفة كلها هاوية لا تقوم على أساس؟ ثم أليس السؤال عن الماهية هو أقل الأسئلة أهمية وأبعدها عن الالتزام؟" (42). إننا لم نتمكن من خلال طرح هذا السؤال إلى أن نصل إلى ماهية نهائية محددة، ذلك أن مفهوم الماهية اختلف عبر مختلف عصور الفلسفة و لهذا كان تحديدها متباينا (43)، وهذا التباين قد تحدثنا عنه من قبل، فقد تجلت الماهية في أشكال متنوعة أهمها فكرة "المثال" عند أفلاطون، وفكرة "الحيوان الناطق" عند أرسطو وفكرة "الأنا المفكر" عند ديكارت وفكرة "المطلق" عند هيغل و"صورة البطل" عند نيتشه وغيرها من النماذج، والقاسم المشترك بين هذه النماذج وما يعتبر خطأ في الوقت ذاته، هو أن أصحابها توجهوا إلى دراسة ماهية الوجود على حساب وجود الماهية.

لقد آمن هيدغر بأنه لا يمكن الوقوف على حقيقة الميتافيزيقا أو مجاوزتها كخطوة منهجية مهمة إلا بالتجاوز معها، وربما يكون الأهم من مجاوزة الميتافيزيقا هو التفكير في هذه المجاوزة لأن هذا التفكير: "يبشر بإعلان ابتداء فهم نسيان الوجود" (44). ولكن ما الذي يقصده هيدغر بالتحديد بكلمة التجاوز؟ بل وكيف يتم؟ يجيبنا هيدغر بقوله: "إذا كانت الميتافيزيقا هي تعبير عن حقيقة الموجود... فهذا المعنى يعتبر التجاوز كمهمة للفلسفة، حيث من الأفضل القول أن: "الميتافيزيقا شيء مضى" (45)، وعليه فالمجازة أو التحطيم الذي يمارسه هيدغر على تاريخ الميتافيزيقا الغربية، هدفه الكشف عن الإهمال الذي حدث في كل هذا التاريخ لسؤال الوجود، هذا السؤال الذي جعل هيدغر يكرس كل فلسفته من أجل إعادة طرحه وجعله أساس الأنطولوجيا.

هذه الأنطولوجيا، ما كان لها أن تقوم إلا بالاعتماد على المنهج الفينومينولوجي، بل وحتى على الهيرمينوطيقا (46)، لأنه إذا كانت الأنطولوجيا مع هيدغر كما رأينا قد عرفت منعرجا جديدا، فإن المنعرج الأكبر كان للفينومينولوجيا، من ناحية ارتباطها بالأنطولوجيا من جهة، وبالهيرمينوطيقا من جهة أخرى وسنحاول توضيح طبيعة هذه المفاهيم وكذا العلاقة القائمة بينها منطلقين في ذلك من تحليل قول هيدغر: "الفلسفة هي أنطولوجيا فينومينولوجية كلية، تكون نقطة انطلاقها هيرمينوطيقا الدارين" (47)، ولا يفهم المنهج الفينومينولوجي لدى هيدغر كما كان عند هوسرل، بل هو يؤخذ باعتباره منهجا: يعالج سؤال الوجود، بطريقة فينومينولوجية" (48)، كما يوضح لنا هيدغر ما يقصده بالفينومينولوجيا بالتحديد، فهي تنقسم كما يرى إلى قسمين اللوغوس Logos والظاهرة Phénomène ، فما الذي يقصده هيدغر بهذين المصطلحين؟

ينتقد هيدغر جملة التأويلات التي قدمتها الميتافيزيقا الغربية للوغوس خصوصا تأويل أفلاطون وأرسطو حيث كانا ينظران إليه على أنه العقل والتصور... لكن هيدغر يعطيه معنى جديدا قديما، فهو جديد من ناحية ربطه بالمساءلة الأنطولوجية، وقديم من ناحية استخدامه من قبل عند اليونان القدامى، وهذا المعنى هو "القول" و"الكلام"، أي "اللفظ" أو "ما هو ملفوظ"، (49) وهذا ما يبرر لنا توجه هيدغر إلى الاهتمام بلغة الشعر خصوصا عند هلدراين وتراكل، فإذا كان اللوغوس هو الكلمة وبالتالي اللغة، فما الذي يقصده هيدغر بالظاهرة؟.

يقول هيدغر: "يمكن استخدام الانكشاف، كتحديد للظاهرة في معناها الحقيقي" (50)، وبالتالي تفهم الظاهرة على أنها ما يُظهر نفسه بنفسه، وهكذا تتضح لنا معالم المنهج الفينومينولوجي لدى هيدغر الذي يوظف في المسألة الأنطولوجية حيث يعمل على وصف وكشف أشكال الوجود، أي ما به يظهر الوجود: "فلا تكون الأنطولوجيا ممكنة إلا بما هي فينومينولوجيا" (51)، هذا من ناحية الوجود أما من ناحية الأنية أو الموجود الإنساني فإن المنهج الفينومينولوجي يتحد مع الهيرمينوطيقا فيصبح فهما أو تفسيراً، والتبرير المنهجي للجوء هيدغر إلى الهيرمينوطيقا، هو المساهمة في المساءلة الفلسفية لسؤال الوجود، وبالتالي فإن الفائدة المنهجية للهيرمينوطيقا تكمن في أدائها لوظيفة

معينة، ألا وهي نقد الفلسفات الابدستيمولوجية من جهة والمساهمة في توضيح معنى الوجود من جهة أخرى.

#### IV- تجديد مبادئ و ميادين المنهج الفينومينولوجي لدى ميرلوبونتي:

يعتبر ميرلوبونتي القصدية كأهم اكتشاف قدمته الفينومينولوجيا، ولكنه يعترض على مفهوم القصدية وكيفية توظيفها في المنهج الفينومينولوجي لدى هوسرل، ولأجل ذلك يعود إلى فلسفة كانط، ويؤكد أنه في نقده للفلسفات المثالية بين أن كل إدراك داخلي لا يمكن أن يتم دون إدراك خارجي، حيث يكون العالم هو ذلك الاتصال الموجود بين مجموعة من الظواهر الموجودة حتى قبل الوعي بها، وبالتالي فإن وحدة العالم موجودة قبل معرفته (52)، وهذا بالتحديد ما غفلت عنه قصدية هوسرل.

وبالتالي، ينطلق ميرلوبونتي في نقده للقصدية الهوسرلية من فكرة الوجود الواقعي للظواهر قبل الاتصال بها على عكس قصدية هوسرل التي تحيل العالم وظواهره إلى الوعي و تجعل منه وجودا مثاليا، فيكون الوعي فعلا معرفيا ينجزه الأنا المتعالي، وهذا ما جعل القصدية في النهاية تأخذ طابعا مثاليا بعيدا تماما عن الواقع، فأين يكمن الحل هنا؟ وبعبارة أخرى، ما البديل الذي قدمه ميرلوبونتي لتجاوز هذه القصدية ذات الطابع المثالي؟.

يقول ميرلوبونتي: "إن كامل التحليل الهوسرلي، محاصر بطوق من الأفعال التي تفرضها عليه فلسفة الوعي لذلك يجب أن نستأنف ونطور القصدية الفاعلة التي هي القصدية داخل الوجود... حيث لا يجب أن ننطلق من الوعي ومجرى ظواهره، وإنما من الدوامة التي يرسمها ذلك المجرى الفينومينولوجي، أي الدوامة الممكنة (التي هي لحمة وليست وعيا يقابله موضوع تفكري)" (53). إن هذه القصدية الفاعلة ستكون هي البديل للقصدية عند هوسرل، التي تفتقد إلى تأصيل علاقة الوعي بالموضوعات، ليست الموضوعات التصورية والمفكر بها، وإنما الموجودة - في - العالم.

إن إعادة ربط الصلة بالكينونة الحقيقية للذات والموضوع هي غاية القصدية الميرلوبوننتية، لذلك نجد ميرلوبونتي يعود إلى ذلك التمييز الهوسرلي بين قصدية الفعل Intentionnalité opérante والقصدية الفاعلة Intentionnalité de l'acte.

وإذا كان هوسرل قد اهتم بقصدية الفعل على حساب القصدية الفاعلة، فإن ميرلوبونتي اهتم كثيرا بهذا النوع الثاني وطوره. ويتضح مفهوم القصدية الفاعلة لديه من خلال حديثه عن ظاهرة الفهم، وذلك لأن: "الفهم يتوصل إلى القصد بأكمله ليس فقط ما تمثله الأشياء سواء خصائص "الشيء المدرك" أو آثار "الوقائع التاريخية" أو "الأفكار" التي يقدمها أي مذهب، بل والتوصل إلى الطريقة الوحيدة في الوجود" (54)، حيث تتعدى وظيفة القصدية التأسيس المعرفي للأفكار والتصورات إلى العودة للأرضية التي يتأسس عليها هذا التأسيس الذاتي ألا وهي الوجود الواقعي للظواهر هذا الوجود الذي تجاهلته قصدية هوسرل، حيث يصبح الهدف الذي تسعى إليه القصدية في

المنهج الفينومينولوجي لدى ميرلوبونتي هو ربط الأفعال المعرفية للوعي مع أصولها الوجودية، لكن كيف تتم العودة إلى هذه الأرضية الأولى؟.

يكمن الحل فيما يسميه ميرلوبونتي بالقوس القصدي *L'arc intentionnel*، حيث يقول ميرلوبونتي في "فينومينولوجيا الإدراك": "يتبين لنا إذا أن حياة الوعي - إما حياة معرفية أو حياة رغبة أو حياة إدراكية - إنها محكومة "بقوس قصدي" ينشر حوله ماضينا ومستقبلنا ومحيطنا الإنساني ووضعنا الفيزيائي ووضعنا الإيديولوجي ووضعنا الأخلاقي كما أنه هو الذي يحد وضعنا في كل هذه العلاقات حيث أن هذا القوس القصدي هو من يحقق وحدة الحواس والمعاني والتعقل وكذلك الحساسية والحركية" (55)، فالقصديّة تعمل على تبيان وإظهار دور الذات العارفة من جهة وعلى إعادة موضعها في العالم من جهة أخرى، فلا يكون التفكير فعلا من أفعال الوعي إنما هو قصد نحو العالم و نحو الوجود الواقعي للظواهر.

كما يتبين لنا أنه بعد أن كانت القصديّة بنية أساسية من بنى الوعي في المنهج الفينومينولوجي لدى هوسرل، تؤدي وظيفة معرفية، أصبحت القصديّة في المنهج الفينومينولوجي لدى ميرلوبونتي تمتلك مفهوما أوسع وتؤدي وظائف متنوعة بعضها معرفي وبعضها الآخر وجودي، و أصبحت تعبر عن انتماء الذات إلى ذاتها كما تعبر عن انتماء الذات إلى العالم في الوقت ذاته.

هكذا، ومن خلال هذا المفهوم الجديد للقصديّة نصل إلى نتيجتين مهمتين، أولهما أن القصديّة الميرلوبونتيّة تجعلنا نتحول من ذلك العالم المثالي التصوري الذي تخلقه القصديّة الهوسرلية إلى العالم الفعلي والواقعي الذي توجد فيه الأشياء والظواهر الحقيقية. وثانيهما، أن الوجود - في - العالم الذي تحيلنا إليه هذه القصديّة، يختلف حتى عن الوجود - في- العالم بالمعنى الذي نجده عند هيدغر، هذا الأخير حتى ولو انتقد أسس المنهج الفينومينولوجي لدى هوسرل خصوصا في جانب المثالي التصوري إلى أنه هو أيضا لم يستطع الخروج من هذه النظرة التصورية ولم يهتم بالوجود الفعلي وإنما تصور فكرة الوجود فقط، الذي ينظر إليه المنهج الفينومينولوجي لدى ميرلوبونتي على أنه وجود جسماني واعي؛ لأن قصديّة الأنا تتحقق عن طريق الجسد ليصبح الجسد هو وسيلتنا لكي نقصد العالم و بالتالي نوجد فيه، وهنا بالتحديد نتضح لنا أكثر معالم المنهج لدى ميرلوبونتي.

ينطلق ميرلوبونتي من مناقشة مفهوم الإحالة حيث يقول: "إن أكبر درس نتعلمه من الإحالة هو استحالة وجود إحالة كلية" (56)، أي أن هناك مجالا لا يمكن أبدا إحالته إلى الأنا أو الوعي ألا وهو العامل الحقيقي أو الوجود الواقعي للظواهر، وبالتالي فإن ما يرفضه ميرلوبونتي هو الجانب الماهوي المثالي في الإحالة الفينومينولوجية وذلك لأنه يقصي الفرضية الطبيعية للعالم، من أجل أن يكشف ماهيته، وهذا هو الخطأ الذي وقعت فيه الإحالة الهوسرلية، مع أن هذه الماهية هي ملازمة للوجود الفعلي للظواهر وفي هذا يقول ميرلوبونتي: "لقد عرض التعالي في "التأملات الديكارتية" على أنه تعليق لوجود

العالم فإذا كان هذا هو المتعالي، فإنه يسقط من جديد في الخطأ الديكارتي...فليس له أن يبعد العالم بما هو وجود واقعي" (57) وما يرفضه ميرلوبونتي بالتحديد هو عملية التقويس سواء التي تطل العالم أو الأنا المتعالي.

لكن بالعودة إلى هوسرل نجده وكأنه يتوقع هذا النقد، حيث يقول: "قد يكون هناك اعتراض على الإحالة الفينومينولوجية التي تضع بين قوسين الأنا المتعالي على أن هذا أمر غير معقول، ونحن نرد كالتالي: هناك إمكانية لأن نضع بين قوسين كل أنا تجريبي حيث أن وضع بين قوسين كل طبيعة هو أمر ثابت وأكد، بل وحتى وضع بين قوسين الأنا الخالص وعليه نريد القول أن البحث الفينومينولوجي يمكن أن يضع العالم والأشياء والأشخاص بين قوسين، وأن يصل إليها ليس كوجود واقعي، وإنما كمعطى يتجلى للأنا الخالص" (58) لكن حتى ولو كان منهج الرد الفينومينولوجي الهوسرلي يضع العالم بين قوسين أي أن يتوقف عن إصدار الأحكام إزاءه ولا ينفيه كما كان الشك في المنهج الديكارتي، إلا أن هذا ما يتجاوزه المنهج الفينومينولوجي لدى ميرلوبونتي، إذ يقول: "إن فلسفة هوسرل تنظر إلى علاقتنا بالعالم على أنها محرك الإحالة المتعالية، وتجعل من العالم متأصلا في الذات، عوض أن تنظر إلى هذه الذات على أنها تعالي نحو العالم" (59)، فما يرفضه ميرلوبونتي في المنهج الهوسرلي ليس فكرة التعالي وإنما حركة التعالي التي يجب أن تكون من الأنا نحو العالم وليس العكس.

وهكذا، يتبين لنا أيضا أنه إذا كانت الإحالة الهوسرلية، هي بمثابة منهج علمي يسعى من خلال كل عمليات التقويس إلى بلوغ الأساس الأول للمعرفة أو المعرفة الخالصة، فإن: "البحث عن هذا الأساس في فينومينولوجيا ميرلوبونتي لا يكون خارج مجال الخبرة الحقيقي الذي يربطنا بالعالم الموجود قبل معرفتنا به" (60) وعليه فإن مبدأ "التأسيس" الذي يظهر في الإحالة يفهم عند هوسرل على أنه تأسيس لعالم مثالي من طرف الأنا المتعالي وهذا ما يجعل من مفهوم التعالي في المنهج الفينومينولوجي لدى هوسرل منحصرًا في الفهم الديكارتي لفلسفة الوعي أما في المنهج الفينومينولوجي لدى هيدغر فإنه يحمل أبعادًا أنطولوجية من خلال التوجه إلى فهم الوجود.

أما مع ميرلوبونتي فالأساس هو التعالي نحو خبرة العالم الطبيعي، حيث يكون موضوع التفكير الفينومينولوجي يرتبط كوجود واقعي بفعل التفكير، و تكون النتيجة المتوصل إليها ليست عالما مثاليا من إبداع الذات المفكرة وإنما الوجود -في- العالم (61)، وبالتالي فالمنهج الفينومينولوجي لدى ميرلوبونتي لا يقصي الوجود الواقعي للعالم أو ينفيه، ولا هو يشك فيه، وإنما يلقي عليه الضوء، ولم يعد الحديث قائما في هذا المنهج حول الأنا المتعالي و إنما الأنا الكائن - في - العالم، ولا توصلنا الإحالة إلى المعرفة الخالصة و إنما إلى معرفة موجودة حول وجود معروف، وبالفعل، هذا ما عبر عنه ميرلوبونتي بقوله: "لقد بين هوسرل أن كل رد ترنسندنتالي هو رد ماهوي وهذا يعني أن كل جهد نبذله من أجل أن نفهم العالم من الداخل وانطلاقا من المنابع يؤدي إلى انفصالنا عن السير الفعلي لإدراكاتنا ولإدراكنا للعالم" (62). لقد أدرك ميرلوبونتي



أن إعادة ربط جسور التواصل مع العالم لا تكون من خلال تمثله أو استحضاره في تصوراتنا وتأملات الأنا المتعالي وإنما بالعودة إلى خبرتنا بالعالم الكامنة في الإدراك الحسي، لأن الإدراك الحسي هو مجال مفتوح على العالم واتصال دائم معه.

وهذا ما يبين لنا البعد الأنطولوجي في المفهوم الجديد للمنهج الفينومينولوجي عند ميرلوبونتي فهو لا يتجاوز الأشياء ولا يحيلها إلى موضوعات تفكيرية، تحال بدورها إلى الأنا المتعالي الكامن خلف سراديب الوعي وإنما هو أسلوب معرفي يطلعنا على العالم الواقعي وعلى الأشياء والآخرين، وهو كذلك ضرب من الكينونة أو الوجود يحيلنا إلى وجود الوعي في حد ذاته قبل أن يتعالى على العالم، لذلك يتساءل ميرلوبونتي في أول عبارة من كتابه الرئيس "فينومينولوجيا الإدراك" قائلاً: "ما هي الفينومينولوجيا؟" (63)، وقد يبدو من الغريب إعادة طرح هذا السؤال بعد نصف قرن من صدور أول مؤلفات مؤسس الفينومينولوجيا والتي حدد فيها مفهومها لكن يجب ميرلوبونتي عن سؤاله قائلاً: "إن الفينومينولوجيا هي دراسة الماهيات كماهية الإدراك وماهية الوعي مثلاً، ولكن الفينومينولوجيا هي أيضاً فلسفة ترد الماهيات إلى الواقع" (64). إن ما يتضح لنا من هذا التعريف، هو أن المنهج الفينومينولوجي لدى ميرلوبونتي يحاول من جهة أن يبقى على مهمة الفلسفة، والتي هي كشف ووصف ماهيات الظواهر، وهو من ناحية أخرى لا يرد هذه الماهيات إلى الوعي أو الأنا المتعالي كما كان مع المنهج الفينومينولوجي لدى هوسرل وإنما يردها إلى الواقع، لأن ميرلوبونتي أدرك أن الماهية ملازمة للواقع وأن وجودها الفعلي هو وجود-في-العالم، والهدف من وراء هذا الإجراء هو المحافظة على الفرضية الطبيعية للعالم التي تم إقصاؤها في المناهج الفينومينولوجية السابقة.

وهنا تتجلى لنا أهم خصيصة في المنهج الفينومينولوجي لدى ميرلوبونتي، والتي تميزه عن المناهج الفينومينولوجية الأخرى، وعلى وجه الخصوص عند هوسرل ألا وهي البعد الواقعي، لأن الهدف العام الذي سعى ميرلوبونتي إلى تحقيقه من خلال مشروعه هو تحويل الفينومينولوجيا و إنزالها عن تعاليها ومثاليتها نحو الوجود الفعلي والواقعي، وبالتالي تحويل البحث الفينومينولوجي من الماهية إلى الواقع، لأن ما لم يدركه المنهج الفينومينولوجي لدى هوسرل هو التلاحم القائم بين الماهية والواقع، لأن كلا منهما يتطلب وجود الآخر و يتوقف وجوده عليه.

### الخاتمة

نصل في نهاية هذه الدراسة، إلى النتائج التالية:

- يمكن اعتبار المنهج الفينومينولوجي من أهم المناهج الفلسفية المعاصرة، فهو نقلة نوعية في طريقة طرح المشكلات الفلسفية وكذا معالجتها، وهذا ما نجده خصوصاً عند مؤسس الفينومينولوجيا ادموند هوسرل الذي حاول من خلال منهجه الفينومينولوجي تجاوز تناقضات المعارف والعلوم الغربية والبحث عن الأساس المطلق والمشارك لها.

- كما يتضح لنا أن المنهج الفينومينولوجي ليس قالباً جاهزاً، ولا يرتبط بمجال محدد دون غيره من المجالات الأخرى، وهذا ما نجده عند هيدغر الذي حول اهتمام المنهج الفينومينولوجي إلى مجال الأنطولوجيا مدعماً هذا المنهج بالهيرمينوطيقا.

- لقد تبين لنا كذلك، أنه إذا كان هوسرل قد جعل من الفينومينولوجيا منهجاً لفلسفة صارمة، تبحث في الماهيات الخالصة للظواهر، وأنه إذا كان هيدغر اتخذ منها وسيلة، أو بالتحديد مبرراً لقيام أنطولوجيا معينة تكون مهمتها هي اكتشاف الوجود، فإن ميرلوبونتي قد تمكن من تجاوز نقائص المنهج الفينومينولوجي عند كل منهما خصوصاً ما تعلق بمسألتي الوعي و الوجود، حيث توجه المنهج الفينومينولوجي لديه إلى دراسة موضوعات جديدة أهمها الإدراك الحسي وكذلك الجسد وغيرها.

### الهوامش

- 1- فضلنا استخدام مصطلح "فينومينولوجيا"، وليس بعض المصطلحات التي تستخدمها الترجمات العربية مثل "ظاهراتية" أو "ظواهرية"، وذلك لبعدها عن المدلول الفلسفي للمصطلح، من حيث أن الفينومينولوجيا لا تهتم "بالظاهر" كما يفهم من كلمة "ظواهرية" أو "ظاهراتية"، وإنما الظاهر يحدس بالمعنى الفينومينولوجي، فيكون الظاهر الخارجي مجالا لحدس الداخل، وهذا هو المعنى الذي نجده عند أغلب الفلاسفة الفينومينولوجيين.
- 2- Dictionnaire de la philosophie, encyclopédie universalis, Paris, 2006, p1548.
- 3- Encyclopédie philosophique universelle, Les Notions philosophique, Dictionnaire 2 volume d'érigé par sylvain Auroux ,Tome 2, P.U.F, France, p1933.
- 4- عمانويل كانط: نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص.185
- 5- G.W.F. Hegel : la phénoménologie le l'esprit, trad. par : Jean Hyppolit, éditions Montaigne Paris, 1987, p 32.
- 6- Philippe Huneman et Estelle Kulich : Introduction à la phénoménologie, Armand Colin Paris, 1997, p05.
- 7- Edmund Husserl : Introduction à la logique et à la théorie de la connaissance (1906-1907) trad. par Laurent Joumier, Paris, 1998, p 260.
- 8- إدموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة فتحي أنقزو، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، طبعة 1، 2007 ص.89
- 9- Edmund Husserl : Introduction à la logique et à la théorie de la connaissance, Op.cit. p 379.
- 10-Edmund Husserl : La Crise des sciences européennes et la phénoménologie transcendante Gallimard, Paris, 1976, p 113.
- 11- إدموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، مرجع سابق، ص 56.

- 13- Edmund Husserl : La Crise des sciences européennes et la phénoménologie transcendantal Op.cit. p 11.
- 14- René Descartes : les principes de la philosophie, livre première, librairie, A. Hatier, Paris 1948, p 36.
- 15- Edmund Husserl: La Crise des sciences européennes et la phénoménologie transcendantale Op.cit. p 88.
- 16- Edmund Husserl : La Crise des sciences européennes et la phénoménologie transcendantal Op.cit. p 91.
- 17- Edmund Husserl : Méditations Cartésiennes, Introduction à la Phénoménologie, trad. par Emanuel Levinas, éditions minuits, Paris, 1953, p 43.
- 18- Edmund Husserl : La Crise des sciences européennes et la phénoménologie transcendantal Op.cit. p 57.
- 19- Philippe Huneman et Estelle Kulich : Introduction à la phénoménologie, Op.cit. p 10.
- 20- Edmund Husserl : Introduction à la logique et à la théorie de la connaissance, Op.cit. p 99.
- 21- القصدية Intentionnalité، إن القصدية ترجع إلى التمييز السكولائي بين الموضوع القصدية والموضوع الواقعي وقد جعلها هوسرل من أهم مقولات فلسفته الفينومينولوجية، وهي تعني اتجاه الوعي نحو ما يعنيه، حيث يكون إنجاز المعنى هو الميزة الأساسية لكل وعي، كما ترتبط القصدية في فلسفة هوسرل بالمنهج الفينومينولوجي وبالتحديد بالإيبوخية. ينظر: Encyclopédie philosophique universelle, Les Notions philosophiques, Op.cit, p 1346.
- 22- Edmund Husserl : Méditations Cartésiennes, Op.cit, p 32.
- 23-Edmund Husserl : Recherches Logiques, Recherches pour la phénoménologie et la théorie de la connaissance, Paris, 1961, p 145.
- 24- Jocelyn Benoist : phénoménologie, Sémantique, Ontologie, Husserl et la tradition logique Paris, 1<sup>ère</sup> éd, p 286.
- 25- ادmond هوسرل : فكرة الفينومينولوجيا، مرجع سابق، ص 93.
- 26- المرجع نفسه، ص 80.
- 27- Edmund Husserl : La Crise des sciences européennes et la phénoménologie transcendantal Op.cit. p 172.
- 28- ادmond هوسرل : فكرة الفينومينولوجيا، مرجع سابق، ص 81.
- 29- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 30- المرجع نفسه، ص 84.
- 31- Martin Heidegger : L'être et temps, traduit par Emmanuel Levinas, éditions Gallimard Paris 1986, p 25.
- 32- Martin Heidegger : Question III, éditions Gallimard, Paris, 1966, p 102.
- 33- مارتن هيدغر: نداء الحقيقة، ترجمة عبد الغفار مكوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1977، ص 49.

- 34- Martin Heidegger : Achèvement de la métaphysique et poésie, éditions Gallimard, Paris 2005, p 104
- 35- Martin Heidegger : Question III, Op.cit. p 131.
- 36- Ibid. p 94.
- 37- Ibid. p 99.
- 38- إن مصطلح الميتافيزيقا La Métaphysique، ارتبط بمؤلفات أرسطو المتأخرة التي ظهرت بعد مؤلفاته في "الفيزيقا" La physique حيث تعني كلمة Méta، ببساطة "بعد". أما ديكرات فقد ربط الميتافيزيقا بالمعرفة العقلية المحضة، وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر، أطلق كلوبرق Clauberg، مصطلح الانطولوجيا على مباحث الميتافيزيقا، ينظر: Encyclopédie philosophique universelle, Les Notions philosophique, Op.cit. p 1616.
- 39- Martin Heidegger : Question III, Op.cit, p 88.
- 40- Martin Heidegger : Chemins qui ne mènent nulle part, éditions Gallimard, Paris, 1962, p 99.
- 41- Martin Heidegger: L'être et le temps, Op.cit, p 396.
- 42- Ibid. p88.
- 43- Ibid. p 52.
- 44- مارتن هيدغر: نداء الحقيقة، مرجع سابق، ص 249.
- 45- Martin Heidegger: Question II, éditions Gallimard, Paris, 1968, p 17.
- 46- Martin Heidegger : Chemins qui ne mènent nulle part, Op.cit, p 90.
- 47- Martin Heidegger : Essais et conférences, éditions Gallimard, Paris, 1958, p81.
- يقول غادمير: "كلمة هيرمينوطيقا، (فن التأويل)...تدل-قبل كل شيء-على ممارسة فكرية دليلها الآلية أو الفن". كما يقول: "تدل الهيرمينوطيقا في علم اللاهوت، (التيلولوجيا)، على فن تأويل وترجمة الكتاب المقدس (الأسفار المقدسة) بدقة فهي في الواقع مشروع قديم أنشأه وأداره آباء الكنيسة، بوعي منهجي دقيق، وعلى الخصوص القديس أوغسطين في مؤلفه "العقيدة المسيحية". ينظر :
- هانز جورج غادمير: فلسفة التأويل، الأصول والمبادئ والأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم لبنان 2006، ط 2، ص 61.
- 48- Martin Heidegger : L'être et temps, Op.cit. p66.
- 49- Ibid. p 53.
- 50- Martin Heidegger : Essais et conférences, Op.cit. p 251.
- 51- Martin Heidegger : L'être et temps, Op.cit. p 56.
- 52- Ibid. p 66.
- 53- Merleau-Ponty : La phénoménologie de la Perception, éditions Gallimard, Paris, 1945, p XII.
- 54- Merleau-Ponty : Le Visible et L'invisible, éditions Gallimard Paris 1964, p 297.
- 55- Merleau-Ponty : La phénoménologie de la perception, Op.cit, p XIII.
- 56- Ibid. p158.
- 57- Ibid. p XIII.

- 58- Merleau-Ponty : Le Visible et L'invisible, Op.cit, p 225.  
59- Edmund Husserl : Problèmes Fondamentaux de la phénoménologie Presse Universitaire de France, Paris, 1991, p 153.  
60- Merleau-Ponty : La phénoménologie de la perception, Op.cit, p VIII.  
61- Clara Da Silva-charrack, Merleau-Ponty Le corps et Le sens, Presse Universitaire de France, Paris, 2005, p 60.  
62- A.De Walhens, Une philosophie de L'ambigüité, L'existentialisme de Merleau-Ponty éditions Nauwelaerts, Louvain, Paris, 1968, p, p. 92, 93.  
63- Merleau-Ponty : Le Visible et L'invisible, Op.cit, p 70.  
64- Merleau-Ponty : La phénoménologie de la perception, Op.cit, p I.

## العلاقات الثقافية بين الأندلس والجزائر في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين (4-5هـ/10-11م)

### ملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل والمقارنة نص اتفاقية الأمم تعالج هذه الدراسة قضية العلاقات الثقافية بين الأندلس والجزائر في القرنين الرابع والخامس الهجريين- العاشر والحادي عشر ميلاديين، حيث شهدا تَوَهُّجًا ثقافيا، وازدهارا معرفيا، وَرُقِيًّا فكريًا، وسُطَّالِعنا هذه الدراسة على الصورة النموذجية التي مثلها أعلام الفُطْرَيْن في سبيل التأسيس لعلاقات ثقافية جيدة ومنتنة.

د. منصف شلي

قسم الآداب واللغة العربية  
جامعة قسنطينة 1  
الجزائر

### مقدمة

**ليس** بخاف على أهل النظر من الباحثين والدارسين وأهل الاختصاص تلك الوشائج التي تنشأ بين الشعوب، والعلاقات التي تتشابك بين الدول، والتقاطعات التي تحصل بين الحضارات. وسرعان ما تتطور هذه الوشائج والعلاقات بين مختلف الشعوب والحضارات بفعل أسباب متعددة، منها التجارة والمصاهرة والحروب والترجمة باعتبارها وسائل مهمة في الربط بين البشر والأمم المختلفة، ما هو مشهور عند أصحاب هذا الشأن معتمد عليه.

### Abstract

This study examines the issue of cultural relations between Andalusia and Algerian in the fourth and fifth Hegira and the tenth and eleventh centuries which saw a big cultural enlightenment, scientific flourishing and intellectual development. This study will also showcase the typical pen picture embodied by the scholars of both countries for the sake of

establishing tight and good cultural ties. الحضارات بميسمها، فيكون عنوانها التعدد وشعارها التميز.

هذا إذا كانت الحضارات متناقضة، والأصول مختلفة والشعوب متباينة فكيف إذا كانت الشعوب والعناصر تنتمي إلى درجة واحدة، وتستند إلى مرجعيات محددة، وتستقبل في ظل واحد، وتنمو في مناخ موحد.

سيكون حينها التميز والتباين بين الأقطار المختلفة داخل الثقافة الواحدة، وهو ما عاشته التجريبتين الجزائرية والأندلسية، خلال قرون عديدة من الزمن بحكم التعايش والتجاوب المستمر، الذي فرضته ثمانمائة سنة كاملة حيث مدة هذه العلاقات وكثير في تاريخ الثقافة الإسلامية بين الضفتين، سيكون القرنان الرابع والخامس فقط نموذجان للبحث في هذه الدراسة. فكيف كانت هذه العلاقات بين الجزائر والأندلس في هذه الفترة يا ترى؟

شكّل دخول الإسلام إلى حوض البحر المتوسط حدثًا حضاريًا هامًا، بالنسبة للدول الواقعة على ضفتيه، وخاصة الضفة الجنوبية، فقد أرّخ لفصل جديد في علاقات جديدة بين هذه البلدان، على الأضعدة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، وستغدو آثار هذا الفتح السمة البارزة والمحددة لنوعية هذه العلاقات وتميّزها.

يقول ليفي بروفنسال: " فالبحر الأبيض المتوسط عندما أصبح بحيرة إسلامية لم يتحول في الوقت نفسه إلى بحيرة همجية، أو بحر مظلم، كثيف الضباب، لا تقوم عليه أية منارة تنير في قادم الأيام جوانبه وشواطئه".<sup>(1)</sup>

فمنذ دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا، ومنه الجزائر في منتصف القرن الأول الهجري<sup>(2)</sup> وشبه الجزيرة الأيبيرية/إسبانيا (الأندلس) في أواخر القرن نفسه (92 هـ)<sup>(3)</sup> حدثت أسلمة سريعة لهذه الأقطار حيرت الباحثين و المؤرخين، فقد عجزت الحضارات السابقة (الإغريقية و الرومانية) عن تحويل هذه الأقطار، رغم احتلالها الطويل لها، بينما لم يتطلب تحويلها إلى الإسلام سوى بضعة عقود فقط من الزمن.

كان لزاما على دول حوض المتوسط أن تتفاعل فيما بينها، بدخول هذا الوافد الجديد (الإسلام)، فتارة طبعت هذه العلاقات بطابع الهدوء، ومرة أخرى بطابع التوتر، ولكن كان لزاما عليها جميعا أن تتعامل بعضها مع بعض لتحقيق مصالحها، وإن اختلفت الرؤى والأهداف وتباينت اللغات والديانات، فما بالك فيمن اعتقد دينا واحدا، و تحدث - في الغالب الأعم- لغة واحدة، وهو ما حدث مع الجزائر والأندلس.

تلاقت جملة من الأسباب، وتضافرت مجموعة من العوامل التي أسهمت في خلق علاقات متميزة ووطيدة بين الجزائر والأندلس، أهمها: الدين واللغة اللذان وُحدا القطرين، و جعلا أهدافهما ومطامحهما مشتركة، فالدين واللغة أساس لتشكل شخصية موحدة، وهوية ثقافية متماسكة. وإن اختلفت الخصوصيات القطرية، التي عادة ما تصنع الفارق بين الأقطار التي تتحدث لغة واحدة، وتدين بدين واحد.

ومن هذه الأسباب أيضا أن الجزائر والأندلس كانتا ملتقى لعديد الحضارات التي تكلست على أراضيها، وأسهمت في تشكلها الثقافي، والفكري، فقد تكيفت كل

المكونات الثقافية للحضارات السابقة والتي قامت على أرض الجزائر والأندلس وترسبت، بكل دلالاتها المختلفة (دينية، فكرية، اجتماعية،...) لتناسب الوضع الجديد، أو السياق المحدث الذي طرأ عليها وأحدث هزة عميقة في بناها مازالت آثارها ماثلة إلى اليوم.

كما أنّ كلا القطرين كانا ملتقى لجملة من الأعراق المتعددة، والأصول والمخاتد المتباينة، والثقافات المتغايرة، وبالتالي فالوافت الجديد (الإسلام /العربية) كان بمثابة الإضافة النوعية المتميزة والمتفردة، لقطرين جُبلًا على التنوع والاختلاف، وهذا ما يفسر-ربما- سهولة دخول الإسلام إلى هذه المناطق.

وثالث هذه الأسباب، هو التماس والتقارب الجغرافي بين الجزائر والأندلس، فلا يفصلهما سوى البحر المتوسط. وقد ظل جغرافيو الإسلام في العصور الوسطى يقابلون بين المدن الأندلسية والمدن الجزائرية وهو ما يعبر عن التقارب الجغرافي، والحضور الوجداني لمدين القطرين معًا، عند جغرافي تلك الفترة وخاصة الأندلسيين.

ففي حديث أبي عبيد البكري عن المراسي البحرية واتصالها، قابل مراسي الأندلس بمراسي المغرب والجزائر(4). وقابل الإدريسي مدينة وهران مع ألمرية(5) وقابل الحميري حصن بَنَشْكُلَه "PENISCOLA" بالأندلس بجزائر بني مزغنيّ (الجزائر العاصمة اليوم)(6) وفي حديث المقدسي عن مدينة تيهرت، حاول أن ينتقد من فضل تيهرت على قرطبة ودمشق (7) وهذا دلالة على وجود مفاضلة ومقابلة ومقارنة بين الحاضرتين. وذكر الجغرافيون أن لتيهرت القديمة أبوابا، ثلاثة أو أربعة، أحدها يسمى "باب الأندلس" (8).

ورابع هذه الأسباب هو المبادلات الاقتصادية و التجارية بين الأندلس والجزائر، وهذا راجع لقرب سواحل البلدين. فقد ذكر الحميري عن مدينة بونة (عنابة) قائلا: "وقد سُورت بونة بعد الخمسين الأربعمائة... وأكثر تجّارها أندلسيون(9) ويذكر المقدسي عن مدينة وهران أنها بحرية مسورة، يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة(10) ويضيف الإدريسي: "ومراكب الأندلس إليها مختلفة"(11) ويمكن أن نلحق بالسبب الاقتصادي سببا اجتماعيا، يتمثل في امتزاج الأجناس في ضفتي المتوسط بشكل عام، والجزائر والأندلس بشكل خاص، وكان هذا الامتزاج قد حصل منذ القديم، وازداد اطرادا بعد الفتح الإسلامي، وقد أدت عوامل سياسية واقتصادية إلى تقويته؛ حيث استقر الأفراد والجماعات في إحدى الضفتين، وعملية الاستقرار بكل ما تحمله من أبعاد حضارية، تتمثل في نقل المؤثرات من وإلى إحدى الضفتين.

فالحميري مثلا في حديثه عن جزائر بني مزغنيّ، قال: "ولها أسواق ومسجد جامع،... ومرساها مأمون به عين عذبة، يقصدها أصحاب السفن من إفريقية والأندلس وغيرها."(12)



وكثيرا ما دفعت الظروف السياسية طائفة من أبناء البلدين إلى الاستقرار في أحدهما . وكان هذا الاستقرار بما يحمله من أبعاد استراتيجية سبيلا إلى نقل المؤثرات الحضارية، وسبيلا إلى صوغ هوية ثقافية متنوعة ومتجانسة.

فحادثه الربض الشهيرة مثلا، والتي وقعت في زمن الحكم بن هشام الربضي (206هـ/822هـ) وكانت هذه الواقعة في سنة (202هـ/817هـ)<sup>(13)</sup> أدت إلى هجرة هائلة للأندلسيين إلى سواحل البربر في الشمال الإفريقي<sup>(14)</sup>، عدا الاستقرار الطوعي لبعض الأفراد، حيث يذكر البكري الطريق من تنس إلى أشير في الجزائر قائلا: " وإن أردت طريق الأسهل فمن تنس إلى بني بليدش، مدينة لطيفة يسكنها الأندلسيون والقرويون."<sup>(15)</sup>

وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن ذكوان ( ت 413هـ). القاضي القرطبي الشهير الذي قلده المنصور بن أبي عامر القضاء بعد خاله، واتصلت ولايته إلى قيام الفتنة القرطبية، فسعى به ابن القطاع فعزل، ثم رد إليها، وعلت منزلته في مدة المظفر بن أبي عامر وأخيه الناصر. وقلده الناصر الوزارة، وكان يكتب عنه من الوزير قاضي القضاة، وهو أول من كتب عنه بذلك من قضاة الأندلس. ومال إلى البربر في الفتنة فقبض عليه واضح مولى ابن أبي عامر مدير دولة هشام أسوأ قبض، ونفي إلى البر العدو في وقت تنكر البحر فسلمه الله إلى وهران إلى أن قتل واضح فاسترجع إلى قرطبة.<sup>(16)</sup>

وقد بقيت الظروف السياسية والعوامل الاجتماعية تلعب دور العامل الأساس في توثيق العلاقات بين الجزائر والأندلس، حتى زمن متأخر نسبيا من عمر الأندلس الإسلامي، ففي عصر الطوائف مثلا (القرن الخامس الهجري) كانت مدينة بجاية مؤثلا وملاذا أمنا لواحد من أبناء أمير ألمرية المعتصم بن صمادح ، الذي حاصرته جيوش المرابطين بقيادة يحيى بن واسنو، فلما اشتد الحصار على المدينة أمر المعتصم ابنه وولي عهده معز الدولة أن يعبر البحر بأهله وولده إلى الجزائر، جزائر بني مزغنى إن أفضى الأمر إلى خلعه، وفعلا كان كذلك، حيث توجه الأمير إلى المنصور بن الناصر بن علناس فتلقاه بالرحب والسعة، وخيره في أقطار بلاده.<sup>(17)</sup>

قال ابن الأبار: " وقصد معز الدولة بجاية، فأقام فيها تحت رعاية المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد بن بلقين وفي كنفه، وقد كان ما بينهما جميلا قبل ذلك، ويقال: إن المنصور أنزله بتنس من أعماله الغربية."<sup>(18)</sup>

ولما استقرَّ معز الدولة هذا أبو محمد عبد الله بن المعتصم بن صمادح ببجاية في دولة بني حماد. كتب هذا الفارس المظفر والأمير الكسير بعاطفة من الأسى وقال مستوحشا: <sup>(19)</sup>

لك الحمد بعد الملك أصبح خاملا \*\*\* بأرض اغتراب لا أمر ولا أطي  
وقد أصدأت فيها الهوادة منصلي \*\*\* كما نسيت ركض الجياد بها رجلي

ولا مسمعي يصغي لنغمة شاعر \*\*\* وكفّي لا تمتدّ يوماً إلى بذل  
وقد كنت غرّاً بالزمان وصرفه \*\*\* فقد بان قدر العزّ عندي والذلّ  
عزاء فكم ليث يصاد بغيله \*\*\* ويصبح من بعد النشاط لفي حبل.

وكان الشاعر الأندلسي الكبير أبو بكر بن اللبانة قد التقى بهذا الأمير معز الدولة في بجاية وقد كان شاعرهم في الأندلس فقال: " ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع معز الدولة بن المعتصم بن صمادح، فإني رأيت منه خير من يجتمع به. كأنه لم يخلقه الله تعالى إلا للملك والرياسة وإحياء الفضائل... ولقد ذكرته لأحد من صحبته من الأدباء في ذلك المكان، ووصفته بهذه الصفات، فتشوق إلى الاجتماع به." (20)

وقد حدثتنا كتب التاريخ عن تأسيس الأندلسيين لبعض المدن والحواضر الجزائرية، فقد أسس الشيعة العبيديون مدينة المسيلة، وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور المعروف بابن الأندلسي في أوائل القرن الرابع الهجري. (21) هذه مجمل الأسباب التي كانت وراء متانة العلاقة بين الجزائر والأندلس. ويمكن أن نضيف إليها سببا آخر قويا ذا صلة بالعلاقات الثقافية بينهما، وهو أن الحواضر الجزائرية كانت قد تأسست منذ القديم، إضافة إلى تعددها، فقد كانت تبهرت عاصمة الرستميين منذ إنشائها عام (161هـ). (22) ثم لحقتها الحواضر الأخرى تباعا مثل: أشير، القلعة، المسيلة، بجاية، تلمسان، تنس، جزائر بني مزغني، بونة (عنابة) وغيرها من الحواضر التي أدت دورها الكامل في عملية الإشعاع الثقافي في حوض المتوسط، وكانت مراكز فكرية وحضارية مرموقة، وصل صداها وامتدت آثارها إلى الأندلس، في وقت كانت فيه قرطبة كذلك مركز إشعاع ثقافي وفكري كبير.

كانت العلاقات الثقافية بين الجزائر والأندلس خصيبة ومثمرة، من خلال علماء القطرين الذين شكلوها ومثلوها أحسن تمثيل، وقد احتفظت لنا كتب التاريخ والتراجم والطبقات بأسماء العشرات منهم ممن اضطلعوا بهذه المهمة النبيلة. فالخشني في ذكره للقاضي مهدي بن مسلم، عزّج على خبر ذكره أحمد بن فرج بن منتيل\* (ت 334هـ) عن أحد علماء مدينة تنس الجزائرية، وهو أبو العباس أحمد بن عيسى بن محمد المقرئ (23) وكان عالما، حافظا، مقرئا، مجودا، حتى إن ابن منتيل قد تعجّب من حفظه وسعة روايته وجزارة علمه، فقال له بعدما سمعه: "لقد عظمت همتك إذ حفظت هذا وشبهه من الأخبار القديمة." (24)

وتحدثنا كتب التاريخ والتراجم والطبقات عن عالم جزائري كبير من مدينة تنس اسمه إبراهيم بن عبد الرحمن، ويكنى أبا إسحاق الإفريقي التنسي (ت 387هـ) قد سافر إلى الأندلس وسكن مدينة الزهراء في قرطبة، وسمع من أعلامها آنذاك، مثل وهب مسرة الحجاري، وكان تلميذا مبرزاً للعلامة اللغوي أبي علي القالي صاحب الأمالي والنوادر، قال عنه ابن الفرضي: كان يفتي في جامع الزهراء، وقد حدث بحكايات من أمالي أبي علي القالي. (25)

وكان زكريا بن بكر بن أحمد الغساني (أبو يحيى) المعروف بابن الأثج من أهل تيهرت وبها ولد سنة (310 هـ) وكانت وفاته عام (393 هـ) قد دخل الأندلس مع أبيه سنة (326 هـ)، فسمع بقرطبة من محمد بن عبد الملك بن أيمن المدونة، ومن قاسم بن أصبغ البياني، ورحل إلى المشرق وسمع من عدة علماء، ولقي المتنبي الشاعر، وأخذ عنه ديوان شعره رواية. وربما كان أول من أدخل ديوان المتنبي إلى الأندلس والبلدان المغاربية مجتمعة، وسمع بتونس من أبي الخصيب، ثم انصرف إلى الأندلس، فلم يزل مقيما بقرطبة إلى أن توفي بها، وقد حدث بكتاب البخاري وغير ذلك من روايته، فهو من أوائل من أدخلوا صحيح البخاري إلى المغرب والأندلس معا. (26) فقد توفي البخاري عام (256 هـ) فكان قريبا من عصره، فقد سمع منه كثيرون، وكتب عنه غير واحد.

وعلى ذكر تيهرت فقد كانت منارا للعلم و كعبة القصاد في الأدب والشعر وسائر العلوم والفنون، وكانت محط أنظار ومحج الوافدين عليها من مختلف الأصقاع الإسلامية وخاصة الأندلس.

فهذا أبو عبد الله محمد بن صاع القحطاني المعافري الأندلسي قبل رحلته العلمية إلى المشرق قد سمع بالجزائر من الشاعر والأديب والمحدث العلامة بكر بن حماد التاهرتي (ت 295 هـ)، وكان محمد بن صاع هذا عالما، فقيها، حافظا، وكان من أفاضل الناس وثقاتهم وقد جمع تاريخا لأهل الأندلس. (27)

والجدير بالذكر في هذا المقام ، عالمان جزائريان من تاهرت، كان لهما دور كبير في حلقة الوصل الثقافي بين الأندلس والجزائر، وهما: قاسم بن عبد الرحمن بن محمد التميمي التاهرتي البزاز، وابنه أبو الفضل أحمد بن قاسم.

أمّا قاسم بن عبد الرحمن (الأب) فقد نشأ بتاهرت وطلب العلم بها، فأخذ عن بكر بن حماد التاهرتي\*\*، وكان من جلسائه وممن أخذوا عنه، وكان الأغلب عليه مع الفقه النحو والشعر، وقد دخل الأندلس سنة (318 هـ) وجاء بابنه أبي الفضل وهو ابن تسع سنين. (28) وكان أبو الفضل أحمد بن قاسم (الابن) (309 هـ/395 هـ) قد تتلمذ في قرطبة لأعلام الأندلس في تلك الفترة مثل: قاسم بن أصبغ البياني، وهب بن مسرة، ومحمد بن معاوية القرشي، وأبي بكر الدينوري، واختص بالمنذر بن سعيد البلوطي، قاضي القضاة الشهير في عصر الخلافة.

كان أبو الفضل أستاذا لحيل كبير من العلماء، ممن كان لهم دور كبير في الحياة العلمية السياسية في المغرب والأندلس، كأبي عمران الفاسي، فقيه القيروان الشهير، وأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، الذي أخذ عن فقيه الجزائر بعض مؤلفات ابن جرير الطبري مثل: "صريح السنة" و"فضائل الجهاد" و"رسالة التبصير" التي بعث بها الطبري إلى أهل طبرستان. (29)

والظاهر أن حاضرة تاهرت قد مارست دورها الفكري والعلمي بامتياز، فكان علماءها أساتذة لعديد العلماء وطلبة العلم من الأندلسيين، خاصة في عصر الخلافة و

الطوائف. بالإضافة إلى ابن عبد البر الذي أخذ العلم عن أبي الفضل أحمد بن قاسم، فقد روى أبو محمد عبد الله بن محمد بن هذيل الفهري، عن أبي حفص عمر بن مالك المعروف بالناهرتي فقد سمع منه في سنة (446هـ).<sup>(30)</sup>

وكانت المسيلة (المحمدية) قطبا سياسيا، و مذهبيا، و علميا كبيرا، فكانت الرحلة إليها لطلب العلم فيها وفي بعض أحوازها، وعلى أيدي شيوخها، خاصة بعد أن صارت قطبا سياسيا بعد تأسيسها من طرف الشيعة العبيديين، فهذا محمد بن هانئ الأندلسي الإشبيلي (ت 362هـ/972م) الذي ولد وترعرع في إشبيلية، وخرج منها وهو صاحب اثنين وعشرين سنة، دخل المسيلة ومدح جعفرا القائد المعروف بابن الأندلسية، أو ابن الأندلسي بأبيات شهيرة منها:

المدنقات من البرية كلها                      جسمي و طرف بابلي أحور  
والمشركات النيرات ثلاثة                      الشمس والبدر المنير وجعفر<sup>(31)</sup>

وقد كان لدخول ابن هانئ إلى الجزائر و إفريقية عموما تأثير كبير على شعراء هذه الأقطار فقد سن لهم طريقة جديدة في النظم، وأسلوبا مغايرا في قرص الشعر، لمن جاء من بعده من الشعراء، "وسيكون لذيع صيته دور العامل الحافز بالنسبة للإنتاج الشعري، كما سيساعد كتاب المغرب الإسلامي على التخلص من مركب النقص حيال المشرق، فقد أصبح بإمكان المغرب أن ينجب شاعرا بمنزلة المتنبي".<sup>(32)</sup> وقد عرفت بعض الحواضر الساحلية الجزائرية دخول المقرئ الأندلسي الشهير المعروف بمقرون ( 290هـ / 378هـ) أبو محمد عبد الله بن محمد القضاعي، نزيل بجاية، ثم وهران، ثم مالقة، ثم قرطبة، التي قدمها بأمر من الحكم أمير الأندلس في سنة سبع وأربعين وثلاثمئة فأقرأ الناس بها على باب مسجد الجامع بحرف نافع من رواية ورش.<sup>(33)</sup>

وكان ابن ميمون الطليطلي(ت 400هـ) أحمد بن محمد بن عبيدة الأموي (أبو جعفر) صاحب أبي إسحاق بن شنظير ونظيره في الجمع و الإكتار و الملازمة معا و السماع جميعا من أهل العلم و الفهم، راوية للحديث، حافظا لرأي مالك وأصحابه، فقد سافر إلى عدة أصقاع للسمع، ومنها المسيلة حيث أخذ من أبي عبد الله محمد بن أبي زيد و أبي جعفر الداودي، وبتنس من أبي القاسم سوار بن كيسان.<sup>(34)</sup>

ولنا أن نتذكر في هذا المقام الحسين بن سلمون المسيلي (ت 431هـ) القرطبي المفتي، الذي تبوأ منزلة سياسية كبيرة في الأندلس، مضافة إلى مكانته المعرفية كأحد العلماء الكبار آنذاك، حيث كان أحد الفقهاء المشاورين في عهد سليمان بن حكم المستعين، حيث ولاه الشورى بقرطبة، حتى إذا جاء علي بن حمود، أمر بتأخيره، ثم أعاده إلى الشورى. دخل الأندلس فقطن قرطبة بعهد الجماعة فلم يرمها، وشهر بها علمه وفضله، فكان أحد جلة مفتيها إلى أن مات، وكان حافظا للمسائل، وقد نوظر عليه فيها، واقفا على الأصول، وكان عفيفا متواضعا كما وُصف.<sup>(35)</sup>

كان الحسين بن سلمون المسيلي في سعة علمه وفهمه، وحسن حديثه أن أثار إعجاب الفقيه الكبير ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ) بحديث<sup>(36)</sup> تحدّث به استحسّنه أبو محمد بن حزم.

ويطلعنا ابن الأبار على أحد أعلام المسيلة (المحمدية) اسمه أبو حبيب عبد الرحمن بن أحمد بن حبيب الذي دخل صغيراً مع أبيه، ولم يزل يخالط أهل الأقدار حتى برز في الأدب وصناعة الشعر وعلم الشرع، فصار صدراً في كل واحد منها يصلح للفتيا، ولم يكن متكسباً بالشعر، ولا طالباً ثواباً عليه، إلا ما وصله به محمد بن عبد الجبار المهدي القائم بقرطبة على هشام المؤيد<sup>(37)</sup>.

ومن النخبة العلمية المتميزة التي أنجبتها المسيلة، أبو الطيب أحمد بن الحسين بن محمد المهدي المسيلي، يقول عنه الأستاذ المرحوم الشاذلي بويحيى: "ويبدو أن أصله من المهدية، ثم إنه أوطن المسيلة هو وأسرته"<sup>(38)</sup>.

ولا دليل يستند عليه الباحث في قضية أصله المهدي (من المهدية التونسية) و الذي ذكره ابن دحية الكلبي، ولم يزد على هذا النسب شيئاً سوى قوله: "وله مقطعات غزل أحسن من قطع الرياض، وأغزل من العيون المراض"<sup>(39)</sup>.

وصلة هذا الشاعر الجزائري بالأندلس، هو ذلك السند الذي رُوي به شعره في الثغر الأعلى (سرقسطة)، حيث انفرد بروايته عالم سرقسطة، الفقيه النحوي، الأصولي، المتكلم، أبو جعفر محمد بن حكم بن باق السرقسطي (ت 538هـ/1143-1144م)<sup>(40)</sup>. ويتيح لنا ذلك تحديد العصر الذي عاش فيه بمنتصف القرن الخامس الهجري.<sup>(41)</sup>

ويحدثنا ابن بشكوال عن أحد العلماء الأندلسيين، أصله من المسيلة، واسمه عبد الله بن حمّو (أبو محمد)، حيث كانت له معرفة بالأصول والفروع، واستوطن ألمرية وقرئ عليه بها وكانت وفاته عام (473هـ).<sup>(42)</sup>

ونستطيع أن نطمئن إلى حصول التواصل الثقافي بين الأندلس والجزائر، حتى من دون حضور الأشخاص، فهذا ابن رشيق المسيلي (390هـ/456هـ) القيرواني، صاحب كتاب "العمدة" وعديد المصنفات الأخرى، وأحد النقاد والشعراء الكبار، قد هاجر من المسيلة إلى القيروان، ثم إلى صقلية، حيث كان في ضيافة الأمير الكلبي ابن منكود الذي أجزل له العطايا، ونال عنده الحظوة الواسعة. قد استقدمه المعتضد بن عباد ملك إشبيلية، هو ورفيقه ابن شرف القيرواني الشاعر الشهير، ولكنه لم يلتحق بالأندلس لأسباب خاصة، ذكرها المؤرخون والباحثون.<sup>(43)</sup> والظاهر أن شاعرية ابن رشيق قد سبقته إلى الأندلس، وهذا ما جعل ملك إشبيلية يستقدمه لعلو كعبه في الأدب والشعر النقد.

والحضور الفني الشعري في شبه الجزيرة الأيبيرية، يُشكّل صورة ثقافية تواصلية نموذجية، وكان هذا التواصل بين ابن رشيق والأندلس قبلاً، من خلال استفادة صاحب

العمدة من ابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ) صاحب العقد الفريد، فقد لاحظ أحد الباحثين وجود تشابه مهم بين الكتابين منهاج ومادة، فيما يزيد على واحد وثمانين وثلاثمائة موضع قد أحصاها الباحث(44)، الذي لمس هذا التشابه بين المنهجين والمادتين عندهما، ورغم أن ابن رشيق قد توفي بمازر بصقلية عام (456هـ)، أي بعد وفاة ابن عبد ربه بنحو تسع وعشرين ومائة سنة، إلا أن ابن رشيق قد استفاد من أبي عمر بطريقة مباشرة عن مشايخه المتأثرين بعقده وكتبهم أو مباشرة رأسا عن كتاب العقد.(45)

وغير بعيد عن المسيلة وأحوازها فقد كان " بيت بني الطنبلي، أصلهم من طنبنة، قاعدة الزاب(46)" ( منطقة بريكة حاليا) / مشهدا أهلا بأنواع العلوم، وبيتا عامرا بصنوف المعارف، محفوقا بكل لطيفة وسبعة من الآداب والتقافات.

" والوافد منهم على الأندلس في أيام بن أبي عامر أبو مضر محمد يحي بن أبي مضر الطنبلي. وصفه الحجاري بالأدب والشعر ومجالسه الملوك." (47)

وحيثما أتى على ذكره الحميدي قال: " من أصل بيت آداب وشعر ورياسة"(48)

والظاهر من سيرة أبي مضر محمد بن يحي هذا أنه كان صاحب شأن عظيم في الأندلس، فقد جالس أبا الحزم بن جهور وابنه أبا الوليد صاحبا قرطبة وصحب ابن شهيد ( 426هـ) الناقد والشاعر والأديب الكبير وأنشد له:

لا يبعد الله من قد غاب عن بصري \*\*\* ولم يغيب عن صميم القلب والفكر  
أشتاقه كاشتياق العين نومتها \*\*\* بعد الهجود وجذب الأرض للمطر  
وعاتيوني على بذل الفؤاد له \*\*\* وما دروا أنني أعطيه عمري(49)

وكان هذا الجزائري صديقا للفقهاء الكبير ابن حزم الأندلسي الظاهري وله شعر رقيق خاطب به أبا محمد بن حزم منه:

ليت شعري عن حبل ودك هل يم \*\*\* سي جديدا لدي غير رثيث  
وأراني أرى محياك يوما \*\*\* وأناجيك في بلاط مغيث  
فلو أن القلوب تستطيع سيرا \*\*\* سار قلبي إليك سير الحثيث  
ولو أن الديار ينهضها الشو \*\*\* ق أتاك البلاط كالمستغيث  
كن كما شئت لي فإنني محب \*\*\* ليس لي غير ذكركم من حديث  
لك عندي وإن تناسيت عهد \*\*\* في صميم الفؤاد غير نكيث (50)

ومن هذه الأسرة العريقة كان أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي ( 456 ت) "أحد حماة شرح الكلام، وحملة ألوية الأقاليم"(51) وهو صاحب الرحلات الشهيرة في طلب العلم، حيث زار القيروان، وطوف بكل المشرق وحواضره، مثل مكة والمدينة ومصر وغيرها من الحواضر.

قال عنه الحميدي: "إنه من أهل الحديث والأدب إمام في اللغة"(52)

كانت الحواضر الجزائرية كلها قد تشاركت ثقافيا مع الأندلس، فبالإضافة إلى تنس وتيهرت والمحمدية ( المسيلة)، هناك بجاية كذلك ، والتي تتلمذ فيها واحد من أكبر علماء الأندلس، أبو بكر ابن العربي المعافري الإشبيلي ( 468 هـ / 538 هـ) حيث درس في بجاية علي يد أبي عبد الله الكلاعي قبل رحلته الشهيرة إلى المشرق<sup>(53)</sup> وكان أحمد بن خصيب بن أحمد الأنصاري القرطبي ( ت 450هـ)، قد نشأ بقرطبة، وسكن القيروان، وكان له علم بعبارة الرؤيا، ثم استوطن دانية، وتوفي بقلعة بني حماد.<sup>(54)</sup>

وقد كان للجزائر حظ من آل بيت النبي- صلى الله عليه وسلم- من خلال أحد أحفاد علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- وهو أبو البسام موسى بن عبد الله بن الحسين، حيث كان أصله من الكوفة وصار إلى صقلية ، ودخل الأندلس مجاهدا، وكان ذا علم وأدب بارع ومعرفة بالكلام على طريقة الأشعرية، وكان شاعرا وله شعر بديع، وقد أخذ عنه في الأندلس وفي ميورقة بالضبط، ونزل إلى الجزائر زمننا يسيرا، حيث قتل ذبحا في بجاية عام ( 486 هـ).<sup>(55)</sup>

ومن أشهر الذين زاروا الجزائر في هذه الحقبة، الشاعر ابن حمديس الصقلي (447 هـ / 527 هـ-) (1055م/1133م)، ورغم أنه توفي في بداية الربع الثاني من القرن السادس الهجري، إلا أنه يدخل في الإطار الزمني لدراستنا هذه، فقد هاجر من صقلية مسقط رأسه ولكنه عاش دهرا طويلا في الأندلس، حتى إن شعره صار محسوبا على الشعر الأندلسي، حيث صقلت شبه الجزيرة الأيبيرية موهبته الشعرية، وكان مقربا من المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، حتى إذا سقطت إشبيلية في يد المرابطين، عام (484 هـ) وتوفي المعتمد بن عباد إلى أغمات بالمغرب، دخل ابن حمديس إفريقية وأصبح شاعر أمراء بني زيري، واتصل بصاحب بجاية من بني حماد متغنيا بمفاخرهم في مدائحهم، وتوفي ابن حمديس كفيفا ببجاية، وبعض المصادر تقول بميورقة.<sup>(56)</sup>

ومن الجزائريين الذين زاروا الأندلس في القرن الخامس الهجري، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمر الوهراني، فقد قدم الأندلس تاجرا سنة ( 429 هـ)، وسكن إشبيلية، و كان من الثقات كما وُصف، وله رواية واسعة عن شيوخ إفريقية أبي محمد بن أبي زيد ونظرائه، ولم يكن عبد الله بن يوسف الوهراني هذا، فقيها فحسب، بل كان له علم بالحساب والطب، وكان نافذا فيهما.<sup>(57)</sup>

وعلى ذكر الحواضر الجزائرية التي كانت ميادين للعلم والمعرفة، ومراكز للفكر مع مختلف الحواضر الأندلسية وجب التذكير بمدينة بونة (عناية)، والتي كانت حلقة وصل مهمة جدا من الناحيتين الاقتصادية والمعرفية، وقد أوضحنا سلفا بأن الشريط الساحلي الجزائري كان مرتعا خصبا لعديد الأندلسيين الذين استوطنوه، إما لغرض التجارة أو تعاطي المعرفة، أو للأمرين معا، ومدينة بونة واحدة من المدن الجزائرية المهمة بالنسبة للأندلسيين. ولطالما كانت مدينة عناية الجوهرة الساحلية الجزائرية، منار إشعاع معرفي كبير، ومونلا وموطنا ومستقرا لعلماء الأندلس ولغيرهم من العلماء،

ممن أعوزتهم الحاجة في بلدانهم فلجئوا إليها، أو ضاقت بهم السبل في أوطانهم، فكانت بونة وطنًا لهم، أو أعجبتهم هذه المدينة فكانت راحة ومستطابًا لهم.

أما الأمثلة على ذلك فكثيرة، فابن الفرضي يحدثنا عن أبي سهل علاء بن محمد، وهو أندلسي من أهل تدمير، سكن مدينة بونة فأوطنها، وكان رجلاً صالحاً، فاضلاً، فقيهاً، سمع من عدة علماء بمصر وإفريقية، والقيروان، وغيرها من الحواضر، وكان كثير الكتب حسن التقييد، وتوفي بمدينة بونة في سنة (347 هـ).<sup>(58)</sup>

من هؤلاء أيضاً علامة أندلسي قرطبي في القرن الخامس الهجري، استهوته مدينة عنابة، فطاب مقامه بها، وظل يُشكّل قطبا فقهيا مالكيا بالنسبة للأندلسيين والمغاربة وحتى للمشاركة، فلا تجد مرتحلاً من الغرب إلى الشرق، أو من الشرق إلى الغرب من أهل الإسلام في تلك الفترة، إلا وقد عرّج عليه لينهل من علمه، وتشرف بالجلوس إلى جواره، واستفاد من حلقاته، فلا يكاد هذا العالم يذكر إلا منسوباً إلى المدينة التي احتضنته، وتوفي ودفن في ترابها.

إنه أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي الأندلسي البوني المالكي (ت 440 هـ/ 1048 م) يكنى أبا عبد الملك ويعرف بالبوني، وهو خال أبي عمر بن القطان الفقيه، الحافظ المحدث، من أهل قرطبة، روى عن عبد الرحمن بن محمد بن فطيس، والأصيلي، ورحل إلى القيروان وطلب العلم بها، وأخذ كذلك عن القاسي، وأبي جعفر أحمد الداودي وصحبه وأخذ عنه معظم ما عنده من روايته وتأليفه، وروى عنه حاتم بن محمد، وقال: لقيته بالقيروان وشهد معنا المجالس عن أهل العلم بها، وكان رجلاً حافظاً نافذاً في الفقه والحديث، وقال عنه حاتم بن محمد، قرأت عليه تفسيره في الموطأ بعضه، وأجاز لي سائره وسائر ما رواه، وقال عنه القاضي عياض: كان من الفقهاء المتقنين، وألف في الموطأ كتاباً مشهوراً حسناً رواه عنه الناس.<sup>(59)</sup>

تتلذذ عليه كبار علماء الأندلس كالقاضي الفقيه أبي عمر بن الحدّاء، الذي استفاد من علمه، وقال عنه لقيته ببونة سنة خمس وأربعمئة وناولني كتابه في شرح الموطأ، ثم خاطبته من طليطلة، فوجه إليّ الديوان، وأجاز له لي ثانية، وكان قد زاد فيه بعد لقائي له.<sup>(60)</sup>

وهذا ما يؤكد من جهة المراجعات الدقيقة التي قام بها البوني على شرحه للموطأ، ويعبر عن اجتهادات الرجل في الميدان العلمي والفقهية، ومن جهة ثانية تؤكد هذه المراسلات التي جرت بينه وبين فقيه طليطلة أبي عمر بن الحدّاء، هذا الجانب التواصلية المعرفية بين الجزائر والأندلس، ولنا أن نتخيل المسافة بين مدينة بونة الجزائرية وطليلطة الأندلسية، وكيف كانت تتم هذه المراسلات العلمية، من خلال المسائل والأجوبة عليها، والرّدود، ورّدود الرّدود، والطرق التي تتم عبرها هذه المراسلات. وهي-ولا شك- مظهر آخر من مظاهر هذه العلاقات الثقافية.



وترجع أهمية هذه الشخصية المحورية المتمثلة في شخصية أبي عبد الملك البوني إلى الدور الكبير الذي لعبه في سبيل نشر الدراسات الفقهية المالكية وتوطيد أركان المذهب المالكي السني، من خلال تلاميذه المباشرين، أو غير المباشرين، خصوصاً وأنه جاء في وقت عصيب، عصف بالوحدة السياسية الأندلسية، وهدد الوحدة المذهبية لإفريقية الشمالية، التي كانت ترزح تحت وطأة المذهب الشيعي الإسماعيلي، من خلال العبيديين الذين سيطروا على مساحات هائلة من الشمال الإفريقي، خاصة وأن أبا عبد الملك البوني كان يقطن في مدينة بونة (عنابة) القريبة من العاصمة السياسية والفكرية للعبيديين وهي المهديّة، ثم صبرة المنصورية فيما بعد.

وهو ما سبّكلّ بالنجاح، بعد وفاة أبي عبد الملك البوني حيث أعلن المعز الصنهاجي سيادة المذهب المالكي في تونس والأجزاء الشرقية من الجزائر، بعد سيادة طويلة للمذهب الشيعي الإسماعيلي على هذه الأجزاء، فكان المعز أول من حمل الناس على مذهب مالك<sup>(61)</sup>.

ويكفي الدارس الحصيف أن يطلع على بعض تلاميذ أبي عبد الملك البوني حتى يعرف مقدار علم ومكانة الرجل، فقد تتلمذ محمد بن إسماعيل بن فورتنش (ت 381 هـ/ 453 هـ) عليه، وكان ابن فورتنش هذا نفسه أستاذاً لفقهاء الأندلس الكبير أبي الوليد الباجي (ت 474 هـ)<sup>(62)</sup>.

وكان عمر بن عبيد الله بن زاهر الأندلسي المكنى أبا حفص، قد استوطن بونة وروى عن أبي عمران الفاسي الفقيه، وأبي عبد الملك مروان بن علي البوني، فقد ذكره أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي في شيوخه الذين لقيهم بالمشرق وأثنى عليه، وقد توفي بعد سنة (440 هـ)<sup>(63)</sup>.

وكان عمر بن سهل بن مسعود اللخمي من أهل طليطلة، قد رحل إلى المشرق وروى عن كثيرين، منهم القابسي وأبو عبد الملك البوني... وكان إماماً في كتاب الله تعالى، حافظاً لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - عالماً بطرقه لسيئاً حافظاً لأسماء الرجال وأنسابهم، خفيف الحال، قليل المال، قانعاً، راضياً، توفي بعد سنة (442 هـ)<sup>(64)</sup>.

ونختم حديثنا في هذا البحث بشخصية جزائرية كبيرة كان لها حضورها الثقافي والأدبي المميز في تلك الفترة، وهو أبو عبد الله محمد، أو أبو عبد الله التميمي والمسمى ابن قاضي ميلّة، وكان في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس. قال فيه ابن بسام: "وهو ممن طرأ ذكره، وانتهى إليّ شعره، إذ ضرب في الأدب بأعلى قدح، وافترّ عنه على أوضح صيح، وأقام دوحه على سوقه، وبنى المنازل على سواء طريقه<sup>(65)</sup>" وقال عنه ابن دحية: أشعر من دبّ بميلة ودرج، ودخل بها وخرج"<sup>(66)</sup>.

وقد أغفلت المصادر التي ترجمت له ذكر تاريخ ميلاده ووفاته، لكننا نعلم من خلال بعض الإشارات أنه كان في صدر المائة الخامسة للهجرة، وقد وردت بعض الإشارات

التي تؤكد ذلك، فحينما علّق ابن بسام على ذكر ابن رشيق لابن قاضي ميلة في كتابه " أنموذج الزمان "قال: " إن شعراء الأنموذج مائة شاعر وشاعرة، وأكثرهم كان في المائة الخامسة من الهجرة ، وتقاربت موالدهم، وتشابهت مصادرهم ومواردهم"(67).

والإشارة الثانية أنه رافق والده إلى صقلية حيث مدح الأمير الكلبى ثقة الدولة يوسف بن عبد الله القضاعي من قبل العزيز الخليفة الفاطمي بمصر، الذي حكم في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة، بقصيدة بلغت واحدا وستين بيتا أوردها ابن خلكان وقال عنها: " ولقد ظفرت بها في ظهر كتاب، ولم يكن عندي منها سوى البعض، ولا سمعت أحدا يروي منها سوى البعض، ولا سمعت أحدا منها سوى ذلك القدر فأجابت إثباتها لحسنها وغرابتها وهي:

يذيل الهوى دمعي وقلبي المعنّف\*\*\*وتجني جفوني الوجد وهو المكفّف  
وإني ليدعوني إلى ما شنفته\*\*\*وفارقت مغناه الأغن المشنّف  
وأحور ساجي الطرف أما وشاحه\*\*\*فصفر وأما وقفه فموقف  
يطيب أجاج الماء من نحو أرضه\*\*\*يحي ويندى ريحه وهو حوجف  
وأيأسني من وصله أن دونه\*\*\*متالف تسري الريح فيها فتتلف (68)

وقد علّق المرحوم الأستاذ الشاذلي بويحيى على هذه القصيدة قائلا: "إنها سبب ذبوع الشاعر حتى بلاد الأندلس".(69)

وإننا نطمئن إلى أن شعر ابن قاضي ميلة وصل إلى الأندلس بطرق مختلفة، وتداوله الناس والرواة وأثبتوه، فتلقى باليمين من كل جهة وطار بجناح الاغتباط. ولهذا فقد حصل ذكر لأبي عبد الله عند ابن بسام في الذخيرة، وهو الذي أورد شيئا يسيرا من شعره، وبعضا من طرفه وأخباره، فقال: " وانتهى إليّ شعره(70) ، وقال في موضع آخر: "ولأبي عبد الله أشعار شاردة سارت على ألسنة الأنام، وكتبت في جبهات الأيام، غير أنه لم يقع إليّ منها عند تحرير هذه النسخة إلا ما أثبت".(71)

## الخاتمة

تحدثنا في هذا المقال عن العلاقات الثقافية بين الجزائر والأندلس، خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين؟، وأشرنا إلى أن هذه العلاقات في غالبها من الثراء والتنوع والازدهار ما يعطيها سمات مميزة، تنوعها وغازرتها فقد مست حقولا معرفية مختلفة منها:

العلوم الدينية بفروعها المختلفة ( الفقه والأصول والحديث والقراءات وغيرها.) وفي ميدان الفقه كان الفقه المالكي هو محور الدراسات بين طلبه العلم وشيوخ المذهب من الأندلسيين والجزائريين.

أما في ميدان العلوم اللغوية فقد كانت رواية الأشعار، ومختلف المواد اللغوية والنحوية محور الدراسات، كما ذكرنا عن زكريا الأشج التيهرتي الذي أدخل ديوان

المتنبي رواية عن الشاعر أبي الطيب نفسه، إلى المنطقة المغاربية والأندلسية، وأبو إسحاق الإفريقي التنسي الذي تتلمذ لأبي علي القالي حيث روى بعض أماليه، وهو ما يؤكد من جهة أخرى القيمة التوثيقية لهذه النصوص المروية مشافهة.

وبعد الحديث الذي ألقى ضياء على الإطار السياسي والاجتماعي والثقافي والأدبي وهو - في اعتقادنا الصورة العامة للعلاقات بين الجزائر والأندلس، وألمحنا إلى عدة أمثلة حول ذلك.

كما أشرنا إلى الحواضر الجزائرية والأندلسية في ربط الصلات بين البلدين من خلال النماذج رفيعة المستوى التي مثلت هذه العلاقات.

لقد أصبح من الجلي بعد ذلك أن نقول: إن العلاقات الثقافية التي ربطت الجزائر بالأندلس خلال الفترة المذكورة تشهد بصحة هذه الروابط الثقافية والتواصلات المعرفية، وقوتها وأصالتها ومتانتها بين قطبين محوريين يقعان على ضفتي المتوسط، من خلال الشخصيات الثقافية المهمة التي مثلت هذه العلاقات، وكانت سببا في حصول اتصال ثقافي مثمر وبناء بين القطرين، حيث دفع هذا الاتصال المثمر والفعال الحركة الثقافية في كلا المصيرين إلى الازدهار والنماء، مع تعدد الروافد وتنوع المعطيات.

#### الهوامش:

- 1- ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1994، ص 99.
- 2- حول فتح إفريقية بشكل عام والجزائر، ومراحل الفتح ينظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2009، ج1، ص 8 وما يليها.
- 3- المصدر نفسه: ج2، ص 4 وما يليها.
- 4- البكري: المسالك و الممالك، حققه و وضع فهارسه: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003 ج2، ص 266 وما بعدها.
- 5- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1989، ج1، ص 252.
- 6- محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص 104.
- 7- محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، حررها وقدم لها: شاكرا لعبيبي، دار السويدي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، بالاشتراك مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003، ص 214.

- 8- البكري: المسالك والممالك، ج2، ص248 / الحميري: الروض المعطار، ص126.
- 9- الروض المعطار، ص115.
- 10- أحسن التقاسيم، ص215.
- 11- نزهة المشتاق: ج1، ص252. وحول هذه القصة يراجع: البكري: المسالك والممالك، ج2، ص246، 242، 241 / الحميري: الروض المعطار، ص138.
- 12- الروض المعطار، ص163.
- 13- ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط2006، ص15 وما يليها.
- 14- الروض المعطار، ص51.
- 15- المسالك و الممالك، ج2، ص251.
- 16- ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، حققه وعلق عليه: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ج1، ص215، 216.
- 17- أعمال الأعلام ، ص192، 191.
- 18- الحلة السبراء، ص223.
- 19- ابن سعيد: المغرب، ج2، ص201، 202. وبعض هذه الأبيات عند المقرئ في النفج، ج3، ص368.
- 20- المقرئ: النفج، ج3، ص368.
- 21- المسالك و الممالك، ج2، ص240، 239، حيث يذكر أن الشيعة كانت تسمى مدينة المسيلة (المحمدية). / نزهة المشتاق، ج1، ص254 / ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص215، 214 / الروض المعطار، ص558.
- 22- البيان المغرب، ج1، ص196.
- \*- عالم أندلسي قرطبي، يكنى أبا عمر، رحل إلى المشرق فسمع من الشعرائي وغيره، وكان ينسب إلى اعتقاد ابن مسرة القرطبي، ترجمته عند ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1997، ج1، ص44، 43، ترجمة رقم (129).
- 23- محمد بن الحارث الخشني: قضاة قرطبة، تحقيق: ياسر سلامة أبو طعمة، دار الصمعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2008، ص95.
- 24- المصدر نفسه، ص100.
- 25- تاريخ ابن الفرضي: ص25، 26. رقم (47). وانظر ترجمته عند الضبي في البيغية، ص187. رقم (510). / القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: سعيد أحمد عراب، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط2، 1403 / 1983 هـ، ج6، ص299. / قاسم علي سعد: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ج1، ص163، 164. رقم (23).
- 26- محمد بن الحارث الخشني: قضاة قرطبة ، ص130، رقم (455).

- 27- المصدر نفسه، ص 365،366، رقم(1355).حيث ذكر وفاته سنة (378 هـ). وذكره المقرّي التلمساني في نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط،2004،ج2، الصفحات،152،153،142.وذكر سنة وفاته(383هـ) و قيل سنة (378) أو(379 هـ).
- \*\*- أبو عبد الرحمن بكر بن حماد التيهرتي (ت296). من علماء الجزائر وفقهائها ومحدثيها ومن أكبر الشعراء الذين أنجبتهم الجزائر والمنطقة المغاربية بشكل عام، له رحلات عديدة إلى المشرق، فقد طوف بمختلف حواضره، ودخل بغداد ومدح الخليفة العباسي المعتصم بن هارون الرشيد، وكان قبل ذلك قد سمع بإفريقية من سحنون الفقيه المالكي الكبير. / انظر ترجمته في: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه: بشير اليكوش راجعه: محمد المطوي العروسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994م/ 1414هـ، ج2، ص21 وما بعدها، وفي غيره من المصادر.
- 28- الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1997، ص1، 299، رقم(775). / أحمد بن غميرة الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص171، 172، رقم(495). / ابن الأبارالقضاعي البلبني: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995، ج4، ص80، رقم(235).
- 29- جذوة المقتبس، ص124، 125، رقم(241)، و كذلك، ص316. / ابن بشكوال: الصلة: ضبط وتعليق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج1، ص84،83، رقم(182).
- 30- ابن الأبار: التكملة، ج2، ص242، رقم(683).
- 31- الحميدي: الجذوة، ص85، رقم(157). / الضبي: البغية، ص121، رقم(301). / ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت، لبنان، دت، ج3، ص41 و ما يليها.
- 32- الشاذلي بويحيى: الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري. ترجمة محمد العربي عبد الرزاق، المجمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999، ج1، ص52.
- 33- ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2010م، 1431هـ، ص635. رقم (1865).
- 34- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص33 و ما يليها، رقم(37). / ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص158، 159.
- 35- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص134، رقم(332). / ابنالأبار: التكملة، ج1، ص219، 220، رقم(728).

- 36- ابن حزم الأندلسي: رسالة التلخيص لوجوه التلخيص، طبعت ضمن: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2007، المجلد الثاني، ق1، ص 155.
- 37- التكملة، ج3، ص 50، رقم(123).
- 38- الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري، ج1، ص 318.
- 39- المطرب من أشعار أهل المغرب، ضبطه وشرحه: صلاح الدين الهوارى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 49.
- 40- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 41- الشاذلي بويحيى: الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري، ص 318.
- 42- الصلة: ج2، ص 247، 248، رقم(659).
- 43- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997، ق2/4/ص 597 و ما يليها. و من بين الأسباب التي منعت من السفر من صقلية إلى الأندلس، خشية من المغامرة و ركوب البحر. ينظر المصدر نفسه: ص 610، 611. وابن دحية: المطرب، ص 68. و قد فصل المرحوم الشاذلي بويحيى في أسباب عدم سفره إلى الأندلس في كتابه: الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري، ج1، ص 195.
- 44- محمد قرقران: تأثر بن رشيق في كتاب "العمدة" بابن عبد ربه في كتاب "العقد" المنهج البلاغي وأبواب تعين على فهم الشعر. / ضمن ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية، تيارات الفكر في المغرب والأندلس(الروافد والمعطيات)، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب، 1993، ص 478.
- 45- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 46- ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، حققه وعلق عليه: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ج1، ص 92.
- 47- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 48- جذوة المقتبس: ص88. رقم (168). وانظر: الضبي: البغية، ص125، 126. رقم (316).
- 49- ابن سعيد: المغرب/ ج1، ص 92.
- 50- الحميدي: الجذوة، ص 88.
- 51- ابن سعيد: المغرب/ ج1، ص 92.
- 52- الجذوة، ص251، 252. رقم (629).
- 53- المقرئ: نفع الطيب، ج2، ص 28.
- 54- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص 65، رقم(122).
- 55- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، ص2/8/ص 592، رقم(30).
- 56- الشاذلي بويحيى: الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري، ج1، ص 336.

- 57- ابن بشكوال: الصلّة، ص 247، رقم(657).
- 58- تاريخ علماء الأندلس، ص 262، رقم(973).
- 59- الحميدي: الجذوة، ص 307، 308، رقم(798). / الضبّي: البغية، ص 402، رقم(341). /  
ابنشكوال: الصلّة، ص 478، 479، رقم(1352). / قاسم علي سعد: جمهرة تراجم الفقهاء  
المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1،  
2002، ج3، ص 1245، 1246، رقم(1255).
- 60- الصلّة: ص 226. / قاسم علي سعد: تراجم الفقهاء المالكية، ص 1246.
- 61- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، الصفحات، 273، 274، 277، 278، 296، 297. ابن  
العماد: شذرات الذهب، ج3، ص 294.
- 62- ابن بشكوال: الصلّة، ص 422، رقم(1179).
- 63- المصدر نفسه: ص 319، رقم(860).
- 64- المصدر نفسه: 320، رقم(861)
- 65- ابن بسام: الذخيرة، ق2/4/ص 529.
- 66- المطرب من أشعار أهل المغرب، ص 55.
- 67- الذخيرة، ق2/4/ص 529.
- 68- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تقديم: محمد عبد الرحمن مرعشلي،  
وضع فهارسه: رياض عبد الله عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3،  
2009، ج3، ص 282 وما يليها.
- 69- الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري، ج1، ص 318.
- 70- الذخيرة: ق2/4/ص 529.
- 71- المصدر نفسه، ص 530.

## من آليات فهم النص القرآني " التأويل النحوي "

### ملخص

يسعى الباحث من خلال هذا المقال العلمي إلى إبراز وظيفة التأويل النحوي كآلية توصلها المفسرون لتحديد وفهم مقصدية النص القرآني، وقد ركز الباحث في هذا المقال على ظاهرتي: الحذف، والزيادة كوسيلتين مهمتين من وسائل التأويل النحوي وظفها المفسرون بعد أن استعاروها من النحاة في محاولة لإعادة بناء التأويلات الدلالية للبنية التحتية للنصوص القرآنية التي خالفت بنيتها السطحية القواعد النحوية التي أسسها النحاة وفق نظرية العامل.

أ. عادل قيطوني

قسم الآداب واللغة العربية  
جامعة قسنطينة I  
الجزائر

### مقدمة

**يعدّ** النحو العربي من علوم العربية وثيقة الصلة بالنص القرآني لكونه الأساس الذي تقاس عليه التحولات اللغوية المعجزة لتراكيب القرآن الكريم وأساليبه، ولذلك كان الأساس الذي انطلق منه علماء العربية الأوائل ولا سيّما المفسرون في تفسير وشرح النصوص القرآنية فيما يسمى: **(التفسير اللغوي للقرآن الكريم)** آخذين في الحسبان النص القرآني معجزا في استعماله الخاص للغة، فصلة النحو بالقرآن الكريم وتفسيره قديمة قدم النحو نفسه إذ من المعلوم أن النحو نشأ في رحاب القرآن الكريم وخدمة له. ومن المعلوم أن النص القرآني نصّ تشريعي ودستور المسلمين إلى يوم الدين، أنزله الله سبحانه وتعالى بلسان عربي مبين معجزة لرسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم- في

### Abstract

The aim of this study is to show and discuss the several functions of grammatical interpretation as an important instrument which used by commentators to identify and understand the quranic text.

The researcher focused in this article on the phenomena of deletion and increase which represent the necessary keys of grammatical interpretation ; first this term was created by commentators then by grammarians who give an attempt to rebuild the semantic interpretation of the infrastructure that bucked its surface grammatical rules established by grammarians according to the theory factor .



خطابه إلى العرب الفصحاء، ولكن الملاحظ أن فيه كثيرا من النصوص خالفت القواعد النحوية التي أسسها النحاة الأوائل، فاحتاج الأمر لفهم النص القرآني وتوجيه معانيه إلى آلية التأويل النحوي.

لقد كان التأويل النحوي من أهم الآليات اللغوية التي اعتمد عليها المفسرون في تحديد مقصدية الخطاب القرآني، لأنها تركز على قضية الصلة بين التراكيب ودلالاتها على المعنى، وأنها أعمق من مجرد قواعد وقوانين لتتبع حركات الإعراب، فإذا كان النحو صناعة علمية تنظر إلى الألفاظ في كلام العرب وكيف تتألف فهي من جهة أخرى تحدد العلاقة بين قواعد النظم وما تحتمله من معنى، ومن هنا تبدو أهمية العلاقة بين آلية التأويل النحوي، ومعنى النص القرآني.

وقبل الحديث عن دور آلية التأويل النحوي في تفسير النص القرآني لا بد من تحديد مفهومها وعرض أساليبها تمهيدا لعرض بعض النماذج التطبيقية لمفسرين وظفوا هذه الآلية في فهم وتحديد مقصدية النص القرآني.

- مفهوم التأويل النحوي: إذا أردنا تحديد الحيز الدلالي لمصطلح التأويل النحوي في التراث اللغوي العربي علينا أولا عرض المنهج العام الذي توصله النحاة في بناء القواعد النحوية.

لقد انطلق النحاة في التقعيد النحوي من الواقع اللغوي في عصر الاستشهاد، ثم لما أكملوا بناء صرح القواعد النحوية وفق المنهج الاستقرائي أعادوا عرض وحمل النصوص اللغوية على القواعد النحوية التي توصلوا إليها فما وافق بناؤها التركيبية هذه القواعد قبلوه وما خالفها اضطروا إلى تأويله للجمع بين النص اللغوي والقاعدة النحوية، وعليه يمكن تسجيل مرحلتين هامتين في الدرس النحوي العربي:

منهج استقرائي

المرحلة الأولى: واقع لغوي في عصر الاستشهاد ————— قواعد نحوية

تأويل نحوي

المرحلة الثانية: نصوص لغوية مخالفة للقواعد ————— لصناعة صياغة هذه النصوص

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن التأويل النحوي وسيلة لجأ إليها النحاة للتوفيق بين القواعد النحوية التي توصلوا إليها وبين النصوص اللغوية المخالفة في تركيبها لهذه القواعد، والغريب أنهم مارسوا مفهوم هذه الوسيلة في كتبهم بطريقة عملية دون أن يعطوا لها تعريفاً - في حدود اطلاعي - جامعا مانعا، باستثناء بعض الإشارات والتي رغم غموضها تقترب من تحديد الحيز المفهومي لمصطلح التأويل النحوي، ومن ذلك ما أشار إليه السيوطي في كتابه الاقتراح حيث قال: " قال أبو حيان في شرح التسهيل: التأويل [النحوي] إنما يسوغ إذا كانت الجادة على الشيء، ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول " (1)

والمقصود بالجادة في كلام أبي حيان ليست النصوص اللغوية وإنما القواعد النحوية التي تحكم هذه النصوص بدليل أنه قال: " ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول " والشيء هنا هو النص اللغوي، أي أنه إذا خالف في تركيبه القواعد النحوية التي يلتزم بها النحاة فإنه يتأول ويعاد إنتاجه بصورة تتفق مع هذه القواعد، وعليه يمكن القول إن التأويل النحوي آلية وظفها النحاة لحل إشكال التعارض بين نص لغوي فصيح وقاعدة نحوية ملتزم بها، فلا يُمكن ردُّ هذا النص " لوروده عن فصيح مُحْتَجَّ بكلامه، ولا تُنقض القواعد به، لأنها أصول لا تُنقض بمجرد ما سُمع، ولهذا يجب ردُّ ما ورد من ذلك للأصول بالتأويل، كما أشار إليه أبو حيان بقوله: فيتأول " (2)

لقد طبَّق نحاتنا المتقدمون آلية التأويل النحوي بأساليبها المختلفة ( الحذف، الزيادة، التقديم والتأخير...) تطبيقاً متناثراً في مؤلفاتهم لكنهم لم يُعرّفوه تعريفاً علمياً " فهم لم يبحثوا موضوع التأويل بحثاً مباشراً في كتب أصول النحو، وربما كان السبب في ذلك أن التأويل لم يتخذ له صورة مستقلة في أذهان الدارسين كفكرة القياس مثلاً، فقد طبقوا مظاهره دون أن يربطوا تلك المظاهر بعضها ببعض الآخر ويجمعوها تحت عنوان واحد " (3)

وعليه يمكن القول إن مصطلح التأويل النحوي لم يضبط مفهومه العلمي ضبطاً دقيقاً إلا في النصف الثاني للقرن العشرين، فقد عقد له الدكتور محمد عيد الفصل الرابع من كتابه - أصول النحو العربي في نظر النحاة، ورأي ابن مضاء، وضوء علم اللغة الحديث - وعرّفه بقوله: " التأويل عامة هو صرف الكلام عن ظاهره إلى وجوه خفية تحتاج لتقدير وتدبر، وأن النحاة قد أولوا الكلام وصرفوه عن ظاهره لكي يوافق قوانين النحو وأحكامه " (4)

وتصدى له الدكتور عبد الفتاح أحمد الحموز وجعله موضوع بحث نال به شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام 1981 بعنوان: " التأويل النحوي في القرآن الكريم "، ورغم أن مصطلح " التأويل النحوي " كان هو الكلمة المفتاحية في عنوان الرسالة إلا أن الدكتور حموز لم يعط له تعريفاً علمياً بل اكتفى بتعريف كلمة " التأويل " فقط وحجته في ذلك قوله: " ولم أقف على نص وضح فيه النحويون معنى (التأويل) نحويًا، فالكتب التي جمعت في ثناياها أصول النحو وأدلته تكاد تكون خالية إلا من بعض الإشارات الغامضة." (5)

إلا أن المتصفح لهذه الرسالة يجد أن الدكتور حموز رغم أنه لم يُعرّف مصطلح التأويل النحوي إلا أن مفهومه كان حاضراً في ذهنه بدليل أنه جمع كل أساليب التأويل النحوي من ( حذف وزيادة و تقديم وتأخير وحمل على المعنى وتأويل لفظة بلفظة لموافقة المعنى... ) وطبقها على النص القرآني محاولاً تأويل كل نص من نصوص

القرآن الكريم جاء مخالفا في تركيبه لقواعد النحو بأي أسلوب من أساليب التأويل النحوي.

وقد استطاع الدكتور علي محمد أبو المكارم أن يجمع ما تفرق من مفاهيم في أذهان النحاة الذين سبقوه حول ظاهرة التأويل النحوي<sup>(6)</sup> فحلها تحليلا علميا في الباب الثالث من كتابه - أصول التفكير النحوي - فحدد مفهومها العلمي في الفصل الأول بقوله : " ومعنى هذا أن التأويل يعني تبيين النص بصورة تجعله آخر الأمر متفقا مع القواعد المتبعة، ومن هنا اتخذ التأويل النحوي مفهومه في التراث النحوي، وأصبح يطلق على الأساليب المختلفة التي تهدف إلى إسباغ صفة الاتساق على العلاقة بين النصوص والقواعد، وصار كظاهرة نحوية يعني صب ظواهر اللغة المنافية للقواعد في قالب هذه القواعد " (7)

وخصّ الفصل الثاني لدراسة أسباب هذه الظاهرة وحصرها في ثلاثة أسباب (دعوى القصور الكمي، دعوى الاختلاف النوعي، دعوى إعادة صياغة التراكم)، ثم عرض في الفصل الثالث أشكالا تطبيقية لمختلف أساليب التأويل النحوي ( الحذف، الزيادة، التحريف، التقديم والتأخير، الحمل على المعنى...) بعد أن يقدم التعريف العلمي لكل أسلوب.

نصل من هذا كله إلى أن التأويل النحوي مظهر من مظاهر سلطة القواعد النحوية على النصوص اللغوية، وتتجلى آثار هذه السلطة في احتمالين لا ثالث لهما:

- 1- قبول النصوص الموافقة للقواعد النحوية
- 2- ضرورة تأويل النصوص المخالفة للقواعد النحوية تأويلا يعيد صياغتها وإنتاجها بشكل يوافق هذه القواعد.

#### - وسائل تأويل النصوص المخالفة لقواعد نظرية العامل

والمقصود بوسائل تأويل النصوص المخالفة لقواعد نظرية العامل هو أن النحاة بعد أن أسسوا صرح القواعد النحوية نظروا للنصوص الموجودة بين أيديهم، ويفترضون في البداية أن تحت أي نص من هذه النصوص تركيبا آخر مثاليا تجتمع فيه كل عناصر الجملة وفق نظرية العامل، كما أنهم يعتقدون أن هذا النص المثالي هو الأصل ومحور التقعيد، وعليه يصبح لكل نص في نظر النحاة بنيتان: الأولى سطحية وهي بنية النص المنتج فعليًا من طرف المتكلم، والأخرى تحتية وهي البنية المثالية التي جمعت كل العناصر وفق نظرية العامل، وبذلك يجب حمل تركيب النص الموجود (البنية السطحية) على تركيب النص المثالي (البنية التحتية) والمقارنة بينهما، وينتج عن هذه المقارنة ما يأتي:

- احتمال تطابق تركيب النص الموجود والمنتج فعليا مع تركيب النص المثالي، وفي هذه الحالة لا يلجأ النحاة إلى أي وسيلة من وسائل التأويل النحوي لأن النص الموجود استوفى جميع عناصره.

- احتمال سقوط بعض أجزاء تركيب النص الموجود مقارنة بتركيب النص المفترض وهنا يلجأ النحاة لوسيلة الحذف كمظهر من مظاهر التأويل النحوي في محاولة لتصحيح هذا النص وتقدير هذه الأجزاء الساقطة حتى تتطابق بنيته السطحية مع بنيته التحتية.

- احتمال أن يشتمل النص الموجود على بعض الأجزاء الزائدة من الناحية التركيبية مقارنة بالنص المثالي، وفي هذه الحالة يتوسل النحاة أسلوب الزيادة كآلية من آليات التأويل النحوي للتوفيق بين بنية النص الفعلية وبنيته المثالية.

وعلى هذا الأساس تكون آلية الزيادة مكتملة لإجراء الحذف في الفكر النحوي العربي، إذ يرى النحاة في ظاهرة الحذف سقوط بعض المعمولات من البنية السطحية للنص، بينما في ظاهرة الزيادة يعتقدون زيادة بعض العوامل في بنية النص المنتج فيحكمون عليها بالإهمال أو الإلغاء حتى لا يضطروا إلى تقدير معمولاتها.

وعليه يمكن تمثيل العلاقة القائمة بين البنية السطحية والبنية التحتية للنص الواحد في العقل النحوي العربي وفق نظرية العامل كالاتي:

- 1 - البنية التحتية = البنية السطحية ← لا وجود لتأويل  
2 - البنية التحتية < البنية السطحية ← ظاهرة الحذف  
3 - البنية التحتية > البنية السطحية ← ظاهرة الزيادة

#### أولاً: الحذف

يعد أسلوب الحذف مبحث مهم في الدرس اللغوي العربي، اهتم به النحاة كما اهتم به علماء البلاغة، فقد ذكره سيبويه في كتابه " الكتاب " وأطلق عليه مصطلح الإضمار حيث يقول: " هذا باب ما يُضمَر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي، وذلك قولك: إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج، قاصداً في هيئة الحاج، فقلت: مكة ورب الكعبة، حيث رَكَنْتَ أنه يريد مكة، كأنك قلت: يريد مكة والله " (8)

وجعله ابن جنى من شجاعة العربية حيث قال: " اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة و... [و] قد حذف العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب بمعرفته " (9)

وذكر ابن هشام في كتابه مغني اللبيب أن الحذف الذي يجب على النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة النحوية، وذلك بأن يجد خيراً بدون مبتدأ أو بالعكس، أو

شرطاً بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفاً بدون معطوف عليه، أو معمولاً بدون عامل (10)

ووصفه عبد القادر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز حيث قال " هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتحدك أنطق ما تكون إذا لم تتطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبَيِّنْ " (11)

وعليه يمكن القول إن ظاهرة الحذف في التراث النحوي العربي مظهرٌ من مظاهر التأويل النحوي، وهي تقوم في الأساس على مبدأ إعادة صياغة النص اللغوي غير المطابق للقاعدة النحوية، أي أن البنية التحتية لهذا للنص تكون أكبر من بنيته السطحية التي سقط منها بعض عناصرها وفق قوانين الصناعة النحوية (نظرية العامل) " والحذف يتم فافتراض أبعاد في النص غير موجودة فيه، ويصل النحاة من هذا الافتراض إلى موقف يتصورون أنه يُوفَّق بين الشروط التي تفرضها القاعدة النحوية، وبين النصوص التي تتجافى عن تلك الشروط ولا تطابقها" (12)

وتبدأ ظاهرة الحذف في الفكر النحوي العربي من أجزاء الجملة وتمتد إلى جملة كاملة وقد تصل إلى أكثر من جملة، والمقصود بالحذف الذي يطال أجزاء الجملة هو: حذف الحروف، حذف الأسماء، حذف الأفعال.

#### - حذف الحروف

حذف الحروف ظاهرة تكثر في كلام العرب كما نجدها تشيع في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، ومن الحروف التي يكاد النحاة أن يجمعوا على حذفها باطراد قبل (أَنْ) و(أَنَّ) نجد حروف الجر ويؤكد ابن هشام ذلك بقوله: " حذف الجار يكثر ويترد مع أَنْ و أَنْ " (13)

ومن ذلك قول الله تعالى: (يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ) [ النساء: 127 ]

يرى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير أن للبيئية السطحية في قوله تعالى: (وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ) - من الآية السابقة - بُنْيَانَيْنِ تحتيّتين محتملتين، حيث يقول: " ولحذف حرف الجر بعد (وَتَرْغَبُونَ) هنا موقع عظيم من الإيجاز وإكثار المعنى، أي ترغبون عن نكاح بعضهن وفي نكاح بعض آخر، فإن الفعل رغب يتعدى بحرف (عن) للشيء الذي لا يُحِبُّ وبحرف (في) للشيء المحبوب، فإذا حُذِفَ حرف الجر احتل المعنيين إن لم يكن بينهما تنافٍ " (14)

فالبنية التحتية الأولى المحتملة هي التي يقدر فيها حرف الجر (عن) ويكون تركيبها كالأتي: (وترغبون عن أن تنكوهن)، وأما البنية التحتية الأخرى فيقدر فيها حرف الجر (في) ويكون تركيبها (وترغبون في أن تنكوهن)، وبما أن البنيتين التحتيتين محتملتان فلا مانع للجمع بينهما في تفسير الآية إكثاراً للمعنى في رأي ابن عاشور لذلك قال "أي ترغبون عن نكاح بعضهن وفي نكاح بعض آخر" وقد جمع بين الاحتمالين بحرف العطف الواو.

لقد اهتم ابن عاشور في تفسير هذه الآية بإبراز وظيفة أسلوب الحذف في إكثار المعنى على مستوى البنية التحتية للنص مع الإيجاز الظاهر على مستوى بنيته السطحية، ولم يتطرق للخلاف بين النحاة في تقدير الحرف المحذوف (عن) أم (في)، وهذه قضية مهمة في تحديد منهج كل من علماء النحو وعلماء التفسير في توظيف أسلوب الحذف، فالمفسر يعتمد أسلوب الحذف لتحديد مقصدية الخطاب القرآني، بينما نجد النحوي يتوسل الأسلوب نفسه لتحليل العلاقات التركيبية بين عناصر الجملة وفق قوانين نظرية العامل.

" إن الغرض الأساسي في علم التفسير، من إظهار المحذوف، تحديد مقصدية المتكلم، أما في الكتاب [لسيويه]، فيعد الحذف عاملاً أساسياً في تحليل العلاقات اللفظية/ التركيبية بين عناصر الجملة، كما يعد إظهار العنصر المحذوف ضرورياً لتفسير آثار العمل في الجملة " (15)

#### - حذف الأسماء

وهي الأخرى ظاهرة تكثر في كلام العرب كما أنها تشيع في القرآن الكريم في مواضع عديدة.

ذكر ابن مضاء القرطبي أن النحاة يفرقون بين ظاهرتي الإضمار والحذف في الأسماء، ويرون أن الفاعل لا يمكن أن يحذف، فإذا لم يظهر في تركيب البنية السطحية للنص فهو غير محذوف وإنما هو مضمّر، والنحويون يفرقون بين الإضمار والحذف ويقولون -أعني حذاقهم- إن الفاعل يضمّر ولا يحذف " (16)

وقد خالف ابن عاشور هذه القاعدة النحوية، وأقر بحذف الفاعل أحياناً واستحسنه لأن السياق يدعمه، فعند تفسيره لقوله تعالى: ( لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكَبْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ) [ الأنعام: 94 ]

يقول: " وحذف فاعل تَقَطَّعَ على قراءة الفتح [لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ] لأن المقصود حصول التَّقَطُّع، ففاعله اسم مبهم مما يصلح للتقطع، وهو الاتصال، فيفتر: لقد تقطع

الحبل أو نحوه، قال تعالى: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابَ) وصار هذا التركيب كالمثل بهذا الإيجاز ... فمن تمَّ حسن حذف الفاعل في الآية لدلالة المقام عليه فصار كالمثل " (17)

يرى ابن عاشور سقوط الفاعل من البنية السطحية لقوله تعالى: (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) ويقدره على مستوى البنية التحتية بقوله: لقد تقطع الحبل أو نحوه، ثم يعلل سقوطه هذا بدلالة السياق عليه ويعد هذا ضرباً من الإيجاز في أسلوب القرآن الكريم.

### - حذف الأفعال

ذكر الدكتور عبد الفتاح أحمد الحموز في كتابه " التأويل النحوي في القرآن الكريم " أن ظاهرة حذف الفعل ظاهرة تكثر في النص القرآني، وأحصى لذلك عشرة مواضع يحذف فيها فعل الفاعل أو نائبه(18)

ومن بين الحالات المشهورة التي يحذف فيها الفعل حالة الاشتغال، ومثال ذلك قول الله تعالى: ( وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ) [ النساء: 128]

ذكر الشيخ محمد بن الصالح العثيمين في تفسيره ( تفسير القرآن الكريم ) أن لإعراب كلمة (امرأة) ثلاثة أوجه منها: " ... وقول آخر [أنها] فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده يعني: وإن خافت امرأة من بعلها نشوزاً" (19)

وهذا التوجيه الإعرابي هو مذهب البصريين الذين يرون أنه لا يعمل عامل في معمولين متماثلين، ومنه يمكن القول إن هناك فائض في المعمولات على مستوى البنية السطحية للآية الكريمة ( عامل واحد هو الفعل: خافت، يقابله معمولان متماثلان هما الاسم الظاهر: امرأة، والضمير المستتر الذي يعود عليه )، وعليه حسب رأي ابن عثيمين أن البنية التحتية لجملة ( وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ ) يجب أن يظهر فيها العامل المحذوف الذي يدل عليه الفعل الذي بعده حتى تتساوى العوامل مع المعمولات كمًّا.

### - حذف الجملة

يرى النحاة أن حذف الجملة مطرد في مواضع عديدة ذكروها في أبواب خاصة بالتفصيل ومن الجمل التي يكثر حذفها في القرآن الكريم جملة الشرط، وقد عد الدكتور عبد الفتاح الحموز تسعة مواضع لذلك(20).

ومن ذلك قول الله تعالى ( الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) [ البقرة: 22]

ذكر الزمخشري أن : " الفاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ واقعة في جواب شرط محذوف أي: إذا كان الأمر كذلك فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون " (21)

وعليه حسب توجيه الزمخشري للآية الكريمة فإن قوله تعالى: ( ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ) هو في الحقيقة جملة جواب شرط لجملة شرط محذوفة مع الأداة، وباستعادة كل عناصر أسلوب الشرط على مستوى البنية التحتية يكون النص كالآتي: إذا كان الأمر كذلك فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون.

#### - حذف أكثر من جملة

ذكر الدكتور عبد الفتاح الحموز أن حذف أكثر من جملة ظاهرة موجودة في القرآن الكريم وأحصى لذلك سبعة مواضع (22)

ومن ذلك قوله تعالى: ( وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونْ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ) [ يوسف: 46، 45 ]

يقول فخر الدين الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب إن البنية السطحية لقوله تعالى: ( يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ) تخفي تحتها بنية تحتية حذفت منها أكثر من جملة " أما قوله تعالى: ( يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ) ففيه محذوف والتقدير: فأرسل وأتاه وقال أيها الصديق... " (23)

ومما سبق يتبين أن ظاهرة الحذف في الدرس النحوي العربي مظهر من مظاهر التزام الصناعة النحوية التي بنت قواعدها على نظريتين هامتين:

النظرية الأولى: نظرية العامل والتي تقوم على مبدأ التأثير والتأثر في العلاقات التي تحكم عناصر الجملة، فكل عنصر من التركيب أثر في العنصر الذي بعده فرفعه أو نصبه أو جرّه أو جزمه فهو العامل، وكلُّ عنصر تأثر فهو المعمول، والحركة الإعرابية تكون رمزا لتأثير العامل في المعمول " فإذا لم يوجد في الجملة بعض هذه الأطراف [ العامل، المعمول، الحركة الإعرابية ] تحنّم عند النحاة تقدير ما لا وجود له، ومن ثم إذا وجد النحاة عاملا وليس له معمول قدروا له معموله [ ظاهرة الحذف ]، وإذا اجتمع عاملان وليس في الكلام سوى معمول واحد أُعمل أحدهما فيه وقُدِّرَ للآخر ما يعمل فيه [ التنازع ] وإذا وُجد معمول ولم يكن له عامل قُدِّرَ له عامله [ ظاهرة الحذف ] " (24)

النظرية الثانية: وترتكز على علاقة الإسناد الحتمية التي تربط بين ركني الجملة ( المسند والمسند إليه ) إذ أنه لا يُتصور في الفكر النحوي العربي إمكانية بناء جملة



صحيحة دون ذكر ركنيها " وقد أثرت هذه الفكرة في جزئيات كثيرة في هذا النوع من الحذف، حين وجد النحاة تراكيب عديدة تفيد فائدة يحسن السكوت عليها – وهي غاية الجملة عندهم – ولكن لا يتوفر فيها شرط الإسناد من لزوم وجود طرفين، فلجأوا إلى تقدير المسند والمسند إليه في هذا النوع من التراكيب " (25).

### ب - الزيادة

وهي الأخرى مظهر من مظاهر التأويل النحوي مقابلة لظاهرة الحذف في الفكر النحوي العربي، فإذا كان الحذف يقوم على مبدأ وجود فائض في المعمولات في بنية النص ( البنية التحتية للنص < من البنية السطحية ) فإن الزيادة مبنية على مبدأ وجود فائض في العوامل ( البنية التحتية للنص > من البنية السطحية ) " ودعوى الزيادة هذه هي الجانب المكمل لدعوى الحذف فإنها تبدأ بدورها [ الزيادة ] من

الصورة الذهنية للنص [ البنية التحتية ] وليس من النص نفسه [ البنية السطحية ]، ومن ثم فإنها تجرّده من خصائصه وتغفل مقوماته، وإذا كانت الصورة الذهنية الممتدة عن ما تستلزمه القواعد قد أسلمت من قبل إلى تقدير وجود صيغ لا وجود لها بالفعل [ الحذف ] لتكمل أطراف العمل النحوي، وأركان الجملة العربية، فإنها قد فرضت هنا إغفال اعتبار بعض الصيغ الموجودة في الواقع وإلغاء ما لها تأثير [ الزيادة ] " (26).

وقد اختلف النحاة حول ظاهرة الزيادة في التراث النحوي العربي وانقسموا إلى فريقين.

الفريق الأول: من النحاة من يرى أن الزيادة تكون في اللفظ دون المعنى، قال ابن يعيش في شرح المفصل: " الزيادة والإلغاء من عبارات البصريين والصلة والحشو من عبارات الكوفيين، ونعني بالزائد أن يكون دخوله كخروجه من غير إحداث معنى ... لأن قولنا زائد ليس المراد أنه دخل لغير معنى البتة، بل زيد لضرب من التأكيد، والتأكيد معنى صحيح " (27).

وقال السخاوي: " من النحاة من قال هذه الحروف إذا جاءت صلة لأنها قد وصل بها ما قبلها، ومنهم من يقول زائدة، ومنهم من يقول لغو، ومنهم من يقول توكيد وأبي بعضهم إلا هذا [ التوكيد ] ولم يجز فيها أن يقال صلة ولا لغو لئلا يُظن أنها دخلت لا لمعنى البتة " (28).

وذكر سيبويه في الكتاب تعليقا على زيادة حرف " ما " لفظا دون معنى في قوله تعالى: ( فَبِمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) [ النساء: 155 ].

قال: " أن (ما) فإنما جاء لأنه ليس لـ (ما) سوى ما كان قبل أن تجيء إلا التوكيد " (29)

وأكد ابن جني أن ظاهرة الزيادة في الدرس النحوي "أنها إنما جيء بها توكيدا للكلام، ولم تحدث معنى" (30)

وخلاصة القول عند أصحاب هذا الرأي أن الزيادة تكون في اللفظ فقط دون المعنى، إذ أن الزائد نحويا له أثره المعنوي في التركيب، وإن كان هذا التأثير المعنوي ليس استحداثا لمعنى جديد وإنما هو تقوية وتأکید المعنى الموجود.

الفريق الثاني: يرى أصحابه في معنى الزيادة إلغاء المعنى والعمل معا للحرف الزائد نحويا، وهذا ما يراه ابن سراج حيث يقول: " حق الملغى عندي أن لا يكون عاملا ولا معمولا فيه حتى يلغى من الجميع ويكون دخوله كخروجه " (31)، ووافق على ذلك أبو حيان الأندلسي حيث قال في معنى الزيادة " أكثر ما تقع الصلة [ الزيادة ] في ألفاظ الكوفيين ومعناه أنه حرف يصل به كلامه وليس بركن في الجملة ولا في استقلال المعنى " (32)، وقد حاول ابن يعيش التوفيق بين الرأيين السابقين فعرف ظاهرة الزيادة وعلاقتها بثنائية ( العمل، المعنى ) على ثلاثة أوجه حيث قال: " ... وفي الجملة الإلغاء على ثلاثة أوجه: إلغاء في المعنى

فقط، وإلغاء في الإعمال فقط، وإلغاء فيهما جميعا، فالإلغاء في المعنى فقط نحو حروف الجر كقولك: ما زيد بقائم، وما جاءني من أحد، وأما ما ألغى في العمل فنحو زيد منطلق ظننت، وما كان أحسن زيدا، وأما الإلغاء في المعنى واللفظ نحو ما، إلا، إن " (33)

وقد ترك اختلاف النحاة في تحديد الحيز الدلالي لمفهوم الزيادة في الدرس النحوي أثره في المصطلحات المستعملة في الدلالة عليها، فمن النحاة من استعمل مصطلحات: الزيادة، اللغو، الإلغاء، ومنهم من أثر استعمال مصطلحات الصلة، والحشو.

### ظاهرة الزيادة في بنية النص القرآني

اختلف النحاة والمفسرون حول ظاهرة الزيادة في بنية النص القرآني إلى مذهبين.

المذهب الأول: يرى ابن أبي الأصعب المصري والزجاج وابن الخشاب جواز وقوع الزيادة في التنزيل من جهة الإعراب لا من جهة المعنى. (34)

المذهب الثاني: ذهب كل من المبرّد وثعلب وابن سراج وداود الظاهري وابن مضاء إلى أنه لا يصح إطلاق لفظ الزائد في تراكيب النصوص القرآنية " لأنه إذ ذاك يكون كالعيب، والتنزيل منزّه عن ذلك. " (35)

ولعل الذي دفع هؤلاء - والله أعلم - إلى إنكار القول بالزيادة مطلقاً في كتاب الله تعالى هو خلطهم بين مدلول لفظ الزيادة اللغوي ومدلولها الاصطلاحي في علم النحو، فهم يَرَوْنَ أن نسبة الزيادة بمفهومها اللغوي ( شيء مهمل يمكن الاستغناء عنه ) لبعض كلمات القرآن الكريم يتنافى وما يجب اعتقاده من القداسة لكتاب الله العزيز، وأما مفهوم الزيادة في فكر النحاة ووفق الصناعة النحوية مرتبط أساساً بنظرية العامل.

وعليه يمكن القول إن ظاهرة الزيادة هي نتيجة حتمية للصناعة النحوية وفق نظرية العامل، فكلُّ نصٍّ لم تتساوى العوامل والمعمولات كما في بنيته السطحية، ووجد فائض في العوامل يعني بالضرورة أنها زائدة نحويًا، أما من الناحية المعنوية فإن هذا الزائد له وظيفته الدلالية كالتأكيد ونحوه، لأن أصل المعنى موجود بدون هذا الزائد، فإن وُجد حصلت فائدة التأكيد وزاد المعنى قوة.

### - زيادة الحروف

وهي ظاهرة تكثر في النصوص القرآنية، ومن الحروف التي تطالها هذه الظاهرة نجد حروف الجر وحروف العطف<sup>(36)</sup>

ومن ذلك زيادة حرف الجر الباء في المفعول به ومثاله قوله تعالى: ( وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) [البقرة: 195].

ففي إعراب حرف الجر الباء في قوله تعالى: ( بِأَيْدِيكُمْ ) وجهان حسب رأي الشيخ ابن عثيمين.

الوجه الأول: أن تكون زائدة في المفعول به (أيديكم) لأن الفعل ألقى فعلٌ يتعدى بنفسه إلى المفعول به

الوجه الثاني: أن تكون أصلية غير زائدة متعلقة بالفعل ( ولا تلقوا ) على أنه تضمن معنى الفعل ( ولا تفضوا ) الذي هو فعل لازم يتعدى إلى مفعوله بواسطة حرف الجر الباء.

حيث يقول: " بعضهم يقول: إن الباء هنا زائدة، أي : لا تلقوا أيديكم إلى التهلكة، والصواب أنها أصلية، وليست زائدة، ولكن ضمنت معنى الفعل ( الإفضاء ) أي لا تفضوا بأيديكم إلى التهلكة. " (37)

ومنه زيادة حرف الجر (من) في قوله تعالى: ( وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) [يونس: 61].

حيث يقول ابن عاشور: " و(مِنْ) في قوله: ( مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ) مزيدة لتأكيد عموم النفي الذي في ( وَمَا يَعْزُبُ ) ". (38)

وعليه فإن البنية التحتية لقوله تعالى: ( وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ) حسب رأي ابن عاشور .

وبعد إسقاط الحرف الزائد (من) هي: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة، فالتحليل النحوي للآية السابقة يبين أن تركيب بنيتها السطحية أكبر من تركيب بنيتها التحتية وهذا لوجود عامل فائض نحويًا وهو حرف الجر (من) فإذا أسقط هذا العامل الزائد تساوت البنيتان كمًّا وفق نظرية العامل، أما التحليل الدلالي للآية نفسها يفضي إلى القول بأن هذا الزائد في الفكر النحوي له وظيفته الدلالية ألا وهي تأكيد عموم نفي العزوب وهو البعد، وفي الآية الكريمة هو مجاز عن الخفاء وفوات العلم أي أن الله تعالى لا

يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يفوته علمه مهما كان صغيراً أو حقيراً وعبر عن ذلك بقوله: ( مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ) " وَذُكِرَتِ الذَّرَّةُ مَبَالِغَةً فِي الصَّغَرِ وَالدَّقَّةِ لِلْكُنَايَةِ بِذَلِكَ عَنْ إِحْاطَةِ الْعِلْمِ بِكُلِّ شَيْءٍ فَإِنَّ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّرَّةِ يَكُونُ أَوْلَى بِالْحَكْمِ " (39)

#### - زيادة الأفعال

ذكر الدكتور عبد الفتاح الحموز ستة مواضع في القرآن الكريم جاء فيه الفعل (كان) زائداً بصيغة الماضي\*

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ( فَأَلْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) [ الصافات: 142- 144 ]

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن تعليقا على زيادة الفعل (كان): " قلت: والأظهر أنه كان تسبيح اللسان الموافق للجنان...وتكون (كان) على هذا القول زائدة، أي فلولا أنه من المسبحين...فيونس عليه السلام كان قبل مُصَلِّيًا مُسَبِّحًا، وفي بطن الحوت كذلك." (40)

لقد حكم القرطبي على زيادة الفعل الناقص (كان) لأن إعماله في بنية النص السطحية يوهّم إلى أن يونس عليه السلام كان يسبح الله ويذكره في الزمن الماضي قبل أن يلتقمه الحوت فلما التقمه الحوت انقطع عن الذكر والتسبيح وهذا محال في حق رسول كريم، لذلك قال إن البنية التحتية للآية هي " فلولا أنه من المسبحين " فحذف الفعل (كان) ليستغرق فعلُ التسبيح من يونس عليه السلام الزمن الماضي وزمن الحاضر وهو في بطن الحوت.

ومن الأفعال التي قد تأتي زائدة في بنية النص القرآني فعل المقاربة (كاد) ومنه قوله تعالى: ( إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ) [ طه: 15 ]

قال ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: " ولما كانت الساعة مخفية الوقوع أي مخفية الوقت، كان قوله ( أَكَادُ أُخْفِيهَا ) غير واضح المقصود، فاختلّفوا في تفسيره على وجوه كثيرة أمثلها ثلاثة:

...وقيل وقعت (كاد) زائدة هنا بمنزلة زيادة (كان) في بعض المواضع تأكيداً للإخفاء، والمقصود أنا أخفيها فلا تأتي إلا بغتة. " (41)

وختاماً يمكن القول إن المفسرين وظفوا آلية التأويل النحوي لفهم وتحديد مقصدية الخطاب القرآني وقد استعاروا هذه الآلية من النحاة في محاولة لإعادة بناء التأويلات الدلالية للبنية التحتية للنصوص القرآنية، مع تسجيل الاختلاف الواضح بين النحاة والمفسرين في توظيف هذه الآلية، فالمفسر في تحليله الدلالي للبنية السطحية للنص القرآني يتوسل آلية التأويل النحوي للعودة لبنينته التحتية بحثاً عن دلالاته ومعانيه دون أن يستسلم كلياً لصرامة القواعد النحوية التي تحكم هذه آلية على عكس النحوي الذي يخضع لسلطة القواعد النحوية ولا يعود للبنية التحتية إلا لمقارنتها بالبنية السطحية في ضوء نظرية العامل.

#### هوامش المادّة العلمية:

- 1- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي قرأه وعلق عليه د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ - 2006م، ص 158.
- 2- المصدر نفسه، تعليق د. محمود سليمان ياقوت بهامش الصفحة 158.
- 3- أصول النحوي العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة ط: 4، 1410هـ - 1989م، ص.
- 4- المرجع نفسه، ص 157.
- 5- التأويل النحوي في القرآن الكريم، د. عبد الفتاح أحمد الحموز، مكتبة الرشيد، الرياض، ط: 1، 1404هـ - 1984م ج 1 ص 133.
- 6- ينظر كتاب أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، ص 229 وما بعدها.
- 7- أصول التفكير النحوي، د. علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، 2006، ص 232.
- 8- الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنير، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 3، 1408هـ - 1988م، ج 1 ص 75.

- 9- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، ج 2، ص 360.
- 10- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح د. عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط:1، 1421 هـ - 2000 م، ص 21.
- 11- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط5، 2004 م، ص 146.
- 12- أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، ص 248.
- 13- مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، ج 6، ص 485.
- 14- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدر التونسية للنشر، 1984، ج 5، ص 213.
- 15- مفهوم المستويات التحتية في التراث النحوي العربي، كيبس فرشتينغ، تر: برامو بوشعيب، مجلة أبحاث لسانية، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، المجلد 6، العدد 2، ديسمبر 2001 م، ص ص 91-92.
- 16- الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط:2، 1982 م، ص 83.
- 17- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 7، ص 385.
- 18- ينظر التأويل النحوي في القرآن الكريم، عبد الفتاح أحمد الحموز 1/ 528 وما بعدها.
- 19- تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، دار الهداية، اليمن، ط:1، ج 3، ص 507.
- 20- ينظر التأويل النحوي في القرآن الكريم، عبد الفتاح أحمد الحموز، ج1، ص 622 وما بعدها .
- 21- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان الرياض، ط:1، 1418 هـ - 1998 م، ج1، ص 237 .
- 22- ينظر التأويل النحوي في القرآن الكريم، عبد الفتاح أحمد الحموز، ج1، ص 622 وما بعدها.

- 23- تفسير فخر الدين الرازي المشهور بالتفسير الكبير، مفاتيح الغيب فخر الدين محمد الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط:1، 1401هـ - 1981م، ج 18، ص 152.
- 24- أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، ص 260.
- 25- المرجع نفسه، ص 260.
- 26- المرجع نفسه، ص 267.
- 27- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج 1، ص 247.
- 28- المصدر نفسه، ص 247.
- 29- الكتاب، سيبويه، ج 1، ص 180-181.
- 30- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم دمشق، ط: 2، 1413هـ - 1993م، ج 1، ص 150.
- 31- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، دار الطباعة المنيرية، مصر، ج 8، ص 137.
- 32- الأشباه والنظائر، السيوطي، ج 1، ص 248.
- 33- شرح المفصل، ابن يعيش، ج 8، ص 137.
- 34- المصدر نفسه، ج 8، ص 128.
- 35- ينظر البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد إبراهيم، ط: 2، ج 1، ص 305.
- 36- ينظر التأويل النحوي في القرآن الكريم، عبد الفتاح أحمد الحموز، ج 2، ص 1281 وما بعدها.
- 37- تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، ج 1، ص 462.
- 38- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 11، ص 214.
- 39- المرجع نفسه، ج 11، ص 214.

- 40- الجامع لأحكام القرآن والمُبيّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1427هـ - 2006م، ج 18، ص 100.
- 41- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج16، ص 202.



## تقييم جودة الخدمات المصرفية من وجهة نظر الزبائن دراسة حالة البنك الوطني الجزائري بمدينة قسنطينة

### ملخص

تواجه البنوك صعوبات كبيرة في محاولة تمييز خدماتها عن المنافسين، بسبب نمطية الخدمات المصرفية والمنافسة الكبيرة وتزايد وعي الزبون البنكي. وتعد جودة الخدمة المصرفية منهج تنافسي يساعد البنوك على تحقيق هدف تمييز خدماتها من وجهة نظر الزبائن بإجماع الأكاديميين والمهنيين على حد سواء، حيث أن اتجاهات زبائن البنوك في طلب الخدمات المصرفية لا يرجع فقط للمضامين التسويقية التي يحصل عليها من تلك الخدمات، وإنما لما تتصف به تلك المضامين من قيم رمزية يبحث عنها الزبون وتشكل له جودة أفضل من وجهة نظره. لذا وضمن هذا السياق، تهدف هذه الدراسة لتبيان كيفية تقييم جودة خدمات البنوك من وجهة نظر الزبائن للوقوف على جوانب الضعف والقصور فيها ومعالجتها، والوقوف على جوانب القوة والتميز فيها وتعزيزها، وتحديد علاقتها مع كل من قيمة ورضا وولاء الزبون.

أ. شراف عقون

كلية العلوم الاقتصادية والتجارية  
وعلوم التسيير  
جامعة قسنطينة 2  
الجزائر

### Abstract مقدمة

**تعتبر** جودة الخدمات المقدمة من طرف المؤسسات ذات أهمية بالغة من أجل البقاء والمنافسة، خاصة في ظل زيادة وتنوع حاجات ورغبات الزبائن، حيث تسعى أغلب المؤسسات إلى الارتقاء بمستوى الأداء الإداري والفني وفق مفاهيم ونظم حديثة، بهدف تقديم خدمات مميزة وذات جودة عالية مقارنة بباقي المنافسين، باعتبارها عنصر جوهري يسبق كل من إرضاء الزبون وتحقيق الأرباح.

Banks face great difficulties in trying to differentiate their services from competitors due the standardization of banking services, big competition and the growing awareness of the customer's of bank. According to all academic researchers and professionals, the quality of banking services is a competitive process that helps banks to achieve the goal of the differentiation of its services from the viewpoint of customers.

**إشكالية الدراسة:** رغم سعي البنوك لتحسين خدماتها وتمييزها، إلا أنها لا تخلو من بعض جوانب الضعف التي تعيقها عن تحقيق رغبات زبائنها، خاصة في ضوء زيادة وعي الزبون الذي أصبح يقيم الطريقة التي تقدم بها الخدمات، وليس الحصول عليها بأي شكل كان.

لذا فإن تقييم البنك لجودة الخدمات المصرفية المقدمة من وجهة نظر الزبائن، من خلال دراسة علمية، أصبح مطلباً مهماً، وذلك للوقوف على جوانب القصور والضعف في هذه الخدمات والعمل على تطويرها، والوقوف على جوانب القوة ودعمها وتعزيزها ورفع مستواها.

تهدف الدراسة إلى تقييم جودة الخدمات المصرفية من وجهة نظر الزبائن، مع دراسة

حالة البنك الوطني الجزائري بمدينة قسنطينة، وذلك باستخدام المقياسين: مقياس الفجوات ومقياس الأداء الفعلي. وتستمد هذه الدراسة أهميتها من التحديات التي تواجهها البنوك بالجزائر في الوقت الراهن، الأمر الذي يوجب تبني مفاهيم تسويقية حديثة في مجال الخدمات، تجعلها قادرة على مواكبة التطور الذي تشهده البنوك العالمية، مما يزيد من قوتها التنافسية ويساعدها على تعظيم القيمة، والرضا والولاء لدى الزبائن، وكسب زبائن جدد والمحافظة عليهم، من أجل زيادة حصتها السوقية وتدعيم مركزها التنافسي في السوق.

وعلى ضوء ما سبق، فإن الدراسة تسعى للإجابة على التساؤل الرئيسي التالي: "ما مستوى جودة الخدمات المصرفية بالبنك الوطني الجزائري (BNA) بمدينة قسنطينة من وجهة نظر الزبائن؟"

- **فرضيات الدراسة:** تسعى الدراسة لإثبات صحة أو نفي الفرضيات التالية:

- إن مستوى توقعات الزبائن حول جودة الخدمات المصرفية ببنك BNA بمدينة قسنطينة منخفض.

- إن مستوى تقييم الزبائن لجودة الخدمات المصرفية المقدمة لهم فعليا ببنك BNA بمدينة قسنطينة منخفض.

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين إدراكات وتوقعات الزبائن حول جودة الخدمات المقدمة لهم من طرف بنك BNA بمدينة قسنطينة.

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقييم جودة الخدمة المصرفية المدركة من قبل عملاء بنك BNA بمدينة قسنطينة يرجع لمتغيراتهم الديموغرافية.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين نتائج تقييم جودة الخدمة المصرفية بينك BNA بمدينة قسنطينة باستخدام النموذجين : SERVQUAL و SERVPERF .
- لا يوجد اختلاف ذو دلالة معنوية في الأهمية التي يوليها الزبائن لأبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة بينك BNA بمدينة قسنطينة.
- إن مستوى كل من: القيمة والرضا والولاء لدى زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة منخفض.
- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لأبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة على مستوى كل من: القيمة، الرضا، والولاء لدى زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة.
- **الإطار النظري للدراسة:**
  - نبين من خلال مايلي مفاهيم الجودة والخدمات المصرفية وأنواعها، وطرق قياسها وعلاقتها بكل من القيمة، الرضا والولاء لدى الزبائن.
  - **مفهوم الجودة:** اختلفت الآراء حول تعريف الجودة، لكنها لم تخرج عن نطاق المفاهيم التالية: هي "ملائمة المنتج للاستخدام"، "وتلبية احتياجات الزبائن"<sup>(1)</sup>، "وأن يعمل المنتج بصورة صحيحة ومن المرة الأولى لاستخدامه"، "وتقليل التباين"<sup>(2)</sup>، وغيرها من المفاهيم الأخرى غير المتناقضة.
  - ولقد ميز Bradley T. Gale بين أربع مستويات للجودة تجعل منها عنصرا استراتيجيا هاما وهي<sup>(3)</sup>:
  - جودة المطابقة: أي مطابقة جودة المنتج أو الخدمة للخصائص والمواصفات المحددة في التصميم.
  - إرضاء العملاء: وذلك من خلال الاقتراب منهم، وتفهم احتياجاتهم ومحاولة تلبيتها.
  - القيمة المطلوبة من طرف السوق والخاصة بالمنافسة: وذلك من خلال القيام بدراسات السوق.
  - إدارة القيمة للعميل: من خلال استعمال أدوات القياس ومؤشرات تحليل العلاقة (قيمة / عميل).
  - كما يتفق رواد الجودة: كجوران (Juran)، كروسبي (Crosby)، وديمينغ (Deming)، على أن الجودة تعني الملائمة والمطابقة، أي الملائمة للاستخدام والمطابقة للمواصفات<sup>(4)</sup>.

## - طبيعة الخدمة المصرفية:

- **تعريف الخدمة المصرفية:** عرفت الاتجاهات الإدارية المعاصرة اهتماما متزايدا بقطاع الخدمات، حيث أصبح الاهتمام بتسويق الخدمات من أبرز الأولويات التي تواجه المؤسسات<sup>(5)</sup>. فالخدمة هي كل نشاط أو إنجاز أو منفعة يقدمها طرف ما لطرف آخر، وتكون أساسا غير ملموسة ولا تنتج عنها أي ملكية<sup>(6)</sup>. أما الخدمة المصرفية، فهي مجموعة الأنشطة والعمليات ذات المضمون المنفعي الكامن في العناصر الملموسة وغير الملموسة، التي يقدمها البنك، ويدركها المستفيدون من خلال ملامحها وقيمتها المنفعية، بحيث تشكل مصدرا لإشباع حاجاتهم ورغباتهم المالية والائتمانية، الحالية والمستقبلية، وفي نفس الوقت تشكل مصدرا لأرباح البنك من خلال العلاقة التبادلية بين الطرفين<sup>(7)</sup>.

- **أنواع الخدمات المصرفية:** إنه لمن الصعوبة بما كان حصر جميع الخدمات المصرفية التي تقدمها البنوك، سواء للأفراد أو المؤسسات، نظرا لكون الخدمات المصرفية متعددة ومتنوعة خاصة في ظل التطورات التكنولوجية في هذا المجال<sup>(8)</sup>. ويمكن الإشارة لأنواع الخدمات المصرفية فيما يلي:

- الخدمات المصرفية التقليدية<sup>(9)</sup>: مثل: خدمات قبول الودائع (وتتمثل في مختلف أنواع الحسابات والودائع، الجارية والإدخارية، الخاصة بالزبائن)، خدمات تقديم التسهيلات الائتمانية (وتتمثل في القروض بمختلف أنواعها)، خدمات مصرفية تقليدية أخرى (مثل: إصدار وصرف وتحصيل الشيكات... الخ).

- الخدمات المصرفية الحديثة<sup>(10)</sup>: مثل: الخدمات المتعلقة بالاستثمار في الأوراق المالية، خدمات الإعتمادات المستندية وخطابات الضمان، الخدمات المصرفية الالكترونية... الخ.

2-3- جودة الخدمة المصرفية: المفهوم وطرق القياس: ترجع أهمية دراسة جودة الخدمة لعدة اعتبارات، منها ازدياد حدة المنافسة في الأسواق، وزيادة وعي العميل، ونمو نسبة مساهمة قطاع الخدمات في اقتصاديات الدول، إضافة للصعوبات الكبيرة التي تواجهها المؤسسات في تمييز خدماتها عن خدمات منافسيها، فضلا عن النتائج الإيجابية التي تحقّقها المؤسسات الخدمية في حال تبنيها فلسفة جودة الخدمة، حيث مثلا أن جميع البنوك تقدم الخدمة نفسها، ولكن ليس بنفس مستوى الجودة، والعمل هو وحده القادر على تمييز فروقات الجودة<sup>(11)</sup>.

- مفهوم جودة الخدمة المصرفية: ينظر لجودة الخدمة المصرفية عادة على أنها ذات قيمة إستراتيجية، وتشير إلى مقابلة احتياجات ومتطلبات الزبائن بالشكل الصحيح من أول مرة وفي كل مرة يتعاملون فيها مع البنك<sup>(12)</sup>. أي أنها الفرق بين ادراكات الزبائن للأداء الفعلي للخدمة وتوقعاتهم حولها، بمعنى أنها تقييم الزبائن لدرجة التميز والتفوق في أداء وتقديم الخدمات من طرف البنك<sup>(13)</sup>.

### - أبعاد جودة الخدمة المصرفية:

بالرغم من المحاولات العديدة التي بذلت من أجل تحديد أبعاد جودة الخدمة المصرفية، إلا أنه لا يوجد اتفاق بين الباحثين حول ماهية وعدد تلك الأبعاد.

وتعتبر دراسة Parasuraman, Zeithaml and Berry سنة 1985 من أكثر الدراسات شمولاً وعمقاً في تحديد أبعاد جودة الخدمة المصرفية، حيث تم تحديد في بداية الأمر عشرة أبعاد لجودة الخدمة المصرفية هي: "النواحي المادية الملموسة، الاعتمادية، الاستجابة، الاتصال، المصداقية، الأمان، الجدارة، التعاطف، تفهم احتياجات العملاء، وسهولة التعامل"<sup>(14)</sup>. وفي مرحلة لاحقة، تمكنوا في سنة 1988 من دمج الأبعاد العشرة السابقة في خمسة أبعاد فقط هي<sup>(15)</sup>:

- الملموسية Tangibility: مثل المظهر الخارجي للتسهيلات المادية والآلات والمعدات والأفراد... الخ.

- الإعتماضية Reliability: مثل تقديم الخدمة في الوقت المناسب بدقة عالية ومن دون أخطاء، ومدى وفاء البنك بالتزاماته اتجاه الزبون.

- الاستجابة Responsiveness: مثل الاستجابة لطلبات الزبائن ولشكاويهم والعمل على حلها.

- الأمان Assurance: وهو الاطمئنان القبلي بأن الخدمة تخلو من الخطأ أو الخطر أو الشك.

- التعاطف Empathy: مثل سهولة وصول البنك للزبائن وتفهم احتياجاتهم لتلبيتها، وإبداء روح الصداقة والحرص على الزبون وإشعاره بأهميته وأهمية تلبية حاجاته من طرف البنك.

### - قياس جودة الخدمة المصرفية:

تعتبر عملية قياس جودة الخدمة المصرفية أمر صعب حتى بالنسبة للزبون، حيث لا يمكن إدراك مستوى معين من الجودة إلا بعد القيام بعملية الشراء، وهذا عكس السلع التي يستطيع الزبون معاينتها قبل عملية الشراء، وبالتالي الحكم المسبق على جودتها. وقد أفرزت أدبيات دراسة قياس جودة الخدمة المصرفية مدخلين هما: مدخل نظرية الفجوة والمدخل الإتجاهي:

### - مقياس نظرية الفجوة: The Gap Approach:

يعتبر أحد أهم المرتكزات التي استندت إليها جهود قياس جودة الخدمة، في تفسيرها للعمليات النفسية التي يقوم من خلالها الزبائن بتقييم جودة الخدمة والحكم عليها. ويقوم على أن مستوى جودة الخدمة يتحدد بالفرق بين الخدمة الفعلية أو المدركة (الأداء الفعلي) والخدمة المتوقعة من طرف الزبائن. وقد تم تطوير مقياس وفق فلسفة

هذا المدخل يعرف بمقياس الفجوات SERVQUAL (quality model service) من قبل الباحثين: Parasuraman, Zeithaml, and Berry سنة 1988، والذي كان نقطة تحول كبيرة في أدبيات دراسات جودة الخدمة.

إن مقياس الفجوات servqual scale بني في شكل استبيان، يغطي خمسة أبعاد لجودة الخدمة كما تم الإشارة إلى ذلك، بحيث يتكون من مجموعتين تتضمن كل منها 22 عبارة، فتهدف المجموعة الأولى إلى تحديد إدراكات الزبائن حول جودة الخدمة، أما المجموعة الثانية فتهدف لتحديد توقعاتهم، فإذا كانت إدراكات الزبائن حول جودة الخدمة أكبر من توقعاتهم حولها يكون مستوى الجودة مرتفع والعكس صحيح.

وقد حدد النموذج الفجوات التي تسبب عدم النجاح في تقديم الخدمة المطلوبة بخمس فجوات هي (16):

- الفجوة الأولى: فجوة بين توقعات الزبون حول الجودة وإدراك إدارة المؤسسة أو البنك لها.

- الفجوة الثانية: فجوة بين إدراك المؤسسة أو البنك والمواصفات المحددة لجودة الخدمة.

- الفجوة الثالثة: فجوة بين تحديد مستوى جودة الخدمة والتسليم الفعلي لها.

- الفجوة الرابعة: فجوة بين أداء الخدمة والاتصال بالسوق.

- الفجوة الخامسة: فجوة بين الخدمة المؤداة فعلا والمتوقعة.

وتعتبر الفجوات الأربعة الأولى، هي المسبب الرئيسي لحدوث الفجوة الخامسة، المتمثلة في الفروق بين جودة الخدمة الفعلية المدركة من طرف الزبون، وتوقعاته حول جودة الخدمات.

وقد أشار باحثون في هذا المجال، أن مقياس SERVQUAL يعتبر نقطة البداية المفيدة وليست النهائية لتقييم وقياس جودة الخدمة، وقد بعثت الدراسة التي قام بها Cronin and Taylor سنة 1992 الشك في كفاءة نموذج الفجوات، وخلصوا من دراستهم بأن جودة الخدمة يجب أن تقاس باتجاه فقط.

#### - مقياس المدخل الاتجاهي: Attitudinal Approach:

يرتكز هذا المدخل على أساس أن جودة الخدمة تمثل مفهوما اتجاهيا، يرتبط بإدراك الزبائن للأداء الفعلي للخدمة المقدمة فقط، أي تم رفض فكرة الفجوة بين إدراكات الزبائن وتوقعاتهم، وتم التركيز فقط على قياس الأداء الفعلي للخدمة كنوع من الاتجاهات. ويعرف المقياس المستخدم وفق هذا المدخل في قياس جودة الخدمة "بمقياس الأداء الفعلي SERVPERF (service performance)"، الذي يعد مقياس معدل عن المقياس السابق، حيث اعتمد أيضا في قياس جودة الخدمة على الأبعاد الخمسة للجودة

التي حددها Parasuraman, Zeithaml, and Berry سنة 1988. وقد خلص الباحثان Cronin and Taylor سنة 1992 إلى أن مقياس SERVPERF من أفضل المقاييس، ويوصيان باستخدامه في العديد من المجالات لتمييزه بالسهولة في التطبيق والبساطة في القياس، إضافة لمصداقيته وواقعيته العالية لأنه يستبعد عمليات الطرح بين توقعات الزبون وادراكاته حول جودة الخدمة<sup>(17)</sup>.

#### - علاقة جودة الخدمة المصرفية بكل من: القيمة والرضا والولاء:

تشير القيمة إلى "تقدير الزبون للمنافع التي حصل عليها من علاقته مع البنك مقارنة بالجهود والتكاليف التي دفعها في سبيل الحصول على خدماته". أي أن القيمة المدركة من طرف الزبون تحدد من خلال العلاقة بين مقياس التكلفة (السعر) ومقياس المنفعة<sup>(18)</sup>. أما رضا الزبون فيشير إلى "مدى شعوره بالسعادة أو الخيبة الناتجة عن مقارنته الأداء المدرك للخدمة مع توقعاته"<sup>(19)</sup>. أي أن الرضا هو حالة نفسية متقدمة لإدراك الزبون حول مستوى تحقيق حاجاته ورغباته من طرف البنك. في حين أن ولاء الزبون يشير إلى "تفضيله لطلب خدمات بنك معين دون آخر"<sup>(20)</sup>، أي استمرار تردد الزبون على هذا البنك وتكراره المستمر لعملية شراء خدماته المقدمة<sup>(21)</sup>.

وتشير عديد الدراسات إلى أن تقديم البنك لخدمات ذات جودة عالية من خلال جميع أبعادها، يعد هدفا للزبون من وراء تعامله مع البنك، وهذا من شأنه أن يزيد من القيمة المدركة لدى الزبائن، وبالتالي تحقيق مستويات عالية من الرضا لديهم، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة وتوثيق ولائهم للبنك، والعكس صحيح. وبالتالي هناك علاقة ارتباط طردية بين جودة الخدمة المصرفية وكل من قيمة ورضا وولاء الزبون<sup>(22)</sup>، حيث لا يمكن الحديث عن مستوى معين من جودة الخدمة المصرفية المقدمة من طرف البنك، ما لم تثر مواقف واتجاهات وسلوكيات (إيجابية أم سلبية) لدى الزبائن الحاليين أو المرتقبين.

#### - منهجية الدراسة:

- **المنهج المستخدم:** لمعالجة الإشكالية موضوع الدراسة، سنتبع المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته لطبيعة البحث. ولقياس مستوى جودة الخدمة المصرفية، نعتد على المقياسين: SERVQUAL و SERVPERF معا ومحاولة المقارنة بين نتائجهما، والذين صمما لقياس خمسة أبعاد تعكس جودة الخدمة المصرفية هي: الملموسية، الاعتمادية، الاستجابة، الأمان، والتعاطف، مع الالتزام بمفهومها وصياغتها وتحريرها لتناسب مع جودة الخدمة المصرفية بالجزائر. ثم الوقوف على علاقاتها مع كل من القيمة والرضا والولاء لدى زبائن البنك محل الدراسة.

#### - مجتمع وعينة الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من مختلف زبائن فروع البنك الوطني الجزائري BNA بمدينة قسنطينة، خلال الفترة الممتدة من 2 جانفي 2013 إلى 4 أفريل 2013. ونظرا

لكبير حجم مجتمع الدراسة، فقد تم تخصيصها على الزبائن الأفراد دون المؤسسات. كما تم استخدام أسلوب العينة القصدية أو التحكمية في اختيار مفردات العينة، حيث تم توزيع 200 استمارة على زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة، وتم استرجاع 155 منها، وقد تم استبعاد 21 منها لعدم اكتمالها أو لتناقض الإجابات على أسئلتها، وتم اعتماد 134 استمارة للتحليل الإحصائي، بنسبة 67% من إجمالي الاستثمارات الموزعة.

#### - أدوات جمع البيانات:

إن الأداة المناسبة لجمع البيانات وتحقيق أهداف الدراسة هي الاستبيان، الذي تم تصميمه وفقا لدراسات Parasuraman, Zeithaml, and Berry سنة 1988 و Cronin and Taylor سنة 1992، مع مراعاة خصوصية الخدمات البنكية بالجزائر في بنائه. ولقد تم تقسيم الاستبيان إلى سبعة محاور هي:

- محور المعلومات الشخصية (من العبارة 1 إلى 8)، ويتضمن البيانات التعريفية لعينة الدراسة مثل: الجنس، العمر، المستوى التعليمي، الحالة العائلية، المهنة، متوسط الدخل الشهري، ... الخ.

- محور الخدمة المتوقعة ويضم 29 عبارة (من العبارة 9 إلى 37)، موزعة على أبعاد جودة الخدمة المصرفية كما يلي: الملموسية المتوقعة: من العبارة 9 إلى 15، الاعتمادية المتوقعة: من العبارة 16 إلى 20، الاستجابة المتوقعة: من العبارة 21 إلى 25، الأمان المتوقع: من العبارة 26 إلى 32، التعاطف المتوقع: من العبارة 33 إلى 37.

- محور الخدمة الفعلية (المدركة) ويضم أيضا 29 عبارة (من العبارة 38 إلى 66)، موزعة أيضا على أبعاد جودة الخدمة المصرفية كما يلي: الملموسية الفعلية: من العبارة 38 إلى 44، الاعتمادية الفعلية: من العبارة 45 إلى 49، الاستجابة الفعلية: من العبارة 50 إلى 54، الأمان الفعلي: من العبارة 55 إلى 61، التعاطف الفعلي: من العبارة 62 إلى 66.

- محور الجودة الكلية الذي يضم عبارة واحدة هي العبارة رقم 67. محور القيمة، ويضم ثلاثة عبارات من العبارة 68 إلى 70. محور الرضا، ويضم أربع عبارات من العبارة 71 إلى 74. محور الولاء، ويضم خمسة عبارات من العبارة 75 إلى 79.

وقد تم قياس اتجاهات الزبائن حول محاور الاستبيان السابقة باستخدام مقياس ليكرت الخماسي، المتدرج من درجة الأهمية والموافقة والرضا المتدنية جدا، إلى درجة الأهمية والموافقة والرضا المرتفعة جدا، بحيث أن طول الفئة يساوي 0.8.

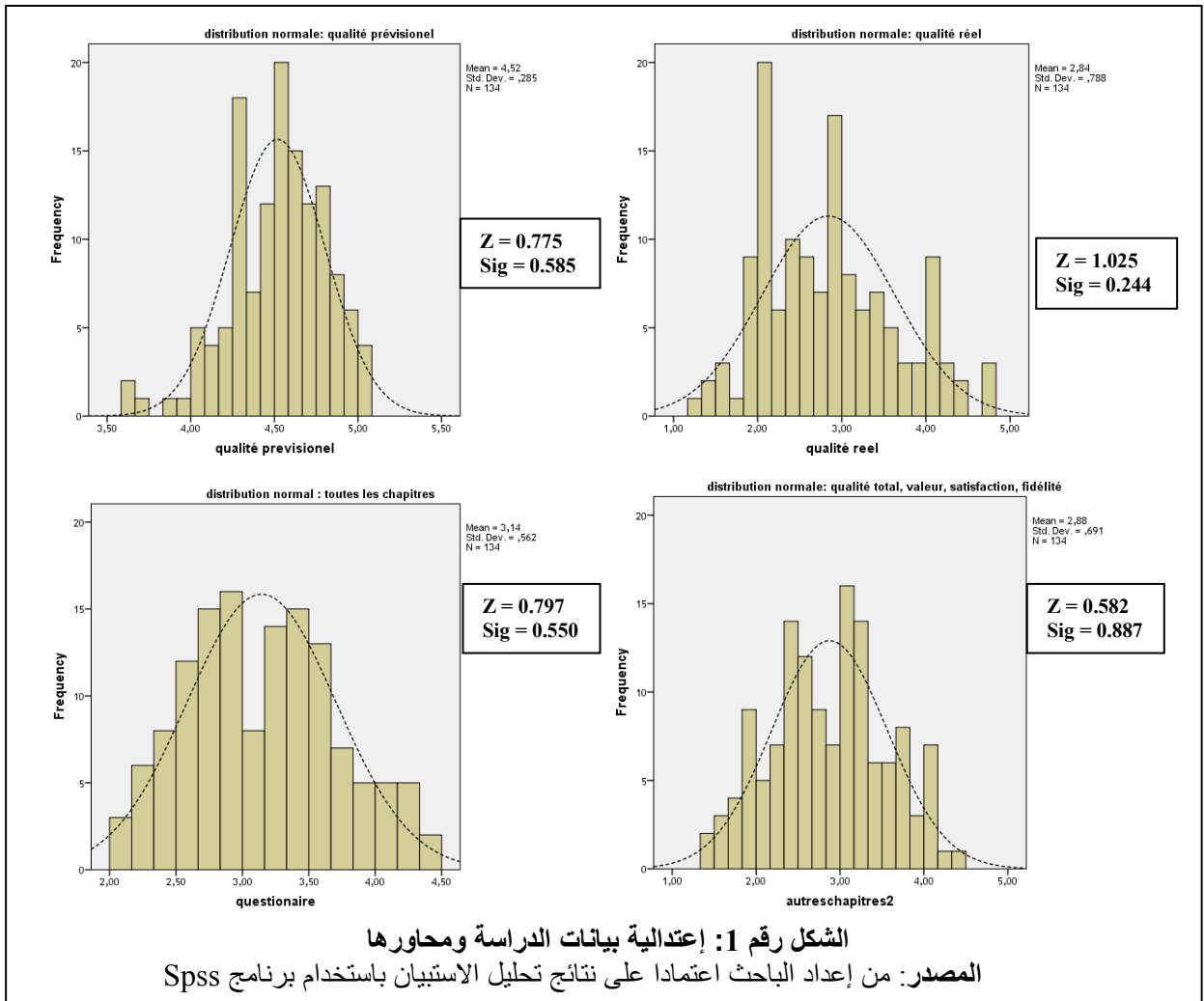
#### - ثبات وصدق أداة الدراسة:

لا يمكن الاعتماد على نتائج اختبارات Parasuraman, Zeithaml, and Berry سنة 1988 و Cronin and Taylor سنة 1992، المتعلقة بثبات وصدق مقاييس جودة الخدمة



المصرفية وأبعادها التي طبقت في عدة دول، بل يجب التأكد من صدق وثبات هذه المقاييس عند تطبيقها على خدمات البنوك بالجزائر، وذلك كما يلي:

- إعتدالية البيانات: لتحديد مدى ملائمة البيانات إحصائيا من أجل الدراسة والتحليل، سنقوم بالتأكد إن كانت بيانات محاور الدراسة تتبع التوزيع الطبيعي أم لا. ويتضح من خلال الشكل رقم 1، أن الرسم البياني لإجابات أفراد عينة الدراسة على الاستبيان ككل ومختلف محاوره: (محور الخدمة المتوقعة، محور الخدمة الفعلية، وباقي محاور الدراسة الأخرى: الجودة الكلية، القيمة، الرضا، الولاء) يبين أنها قريبة من التوزيع الطبيعي. ولتدعيم هذه النتيجة قمنا باستخدام اختبار "Kolmogorov-Smirnov" لعينة واحدة (one simple K-S test)، حيث أن مستوى الدلالة المعنوية Sig لهذا الاختبار كان كما يلي: للاستبيان ككل = 0.550، ولمحاوره: الخدمة المتوقعة = 0.585، الخدمة الفعلية = 0.244، باقي محاور الدراسة = 0.887، وكلها أكبر من مستوى الدلالة 0.05 المعتمد في المعالجة الإحصائية، وبالتالي فبيانات الدراسة قريبة من التوزيع الطبيعي<sup>(23)</sup>، الأمر الذي يمكننا من تطبيق اختبارات معلمية في الدراسة.



**3-4-2- الصدق العاملي للاستبيان:** من أجل التأكد باستخدام بيانات هذه الدراسة، من أن جودة الخدمة المصرفية تتحدد من خلال خمسة أبعاد، كما بينها الباحثون في هذا المجال، سنطبق أسلوب التحليل العاملي بطريقة المكونات الأساسية على عبارات محور الخدمة الفعلية فقط، بسبب أن الإجابات على عبارات محور الخدمة المتوقعة

تركزت على درجة موافق وموافق جداً، وبالتالي فنتائجها لا تصلح لاستخراج أبعاد جودة الخدمة المصرفية. وينبغي أولاً التأكد من أن بيانات الدراسة صالحة للتحليل العاملي، وذلك بتطبيق "مؤشر KMO واختبار Bartlett" كما هو مبين في الجدول الموالي:

الجدول رقم (1): نتائج اختبار "KMO و Bartlett" لإدراكات زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة

Indice KMO et test de Bartlett		
Mesure de précision de l'échantillonnage de Kaiser-Meyer-Olkin.		,9220
Test de sphéricité de Bartlett	Khi-deux approximé	3000,756
	ddl	406
	Signification de Bartlett	,0000

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على نتائج تحليل الاستبيان باستخدام برنامج Spss

من خلال الجدول السابق، فإن قيمة مؤشر KMO، الذي يقيس الارتباط الجزئي بين المتغيرات، تساوي 0.922، وهي أكبر من 0.6 الحد الأدنى المطلوب لهذا المؤشر، مما يؤكد على ملائمة البيانات للتحليل، وأن الارتباطات القوية هي بين جميع

أو معظم المتغيرات الخاصة بالدراسة وليس فقط بين عدد قليل منها. مما يؤكد على كفاية عينة الدراسة ولا توجد حاجة لجمع المزيد من البيانات أو زيادة حجم العينة<sup>(24)</sup>.

أما فيما يتعلق باختبار Bartlett، فقد كانت قيمته دالة إحصائياً لأن دلالتها أقل من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة، وبالتالي نرفض الفرضية الصفرية لهذا الاختبار، أي أن هناك ارتباطات قوية بين متغيرات الدراسة، وأن مصفوفة هذه الارتباطات لا تمثل مصفوفة الوحدة<sup>(25)</sup>، بمعنى أنها ليست من نوع المصفوفات التي تكون فيها قيم العناصر القطرية مساوية للواحد الصحيح وبقيّة العناصر مساوية للصفر. وعليه وعلى ضوء النتائج السابقتين، فإن بيانات الدراسة صالحة للتحليل العاملي.

وللتأكد من الصدق العاملي لأداة الدراسة، سنطبق أسلوب التحليل العاملي باستخدام طريقة المكونات الأساسية على محور الخدمة الفعلية، وبهدف تحسين وضع العوامل المستخرجة، طبقنا عملية التدوير باستخدام تقنية "Varimax" وفقاً لتعديل كايزر "kaiser normalisation"، الذي يأخذ فقط بالعوامل التي يزيد جدرها الكامن عن 1. ونوضح نتائج تحليل الصدق العاملي لأداة الدراسة فيما يلي:

الجدول رقم (2): نتائج التحليل العاملي لإدراكات زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة

المعيار	الجذر الكامن	نسبة التباين %	نسبة التباين التراكمية %
الاستجابة	5,281	18,211	211,18
الملموسية	4,449	15,340	33,551
الأمان	4,054	980,13	531,47
الاعتمادية	3,498	12,061	59,592
التعاطف	2,501	8,625	68,217

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على نتائج تحليل الاستبيان باستخدام برنامج Spss

من خلال الجدول السابق، فإن التحليل العاملي لأداة الدراسة بين وجود خمسة عوامل فقط (الاستجابة، الملموسية، الأمان، الاعتمادية، التعاطف) جدرها الكامن أكبر من 1، وتفسر مجتمعة حوالي 68.217% من التباين الكلي لبيانات أداة الدراسة، وهي نسبة عالية. وبالتالي نستنتج أن الاستبيان صادق عاملياً، حيث بين التحليل العاملي وجود خمسة أبعاد لجودة الخدمة المصرفية، وهي نفسها الأبعاد التي بينتها دراسات Parasuraman, Zeithaml, and Berry سنة 1988 و Cronin and Taylor سنة 1992، والتي افترضتها الدراسة عند بناء الاستبيان.

3-4-3- صدق أداة الدراسة: ويشير إلى التأكد من أنها سوف تقيس ما أعدت لقياسه، أي شمولها على كافة العناصر التي يجب أن تدخل في التحليل من جهة، ووضوح عباراتها من جهة أخرى، بحيث تكون مفهومة من قبل كل من يستخدمها. وقد تم التأكد من صدق أداة الدراسة من خلال ما يلي:

- الصدق الظاهري لأداة الدراسة:

وذلك من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين، أكاديميين ومهنيين، من الجزائر والأردن، حيث بلغ عددهم سبعة محكمين، وفي ضوء آرائهم تم إثراء أداة الدراسة وبنائها في صورتها النهائية.

- الصدق الداخلي لأداة الدراسة:

وذلك بقياس معامل الارتباط بين مقياسي جودة الخدمة المصرفية، ومحور الجودة الكلية، القيمة، الرضا، والولاء. ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول الموالي:

الجدول رقم (3) : مصفوفة معاملات الارتباط بين متغيرات الدراسة

المتغيرات	نموذج الفجوات	نموذج الأداء الفعلي	جودة الخدمة الكلية	القيمة	الرضا	الولاء
نموذج الفجوات	1,000					
نموذج الأداء الفعلي	0,945**	1,000				
جودة الخدمة الكلية	0,671**	0,657**	1,000			
القيمة	0,579**	0,611**	0,655**	1,000		
الرضا	0,720**	0,748**	0,708**	0,709**	1,000	
الولاء	0,697**	0,724**	0,672**	0,689**	0,790**	1,000

\*\* دال إحصائياً عند مستوى دلالة 0.01.

المصدر : من إعداد الباحث اعتماداً على نتائج تحليل الاستبيان باستخدام برنامج Spss

من خلال الجدول السابق فإن معاملات الارتباط بين متغيرات الدراسة موجبة، تتراوح قيمها بين 57.9% و94.5%، وهي دالة عند مستوى الدلالة 0.01 فأقل. مما يدل على صدق الاتساق الداخلي لأداة الدراسة.

- ثبات أداة الدراسة:

للتأكد من ثبات أداة الدراسة وصدقها البنائي، تم استخدام معامل ألفا كرونباخ Cronbach's alpha. حيث يعد المقياس ضعيفاً إذا كانت قيمة هذا المعامل أقل من

60%، ومقبولا إذا كانت قيمته تقع بين (60% و70%)، وجيدا إذا كانت قيمته تقع بين (70% و80%)، وممتاز إذا كانت قيمة ألفا كرونباخ أكبر من 80%<sup>(26)</sup>. وكانت النتائج كما هي موضحة في الجدول الموالي:

الجدول رقم (4) : "معامل ألفا كرونباخ" لمتغيرات الدراسة

المحور	عدد العبارات	عدد المفردات	معامل ألفا كرونباخ	مستوى المقياس
الخدمة المتوقعة	29	134	0.865	ممتاز
الملموسية	07	134	0.660	مقبول
الاعتمادية	05	134	0.642	مقبول
الاستجابة	05	134	0.625	مقبول
الأمان	07	134	0.706	جيد
التعاطف	05	134	0.729	جيد
الخدمة الفعلية	29	134	670.9	ممتاز
الملموسية	7	134	0.860	ممتاز
الاعتمادية	5	134	0.891	ممتاز
الاستجابة	5	134	0.872	ممتاز
الأمان	7	134	9200.	ممتاز
التعاطف	5	134	0.838	ممتاز
الخدمة المتوقعة + الخدمة الفعلية	58	134	0.922	ممتاز
القيمة	3	134	0.625	مقبول
الرضا	4	134	0.879	ممتاز
الولاء	5	134	0.908	ممتاز
أداة الدراسة	71	134	0.946	ممتاز

				ككل
--	--	--	--	-----

المصدر : من إعداد الباحث اعتمادا على نتائج تحليل الاستبيان باستخدام برنامج

Spss

من خلال الجدول السابق، فإن قيمة المعامل ألفا كرونباخ لجميع متغيرات أداة الدراسة أكبر من 0.6 المعدل المقبول إحصائيا، مما يعني أن أداة الدراسة تتمتع بدرجة عالية من الثبات، ويمكن الاعتماد عليها في التطبيق الميداني للدراسة في قياس وتقييم جودة الخدمات المصرفية.

- الخصائص الديمغرافية لعينة الدراسة: يمكن أن نبين ذلك من خلال الجدول الموالي:  
الجدول رقم (5) : الخصائص الديمغرافية لعينة الدراسة

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة المئوية %
الجنس	ذكر	76	56,7
	أنثى	58	43,3
	المجموع	134	100
العمر	20 سنة وأقل	00	00
	من 21-30 سنة	48	35,8
	من 31-40 سنة	46	34,3
	من 41-50 سنة	34	25,4
	من 51-60 سنة	5	3,7
	أكثر من 60 سنة	1	,70
	المجموع	134	100
	المستوى التعليمي	بدون مستوى	1
ابتدائي		2	1,5
متوسط		9	6,7
ثانوي		52	38,8
جامعي		70	52,2
المجموع		134	100
الحالة العائلية	متزوج	78	58,2
	أعزب	52	38,8
	أخرى	4	3
	المجموع	134	100
المهنة	موظف بالقطاع العام	105	78,4
	موظف بالقطاع الخاص	10	7,5
	صاحب مؤسسة	3	2,2
	تاجر	8	6
	مهنة حرة	8	6
	متقاعد	00	00
	مهنة أخرى	00	00
	المجموع	134	100

9	12	أقل من 18 دج	متوسط الدخل الشهري (الوحدة 1000 دينار)
11,9	16	من 18 إلى أقل من 26 دج	
30,6	41	من 26 إلى أقل من 34 دج	
20,9	28	من 34 إلى أقل من 42 دج	
18,7	25	من 42 إلى أقل من 50 دج	
9	12	50 دج فأكثر	
100	134	المجموع	مدة التعامل مع البنك
10,4	14	أقل من سنة	
45,5	61	من 1-5 سنوات	
22,4	30	من 6-10 سنوات	
9,7	13	من 11-15 سنة	
12	16	16 سنة وأكثر	
100	134	المجموع	

**المصدر:** من إعداد الباحث اعتمادا على نتائج تحليل الاستبيان باستخدام برنامج Spss

من خلال الجدول السابق، فإن 56.7% من مجموع أفراد عينة الدراسة من جنس ذكر، والباقي إناث. وأن ما مجموعه 95.5% من أفراد عينة الدراسة تتراوح أعمارهم بين 21 و 50 سنة. كما أن 52.2% من أفراد العينة يحوزون مستوى جامعي، و38.8% مستوى ثانوي. وأن 58.2% متزوجين و38.8% عزاب. و85.9% من أفراد العينة موظفون (إما بالقطاع العام أو الخاص)، و12% هم تجار وأصحاب مهنة حرة. كما أن 20.9% من أفراد العينة دخلهم أقل من 26 ألف دينار، و70.2% منهم يتراوح دخلهم بين 26 ألف دينار و50 ألف دينار، و9% بمستوى دخل أكبر من 50 ألف دينار. في حين أن 55.9% من أفراد العينة تقل مدة تعاملهم مع البنك عن خمس سنوات، و44.1% مدة تعاملهم مع البنك أكبر من خمس سنوات.

- عرض النتائج واختبار الفرضيات:

- اختبار الفرضية 1: "إن مستوى توقعات الزبائن حول جودة الخدمات المصرفية ببنك BNA بمدينة قسنطينة منخفض".

من خلال الجدول رقم 6، فإن المتوسطات الحسابية لأبعاد جودة الخدمة المصرفية المتوقعة، تراوحت قيمها بين: 4.2657 و4.6970 بمتوسط يساوي 4.5194، وانحراف معياري يتراوح بين 0.31163 و0.52646 بمتوسط يساوي 0.284710، مما يدل على مستوى توقع عال جدا، لأن قيم المتوسطات الحسابية لجميع أبعاد جودة الخدمة المصرفية المتوقعة تقع في المجال (4.2-5) على سلم ليكرت.



وبالتالي نرفض صحة الفرضية الأولى، أي أن مستوى توقعات الزبائن حول جودة الخدمات المصرفية ببنك BNA غير منخفض، بل هو عال أو مرتفع جدا.

- **اختبار الفرضية 2:** "إن مستوى تقييم الزبائن لجودة الخدمات المصرفية المقدمة لهم فعليا ببنك BNA بمدينة قسنطينة منخفض".

من خلال الجدول رقم 6، فإن المتوسطات الحسابية لإدراكات الزبائن حول جودة الخدمة المصرفية المقدمة لهم فعلا تراوحت قيمها بين: 2.6552 و 3.0746 بمتوسط يساوي 2.8411، وانحراف معياري يتراوح بين 0.79715 و 1.01375 بمتوسط يساوي 0.787830، وهذا يدل على مستوى إدراك متوسط، لأن قيم المتوسطات الحسابية لجميع أبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة تقع في المجال (2.6-3.4) على سلم ليكرت، وهذه النتيجة تمثل قياس جودة الخدمة المصرفية باستخدام مقياس الأداء الفعلي SERVPERF. وبالتالي فإننا نرفض صحة الفرضية الثانية، أي أن مستوى تقييم الزبائن لجودة الخدمات المصرفية المقدمة لهم فعليا ببنك BNA بمدينة قسنطينة غير منخفض، بل هو متوسط.

- **اختبار الفرضية 3:** "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين إدراكات وتوقعات الزبائن حول جودة الخدمات المقدمة لهم من طرف بنك BNA بمدينة قسنطينة".

سيتم اختبار هذه الفرضية باستخدام اختبار "Paired-Samples T Test"، لاستخراج الفروق بين كل زوجين من المتوسطات الحسابية لإدراكات وتوقعات الزبائن حول أبعاد جودة الخدمات المصرفية، من خلال المعادلة التالية: "جودة الخدمة = الخدمة الفعلية - الخدمة المتوقعة". وهذا يمثل قياس جودة الخدمة المصرفية باستخدام مقياس الفجوات SERVQUAL.

من خلال الجدول رقم 6، فإن الفروق بين إدراكات الزبائن وتوقعاتهم حول جودة الخدمات المصرفية بالبنك محل الدراسة كان سالبا، حيث بلغ متوسط الفروق (-) 1.67829، وهذه النتيجة تمثل قياس جودة الخدمة المصرفية باستخدام مقياس الفجوات SERVQUAL، أي أن مستوى جودة الخدمات المصرفية الذي يرغب الزبائن أكبر من مستوى الخدمات المصرفية التي يقدمها لهم بنك BNA. أكبر من وقد سجل أكبر فرق على مستوى بعد الاعتمادية بفارق يساوي (-1.8029)، أما أصغر فرق فسجل على مستوى بعد التعاطف بفارق يساوي (-1.49552)، وبالتالي فإن إدراكات الزبائن أقل من توقعاتهم حول جودة الخدمات المقدمة وجميع أبعادها بالبنوك العمومية محل الدراسة.

وبالرجوع إلى نتائج اختبار t، وبالنسبة لكل أبعاد الجودة، فإن مستوى دلالة جميع الفروق يساوي 0.000، وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05 المعتمد في المعالجة الإحصائية للدراسة، أي أن هذه الفروق معنوية.

وبالتالي نرفض صحة الفرضية الثالثة، حيث أنه توجد فروق (سالبة) ذات دلالة إحصائية بين إدراكات وتوقعات الزبائن حول جودة الخدمات المقدمة لهم من طرف بنك BNA. الجدول رقم (6): الفروق بين توقعات وإدراكات زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة حول جودة الخدمة المصرفية

الرقم	البيان	متوسط الإدراكات	الانحراف المعياري	متوسط التوقعات	الانحراف المعياري	الإدراكات - التوقعات	قيمة t	المعنوية
1	الملموسية	2,8113	,797150	4,5341	,341910	-1,7228	-22,05	0.000
2	الاعتمادية	2,8940	,895000	4,6970	,326050	-1,8029	-21,47	0.000
3	الاستجابة	2,6552	,883390	4,4209	,411320	-1,7656	20,033	0.000
4	الأمان	3,0746	1,01375	4,6791	,311630	-1,6044	17,855	0.000
5	التعاطف	2,7701	,816190	4,2657	,526460	-	18,137	0.000
	جودة الخدمة المصرفية	2,8411	0,787830	4,5194	00,28471	-	22,556	0.000

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على نتائج تحليل الاستبيان باستخدام برنامج Spss

- اختبار الفرضية 4: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقييم جودة الخدمة المصرفية المدركة من قبل عملاء بنك BNA بمدينة قسنطينة يرجع لمتغيراتهم الديموغرافية".

نسعى من خلال اختبار هذه الفرضية للوقوف على تأثير المتغيرات الديموغرافية لعينة الدراسة على نتائج تقييم جودة الخدمة المصرفية المدركة (الفعلية) وأبعادها بالبنك محل الدراسة.

أولا: الجنس: سنقوم باستخدام اختبار t المستقل "Independent Simple T test" ضمن الحزمة الإحصائية SPSS، لأن متغير الجنس مقاس على مستويين فقط: ذكور وإناث. ونوضح النتائج فيما يلي:

الجدول رقم (7): اختبار independent simple T test لجودة الخدمة المصرفية ببنك BNA حسب الجنس

المحور	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة t	اختبار Levene	
						الدلالة الإحصائية	قيمة F

الجنس	ذكر	76	2,7629	,763290	-	0,189	,2260	0,635
	أنثى	58	2,9435	,814130	1,319			

**المصدر:** من إعداد الباحث اعتمادا على نتائج تحليل الاستبيان باستخدام برنامج Spss

من خلال الجدول السابق، وحسب اختبار Levene الذي يستخدم لفحص فرض تجانس التباين بين المجتمعين (ذكور وإناث)، فقد بلغت القيمة الإجمالية لهذا الاختبار  $F = 0.226$ ، بمستوى دلالة يساوي 0.635، وهي غير دالة إحصائياً لأنها أكبر من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة، وبالتالي نقبل الفرضية الصفرية لهذا الاختبار ونرفض الفرضية البديلة، أي أن التباين في المجتمعين (ذكور وإناث) متساو أو متجانس. كما بلغت قيمة اختبار  $t (-1.319)$ ، بمستوى دلالة يساوي 0.189، وهي أكبر من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة، أي أنها غير دالة إحصائياً. وبالتالي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقييم جودة الخدمة المصرفية المدركة من قبل عملاء بنك BNA يرجع لمتغير الجنس.

ثانياً: باقي المتغيرات الديمغرافية: سنقوم باستخدام اختبار تحليل التباين الأحادي One Way ANOVA ضمن الحزمة الإحصائية SPSS، لأن باقي المتغيرات الديمغرافية المعنية مقاسة على أكثر من مستويين.

الجدول رقم (8): نتائج اختبار One way ANOVA لجودة الخدمة المصرفية ببنك BNA حسب باقي المتغيرات الديمغرافية

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	إحصائية Levene	
						الدلالة الإحصائية	القيمة
العمر	بين المجموعات	2,024	4	,5060	,8100	,5210	0.66
							0.978

				6,240	129	80,526	داخل المجموعات	
				-	133	82,550	المجموع	
0.383	1.026	,9080	,2520	1,600	4	,6410	بين المجموعات	المستوى التعليمي
				,6350	129	81,909	داخل المجموعات	
				-	133	82,550	المجموع	
0.136	2.027	,8730	,1360	,0850	2	,1710	بين المجموعات	الحالة العائلية
				,6290	131	82,379	داخل المجموعات	
				-	133	82,550	المجموع	
0.007	3.689	,2750	1,297	,7980	4	3,191	بين المجموعات	المهنة
				,6150	129	79,359	داخل المجموعات	
				-	133	82,550	المجموع	
0.697	0.604	,2390	1,372	,8400	5	4,200	بين المجموعات	الدخل الشهري
				,6120	128	78,350	داخل المجموعات	
				-	133	82,550	المجموع	
0.502	0.841	,3380	1,146	,7080	4	2,833	بين المجموعات	مدة التعامل مع البنك
				,6180	129	79,717	داخل المجموعات	
				-	133	82,550	المجموع	

المصدر : من إعداد الباحث اعتمادا على نتائج تحليل الاستبيان باستخدام برنامج Spss

من خلال الجدول السابق، وحسب اختبار Levene، فقد بلغت قيمة هذا الاختبار بالنسبة للمتغيرات الديمغرافية: العمر، المستوى التعليمي، الحالة العائلية، الدخل الشهري، ومدة التعامل مع البنك، على التوالي: 0.66، 1.026، 2.027، 0.604، 0.841، وهذا بمستوى دلالة على الترتيب: 0.978، 0.383، 0.136، 0.697، 0.502، وهي قيم غير دالة إحصائيا لأن دلالاتها أكبر من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة، وبالتالي فإن التباين في جودة الخدمة المصرفية بالنسبة للمتغيرات الديمغرافية السابقة متساو أو متجانس. في حين بلغت قيمة اختبار Levene لمتغير "المهنة" ما قيمته 3.689 بمستوى دلالة يساوي 0.007، وهي دالة إحصائيا لأن دلالتها أقل من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة، وبالتالي فإن التباين في جودة الخدمة المصرفية المدركة حسب متغير "المهنة" غير متساو أو غير متجانس.

كما نلاحظ أيضا أن قيمة F بالنسبة للمتغيرات: العمر، المستوى التعليمي، المهنة، ومدة التعامل مع البنك، أقل من قيمتها الجدولية المحصورة بين 2.42 و 2.46، عند درجات حرية (4، 129) ومستوى الدلالة المعتمد في الدراسة 0.05، وهي غير دالة إحصائيا أيضا بالنسبة لهذه المتغيرات حيث أن دلالتها أكبر من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد.

كما أن قيمة F بالنسبة لمتغير الحالة العائلية أقل من القيمة الجدولية المحصورة بين 3.04 و 3.09 عند درجات حرية (2، 131) ومستوى الدلالة المعتمد في الدراسة 0.05، وهي غير دالة إحصائياً أيضاً حيث أن دلالتها أكبر من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد.

وقيمة F أيضاً بالنسبة لمتغير الدخل الشهري أقل من القيمة الجدولية المحصورة بين 2.26 و 2.31 عند درجات حرية (5، 128) ومستوى الدلالة المعتمد في الدراسة 0.05، وهي غير دالة إحصائياً حيث أن دلالتها أكبر من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد.

وعليه وعلى ضوء ما سبق، نثبت صحة الفرضية 4، حيث أن قيمة F بالنسبة لجميع المتغيرات الديموغرافية أقل من قيمها الجدولية، وهي غير دالة إحصائياً أيضاً، وبالتالي فعلا لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقييم جودة الخدمة المصرفية المدركة من قبل عملاء بنك BNA يرجع لمتغيراتهم الديموغرافية. أي أن حكم الزبائن على جودة الخدمة المصرفية لا يتأثر بمتغيراتهم الديموغرافية.

- اختبار الفرضية 5: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين نتائج تقييم جودة الخدمات المصرفية بينك BNA بمدينة قسنطينة باستخدام النموذجين: SERVPERF و SERVQUAL.

سيتم اختبار هذه الفرضية باستخدام نموذج الانحدار المتعدد للعلاقة بين المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية الإجمالية المقاسة بالعبارة رقم 67 من الاستبيان (ما هو تقييمك بشكل عام لجودة الخدمات المصرفية المقدمة من طرف البنك الذي تتعامل معه)، وبين المتغيرات المستقلة والتي هي أبعاد الجودة الخمسة في كلا النموذجين: مقياس الفجوات SERVQUAL ومقياس الأداء الفعلي SERVPERF. كما سيتم اعتماد طريقة الـ (Stepwise) في اختيار أفضل المتغيرات المستقلة تفسيرا للظاهرة أو المتغير التابع، وهذا بالنسبة لكل نموذج قياس على حدة، وذلك كما يلي:

- باستخدام نموذج SERVQUAL:

- العلاقة بين متغيرات نموذج الانحدار المتعدد:

الجدول رقم (9): الانحدار المتعدد لعلاقة جودة الخدمة المصرفية الإجمالية بأبعاد الجودة حسب مقياس الفجوات SERVQUAL

النموذج	المتغيرات المستقلة للنموذج	R	R2	R2 المعدلة	تباين R2
1	الأمان	0.640	0.410	0.405	0.410

0.028	0.429	0.437	0.661	الأمان + الاستجابة	2
-------	-------	-------	-------	--------------------	---

المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية الإجمالية .  
المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على مخرجات برنامج SPSS

من خلال الجدول السابق، فإن تحليل الانحدار يبين وجود نموذجين، يبينان أن جودة الخدمة المصرفية الإجمالية ترتبط أكثر بكل من: الأمان، والاستجابة فقط. باعتبار هذين البعدين دخلا لنموذج الانحدار تدريجيا وفقا لهذا الترتيب بالاعتماد على طريقة الـ (Stepwise)، في حين لم تظهر باقي الأبعاد في أي نموذج بسبب عدم وجود أهمية لتأثيرها في المتغير التابع. وقد بلغ معامل الارتباط بين جودة الخدمة المصرفية الإجمالية والأمان في النموذج الأول 64%، ويفسر هذا البعد لوحده 41% من التغير في جودة الخدمة المصرفية الإجمالية لدى الزبائن، والباقي راجع لعوامل أخرى. وبدخول متغير الاستجابة في النموذج الثاني، ارتفع معامل الارتباط إلى 66.1%، وأصبح البعدين معا يفسران 43.7% من التغير في جودة الخدمة المصرفية الإجمالية لدى الزبائن، والباقي راجع لعوامل أخرى. وبالتالي فالنموذج الثاني أحسن من النموذج الأول بسبب أن بعدي الأمان والاستجابة معا يفسران نسبة أكبر من التغير في جودة الخدمة المصرفية الإجمالية.

#### - اختبار قبول نموذج الانحدار المتعدد:

يوضح الجدول الموالي نتائج تحليل التباين ANOVA لاختبار معنوية نموذج الانحدار المتعدد المطبق، وفحص مدى قبوله من الناحية الإحصائية:

الجدول رقم (10): نتائج تحليل التباين ANOVA لاختبار معنوية الانحدار المتعدد لعلاقة جودة الخدمة المصرفية الإجمالية بأبعاد الجودة حسب مقياس الفجوات .SERVQUAL

النموذج	المتغيرات المستقلة للنموذج	البيان	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
1	الأمان	الانحدار	38,206	1	38,206	91,566	,0000
		الباقي	55,077	132	,4170		
		المجموع	93,284	133	-		
2	الأمان + الاستجابة	الانحدار	40,803	2	20,402	50,926	,0000
		الباقي	52,480	131	,4010		
		المجموع	93,284	133	-		

المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية الإجمالية.

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على مخرجات برنامج SPSS

من خلال الجدول السابق، فقد بلغت قيمة F: 91.566، و50.926، للنموذجين الأول والثاني على التوالي، عند درجات حرية (1، 132) و(2، 131) على الترتيب، وهما قيمتان دالتان إحصائياً بالنسبة للنموذجين، لأن دالتهما تساوي 0.000 أقل من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة. وعليه توجد علاقة انحدارية معنوية بين المتغير التابع، وبُعدي جودة الخدمة: الأمان، والاستجابة فقط، وفق نموذج القياس SERVQUAL. وبالتالي نقبل هذين النموذجين في تحليل العلاقة الانحدارية.

#### - نتائج تحليل الانحدار المتعدد:

الجدول رقم (11): نتائج تحليل الانحدار المتعدد لعلاقة جودة الخدمة المصرفية الإجمالية بأبعاد الجودة حسب مقياس الفجوات SERVQUAL

النموذج	المتغيرات	معاملات التأثير B	الخطأ المعياري	قيم $\beta$ : Beta	قيمة t	مستوى الدلالة
1	الثابت	3,603	0,103	-	35,031	0,000
	الأمان	0,515	0,054	0,640	9,569	0,000
2	الثابت	3,725	0,112	-	33,369	0,000
	الأمان	0,367	0,079	0,456	4,670	0,000
	الاستجابة	0,204	0,080	0,249	2,546	0,012

المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية الإجمالية.

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على مخرجات برنامج SPSS

من خلال الجدول السابق، فإن لكل من البعدين: الأمان والاستجابة حسب نموذج القياس SERVQUAL تأثيراً معنوياً على المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية الإجمالية، حيث جاءت قيم معاملات التأثير موجبة، كما جاءت نتائج اختبار t ذات دلالة معنوية لأن مستوى دلالة متغيرات النموذجين أقل من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة.

وتشير قيم  $\beta$  (Beta) إلى القيم المعيارية المرادفة للقيم العادية، وهي تعبر عن الأهمية النسبية لكل متغير في التأثير على المتغير التابع، وحسب الجدول السابق، فإن بعد الأمان هو الأكثر تأثيراً في جودة الخدمة المصرفية الإجمالية، لأنه يحوز على أكبر قيمة لـ  $\beta$  تساوي 0.456، مقارنة ببعد الاستجابة الذي بلغت قيمة  $\beta$  لديه 0.249.

#### - باستخدام نموذج SERVPERF:

#### - العلاقة بين متغيرات نموذج الانحدار المتعدد:

الجدول رقم (12): الانحدار المتعدد لعلاقة جودة الخدمة المصرفية الإجمالية بأبعاد الجودة حسب مقياس الأداء الفعلي SERVPERF

النموذج	المتغيرات المستقلة للنموذج	R	R2	R2 المعدلة	تباين R2
1	الأمان	0.621	0.385	0.381	0.385
2	الأمان + الملموسية	0.645	0.416	0.407	0.030

المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية الإجمالية.

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على مخرجات برنامج SPSS

من خلال الجدول السابق، فإن تحليل الانحدار بين وجود نموذجين فقط، يبين أن جودة الخدمة المصرفية الإجمالية ترتبط أكثر بكل من: الأمان، والملموسية فقط. باعتبار هذين البعدين دخلا لنموذج الانحدار تدريجيا وفقا لهذا الترتيب بالاعتماد على طريقة الـ (Stepwise)، في حين لم تظهر باقي الأبعاد في أي نموذج بسبب عدم وجود أهمية لتأثيرها في المتغير التابع. وقد بلغ معامل الارتباط بين جودة الخدمة المصرفية الإجمالية وبعد الأمان في النموذج الأول 62.1%، ويفسر هذا البعد لوحده 38.5% من التغير في جودة الخدمة المصرفية الإجمالية لدى الزبائن، والباقي راجع لعوامل أخرى. وبدخول متغير الملموسية في النموذج الثاني، ارتفع معامل الارتباط إلى 64.5%، وأصبح البعدين معا يفسران 41.6% من التغير في جودة الخدمة المصرفية الإجمالية لدى الزبائن، والباقي راجع لعوامل أخرى. وبالتالي فالنموذج الثاني أحسن من النموذج الأول بسبب أن بعدي الأمان والملموسية معا يفسران نسبة أكبر من التغير في جودة الخدمة المصرفية الإجمالية.

#### - اختبار قبول نموذج الانحدار المتعدد:

من خلال الجدول رقم 13، الذي يوضح نتائج تحليل التباين ANOVA لاختبار معنوية نموذج الانحدار المتعدد المطبق، وفحص مدى قبوله من الناحية الإحصائية. فقد بلغت قيمة F: 82.760، و46.569، للنموذجين الأول والثاني على التوالي، عند درجات حرية (1، 132) و(2، 131) على الترتيب، وهما قيمتان دالتان إحصائيا بالنسبة للنموذجين، لأن دلالتهما تساوي 0.000 أقل من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة. وعليه توجد علاقة انحدارية معنوية بين المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية الإجمالية، وبعدي جودة الخدمة: الأمان، والملموسية فقط، وفق نموذج القياس SERVPERF. وبالتالي نقبل هذين النموذجين في تحليل العلاقة الانحدارية.

الجدول رقم (13): نتائج تحليل التباين ANOVA لاختبار معنوية الانحدار المتعدد لعلاقة جودة الخدمة المصرفية الإجمالية بأبعاد الجودة حسب مقياس الأداء الفعلي SERVPERF.

النموذج	المتغيرات المستقلة للنموذج	البيان	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
---------	----------------------------	--------	----------------	--------------	----------------	--------	---------------



,0000	82,760	35,948	1	35,948	الانحدار	الأمان	1
		,4340	132	57,336	الباقي		
		-	133	93,284	المجموع		
,0000	46,569	19,381	2	38,763	الانحدار	الأمان + الملموسية	2
		,4160	131	54,521	الباقي		
		-	133	93,284	المجموع		

المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية الإجمالية.

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على مخرجات برنامج SPSS

#### - نتائج تحليل الانحدار المتعدد:

الجدول رقم (14): نتائج تحليل الانحدار المتعدد لعلاقة جودة الخدمة المصرفية الإجمالية بأبعاد الجودة حسب مقياس الأداء الفعلي SERVPERF

النموذج	المتغيرات	معاملات التأثير B	الخطأ المعياري	قيم $\beta$	قيمة t	مستوى الدلالة
1	الثابت	1,199	0,182	-	6,574	0,000
	الأمان	0,513	0,056	0,621	9,097	0,000
2	الثابت	0,912	0,210	-	4,342	0,000
	الأمان	0,375	0,077	0,454	4,892	0,000
	الملموسية	0,253	0,097	0,241	2,601	0,010

المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية الإجمالية.

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على مخرجات برنامج SPSS

من خلال الجدول السابق، فإن لكل من البعدين: الأمان والملموسية، حسب نموذج القياس SERVPERF، تأثيراً معنوياً على المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية الإجمالية، حيث جاءت قيم معاملات التأثير موجبة، كما جاءت نتائج اختبار t ذات دلالة معنوية، لأن مستوى دلالة متغيرات النموذجين أقل من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة.

وتعبر قيم  $\beta$  (Beta) عن الأهمية النسبية لكل متغير في التأثير على المتغير التابع، وحسب الجدول السابق، فإن بعد الأمان هو الأكثر تأثيراً في جودة الخدمة المصرفية الإجمالية، لأنه يحوز على أكبر قيمة لـ  $\beta$  تساوي 0.454، مقارنة ببعد الملموسية الذي بلغت قيمة  $\beta$  لديه 0.241.

وعليه فإننا نخلص إلى أنه وفي كلا النموذجين، يوجد بعدين فقط من الخمسة أبعاد ذو دلالة معنوية في التأثير على المتغير التابع، حيث في نموذج SERVQUAL يوجد بعد الأمان والاستجابة، أما في نموذج SERVPERF يوجد بعد الأمان والملموسية. وبالنسبة لكلا النموذجين، يعتبر بعد الأمان من أكثر أبعاد جودة الخدمة قدرة على تفسير التباين في جودة الخدمة المصرفية الإجمالية. ومن جهة أخرى نلاحظ أن لنموذج SERVQUAL قدرة على تفسير  $R^2=43.7\%$  من التباين في جودة الخدمة المصرفية

الإجمالية، وباقي التباين راجع لعوامل أخرى، أكبر من نموذج SERVPERF الذي يفسر  $R^2=41.6\%$  من التباين في جودة الخدمة المصرفية الإجمالية، وباقي التباين راجع لعوامل أخرى. كما أن قيمة F في نموذج SERVQUAL تعادل 50.926 أكبر من قيمتها في نموذج SERVPERF التي تعادل 46.569. وعليه فإن استخدام النموذجين في قياس جودة الخدمة المصرفية لن يؤدي بالضرورة للوصول إلى نفس النتائج. وبالتالي نرفض صحة الفرضية 5، حيث توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين نتائج تقييم جودة الخدمات المصرفية ببنك BNA بمدينة قسنطينة باستخدام النموذجين: SERVPERF وSERVQUAL.

- **اختبار الفرضية 6:** لا يوجد اختلاف ذو دلالة معنوية في الأهمية التي يوليها الزبائن لأبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة ببنك BNA بمدينة قسنطينة.

سنقوم باختبار هذه الفرضية بواسطة نموذج الانحدار المتعدد باستخدام برنامج ال-SPSS، وسيتم اعتماد طريقة ال- (Enter) في اختيار المتغيرات المستقلة، حيث تعد الطريقة الأساسية في الانحدار المتعدد، أين يتم إدخال جميع المتغيرات المستقلة، وذلك كما يلي:

الجدول رقم (15): نتائج تحليل الانحدار المتعدد لعلاقة جودة الخدمة المصرفية المدركة بأبعادها

الأسلوب	مستوى الدلالة	قيمة t	قيم $\beta$	الخطأ المعياري	معاملات التأثير B	متغيرات النموذج
Enter	1,000	,0000	-	,0000	7,035E-016	الثابت
	,0000	63568924,630	,2020	,0000	,2000	الملموسية
	,0000	56074433,211	,2270	,0000	,2000	الاعتمادية
	,0000	57900107,420	,2240	,0000	,2000	الاستجابة
	,0000	72135156,513	,2570	,0000	,2000	الأمان
	,0000	58265544,452	,2070	,0000	,2000	التعاطف

المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية المدركة.  
المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على مخرجات برنامج SPSS

من خلال الجدول السابق، فإن أبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة الخمسة مجتمعة تمارس تأثيرها على المتغير التابع: جودة الخدمة المصرفية، حيث جاءت قيم معاملات التأثير B موجبة، مما يبين وجود علاقة طردية بين المتغير التابع والمتغيرات المستقلة كل على حدة. وحسب نتائج اختبار t، فإن كل الأبعاد لها تأثير

معنوي على جودة الخدمة المصرفية المدركة، لأن دلالاتها تساوي 0.000 أقل من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة.

وتعبر قيم  $\beta$  (Beta) عن الأهمية النسبية لكل متغير مستقل في التأثير على المتغير التابع، وبالتالي فإنه وحسب نموذج الانحدار، يعتبر بعد الأمان أكثر العوامل تأثيراً في جودة الخدمة المصرفية، حيث بلغت قيمة  $\beta$  لهذا البعد ما يعادل 0.257، وهي أكبر قيمة لها مقارنة بقيمها لدى باقي العوامل الأخرى، ثم يليه على الترتيب: الاعتمادية 0.227، الاستجابة 0.224، التعاطف 0.207، الملموسية 0.202. ويرجع ذلك لزيادة وعي الزبون البنكي، الذي أصبح يركز في المقام الأول على أمن أمواله وسرية معلوماته، ومختلف الإجراءات الأمنية الاحتياطية التي يتخذها البنك للحفاظ على الزبائن وأموالهم. ثم يركز في المقام الثاني في حكمه على الجودة، على مدى التزام البنك بتقديم خدمات وكشوفات من دون أخطاء وفي المواعيد المتفق عليها، وسعيه للاهتمام بمشاكل وطلبات الزبائن والعمل على معالجتها باعتمادية. ويأتي في المقام الثالث مدى سرعة استجابة الموظفين لطلبات الزبائن وشكاويهم واهتماماتهم. ثم يأتي في المقام الرابع بعد التعاطف من خلال مدى اهتمام البنك فردياً باحتياجات الزبائن، وأن تكون مصلحتهم فوق كل اعتبار. ثم يركز في المقام الأخير في حكمه على الجودة على مدى توفر البنك على أجهزة ومعدات حديثة ومتطورة، تمكن من استخدام أحدث التقنيات التكنولوجية في الاتصال وعرض وتقديم الخدمات، إضافة للتنظيم الداخلي للبنك ومظهره الخارجي الجذاب والقريب، ومدى توفره على موظفين بمظهر وهندام لائق، إضافة لمدى توفر البنك على أماكن خاصة لتوقف سيارات الزبائن.

وعليه وعلى ضوء ما سبق، فإننا نرفض صحة الفرضية 6، حيث يوجد اختلاف ذو دلالة معنوية في الأهمية التي يوليها الزبائن لأبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة بينك BNA بمدينة قسنطينة.

- اختبار الفرضية 7: إن مستوى كل من: القيمة والرضا والولاء لدى زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة منخفض.

وذلك بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغيرات، وذلك كما يلي:

الجدول رقم (16): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل من القيمة والرضا والولاء لدى زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة

الرقم	البيان	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى التقييم
1	القيمة	3,0448	,697040	متوسط
2	الرضا	2,8769	,775410	متوسط
3	الولاء	2,8030	,839620	متوسط

المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على مخرجات برنامج SPSS

من خلال الجدول السابق، فإن تقييم الزبائن للقيمة المدركة من وراء تعاملهم مع بنك BNA، ورضاهم ومدى ولائهم له، يقع في المجال (2.6-3.4) على سلم ليكرت، مما يدل على درجة موافقة متوسطة، وبالتالي نرفض صحة الفرضية 7، حيث أن مستوى كل من: القيمة والرضا والولاء لدى زبائن بنك BNA ليس منخفض، بل متوسط.

- اختبار الفرضية 8: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لأبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة على مستوى كل من: القيمة، الرضا، والولاء لدى زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة.

سيتم اختبار هذه الفرضية باستخدام نموذج الانحدار المتعدد، لاستخراج العلاقة بين المتغيرات التابعة كل على حدة: القيمة، الرضا، والولاء، والمتغيرات المستقلة والتي هي أبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة الخمسة. وسيتم اعتماد طريقة الـ (Stepwise) في اختيار أفضل المتغيرات المستقلة تفسيرا للظاهرة أو المتغير التابع، على أن يتم فقط تقديم أحسن نموذج بالنسبة لكل نموذج انحدار، وهو النموذج الذي يحتوي على أكبر عدد من المتغيرات المستقلة المعنوية. ويمكن تلخيص نتائج تحليل الانحدار المتعدد فيما يلي:

الجدول رقم (17): نتائج تحليل الانحدار المتعدد لعلاقة أبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة بكل من القيمة والرضا والولاء لدى زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة

المتغيرات	قيمة B	معامل $\beta$	قيمة t	الدلالة	R	R2	F	الدلالة
القيمة	الثابت	-	9,758	,0000	-	-	-	-
	الاعتمادية	,2800	3,235	,0020	5860.	0.344	34.338	000.
	الأمان	,1810	2,365	,0190	-	-	-	-
الرضا	الثابت	,9260	5,558	,0000	-	-	-	-
	الأمان	,2220	2,884	,0050	7370.	0.543	51.404	000.
	الاستجابة	,2350	2,614	,0100	-	-	-	-
الولاء	التعاطف	,2320	2,391	,0180	-	-	-	-
	الثابت	,4640	2,414	,0170	-	-	-	-
	التعاطف	,3050	3,134	,0020	7460.	0.556	54.222	000.
الأمان	الملموسية	,3390	3,764	,0000	-	-	-	-
	الأمان	,1760	2,194	,0300	-	-	-	-

المتغير التابع: القيمة، الرضا، الولاء.

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على نتائج تحليل الاستبيان باستخدام برنامج Spss

من خلال الجدول السابق، فإن تحليل الانحدار لعلاقة القيمة بأبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة، يبين أن القيمة المدركة من طرف الزبائن ترتبط أكثر بكل من: الاعتمادية، والأمان فقط، بحيث أن لهذين البعدين القدرة على تفسير 34.4% من التغير في القيمة لدى الزبائن، في حين لم تظهر باقي الأبعاد بسبب عدم وجود أهمية لتأثيرها في المتغير التابع. كما تبين نتائج تحليل التباين ANOVA أن قيمة F تساوي 34.338 عند درجات حرية (2، 131)، وهي دالة إحصائياً لأن دالتهما تساوي 0.000 أقل من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة. وعليه توجد علاقة انحدارية معنوية بين المتغير التابع: القيمة لدى الزبون، وبعدي جودة الخدمة المصرفية المدركة: الاعتمادية والأمان فقط، وبالتالي نقبل هذا النموذج في تحليل العلاقة الانحدارية. كما تؤكد نتائج اختبار t، أن لكل من الاعتمادية والأمان فقط تأثيراً معنوياً على القيمة المدركة من طرف الزبائن، بحيث يعتبر بعد الاعتمادية الأكثر تأثيراً، حيث بلغت قيمة  $\beta$  (Beta) لهذا البعد 0.359، وهي أكبر قيمة من 0.263 الخاصة ببعد الأمان. وعليه فإن القيمة المدركة من طرف زبائن بنك BNA تتأثر في المقام الأول بمدى التزام البنك بتقديم خدمات صحيحة من دون أخطاء وفي المواعيد المتفق عليها، ومدى اهتمامه بمشاكل الزبائن والعمل على حلها بكفاءة. وتتأثر في المقام الثاني بمدى القدرة على الحفاظ على أموال الزبائن وسرية معلوماتهم وما إلى ذلك.

كما أن تحليل الانحدار لعلاقة رضا الزبائن بأبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة، يبين أن رضا الزبائن يرتبط أكثر بكل من: الأمان، الاستجابة، والتعاطف فقط، بحيث أن لهذه الأبعاد الثلاثة القدرة على تفسير 54.3% من التغير في رضا الزبائن، في حين لم تظهر باقي الأبعاد بسبب عدم وجود أهمية لتأثيرها في المتغير التابع. كما تبين نتائج تحليل التباين ANOVA أن قيمة F تساوي 51.404 عند درجات حرية (3، 130)، وهي دالة إحصائياً لأن دالتهما تساوي 0.000 أقل من 0.05 مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة. وعليه توجد علاقة انحدارية معنوية بين المتغير التابع: رضا الزبائن، وأبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة: الأمان، الاستجابة، والتعاطف فقط، وبالتالي نقبل هذا النموذج في تحليل العلاقة الانحدارية. كما تؤكد نتائج اختبار t، أن للأبعاد الثلاثة السابقة فقط تأثيراً معنوياً على رضا الزبائن، بحيث يعتبر بعد الأمان الأكثر تأثيراً، حيث بلغت قيمة  $\beta$  (Beta) لهذا البعد 0.290، وهي أكبر قيمة من 0.268 و 0.244 الخاصة بالبعدين: الاستجابة والتعاطف، على التوالي. وعليه فإن رضا زبائن بنك BNA يتأثر في المقام الأول بالأمان، فالاستجابة، فالتعاطف.

كما أن تحليل الانحدار لعلاقة ولاء الزبائن بأبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة، يبين أن ولاء الزبائن يرتبط أكثر بكل من: التعاطف، الملموسية، والأمان فقط، بحيث أن لهذه الأبعاد الثلاثة القدرة على تفسير 55.6% من التغير في ولاء الزبائن، في حين لم تظهر باقي الأبعاد بسبب عدم وجود أهمية لتأثيرها في المتغير التابع. كما تبين نتائج تحليل التباين ANOVA أن قيمة F تساوي 54.222 عند درجات حرية (3، 130)، وهي دالة إحصائياً لأن دالتهما تساوي 0.000 أقل من 0.05 مستوى الدلالة

المعتمد في الدراسة. وعليه توجد علاقة انحدارية معنوية بين المتغير التابع: ولاء الزبائن، وأبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة: التعاطف، الملموسية، والأمان فقط، وبالتالي نقبل هذا النموذج في تحليل العلاقة الانحدارية. كما تؤكد نتائج اختبار  $t$ ، أن للأبعاد الثلاثة السابقة فقط تأثيراً معنوياً على ولاء الزبائن، بحيث يعتبر بعد الملموسية الأكثر تأثيراً، حيث بلغت قيمة  $\beta$  (Beta) لهذا البعد 0.322، وهي أكبر قيمة من 0.296 و 0.213 الخاصة بالبعدين: التعاطف والأمان على التوالي. وعليه فإن ولاء زبائن بنك BNA يتأثر في المقام الأول بالملموسية، فالتعاطف، فالأمان .

وعلى ضوء ما سبق، فإننا نرفض صحة الفرضية الثامنة، بحيث بينت نتائج التحليل وجود أثر ذو دلالة إحصائية لبعض أبعاد جودة الخدمة المصرفية المدركة فقط على مستوى كل من: القيمة، الرضا، والولاء لدى زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة.

**- الخاتمة: النتائج والمقترحات:**

هدفت الدراسة إلى تقييم مستوى جودة الخدمات المصرفية، المقدمة بالبنك الوطني الجزائري BNA بمدينة قسنطينة، من وجهة نظر الزبائن، ومحاولة معرفة علاقة ذلك بمستوى كل من القيمة والرضا والولاء لديهم، وخلصت الدراسة إلى ما يلي:

**- النتائج:** يمكن إدراج أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يلي:

- إن مستوى توقعات الزبائن حول جودة خدمات بنك BNA بمدينة قسنطينة مرتفع جداً، في حين أن مستوى إدراكاتهم حولها متوسط، مما يؤكد وجود فجوة سالبة ذات دلالة إحصائية بين إدراكات وتوقعات الزبائن، تعادل قيمتها المتوسطة (-) 1.67829.

- إن المتغيرات الديمغرافية لزبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة، لا تؤثر على اتجاهاتهم حول جودة الخدمة المصرفية المدركة.

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية، بين نتائج تقييم جودة الخدمات المصرفية بينك BNA بمدينة قسنطينة باستخدام النموذجين: SERVQUAL و SERVPERF.

- إن هناك اختلاف ذو دلالة معنوية في الأهمية التي يوليها زبائن بنك BNA لأبعاد جودة الخدمة المصرفية، حيث يعتبر بعد الأمان أكثر العوامل تأثيراً في جودة الخدمة المصرفية، ثم يأتي على الترتيب كل من: الاعتمادية، الاستجابة، التعاطف، الملموسية .

- إن مستوى كل من القيمة المدركة من طرف زبائن بنك BNA، ورضاهم وولائهم لخدمات هذا البنك، متوسط.

- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين جودة الخدمة المصرفية، من وجهة نظر زبائن بنك BNA بمدينة قسنطينة، وكل من القيمة المدركة ورضاهم وولائهم. حيث أن القيمة المدركة تتأثر في المقام الأول بالاعتمادية، في حين أنه بالنسبة للرضا يعتبر بعد الأمان الأكثر تأثيراً، أما بعد الملموسية فيعتبر الأكثر تأثيراً في الولاء.

- المقترحات:** على ضوء نتائج الدراسة، يمكن تقديم بعض المقترحات والتي تعتبر ضرورية للنهوض بمستوى جودة الخدمات المصرفية، وذلك كما يلي:
- يجب تعزيز اتجاهات الزبائن حول الأبعاد الخمسة للجودة في تقديم الخدمات المصرفية، باعتبارهم المؤثر الرئيسي على جودة الخدمات المصرفية وتحقيق رضا وولاء الزبائن.
  - يجب الاستعانة بأكثر من نموذج لقياس وتقييم جودة الخدمات المصرفية بصفة دورية ومستمرة، وذلك في ظل ظروف أعم وأشمل.
  - يجب على البنك تدعيم اتجاهات الزبائن حول بعد الأمان في تقديم الخدمات المصرفية، باعتباره مؤثر مشترك في كل من جودة الخدمة المصرفية، والقيمة والرضا والولاء لدى الزبائن.
  - تدعيم اهتمام البنك بالجوانب الملموسة كالمظهر وتنظيمه الداخلي، حيث برغم أنه لم يلاق اهتماما كبيرا من طرف الزبائن، بسبب النقائص الموجودة في الأبعاد الأخرى خاصة بعدي الأمان والاعتمادية، إلا أنه يعتبر مكونا رئيسيا لصورة البنك في ذهن العميل بإجماع الباحثين.
  - ضرورة الاعتماد على الأساليب والتوجهات التسويقية الحديثة في التعامل مع الزبائن والإصغاء إليهم، وذلك بالارتكاز على الزبون في تطوير الخدمات المصرفية.
  - استحداث هيكل إداري بالبنك يعنى بمتابعة جودة الخدمات المقدمة للزبائن والاهتمام بهم ومتابعة شكاويهم، في ظل التغيرات البيئية المحيطة، واقتراح حلول للوصول لتحقيق رضا وولاء الزبائن.
  - ضرورة تسطير برامج تكوينية للعاملين بالبنك خاصة بالمكاتب الأمامية، تتمحور خاصة حول فن الإصغاء والتعامل مع الزبون.

#### قائمة المراجع المعتمدة:

- 1 - مأمون سليمان الدرادكة، إدارة الجودة الشاملة وخدمة العملاء، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 16.
- 2 - عواطف إبراهيم الحداد، إدارة الجودة الشاملة، ط 1، دار الفكر العربي، عمان، 2009، ص، 13 .
- 3- Brilman Jean, les meilleurs pratiques du management: au cœur de la performance, édition d'organisation, 3<sup>ème</sup> édition, Paris, 2001, p91.
- 4- Crosby Philip B. - La qualité c'est gratuit, l'art et la manière d'obtenir la qualité - Paris : Economica, 1986, p 19.

- 5-Lovelock, C. & Wirtz, J. (2008). Services marketing: people technology, strategy. (6th ed.) Upper Saddle River, NJ : Pearson, N. J.2000, p p 20 -29.
- 6- ردينة عثمان، محمود جاسم الصميدعي، التسويق المصرفي: مدخل استراتيجي، دار المناهج للتوزيع والنشر، عمان، 2001، ص، 19.
- Kotler. P et Dubois, Marketing Management, Pupil union, paris, 11<sup>eme</sup> édition, 2003, P, 462.
- 7- تيسير العجارمة، التسويق المصرفي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة 1، عمان، 2005، ص ص، 31-32.
- 8- محمد محمود مصطفى، التسويق الإستراتيجي للخدمات، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2003، ص، 60.
- 9 - ثامر البكري، أحمد الرحومي، تسويق الخدمات المالية، ط1، دار إثراء للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص، 83.
- محمد عبد الهادي الرويس، نموذج مقترح لقياس جودة الخدمات المصرفية بدولة قطر، رسالة دكتوراه، كلية التجارة، جامعة عين شمس، مصر 2002، ص، 66.
- 10- زياد رمضان، إدارة الأعمال المصرفية، الطبعة السادسة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص ص، 31-32.
- 11- عبد المعطي محمد حشاد، المصطلحات المصرفية، الطبعة الثانية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002، ص ص، 296-297.
- 12- Patrick Mc Cole, "Dealing with Complaints in Services," International Journal of Contemporary Hospitality Management, Vol 16, N 6, USA, 2004, pp 345-354.
- 13- David L. Goetsch, Stanley Davis, Introduction to total quality international, New York, Prentice Hall, 1994, p 2.
- 14- يوسف أحمد أبو فارة، واقع تطبيقات إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الفلسطينية، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، المجلد 2، العدد 2، عمان، 2006، ص، 251.
- 15-Parasuraman, Zeithmal, and Berry, a conceptual model of service quality and its implication for future research, journal of marketing, vol 49, N 4, USA, 1985, pp 42-43.
- 16- Berry ,Parasuraman, and Zeithmal, the service puzzle, journal of Business horizon, vol 31, N 5, USA, 1988, pp 35-43.
- 17- هاني حامد الضمور، تسويق الخدمات، دار وائل للنشر، عمان، 2005، ص ص، 439-441.
- 18- Cronin J, and Taylor S, Measuring service quality: reexamination and extention, journal of marketing, vol 56, 1992, pp, 55-68.
- 19- السعيد عرب عدنان، تحليل استراتيجيات مصفوفة قيمة الزبون كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 2004، ص، 70.



- 20- محمد فريد الصحن وآخرون، قراءات في إدارة التسويق، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص، 71.
- 21- Baron S, Harris K, services marketing, 2<sup>ed</sup> ed, Antony Rowe Ltd ed, Great Britain, 2003, p 160.
- 22 - بشير عباس العلق، التسويق عبر الانترنت والاقتصاد الرقمي، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، 2003، ص ص، 63-64.
- 23 - تيسير العجارمة، التسويق المصرفي ، مرجع سبق ذكره، ص، 353.
- 24 - حمزة محمد دودين، التحليل الإحصائي المتقدم للبيانات باستخدام برنامج SPSS، الطبعة الثانية، دار المسيرة ، عمان، 2013، ص ص، 53-58.
- 25 - محمد عبيدات، عاطف حسين، تقييم العوامل المؤثرة في ولاء الزبائن لدى مقدمي خدمة الهاتف النقال، دراسة حالة الأردن، مجلة دراسات، العلوم الإدارية، المجلد 35، العدد 1، الجامعة الأردنية، عمان، 2008، ص ص، 144-145.
- 26 - محمد عبيدات، عاطف حسين، مرجع سبق ذكره، ص، 145.
- 27-Sekaran U, Research Methods for Business, A Skill Building Approach 4<sup>th</sup> Edition, John Wiley and Sons, Inc, New York, , 2003 , P, 158.

## الرقابة الشرعية على أعمال المصارف الإسلامية دراسة ميدانية لهيئة الرقابة الشرعية بنك الإثمار البحريني

### ملخص

تحاول هذه الدراسة إبراز أهمية الرقابة الشرعية و دورها بالنسبة للمصارف الإسلامية من خلال دراسة حالة بنك الإثمار الذي يعد من بين البنوك الإسلامية البارزة بالبحرين و للقيام بهذه الدراسة و الوصول إلى الهدف المحدد قسمت إلى جزئين الأول نظري تناولنا فيه الرقابة الشرعية من حيث تعريفها، أهميتها و أهدافها أما الثاني فكان عبارة عن إسقاط الجانب النظري على بنك إسلامي إلا وهو بنك الإثمار البحريني.

أ. فتيحة بوهرين  
د. نور الدين زعيبيط  
كلية العلوم الاقتصادية والتجارية  
وعلوم التسيير  
جامعة قسنطينة 2  
الجزائر

### مقدمة

**المصرف** في حد ذاته والرقابة الخارجية التي تقوم بها جهات خارجية والتي تتمثل في المصرف المركزي الذي يقع على قمة النظام المصرفي، هذا الأخير يتكون من المؤسسات المالية الربوية والإسلامية هذه الأخيرة تتميز عن الأولى في وجود رقابة تسمى بالرقابة الشرعية التي لها أهمية كبيرة تتمثل في ضمان التزام هذه المصارف بأحكام الشريعة الإسلامية.

1- **مشكلة البحث:** تكمن مشكلة البحث في بيان أهمية تفعيل دور الهيئة الشرعية من خلال وضع معايير الرقابة الشرعية يتم تبيينها من قبل الهيئات الشرعية وتنفيذها واعتمادها وتقييم تطبيقها من قبل الجهات الرقابية والإشرافية على المؤسسات المالية والإسلامية .

### Abstract

This study aims to highlight the role of the legal supervision of the Islamic bank, because the Sharea Control in it is regulations has a framework which governs banks roles according to Sharea rules to fulfill the bank transactions and faraway from any transaction which disallow of Islamic Sharea. This study consists of two main parts: the first one deals with the definition, role, and objectives of Sharea Control while the second one deals practically with the Bahrain Investment Bank as a case study.

### 2- هدف البحث

- يشهد العالم اليوم تطور و انتشار الصيرفة الإسلامية علة المستوى الدولي ، فيجب التأكد من أن نشاطها المالي مطابق للشريعة الإسلامية وهذا هو دور الرقابة الشرعية.

- الإسهام في إثراء موضوع الرقابة الشرعية الذي يعد حديثا نسبيا.

- إعطاء إلى صورة متكاملة عن الرقابة الشرعية على أعمال المصارف الإسلامية.

**3- منهج البحث:** يعتمد البحث على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، حيث

يستهدف المنهج الوصفي إلى مسح وتجميع المعلومات حول مشكلة الدراسة، أما المنهج التحليلي فيهدف إلى تبيان أهمية الرقابة الشرعية من خلال دراسة تطبيقية لبنك الإثمار البحريني.

**4- خطة البحث:** في ضوء مشكلة البحث وهدفه وأهميته يمكن تقسيم البحث إلى

المحاور التالية:

المحور الأول: المصارف الإسلامية.

المحور الثاني: مفاهيم عامة حول الرقابة المصرفية.

المحور الثالث: دور الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية.

المحور الرابع: دراسة لهيئة الرقابة الشرعية ببنك الإثمار.

**المحور الأول: المصارف الإسلامية.**

تعتبر المصارف الإسلامية من أهم المؤسسات المالية التي أصبح لها صدى على المستوى الدولي خاصة بعد الأزمة المالية التي عصفت بالنظام المالي الرأسمالي والتي أدت إلى انهيار المصارف الربوية وعليه سنعالج في هذا الجزء من البحث المصارف الإسلامية من حيث تعريفها، نشأتها، خصائصها وأهميتها.

**أولاً: تعريف المصارف الإسلامية:** تتعدد التعاريف بشأن المصارف الإسلامية نذكر

على سبيل المثال تعريف عبد الرحمان يسرى حيث يعرف المصرف الإسلامي " مؤسسة مصرفية تلتزم في جميع معاملاتها ونشاطاتها الاستثمارية وإدارتها لجميع أعمالها بالشريعة الإسلامية ومقاصدها وكذلك بأهداف المجتمع الإسلامي داخليا وخارجيا". (1)

من خلال هذا التعريف نستنتج أن المصارف الإسلامية عبارة عن مؤسسة مالية كباقي البنوك التقليدية لكنها تمارس نشاطها وفق الشريعة الإسلامية.

كما يجمع غالبية الفقهاء على أن البنك الإسلامي في تعريفه النظري هو مؤسسة مالية تجارية تقوم على فكرة جمع الأموال ثم استثمارها بوسائل التمويل التي لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية مع تحريم نظام الفوائد في معاملاته. (2)

ومنه نستطع أن نقول أن المصرف الإسلامي عبارة عن مؤسسة مالية يتوافق نشاطها مع الشريعة الإسلامية.

**ثانياً: خصائص المصارف الإسلامية:** إن البعض يعتقد أن البنوك الإسلامية نجحت بسبب شرعيتها، حيث أنها تقوم على مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية، ولكن ليس هذا هو السبب فقط، ولكن نستطيع القول أنها نجحت أيضاً لكونها حققت عوائد مناسبة لعملائها، وساهمت في تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع لأن البنك الإسلامي لا يستهدف فقط تعظيم الربح، إنما هو ملزم بمراعاة ما يعود على المجتمع من منافع وما يلحق به من أضرار، ونستطيع سرد الخصائص والمميزات التي تميزت بها البنوك الإسلامية عن غيرها من البنوك في التالي: (3)

- **استبعاد التعامل بالفائدة:** حيث أنه بدون هذه الخاصية يصبح البنك الإسلامي كأى بنك ربوي آخر، ذلك لأن الإسلام قد حرم الربا بكل أشكاله وشدد العقوبة عليه، والبنك الإسلامي بهذا ينسجم تماما مع غيره من المؤسسات الإسلامية الأخرى والتي تشكل في مجموعها نظاما إسلاميا متكاملا لا يتناقض معها، ذلك لأن جميع هذه المؤسسات الإسلامية بما فيها البنك الإسلامي تعمل جاهدة من أجل تنقية المجتمع الإسلامي من كل مالا يتلاءم مع مبادئ هذا الدين وتعاليمه السامية.

- **توجيه كل الجهد نحو الاستثمار الحلال:** ما كانت البنوك الإسلامية تقوم على إتباع أحكام الشريعة الإسلامية، لذا فإنها وفي جميع أعمالها تكون محكومة بما أحله الله وهذا يدفعها إلى استثمار وتمويل المشاريع التي تحقق الخير للبلاد والعباد، والتقييد في ذلك بقاعدة الحلال والحرام التي يحددها الإسلام مما يترتب عليه ما يأتي :

- توجيه الاستثمار وتركيزه في دائرة إنتاج السلع والخدمات التي تشبع الحاجات السوية للإنسان المسلم.
- تحري أن يقع المنتج - سلعة كان أم خدمة - في دائرة الحلال.
- تحري أن تكون كل مراحل العملية الإنتاجية ( تمويل، تصنيع، بيع ، وشراء ) ضمن دائرة الحلال.
- تحري أن تكون كل أسباب الإنتاج (أجور - نظام عمل ) منسجمة مع دائرة الحلال .
- تحكيم مبدأ احتياجات المجتمع ومصلحة الجماعة قبل النظر إلى العائد الذي يعود على الفرد.

- **ربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية:** حيث لا تنفصل في المجتمع الإسلامي الناحية الاجتماعية عن الناحية الاقتصادية فالإسلام وحدة متكاملة لا تنفصل فيه جوانب الحياة المختلفة. والبنك الإسلامي لا يربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية فقط، بل إنه يعد التنمية الاجتماعية أساسا لا توتي التنمية الاقتصادية ثمارها

إلا بمراعاته، وهو بذلك يراعي الجانبين ويعمل لصالح الجميع، فالبنك الإسلامي يحاول رفع المستوى المعيشي للمجتمع من خلال سياسته الاستثمارية، ومن خلال المشاريع والمؤسسات الاقتصادية التابعة له.

- **تجميع الأموال المعطّلة ودفعها إلى مجال الاستثمار:** إنّ نجاح البنوك الإسلامية في استثمار الأموال المودعة وتنميتها دفع الكثير من أصحاب رؤوس الأموال إلى استثمار أموالهم المجمّدة وتنميتها من خلال المشاريع التنموية التي تقوم بها هذه البنوك سواء كانت مشاريع تجارية أو صناعية أو زراعية، وهي بذلك قد حققت نجاحا باهرا في تحريك تلك الأموال وجعلها أداة فعّالة في خدمة الاقتصاد الوطني والمشاريع التنموية التي تقدّم الخدمة لأبناء المجتمع.

- **تيسير وتنشيط حركة التبادل التجاري بين الدول الإسلامية:** وذلك من خلال تعاون هذه البنوك وتبادل الخبرات فيما بينها، وتقديم كل منها ما تستطيع تقديمه للآخرين، وهي بذلك تجعل الحركة التجارية بين الشعوب الإسلامية تسير نحو التقدّم .

- **إحياء نظام الزكاة :** حيث أقامت هذه البنوك صندوقا خاصا لجمع الزكاة، تتولّى هي إدارته، كما أخذت على عاتقها مهمة إيصال هذه الأموال إلى مصارفها المحدّدة شرعا، إضافة إلى الجانب الاقتصادي الذي تؤدّيه أموال هذه الفريضة.

إذا نستطيع أن نلخص خصائص البنوك الإسلامية: بأنّها قائمة على أحكام الشريعة الإسلامية، وأنّ التكافل الاجتماعي يعتبر هدفاً لنشاط هذه البنوك، بالإضافة إلى حذر هذه البنوك في معاملاتها بحيث لا تقع في دائرة الحرام والالتزام بدائرة الحلال، ويتركز نشاطها على الاستثمار الحقيقي بدلا من تمركزه على الإقراض، ومنه نستطع أن نبين المرتكزات التي يقوم عليها المصرف الإسلامي في الشكل رقم 1 .

**ثالثا: انتشار البنوك الإسلامية على المستوى الدولي:** إن أهمية المصارف الإسلامية ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية جعل البلدان تلجأ إلى إنشائها و تطويرها بما يتوافق مع التطورات الحاصلة على المستوى الدولي، والجدول رقم 1 و 2 يوضحان ذلك.

من خلال ما سبق نستنتج أن الصيرفة الإسلامية في تطور مستمر والدليل على ذلك توجه معظم دول العالم إلى تبنيها خاصة بعد الأزمة المالية التي حدثت في سنة 2009 وفتكت بالمصارف الأمريكية والأوروبية، مع العلم أن المصارف الإسلامية تخضع للرقابة المصرفية و التي سوف تكون محور دراستنا في الجزء الموالي.

#### **المحور الثاني: الرقابة المصرفية:**

يلعب القطاع المصرفي دورا هاما في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية نظرا لكونه العنصر الرئيسي في توطيد الثقة بسياسة الدولة و رعايتها للمصالح الاقتصادية و الجذ

ير بالذكر أنه كلما كان النظام المصرفي سليماً كلما دل ذلك على تعافي الاقتصاد ، مشكلاً عاملاً مشجعاً على جذب الاستثمارات والأعمال و لذا فمن الضروري إخضاع المصارف للإشراف و الرقابة للحفاظ على سلامة مراكزها المالية، وعليه سنتناول في هذا الجزء من البحث الرقابة المصرفية من حيث تعريفها، أهميتها وأنواعها.

أولاً: **تعريف الرقابة المصرفية و أنواعها:** لقد برزت في السنوات الأخيرة عدة تحديات تواجه القطاع المصرفي كزيادة الأخطار المصرفية الناتجة عن عمليات تبيض الأموال ، التوسع في تقديم الخدمات المصرفية لتلبية احتياجات العملاء وتنوع الأدوات المالية التي تتعامل بها المصارف كل هذه التحديات وغيرها عملت على تطوير مفهوم الرقابة المصرفية للتمكن إلى أقصى حد ممكن من ضبط المخاطر المتنوعة الناتجة عن تطور الأنشطة المصرفية بشكل عام ومن هنا يطرح التساؤل حول تعريف الرقابة المصرفية و أهدافها والشكل رقم 2 يوضح لنا ذلك.

### 1- الرقابة الداخلية:

**تعريفها:** تعتبر الرقابة إحدى وظائف الإدارة ، ويتمثل هدفها الرئيسي في التحقق من أن التنفيذ والأداء الفعلي يسيران طبقاً لخطة موضوعة ، فهي ليست جامدة، حيث هناك حدود مسموح بها للاختلاف بين الخطة الموضوعة والتنفيذ، وعليه فإن الرقابة تشمل اكتشاف و تحليل المشاكل قبل التنفيذ وخلال التنفيذ قبل تفاقم حدوثها ، والقيام بالعمليات التصحيحية أول بأول، كما تشمل عملية الرقابة مرحلة ما بعد التنفيذ أيضاً، وتضمن الرقابة مجموعة العمليات التي يقصد منها التحقق مما إذا كان كل شيء في المصرف يحدث وفقاً للخطة المستهدفة و للتعليمات الصادرة والمبادئ التي تم إعدادها من عدمه. (4)

وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة التمييز بين الرقابة التي تعتبر وظيفة أساسية من وظائف الإدارة و بين تقييم الأداء الذي يكشف عن مدى الفعالية بمقارنة النتائج المحققة بالأهداف المسطرة أي أن الأداء ناتج عن تنفيذ نظام عمل الإدارة الذي يحكم عملياته ويدخل تقييمه تحت مظلة الوظيفة الرقابية للمصرف وعليه فإن مصطلح الرقابة أعم وأشمل من مصطلح الأداء، كما تتضمن عملية الرقابة ثلاثة أمور أساسية:

- التأكد من إنجاز الأهداف وفقاً للخطة الموضوعة.

- التحقق من صحة التصرفات الإدارية أثناء التنفيذ .

- التحقق من مشروعية الأعمال الإدارية التي تمت أثناء التنفيذ.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن الرقابة الداخلية نشاط موضوع مستقل ذو طبيعة استشارية يهدف إلى رفع قيمة المنظمة وتحسين عملياتها التشغيلية ويساعده على تحقيق

أهدافها من خلال انتهاج مدخل موضوعي لتقييم و تحسين فاعلية إدارة الخطر و الرقابة و عملية التحكم المؤسسي. (5)

- أهدافها: تتمثل أهداف الرقابة الداخلية في: (6)

- ضمان المحافظة على الأصول و الموجودات.
- التحقق من صحة البيانات، التقارير و تحديد مدى إمكانية الاعتماد عليها.
- زيادة الكفاءة التشغيلية و تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد.
- ضمان الالتزام بالسياسات و الأهداف الموضوعية بواسطة الإدارة.

## 2- الرقابة المصرفية الخارجية:

- تعريفها: و هي التي يقوم بها المصرف المركزي باعتباره أعلى سلطة نقدية وائتمانية في الدولة و اعتباره بذلك رقيباً على أنشطة القطاع المصرفي حتى لا تتعرض المصارف للإفلاس أو المخاطر بمختلف أنواعها و أبعادها.

يمكننا تقسيم رقابة المصرف المركزي إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي: (7)

- الرقابة الوقائية: تهدف هذه الرقابة إلى تقليص المخاطر التي قد تتعرض لها المصارف إلى أدنى حد ممكن.

ومن أهم الوسائل لتحقيق هذا الهدف تطبيق الحد الأدنى لكفاية رأس المال وفقاً لمقررات لجنة بال و المحافظة على نسب معقولة من السيولة.

- الرقابة التصحيحية: وتستند هذه الرقابة إلى القوائم و التقارير المالية التي تعدها المصارف المركزية حول الإنجاز الفعلي للمصارف و نتائج أعمالها، وذلك لاكتشاف أي انحرافات عن الموازنات التقديرية و السياسات الموضوعية.

- رقابة الأداء: و مهمة المصارف المركزية تنحصر في هذا النوع من الرقابة في استخدام المعلومات و البيانات التي تبين أداء المصارف، و يتأتى ذلك الاستخدام من خلال تزويد المصارف المركزية بكتشوفات شهرية أو فصلية أو سنوية للمعلومات و البيانات، وكذلك من خلال المقابلات التي تجرى مع مسؤولي المصارف بصفة مستمرة.

تستند الرقابة إلى أهداف تصاغ السياسات في إطارها، ثم يتم الاتجاه بعد ذلك إلى وضع أسلوب العمل الذي يكفل التزام المصارف بالسياسات المقررة.

وهنا تجدر الإشارة إلى الأسلوبين التاليين لممارسة الرقابة:

**أ- الرقابة المكتبية:** وتعني قيام المصارف بإمداد مسؤول الرقابة في المصرف المركزي بمعلومات إحصائية دقيقة وحديثة يمكن الاستدلال منها على مدى التزام المصارف بتعليمات المصرف المركزي، وهذا يعني أن هذه المعلومات ينبغي أن تكون واضحة ، مختصرة ومشملة على المعلومات الكافية.

**ب- الرقابة الميدانية:** وتعني انتقال مسؤول الرقابة إلى مقر المصارف للتحقق من مدى سلامة الأرقام والمعلومات التي ترسلها المصارف، مدى انتظام القيد في الدفاتر، التأكد من تطبيق المصارف للتعليمات والقوانين الصادرة عن المصرف المركزي ومدى سلامة أنظمة الرقابة الداخلية لدى المصارف.

#### أهدافها:

- الحفاظ على استقرار النظام المالي والمصرفي.

- ضمان كفاءة عمل الجهاز المصرفي.

- حماية المودعين.

- مراقبة وتوجيه الائتمان المصرفي كما و نوعا.

ولفهم مصطلح الرقابة أكثر لا بد من فهم الوظائف التي تقوم بها، وهذا ما سوف نتطرق إليه في الجزء الموالي.

**ثانيا: أهداف الرقابة المصرفية:** يمكننا إبراز أهداف الرقابة المصرفية من خلال الأطراف المهتمة بالمصارف :

- **المودعين والمقرضين:** وهم أصحاب المورد الأكبر لأي مصرف والذي يكون دائما أكبر من حجم رأس المال، وذلك للاطمئنان على ودائعهم.

- **المستثمرون:** يعتبر المستثمرون أكثر الأطراف المرتبطة بالمصرف تعرضا للمخاطرة كما أنهم أكثر الأطراف تجني المكاسب في حالة نجاح المنشأة وفي نفس الوقت أكثر الأطراف تحملا للخسائر في حالة فشل المنشأة، ولذلك فإن الرقابة المستمرة للمصرف تضع المستثمرين سواء الحاليين أو المرتقبين في صورة واضحة تمكنهم من تقييم فرص الاستثمار المتاحة والمفاضلة بين البدائل الاستثمارية واتخاذ القرارات المستمرة وتقدير الاحتمالات المستقبلية لتقرير كيف تسير الأمور ولتحديد ما إذا كان يزيد من الاستثمارات أو يخفضها أو يتحول إلى مشروع آخر، أي أنه توجد علاقة بين المنافع التي يحصل عليها أصحاب حقوق الملكية والمخاطر التي يتعرضون لها. (8)

- **جمهور العملاء:** يهتم العملاء المستفيدين من التسهيلات الائتمانية المختلفة سواء منها المباشرة أو غير المباشرة نجاح المصرف لضمان استمرارية نشاط أعمالهم التجارية التي تقوم في جزء منها على هذه التسهيلات بينما يعني فشل المصرف توقف



تلك التسهيلات ومطالبتهم بالدفع مما قد يؤدي إلى توقف نشاط مشاريعهم وربما إفلاسها. (9)

- **السلطات النقدية:** وتتمثل في المصرف المركزي لأنه يهدف إلى حماية الجمهور المتعامل مع المصارف من مودعين، مقرضين ومساهمين وبالتالي حماية الاقتصاد الوطني من الآثار السلبية التي قد تنتج عن فشل مصرف ما، كما تهدف إلى توجيه السياسة الائتمانية والنقدية في البلد المعني والذي لا يتحقق بدون الإشراف والرقابة. (10)

- **إدارة المصرف:** تعتبر الإدارة مسؤولية أمام الهيئة العامة للمساهمين عن تأدية مهمتها بنجاح وعليه فهي تستخدم أدوات التحليل المالي وغيرها، بغرض ممارسة الرقابة على أعمال المصرف والنظر إليها من الزاوية التي تراها بها الأطراف الخارجية المهتمة بالمصرف.

ومن أجل أن يحقق المصرف الإسلامي أهدافه هناك نوع آخر من الرقابة يتميز بها عن المصارف التقليدية وهي الرقابة الشرعية والتي سوف تكون محور دراستنا في الجزء الموالي.

### المحور الثالث: دور الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية:

تتميز المصارف الإسلامية عن غيرها من المصارف بمزايا عديدة، لعل أبرزها هو وجود هيئات الرقابة الشرعية التي تعد أحد أركان المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية وشريبتها الذي يعمل على بقائها، وصمام أمانها الذي يحفظها من الانحراف عن منهجها الذي قامت عليه، ومصدر الطاقة الذي يولد لها القوة، فهي الهوية التي بها تعرف وعليه سنتحدث في هذا الفصل عن الرقابة الشرعية من حيث تعريفها، أهميتها ودورها بالنسبة للمصارف الإسلامية.

**أولاً: تعريف الرقابة الشرعية:** عُرفت الرقابة الشرعية بتعريفات كثيرة نذكر منها

- تعريف شركة الراجحي المصرفية للاستثمار حيث عرفت " بأنها التأكد من مدى مطابقة أعمال المؤسسة المالية الإسلامية (شركة أو مصرف)، لأحكام الشريعة الإسلامية، حسب الفتاوى الصادرة والقرارات المعتمدة من جهة الفتوى". (11)

- الرقابة الشرعية على المؤسسات المالية والمصارف الإسلامية هي " هيئة مستقلة متخصصة دائمة تتولى فحص وتحليل مختلف الأعمال والأنشطة في جميع مراحلها في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية وكذا التحقق من مدى تنفيذ الفتاوى والأحكام الشرعية وإيجاد البدائل و الصيغ المشروعة المناسبة لما هو غير مشروع". (12)

ومن خلال هذين التعريفين يظهر لنا حقيقة الرقابة الشرعية، فهي تعتبر صمام الأمان في المصارف الإسلامية وهي التي تضبط أعمال المصارف وتبين مدى توافقها مع الأحكام الشرعية لأنه لا يمكن لأي مصرف أن يرفع راية مصرف إسلامي دون أن تكون أعماله متفقة مع الشريعة الإسلامية ولا يمكن أن يتم تحقيق تلك الدعوى بدون وجود هيئة رقابة شرعية.

**ثانياً: تشكيل هيئة الرقابة الشرعية:** إن تشكيل هيئة الرقابة الشرعية مرتبط بالقانون المصرفي لكل بلد وبالنظام الأساسي للمصرف الإسلامي، حيث نصت هيئة معايير المحاسبة والمراجعة ولضوابط للمصارف الإسلامية على ما يلي: (13)

- هيئة الرقابة الشرعية جهاز مستقل من الفقهاء المتخصصين في فقه المعاملات ويجوز أن يكون أحد الأعضاء من غير الفقهاء على أن يكون من المتخصصين في مجال المصارف الإسلامية وله إمام بطبيعة المعاملات.

- ويجب أن تكون هيئة الرقابة الشرعية من أعضاء لا يقل عددهم عن ثلاثة، ولهيئة الرقابة الشرعية الاستعانة بمختص في إدارة الأعمال أو الاقتصاد أو القانون أو المحاسبة وغيرهم. وتحكم عملهم لائحة تنظم اختصاصات الهيئة، وتصف عملها وتحدد لها مسؤولياتها وتمنحها الصلاحيات والسلطات المطلوبة لأداء مهمتها في التدقيق.

ولقد نصت المادة 93 من قسم المصارف الإسلامية على وجوب أن " تشكل في كل بنك إسلامي هيئة مستقلة للرقابة الشرعية على أعمال البنك لا يقل عدد أعضائها عن ثلاثة تعينهم الجمعية العامة للبنك، ويجب النص في عقد التأسيس والنظام الأساسي للبنك على وجود هذه الهيئة وكيفية تشكيلها واختصاصها وأسلوب ممارستها لعملها" (14) ونفس الشيء نص عليه قانون المصارف الإسلامية بكل من الإمارات العربية المتحدة، قطر، لبنان.

من خلال هذا نستنتج ما يلي:

لا يقل عدد أعضاء هيئة الرقابة الشرعية عن ثلاثة أعضاء

لا بد أن تتكون الهيئة من أعضاء متخصصين في الفقه الإسلامي، القانون المقارن، المحاسبة والاقتصاد الإسلامي بصفة عامة.  
قرارات الهيئة إلزامية وليست استشارية .

ومنه نستطع أن نقول أن هيئة الرقابة الشرعية عبارة عن هيئة مستقلة عن مجلس إدارة المصرف، يتم تعيينها من طرف الجمعية العمومية للمصرف ومكونة من عدد قليل من الفقهاء والمتخصصين في المجال المالي، المحاسبي والاقتصادي.

**ثالثاً: أهمية وجود هيئة الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية:**

للرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية أهمية بالغة لعدة أسباب أهمها:

أنها الجهة التي ترى مدى التزام المصرف بأحكام الشريعة الإسلامية.

إن وجود هيئة الرقابة الشرعية يعطي المصرف الإسلامي الصبغة الشرعية بنظر زبائنه وجمهور المواطنين الذين لا يتعاملون مع المصارف الربوية.

تتعدد وتتنوع العمليات المصرفية في مجال الاستثمار والتمويل مما يؤدي إلى وجوب الأخذ برأي هيئة الفتوى، مما يجعل وجود هيئة الرقابة الشرعية ضروري وملزم للمصرف الإسلامي .

#### رابعاً: مهام هيئة الرقابة الشرعية:

يمكن تحديد أهم مهام هيئة الرقابة الشرعية فيما يلي: (15)

- المشاركة في وضع التعليمات واللوائح ونماذج العقود الشرعية للمعاملات ومراجعتها وتصحيحها وإقرارها وتطويرها.

- الرقابة على أعمال المصرف الإسلامي للتأكد من مطابقة أعماله لأحكام الشريعة الإسلامية .

- تأمين الفقه الإسلامي في ميدان المعاملات المالية المصرفية، وإبداء الرأي الشرعي في الأنشطة الاستثمارية وتطبيق القواعد الشرعية على هذه الأنشطة.

- التوعية والتثقيف للعاملين في قطاع العمل المصرفي الإسلامي، إذ أن المصرف الإسلامي يحتاج إلى العاملين الذين يفقهون الأحكام الشرعية ويكونون على قدر معقول من الفقه في الدين وخصوصاً في ميدان المعاملات المصرفية الإسلامية.

- الفتوى من خلال الرد على الأسئلة والاستفسارات المقدمة لها سواء أكانت تلك الاستفسارات من العاملين بالمصرف أم المتعاملين معه أم المساهمين أنفسهم عند مناقشة الميزانية أو في الأوقات الأخرى.

- المساهمة في حل بعض الأزمات بين المصرف الإسلامي والآخرين سواء كان هذا النزاع بين المصرف والمستثمرين أو المساهمين أو بين المصرف والحكومة أو إحدى شركات القطاع العام أو الخاص أو الأفراد وغير ذلك من خلال هيئة تحكمه.

- الشهادة أمام الجمعية العمومية من خلال تقديم تقرير سنوي لها يعكس مدى مشروعية أعمال المصرف، وما قامت به هيئة الرقابة الشرعية وأساليب متابعتها ورقابتها للنواحي الشرعية، ومدى تجاوب الإدارة والعاملين لتوجيهاتها وقراراتها.

ومن أجل قيام هيئة الرقابة الشرعية بدورها فإنها تراقب المصرف الإسلامي على ثلاثة أشكال كما يوضح الجدول رقم 3.

#### - المحور الرابع: دراسة هيئة الرقابة ببنك الإثمار البحريني:

- تحتوي دولة البحرين على عدد معتبر من البنوك الإسلامية حيث قدر عددها إلى غاية 2011/ 10/27 ب 26 مصرف إسلامي ، تكمن أهمية هذه المصارف في الدور الذي تلعبه في مجال التنمية الاقتصادية، الاجتماعية بالمملكة بالإضافة إلى وجود مؤسسة مهمة بالمملكة البحرينية تقوم بإصدار المعايير المحاسبية والشرعية المتعلقة بالعمل المصرفي الإسلامي والتي تسمى بهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية التي قامت بإصدار 41 معيارا شرعيا مطبقة بالعديد من المصارف الإسلامية بالبحرين أهمها بنك الإثمار الذي سوف يكون محور دراستنا.

- **أولاً: التعريف ببنك الإثمار:** هو بنك إسلامي يعمل في مجال الأعمال المصرفية للأفراد ويتخذ من البحرين مقرا له، ومرخص من قبل مصرف البحرين المركزي، يحتوي على 11 فرعا و 28 صراف ألي وهو يتميز بالالتزام بأحكام الشريعة الصديق والنزاهة والموضوعية في جميع علاقاته التركيز على السوق والزبون.

- مع العلم أن معدل ملاءة رأس المال بالنسبة لبنك الإثمار ثم حسابه وفقا لتعليمات بازل 2 بداية من سنة 2007 ، كما أنه طبق البنك معايير IFRS خلال سنة 2007 و2008 لكنه تحول إلى تطبيق المعايير الصادرة عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية بداية من سنة 2009.

- و يتكون الهيكل التنظيمي للبنك من عدة مصالح كما يوضح لنا الشكل رقم 3 الذي من خلاله نلاحظ أن البنك يحتوي على هيئة الرقابة الشرعية التي يتم تعيينها من طرف المساهمين .

- **ثانياً: هيئة الرقابة الشرعية بالبنك:** تعتبر هيئة الرقابة الشرعية ببنك الإثمار هيئة مستقلة و هي تتكون من الأعضاء التاليين:

- يرأس هيئة الرقابة الشيخ عبد الله سليمان المنيع وهو احد ابرز علماء الشريعة والمعتد برأيهم من المملكة العربية السعودية، وهو نائب رئيس هيئة الرقابة الشرعية لهيئة المحاسبة و المراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية.

- العضو التنفيذي للهيئة هو الشيخ نظام يعقوبي وهو احد ابرز علماء الشريعة في مجال الأعمال المصرفية الإسلامية بمملكة البحرين.

- يعتبر الشيخ محسن ال عصفور عضو الهيئة وهو أيضا عضو في هيئة الرقابة الشرعية للوكالة الدولية للتصنيف الإسلامي التابعة للبنك الإسلامي للتنمية.

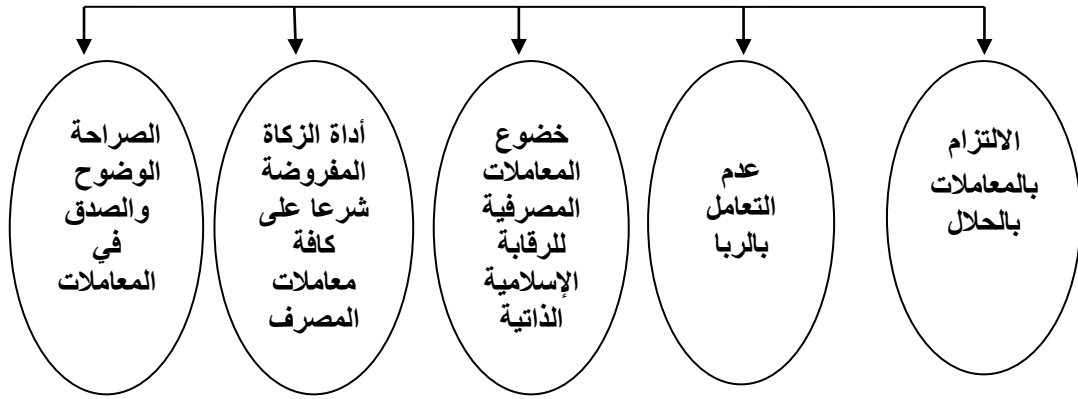
- مما سبق نستنتج:

- لقد التزم بنك الإثمار بتطبيق ما أصدرته هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية عن الحد الأدنى لأعضاء هيئة الرقابة الشرعية.
- كما إن أعضاء هيئة الرقابة الشرعية متخصصين في مجال الفقه، الأعمال المصرفية الإسلامية.
- ثالثاً: مهام هيئة الرقابة الشرعية ببنك الإثمار: تتمثل مهامها في:
  - إصدار الفتاوى والقرارات الشرعية المتعلقة بمنتجات وأعمال البنك ومتابعاتها من خلال إدارة الرقابة الشرعية الداخلية.
  - دراسة آلية التمويل المختلفة وإعداد مستنداتها مع الإدارات المختصة لتطوير المنتجات.
  - مراجعة الحسابات الختامية و بيان الدخل ومجمل الأعمال البنكية من خلالها.
  - ومنه نستنتج أن هيئة الرقابة الشرعية ببنك الإثمار تعمل على التدقيق في إلى أي مدى يطبق البنك الشريعة الإسلامية في معاملاته مع الزبائن.

#### - نتائج الدراسة:

- من خلال هذه الدراسة نتوصل إلى النتائج التالية:
  - تتعدد هيئات الرقابة الشرعية في البلد الواحد مما يؤدي إلى تعدد الفتاوى الصادرة عن الهيئة وهذا ما لحظناه على أرض الواقع من خلال تصفحنا للقوانين المصرفية للمصارف الإسلامية، وعليه لا بد من إنشاء هيئة للرقابة الشرعية تابعة للمصرف المركزي كما هو جاري في ماليزيا.
  - لا بد من إلزام هيئات الرقابة الشرعية اللجوء إلى هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية إذا اختلفت أعضاءها حول فتوى معينة أو اللجوء إلى وزارة الشؤون الدينية بالبلد والنص عن ذلك صراحة في القانون المصرفي.
  - لا بد من تنظيم العمل المصرفي الإسلامي وإنشاء المؤسسات المحلية والدولية من أجل نجاحه وتطويره خاصة وأن الاقتصاد الإسلامي أثبت مكانته خاصة بعد نجاحه في ماليزيا.
  - نشر الفتاوى الصادرة عن هيئات الرقابة الشرعية من أجل الانتفاع بها والعمل على توحيدها.

الشكل رقم 01 : مرتكزات قيام المصرف الإسلامي



المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على عدة مراجع

الجدول رقم 01 : حجم الصيرفة الإسلامية من إجمالي النظام المصرفي في بعض الدول

العربية لعام 2007

النسبة	البلد	النسبة %	البلد
15	السعودية	07	الأردن
14	قطر	30	الكويت
03	مصر	13	الإمارات
		07	البحرين

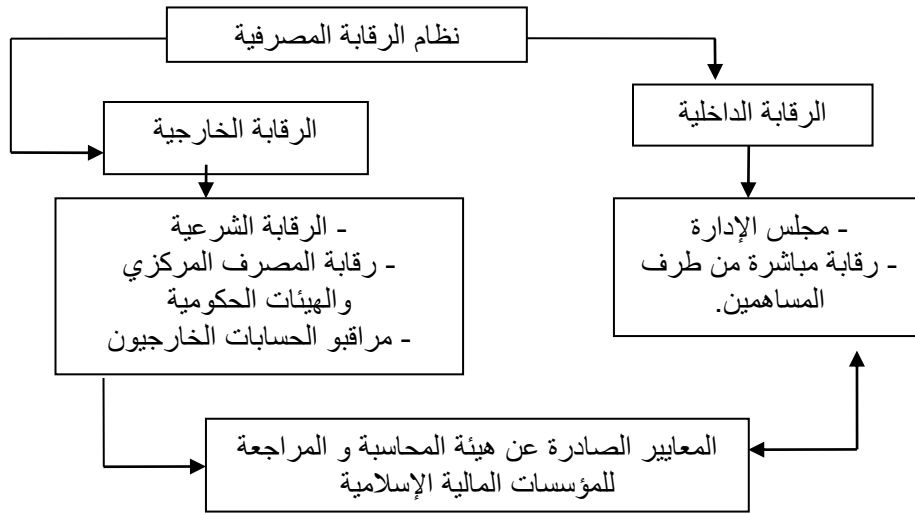
المصدر: تيسير رضوان الصمادي: التحديات والمنافسة في الصيرفة الإسلامية، المؤتمر الرابع للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية، سوريا، 1/2 مارس 2009 .

الجدول رقم 02 : توزيع المؤسسات المالية على المستوى الدولي

المنطقة	عدد المؤسسات المالية الإسلامية	قيمة الودائع	قيمة الأصول
الشرق الأوسط والخليج العربي	43	70 مليار دولار	85 مليار دولار
المنطقة الآسيوية	80	55.1 مليار دولار	8.3 مليار دولار
المنطقة الإفريقية	35		9.1 مليار دولار
أوروبا و أمريكا	8		952 مليون دولار

المصدر: عبد الحفيظ الصاوي: اندماج المصارف الإسلامية في عصر العولمة، دراسات اقتصادية، مركز البصيرة، الجزائر، العدد 9، جويلية 2007، ص 25.

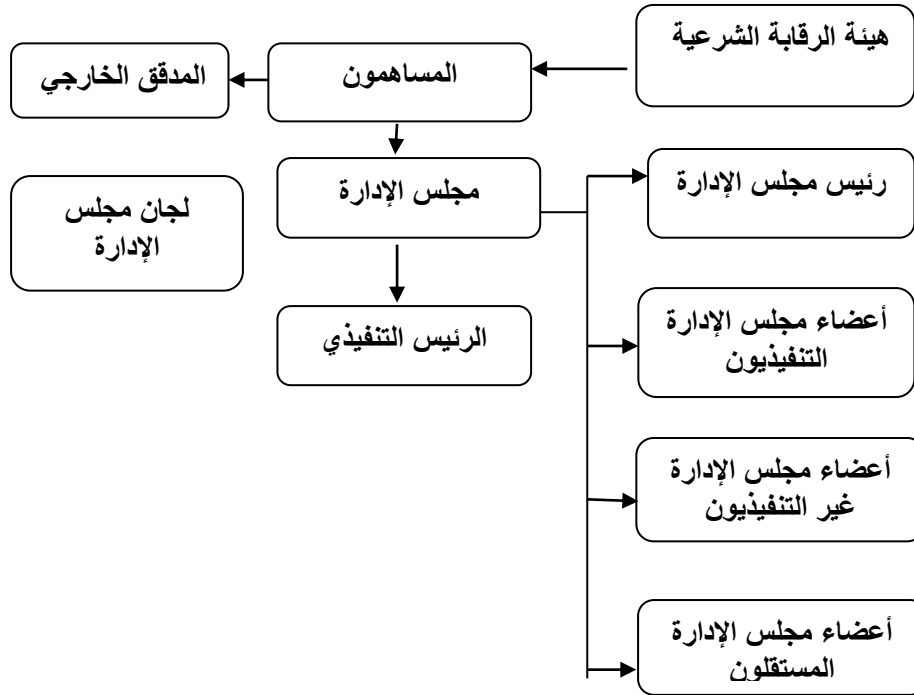
الشكل رقم 02: الرقابة المصرفية على المصارف الإسلامية



المصدر: من إعداد الباحثين

مهمتها	شكل الرقابة الشرعية
تقوم هذه الرقابة على إشراك هيئة الرقابة الشرعية في وضع نماذج العقود والاتفاقيات قبل تنفيذها.	الرقابة السابقة للتنفيذ أو الرقابة الوقائية
تقوم هذه الرقابة على مراجعة كافة معاملات المصرف الإسلامي للتأكد من التزامه في معاملاته بأحكام الشريعة الإسلامية.	الرقابة أثناء التنفيذ أو الرقابة العلاجية
وتتضمن مراجعة أعمال المصرف ومعاملاته للتأكد من مطابقتها لأحكام الشريعة	الرقابة اللاحقة للتنفيذ أو الرقابة التكميلية

الجدول رقم 03 : أشكال الرقابة الشرعية  
المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على عدة مراجع  
الشكل رقم 03 : الهيكل التنظيمي لبنك الإثمار





هوامش المادة العلمية:

1. ريمون يوسف فرحات: المصارف الإسلامية، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الأولى، لبنان، 2004، ص ص 30-31 .
2. جلال وفاء البدرى محمددين: البنوك الإسلامية دراسة مقارنة للنظم في دولة الكويت ودول أخرى، دار الجامعات الجديدة، مصر، 2008، ص 46 .
3. الهيتي عبد الرزاق، المصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق، ص ص 191-194 .
4. عبد الحميد محمد الشواربي، محمد عبد الحميد الشواربي: الدراسة القانونية والاقتصادية لأعمال البنوك، ص 184 .
5. عبد الرحيم ألقدمي، إيهاب نظمي: تطبيق المصارف لمقررات لجنة بازل الثانية المتعلقة بالرقابة الداخلية دراسة تطبيقية على البنوك العاملة في الأردن، مجلة العلوم الإنسانية، السنة الخامسة، العدد 36، 2008، مجلة إلكترونية [WWW.UJUM.NL](http://WWW.UJUM.NL) تاريخ الإطلاع 2008/1/16
6. عبد الغفار حنفي: إدارة السياسات المصرفية (تحليل القوائم المالية – الجوانب التنظيمية – البنوك الإسلامية و التجارية)، دار الجامعة الجديدة للنشر، مصر، 2002، ص ص 122-124 .
7. نفس المرجع السابق، ص ص 122-124 .
8. محمد الصغير قريشي، إلياس بن ساسي: الرقابة القانونية والإدارية على القطاع المصرفي حالة القطاع المصرفي الجزائري، مداخلة ضمن فعاليات
9. خالد أمين عبد الله: العمليات المصرفية الطرق المحاسبية الحديثة، دار وائل للنشر، عمان، 2000، ص 287 .
10. خالد أمين عبد الله: التدقيق والرقابة في البنوك، دار وائل للنشر، عمان، 1998، ص 67 .
11. حمزة عبد الكريم: الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية، دار النفائس، الأردن، 2006، ص 32 .
12. ريمون يوسف فرحات: المصارف الإسلامية، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2004، ص 181 .
13. عبد المنعم محمد الطيب: تقييم الرقابة الشرعية في ظل النظام المصرفي الإسلامي الشامل – التجربة السودانية – مداخلة مقدمة لمؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول، الإمارات العربية المتحدة، 31 ماي – 03 جوان 2009، ص 06 .
14. جلال وفاء البدرى محمددين، مرجع سابق، ص 175-176 .
15. محمد محمود العجلوني: البنوك الإسلامية أحكامها ومبادئها وتطبيقاتها المصرفية، دار المسيرة، الأردن، 2008 .



## عشية انضمام الجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة: ما هي الفرص التي يقدمها الذكاء الاقتصادي لتعزيز تنافسية شركات التأمين؟

### ملخص

لقد بات مؤكداً أن شركات التأمين كغيرها من المؤسسات الاقتصادية مجبرة على إنشاء الوظيفة - الأداة المتمثلة في الذكاء الاقتصادي، التي تعتبر خطوة مهمة في إعداد و اتخاذ القرارات الناجعة التي تعطيها استباقاً عملياً في مواجهة التهديدات وزيادة قدرتها التنافسية في سوق مفرطة التنافس. هذا التنافس احتمد بفعل عولمة الاقتصاد التي كرستها المنظمة العالمية للتجارة بتحرير المبادلات والأسواق بدون أي تمييز. وطبيعي أن يستشرف تخوف مشروع على شركات التأمين الجزائرية من خطر مائل يهدد بقاءها في ظل افتقارها لأي وظيفة للذكاء الاقتصادي عشية انضمام الجزائر للمنظمة العالمية للتجارة تحت ضغط منافسة شديدة مرتقبة من نظيراتها الأجنبية التي تملك تجربة في القدرة على الاستباق بفضل الذكاء الاقتصادي.

د. محي الدين شبيرة  
جامعة أم البواقي  
الجزائر

### مقدمة

**تعد** المنظمة العالمية للتجارة إحدى أهم قنوات العولمة، الضابطة للعلاقات التبادلية وسيورتها، والمقننة للسلوك الثنائي والجماعي لأعضائها، ضمن فضاء منفتح لتحرير المبادلات التجارية دون تميز وبصورة تدريجية عبر مفاوضات وخلق قدرة على التنبؤ بفضل توحيد الالتزامات والشفافية.

ولتعزيز المنافسة الشريفة وتشجيع التنمية والإصلاحات الاقتصادية فإن قطاع التأمين وعلى غرار بقية القطاعات الاقتصادية، لم يستثن من هذا التحول المستمر وأخضع لمبادئ النظام الجديد، بفتح سوقه على المنافسة، إذ لم يعد أمامه

### Abstract

The insurance companies, like any other economic institutions are obliged to create a job - the tool of economic intelligence, which is an important step in the development of effective and Tak Alorteurat given by anticipation practically in the face of Altahedida and increase their competitiveness in the market of excessive competition.

This competition has intensified due to the globalization of the economy, which enshrined the organization slang for the liberalization of trade exchanges and markets without any discrimination.

، لضمان بقائه غير قدراته الذاتية في التكيف مع هذه السوق المتحركة على الدوام، ونجاعة إستراتيجية في مواجهة المنافسة وتحسن صدقية ومصداقية توقعاتها في هذه المناخات المتعددة الأبعاد، والقدرة على التحكم في أدوات هذه الإستراتيجية.

وفي خضم التطورات الحاصلة في عالم المؤسسات ظهرت مع نهاية تسعينيات القرن الماضي أداة جديدة لوظيفة لا يمكن الاستغناء عنها في تعزيز القدرة التنافسية للمؤسسة واستقراء التنبؤات بواقع السوق بفضل

التوظيف الفعال للكم الهائل من المعلومات التي يفرزها أو يتوفر عليها هذا القطاع أو ذاك، ومعالجة وتحليل تلك المعلومات، وإنتاجها بالنعوية التي تسمح بتقديمها للمسيرين بالصورة وفي الوقت المناسب بما يكفل اتخاذ القرارات السليمة التي تخدم مصالح المؤسسة وهذه الوظيفة يطلق عليها اسم " الذكاء الاقتصادي " .

وفي إطار منطق هذه الأفكار يبرز لنا التساؤل المركزي التالي: " ما هي الفرص التي يقدمها الذكاء الاقتصادي لتعزيز تنافسية شركات التأمين " في عمومها، والشركات الجزائرية على الخصوص، في ظل منافسة شديدة مع شركات ذات إمكانيات وتجربة كبيرتين، وهي المنافسة التي لن تقف فيها الشركات الوطنية ( العمومية والخاصة) مع منافسيها الأجانب على قدم المساواة، خاصة وأن الجزائر على وشك انضمامها إلى المنظمة العالمية للتجارة وهي التي باشرت الجولة 12 مع أعضاء من هذه المنظمة الدولية.

وللإجابة على التساؤل المركزي ينبغي طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية بحيث تكون الإجابة عنها إجابات مرحلية عن إنشغالنا الرئيسي :

- ما هو الذكاء الاقتصادي.
- هل للذكاء الاقتصادي موقع في شركات التأمين.
- ما الدور الذي يمكن أن يلعبه الذكاء الاقتصادي في شركات التأمين.
- كيف يمكن لشركات التأمين الجزائرية أن تستخدم وتستفيد من الذكاء الاقتصادي.

وللإجابة على هذه الأسئلة وضعنا عدة فرضيات تكون قادرة على صياغة البناء المنطقي المرتقب لهذا المقال والتي يمكن تأكيدها أو نفيها خلال الإجابة على التساؤلات المطروحة وهذه الفرضيات وهي:

1- يمكن الاستفادة من الذكاء الاقتصادي في شركات التأمين.

Naturally, the project explores the fear of insurance compagnies from the Algerian a danger threatens their survival in the light of the lack of any function of economic intelligence on the eve of Algeria 's accession to the World Trade Organization under the pressure of an expected stiff competition from their foreign counterparts , which has experience in the ability to preemption by virtue of economic intelligence.

2- يقدم الذكاء الاقتصادي فرصا كبيرة لرفع القدرة التنافسية لشركات التأمين في الجزائر.

### 1 - تعريف الذكاء الاقتصادي

حصل شبه توافق آراء على أن الذكاء الاقتصادي هو خطوة ديناميكية تهتم كل المؤسسات المنشأة للحفاظ وزيادة نشاطها بواسطة الابتكار، والدخول لأسواق جديدة والحفاظ على القديمة في عالم اقتصادي يتسم بشدة التنافسية التي ترتبط بعوامل كثيرة التغيير مثل تحديد الحاجات وسلوكات المستهلكين، وشبكات التوزيع والدورات الإنتاجية والتكنولوجية، مما يفرض البحث عن كيفية التعامل والتحكم في البيئة المحيطة وفهمها .

وهذه الوقائع تستلزم الاطلاع على مجمل التغيرات والتكيف معها، والذي لا يمكن أن يتحقق إلا بفضل جمع المعلومات المتعلقة بهذه التغيرات لصقل معطياتها بفضل التحليل والمعالجة وتقديمها للمعنيين بهدف استئنيان الأخطار واستغلال الفرص مهما كانت طبيعة المؤسسة وحجمها، وهو ما يصب في تعريف الذكاء الاقتصادي.

المسجل أن الذكاء الاقتصادي شكّل ولمدة طويلة موضوع نقاشات نظرية وعملية وأول تعريف له كان سنة 1967 من طرف هارولد ويلنسكي Harold Wilensky (1) في مؤلف له: الذكاء التنظيمي وهو كالتالي:

الذكاء الاقتصادي يختلف عن الجوسسة الاقتصادية والصناعية لأنه ينتهي علينا ومن مصادر مفتوحة وبوسائل مشروعة : **اليقظة** ( حيازة معلومة إستراتيجية ذات الصلة) ، **حماية المعلومة** (الحساسة وغير العلنية) **والتأثير** (نشر معلومة أو معايير سلوك وتفسير التي تخدم استراتيجيتها) [Revelli.1998.47].

كما عرّفه بأنه نشاط إنتاج المعرفة الذي يخدم الأهداف الاقتصادية والإستراتيجية لمنظمة، بتجميع المعلومات وإنتاجها في سياق قانوني واعتمادا على مصادر مفتوحة.

تعريف هنري مارتر (2) Henry Martre : « الذكاء الاقتصادي هو مجموع العمليات المنسقة للبحث وعلاج وتوزيع المعلومة المفيدة لاستغلالها من قبل الفاعلين الاقتصاديين » [Martre.1994.11].

ويقصد مارتر بالمعلومة المفيدة بأنها تلك التي يحتاجها المسؤولون في مختلف مستويات اتخاذ القرار في المؤسسة أو الجماعة لإعداد وتطبيق بطريقة منسجمة، إستراتيجية أو تكتيك ضروري الكفيل بتحقيق أهداف المؤسسة، مع الإشارة إلى وجوب أن تكون مختلف العمليات الداخلة في سيرورة الذكاء الاقتصادي، مشروعة وتضمن الحماية الضرورية والحفاظ على موارد المؤسسة في أحسن الشروط الزمانية.

تعريف كريستيان هاربولو Christian Harbulot (3) « الذكاء الاقتصادي هو البحث والتفسير المنهجي للمعلومات المتاحة للجميع، بهدف فك مخفيات نوايا الفاعلين ومعرفة قدراتهم » [Harbulot. 2014].

وبالنسبة لهذا المتخصص فإن الذكاء الاقتصادي يتضمن كل عمليات المراقبة للبيئة التنافسية (حماية يقطعة وتأثير) وتختلف عن الاستخبار التقليدي بطبيعة حفل عمله وتطبيقه، حيث يقتصر على ميدان المعلومات المشاعة، ويتطلب احترام الأخلاقيات وتكون ذات مصداقية.

تعريف فيليب كليرك (4) Philippe Clerc « يشكل الذكاء الاقتصادي أداة مكتملة للتفسير الدائم لحقائق السوق، والتقنيات وأنماط التفكير لدى المنافسين والشركاء وثقافتهم ونواياهم وقدراتهم على تطبيقها » وبالنسبة لكليرك فإن " للذكاء الاقتصادي ثلاث وظائف تميزه وهي : التحكم في الرصيد العلمي والتقني والكشف عن التهديدات والفرص وإعداد استراتيجيات تأثير لخدمة المصلحة الوطنية و/ أو المؤسسة» [Clerc. 1995.195].

تعريف بيرنار بيسون (5) Bernard Besson وجون كلود بوسين (6) Jean- Claude Possin كان أكثر تحديدا ووجهة على أن « الذكاء الاقتصادي هو أداة بإمكانها الكشف عن التهديدات والفرص من كل الأنواع في سياق المنافسة المشددة، فهو، وقبل كل شيء، لقاء بين الجهل وإرادة التخلص من هذا الجهل فهو إرادة لترجمة هذا الجهل إلى أهداف » [Besson.1998.28].

كريستيان ماركون (6) Christian Marcon ذهب في أطروحته إلى أن « الذكاء الاقتصادي هو تصميم التسيير الاستراتيجي الذي يبحث عن تعزيز، بصورة عامة، العلاقة بين التنظيم والبيئة، بواسطة ذكاء جماعي مستمر، وإعلام مفتوح يميز هذه العلاقة» [Marcon.1997.28].

تعريف بيير فايارد (7) Pierre Fayard: « الذكاء الاقتصادي يغطي كل إستراتيجية علاج واستعمال المعلومة في خدمته لديمومة وتنمية المؤسسة، فهو يطبق أساليب وإجراءات جماعية للاتصال لإثراء المعرفة الإستراتيجية للمؤسسة وتحويلها فيما بعد إلى مقدره » ، وهو حاصل نوعية التفاعل النشط بين مشروع المؤسسة وبيئاتها المفيدة، في ظل عدم اليقين في المستقبل» [Ebelmann.2003.40]. أما بير ليديرير

(8) Pierre Lederer فيرى بأن « الذكاء الاقتصادي يتضمن كل وسائل الدفاع عن التراث المعلوماتي للمؤسسة ، وأنه يمكن أن نستلهم مما يتوجب القيام به من زملائنا في ميدان اليقظة الإستراتيجية، حيال المنافسة أو في ميادين أخرى، لأن هذا قد يسمح بالتوقع والاطلاع على ما قد يخلق التراث المستقبلي لمجتمعنا، وأنه تقاسم وتوفير المعلومات في الزمن الحقيقي و للجمهور العريض وأن الفخ الواجب تجنبه هو الغرق في التيار الجارف لكم المعلومات الواردة من مصلحة اليقظة الداخلية، ومن العالم بأسره أو عن طريق الويب Web» [Lederer.2013.40].

« إن كلمة الذكاء الاقتصادي تعني مجموع العمليات المنسقة لجمع وإنتاج وتوزيع المعلومات المفيدة للأعوان الاقتصاديين لاتخاذ القرارات ذات الصلة وقيادة الناجعة لاستراتيجية المؤسسة ، ومن خلال طرق تحليل المعلومات القاعدية والتعرف على معايير الكفاءة في مؤسسات القطاع benchmarking (9) ، وتسيير مجموع المعارف إلى جانب اليقظة : الاستراتيجية ، التكنولوجية والتجارية بغية تحسّن الفرص ومزايا المقارنة وشروط نجاح المؤسسة .

وتطور الذكاء الاقتصادي يتطلب تساؤلات عن تطور أشكال النشاط الداخلي التنافسي وبيداغوجيا استراتيجية المنظمة وطرق التنقيب والبحث عنها» [ Jakobiak 26 . 2006].

و« كممارسة فإن الذكاء الاقتصادي هو مجموعة معارف ومدارك عملية تركز على محورين هما: دفاعي - هجومي من جهة والكشف عن التهديدات والبحث عن الفرص من جهة أخرى.

أولى هذه المعارف هو اليقظة المتمثلة في نشاط جمع المعلومات بهدف تحليلها ، على أن يقدم منتوج معالجة المعلومات إلى اصحاب القرار، وثاني المعارف هو الأمن الاقتصادي أي الأمن والوقاية وحماية الرصيد المعلوماتي» [ Soisson.2010.18 ] .

ويمكننا الوصول إلى أن « الذكاء الاقتصادي هو مجموع العمليات المنسقة والمشروعة بهدف جمع ومعالجة وتحليل المعلومات المتعلقة بحقائق السوق لكشف التهديدات المتنوعة في سياق المنافسة، في ظل احترام الأخلاقيات، وبالتالي فهو يعتمد على ثلاثة عناصر هي المعلومة والبحث عنها والمستعمل لها .

كما هو أداة مكتملة للتفسير المنهجي للمعلومات المتوفرة وتصميم التسيير الاستراتيجي لتعزيز العلاقة بين المؤسسة وبيئتها المتعددة الأبعاد، بفضل ذكاء جماعي متواصل لتقليص حصة عدم اليقين في التعامل مع السوق التنافسية باتخاذ القرار الصائب، الكفيل بضمان ديمومة المؤسسة مع الإشارة إلى أن الذكاء ليس مجرد جمع المعلومة بل هو وجوب جعلها في المتناول، بالإضافة إلى وجوب أن تتسم الرسالة ( الموجهة لأصحاب القرار) بالوضوح التام ، وتوجه إلى الشخص المعني فعلا، وإلا فإن المجهود سيذهب سدى، وبالتالي فهو فن أن يكون المعنى ذا مصداقية ومقنع في مواجهة عمى بعض الفاعلين في السوق. (10)

## 2 - المعلومة والذكاء الاقتصادي في المؤسسة

« إن عصر المعلومات والاتصال وضع مجتمعات كل الدول، مهما اختلفت درجة تقدمها، أمام تحديات كبيرة تواجه كل الأعوان الاقتصاديين على المستوى الكلي

(الدولة) وعلى المستوى الجزئي (المؤسسة) وهو المعلومة المفيدة لهؤلاء الأعوان، مما دفع بعض الحكومات إلى إصدار تشريعات لإقامة نموذجها الخاص الذي يأخذ بعين الاعتبار مجموع العوامل الإستراتيجية المرتبطة بعولمة الاقتصاد» [Portait de L'IE. 2013].

والمؤسسات مطالبة في ظل التحولات الكبرى التي يعرفها مناخ نشاطاتها الاقتصادية منها والجيوسياسية والتكنولوجية، أن ترتقي إلى القدرة على توظيف المعطيات المتوفرة لديها لإثبات جدارتها في البقاء في سوق تنسم باشتداد المنافسة فيها، وتعاطم الأخطار فيها، أين تلعب المعلومة وحسن توظيفها دورا مركزيا في هذه المنافسة، مع التطور الهائل لتكنولوجيا المعلومات والاتصال في الزمان والمكان، والذي يجعل هذه السوق أكثر تنافسية، ومحيط هذه المؤسسات أكثر تعقيدا وتحركا وقل وضوحا.

وهكذا وجدت المؤسسات نفسها في ظل هذه المعطيات الجديدة أمام أخطار جديدة يزداد ثقلها وأثارها على سيرورة نشاطها واستمراريتها وفي مقدمتها التوسع الجغرافي لمحيطها التنافسي بفعل عولمة الاقتصاد ودخول منافسين كبار إلى سوقها كنتيجة طبيعية لتطور القواعد الضابطة للتجارة الدولية والتي تقتص (أو تعدم) الحماية الجمركية و أيضا لظهور إشكال جديدة للوبيهات الدول والشركات الكبرى .

ومما سبق فإن الذكاء الاقتصادي ليس مجرد البحث والحصول وتجميع المعلومات، بل هو أيضا كيفية فرز ترتيب واستخدام هذه المعلومات لمساعدة المسيرين على اتخاذ القرارات المناسبة لمواجهة الأخطار وفي نفس الوقت للبحث عن فرص التوسع في الأعمال والاستثمار المجدي، ويات مذهبنا عمليا يمزج بين علاقات عوالم المعلومات والاستراتيجية والاستعلام والاقتصاد أي التحكم وحماية المعلومة الاستراتيجية بغاية ثلاثية الأبعاد : المنافسة الحماية والاستمرارية في السوق .

وهكذا ترتسم أمامنا ثلاثة أبعاد مترابطة لممارسة الذكاء الاقتصادي الجماعي وجعله وسيلة لتعزيز أداء المؤسسة، بصورة دفاعية وأيضا بصورة هجومية.

- جمع المعلومة، حمايتها ونشرها.
- تحديد المعلومات المفيدة.
- التحكم في تدفق المعلومات.

ومن جهة أخرى فإن تطور التكنولوجيات الحديثة للإعلام ووسائل الاتصال وضعت المنافسين الكبار في موقف قوة لدخول الأسواق الواعدة والناشئة والتصدير إليها لأنها تتمتع بانخفاض تكاليف اليد العاملة وإمكانية نقل نشاطاتها إلى هذه الدول والتي هي في عمومها الدول النامية، مما يتعين جمع المعلومات المفيدة وحسن توظيفها لمواجهة المنافسة المحتملة من داخل هذه السوق أو الوافدين الجدد إليها .



بالإضافة إلى أن « المؤسسات تواجه أخطارا ناجمة عن تسريع تطور الأسواق، والناجمة عن تسريع الابتكارات في الكيفيات والمنتجات و تجزئة الطلب، دون إسقاط تنوع العوامل التي بإمكانها التأثير على المؤسسة وأسواقها» [Ebelmann.2003.45] والابتكار يبقى في شركات التأمين محرك المؤسسة ومصدر التمايز في السوق.

« إن الابتكار يشمل عمليات أوسع من البحث والتنمية ويتطلب ذكاء اقتصاديا متقدما ليتمكن من تغطية مجموع المراحل الضرورية لجمع المعلومة والتعامل معها لجعلها مفيدة ، وفق مختلف أوجهه وهو الدور الذي تلعبه كل من اليقظة التنافسية ، اليقظة التسويقية واليقظة الاستراتيجية .

وتسيير الابتكار يعد غاية سيرورة الذكاء الاقتصادي المشكّل والقائم عمليا ( شبكة معلومات مركزية ومسؤول منسق ... ) لتحقيق هدف المؤسسة وهو معالجة النواقص التي تظهر في سلسلة القيم كما يساهم في خلق قيمة إضافية ، وبالتالي الرفع من كفاءة المؤسسة وتحسين وظائفها ومنها ضمان ديمومتها وظائفها ومنها ضمان ديمومتها « [ Baumard 2009. 19].

« ليكون وسيلة تسمح للمؤسسة باستباق تطور السوق والمنافسين والتقنيات أي وسيلة لاستراتيجية المؤسسة وباختصار كما يقول المختصون " نتعلم لنفهم ونفهم لنتصرف" « [Denoyelle, Bourgogne .2012.72]

هذا يرسخ فهما بأن عالم الأعمال يتغير الآن في بيئة شاملة ، يمكن أن يتأثر بغير مؤثرات مجالها المهني الطبيعي، والتي تعتبر من بين التهديدات التي تشكلها ظاهرة العولمة ، حيث تحمل هذه التغييرات فرصا أيضا بفضل أثر اقتصاد المعرفة على بيئة الأعمال ومعاييرها وأخلاقيها الجديدة ( الحوكمة، المسؤولية الاجتماعية للشركات RSE والتنمية المستدامة ... ) والظهور القوي للوافدين الجدد على السوق.

ولا يختلف اثنان حول مدى تأثير المؤسسة (المنتجة للسلع أو الخدمات) بعدة عوامل خارجية، منها تذبذب الطلبات، عدم وضوح الرؤيا، ارتفاع التكاليف هشاشة المومنين، تقلب المستهلكين، دورة حياة المنتج التي تزداد قصرا تغيّر القوانين، عدوانية المنافسين، التي قد تدفع المؤسسة إلى اللجوء إلى ممارسات غير مشروعة حيالها أو حيال غيرها من العوامل التي يتوجب عليها أخذها بعين الاعتبار سريعا، واتخاذ إجراءات ملائمة للمواجهة.

ويقول ستيفان روسنفالد Stéphane Rosenwald (11) : « أنه من المتوجب التذكير هنا بإحدى أكبر عُملات مجموعة MITSUI ، ومفادها أن المعلومة هي دم المؤسسات، وهي استعادة تكشف عن الأهمية الكبرى للمعلومة وحسبه فإن المعلومات

القاعدية تشبه كثيرا النفط الخام، حيث تتطلب التكرير وإلا فهي غير قابلة للاستعمال ولا تصلح لشيء» [ Rosenwald 2013. 2].

ويقول فيليب بيرو (12) Philippe Beraud : إننا نستقبل على الدوام كما هائلا من المعلومات، لكن أي من هذه المعلومات الأساسية سيساعد المجموعة على البقاء أو الاستفادة لأن الذكاء الاقتصادي يستخدم في محاولة الوقاية من التهديدات، ولكن أيضا تحسين فرص الأعمال» ، ويفهم من هذا التناول أن حيازة تحليل ثم معالجة وتوزيع المعلومات على الأفراد المتعين عليهم الاطلاع على المعلومة ذات الصلة والوثيقة بالموضع هي التي تسمح بتحسين الأداء لدى المؤسسة [ Beraud .2008].

وهذه الأبعاد المترابطة تستدعي كفاءة الأشخاص المتلقين لهذه المعلومات، وإدراكهم لفائدتها وأهمية استعمالها، بالإضافة إلى التعامل الناجع مع هذا الكم من المعلومات المجمعة، وتعلم كيفية تنقيحها وإثرائها وحسن استخدامها، والتأكد من التعامل مع كل المعلومات ومن مدى صحتها ودقتها، مما يستدعي يقظة صارمة في مصدر هذه المعلومة وطبيعتها، خاصة وأنه بات من الضرورة بمكان، التحقق من أن لا تتحول هذه المعلومة إلى خطر في ذاتها بسبب عدم صحتها أو عدم صدقيتها ، في ظل التزامم الكبير للتدفقات الهائلة للمعلومات عبر وسائل الاتصال الحديثة وعلى رأسها الانترنت، مما جعل بيير إيف كاربانتيني Pierre Yves Carpentier يذهب إلى أبعد من ذلك بالقول : « إن الشك هو يقيننا الوحيد، رغم كل (13) ذلك و" أنه يتوجب علينا أن نكون يقظين على الدوام " ، فيما يتعلق بمدى مصداقية وصحة المعلومات المجمعة والمراد استعمالها، إذ أن المؤسسات تجمع يوميا وعلى الدوام معلومات اقتصادية، ولو أن العملية ليست رسمية أو مرسمة ، إلا أنه من يتوجب علينا القيام بذلك يوميا، وإلا فإن مؤسساتنا لن تنجح، وببساطة فإن الأمر حيوي» [Dufrene et autres .2013].

وما يجب عدم تناسيه هنا أن جمع المعلومات ( في الدول المتقدمة) لم يعد من المحرمات فقد أخرج من تحت سقف التجسس الاقتصادي أو التجاري، حيث باتت المعلومات في يومنا الحاضر عمومية ومتوفرة وبصورة علنية ومشروعة، **ويكفي لمن يريد أن يعرف ماذا يريد وأين يجد ما يريد** ، وكيفية التعامل مع هذه المعلومات، وحسن معالجتها وتوظيفها في الزمان والمقام الملائمين، إذ لم تعد هناك أهمية للدلالات اللفظية لأي مصطلح أو عملية أو طريقة، وأن الأهمية القصوى تمكن في استعمال هذه الوسيلة أو المصطلح بصورة أكثر نجاعة وأداء من المنافسين في السوق .

إن كل ما سبق يؤكد حقيقة أن المعلومة باتت عصب الحرب التنافسية، وهذا العصب لا يمكن التحكم فيه واستخدامه في مواجهة المنافسين إلا بواسطة الذكاء الاقتصادي الذي بات غيابه موضع عدم ثقة وتخوف لدى كل المؤسسات في عمومها

وهو ما ينسحب على شركات التأمين، وهذا التخوف دفع الشركات والمجموعات الأجنبية إلى ممارسة دون عقدة، بعدما تبين وبكل وضوح أن هذه الوسيلة ليست فقط مفيدة بل مهمة جدا لحد تتوقف عليها ديمومة المؤسسة وقدرتها التنافسية في سوق شرسة يبعثون فيها الداخلون إليها استعدادهم ووسائلهم لضمان البقاء وجذب أكبر عدد ممكن من الزبائن المحتملين، بفضل ذكاء اقتصادي مستمر ودائم ومتحدد يمارس في الوقت الحقيق ليساهم في صنع القرار السليم في الزمن المطلوب.

وهكذا بات مسيرو المخاطر (Risk manager) مقتنعين بمساهمة الذكاء الاقتصادي في تعزيز القدرة التنافسية للشركة وديمومة بقائها، وأيضا في ممارسة المهنة، فإنه يتعين على هؤلاء المسيرين أن يقتنعوا أصحاب القرار النهائي الداخلي بوضع هيئة متخصصة ومكلفة بهذه المهمة على الدوام، لتكون عين المؤسسة المفتوحة لرصد التقلبات والاحتمالات.

يقول رفايل دانجو (14) Raphaël Danjou « إن كل المؤسسات يتعين عليها وجوبا أن تستعين بالذكاء الاقتصادي، لكن ليس بإمكان كل المؤسسات أن تنشئ هذه الوظيفة لأنها مكلفة، ويتعذر تقدير مردود رأس المال المستثمر (ROI: Return on investment) ومع ذلك فإن هذا ليس أكثر من ذريعة حيث ان المؤسسات تؤمن ضد أخطار وهي لا تعلم فيما إذا ستستعيد أموالها عند الكارثة المقبلة، وعليه فالذكاء الاقتصادي يعد بمثابة تأمين ضد كل الأخطار، وان المردود ROI يمكن حسابه بسلسلة القيم المكتسبة وبالفرص المتحققة في السوق وتحسين الصورة» [Danjou. 2013].

إن تصور ترسيم هيئة للذكاء الاقتصادي لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار أن المؤسسة تبقى تحت تأثير المنعكس الشرطي المكتسب منذ مدة الذي يضع تفكير الموظفين في قناة النظر إلى الهيئة على أنها مجرد أداة يستعان بها، مما يستدعي إعادة رسكلة المساعدين المعنيين بالعملية، لخلق مزاج جديد لديهم بما يجعلهم ينخرطون في العملية بصورة حيوية وشخصية ينمي فيهم الفضول والسعي الدائم للحصول على معلومات جديدة، لكن ضمن روح عدم الاستحواذ على الوسيلة وتقديم المعلومة بدون تمحيص أو تدقيق، لأن هذا سيقول من نجاعة المعلومة ومن فعالية الهيئة، وبالتالي إهدار الجهود المبذولة في هذا الإطار كما يتعين عدم النظر إلى هذه الهيئة ومهامها على أنها نوع من الترف بل ضرورة مؤكدة وتناول شامل ودائم لمحيط المؤسسة ومناخ سوقها.

وفي ظل هذه المقاربة، فإنه من المهم جدًا أن يترجم تأسيس هذه الهيئة - الوسيلة بالسعي الحثيث لتفعيل حركيتها والتلمس الجيد لما يراد منها، ومعرفة أين نجد ما نبحث عنه، والتحقق من مدى مصداقية وصدق ما نحصل عليه، وإلا بات مجرد تجميع ميكانيكي لكم هائل من المعلومات دون فائدة منها.

ومن جهة أخرى فإنه من المتوقع على هذه الهيئة وموظفيها الاتصاف بالمرونة والمقدرة المطلوبتين على التعامل مع المعلومات على أنها حقائق لا تتمتع بصدقية مطلقة ولا ثبات دائم، بل تتغير بتغير المحيط والزمان والمكان، مما يستدعي الحرص على حسن توظيفها في الزمان والمقام المناسبين لتكون معطيات يمكن الاعتماد عليها في اتخاذ القرار، وهو ما يسمى بإنتاج المعطيات وحسن حمايتها وتسهيل الحصول عليها وجعلها واضحة دون أي غموض، وحسن استغلالها بدءا بتسليمها إلى الشخص المعني بما يسمح بمساعدة المسيرين على اتخاذ القرار الصائب الذي يخدم المؤسسة ومصالحها واستمراريتها وحمايتها في سوق تنافسية، بفضل فن الذكاء الاقتصادي ومصداقيته وقدرته على الإقناع لتحسين الخطر القادم الذي نهله اليوم رغم كل أعراضه وإشاراته.

## 2 - 1 - في شركات التأمين : ثنائية الذكاء الاقتصادي وتسيير الخطر:

وبالنسبة لشركات التأمين فإن التحدي هو كيف يمكن توظيف الذكاء الاقتصادي وحمله على أن يصبح أداة مهمة جدا في انجاز وظيفتين أساسيتين وتحريك هذا القطاع الحساس والاستراتيجي .

وفي هذا السياق فمن المهم للمنظومة التأمينية عموما وشركات التأمين خصوصا الإجابة على سؤال: كيف يمكن جعل الذكاء الاقتصادي يزيد فعالية إستراتيجية الشركة في ميدان تسيير الأخطار.

واضح هنا أن شركات التأمين مطالبة ضمن إستراتيجية ضمان البقاء في سوق تتميز بتنافسية عالية أن تتمكن من إيجاد التوليفة التي تخلق التوافق الايجابي والناجح بين الذكاء الاقتصادي وتسيير المخاطر وبمعنى آخر وضع الرؤيا الفعالة للدور المضبوط الذي يلعبه الذكاء الاقتصادي في المنظمة (المؤسسة) كونه دور مهم ومساهمته في الحوكمة الجيدة وحسن تسيير الأخطار، وذلك عبر تعزيز حركية النقاط الأربع: إزالة (إقصاء) تقليص، قبول ونقل الخطر، بصورة تعزز القوة التفاوضية لشركات التأمين وتنافسيتها في سوق تتعامل مع حقائق اقتصادية في غاية الأهمية، ومعطيات إستراتيجية لها تأثير كبير على مجمل قطاعات الاقتصاد على المستويين الوطني والدولي، وهو التوسع الذي يرفع من احتمالات تحقق الأخطار وتنوعها ومصادر حدوثها.

لقد بات مؤكدا لدى قياديي شركات التأمين وأصحاب القرار فيها أن للذكاء الاقتصادي مساهمة كبيرة في ممارسة مهامهم وأداء وظائفهم، وأيضا في حماية مؤسستهم، مما يتعين عليهم البدء في قطع الخطوة الأولى والمتمثلة في إرساء القناعة الداخلية بهذا المسعى – الأداة.

وفي هذا المضمار يؤكد جون فيليب ريهل (15) Jean Philippe Riehl « إنه يتعين على مسيري شركات التأمين أن يكونوا مقتنعين بضرورة إرساء سيرورة هذا

الأداء على الدوام، لأن مرحلة الأزمة أو الشدائد ستكون محفزا ودافعا لهذه الوظيفة.... حيث أن الذكاء الاقتصادي يوفر مفكا للرموز، وردا فعلا، فيما يذهب بييرليديري إلى أن " الأمر يتعلق بحالة مزاج، فإذا لم يكن هناك فضولا، ومشاركة شخصيا، فإن المتعاونين سيضحون متخمين بضجيج المحتوى العميق دون استعمال المعلومة» [Dufrene et autres, 2013].

والملاحظة في شركات التأمين أن تصور إرساء خطوة للذكاء الاقتصادي يترافق مع رد فعل هذه الشركات التي ترى في هذه المهمة على أنها مجرد أداة، مما يستدعي السعي الحثيث لتكوين المتعاونين والمساعددين على حسن أداء هذه الوظيفة المهمة جدا في إستراتيجية المؤسسة وضمان ديمومتها في سوق تنافسية.

وما لا يجب إسقاطه من الحساب هو أن عدم التحكم في هذه الأداة وعدم الاهتمام بأهمية المعلومات وتسليمها في وقتها، فإن كل الجهود ستذهب سري، وعليه يجب الاستدلال والبرهنة لأعلى مستويات التسيير واتخاذ القرار في شركة التأمين أن الذكاء الاقتصادي هو ضرورة حقيقية وتناول شامل ودائم.

وهكذا، فإن الذكاء الاقتصادي يعتمد على ثلاثة عناصر أساسية وهي المعلومة، عملية البحث عنها والمستعمل لها ، كرسيد وعنصر إنتاج وأساس إنشاء هذه المصلحة الخاصة بعلم المعرفة هذا ، والتي تعتبر أداة وحينما توضع يصبح من الضروري أن يتصف الموكلفون بالمهمة أن يلتمسوا الجدية في تفعيلها من خلال معرفة مصدر هذه المعلومة ( أين يجب البحث عليها ) وحسن اختيار المهم منها ( المعلومة المفيدة ) من بين الكم الهائل لهذه المعلومات أو ما يسمى بـ " السمنة المعلوماتية infobésité " بالإضافة إلى التمتع بميزة الليونة أو المرونة والقدرة على التساؤل الدائم عن الجديد، ومواضبة الشركة على تجنيد هؤلاء المكلفين لإنتاج معطيات وأيضاً حمايتها، لتكون المؤسسة في مستوى التحدي والرهانات الكبرى في هذه السوق الشديدة المنافسة شريطة أن تتسم هذه المعطيات بالوضوح والبساطة وتسليمها في الوقت المناسب، لمساعدة المسؤولين في المؤسسة على اتخاذ القرارات المنافسة لاستباق الأوضاع غير المناسبة بناء على المعلومات المجمعة، مع الحرص على حماية معطياتها ومعطيات زبائنها لكي لا تتحول إلى خطر في ذاتها.

## 2 - 2 - كيف يُوَأَمُّ الذكاء الاقتصادي مع تسيير الأخطار؟.

وفي سياق بحثنا من المهم طرح هذا السؤال المحوري ، وهو كيف يمكن مواءمة الذكاء الاقتصادي مع تسيير الأخطار في شركات التأمين .

إذا كان وقفنا على حقيقة أن هناك العديد من التعاريف للذكاء الاقتصادي فإن نفس التراكم المعرفي يعرفه تحديد ماهية تسيير الخطر Risk management ، حتى وإن كان النشاطات يلتقيان في المهم .

بالعودة إلى ماهية تسيير المخاطر في المؤسسات المالية عموما وشركات التأمين خصوصا فهو يعني تقدير الأخطار المحتملة المحدقة بالمؤسسة، والسعي لتقليل احتمالات وقوعها، بجمع المعلومات المتعلقة بالعوامل المؤثرة في استقرار و سلامة الوظيفة و تقديم الخدمات أو الموقع في السوق أو نشاطات المؤسسة وتحديد هذه الأخطار والتعرف عليها ووضع إجراءات مواجهة كل الاضطرابات التي قد تتعرض لها أو وضعها أو نشاطها، بناء على تقرير مدروس لكل هذه الأحداثيات ليكون عاملا حاسما في اتخاذ أي قرار.

وفي شركات التأمين فإن هذه الأخطار متعددة ومتنوعة منها: الأخطار التجارية الأخطار العملية الأخطار المالية، الأخطار القانونية والضريبية، أخطار المحيط، أخطار الموارد أخطار الاستثمار، الأخطار المؤمن عليها، أخطار المؤمن لهم، الأخطار السياسية، أخطار السوق، أخطار المنتجين وقدرتهم الاستيعابية.

إن تخفيض الحوادث ضمن تسيير الأخطار هو خطوة آلية كلاسيكية في مسعى تقليل احتمالات تحقق الحادث، بهدف تخفيض حدة الأخطار وجسامتها ، وبالتالي فإن مفهوم الحادث لا يسمح بتحديد الأوضاع غير اليقينية والتعرف عليها، ومنه عدم القدرة على ضبط الكيفيات ووسائل اتخاذ القرار بقدر ما يكون الإلمام بالحادث وسيلة من عدة وسائل لرسم سياسة مواجهة شركة التأمين للأخطار المحتملة المحدقة بها.

يقول روزنفالد Rosenwald : « إن التكامل بين تسيير الأخطار والذكاء الاقتصادي وارتباطهما، حقيقة واضحة، فهما بطبيعتهما متقاطعان، وفي بعض الحالات فإن الذكاء الاقتصادي يغذي تسيير الأخطار بصورة طبيعية » [3.2013 Rosenwald] وهذا يعني « أن الذكاء الاقتصادي يتعدى دور جمع وتحليل ومعالجة المعلومات وتقديمها في الوقت المناسب لمتخذي القرار في المؤسسة ليتمكنوا من ضبط الإجراءات واتخاذ القرارات المناسبة ، وفي الوقت المناسب المساعدة على ديمومة المؤسسة ومواجهة المنافسين، بل « يكون في خدمة شركة التأمين وكل كياناتها وأيضا إجمالي المكتتبين والمؤمنين لديها» [Beraud. 2008].

وهكذا وحتى وإن كان الذكاء الاقتصادي وتسيير المخاطر نشاطين مختلفين إلا أنهما متكاملان، لأن جمع معلومات عن زبون هو من باب الذكاء الاقتصادي قبل أن يكون من باب تسيير المخاطر، غير أن قاسمهما المشترك أو همّهما المركزي هو الشك على الدوام ومبادلة المعلومات، بالإضافة إلى أن كلا منهما يقوم بيقظته الاستراتيجية من زاوية تخصصه ومهمته بشأن المنتجات، الأسواق والتطابق مع القانون.

### 2 - 3 - لماذا الذكاء الاقتصادي في التأمينات ؟

مع ظهور الأقطاب الجديدة مثل الصين، الهند، روسيا والبرازيل، أصبح الذكاء الاقتصادي بالنسبة للمؤسسات وظيفية أداة، أكثر منها حرفة ، تمثل رهانات إستراتيجية، وسباق على تحسين أدائها بحكم أنها تتعامل على الدوام بمعلومات حساسة ومتغيرة لزيادتها وعليه فإن السمسة والتأمين هما المعنيان بالدرجة الأولى بهذا الفرع من اقتصاد المعرفة.

يقول جيرار مينيرو Gérard Ménéroud (16) « في سياق إعادة تحديد الأدوار بين مختلف الفاعلين في المهنة، فإن المؤمنين، السماسرة ومعيدي التأمين يساءلون عن قدراتهم في تسيير وحماية معطيات حساسة إن العمل المبدع والخلق في هذا الشأن يركز على خمسة عوامل هي :

1. تسيير المعارف.
2. الابتكار ووضع مشاريع .
3. الذكاء الاقتصادي.
4. المعلومات العملية.
5. الفضاء المحدد للداخلين للسوق (إقليمي، جهوي أو دولي) «[2008].

[Ménéroud].

إن الهدف من هذا العمل الخلاق والمبدع هو فرز المعلومات، تحليلها وإعطائها معنى لمساعدة مستعملي هذه المعلومات على اتخاذ القرارات الجيدة والمرور إلى الفعل بما يخدم مصلحة المؤسسة ويقوي قدرتها التنافسية، وإعادة تنظيمها بطريقة تسمح بالتعامل الجيد مع المعلومات وحسن توظيفها ليسمح لها بتشخيص الفرص التجارية وابتكار حلول على المقاس.

وهذا المبتغى غير قابل للتحقيق إلا من خلال إبراز ديناميكية اليقظة الإستراتيجية ( كقاعدة مرحلية لنجاح الذكاء الاقتصادي ) بما يفيد في جذب مؤمن لهم جدد من الوعاء التأميني، وزيادة القيمة المضافة لشبكة الإنتاج في شركات التأمين حتى يساعدها على الاستمرار ومواجهة المنافسة .  
ويحرص السيد مينيرو على تأكيد أن الحوكمة الجيدة لتسيير الأخطار يجب أن تتجسد من خلال أربع نقاط مهمة: " إزالة ، تقليص، قبول ونقل الخطر " .

من جهة يرى السيد جوليان فينيولي Julien Vignoli, (17) من شركة Gras Savoye « أن حقيقة المؤسسات هي أن تحاول وضع مصالحها بين الشفافية وضرورة حماية المعلومات في عالم أصبح يتميز بتوسع وتغلغل الإعلام والقدرة الكبيرة لوسائله على الوصول إلى المعلومة، " حيث لم تعد تتمتع بالسرية أو بالإمكان التستر عليها، إذ لا بد أن يصل إليها أحد وينشرها، لهذا فقد بات المهم والأجدى في هذا العالم المعولم هو كيفية الوصول إلى المعلومة في الوقت المناسب» Dufrene et [autres.2013.11].

**أداة لخلق قيمة مضافة صعبة التقدير:** بغض النظر عما سبق تناوله عن دور الذكاء الاقتصادي في التأمين، فإنه من المهم التساؤل عن أي قيمة مضافة ستجنيها شركات التأمين وحرف السمسرة من هذه الوظيفة، سواء من حيث الحماية، طرح منتجات جديدة، إيجاد أسواق أخرى، أو تسيير المخاطر والأزمات.

لقد غدا الذكاء الاقتصادي ذا أهمية حاسمة وكبيرة بالنسبة لشركات التأمين، على غرار مؤسسات بقية النشاطات الاقتصادية، حيث أن التعامل الدائم مع معلومات غزيرة وحساسة عن الزبائن والسوق والمحيط، من شأنها أو يوفر للمؤسسة معطيات تمكنها من اتخاذ قرارات مهمة تتعلق بكل نجاح المؤسسة ونجاعة نشاطها، بما يعود عليها بمردود مادي ومعنوي، ليس فقط يتعبها في سوق تنافسية، بل يعزز موقعها وسمعتها ومنها الحفاظ على حصتها في هذه السوق، وتكريس توفية زبائنها (Fidélisation).

بالإضافة إلى ذلك فإن نجاعة هذه الوظيفة الأداة توفر للمؤسسة الكثير من نفقات الإنتاج عبر توفر مقدرتها على توظيف العامل الحاسم للانتقاء والانتقاد المضاد وبالتالي القدرة على التقدير الاكتواري للأخطار (التأمينات الاختيارية) بما يسمح ليس فقط بخفض أعباء تسيير الأخطار وتسيير ملفات التعويض، بل أيضا القدرة (من عدمها) للتوسع في الإستراتيجية التسويقية لها والسعي لجذب أكبر عدد ممكن من القابلين للتأمين ضمن الوعاء التأميني المتوفر (توسع أفقي) أو إمكانية طرح منتجات جديدة لتلبية حاجات جديدة أظهرتها المعلومات المجمع بعد معالجتها وتحليلها وقرائها قراءة سوقية بعين سلوك المستهلك وطلبه للخدمات التأمينية (توسع عمودي)، من خلال التعرف على فرص تجارية جديدة وابتكار حلول (منتجات) على المقاس، مما يرفع من القيمة المضافة لنشاط المؤسسة ككل.

إن خلق القيمة لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كانت في المؤسسة احترافية حقة وتضافر جهود كل طاقم المؤسسة، أما إذا كان توظيف الذكاء الاقتصادي محصورا في مناسبات أو حالات محددة، فمفعولها سيكون معدوما، لهذا يجب أن تكون هذا الأداة الوظيفة في حالة يقظة دائمة وفعالية مستمرة وبصورة منتظمة. وهذه الوظيفة يكرسها بفعاليتها رئيس فرقة العمل لينسق جهود مختلف أطرافها، وعادة ما تعود لمحلل الأخطار أو ذلك الذي تتجمع بين يديه كل المعلومات المستقاة من كل الجهات (داخلية وخارجية)، ليقوم بحوصلة بهدف، التمكن من تزويد أصحاب القرار بالمعطيات التي يحتاجونها في اتخاذ قراراتهم.

### 3 - المنظمة العالمية للتجارة: عولمة الأسواق والخيرات

تعتبر هذه المنظمة الفضاء المكاني للدول الذي تجري فيه الحكومات المفاوضات الهادفة لإبرام اتفاقيات تجارية، وفق مجموعة قواعد مضبوطة لتسهيل تسوية المشاكل التجارية العالقة بين هذه الحكومات.



وعليه فإن المنظمة وُجِدت لاحتضان مساعي الحكومات لتسوية مشاكل التجارة بينها ضمن مبادئ يقوم عليها النظام التجاري الدولي وهي: « أن OMC لا تهتم فقط بتحرير المبادلات التجارية حيث أن قواعدها قد تذهب في بعض الحالات ، باتجاه الحفاظ على عراقيل في وجه التجارة، مثل حماية المستهلكين، منع انتشار الأمراض وحماية البيئة» [OMC.2011.10].

وتقوم هذه المنظمة في أول مرحلة لها على تحادث الدول فيما بينها وعلى مبادئ هي:  
أولاً: تجارة دون تمييز:

1. بند الأمة الأكثر تفضيلاً: (NPF) Clause de la nation la plus favorisée  
المساواة في التعامل مع الآخرين:

2. المعاملة الوطنية: المساواة في التعامل بين الأجنبي والوطني.  
ثانياً: تحرير التجارة: تدريجي وغير المفاوضات؛  
ثالثاً: القدرة على التنبؤ: بفضل لتعزيز الالتزامات والشفافية؛  
رابعاً: ترقية المنافسة العادلة (Loyale)؛

خامساً: تشجيع التنمية والإصلاحات الاقتصادية» [OMC .2011. 10]؛

وهكذا فإن المنظمة العالمية للتجارة مدعوة للإسهام في وضع انسجام أكبر في إعداد السياسات الاقتصادية على المستوى الدولي، وتشجيعها على تطوير التعاون مع المنظمات الدولية المتخصصة في الميادين النقدية والمالية وخاصة صندوق النقد الدولي والبنك العالمي.

يقضي تصريح مراكش (1994) بأن تحرير التجارة يساعد على نمو وتنمية الاقتصاد العالمية الدولية، حيث تعتبر فيها هذا التحرير عنصراً تزداد أهميته مع الوقت في نجاح برامج التعديل الاقتصادي التي تنفذها العديد من الدول، وتكلفتها، خلال المرحلة الانتقالية، ثمن اجتماعياً كبيراً.

واتفاقيات OMC تتعلق بالسلع والخدمات والملكيات الفكرية، وتضع مبادئ تحرير الأسواق وانفتاحها والاستثناءات المسموح بها، وأيضاً والتعهدات التي التزمت بها مختلف الدول لتخفيف الحقوق الجمركية وبقية معيقات التجارة وإبقاء أسواق الخدمات مع إرساء الإجراءات الواجب إتباعها لتسوية النزاعات.

ومن هنا فإن المنظمة العالمية للتجارة تجبر الحكومات الأعضاء فيها على ضمان شفافية سياساتها التجارية، وتحرص على أن تحترم هذه الحكومات التزاماتها، وكذا عملية تسوية الخلافات التجارية، والذي بات ضرورياً لفرض احترام القواعد وبالتالي ضمان السير المنسجم للمبادلات.

**4 - التأمين في الجزائر:** إن إصلاح المنظومة التأمينية في الجزائر المجسد بـ 5 أوامر و 28 مرسوما تنفيذيا ( لتطبيق تلك الأوامر) أو تعديلا و/ أو تكملة مراسيم سابقة بالإضافة إلى 13 قرارا (18) كان وراء كسر احتكار الدولة للنشاط التأميني وإلغاء التخصص والانفتاح على القطاع الخاص الوطني والأجنبي.

إن أهم ما جاء به آخر قوانين القطاع هو القانون 04/06 الذي ألزم الشركات العاملة في الجزائر الفصل القانوني والمؤسسي بين نوعي التأمين (الأضرار والأشخاص).

وهذا المسعى لم يكن بالسلسلة المطلوبة التي تخلق المنافسة الجدية في سوق كان ينتظر منها أن تتضاعف 3 مرات في ظرف 5 سنوات فقط، وتزداد اتساعا لتشمل فروعاً لم تكن يوماً ذات أي ثقل مثل تأمينات الأشخاص، بلغة رقم الأعمال في إجمالي النشاط .

و يوزع المكفون بعمليات تصريف منتجات التأمين إلى أربع فئات:

- **شركات التأمين :** إن السوق الجزائرية للتأمين لا تنشطها حالياً وبعد حوالي عشرين (20) سنة من كسر الاحتكار إلا 28 مؤسسة منها إحدى عشرة مؤسسة عمومية (بما فيها شركتا إعادة تأمين وتعاونيتان ) وعشر للخواص ( بما فيها أجنبية) لضمان تأمينات أضرار وسبع لتأمينات الأشخاص (منها أربع عمومية).

وتنتشر الشركات في السوق بـ: 1387 نقطة بيع ، بما فيها نقاط بيع الوسطاء، بينما يبلغ عدد بلديات الوطن الـ 1548 ، علماً أن هناك مدن يفوق عدد سكانها المليون نسمة ، مما يظهر سوء انتشار نقاط البيع وبالتالي تسجيل أسباب موضوعية لعدم إقبال المؤمن لهم المحتملين على خدمات القطاع ، وخاصة المسماة بالتأمينات التي تشتري .

- **الوسطاء.** إن إعادة العمل بالوسطاء في توزيع منتجات التأمين في الجزائر كان بفضل الأمر 07/95 حيث ظهرت فئة جديدة قديمة (أو بالأحرى عودتها) من المتعاملين، وهم الوكلاء العامون والسماصرة لتدعيم القوة البيعية لهذه السوق «[محي الدين شبيرة. 2013. 137].

وتتشكل شبكة الوسطاء في سوق الجزائر مع نهاية 2013 من 656 وسيطا ( 629 وكيلا و 27 سمسارا ) أي بزيادة 199 وسيطا عما كانت عليه قبل 10 سنوات (

منهم 197 وكيلا جديدا و02 سمسارين ( [CNA.2013]

- **البنوك:** قانون 04/06 جدد الترخيص للبنوك بتوزيع منتجات التأمين وهو " البنكتأمين" ليتكفل بغالبية المنتجات وفي مقدمتها تأمينات الأشخاص و تأمينات القروض وذلك في إطار نموذج اتفاقية معدة مسبقا.

- **معيدو التأمين:** في الوقت الراهن لا يوجد إلا معيد تأمين وطني واحد وهو المؤسسة المركزية لإعادة التأمين CCR وهي تابعة للقطاع العام، وإن كان هناك شركات تأمين عامة تحوز اعتمادا في قطاع إعادة التأمين، بهدف الحفاظ على الحصة الأكبر للأخطار في البلاد إلى جانب قيام شركة سوناطراك سنة 2007 بإنشاء فرع لإعادة تأمين (SONATRACH- Ré) مقرها اللوكسمبورغ .

#### 4 - 1 - واقع سوق التأمين في الجزائر. « بالرغم من الضعف الواضح لسوق

التأمين في الجزائر إلا أنها تعرف سنويا نموا مشهودا، وبمتوسط يتراوح بين 8-10 %، وهو النمو الذي تستحوذ عليه قطاعات معينة، مثل السيارات، و الحريق والأضرار والحوادث كما تعرف هذه السوق ضبطا وتكيفا دائمين بتشريعات لتدارك النواقص المسجلة في الميدان، إلى جانب الفصل النهائي قانونا وتطبيقا بين شركات تأمينات الأضرار وتأمينات الأشخاص « [محي الدين شبيبة. 2013. 137] وهو ما سمح بظهور خمس شركات لتأمينات الأشخاص في أقل من سنة وفق نتائج 2012 [CNA .2013]

#### 4 - 1 - 1 - إنتاج سوق التأمين. لآخر يوم من سنة 2013 قدر إنتاج قطاع

التأمين بحوالي « 109.394 مليار دينار جزائري ( دج ) ( أي ما يقارب 1.45 مليار \$ بسعر صرف رسمي للدولار المحدد بـ 75 دج ) وبنمو نسبته 10.8 %، شكلت فيه إيرادات تأمينات الأضرار 102.246 مليار دج (ما يفوق 1.36 مليار \$ ) مقابل تأمينات الأشخاص بمبلغ 7.148 مليار دج ( ما يفوق قليلا 95 مليون \$ ) .

وهنا« عرفت تأمينات الأضرار خلال سنة 2013 نموا بـ 11. % مقارنة بسنة 2012 لتشكل 93.5 % من إجمالي مداخيل سوق التأمينات سنة 2013 التي قدرت بـ 109.394 مليار، مقابل 7.148 مليار دج لتأمينات الأشخاص أي ما نسبته 6.5 % ، وزيادة نسبتها 6.7 % مقارنة بسنة 2012 « [CNA .2013]

4 - 1 - 2 - اختلال كبير في توزيع الإنتاج . يسجل على قطاع التأمين في الجزائر اختلالات عديدة منها التباين الكبير في مساهمة الولايات في الإنتاج الإجمالي للقطاع أين تهيمن العاصمة على نسبة تقارب 50 % متبوعة بخمس أخرى بنسب بعيدة .

ويفيد المجلس الوطني للتأمينات في آخر نشراته إن إنتاج قطاع التأمين لسنة 2011 كان من نصيب ست (6) ولايات : الجزائر العاصمة ، قسنطينة ، سطيف ، عنابة ، بجاية تيزي وزو، و وهران ، وهذا من ضمن الولايات الـ 48 التي تشكل التراب الوطني .

4 - 1 - 3 - سوق تعاكس اتجاهات الواقع العالمي . إن وضع قطاع التأمين في الجزائر يتسم بالكثير من الاختلالات والنواقص التي تحول دون تطوره على صعيده ككل أو على صعيد المؤسسات ، حيث يعاني من ثنائية غير سليمة وهي ضعف المردود بما فيها معياري التطور ( نسبة الولوج وكثافة التأمين) والهيمنة المطلقة لتأمينات الأضرار على إنتاج قطاع التأمين مقابل مساهمة بسيطة لتأمينات الأشخاص.

ففي دراسة لشركة إعادة التأمين السويسرية، Swiss Ré نشرت في مجلتها الشهيرة SIGMA أكدت أن السوق العالمية للتأمينات حققت سنة 2010 ما قيمته 4339 مليار دولار ، وكانت مساهمة تأمينات الأشخاص بما نسبته 58.07% ونسبة نمو بلغت 3.2% مقابل نسبة نمولتأمينات الأضرار قدرت بـ 2.1 % « [sigma .2012].

و بالرغم من تطوير المنظومة والسعي لعصرنتها بفضل ترسانة من القوانين ، إلا أن القطاع لم يشهد التطور المأمول، خاصة بشأن بتقليص التباين الكبير بين تأمينات الأضرار (93.5%) وتأمينات الأشخاص ( 6.5 % ) التي مازالت عاجزة على جذب عدد مقبول من القابلين للتأمين بالنظر إلى عدد السكان الذي تجاوز الـ 38 مليون نسبة بلغ الدخل الفردي فيها 7600 دولار في السنة وناتج وطني خام فاق 208 مليار دولار أمريكي سنة 2012 « [Banque Mondiale . 2013]، وهو التباين الذي يعبر عن أهم الاختلالات القطاعية وسمة التخلف لهذا النشاط الاقتصادي ، وإن توشر النتائج لتطور رقمي لكنها تخفي حقيقة أن مصدر هذه الأرقام تعود بأكثر من 65 % منها للتأمينات الإجبارية (السيارات، الكوارث الطبيعية الحريق في حالات،

والمسؤولية المدنية التي تمس الكثير من مناحي الحياة وفي مقدمتها البناء) وشبهه الإلزامية مثل تأمينات القروض والكفالة.

وما يمكن استخلاصه هنا أن هذا القطاع لم يتمكن من حلحلة الأرقام المتدنية لمعايير النشاط وفي مقدمتها نسبة إيرادات تأمينات الأشخاص من مداخيل القطاع وكذا نسبة الولوج والتي تعبر عن مدى مساهمة قطاع التأمين في تمويل الاقتصاد ( 0.6 % في تأمينات الأضرار 0.1 % في تأمينات الحياة والمرتبة الـ 84 عالميا سنة 2011) إلى جانب نسبة الكثافة التي تؤثر لمتوسط ما ينفقه الفرد على التأمين ( 34 دولار في السنة لتحل المرتبة لـ 80 عالميا ) « [sigma.2012] .

كما يصطدم القطاع بحاجز مهم وهو الوازع الديني وغياب الثقافة التأمينية ، مما يكرس العزوف عن التأمينات وخاصة تأمينات الأشخاص حيث ينظر إليها على أنها تعاكس أحكام الدين ومحاولة للالتفاف على القدر وسيادة فكرة المكتوب ، وبالتالي ليس من السهل التخلص من هذا الموروث المجتمعي الممزوج - بالحق أو بالباطل - بأحكام الدين ، وخاصة أن هذه المرجعية تأسر أيضا نظرة الأئمة والوعاظ والعاملين في الحقل الديني ، مما يحول دون تنامي زرع أي ثقافة تأمينية ، التي لم تبذل فيها شركات التأمين أي مجهود.

إن هذا الواقع الصعب يتطلب تغيير بينته وفي مقدمته كيفية العمل لربح معركة تطوير الثقافة التأمينية وإقناع المؤمن لهم المحتملين بالدور الكبير والإيجابي للتأمينات في الحفاظ على مصالحهم المادية والمعنوية وهذه المعركة المهمة ، وإن كانت من إدارة كل أرقام المجتمع من جمعيات العمل المدني والمؤسسات المشتغلة في حقل الدين والثقافة والصناعة وغيرها .. إلا أن شركات التأمين المتخيلة عن هذا الدور تتحمل الثقل الأكبر في نشر الثقافة التأمينية التي لا يمكن أن تكون « إلا بفضل عمل جماعي للمنتجين في السوق التأمينية ، عمل يتسم بطول الأمد ويعتمد على الاقتراب من الزبائن المحتملين و جمع المعلومات الخاصة بهم والكفيلة بتسهيل التعرف على الاحتياجات الحقيقية لهم من هذه الخدمات والعمل وتلبية احتياجاتهم في ظل العلاقة الثنائية السعر / الجودة ، أي الذهاب بعيدا في إيجاد المنتجات الجذابة عبر تقصي حقائق الوعاء التأميني والتواصل مع أفرادها واختيار طلباته، وأيضا تطوير القوى البيعية التي تتمكن من جذب أكبر عدد ممكن من القابلين للتأمين بفضل قوة اقناعية . «Massi.2012.20

ومن المؤكد أن هذه المعركة ستكون تجاه شحذ القدرة الاقناعية لتعبئة الوعاء التأميني لطلب منتجات القطاع وخاصة منها تأمينات الأشخاص وسعي المنتجين الكبار والقدامي للتخلص من الانعكاسات الشرطية القديمة والعمل على تطوير إنتاج هذه التأمينات على غرار شركات حديثة في السوق الوطنية « فقد تمكنت شركة

كارديف من تحقيق رقم أعمال (تأمينات الأشخاص) فاق 9 مليون أورو في ظرف 4 سنوات ، فيما ضاعفت شركة " السلامة " رقم اعمالها في تأمينات الأشخاص أيضا بـ 100 مرة في 3 سنوات من 2 مليون دج سنة 2005 إلى 200 مليون دج سنة 2008، وذلك بفضل فريق صغير من الباعة المكون من جامعيين « .Massi .[ 2012.20

وهذه مؤشرات مهمة على ما يمكن تقديمه لهم ، تكشف الوضع الهش لشركات التأمين في أفق انفتاح، أو الأصح، فتح سوق التأمين على مصراعيه أمام الشركات الأجنبية، في ظل الانضمام المرتقب للجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة، خاصة وأن للأجانب تجربة كبيرة في الميدان وخبرة ومدارك معرفية وتقنيات تؤهلها لحوض غمار المنافسة في هذه السوق العذراء .

#### 4 - 2 - موقع الذكاء الاقتصادي في الشركات الوطنية:» منذ نهاية الحرب

الباردة ، تطور النظام العالمي من رؤيا بقطبين إلى ديناميكية تعدد الأقطاب، خاصة مع نشوء قوى اقتصادية كبرى مثل الصين ، روسيا ، الهند والبرازيل واستراتيجية التأثير المستعملة من قبل القوى الاقتصادية الكبرى ، أين بات تنظيم العلاقات بين الجهات الفاعلة الآن في ظل المنافسة الاقتصادية العالمية، مرادفا للانفتاح والمبادلات التجارية الحرة ، لتصبح العولمة معها لا تعني نهاية المنافسات وبخاصة الاقتصادية والتجارية، بل اشتدادها، مما يدفع المنظمات إلى إعادة التفكير في استراتيجياتها « .

إن انضمام الجزائر للمنظمة العالمية للتجارة في سياق تحرير المبادلات ستدخل الشركات الوطنية في منافسة شديدة الإفراط ، والتي جعلتها العولمة تأخذ شكلا جديدا للنزاع أصطلح عليه بـ « الحرب الاقتصادية » مع ما تحمله من آثار محلية ودولية على النشاط التأميني وعلى الشركات الوطنية .

يبقى الذكاء الاقتصادي في المؤسسات الوطنية في الجزائر متخلفا، حتى لا نقول منعدما، وتوزيعه على كل الأنشطة ضئيلا جدا، وهي المعاينة القائمة في البنوك وشركات التأمين، حيث وباعتراف المهنيين وعلى مستويات مختلفة فإن الذكاء الاقتصادي كمفهوم وممارسة غير ذي شأن، لحد أن هذه المؤسسات المالية ليس فقط أنها لا تملك جهاز تسيير الإشاعة والمعلومات المغلوطة عن السوق أو المؤسسة أو تلك التي تشوه صورتها، فهي لم تفكر بعد في وضع آلية أو جهاز أو مديرية للذكاء الاقتصادي بفرقة متعددة التخصصات مزودة بأدوات ووسائل القيام بمهمتها.

فقبل عام وفي نهاية فيفري من سنة 2013 تناقلت وسائل الإعلام الوطنية أن مصالح الوزير الأول تفكر في إنشاء مجلس أعلى للذكاء الاقتصادي بغرض دفع 3

قطاعات إستراتيجية هي: الصناعة، السياحة والزراعة إلى الأمام وتحضيرها لمستقبل منظور بعد انضمام الجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة وتجهيزها بهذه الأداة الوظيفية لمواجهة المنافسة الشديدة المحتملة في هذا المناخ الجديد .

وحسب مصادر الوزارة الأولى فإنّ المجلس المذكور سيعمل على فتح سبل تجريبية جديدة لفائدة صناعات القرار العموميين والخواص، فيما يتساءل منتجعون للشأن الاقتصادي عما إذا كان إنشاء هذا المجلس سيركّك ماكينة الاقتصاد الذي طالما تعانى قطاعاته المختلفة من اختلالات واضحة، وعدم جاهزيته لمواجهة منافسين أجانب ، الذين لهم قدرات مالية وبشرية وتجارب طويلة ورصيد معتبر في كيفية توظيف الذكاء الاقتصادي .

وما لا يمكن إنكاره هو أن أحاديث مسموعة سَبَق وأن تعالت حول هذا المصطلح في مسعى لتوظيف مزاياه في المؤسسات الوطنية، غير أنه لم يسجل دخوله في أي منها، غير ما قامت به وزارة الصناعة في عهد الوزير الأسبق "حميد طمار" أين استحدثت سنة 2007 مديرية فرعية للذكاء الاقتصادي تستهدف حوالي 12 مؤسسة بغية مساعدتها على تفعيل هذه الوظيفة واعتمادها في اتخاذ قراراتها الاستراتيجية ، والشروع في عملية تعبئة وتحسيس وتوجيه، بهدف إقناع المتعاملين الاقتصاديين وخاصة المسيرين بضرورة إدخال هذا النوع من الأداء في برامجهم، كما عهد إليها إنضاج مجموعة أفكار بشأن هيكلية وأهداف هذه الوظيفة ، وقد دأبت الوزارة على تنظيم مؤتمر سنوي للذكاء الاقتصادي .

وعدا هذه المحاولة وصدور الدليل التكويني الخاص بالذكاء الاقتصادي أعده خبراء جزائريون بنسبة 100% لم يسجل أي عمل ميداني لإخراج الفكرة إلى التطبيق ، لتخبو بعدها كل جذوة في هذا الاتجاه وبات الغموض التام يكتنف المشروع ككل ، لينتفي معه وجود فعلي لهذا الجانب المهم من اقتصاد المعرفة .

ورغم مرور سنتين على الفصل بين نوعي التأمين، إلا أن تحضّر الجزائر لدخول المنظمة العالمية للتجارة، بدأ يرسم نشاطها ومستقبلها، ومدى مقاومة الشركات الوطنية لمنافسة الشركات الأجنبية المرتقب دخولها مع تحرير سوق التأمين في الجزائر. وبغض النظر عن اكتساب الشركات الأجنبية لتجربة ميدانية كبيرة في سوق تنافسية شديدة، خاصة منها الأوروبية، وما تراكم لديها من أدوات وإمكانيات لا نجاح إستراتيجيتها في مواجهة المنافسين من خلال اعتماد الوظيفة الجديدة- الأداة ، ألا وهي الذكاء الاقتصادي، فهو سيكون من بين الأوزان التي ستزيد في ثقل القدرة التنافسية لديها مقارنة بمؤسساتنا الوطنية.

وما يبعث على عدم التفاؤل لشركائنا الوطنية في سوق تنافس فيها مع الأجانب، أن المنظومة التأمينية التي عرفت تطورا معتبرا لم يقابلها تطور محسوس في قطاع التأمين الذي ترصده عدة معايير وعوامل وهي كل من كثافة التأمين ونسبة الولوج،

وكذا نسبة رقم أعمال القطاع من الناتج الداخلي الخام .

## الخاتمة

إن هذا الواقع غير المريح سيصبح مع انضمام الجزائر إلى المنظمة الدولية، وضعا صعبا بالنسبة للشركات الوطنية وضع سيتفاحم مع انحسار طريق التوزيع الكلاسيكية بسبب توسع الشركات الأجنبية في تعريف منتجاتها التأمينية عن طريق الانترنت، أي نقل قدراتهم وأسلوبهم في التسويق من الميترولوجيا إلى السوق الجزائرية، أو ما يسمى بالتسويق الإلكتروني e-marketing وتفوقهم في ذلك مقارنة مع الشركات الوطنية، التي لم تسع لحد الآن، لتطوير شبكاتها التقليدية، ووضع إستراتيجية تسويقية للتوزيع ، بما فيها طرق الجذب والإقناع المعتمدة على الإشهار ، والاكتفاء بالاستجابة لطلبات التأمين بالحضور الشخصي إلى الشركة أو فروعها.

وانضمام الجزائر إلى المنظمة التجارية وانفتاح سوقها على العالم الخارجي وتوقع دخول منافسين أجنبى سيخلق أوضاعا جديدة وغير مألوفة أمام الشركات الوطنية، تتسم بالتعقد والتسارع واستخدام طرق وأدوات غير تقليدية في مسعى من الأجنبى لاقتطاع حصص في هذه السوق الواعدة، اعتمادا على الوسائل الحديثة منها الذكاء الاقتصادي، والبيع بالانترنت والإشهار، إلى جانب خبرتهم الواسعة في كيفية ضمان البقاء في سوق ذات تنافسية كبيرة على الصعيدين القاري ( أوروبا الموحدة) والدولي.

وباختصار فإن شركاتنا الوطنية لن تتمكن بقدراتها وإمكاناتها الحالية المحدودة من التكيف مع هذا الواقع المستجد، أو أن تتمكن من التحكم، أو حتى مجاراة البيئة الجديدة أو التأثير في تطوراتها، وستجد نفسها في مواجهة تحولات صعبة، مما قد يهز كيائها، بسبب ظهور متدخلين جدد يمتازون بقدرات علمية وعملية ونظرة مغايرة للتعامل والتفاعل مع السوق وأيضا ثقافة أخرى وأدوات وطرق حديثة وإرادة قوية للنجاح.

وهذه العزيمة القوية من أجل ضمان بقائها في محيط مضطرب لسوق واعدة تمر بمرحلة انتقالية سيضطر مسيرو هذه الشركات الأجنبية إلى مسح دقيق لهذه السوق، بفضل وسائل حديثة بإمكانها أن تساهم في صنع الفرق بينهم وبين منافستها الوطنية ، ومن بين هذه الوسائل الحصول على أكبر حجم ممكن من المعلومات الجيدة الكفيلة باتخاذ القرارات الجيدة وفي الوقت المناسب، ألا وهو الذكاء الاقتصادي، واندماجه كوظيفة – أداة في هذا المناخ.

صحيح أنه من غير الكافي أن يكون للشركات الأجنبية السبق على الوطنية بفضل هذه الوظيفة لضمان الديمومة، بل يجب أن تكون هذه الوظيفة فعالة، والتي تترجم بحاصل المنتج والقيمة المقدمة.

وبالمقابل فإن الشركات الوطنية ستجد نفسها في بيئة جديدة لا يمكنها أن تواجه منافسة الأجنبى لاقتقادها لهذه الأدوات المهمة جدا في صنع الفارق الإيجابي لصالحها



في سوق تعرف تحولات كبرى، لا تتعادل فيها مع المنافس بالأدوات المتوفرة لديها .  
إذا لم يعد خاف على أحد من أن الذكاء الاقتصادي هو خطوة استباقية بتسيير المعلومات بهدف اتخاذ القرارات السليمة، وهذا يعني أن استعمال المعارف يعطي ميزة تنافسية ، وهو ما تفتقده الشركات الجزائرية وما يجعلها في مناخ تنافسي في سوق حرة ذات عطوبية مؤكدة وضعف عملي كبير إنتاجا وموارد بشرية ومعلوماتية وأدوات ، وبالتالي سهولة تعرضها لتهديدات كثيرة منها الهجمات المعلوماتية وسرقة ملكياتها الفكرية والإبداعية واختراقات منظوماتها المعلوماتية .

ولكل ما فات، وإعداد شركائنا الوطنية للتأمين لهذه البيئة الشديدة التنافس ومدّها بدرع كفيل بصد أو على الأقل تقليص حدة منافسة الوافدين المحتملين ، يتوجب على السلطات العمومية الإيدان السريع بوضع القوانين المنشئة لهذه الوظيفة الجديدة وهي الذكاء الاقتصادي ، وتحديد الفواصل بينها وبين الجوسسة الاستراتيجية .

وفي ظلها تصبح شركات التأمين مطالبة بالتفكير الجدي في تأسيس وتطبيق هذه الوظيفة وإرفاقها بـ :

- وضع مخطط عمل واضح المعالم والغايات كفيل بتعزيز القوة التنافسية للشركة؛
- تحديد مهام فرقة العمل ودور كل عضو فيها بالوضوح التام ؛
- حمل كل عضو في الفرقة على إدراك مسؤوليته ودقة مهامه وأهميتها بالنسبة للمؤسسة وأهدافها ؛
- وضع ضوابط مجازاة ( تحفيز وعقاب ) عادلة وإدراجها في النموذج التعبوي للشركة وتقاليدها ؛
- التزام اليقظة التامة للتجاوب الفعال مع السوق واستشراف سلوك المستهلكين .
- الإسهام في القدرة الابتكارية وخلق منتجات جديدة تلبي الحاجيات الدائمة والمستمرة والمتجددة للمستهلكين وتجذب أكبر عدد ممكن من المؤمن لهم المحتملين ، وزيادة القوة البيعية بما يعزز تنافسيتها؛
- انتهاج تكوين ورسكلة مستمرين لأعضاء الفرقة للرفع الدائم لمداركهم العملية.

## الهوامش

1- Harold L. Wilensky (1923-2011) Professeur de Sciences Politiques, Emérite à l'université de Berkeley, Pilote Bombardier durant la guerre mondiale, il a obtenu son doctorat à l'université de Chicago (1955), il est facilement accessible en sociologie, Sciences Politiques Economie et l'Analyse des Politiques. Sa carrière académique comprenait 28 années sur les facultés de sociologie de l'université de Michigan, l'université de Californie et la faculté des sciences politiques à Berkeley de 1982-

1991 (Sa retraite), en produisant 75 articles et 13 livres.

2- Henri Martre : haut commissaire de Plan e France en 1994, Président d'AFNOR, et Président d'honneur d'aérospation, Président du Groupe « intelligence économique et stratégie d'entreprise».

3- Christian Harbulot:Expert international en I.E.et lobbying initie des travaux de recherche sur les problématiques d'affrontement économiques et les stratégie de puissance depuis le milieu 1980 ,Directeur de l'école de guerre économique.

4- Philippe Clerc: Directeur de l'T.E, de l'innovation et des technologies d'information à l' assemblée des chambres françaises de commerce et d'industrie.(ACFCI), et rapporteur général du Rapport Martre.

5- Bernard Besson: expert en I.E ,écrivain et formateur, membre du collège de l'académie d'intelligence économique chargé de mission auprès du haut responsable de l'I .E et délégué interministriel de 2004 -2009.

6- Jean-Claude Possin : conseillé en I .E et management , ancien auditeur de l'institut des hautes études de la sécurité intérieure , membre et vice président du groupe I.E .

7- Christian Marcon: maitre de conférences à l'institut de la communication et des nouvelles technologies à l'université de Poitiers , enseigne l'intelligence économique et communication stratégique ,directeur de l'ICOMTEC ( information - communication de l'institut d'administration des entreprises de poitiers.

8- Pierre Fayard: Docteur en se/d'information et de communication à l'université de Grenoble 3, Professeur des universités à l'unstitut d'administration de l'université de Poitiers, spécialiste en intelligence culturelle de la stratégie, directeur, des DESS intelligence économique et développement des enterprises.

9- Pierre Lederer - أستاذ بجامعة واشنطن قبل أن يصبح مسير في A R M (Management ) Associate Risk أمريكا للتأمينات منذ 2011 بعدما تنقل بين مجموعة شركات تأمين منها NEUF CEGETEL و AGF ( ALLIANCE ) ، COGEMA (AREVA) ثم المدير القانوني لتسيير الخطر في شركة GRAS SAVOY.

10- Le benchmarking est dans un contexte marketing une démarche d'observation et d'analyse des performances atteintes et des pratiques utilisées par la concurrence ou par des secteurs d'activité pouvant avoir des modes de fonctionnement réutilisables par l'entreprise commanditaire du benchmark.Le benchmark peut avoir trait à l'observation des pratiques managériales, mais il peut également se faire dans le domaine des pratiques marketing.Il est à noter que dans un contexte technique le benchmark est surtout orienté vers la comparaison de performances, comme par exemple dans l'informatique.

11- تعاريف واستنتاجات من وضع كاتب المقال .

12- Stéphane Rosenwald متخرج من لمدرسة العليا للتجارة بباريس سنة 1981 ليصبح سنة 1984 مستشارا لمجموعات اقتصادية عالمية مثل colgate و palmolive و nestlé .... وفي سنة 2004 فتح مكتب استشارات ( RV conseil ) كما أنشأ وترأس مجموعة الذكاء الاقتصادي والاستراتيجية AAESC- FAP .

13- Philippe Beraud مهندس مدني من معهد الدراسات التطبيقية المتعددة التقنيات لمونريال (كندا) يمارس عدة وظائف بعدما التحق بشركة SCOR ، منها إدارة الاكتتاب والتدقيق والمراجعة المحاسبين، وفي الوقت المسؤول الأول عن تسيير الخطر في هذه الشركة منذ 2010 .

14- Pierre-Yves Carpentier متخرج من مدرسة الدراسات العليا للتجارة في باريس سنة 1981 ، تابع دراسته في البرنامج التنفيذي الأوروبي باليابان (EETP (Japon وهذا التكوين الطويل سمح له بنسج علاقات متينة مع البنوك الفرنسية الكبرى ، أين بنى كل حياته المهنية، وهو الآن المحلل الرئيسي للأخطار الفردية والمؤسسات المالية في اليابان .

15- Raphaël Danjou, Directeur de la veille stratégique Vice-président de l'Innovation et Transfert CEFRIO Canada a fait ses premières armes en veille stratégique à Tokyo chez Recruit, la société pionnière de l'information au Japon. Il a ensuite rejoint les firmes conseil en France, mettant ses capacités de chercheur au service du recrutement et de l'intelligence économique. il a développé ses contacts ainsi que son ouverture culturelle à l'international avant de s'installer au Québec en 2008. Avec dix années d'expérience professionnelle à son actif, Raphaël a rejoint l'équipe du CEFRIO en novembre 2009 pour y apporter son expertise de la veille et ses méthodes.

16- Jean-Philippe Riehl خريج ESCP أوروبا مدقق بمعهد الدراسات العليا للدفاع الوطني ليصبح مدير التدقيق لقسم النقل VEOLIA Environnement قبل أن ينشئ مديرية تسيير الأخطار بمجموعة VEOLIA.

17- Gérard Ménéroud , D.G adjoint de C.N.P assurance (Caisse Nationale de Prevoyance) compagnie publique d'assurance créée en 1959 , le premier assureur de personnes en France.

18- Julien Vignoli a obtenu son diplôme de l'institut d'études politiques de Paris en 1981 , en 1984 le diplôme de l'école nationale d'administration ( E N A ), de 1984-1985 il a occupé le poste d'administrateur au sein du ministère de l'intérieur puis le poste de consultant au ministère de affaires sociales et l'emploi , de 1992 – 1995 il a occupé le poste du secrétaire général de THIO SACCRAM ? avant d'être désigné D .G de la même société , puis vice président et directeur de la division maintenance CEGELEC entre 2002 – 2007 , ou il a été nommé D.G délégué de GRAS SAVOYE jusqu'au 2012 , où il occupe le poste de conseiller du D.G et membre du COMEX au sein de GRAS SAVOYE , qui est le premier courtier d'assurance en France.

- المادة 9 من المرسوم التنفيذي رقم 96 / 2

## المراجع

1. BAUMARD .Philippe ; Intelligence Economique Et Nouveaux Paradigmes De L'interaction Concurrentielle,Base de Connaissances . AEGE , 2009 .
2. BESSON .Bernard,jean claude POSSIN.l'audit d'intelligence économique , PARIS,DUNOD,1998.
3. EBELMANN .Guillaum,intelligence Economique enjeux, definition et Méthodes, PARIS, Economico Poche,2003.

4. JAKOBIAK .François L'intelligence Économique La comprendre L'implantée L'utiliser Éditions d'Organisation, Deuxième tirage 2006.
5. REVELLI.Carlo Intelligence stratégique sur Internet. Comment développer des activités de veille et d'intelligence économique sur le web DUNOD BROCHÉ PARULE : 11/04/2000.
6. SOISSON . Jonathan , l' intelligence économique concurrentielle et stratégique ,infolabo , EGE, 2010
7. [BANQUE MONDIALE /Algérie : Des prévisions en hausse sauf pour les investissements étrangers \[archive\]](#), Khidr Omar , *Algérie*, le 18/06/2013.
8. BERAUD. Philippe, Intelligence économique dans l'assurance, l'argus de l'assurance, publié à Paris, 15/07/2008.
9. COMMISSARIAT GENERAL AU PLAN : Rapport du Groupe intelligence Economique et stratégie de l'entreprise, Paris. PP 167.
10. DANJOU . Raphael : "L'IE est une forme d'assurance tout-risque, l'argus de l'assurance, publié à Paris, 06/10 /2011 .
11. DENOYELLE .Ludovic , BOURGOGNE aristid ,intelligence économique : Enjeux et retour d'expérience ,2012
12. L'OMC, Devison de l'information et des relations extérieures, comprendre L'organisation Mondiale de commerce, les principes qui inspirent le système commercial, précédemment publiée sous le titre « un commerce ouvert sur l'avenir, 5° édit, Genève 2011.116 P,P10.
13. MARCON .Christian, Revue de l'association française pour le développement de L'IE mars 1997.
14. MASSI .Badis , culture de l'assurance en Algérie:les vrais défis , Revue de l'assurance n° 1 ,juin 2012, pp108.
15. MENEROUD .Gérard , Intelligence économique dans l'assurance,l'argus de l'assurance,publié à Paris,15/07/2008.
16. PORTAIT DE L'IE,centre national de ressources et d'information sur l'intelligence Economique et Stratégique.PARIS 2012 .
17. PORTAIT DE L'IE, les définitions de l'intelligence économiques, Public le 15/06/2013.
18. ROSENWALD .Stéphane Table Ronde : intelligence Economique et gestion du risqué :Duo gagnant, Publié 1°février 2013.
19. DUFRENE .Catherine, BAUME. Thomas ,LANAUD .Anne ,L'ARGUS de l'assurance table ronde : intelligence Economique Gestion de risques, duo gagnant ! Publié le 4 Février 2013 .
20. Revue SIGMA, Swiss Ré 2012 .



## شروط تطبيق نظام مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية في الجزائر

### ملخص

لقد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على مفهوم التركيز قدمت الدولة دعماً كبيراً لقطاع الأعمال، شملت تدابير تهدف لتشجيع الاستثمارات وإنشاء المؤسسات، تمثلت في تخفيض الأعباء الاجتماعية وتخفيض الضرائب وتخفيض في معدلات الفائدة وتشجيع يهدف هذا المقال، إلى إبراز ضرورة وأهمية إدخال نظام مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية وتحليل العوامل الأساسية التي تساعد في تطبيق نظام المراقبة بشكل فعال بهذه المؤسسات، المطالبة بالانصياع لمتطلبات الفعالية والفاعلية في تسييرها. كما يحدد لمصممي النظام الإطار المنهجي الواجب إتباعه مع الابتعاد قدر المستطاع عن الخطابات العامة والاستناد على واقعية التحليل الاقتصادي المبني على مفاهيم وخطوات محددة والتي تمثل في مجملها شروطاً لتطبيق نظام فعال لمراقبة التسيير.

أ. عميروش بوشلاغم

كلية العلوم الاقتصادية  
وعلوم التسيير  
جامعة قسنطينة 2  
الجزائر

### Résumé

Nous nous proposons de mettre en évidence l'intérêt de l'implantation d'un système de contrôle de gestion dans les établissements hospitaliers publics ainsi que les facteurs clés qui contribuent à l'application d'un système efficace de contrôle au niveau de ces établissements. Ces derniers doivent obéir aux obligations d'efficacité et d'efficience dans la gestion. L'article, s'attache à définir également le cadre méthodologique que les concepteurs du système de contrôle doivent suivre tout en s'éloignant des discours généralistes et en s'appuyant sur des analyses économiques réalistes fondées sur des concepts et étapes spécifiques qui représentent les conditions pour la mise en place d'un système efficace de contrôle de gestion.

### مقدمة

شهدت المؤسسات الصحية العمومية خلال التسعينيات تغيرات عميقة لم تنحصر في التطور الحاصل في ممارسات العلاج والرعاية فقط بل ذهبت إلى أبعد من ذلك لتأخذ شكل إعادة نظر شاملة في طرق التنظيم والإدارة، وهكذا أصبحت المؤسسات الصحية العمومية موضوع الاهتمام ومحط الأنظار على مستوى الإدارة المركزية من خلال المشروع الوزاري لإصلاح المستشفيات والذي يهدف إلى إدخال إجراءات حديثة لضبط وتنظيم المستشفيات التي أصبحت تشكل حجر الزاوية لبرنامج الإصلاحات الذي يهدف في مجال تسيير المستشفيات إلى وضع نموذج جديد يتميز بـ:  
- استقلالية أكبر في التسيير مع إنشاء هياكل تعتمد على مبدأ المسؤولية وردّ التقارير؛  
- إدخال مناهج متطورة في التسيير: محاسبة تحليلية،

- مراقبة التسيير، نظام معلومات مندمج؛
- تسيير تعاقدى مبني على الأهداف: تعاقد على الأهداف بين الوزارة الوصية والمستشفى من جهة، وبين المستشفى والمصالح من جهة أخرى؛
- انفتاح المستشفى على التقنية والتكنولوجيات الحديثة؛
- تطوير المعلومات الطبية وإدماجها مع معلومات التسيير؛
- إخضاع الأطباء إلى ضوابط اقتصادية وإدماجهم في التسيير؛
- جعل المستشفيات تنشط ضمن شبكة علاج متكاملة (1).
- الإجراءات الجديدة، من شأنها أن تحول المؤسسات الإستشفائية إلى مؤسسات منفتحة على محيطها، حيث تبرز الوظيفة التسييرية كوظيفة محورية وتساهم في خلق إدارة إستشفائية جديدة تحتل فيها مراقبة التسيير مكانة متميزة.

إن مراقبة التسيير وجدت مهددا ثم تطورت في الوسط الصناعي وذلك منذ بداية القرن الماضي حيث صُممت الأدوات، المناهج والطرق في مراقبة التسيير لتقديم الحلول اللازمة لمشاكل الشركات الصناعية ثم استعيرت هذه الأدوات والمناهج والطرق من قبل المؤسسات الصحية العمومية التي تختلف أهدافها جوهرياً عن الشركات بالرغم من أننا نعتبر عموماً أنه يجب عليها الانصياع لمتطلبات الفعالية والفاعلية مشروعة، (2) مما يستوجب علينا أثناء تطبيق نظام مراقبة التسيير، التقيد بواقعية التحليل الاقتصادي المبني على مفاهيم وخطوات محددة وجد مدروسة؛ إذ نلاحظ من خلال الممارسة الميدانية انشغالا كبيرا لدى الممارسين، بين مرحلة المعرفة النظرية والدراية العملية. وهذا ما يقودنا إلى طرح التساؤلات الجوهرية التالية :

- ما هو الهدف من وضع نظام مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية؟
- ما هي عوامل النجاح الأساسية التي يجب توفيرها لتجسيد المشروع؟
- كيف نطبق نظام مراقبة التسيير خلال مختلف مراحل وضمن سيره الفعال؟

يهدف المقال إلى إبراز أهمية إدخال مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية بغية تحسين أدائها ودراسة الشروط المسبقة وعوامل النجاح الأساسية التي يجب توفيرها إلى حين بدء عملية تطبيق نظام مراقبة التسيير التي تتم وفق مراحل جد مدروسة والتي سنستعرضها بشيء من التفصيل في هذه الدراسة.

لمحاولة بلوغ الأهداف المرجوة والإجابة على التساؤلات الجوهرية السابقة، قمنا بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور: يتناول المحور الأول أهمية إدخال مراقبة التسيير في المؤسسات الصحية العمومية والمهام الموكلة إليها، و المحور الثاني نعالج فيه الشروط المسبقة وعوامل النجاح التي يجب توفيرها إلى حين بدء العملية والحرص على أن الأشياء تسيير نحو تجسيد المشروع وخصصنا المحور الثالث لوصف وتحليل المراحل المختلفة لتطبيق نظام مراقبة التسيير وضمن فعاليته.

## 1- دور ومهام مراقبة التسيير في إدارة المؤسسات الصحية العمومية:

إن إدخال الإجراءات التنظيمية الجديدة التي يتضمنها برنامج الإصلاح يهدف إلى ترشيد استخدام الموارد وجعلها أكثر مطابقة مع النشاط الفعلي للمؤسسات الصحية العمومية (الفاعلية). ولعل إدخال مراقبة التسيير الذي تزامن مع الإجراءات التنظيمية الجديدة ستكون فرصة مناسبة للمؤسسات الصحية العمومية لتتكيف مع هذه التغيرات وتحدث القطيعة مع طرق التسيير التقليدية وتبني مقاربة أكثر شمولية في تحقيق الأداء، وهو ما نبينه فيما يلي:

### 1.1 أهمية إدخال مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية:

تبرز أهمية إدخال مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية من خلال التركيز على العناصر التالية:

#### 1.1.1 مساهمة مراقبة التسيير في عصرنة المؤسسات الصحية العمومية.

إن إصلاح وعصرنة التسيير العمومي (Gestion publique) يهدف أساساً إلى تحسين أداء المرافق الصحية العمومية في ممارسة مهامها، والذي ينحصر في المحاور الثلاثة التالية :

- النتيجة النهائية للأعمال والنشاطات المختلفة للمؤسسات الصحية العمومية.
- جودة الخدمة المقدمة للمرضى.
- الفاعلية (تحسين العلاقة بين الموارد المستهلكة والنتائج)<sup>(3)</sup>.

إن مراقبة التسيير كأداة قيادة أو بالأحرى كأداة تحقيق الأداء تساعد في تركيز المؤسسة الصحية على الأعمال التي تساهم أكثر في تحقيق أهداف الأداء<sup>(4)</sup>.

إن الاعتماد على مراقبة التسيير يشكل في حد ذاته تحولاً عميقاً، مع العلم أن الكثير من المؤسسات تعتبر هذا الجانب من إدارة المستشفيات جديداً بالنسبة إليها، بهذا المعنى يمكن اعتبار مراقبة التسيير أداة فعالة لدعم إدارة التغيير.

#### 2.1.1 مرافقة الاستقلالية المتزايدة للمسيرين والمساهمة في تقويم السياسات

الصحية العمومية<sup>(5)</sup> :

يزداد تطبيق مراقبة التسيير حسماً في حالة استناد الإصلاحات على برنامج موسع يقوم على مبدأ اللامركزية (التفويض أو كما هو الحال بالنسبة للنهج التعاقدية) وتحملُ المسؤولية من طرف فاعلي المؤسسات الصحية العمومية. كَوْنُ تفويض المسؤولية أو السلطة لا يخلو من المخاطر، يصبح من الضروري قياس كل ما ينجزه الآخرون؛ وعلى مديري المستويات الهرمية العليا، أن يحلوا الكيفية التي يتم بها استخدام السلطات المفوضة (مراقبة التسيير تساعد في ذلك من خلال بعدها المرتكز على إعداد ورد التقارير - Reporting-)، كما يجب على المسؤولين المفوضين أو الموكلين أن يكون تحت تصرفهم وسائل السبق أو التوقع (D'anticipation) وقياس التحقيقات (Réalizations) بالنظر إلى الأهداف التي تم التفاوض حولها (مراقبة



التسيير تساعد في ذلك كأداة قيادة تحت تصرف المسؤولين).

إذا كان من الطبيعي أن تتوجه مراقبة التسيير، نحو تحسين أداء الاشتغال الداخلي للمؤسسات الصحية العمومية فإنه يجب عليها أيضاً أن تكون قادرة على توفير الأسس الكمية الضرورية للمساهمة في تفويم السياسات الصحية العمومية بشكل منتظم، ودور مراقبة التسيير يكمن أيضاً في تزويدها بالمعلومات (إحصاءات، استقصاء...) الضرورية للهيئة التي تتكفل بعملية التفويم وعادة هذا التفويم يكون محددًا (مثل تفويم سياسة مكافحة السيداء، السل، برامج التطعيم...).

### 3.1.1 تحسين مناهج التنبؤ، نظام الموازنات والتخطيط :

إن التحكم في نفقات المؤسسات الصحية العمومية يمرّ عبر بوابة التحكم في أدوات التوقع من جهة وعملية التخطيط و الموازنات التقديرية من جهة أخرى، فالتوقع يستخدم المعلومات المحاسبية التي توفرها مراقبة التسيير فيما يخص قياس النتائج والأداء، مثل المحاسبة العامة، المحاسبة التحليلية، الموازنات. وفي هذا الإطار فإن مراقبة التسيير تُسهّل إعداد الموازنات التقديرية من خلال توفير معلومات كمية دقيقة (المؤشرات)(6).

### 4.1.1 متابعة العلاقة بين الأهداف، الوسائل والنتائج :

تشكل العلاقة بين الأهداف، الوسائل والنتائج ديناميكية مراقبة التسيير، فالمؤسسات الصحية توفر الوسائل في سبيل تحقيق الأهداف ليطم الحصول في النهاية على النتائج المرجوة.

نتحدث عن الملاءمة (Pertinence) لوصف العلاقة بين الأهداف والوسائل، والفعالية (Efficacité) لوصف العلاقة بين الأهداف والنتائج ونتحدث عن الفاعلية (Efficiency) لوصف العلاقة بين النتائج والوسائل. تشكل الفاعلية البعد الأول للأداء، فيما تشكل الفعالية بعده الثاني (7).

إن الديناميكية التي نبحث عنها من وراء إدخال مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية تركز على خلق بدائل بين الأهداف و الوسائل من أجل تحقيق نتائج أفضل؛ من خلال تقليص الانحرافات، تحسين الفعالية، الفاعلية والملاءمة لصالح المهام الممارسة(8).

### 5.1.1 دعم محاور التسيير الإستشفائي لإنجاح برنامج إصلاح المنظومة الصحية :

- تمس الإصلاحات عدة محاور ولعلّ ربطها بنظام مراقبة التسيير سيعزز مكانتها - خاصة إذا تعلقت بالمجالات التالية:
- استخدام التكنولوجيات الحديثة في الإعلام والاتصال في مجال التسيير الإستشفائي؛
- رسكلة الموارد البشرية (التكوين)؛

- تخصيص الموارد؛
- التركيز على عنصر الجودة في الخدمات؛
- التمويل على أساس النتائج .

## 2.1 مهام مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية(9) :

تتمحور مهام مراقبة التسيير في النقاط الأربع التالية:

\* **صياغة الإستراتيجية:** تحديد أهداف الإستراتيجية مع مؤشرات الأداء لتقدير التكاليف و قياس النتائج.

\* **إصدار البيانات الضرورية لاتخاذ القرار:** (مؤشرات، تكاليف حسب النشاط، لوحات القيادة... الخ...) والحرص على تطوير تطبيقات نظم المعلومات لكي تتمكن من إنتاج المؤشرات و ضمان موثوقية البيانات.

\* **تحليل النتائج المتحصل عليها والإعلام :** بالنسبة للنقطة الأولى تتمثل في إعداد ملخص تحليل الانحرافات وتحديد الإجراءات التصحيحية. أما النقطة الثانية فتتمثل في المساهمة في دوران المعلومات داخل المؤسسة من جهة و بين المؤسسة والوصاية من جهة أخرى من خلال تنظيم حوار التسيير بإنتاج وثائق رسمية تحتوي على المعلومات الضرورية لقيادة المؤسسة (ملخص يوضح النتائج المحققة مع الأهداف المسطرة مثلاً)(10).

\* **التنسيق والتنشيط :** يقع على عاتق مراقب التسيير مسؤولية تنسيق إنتاج البيانات القادمة من مختلف المصالح وتدعيم نشاط التنسيق (تشجيع المصالح على إنتاج لوحات قيادة خاصة بها وإعلانها للمسؤولين مع التعليق عليها خلال الاجتماعات ومساعدتهم في تحليل البيانات).

بعدما تعرضنا إلى الرهانات المنتظرة من إدخال مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية، سنعالج فيما يلي الشروط و عوامل النجاح الأساسية التي يجب أن تتوفر قبل بدء العملية.

## 2 محيط مراقبة التسيير:

إنه يتمثل في مجموعة الشروط وعوامل النجاح الأساسية التي يجب توفرها قبل بدء العملية، مع الأخذ بعين الاعتبار العقبات التي قد تواجه مصممي نظام مراقبة التسيير والتأكد من أن الأشياء تسيير نحو تجسيد المشروع بشكل فعال ، وهو ما سنستعرضه فيما يلي :

## 1.2 الشروط الواجب توفرها :

حتى تتمكن من تطبيق نظام مراقبة التسيير و ضمان اشتغاله الفعال، يتعين توفير مجموعة من الشروط و هي:

### 1.1.2 الدعم القوي من الإدارة الوصية :

الحصول على الدعم القوي من الإدارة الوصية شيء ضروري، وهو لا ينحصر على الدعم المعنوي أو وجود اتفاق ضمني ، لكن يمتد إلى ضرورة التزامها بعملية تطبيق مراقبة التسيير بحيث يبدو اقتناعها جلياً أمام الإطارات والموظفين(11).

### 2.1.2 إعلام جميع الموظفين:

ينبغي إعلام جميع موظفي المؤسسة الصحية على إدراك الأسباب التي دفعت الإدارة الوصية إلى إدخال أدوات التسيير الجديدة كما ينبغي رفع الغموض حول بعض القضايا لطمأنة المترددين ولهذا يستحسن تقديم آفاق وأبعاد العملية بشكل شامل، مع الحرص على أن تكون الانطلاقة الفعلية لتطبيق النظام في مصلحة أو قسم من المؤسسة لاستخلاص النتائج وتعميمها فيما بعد على باقي أقسام المؤسسة الصحية (12).

### 3.1.2 اختيار من يقود المشروع :

إذا كان من الضروري أن تكون الإدارة العامة هي محرك العملية فيجب الحرص على أن لا تكون في الواجهة وفي الخطوط الأمامية فيما يخص الإنجاز والتطبيق. لذلك ينبغي اختيار الفريق أو الشخص المكلف بتطبيق مراقبة التسيير(13).

### 4.1.2 إدخال تدريجي ومرحلي لنظام مراقبة التسيير :

يتطلب تغيير من هذا الحجم وقتاً، لذلك لا بد أن يتم على مراحل متدرجة، تسيير بواسطة إدارة المشروع واتصال واضح، مع التركيز على إظهار وإعلان النتائج الأولى بسرعة، بغرض البحث عن التحسين المستمر والمنتظم للأداء لتأمين النجاحات المحققة ولوضع حوافز للتقدم بشكل ايجابي(14).

### 5.1.2 نتائج التسيير تنتهي بجزاءات:

لا بد أن نستكمل إشراك الإدارة بإشراك المسؤولين الآخرين وأحد دوافع هذا الالتزام يبقى بطبيعة الحال الاعتراف بنتائج التسيير التي حصل عليها كل واحد من المجموعة والذي يمكن التعبير عنه بطرق مختلفة : تعويضات متباينة، الترقية بالاستحقاق، توسيع نطاق المسؤوليات والوسائل المتاحة، أو أي اعتراف آخر(15).

### 6.1.2 نظام معلومات فعال :

إن جودة التنسيق في التسيير تتوقف أساساً على نوعية المعلومات التي اعتمدنا عليها لقياس النتائج المحققة أو التي نريد تحقيقها، والقيام بالتشخيص الملائم لتحسين الوضعية والتحكم في القيود التي قد نصطدم بها أثناء مختلف مراحل عملية التسيير (16).

## 7.1.2 التوصل : النقطة القوية.

مراقبة التسيير هي في المقام الأول قضية تواصل، يُرَجَّحُ عادةً نجاح هذه العملية في الميدان إلى المساهمة القوية للعلاقات (80%) مقابل (20%) للتقنية. طريقة التواصل يجب أن تجذب في المقام الأول المصالح الوظيفية : الموارد البشرية، المالية، الإعلام الآلي الخ... (17).

## 8.1.2 التكوين:

إن إدخال مراقبة التسيير وبالخصوص قياس الأداء يستلزم تكويننا وتدريبنا ملائمين من خلال إدراج مخططات تكوين لفائدة المقررين، الإطارات، التنفيذين، بهدف تطوير ثقافة الإدارة العصرية(18).

## 9.1.2 إضفاء الطابع المؤسساتي لهيكل المراقبة:

نشير في البداية إلى أن إنشاء خلية مراقبة التسيير بالمؤسسات العمومية ليس بالضروري لأن الأمر يتوقف على بعض العوامل مثل : الحجم، الثقافة الداخلية، أسلوب التسيير، هيكل السلطة، طبيعة أدوات التسيير المعمول بها الخ... إلا أنه في حالة ضرورة وجودها يجب أن تتوفر في هذه الخلية مميزات معينة، أهمها:

- التضامن والتعاون مع الإدارة؛
- يجب أن تكون للخلية نظرة شاملة ومشاركة؛
- يجب أن تنشط باسم ولحساب الإدارة العامة؛
- يجب أن تكون مهيكلة بشكل مترابط، وتنشط في إطار شبكة(19).

## 2.2 لمحة عن محيط تسيير المؤسسات الصحية العمومية في الجزائر:

تتصف المؤسسات الصحية في الجزائر بميزات هيكلية كما تتخللها عقبات تقنية وتسييرية تجعل أرضيتها غير مهيأة لممارسة مراقبة التسيير ولعل هذا ما يفسر جزئيا عدم ظهورها بذات المؤسسات، كما سنوضحه فيما يلي:

## 1.2.2 محيط خاص:

تنشط المؤسسات الصحية العمومية في الجزائر في محيط يتميز بالتبعية المطلقة للوزارة الوصية ، يمكن اعتبار هذه التبعية طبيعية ولكنها في الواقع تؤدي إلى بعض الظواهر التي تخلق صعوبات في التسيير العمومي(20) ؛ من بين هذه الظواهر نذكر تحديد أهداف السياسة الصحية الوطنية بشكل غير دقيق (عموميات) وغير قابلة للتطبيق العملي في بعض الأوقات، ذلك لأن بعض الأهداف القابلة للقياس قد تكون أحيانا مضخمة، وأحيانا أخرى لا تعكس إلا جزءا من طموحات السكان (21).

وفي ظل عدم وضوح الأهداف ، يكون من الصعب جدا تحديد طبيعة أو نوع السياسة التي يجب على المسيرين المحليين إتباعها، ومنه صعوبة تقويم النتائج المحققة

من طرف هؤلاء مما يتعين على مصممي نظام مراقبة التسيير أخذه بعين الاعتبار لأن بدون أهداف واضحة يصبح نظام مراقبة التسيير بدون فعالية.

### 2.2.2 هيكل سلطة خاص:

في الجزائر، طبيعة السلطة التي تميز المؤسسات الصحية العمومية تكتسي شكل تحالفات أفراد: المسيرين، السلطات المحلية، السلطات المركزية، الأجهزة الاستشارية، الأطباء، الخ...<sup>(22)</sup>. أضف إلى ذلك أن السلك الطبي جد متعلق باستقلاليته (على الأقل في مجال خبرته) وهو المجال الذي لا تستطيع الإدارة مراقبته بشكل جيد<sup>(23)</sup>. كما أن الوسط الإستشفائي يتميز بوجود أشكال مراقبة تقليدية من بينها المراقبة بواسطة الثقافة المهنية، مراقبة المستويات الهرمية العليا، المراقبة بواسطة القوانين والإجراءات والتي تكللت إلى حد الساعة بتنظيم المهام الموكلة للمؤسسات الصحية العمومية.

بالنظر إلى مجموعة العناصر هذه، نجدها تفسر إلى حد ما تردد ممارسي الصحة في قبول أشكال جديدة للمراقبة يفرضها المسيرين، وفهمها كوسيلة أساسية تستخدمها الإدارة للتدخل في الممارسات المهنية من خلال مراقبة النتائج. وعليه يتوقف نجاح نظام مراقبة التسيير على ضرورة البحث عن الوسائل التي تتفادى بها تلك القيود تجعل نظام مراقبة التسيير ينشط بشكل تفاعلي مما يسمح بتبنيه من طرف مجموع الفاعلين في المؤسسات الصحية العمومية<sup>(24)</sup>.

### 3.2.2 قياس النشاط يتسم بالغموض:

إن صعوبة قياس النشاطات الصحية يشكل عائقا آخر في وضع آليات جديدة أو في تطبيق الممارسات التقليدية لمراقبة التسيير بالرغم من توفر مؤشرات النشاط والتي تكتنفها بعض النقائص<sup>(25)</sup>. أضف إلى ذلك أن النشاطات بالمؤسسات الصحية العمومية لا تتوفر على مناهج نمطية ما عدا بعض النشاطات مثل المغسلة، الإطعام، التعقيم، مع اعتبار أن الممارسات الطبية تختلف بشكل محسوس من أنشطة لأخرى ونفس الملاحظة فيما يخص بعض طرق التكفل الطبي. وفي مثل هذه الظروف يكون من الصعب جدا وضع محاسبة تحليلية استشفائية متناسقة. مع ذلك بعض الأدوات الجديدة في مراقبة التسيير مثل طريقة ABC أو ما يعرف بنظام المحاسبة بالأنشطة (Activity Based Costing) يمكن أن تمثل بدائل جديدة بالاهتمام<sup>(26)</sup>.

### 4.2.2 قيود تسييرية: محدودية ميكانيزمات التحفيز

من شروط تطبيق نظام مراقبة التسيير ضرورة وجود نظام تحفيزي موجه للمسؤولين العمليين، وهو ما لا نلمسه في ظل هيمنة النموذج التقليدي في تسيير المؤسسات الصحية العمومية في الجزائر؛ إذ نلاحظ عدم وجود دوافع قوية من زاوية المكافأة-العقوبة، كما أن ميكانيزمات التحفيز الفردي تصطدم أمام القوانين غير المرنة للوظائف العمومي التي تمنع أي ترخيص (Dérégation) في مسائل التعويضات

والترقية. ومن الرهانات التي تواجه مصممي نظام مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية هي التأسيس لنظام تحفيزي وتنشيطي فعال يسمح بإشراك الفاعلين في مراقبة التسيير (27).

### 5.2. العقبات التقنية :

كما هو معروف، فإن عملية مراقبة التسيير لا بد أن تستند إلى نظام معلومات فعال، والواقع يشير إلى تأخر المؤسسات الصحية في هذا الميدان وعدم وجود آليات تعمل على تكييف نظم المعلومات؛ مما كان له تداعيات مهمة في القدرة على وضع أدوات مراقبة التسيير. من جهة أخرى نلاحظ أن نظم المعلومات بالمؤسسات الصحية العمومية تنتج معلومات بصعوبة كبيرة، وفي غالب الأحيان نجد هذه النظم غير مندمجة؛ فالمعطيات مبعثرة وغير مستغلة بشكل كاف مع تباعد بين لحظة إنتاج المعلومة واستغلالها (28).

### 6.2.2 نظام تمويلي غير محفز في ظهور أو تطوير مراقبة التسيير:

يخضع التمويل في الجزائر إلى نظام الموازنة العامة (Budget global)، مع الإشارة أن مصادر التمويل تأتي أساسا من الدولة و ليس من عملية التبادل في سوق السلع والخدمات، مما يفضي إلى وقوع التناقض مع نظام مراقبة التسيير، ويُجرى عنه سلسلة من الانعكاسات الأساسية في تسيير المؤسسات الصحية خاصة في حالة نمو الطلب واستقرار مصادر التمويل، بالرغم من اعتماد النهج التعاقدية (Contractualisation) في تمويل الصحة والذي يؤدي إلى ضرورة إدخال مقاربة تسييرية رشيدة مبنية على حجم النشاط الفعلي للمؤسسات الصحية وهذا بهدف تحسين أداء النظام الصحي الذي تواجهه عدة تحديات.

إن النظام التمويلي في الجزائر مبني على منطق الوسائل أكثر من اعتماده على منطق النتائج، ولعل إدخال النهج التعاقدية سيساعد في إزالة هذا المنطق التسييري مما يشكل في حد ذاته أداة مساعدة لتطبيق نظام مراقبة التسيير (29).

### 7.2.2 محودية المحاسبة التحليلية المعتمدة على الأقسام المتجانسة

وُجهت عدة انتقادات للمحاسبة التحليلية المبنية على أساس الأقسام المتجانسة المطبقة على مستوى المؤسسات الصحية العمومية والتي تقرر إدخالها سنة 2001، نذكر أهمها :

- اختيار وحدات القياس لا يخضع إلى الموضوعية في غالب الأحيان؛
- أدوات المحاسبة التحليلية موجهة أساسا لمعرفة التكاليف، متناسية تماما نوعية الفاعلين وغير موجهة بالقدر الكافي نحو المعلومات الطبية، بعبارة أخرى عدم قدرة المحاسبة التحليلية المعمول بها حاليا على إدماج المعلومات الطبية مع معلومات التسيير؛ كمثال على ذلك عدم قدرة مؤشرات التكاليف المنتجة من طرف المحاسبة التحليلية التقليدية في إقناع و تجنيد السلك الطبي وامتثالهم للضوابط الاقتصادية.

- صعوبات تقنية نجمت عن تطبيقها على مستوى المؤسسات الصحية العمومية<sup>(30)</sup>.

### 8.2.2 تسيير تقليدي للمؤسسات الصحية العمومية

تخضع المؤسسات الصحية العمومية في تسييرها إلى قواعد غير مرنة، إذ تُعتبر مؤسسات ذات طابع إداري وهي تشبه الإدارات التقليدية البيروقراطية؛ حيث تطبق الإجراءات التقليدية للمحاسبة العمومية وتلتزم بقانون الوظيف العمومي وتخضع إلى المتابعة والمراقبة من طرف الإدارة المركزية من أجل تبرير كيفية توظيف الموارد المخصصة في الموازنة فقط وليس في تحقيق الأهداف المنشودة بفعل عدم إدراجها للأهداف على المدى القصير، المتوسط والطويل وكذلك بنظرتها الضيقة لمفهوم الإدارة والذي ينحصر في تطبيق النصوص والقوانين<sup>(31)</sup>.

### 9.2.2 عقبات تطبيق مرتبطة بالخدمة الصحية العمومية :

إن مساهمة المؤسسات الصحية العمومية (المراكز الإستشفائية الجامعية) في التعليم العالي، الوظائف العلاجية والوقائية و التدريبية والعلمية، وأيضا الوظائف المهنية والتأهيلية إضافة إلى وظيفة البحث العلمي، كل هذه المساهمات تتوخى تحقيق الأهداف العامة للسياسة الصحية الوطنية مما يفرض بروز قيود تخص الخدمة الصحية العمومية بالنظر إلى المحيط الذي تنشط فيه<sup>(32)</sup>.

### 3. مراحل تطبيق نظام مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية في الجزائر :

قبل أن نستعرض مختلف مراحل تطبيق نظام مراقبة التسيير، ينبغي للقائمين على نظام مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية في الجزائر الارتكاز على واقعية التحليل الاقتصادي المبني على مفاهيم ومراحل محددة والتي تمثل في مجملها شروطا لتطبيق نظام فعال لمراقبة التسيير الذي تنتظره صعوبات كبيرة في أداء مهامه والتمثلة في مدى قدرته على الاستجابة للشروط الأساسية التالية :

♦ أن يكون شاملاً بمعنى قدرة نظام المراقبة على المعالجة والتحكم في مجمل أنشطة المؤسسة الصحية، وإلا تعرض إلى طائفة عدم التجانس بين أجزاء هذا النظام.

♦ أن يكون مرناً وسريعاً لمساعدة المسؤولين في تحديد نتيجة الأعمال بشكل دوري وهو ما يتطلب وضع وتوفير معلومات سريعة تسمح بالتأكد على كل المستويات، وفي جميع المجالات أن النتائج متطابقة مع التقديرات<sup>(33)</sup>.

♦ أن يأخذ بعين الاعتبار المميزات الهيكلية والقيود التقنية والتسييرية السابقة الذكر التي تجعل من عملية تطبيق نظام مراقبة التسيير بفلسفتها ومنهجها وأدواتها عملية تحيط بها جملة من المخاطر.

في هذا المنظور، فإن تطبيق نظام مراقبة التسيير، لا يمكن أن يتم إلا بمراحل جد مدروسة، لأننا نلاحظ من خلال الممارسة العملية انشغالا كبيرا لدى الممارسين، بين

مرحلة المعرفة النظرية والدراسة العملية.

### 1.3 المرحلة الأولى: تحديد الأهداف التسييرية.

يتعلق الأمر هنا بتحديد وتعريف الأهداف التسييرية للمؤسسة الصحية اتجاه نظام مراقبة التسيير والهدف من تطبيقه. بما أن المؤسسة الصحية معنية هنا بإعادة هيكلة شاملة، ينبغي في الواقع، قبل وضع أي شيء إجراء دراسة كاملة ودقيقة للوظائف والمهام التي يؤديها كل عنصر في المؤسسة. كما ينبغي النظر أو إعادة النظر في الخريطة التنظيمية للمؤسسة التي يجب بناؤها من خلال وصف الوظائف والمسؤوليات. يسمح هذا التحليل الوظيفي بـ:

- تحديد مكانة كل وحدة نشاط في الخريطة التنظيمية؛
  - تحديد الوظائف الأساسية للوحدة؛
  - الإشارة إلى الروابط التي تجمع الوحدات وموقعها النسبي مع بعضها البعض.
- يتم تحليل هيكل المؤسسة الصحية بواسطة وحدات النشاط التي تم التعرف على وظائفها ويعين على رأسها إطار يمتلك سلطة معينة ويتولى مسؤوليات محددة وهو ما يعرف بمراكز المسؤولية (Centres de responsabilité) وهي عبارة عن وحدات من المستشفى، مستقلة ومتجانسة في نشاطها وفي أهدافها وتمتلك هيكلًا في السلم الهرمي (مسؤول له سلطات). وهيكل تشغيل (ميكانيزمات، إجراءات تنظيم الإنتاج...).
- وعليه، يتحتم على مختلف مراكز المسؤولية للمؤسسة الصحية تحديد الأهداف في المجالات التالية (34):

- المجال الأول يتعلق بالمسؤولية العمومية للمؤسسة، كجهاز مكلف بتلبية الاحتياجات الصحية.
- المجال الثاني يتعلق بالإنتاجية.
- المجال الثالث يتعلق بالإبداع سواء بالنسبة للمنتجات أو بتقنيات الإنتاج.
- المجال الرابع يتعلق بالموارد الضرورية لنشاط المؤسسة الصحية.
- المجال الخامس يتعلق بالسياسة المتبعة في تسيير الإطارات.
- المجال السادس يتعلق بسياسة الموظفين.

ينبغي ضمن كل مجال، تحديد ما يمكن قياسه وبواسطة أي وحدة قياس، ثم نحاول بعدها التفاوض وتحديد الأهداف أي نعبر عن الهدف برقم مدرج داخل جدول استحقاق (Echéancier)، كما يجب متابعة تحقيق الأهداف المسطرة بفضل عملية المراقبة الذاتية (Processus d'auto contrôle).

على كل مركز مسؤولية، أن يكون قادرًا، خلال دورات معينة، على مقارنة النتائج المحققة مع الأهداف المسطرة مع الإدارة العامة والتي تحصل بموجبها على الموارد الضرورية لذلك.



إن وضع نظام المراقبة الذاتية لكل مركز مسؤولية يتم تحت إشراف مراقب التسيير وبالتنسيق معه.

و نشير كذلك إلى أنه توجد عدة مقاربات ومناهج تسييرية تسمح بتحديد طرق شاملة في إدارة الأعمال، نجدها تحت مسميات مختلفة نذكر منها:

- الإدارة بالأهداف (Direction par objectif)؛
- مقاربة الجودة (Approche - qualité)؛
- النهج التعاقدية (Contractualisation)؛
- مشروع المصلحة (Projet de service) .

يبدو أن نظام النهج التعاقدية ونظام المراقبة الذاتية أفضل وسيلة لدمج مراكز المسؤولية للمؤسسات الصحية في مجموعة متجانسة تعطي لمختلف المسؤولين روح الفريق الحقيقية يستطيعون من خلالها التعبير عن إرادتهم في شكل أهداف تصبح بعد التفاوض متجانسة مع الأهداف العامة للمؤسسات الصحية (35)، كما ينبغي على مراقب التسيير الاتصال بكل مراكز المسؤولية لتحديد احتياجاتهم من المعلومات الضرورية؛ وفقاً لذلك يقوم مراقب التسيير بإعداد نظام معلومات متجانس ومتناسك لمجموع المؤسسة الصحية وكذلك الإجراءات المقابلة (36).

في جميع الحالات يجب أن يتضمن نظام مراقبة التسيير أهدافا واضحة، معروفة ومعترفا بها حتى يتسنى تطبيقه.

### 2.3 المرحلة الثانية: تشخيص الوضع القائم (37)

يندرج مشروع تطبيق نظام المراقبة ضمن سياق يبرر وضع تقويم مسبق للأوضاع (Etat des lieux) على المستوى الداخلي والمستوى الخارجي للمؤسسات الصحية العمومية.

#### 1.2.3 التشخيص الداخلي:

يتضمن التشخيص الداخلي إعطاء صورة عن كيفية اشتغال المصالح، نظم المعلومات الإحصائية، التسييرية والمحاسبية، كما يجب أن يفسر دوران المعلومات التصاعدي، التنازلية، الأفقية، وكذا تحديد الكفاءات الموجودة، المهن (Métiers)، درجة التزام الموظفين.

مما يتيح، مقارنة الخريطة التنظيمية الفعلية مع الخريطة النظرية بوزن أعباء العمل، مدى توازنها، التطورات التي قد تحدث نتيجة استخدام التكنولوجيات الجديدة...

#### 2.2.3 التشخيص الخارجي:

يتضمن التشخيص الخارجي ما يلي:

- مكانة المؤسسات الصحية العمومية في محيطها؛ هل توجد منافسة؟

- علاقة المؤسسات الصحية العمومية مع الوزارة الوصية والمؤسسات الأخرى.
- كيف يُنظر إلى الخدمة المقدمة؟ وما هو التطور المحتمل للطلب؟
- العناصر الأساسية لنجاح الخدمة المقدمة؛ ما هي نقاط الضعف، القوة، المخاطر والفرص؟
- المحيط الاجتماعي للخدمات. الخ...

ينبغي على الساهرين على نظام مراقبة التسيير إعداد دليل التشخيص على مستوى المؤسسات الصحية العمومية في الجزائر، يفسر العناصر التالية: الأهداف، الموارد، قياس النتائج، الإستراتيجية، ثقافة المؤسسة الصحية والتنظيم مما يساعدنا بعد ذلك على استخراج أدوات تقويم وتشخيص ملائمة وكذلك تفسير الطريقة التي تحول بها الموارد إلى نشاطات وفقا لمعايير الفعالية والفاعلية والملاءمة (38).

### 3.3 المرحلة الثالثة: وضع خطة العمل

يتوقف نجاح خطة العمل بنسبة كبيرة على المرحلتين السابقتين، و ذلك بالسعي أو البحث عن أهداف واضحة والعمل على تشخيص دقيق للمصالح يسمحان بوضع خطة عمل ملائمة ودقيقة.

كما ينبغي لهذه الخطة أن تعكس الطموح المهني أي تتضمن فروقا بين ما نستطيع القيام به حاليًا وما نريد تحقيقه مستقبلاً بهدف تحقيق ما هو أفضل. كما يجب على هذه الخطة أن توضح العناصر التي يجب متابعتها وتحليلها، والتي تعتبر كدليل شامل للعملية والمتمثلة في المجالات أو الوظائف التالية: الإدارة والموظفون، مصالحي العلاج والمصالح الطبية الفنية (39).

إن ترتيب مختلف المجالات أو الوظائف (الإدارة والموظفون، مصالحي العلاج والمصالح الطبية الفنية) أين تمارس نشاطات مراقبة التسيير سواء بتقديمها أو تأخيرها لا تعكس أهمية كل منها؛ في الواقع يجب أن يركز مراقب التسيير تحليله على المؤسسة الصحية بأكملها. كما أشرنا إلى ذلك من قبل وإلا تعرض نظام المراقبة إلى الفشل بسبب عدم التجانس. وهذا ما يفسر العدد الكبير من العناصر التي يجب تسجيلها على مستويات مختلفة من المؤسسة الصحية؛ فإغفال العناصر المهمة على مستوى وظيفة أو عدم الربط بين المصالح المختلفة يَخَلِّقُ بعملية فهم اشتغال المؤسسة.

ومن المعلوم أن خطة العمل ليست بالثابتة وهذا يعني أنّ مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية تبدأ بتحديد طموحات محدودة على مستوى التوثيق وجمع المعلومات الأساسية؛ إذ مع مرور السنين سيكون بإمكان مراقب التسيير الفهم بشكل دقيق لمختلف العناصر المقترحة. ولا بد أن نضيف أن كما هائلا من الصعوبات التقنية والنفسية ستواجه مراقب التسيير عند إعداد هذه المدونة وسنأخذ كمثال على ذلك مجال النشاطات الطبية الذي يصعب فهمه في بعض مكوناته: التوجه الحقيقي

للمصلحة، الأعمال الطبية الممارسة، معايير الجودة. الخ...

نشير إلى أن بعض العناصر المقترحة في حقل دراسة مراقبة التسيير غير قابلة للقياس وهذا لا يتعارض أساساً مع مراقبة التسيير التي لا يتوقف دورها في تحديد الفوارق بين قيمتين فقط ولكن يمتد أيضاً إلى استخراج وتحليل العوامل التفسيرية، صياغة التشخيص، وتسليط الضوء على أسباب الاختلالات؛ لهذا ينبغي على مراقب التسيير استخدام عناصر تفسير نوعية ظروف العمل، تغيير في النصوص... (40).

### 1.3.3 استخدام خطة عمل: عناصر نظام المعلومات.

تشكل المعلومات الأساسية كما سبق ذكرها، الأداة الأساسية لمراقب التسيير ولا ننسى أن هذا الأخير في خدمة مختلف مراكز المسؤولية، وعليه أن يحرص على عدم إغراقها بالوثائق والمعلومات الثقيلة وغير العملية تحت ذريعة المساعدة والتوجيه.

كما ينبغي عليه معرفة الاحتياجات الأساسية من المعلومات لكل مستوى وتزويد كل واحد بصفة دورية بالعناصر الضرورية لممارسة مهامه. وهذا يستدعي من مراقب التسيير التفكير الجيد في المعلومات التي يجب تقديمها لمختلف مستويات المسؤولية، وعليه تشكل خطة العمل الوسيلة التي نحدد بها المعلومات المناسبة لكل مسؤول.

- **تصنيف المعلومات:** تقديم المعلومات يتحدد وفق معيارين؛ مستوى القرار، ومصدر المعلومات.

فيما يتعلق بمستوى القرار، تم الاكتفاء بثلاث مستويات:

◆ المستوى الاستراتيجي الذي يتعلق بسياسة تطوير المستشفى أي تحديد الأهداف الإستراتيجية.

◆ المستوى التكتيكي الذي يتعلق باختيارات المستشفى في مجال الوسائل.

◆ المستوى التنفيذي الذي يسمح بمتابعة تحقيق الأهداف المسطرة.

ومما تجدر الإشارة إليه، التفاعل والترابط الكبير بين المستويات الثلاث للمعلومات لأنها تُثري بعضها بعضاً. فمثلاً عند إعداد الموازنة، ينبغي على مدير المؤسسة تلخيص المعلومات تحت المستويات الثلاث وذلك بإتباع التحليل التالي:

◆ ما هي الأهداف التي على المؤسسة الصحية تحديدها كي تبقى متجانسة مع التخطيط الإستراتيجي: معلومات تابعة للمستوى الإستراتيجي.

◆ مدى توفر الموارد لتحقيق الأهداف (معدل زيادة الأسعار، توفر اليد العاملة من الممرضين والأطباء. الخ...) وهذه معلومات تابعة للمستوى التكتيكي.

◆ إلى أي مدى تعطى النتائج المحققة في التسيير المصدقية للميزانية المعتمدة وهذه معلومات تابعة للمستوى التنفيذي(41).

- فيما يتعلق بمصدر المعلومات :

◆ على المستوى الإستراتيجي، لا يستدعى الأمر تعليق كبير بحكم أن المصدر الخارجي مستقل تماماً عن المؤسسة التي لا تتحكم فيه. أما على مستوى المصدر الداخلي فالمعلومات متوفرة في مجملها داخل نظام المعلومات التقليدي (المحاسبة التحليلية، الإحصاءات...).

◆ على المستوى التكتيكي والتنفيذي: هنا كل المعلومات تابعة للتسيير والغرض منها إعلام المسؤولين عن أحسن طريقة لتوظيف الموارد المتاحة سواء كان مصدرها داخلياً أو خارجياً. تستخدم هذه المعلومات من طرف المؤسسة لوضع أدوات قياس الأداء(42)، والمقدمة تحت أشكال مختلفة: تقارير ومذكرات أو جداول قيادة ملخصة، موجهة بصورة منتظمة لمختلف مراكز المسؤولية وفق دورات معينة(43).

وفي الأخير، نقول أن التفكير في خطة العمل يجب أن يندرج ضمن منظور الأداء من خلال تجسيده للمحاور التالية:

- الفعالية الاقتصادية – الاجتماعية؛
- الفاعلية أو فعالية التسيير؛
- الجودة؛
- التعلم والتطوير (Apprentissage – développement)؛
- وضع الإجراءات (44).

### 4.3 المرحلة الرابعة: متابعة النشاط

- نقوم خلال هذه المرحلة بمقارنة الأهداف المحققة مع الأهداف التقديرية، أو ما يعرف بتحليل الانحرافات.

- الصيغ الأساسية لتحليل الانحرافات نسبة إلى مرجعية تقديرات الموازنة :

◆ الانحراف بالقيمة المطلقة = التحقيقات – التقديرات.

(التحقيقات – التقديرات) × 100

◆ الانحراف بالنسب المئوية (%) =  $\frac{\text{التحقيقات} - \text{التقديرات}}{\text{التقديرات}}$

- هناك طريقة أخرى، تستند على النسب Ratios.

◇ مؤشر الفعالية وهي العلاقة بين النتائج والأهداف التوقعية:

### النتائج

: 1، المؤسسة حققت وتجاوزت أهدافها المسطرة.

### الأهداف التقديرية

◇ مؤشر الفاعلية وهي العلاقة بين النتائج والتكاليف المقدره

### النتائج

: 1، المؤسسة موجهة بشكل جيد فيما يخص الفاعلية المتوقعة.

### التكاليف المعتمدة

ينبغي تفسير هذه النسب وتحليلها حسب انحرافات جزئية أو مؤشرات جزئية كما هو الحال في تحليل الانحرافات.

نشير كذلك، إلى أنه يمكن للمؤسسة أن تكون فعّالة (تحقيق الأهداف) دون فاعلية (أي بأكثر تكلفة) والعكس صحيح.

أما إذا كان مؤشر الفعالية ومؤشر الفاعلية غير موجهين بشكل جيد لا بد في هذه الحالة من إعادة النظر في خطة العمل من حيث ملاءمتها ودقتها وكذلك في إستراتيجيات المشروع.

الانحرافات والمؤشرات تشكل عنصرًا من عناصر لوحات القيادة، وهي مؤشرات لها وظائف تنبيهية فورية للمسؤولين فيما يخص كيفية تطبيق مخطط العمل، والإنذار المبكر في حالة انحرافات غير طبيعية<sup>(45)</sup>. وفي هذا الإطار ينبغي على الخصوص :

- التركيز على المؤشرات التي تساعد المؤسسة على التدخل المباشر والسريع.
- إعادة النظر وبشكل دوري في المؤشرات والبحث بشكل مستمر عن طرق التكيف مع الأحداث الطارئة.

### 5.3 المرحلة الخامسة : التدابير التصحيحية.

ينبغي إنذار المسؤولين مبكرًا عن حالة إنجاز التحقيقات والتقديرات؛ حتى يتسنى لهم إدراج التعديلات اللازمة بسبب انحراف تحقيقات المصالح مع الأهداف المسطرة.

ويزداد تحليل الانحرافات تعقيدًا عندما تنتسب تقلبات المحيط في تغيير مخطط العمل و في تحقيق الأهداف المسطرة. من النادر جدًا أن يحدث تحقيق الأهداف وفق

عملية خطية، إذ تتدخل في نشاط المؤسسات الصحية مخاطر داخلية وخارجية تؤثر على التحقيقات والتقديرات والتي يستوجب تصحيحها.

تأخذ الأعمال التصحيحية عدة اتجاهات :

- تخصيص موارد إضافية أو تفعيل آلية الإنتاجية من أجل إعادة توجيه العمل بشكل يحقق الهدف المنشود. ولكون هذه الفرضية ليست مقبولة في سياق ندرة الموارد، فإن إعادة توزيع الموارد يمكن برمجتها كذلك (Redéploiement).  
- تقليص الأهداف بما يتناسب مع الموارد المتاحة وهي فرضية تتطلب الحذر، لأن بعض المقررين يعتبرون تقليص الهدف يرمز لعدم القدرة والفشل أكثر من رمزه للواقعية.

- إعادة جدولة (Rééchelonnement) التخطيطات هي الفرضية الأكثر استخدامًا، لأنها تحافظ على مشاعر أصحاب القرار ولا تخلق نفقات فورية. لكن التأخير الناتج عن إعادة الجدولة يخلق دائمًا تكاليف إضافية بسبب تمديد فترة تنفيذ مخطط العمل وخاصة تكاليف الهياكل.

كما يمكن للتدابير التصحيحية أن لا تؤثر على خطة العمل إذا كانت الانحرافات تقنية وغير مهمة، وقد تؤثر على الأهداف التسييرية نفسها مما يستلزم بعد ذلك إعادة بناء كل السيرورة (Processus) إذا كانت الانحرافات كبيرة. وفي هذه الحالة تفرض طرق جذرية نفسها مثل: الموازنة على أساس صفر وهي طريقة تمكن من ترتيب التوقعات الطويلة، المتوسطة و القصيرة الأجل وذلك بدفع أصحاب القرار إلى الالتزام بالأهداف بعد التفاوض حيث تصبح هذه الأهداف قابلة للمراجعة بشكل مستمر (46).

وقد يكون الإجراء التصحيحي عبارة عن مذكرة شفوية أو كتابية للفت نظر الموظف المسؤول عن الانحراف أو إجراء تأديبيا أكثر شدة بحقه وخاصة عند تجاوزه للقواعد والسياسات المحددة. وأياً كان الإجراء التصحيحي الذي يتخذه صاحب القرار فلا بد من متابعة هذه الإجراءات ودراستها للوقوف على أثرها على الرقابة مستقبلاً، فمن خلال المزيد من الدراسة والتحليل قد يجد المدير حاجة إلى معايير إضافية مختلفة لضمان النتائج المرغوبة (48).

## الخاتمة

- إن تطبيق نظام مراقبة التسيير بالمؤسسات الصحية العمومية يسمح للمسيرين بخلق بدائل للأهداف والوسائل من أجل تحقيق نتائج أفضل وتحسين الأداء وهذه هي الديناميكية التي نبحث عنها من وراء إدخال مراقبة التسيير بالمؤسسات العمومية من خلال تقليص الانحرافات، تحسين الفعالية، الفاعلية والملاءمة لصالح المهام الممارسة.

- كما بينت لنا هذه الدراسة أن عملية تطبيق نظام مراقبة التسيير بشكل فعال في المؤسسات الصحية العمومية يستدعي توفر مجموعة من الشروط وعوامل النجاح الأساسية التي تساعد على تجسيد المشروع.

- إن تطبيق نظام مراقبة التسيير لا يمكن أن يتم إلا بمراحل جد مدروسة تستند على واقعية التحليل الاقتصادي المبني على مفاهيم و خطوات محددة والتي تمثل في مجملها شروطا لتطبيق نظام فعال لمراقبة التسيير الذي تنتظره صعوبات تكمن في مدى قدرته على الاستجابة و تجاوز القيود أو العراقيل التالية:

• أن يكون شاملا بمعنى قدرة نظام المراقبة على المعالجة والتحكم في مجمل أنشطة المؤسسة الصحية و الإلمام بكل الجوانب التسييرية المتعلقة بها وإلا سقط في طائلة عدم التجانس وأصبح دون جدوى.

• أن يكون مرنا وسريعا لمساعدة المسؤولين في تحديد نتيجة الأعمال (حساب وتحليل التكاليف وقياس مؤشرات النشاط) بشكل دوري مما يتطلب وضع نظام معلومات سريع ومتجانس يسمح بالتأكد على كل المستويات وفي جميع المجالات أن النتائج متطابقة مع التوقعات .

• أن يأخذ في الحسبان المميزات الهيكلية وأيضا القيود التقنية التي تجعل من عملية تطبيق نظام مراقبة التسيير بفلسفتها ومنهجها وأدواتها عملية تحيظها جملة من العقبات نذكر منها ما يلي :

- إن المؤسسات الصحية العمومية تنشط في محيط خاص يتميز بالتبعية المطلقة للوزارة الوصية.

- تحديد أهداف الصحة بشكل غير دقيق (عموميات) وصعوبة تجسيدها في الميدان.

- خصوصية النشاطات الصحية: إنتاج الخدمات.

- قيود تسييرية: محدودية آليات التحفيز وعدم تأهيل الموارد البشرية.

- قيود تقنية: غياب نظام المعلومات.

- محدودية المحاسبة التحليلية: إنتاج المعلومات التسييرية.

- نظام تمويلي غير محفز.

- هيكل سلطة خاص.

- تسيير تقليدي إداري وبيروقراطي وافتقاره للمؤشرات.

- قيود مرتبطة بالخدمة العمومية.

وختاماً، تفسر القيود والشروط السابقة الذكر إلى حد ما تردد مهنيي الصحة في قبول أشكال أو طرق جديدة للتسيير يفرضها المسيرون، وفهمها كوسيلة أساسية تستخدمها الإدارة للتدخل في الممارسات المهنية من خلال مراقبة النتائج ومنه، يتوقف نجاح نظام مراقبة التسيير على ضرورة البحث عن الوسائل التي نتفادى بها تلك المعوقات وهذا بجعل نظام مراقبة التسيير ينشط بشكل تفاعلي وبالتالي يُمكن تبنيه من طرف مجموع الفاعلين للمؤسسات الصحية العمومية.

### الهوامش والمراجع:

- 1 - Ministère de la Santé et de la Réforme Hospitalière : Rapport préliminaire du conseil national de la réforme hospitalière, 2002, pp 1- 21.
- 2- Le contrôle de gestion dans les Administrations de l'Etat, éléments de méthodologie, Editions Trocadéro-Jouve imprimeurs, Paris, 2002, P.4, (In www.fonction-publique.Gouv.fr).
- 3- Guide méthodologique de mise en œuvre du contrôle de gestion au ministère de la Culture et de la Communication, France, 2004, P 8, (In www.Win2pdf.com.fr).
- 4- Le contrôle de gestion dans les Administrations de l'Etat, éléments de méthodologie, Op.cit, P. 17.
- 5- Idem, p.19
- 6- Ibidem.
- 7- Michel. Charpentier et Philippe Grandjean : Secteur public et contrôle de gestion, pratiques, en jeux et limites, Edition d'organisation, France, Paris, 1998, P 83.
- 8- Idem, P. 86.
- 9- Guide méthodologique de mise en œuvre du contrôle de gestion au ministère de la Culture, Op.cit, P. 12.
- 10- Idem, P. 13.
- 11- Jérôme Dupuis : Le contrôle de gestion dans les organisations publiques, Editions PUF, Paris, 1991, P 154.
- 12- Idem, P. 155.
- 13- Ibid, P .155.
- 14- René Demestere : Le contrôle de gestion dans le Secteur public, Editions librairie générale de droit et Jurisprudence, Paris, 2002, PP 189-190.
- 15- Idem, P .189.
- 16- Ibid, p.189.
- 17- Ibidem, p.189.
- 18- Michel. Charpentier et Philippe Grandjean : Op.cit, P. 282.
- 19- Jérôme Dupuis : Op.Cit, PP 155-156.
- 20 -Patrick Gibert : Le contrôle de gestion dans les organisations publiques, Editions d'organisation, Paris, 1980, P.22.
- 21- Idem, P.22.
- 22- Christian Fouquet : Réalités et Perspectives du Contrôle de Gestion dans les Organismes à but non lucratif du Secteur de la Santé, Thèse de Doctorat 3ème Cycle, Université Paris IX Dauphine, 1984.P.15
- 23- Cindy Pagés : Contrôle de gestion et Pratiques Managériales à l'Hôpital, Ecole Nationale de Santé Publique de Rennes, France, 2006, P.25.
- 24- Idem, P25.
- 25- Charles Ducrocq : La perception Du Contrôle de Gestion par les Responsables des services hospitaliers au travers du tableau de Bord, Institut d'Administration des Entreprises de Lille, Cahiers de Recherche, France, 1984, P. 11.
- 26- Cindy Pagés : Op .Cit, P.23.
- 27- Idem, P.25.
- 28- Ibid, P.25.
- 29- Bouchelaghem Amirouche : Le Contrôle de Gestion à l'Hôpital, quelques éléments de Réflexion, communication présentée au premier Colloque International



- d'Economie de la Santé Université Abderrahmane Mira-Bejaia, Novembre 2006, p.1.
- 30- Cindy Pagés: Op .Cit, p.23.
- 31- Banque mondiale : Revue des dépenses publiques ; Août 2007, P 168.
- 32- Cindy Pagés: Op .Cit, P.24.
- 33- Paul Henri Gauthier et Coll:l'Analyse de gestion à l'hôpital, Editions Heral,paris, 1974,P 39
- 34- Idem, P .P. 29-30.
- 35- Ibid, P .30.
- 36- Ibidem, P .31.
- 37- Michel. Charpentier et Philippe Grandjean : Op.cit, PP. 302-306.
- 38- Idem, P.306.
- 39- Paul- Henri Gauthier et Coll : l'Analyse de gestion à l'hôpital, Op.cit, P. 38.
- 40- Idem, P. 41.
- 41- Paul Henri Gauthier et Coll : le contrôle de gestion à l'hôpital, Editions Dunod, paris, 1979, P .51.
- 42- Idem, P .52.
- 43- Paul Henri Gauthier et Coll. : l'Analyse de gestion à l'hôpital, Op.cit, P. 44.
- 44- Guide méthodologique de mise en œuvre du contrôle de gestion, Op.cit, P. 37.
- 45- Michel. Charpentier et Philippe. Grandjean : Op.cit, PP.313-314.
- 46- Idem, PP. 314-315.
- 47- الدكتور فريد توفيق نصيرات : إدارة منظمات الرعاية الصحية، دار المسيرة، عمان، 2008، ص 218 .

## الإبداع والابتكار في المؤسسات الاقتصادية واقع و تحديات المؤسسات الجزائرية

### ملخص

رغم ما تؤكدته الدراسات الحديثة على الأثر الإيجابي للابتكار والإبداع على تنمية المؤسسات الاقتصادية، إلا أنها تبقى محلا لجدل نظري أكثر منه تطبيقي. حيث تنوعت البحوث في مجال تحديد مفاهيم الابتكار، ولكنها تبقى قليلة ومحتشمة في مجالات التطبيق وطرق القياس. فاهتمام الجزائر بمجال الابتكار في المؤسسة الاقتصادية يجعلها أكثر ارتباطا بفكرة قياس مدى تطبيقها للابتكار. وبناء على ما سبق، تتمحور إشكالية هذا المقال في تساؤل رئيس يدور حول واقع الإبداع والابتكار في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية. الإجابة على هذا التساؤل تمت اعتمادا على دراسة نظرية، وإحصائيات أصدرتها مختلف الهيئات.

د. صندرة سايبى

كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير  
جامعة قسنطينة 2  
الجزائر

### Abstract

Despite modern studies ascertain the positive effect of innovation and creativity on Enterprises development, this subject is still based on theoretical approaches rather than being debated on practical ones. Further, researches in determining the concepts of innovations are very diversified, however, it can be said that practical researches in domain of innovation are for a little. As far as Algeria is concerned with innovation applied on enterprises, the idea of finding ways in measuring the extent to which innovation is being applied. Therefore, the main question has been raised as follows: What is the reality of creativity and innovation in Algerian enterprises? The answer to this question is based on a field study based on theoretical study, and statistics that issued by various bodies.

### مقدمة

**يعتبر** الابتكار من المواضيع الحالية التي تحظى باهتمام خاص من طرف المؤسسات بأحجامها، والباحثين على حد السواء. لذا فليس من المفاجئ أن نجده يتموضع في قلب الاهتمامات العلمية والحكومية التي تهدف إلى العناية به وتحفيزه وتنميته. ويمكن اعتبار الإبداع والابتكار على حد السواء من بين العوامل الإستراتيجية التي تسهم في تنمية المؤسسات، في تشغيلها والزيادة من رقم أعمالها. وتتعكس أهمية الابتكار والإبداع في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية من خلال كونهما المنفذ الذي يخلصها من تهديدات الاستيراد العشوائي الذي طبع اقتصاد الدولة، وعلى هذا الأساس تسعى هذه المؤسسات إلى تشجيع أفرادها ومختلف الأطراف الفاعلين على

الإبداع والابتكار حتى تنمي من قدرتها التنافسية وتستطيع المساهمة في ترقية الصادرات.

في هذه الورقة البحثية نقدم مفهوم الإبداع والابتكار في المؤسسات الاقتصادية، مع تبيان دورهما وأشكالهما وأطر تطبيقهما في المؤسسات الاقتصادية، ثم فيما بعد تقييمهما على مستوى المؤسسات الجزائرية، بهدف الإطلاع واقع هذا الابتكار والإبداع على مستوى الجزائر.

### 1.1. إشكالية البحث

تتخصر إشكالية الدراسة في السؤال الجوهرى التالى:  
ما هو واقع الإبداع و الابتكار في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية ؟

ومن أجل الإجابة على هذا التساؤل سنتبنى الفرضية التالية: تفتقد المؤسسات الجزائرية للقدرة على الإبداع و الابتكار.

### 1.2. أهمية البحث

تكتسى دراسة هذا الموضوع أهمية علمية وتطبيقية، فأما الأهمية العلمية فتكمن في محاولة دراسة الإبداع و الابتكار في المؤسسات الاقتصادية من منظور متكامل يجمع بين تعريف الإبداع والابتكار وتحديد المراحل التي يمران بها، ويربط كل منهما بالمؤسسات الاقتصادية، وباعتبار أن موضوع الإبداع والابتكار في المؤسسات الاقتصادية حديث العهد نسبياً في الجزائر، لذلك فإن إخضاع مفاهيمه للدراسة النظرية يعطي أهمية واضحة لنمط الإبداع والابتكار المتواجد على مستوى المؤسسات في الجزائر، والبحث عن سبل تطويرها و جعلها أكثر استجابة لتغيرات المحيط، وأما بالنسبة للأهمية التطبيقية، فتسهم الدراسة الإحصائية التعرف على واقع الإبداع والابتكار المتواجدين بالمؤسسات الاقتصادية الجزائرية.

### 1.3. هدف البحث

في ضوء إشكالية البحث فإننا نهدف إلى محاولة تسليط الضوء على طبيعة و أشكال الإبداع والابتكار في المؤسسات الاقتصادية، والوقوف على هذه العوامل على مستوى المؤسسات الاقتصادية الجزائرية.

### 1.4. أسلوب البحث

يهدف الإجابة على إشكالية البحث تم اعتماد الأسلوب الوصفى التحليلي في الدراسة النظرية والعملية، فالدراسة النظرية تمت اعتمادا على تحليل الأدبيات المتوفرة عن موضوع الإبداع والابتكار التي تتوافق مع خصوصيات المؤسسات الاقتصادية، وذلك استنادا إلى جملة من المراجع تضمنت الكتب والدراسات العلمية والمواقع الإلكترونية باللغتين العربية والأجنبية، أما الدراسة التطبيقية فتهدف إلى

الإجابة على جزء الإشكالية المتعلقة بواقع الإبداع والابتكار على مستوى المؤسسات الاقتصادية بالجزائر وأهم المشكلات التي تواجهها.

## 2. طبيعة الإبداع و الابتكار في المؤسسة الاقتصادية

تعددت التعاريف المتعلقة بالإبداع والابتكار ولكن الواضح فيها هو أن مدلول الإبداع يختلف عن مدلول الابتكار، ومن أجل تحديد أدق لطبيعة كل منهما سنقوم بتقديم مفهوم لهذين المصطلحين، وتحديد مختلف الأنماط التي يمكن أن يأخذها كل منهما.

### 1.2. مفهوم الإبداع

يعرف الإبداع على أنه قدرة الفرد على إنتاج أفكار وأفعال أو معارف، وتعتبر جديدة وغير مألوفاً للآخرين، وقد يكون نشاطاً خيالياً وإنتاجياً، أو أنه صورة جديدة لخبرات قديمة أو ربط علاقات سابقة بمواقف جديدة، وكل ذلك ينبغي أن يكون له هدف معين، و يأخذ طابعا علميا أو فينا أو أدبيا أو غيره .

أما عن مفهوم الإبداع داخل المؤسسة فهو يعبر عن القدرة على تشغيل المعلومات وإعادة تنظيمها بطريقة منطقية تسمح بخلق شيء جديد، قد يتجسد في شكل منتج جديد أو تقنية جديدة للإنتاج أو خدمة جديدة، مما يسمح بالانفاذ إلى أسواق جديدة، و يمكن أن يكون الإبداع تحت الأشكال التالية: (1)

- **العصف الذهني (Brainstorming):** هو عبارة عن ترك الحرية لمجموعة من الأفراد للتخيل والتفكير في مجال ما من أجل اكتشاف أفكار جديدة، دون توجيه انتقاد لهم في مرحلة أولى .
- **التحليل:** و فيه يتم الربط بين معلومات مختلفة و موضوع البحث من أجل خلق قالب جديد لمنتوج أو خدمة ما.
- **مصفوفات الاكتشاف:** تسمح بالقيام بدراسة نظامية للإمكانيات من خلال إجراء تقاطع بين منتجات مختلفة (عمودياً) و مواصفاتها ( أفقيًا )، والتقاطع بين كل منتج ومواصفات المنتجات الأخرى يظهر أفكارا ومنتجات جديدة.

من خلال التعاريف السابقة نتبين لنا الأهمية البالغة التي ينطوي عليها الإبداع الذي يسمح بإعطاء نظرة أو صورة جديدة للأفكار والمواضيع المطروحة، وفقا لطريقة معينة تقوم في الأساس على عنصر مهم جدا وهو التفكير . و في هذا الإطار تجدر الإشارة إلى المراحل التي تمر بها عملية الإبداع والتي تتمثل في أربعة مراحل أساسية :

أ. **مرحلة التحفيز:** تنشأ هذه المرحلة بإدراك الشخص وجود مشكلة معينة، استناداً إلى المكتسبات والتراكمات العلمية لديه و خبرته، تسمح بتكوين قاعدة تشكل منطلقاً لأفكاره الجديدة.

ب. **مرحلة الانغماس:** تشتمل هذه المرحلة على الإحاطة الجيدة بالمشكلة، دون التفكير في حلها .

ج. **مرحلة التفريخ:** تبنى هذه المرحلة على أساس التفكير اللاشعوري في المشكلة، عن طريق تحويل التفكير إلى أشياء أخرى في لحظات غير محددة، كالاستيقاظ من النوم أو عند ممارسة نشاط يومي ما

د. **مرحلة الإلهام (Insight):** يظهر الحل في هذه المرحلة بشكل فجائي غير متوقع يومض في العقل.

هـ. **مرحلة التحقق (Verification):** يختبر المبدع في هذه المرحلة صحة وجوده ابتكاره من خلال تجريبه، وربما تجري في هذه المرحلة بعض التعديلات أو التغييرات من أجل التحسين. و يجدر بنا النظر إلى الإبداع بوصفه عملية ديناميكية متفاعلة مستمرة شأنها شأن الكثير من العمليات النفسية الأخرى. وهذا ما يتعارض مع تقسيم عملية الإبداع إلى مراحل متميزة.

وانطلاقاً من تزايد الاهتمام بالإبداع في الوقت المعاصر، وزيادة تعليمه على مختلف الأصعدة العالمية قام عدد من العلماء والكتاب وعلماء الإدارة بطرح أفكار أصبحت تعرف فيما بعد بنماذج عرفت بأسمائهم، إذ قدمت هذه النظريات معالجات مختلفة حول الإبداع، وفيما يلي موجز لأهم ما جاءت به بعض نماذج الإبداع : (2)

#### أ. نموذج (March & Simon;1958)

فسرت هذه النظرية الإبداع من خلال معالجة المشكلات التي تعترض المنظمات إذ تواجه بعض المنظمات فجوة بين ما تقوم به وما يفترض أن تقوم به، فتحاول من خلال عملية البحث خلق بدائل، فعملية الإبداع تمر بعدة مراحل هي فجوة أداء ، عدم رضاء، بحث و وعي، وبدائل، ثم إبداع حيث يوضح هذا النموذج أن الفجوة تحدث بسبب عوامل خارجية طارئة، كالتغيرات في البيئة الخارجية الاقتصادية، والسياسية ، والتكنولوجية، والتسويقية، أو بسبب عوامل داخلية مثل تعيين موظفين جدد.

#### ب. نموذج (Burns & Stalker;1961)

وكانا أول من أكدا على أن التراكيب والهياكل التنظيمية المختلفة تكون فاعلة في حالات مختلفة ، فمن خلال ما توصلوا إليه من أن الهياكل الأكثر ملائمة هي التي تسهم في تطبيق الإبداع في المنظمات من خلال النمط الآلي الذي يلائم بيئة العمل المستقرة و النمط العضوي الذي يلائم البيئات سريعة التغير، كما أن النمط العضوي يقوم عن طريق مشاركة أعضاء التنظيم باتخاذ القرارات ،فهو يسهل عملية جمع

البيانات و المعلومات ومعالجتها .

### ج. نموذج (Harvey & Mill;1970)

قد استفادا مما قدمه كلا من (March & Simon) و (Burns & Stalker)، فانصب تركيزهم على فهم الإبداع من خلال مدى استخدام الأنظمة للحلول الروتينية – الإبداعية والتي يمكن أن تعرف أكثر بالمشكلة والحل - ، فقد وصفوا أنواع المشكلات التي تواجهها المنظمات وأنواع الحلول التي قد تطبقها من خلال إدراك المشكلة عن طريق ما تحتاجه من رد لمواجهة المخاطر والمشاكل المحتمل حدوثها مسبقا أو لتقادي وقوع أي مشكلة قد تحدث في المستقبل، حيث تسعى المنظمة لاستحضار حلول إبداعية لم يتم استخدامها من قبل لمعالجة المشكلات غير الروتينية أو الاستثنائية بتبني الهياكل التنظيمية والميكانيكية والعضوية. كما تناول هذا النموذج العوامل التي تؤثر في الحلول الإبداعية والروتينية مثل حجم المنظمة وعمره، درجة المنافسة، درجة التغيير التكنولوجي، درجة الرسمية في الاتصالات ،فكلما زادت مثل هذه الضغوطات يتطلب الأمر أسلوب أكثر إبداعا لمواجهةها .

### د. نموذج (Wilson;1966)

قد بين عملية الإبداع من خلال ثلاثة مراحل هدفت إلى إدخال تغييرات في المنظمة وهي: إدراك التغيير، إقتراح التغيير، وتبني التغيير وتطبيقه، ويكون بإدراك الحاجة أو الوعي بالتغيير المطلوب ثم توليد المقترحات وتطبيقها،فإفترضت نسبة الإبداع في هذه المراحل الثلاث متباينة بسبب عدة عوامل منها التعقيد في المهام (البيروقراطية) وتنوع نظام الحفظ، وكلما زاد عدد المهام المختلفة كلما إزدادت المهمات غير الروتينية مما يسهل إدراك الإبداع بصورة جماعية وعدم ظهور صراعات، كما أن الحوافز لها تأثير إيجابي لتوليد الإقتراحات وتزيد من مساهمة أغلب أعضاء المنظمة .

### هـ. نموذج (Hage and Aiken;1970)

يعد من أكثر النظريات شمولية، إذ أنها تناولت المراحل المختلفة لعملية الإبداع فضلا عن العوامل المؤثرة فيه، وفسرت الإبداع على أنه تغيير حاصل في برامج المنظمة تتمثل في إضافة خدمات جديدة .

### 2.2. الابتكار (Innovation)

إن أول ما يمكن قوله في هذا المجال هو غياب تعريف موحد للابتكار، فقد اختلفت التعاريف حول هذا المفهوم من مفكر لأخر. إلا أنه يمكن القول بأن الابتكار هو الإتيان بالجديد و تطبيقه على أرض الواقع. ويعتبر المفكر الاقتصادي شامبيتر

**Schumpeter** أول من استعمل هذا المصطلح سنة 1939 بقوله أن الابتكار هو التغيير المنشئ أو الضروري. وقد حدد شامبيتر خمسة أشكال للابتكار: (3)

- إنتاج منتج جديد؛
- وضع تنظيم جديد؛
- تبني طريقة إنتاج جديدة؛
- استخدام مصاريف جديدة للمواد الأولية؛
- فتح سوق جديدة.

يعرف ميهالي تشيكتسنميهالي أن الابتكار هو مجموع نتائج تفاعلات العديد من البشر والعوامل، و يمكن تعزيزه ببساطة بتغيير البيئة التي نعمل من خلالها و بطريقة تفاعلنا و ليس بقيام مؤسسة بتوظيف موهبة ابتكارية لفرد واحد. (4) و يمكن تعريف الابتكار أيضا بأنه عملية إنشاء وتطوير واكتساب و تنفيذ المنتج الجديد، الخدمة الجديدة، العملية الجديدة بهدف تحسين الكفاءة والفعالية والميزة التنافسية بما يضيف قيمة للمنظمة ولأصحاب المصلحة.

في حين يعرف ايلين بيرس الابتكار على أنه قدرة الافراد على تجنب الروتين العادي والطرق التقليدية في التفكير، مع انتاج اصيل وجديد أو غير شائع يمكن تنفيذه او تحقيقه. (5) كما ويعرفه ألكسندرو روشك أنه عملية معقدة ذات وجود و أبعاد متعددة. (6)

تعرف مؤسسة التعاون الاقتصادي والتنمية (OCDE) الابتكار في المؤسسات على أنه مجموعة الطرق العلمية ، التكنولوجية، التنظيمية ، المالية و التجارية التي تمكن المؤسسة من طرح منتجات جديدة أو محسنة في السوق . (7) و يعرف أيضا على أنه الإتيان بفكرة جديدة في طريقة عمل المؤسسة، من أجل جعلها أكثر إبداعا، تفاعلا و أكثر تنافسية. حيث تعتبر المؤسسة غير المبتكرة معرضة للخطر ما لم تستطع ابتكار عرضها من المنتجات بالقدر الكافي و الدائم، و لعل تطبيقها لفكرة عبقرية معينة يجلب لها المردودية الكبيرة و لفترة زمنية طويلة . و على هذا الأساس أصبح الابتكار عملية مستمرة تسمح بمواكبة او مجارات الركب و بالتالي إمكانية المنافسة و الاستمرار. (8)

و منه نستخلص من خلال التعاريف السابقة أن الابتكار هو الشيء الوحيد مهما زاد فإن الأفراد والشركات يطالبون المزيد منه فالابتكار هو صناعة المستقبل لأنه يأتي بالفكرة الجديدة التي توجد المجال الجديد للبحث، و تأتي بالمنتج الجديد الذي ينشأ الطلب عليه و يأتي بالسوق الجديد الذي يحرك الصناعة و الاقتصاد نحو مستوى أعلى من التطور.

هذا و يعتبر الإبداع المادة الخام التي يتشكل منها الابتكار و المؤثر المباشر على سيرورته. (9) ونشير إلى أن الفرق بين الابتكار والإبداع يكمن في أن هذا الأخير

يكون نتيجة لحظة معينة أما الابتكار فيتحقق عبر فترة من الزمن. أما مؤسسة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) فتشير إلى أن الفرق بين الإبداع و الابتكار يتمثل في كون الإبداع يعبر عن نشوء الفكرة، أما الابتكار فهو عبارة عن وضع هذه الفكرة حيز التنفيذ .

### 3. أشكال الابتكار في المؤسسات الاقتصادية

يمكن التفريق بين مختلف أشكال الابتكار حسب نوعه أو الشكل الذي يمكن أن يظهر به، أو المستوى الذي يمسه أو أهميته على مستوى الاقتصاد، أو عدد الوظائف التي مسها الابتكار داخل المؤسسة، وهناك بعدين للابتكار وهما درجة الابتكار على مستوى المؤسسة، و درجة الابتكار على مستوى الأسواق، وفي النهاية تنتج تغييرات تنظيمية واضحة على إثر الأنواع التي يمكن أن يأخذها الابتكار والتي يمكن تفصيلها فيما يلي.(10)

#### 1.3. التقسيم حسب النمط: ابتكار في الإنتاج، سيرورة الإنتاج، التنظيم، التوزيع

إذن يمكن تقسيم الابتكار حسب النمط كالتالي:

- **الابتكار في الإنتاج:** يظهر الابتكار في كل مجالات الإنتاج تقريبا، كما قد يتجسد في خلق مؤسسة في أي قطاع من قطاعات النشاط و على مستوى عدة أسواق مختلفة. حيث يمكن خلق منتج جديد أو إعادة تشكيل منتجات متواجدة، أو إنتاجها بطريقة مختلفة حسب نوع السوق أو قناة التوزيع، ويمكن أن يقدم المنتج الجديد خصائص تعرض على الزبائن مزايا جديدة، أو تحسينات تستجيب بشكل أفضل لحاجات الاستعمال، و قد تمس هذه المواصفات الذوق، الاستعمال، الديمومة، الجمال، الراحة، المرونة، قدرتها التحملية...الخ.
- **الابتكار في إجراءات الإنتاج:** يمكن صنع المنتج بفضل تكنولوجيا جديدة، أو سيرورة إنتاج غير معروفة. فالتكنولوجيا يمكن أن تتجسد في شكل تجهيزات جديدة للإنتاج، أو إدخال مادة أولية مختلفة، أو تنسيق جديد بين مختلف التجهيزات. خاصة و أننا نعلم جيدا أن إعادة تهيئة مصنع أو إعادة تنظيم مراحل إنتاج منتج ما يمكن أن تضمن أرباحا إضافية تسمح بتقليص التكاليف، وأيضا تحسين تنافسية المؤسسة.
- **الابتكار التنظيمي:** يمكن للابتكار أن يحول التنظيم، ومثالا على ذلك الإنتاج حسب الطلب (JAT) بطريقة تستجيب بسرعة لتدفقات الطلب، مع التقليص من التخزين في آن واحد، و هذا ما يمكن اعتباره ابتكار كبير على مستوى التنظيم. حيث أنه يؤدي إلى تشجيع العمل الجماعي، ويضمن مرونة كبيرة في إنجاز المهام إذ يتطلب تواجد عدد هام من العمال في عملية الإنتاج، مما يستوجب بدوه البحث عن الحلول الناتجة عن المشاكل المحتملة لمقاومة التغيير غير المتوقع.



أو تطبيق مبدأ الجودة الشاملة التي تستدعي من كل موظف مراجعة مستوى جودة المنتج ومراقبته خلال كل مرحلة من مراحل إنتاجه. ويتطلب الابتكار التنظيمي نشاطات استثنائية من حيث التكوين داخل المؤسسة (إدخال عمال جدد أكثر كفاءة، إدخال مستشارين بغرض تغيير العمل) أو خارج المؤسسة (القيام بإعداد برامج تكوين خاصة لفائدة بعض العمال) فهي تدخل تغييرات على مستوى الهيكل السلمي للمؤسسة و علاقات العمل.(11)

- **الابتكار في التوزيع:** إن الابتكار على مستوى التوزيع يمس كل العناصر التجارية للمؤسسة، وكذا النقل و المستودعات. إذ من الممكن أن يكون للمؤسسة بائعين أو أعوان تجاريين خاصين بها، أو أن تتعهد بتوزيعها إلى مقاولين من الباطن أو ديار تجارية (**Maison de Commerce**) بالنسبة لمبيعاتها الدولية. ويمكن أن تفتح محلات خاصة، أو تبيع بالمراسلة عن طريق الكاتالوجات والانترنت. ويمكن أن تطور أدواتها الأشهرية على المستوى الداخلي أو تمر عبر خبراء تجاريين، في مجال خدمات ما بعد البيع مثلا.

وقد بينت الدراسات أن النسبة الأكبر من الابتكار والإبداع تكون على مستوى المنتجات أكبر مما هو عليه الحال بالنسبة لسيرورة الإنتاج، أما بالنسبة للابتكار الذي يرتبط بالعمليات التجارية والتنظيم فهو جد محدود.

### 2.3. التقسيم حسب مستوى التدخل

يمكن تقسيم الابتكار حسب مستوى التدخل إلى ابتكار تدريجي، و ابتكار جذري، و ابتكار نظامي و ابتكار شامل و ابتكار مقطوع، و يمكن تفصيل ذلك كما يلي:

- **الابتكار التدريجي:** يمكن أن يكون الابتكار هامشي، أي ابتكار يحدث على مستوى المنتج من خلال التغيير البسيط في شكله أو الوسائل المستعملة، أو التغليف... الخ. و يمكن أن يؤدي هذا النوع من الابتكار إلى الرفع من مردودية التجهيزات، أو تزويدها ببرامج الإعلام الآلي، أو إدخال عملية جديدة... إضافة إلى ذلك فالشركات الجديدة تطلق أنشطتها بالاعتماد على آلات و معدات قديمة و هذا بسبب صعوبات مالية خارجية، مما يجعلها تسعى دائما للابتكار التدريجي في تجهيزاتها من خلال تغيير المحركات، و الربط بين الآلات من خلال إضافة قطاع غيار تسهم في إنجاز عمليات إنتاج جديدة.

- **الابتكار الجذري:** يمكن أن يكون الابتكار جوهريا و ذو أهمية كبرى بالنسبة للمؤسسة. حيث يمكن أن ينتج عنه منتج جديد بالاعتماد على آلة تطور الإنتاج أو نمط جديد تماما للبيع. و هذه الصورة من الابتكار هي جد نادرة، حيث تشكل أقل من 5% من الابتكار الممكن أن نجده على مستوى مختلف المؤسسات. فهو

ينتج عن سلسلة من الابتكارات الصغيرة التي تنتهي بتحويل المنتج أو سيرورة الإنتاج.(12)

و يحدث أحيانا أن الابتكار الجذري يحول تدريجيا العديد من القطاعات الاقتصادية مثلما هو الحال بالنسبة الترانزيستور، أو الرقائق الالكترونية. و هو ما نجده في بنك الاختراعات، لأن هذه العناصر الجديدة يمكن أن تحصر و تحمي حسب قانون براءات الاختراع على مستوى كل دولة.

● **الابتكار النظامي:** يمكن أن ينتج الابتكار في شكل تغيرات تحدث الواحدة تلو الأخرى داخل المنظمة. و من المفترض أن تحوي هذه المنظمات على مركز أبحاث رسمي أو تقوم بإمضاء عقود مع تنظيمات بحث أو تنظيمات تشجع البحوث الوطنية أو الجامعية.

● **الابتكار المتقطع:** يمكن القيام بالابتكار من وقت لآخر، أي حينما يتطلب الأمر ذلك، و لقد أشرنا فيما سبق إلى أن بعض المؤسسات قد تشتري تجهيزات قديمة، في حين هناك مؤسسات أخرى تنتظر طلبات خاصة ببعض الزبائن من أجل مجانسة أو تحسين أداء المنتج أو طريقة تقديمه للزبائن، أو من أجل الاستجابة تدريجيا لضغوطات المنافسين، كما قد يبرز بعض المسيرين رد فعل يتجه نحو الابتكار و ذلك بعد زيارة معارض للصناعات تستقطبهم فيها بعض المنتجات أو التجهيزات.

● **الابتكار الشامل:** لقد تبين لنا أن الابتكار الجذري يسمح بتمايز قوي مقارنة مع المنافسين من خلال خلق منتج جديد، أو إدخال طرق جديدة للإنتاج يمكن أن تطور أو تخلق قطاع جديد للنشاط. ويتطور الابتكار الجذري فيما يعرف بالصناعات النقطة مثل صناعة التجهيزات الالكترونية و الخاصة بالإعلام الآلي، و كذا الصناعات الكيماوية الدقيقة، و الطاقات المتجددة، و البيوتكنولوجيا، فمنتجات هذه الصناعة تتطور عموما بسرعة كبيرة جدا، و هذا ما قد يؤدي إلى إضعاف المؤسسات، و خاصة إذا ما برز منافسين بعد الابتكار الذي قامت به المؤسسة. إضافة إلى ذلك يمكن أن يجلب الابتكار لأصحابه فوائد و أرباح كبيرة، و لكن في نفس الوقت قد يكون هذا الابتكار جد مخطر. و بالنسبة للابتكار التدريجي، فبالفعل نادرا ما يحمل المؤسسة إلى إحداث تغيرات واضحة و سهلة التقليد، أو في بعض الأحيان قد يكون قد تجاوزه الدهر من خلال ظهور تغيرات تكون قد حدثت فيما بعد، إضافة إلى ذلك فغالبا ما لا يمكن حصول هذا النوع من الابتكار على براءات الاختراع، و حتى أن الاختلافات تكون جد صغيرة عما كانت عليه الوضعية سابقا، و لا تعبر إلا عن ابتكارات بسيطة.

و لهذا نجد أن الكثير من المسيرين يفضلون التمسك بجملة من الابتكارات البسيطة (التدرجية) على مستوى مختلف مراحل الإنتاج أو التوزيع بطريقة

تسمح بالتمايز بشكل كافي و معقد حتى لا يمكن للمنافسة تقليده، و إضافة إلى ذلك يقوم هؤلاء المسيرين بالتغيير التدريجي لعناصرهم من أجل التحكم الكامل في الميزات التنافسية أو قواعدهم التنافسية التي تمس الأسعار و الجودة، و كل المفاتيح الأخرى لنجاح منتجاتها، و هذا ما نسميه بالابتكار الشامل.(13)

#### 4. العوامل المؤثرة على الإبداع و الابتكار في المؤسسات الاقتصادية

إن الحديث عن الإبداع و الابتكار في المؤسسات الاقتصادية يقودنا إلى الحديث عن تلك العوامل أو الظروف التي تجعل عملية الإبداع و الابتكار ضرورة ملحة . و التي يمكن إجمالها في النقاط التالية :

##### 1.4. المسير و الابتكار في المؤسسات الاقتصادية

يؤكد شامبيتر على أن المسير هو مفتاح الابتكار في المؤسسة الاقتصادية.(14) إذ هو من يبادر بغرس الابتكار في المؤسسة. رغم أن تعقد مهامه و محدودية وقته قد يحول دون ذلك، و تعتبر Boutillier و Uzundis (15) أن المسير في حالة كونه هو من قام بإنشاء مؤسسة سيكون مبتكرا بطريقة تلقائية، حيث يطبق كل شيء جديد على مؤسسته، حيث لوحظ أن المؤسسات التي يكون فيها المسير هو المالك هي أكثر إبداعاً و ابتكاراً من المؤسسات الأخرى التي لا يرد فيه ذلك.

أما على مستوى التكوين العلمي وخبرة المسير وجد أن الفرد الذي يمتلك شهادة في المجال العلمي أو التقني هم الأكثر قدرة على الإبداع ممن يحملون شهادة في إدارة الأعمال أو المالية، و كذا المسير الذي لديه خبرة مسبقة تطورت على مستوى مؤسسة كبيرة، هو الأكثر قدرة على الإبداع و الابتكار.

و يمكن للمسير أن يقود الابتكار في المؤسسات الاقتصادية من خلال تحمل مخاطر إدراج أفكار جديدة، و استقطاب المبتكرين و التمسك بهم، و تكوين نظرة واضحة قائمة على الابتكار، و وضعها ضمن لائحة الأولويات، و تحديد الطريق الذي ينبغي اتباعه من أجل تحقيق هذه النظرة، و البحث عن الأفراد الذين يسهمون في تحقيق ذلك، و كذا تجميع و دعم فرق مكملة تشجع الابتكار.

##### 2.4. ضغط التكنولوجيا

فمن أهم هذه العوامل عنصر التكنولوجيا، فهذه الأخيرة أصبحت تشكل ضغطاً على المؤسسات و تفرض عليها الابتكار المستمر حتى تضمن استمرارها و تحافظ على قدرتها التنافسية .

##### 3.4. ضغط السوق

ويمثل عنصر السوق أيضاً احد دوافع المؤسسة إلى الإبداع و الابتكار، فقد أثبتت

الدراسات أن مصدر الابتكار غالبا ما يكون نتيجة لطلبات الزبائن ، ففي هذه الحالة تدخل المؤسسة تحسينات وتغييرات على منتجها بغرض تكييفه مع احتياجاتهم . كما قد يكون الابتكار سببه المنافسة الشديدة في السوق، حيث تجد المؤسسة نفسها مجبرة على تبني ابتكار قوي، وأكثر تأثيرا من الابتكارات المتبناة في المؤسسات المنافسة، لتتمكن من المحافظة على حصتها في السوق والتوسع في أسواق جديدة.

إن الخصائص التي تميز بعض المؤسسات الاقتصادية الناتجة عن الاتصالات المباشرة التي تسهل معرفة كل ما يحدث، والحاجات الجديدة للزبائن التي تظهر على مستواها التجاري، وكذا على مستوى الإنتاج (ضرورة تكييف التجهيزات) والمشتريات (شراء متطلبات جديدة)، أو مخطط التمويل (إيجاد مصدر جديدة للتمويل)، كل هذا يسهل ويحفز كثيرا على إيجاد حلول جديّة للمشاكل التي قد تطرح والتي يبرزها الزبائن. والابتكار أمر ضروري بالنسبة للمؤسسات الاقتصادية (16) ، و ذلك يرجع إلى أن الابتكار يمثل الوسيلة الممتازة لخلق طاقة تتطور على المدى الطويل، وكذا الحصول على قدرة وميزة تنافسية للبقاء في ظل تزعزعات المحيط الاقتصادي الراهن. (17)

و يبقى عائق القدرة على تمويل الابتكار إحدى القيود المفروضة على المؤسسات الاقتصادية، والتي تحد من قدرتها على الابتكار. حيث نجد أن الكثير من المؤسسات تعاني من هذه الإشكالية في حالة الابتكار في مرحلة الإنشاء أو في استخدام التكنولوجيا العالية. (18)

### 5. بعض الطرق لتحديد مستوى الابتكار في المؤسسات الاقتصادية

يعتبر من الصعب تحديد مستويات الابتكار سيما الشامل منه، حيث أنه غالبا ما يستحيل حساب المصاريف المنفقة، و هذا عكس الابتكار الجذري المدعم من طرف مراكز بحث جد منظمة. إضافة إلى ذلك يمكن الاعتماد على المصاريف الموجهة مباشرة إلى وظيفة البحث و التطوير، و خاصة تلك التي تتعلق بالمؤسسات الكبيرة، أو أيضا المعلومات الرسمية المتأتية من بنوك الاختراعات، و هذا ما جعل جل الباحثين يفكرون و لوقت طويل بأن الشركات الكبيرة هي فقط المصدر الوحيد للابتكار.

#### 1.5. بنوك الاختراع و إحصاءات أخرى

إذا ما رجعنا إلى بنوك الاختراع فإننا نلاحظ الحضور القوي للمؤسسات الكبيرة، رغم أن التحاليل الحالية أعادت النظر في هذا الأمر، و برزت بذلك عدة انتقادات بينت أن عدد الاختراعات هو مقياس سيء للابتكار. فمثلا، قد تكون هناك اكتشافات هامة يمكن أن تكون محمية من طرف براءة اختراع واحدة فقط على الأكثر تتحدد في جزء جد دقيق من منتج ما أو في وسائل الإنتاج، في حين قد تكون هناك اكتشافات هامة يمكن أن تكون محمية بالعديد من براءات الاختراع، و التي تلمس كل عنصر من

عناصر الابتكار، و هذا ما يطبق في اليابان. ومن جهة أخرى فقياس الابتكار يجمع بين الكم والنوع فمقياس العدد وحده يعتبر غير كافي، حيث يختلف حسب طبيعة قطاع النشاط و مستوى تطوير المؤسسات الاقتصادية، لذا كانت هناك محاولة لقياس أثر كل اكتشاف على القطاعات و لكن تم الوصول إلى نتائج جد غامضة.

### 2.5. الإنفاق على البحث و التطوير

هناك مقياس آخر لمقارنة إنفاقات الميزانية على البحث و التطوير لكلا في المؤسسات الاقتصادية، وفعلا هذا ما نلاحظه في المؤسسات الكبيرة فهي تنفق أموالا كبيرة على البحث و التطوير، وكذا بالنسبة للباحثين الذين تجندهم في ذلك. ونشير إلى أن الإنفاق الكبير لا يعبر عن الحجم الكبير للاختراع، فهناك دراسات أجريت في سنوات السبعينات في الولايات المتحدة الأمريكية أبرزت أن الابتكار يتطلب موارد بشرية و إنفاق في بعض المؤسسات أقل مما هو عليه الحال بالنسبة لمؤسسات أخرى.

(18)

وعلى العموم، فمن الصعب مقارنة أنماط معينة من المؤسسات مع مؤسسات ذات نمط آخر بصفة نظامية، لأن الابتكار على مستوى إحداهم يؤثر على ابتكار الأخرى. ويكون هذا صحيح في حال كون إحداهما تعطي الأوامر، أو في حال المسيرة من الباطن، وهذا أيضا صحيح في حال مؤسسة ومصنعي المعدات الأصلية، فالحاجات الجديدة لأحدهما تحث الأخرى على تخيل أفكار جديدة وإمكانات أحدهما تسمح للأخرى بتطوير منتجات جديدة. فالابتكار لا يبرز في الوضعيات المغلقة.

### 3.5. الميل الحدي للابتكار

أصبحت المعلومات الخاصة بالابتكار في المؤسسات الاقتصادية متزايدة شيئا فشيئا خلال السنوات الأخيرة، و في دراسة ميدانية أخرى أجريت على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية و التي مست قطاعات أنشطة تمتاز بتغير سريع أبرزت أنه من بين 34 فرع من كل القطاعات الصناعية، قامت فيه المؤسسات الناشئة بالابتكار في 14 حالة أكثر مما هو عليه الحال بالنسبة للمؤسسات الكبيرة، و في دراسة ميدانية أخرى أجريت في إيطاليا في سنة 1989 من طرف مكتب الإحصاء أكدت أن أكثر من 60% من المؤسسات الناشئة قامت بالابتكار خلال سنة.

### 6. مظاهر الإبداع والابتكار في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية

تترجع المؤسسات الاقتصادية سيما ذات الطابع الخاص على عرش اهتمامات الدولة الجزائرية، إذ من خلالها يمكن خلق إنتاج محلي يسمح بتلبية الحاجات الوطنية من مختلف السلع و الخدمات، كما تطرح الفرصة أمام الدولة للتخفيض من اعتمادها الكبير على المحروقات. وفي هذا الإطار اعتمدت الحكومة جملة من البرامج التي

هدفت إلى تشجيع إنشاء مؤسسات اقتصادية ودعمها من حيث تقديم تسهيلات التمويل والإعفاءات الضريبية المختلفة، كما وضعت برامج تسمح لها بتنمية قدرتها التنافسية. أما بالنسبة لواقع الإبداع والابتكار في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية فهو يتميز بالخصائص التالية:

- يمثل إنفاق الجزائر على البحث والتطوير أقل من 1% من الناتج الداخلي الخام؛
- المؤسسات الجزائرية كبيرة الحجم هي الأوفر حظا من البحث والتطوير؛
- عدم توفر رؤوس أموال مخاطرة تمول المشاريع الابتكارية؛
- شح المعلومات الإحصائية المرتبطة بالبحث والتطوير على مستوى المؤسسات الاقتصادية، حتى على مستوى إحصائيات المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية.(19)

وفي سبيل تشجيع المؤسسات الاقتصادية على الإبداع والابتكار قامت السلطات العمومية المعنية بوضع جائزة للمؤسسات المبتكرة منها تحت اسم " الجائزة الوطنية للابتكار" (20) من خلال إصدار المرسوم التنفيذي 323-08 المؤرخ في 14 أكتوبر 2008 . وقد سعت من ورائه إلى تشجيع الابتكار واستخدام البحث و التنمية (R&D) في المؤسسات الاقتصادية بغرض تحسين قدرتها التنافسية. و على الرغم من ذلك تبقى نسبة الإبداع والابتكار في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية صغيرة جدا ، فقد بلغ عدد براءات الاختراع المودعة على مستوى المعهد الوطني الجزائري لحماية الملكية الصناعية (INAPI) منذ سنة 1988 و إلى غاية 2007 ما يعادل 5880 اختراعا، منها 671 براءة اختراع وطنية أي ما نسبته 11% من إجمالي براءات الاختراع المودعة ، مقابل 5209 براءة اختراع أجنبية. في حين بلغ إجمالي عدد طلبات براءات الاختراع خلال سنة 2012 ما يعادل 900 طلب، و 896 في سنة 2011، و 2010 ما يعادل 806 طلب(21) ، أي أن الطلبات تشهد منحى تصاعدي نسبيا، نوضح توزيعها على مختلف المجالات في الجدول الموالي:

الجدول (1): مجالات طلب الحصول على براءة الاختراع في الجزائر بين 2010 و 2012

2012	2010			القطاع
	المجموع	مقيم	غير مقيم	
208	333	7	326	الصحة و الصيدلة
-	56	18	38	متطلبات الحياة اليومية
157	62	4	58	التقنيات الصناعية و النقل
280	194	6	188	الكيمياء، و المعادن
-	5	0	5	النسيج و الورق
65	29	3	26	الإنشاءات الثابتة
99	39	24	15	الميكانيك، الإضاءة، التسخين، الأسلحة
-	48	11	37	الفيزياء
30	40	4	36	الكهرباء
839	806	77	729	المجموع

Source : Institut National de la Propriété Industriel, consulté dans le  
site: <http://www.inapi.org/site/stats.php>, 28/08/201

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن البحوث في مجال الصحة والصيدلة تحتل الصدارة فيما يخص حصتها من إجمالي ملفات طلبات الحصول على براءات الاختراع المودعة خلال سنة 2010 و التي تبلغ 333 من 806 ملف و 208 من 900 في سنة 2012، تليها بعد ذلك البحوث الكيميائية بـ 194 ملف في سنة 2010، و 280 في سنة 2012، في حين تتوزع بقية الطلبات بشكل متقارب على كل من البحوث في مجال الفيزياء ، الإضاءة والكهرباء... وغيرها، و تبقى طلبات الحصول على براءات الاختراع في مجال النسيج تمثل النسبة الأضعف (5 طلبات فقط) . كما نلاحظ أيضا أن طلبات غير المقيمين للحصول على براءات الاختراع تستحوذ على حصة كبيرة من بين إجمالي طلبات الحصول على براءات الاختراع خلال سنة 2010، و التي تمثل 729 من بين 806 طلب. و على المستوى الوطني نجد أنه في سنة 2012 مثلا توزعت طلبات تسجيل الاختراع بالنسبة للمقيمين بحجم 34 طلب سجل في الجزائر العاصمة، متبوعة بورقلة بـ 12 طلب، ثم تيبازة بـ 07 طلبات، لتليها قسنطينة و برج بوعريبيج بـ 06 طلبات لكل منهما. ثم وهران بـ 05 طلبات، وأخيرا سكيكدة و سطيف بـ 04 طلبات لكل منهما.

وبما أننا نلاحظ أن غير المقيمين هم الذين يحتلون الصدارة فيما يخص الطلبات المودعة للحصول على براءات الاختراع، فإنه يمكننا تفصيل أصل هذه الطلبات من

خلال الجدول التالي:

الجدول(2):البلدان الأولى لطلبات الحصول على براءات الاختراع في الجزائر/2010 /2012

عدد الطلبات		البلد
2012	2010	
126	133	فرنسا
133	126	الولايات المتحدة الأمريكية
84	82	ألمانيا
79	79	الصين
34	77	الجزائر
43	77	اليابان
31	48	المملكة المتحدة البريطانية
-	28	إيرلندا
55	24	إيطاليا
41	22	إسبانيا
106	-	سويسرا
19	-	هولندا

Source : Institut National de la Propriété Industriel, Op.Cit .

نلاحظ أن النسبة الأكبر من بين الطلبات المودعة في سنة 2010 تعود لفرنسا بـ 133 طلب وتليها بعد ذلك الولايات المتحدة الأمريكية بـ 126 طلب و تأتي إسبانيا في المرتبة العاشرة بـ 22 طلب ، أما في سنة 2012 فرجعت المرتبة الأولى للولايات المتحدة الأمريكية بـ 126 طلب، لتليها فرنسا بـ126 طلب ثم الدول الأخرى بنسب تتقارب كثيرا مع نسب سنة 2010.

وبالعودة إلى إحصائيات المعهد الوطني الجزائري لحماية الملكية الصناعية نجد أن المؤسسات تستحوذ على الحصة الأكبر من بين طلبات الحصول، في حين وصلت طلبات الباحثين لسنة 2013 ما يعادل 168 طلب. (22) ونشير أيضا أنه يتواجد العديد من المخترعين والمبتكرين خارج الجزائر والذين حققوا نتائج باهرة في مجال الابتكار (23)، ينبغي التنبيه إليها بشدة ومحاولة جذبهم لاستغلال ابتكاراتهم على مستوى المؤسسات الاقتصادية الجزائرية.

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن الإبداع والابتكار في الجزائر لا يزال ضعيف ومحدود المدى، إذ أخذت الجزائر في 18/11/2013 المرتبة 132 من أصل 142 دولة من حيث الابتكار، وهي مرتبة متراجعة جدا خاصة إذا ما قورنت مع دول مجاورة كالمغرب الذي أخذ المرتبة 90، و تونس 58، ولبنان 63، (24) وإذا كان نصيب



المؤسسات على المستوى الوطني هو 724 براءة اختراع فقط بما فيها مساهمة المؤسسات الأجنبية ، وهنا يمكن القول – كما اشرنا سابقا – أن الإحصائيات الموفرة من طرف الجهات المختصة لا تفصل بين مساهمة المؤسسات مختلف أشكال المؤسسات من حيث الحجم من الابتكار والاختراع والإبداع وعلى الرغم من ذلك يمكن اعتبارها هي الأخرى ضعيفة ما دامت المساهمة الكلية للمؤسسات ككل ضعيفة.

أما بالنسبة للعوامل المشجعة على الابتكار، أشارت دراسة أشرف عليها مكتب Strategy One حول مؤشر الابتكار بناءً على طلب المنظمة العالمية لحماية حقوق الملكية الفكرية، شملت 22 دولة هي الجزائر، إفريقيا الجنوبية، ألمانيا، أستراليا، البرازيل، كندا، الصين، كوريا الجنوبية، الإمارات العربية المتحدة، الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا وتركيا في الفترة الممتدة من 15 نوفمبر 2011 إلى 15 أكتوبر 2011، ومست 2800 مسير مؤسسة اقتصادية، إلى أن ضرورة تواجد معاونين مبدعين هو العامل الأساسي لتحقيق الابتكار بنسبة 56%، يليه عامل آخر في مرتبة ثانية وهو ضرورة وجود دعم مالي من طرف الدولة بنسبة 34%، والنسبة المتبقية 10% توزعت على عوامل أخرى. (25)

كما أن إدراج ابتكار في مؤسسة قد يصادفه العديد من العوائق و الأخطار، فمن بين العوائق نجد نقص الأموال، تواجد العديد من الطرق التي يمكن من خلالها الابتكار، أما عن الأخطار فقد تشمل عدم مواكبة التطورات التي تحدث على مستوى السوق فيما يخص المنتجات، وكذا تغير أذواق و متطلبات المستهلكين، الاستمرار في البحث عن الابتكار و تناسي التكاليف، و سرقة الأفكار الابتكارية...

ما يمكن استخلاصه هو تواجد أخطار عديدة تنجم عن إتباع إستراتيجية الإبداع والابتكار في المؤسسات الاقتصادية، وهذا ما يستوجب تسيير هذه الأخطار وتكييفها مع الأهداف المرجوة، من خلال الاستعانة بأفكار الآخرين ( موردين، زبائن...) للقيام بالابتكار، و البحث عن شركاء لتمويل عملية الابتكار و طلب المرافقة والمساعدة، و حماية الابتكار من خلال القيام بتسجيل براءة الاختراع، و هذا في حالة ما إذا كانت عملية الابتكار هذه نتج عنها اختراع جديد، وأخيرا عدم تركيز الابتكار على التكنولوجيا و جعله أكثر شمولاً.

### الخاتمة

المؤسسات اليوم في خطر ، خاصة إذا ما لم تكن كفأة في مجال الابتكار والإبداع وتطوير منتجاتها بما يتوافق ومستوى الطلب. إن توسع مفهوم الابتكار لم يعد يقتصر على مجال واحد وهو التكنولوجيا، فأغلبية المؤسسات المبتكرة اليوم هي خدمية، حيث يرتبط الابتكار فيها أساساً بطرق التنظيم، فالمسير في القرن الواحد والعشرين ينبغي أن يعرف كيف يجند ويرفع من الطاقات الإبداعية لمعاونيه، كي يتمكن من ضمان استمرار نمو مؤسسته والمؤسسات الاقتصادية الجزائرية ليست

بمنأى عن ذلك، فمن خلال الدراسة التي قمنا بعرضها، تبين لنا أنه على الرغم من أن المؤسسات الاقتصادية الجزائرية تطبق الابتكار بمختلف الأشكال ولو بشك نسبي، و هو ما ينفي فرضية الدراسة التي تصرح بأن هذه المؤسسات عاجزة عن الابتكار، إلا أنها لا زالت تبقى مطالبة ببذل جهد أكبر في مجال الابتكار مما يخول لها الزيادة من قدرتها التنافسية، و بالتالي القدرة على اختراق أسواق دولية.

وقد يتوجب على المؤسسات الاقتصادية الجزائرية إعادة التفكير في جدية المشكلة المرتبطة بالغياب النسبي للابتكار في أنشطتها، هذا ما يجعلها عاجزة عن تطوير تنافسياتها، سيما في ظل انفتاح الأسواق. الدولة بدورها ينبغي أن لا تتوقف عند تطوير إنشاء المؤسسات، بل ينبغي أن تحسن من قدرة المؤسسات الاقتصادية المتواجدة أصلا على الابتكار. الأمر الذي يمكنها من مواجهة مختلف الأخطار التي تهددها على مستوى السوق.

### المراجع

- 1- عبد الحميد مصطفى أبو ناعم، إدارة المشروعات الصغيرة، دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة، 2002، ص . 33.
- 2- عاكف لطفي خصاونة ، إدارة الإبداع والابتكار في منظمات الأعمال، الطبعة الاولى، دار الحامد للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2011، ص ص. 50-55.
- 3- شريف غياط و محمد بوقوم ، «حاضنات الأعمال التكنولوجية و دورها في تطوير الإبداع و الابتكار بالمؤسسات الاقتصادية»، مجلة أبحاث اقتصادية و إدارية ، جامعة قالمة ، العدد السادس، 2009 ، ص ص. 55-56 .
- 4- برفاين جوبتا، الإبداع الإداري القرن الحادي و العشرون، الطبعة الاولى ، دار الفجر للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2008 ، ص.42.
- 5- الرابط : [www.moqatel.com/openshare/behoth/mnfsia15/ibeikan/secoi/doc6](http://www.moqatel.com/openshare/behoth/mnfsia15/ibeikan/secoi/doc6)
- 6 ديسمبر 2014.
- 6- مدحت أبو النصر ، تنمية القدرات الابتكارية لدى الفرد والمنظمة ، مجموعة النيل العربي ، الإسكندرية ، 2002 ، ص.90 .
- 7- Ocdé, les pme a forte croissance et l'emploi, Edition Ocdé, paris .2005, p.10.
- 8- Medef (mouvement des entreprises de France ) , innover , s'internationaliser : les deux leviers du développement des pme , avril 2003 , p.3 .
- 9- Olivier Lelorieux, innovation organisationnelle et créativité, consulté dans le site : [http://centremagellan.univ-lyon3.fr/fr/articles/263\\_575.pdf](http://centremagellan.univ-lyon3.fr/fr/articles/263_575.pdf), 24/08/2010, p.2.
- 10- Quatre types d'innovation, quatre modèles d'organisation, consulté dans le site : <http://archives.lesechos.fr/archives/2006/lesechos/19810-505-ech.htm>, 28/08/2010.

11- Nicolo Devecchi translated by Anne J.Stone, entrepreneurs, institutions and economic change, Edward elgar publishing company, Vermont, 1995, p.144.

12- Voir le lien :

[http://www.canege.org/demos/fq\\_novantic/apports\\_novantic/txt/txt002.pdf](http://www.canege.org/demos/fq_novantic/apports_novantic/txt/txt002.pdf),

29/08/2010, p.1.

13- Philippe Lê, Philippe Rivet, piloter et réussir l'innovation en entreprise, Maxima, paris, 2007, p.217.

14- Sophie Boutillier, Dirmiti Uzundis, la légende de l'entrepreneur, la découverte, paris, 1999, p.131.

15- Sophie Boutillier, Dimitri Uzundis, l'entrepreneur : une analyse socio-economique, economica, paris, 1995, p.08.

Deveaux, stratégie pour innover, Dunod, paris, 1996, p.17. <sup>1</sup> Michel Robert, Marcel

16- Bertrand Sporta, « stratégie des petites et moyennes entreprises », cité in , 3 tome ,encyclopédie de gestion, sous la direction de patrick joffre et yves simon p. 2730. Economica, paris, 1989,

17- Ocede, promouvoir l'entrepreneuriat et les pme innovantes dans une économie mondialisé, les edition de l'Ocde, paris, 2004, p.19.

18- Robert Wtterwulghe, la pme une entreprise humaine, De boeck université, bruxelles, 1998, p.111.

19- أنظر للرباط <http://ipstats.wipo.int/ipstatv2/index.htm?tab=patent>

20- لاطلاع أكثر، ارجع للموقع الالكتروني: <http://www.mdipi.gov.dz/?CONCOURS-POUR-LE-PRIX-NATIONAL-DE>

21- Ministère de l'industrie, bulletin de veille, février 2013, p.01, sur le lien :

[http://www.mdipi.gov.dz/IMG/pdf/bulletin\\_n70\\_-V1.pdf](http://www.mdipi.gov.dz/IMG/pdf/bulletin_n70_-V1.pdf), 12/05/2013

22- إحصائيات المديرية العامة للبحث العلمي، أنظر الرابط:

<http://www.dgrsdt.dz/ddti/doc/rb2013.pdf>

23- لاطلاع أكثر إرجع للموقع الالكتروني: <http://algerianinventors.org/list>

24- Ministère de l'industrie, bulletin de veille, N° 42, Novembre 2013, p.02, sur le lien :

, 13/04/2014. [http://www.mdipi.gov.dz/IMG/pdf/Bulletin\\_PME\\_no42\\_VF.pdf](http://www.mdipi.gov.dz/IMG/pdf/Bulletin_PME_no42_VF.pdf)

25- Ministère de l'industrie, bulletin de veille, N° 49, Mars 2012, p.03, sur le lien : <http://www.mdipi.gov.dz/IMG/pdf/BV-ECO-No49.pdf>, 23/06/2013.



## توازن ميزان العمليات الجارية في الجزائر للفترة 2000-2011

### ملخص

شهد ميزان العمليات الجارية هذه السنوات الأخيرة مجموعة من الفوائض من 8.93 مليار دولار سنة 2000 إلى 19.70 مليار دولار سنة 2011، أي ارتفاع بقيمة 120.60%. يهدف هذا العمل إلى دراسة هذه الفوائض، وتحديد ما إذا كانت راجعة إلى أداء اقتصادي، رشادة مالية، أم إلى ارتفاع المستويات العامة لأسعار البترول.

إن تحليل توازن ميزان العمليات الجارية يستلزم استخدام مقاربتين: مقارنة المرونات والتي يتم من خلالها دراسة أثر تخفيض الدينار الجزائري على الميزان التجاري، والمقاربة الزمنية والتي تعتبر أن ميزان.

د. نهلة غراس

المدرسة العليا للتجارة  
الجزائر

### مقدمة

**من** أجل الإجابة عن الإشكالية الرئيسية تم تقسيم العمل إلى جزئين: جزء نظري يتناول مختلف الدراسات التي تتعلق بتوازن ميزان العمليات الجارية، وجانب تطبيقي والذي تم من خلاله دراسة أثر تخفيض سعر الدينار الجزائري على ميزان العمليات الجارية من خلال مقارنة المرونات، ودراسة أثر بعض المتغيرات الاقتصادية على رصيد ميزان العمليات الجارية من خلال المقاربة الزمنية.

#### 1- الجانب النظري :

سنقوم في هذا الجانب بعرض مجموعة من الدراسات السابقة والتي تتقاطع والدراسة التي نقوم بها في عدة نقاط منها أثر تخفيض قيمة العملة على الميزان التجاري، بحيث يعتبر التخفيض من أهم الإصلاحات التي طبقتها الجزائر وفقا لما كانت تنص عليه برامج

### Résumé

La balance des transactions courantes a été marquée ces dernières années par de perpétuels excédents passant de 8.93 milliards de dollars en 2000 à 19.70 milliards de dollars en 2011, soit une augmentation de près de 120.60%.

Le but de cette recherche est d'étudier ces excédents, et de déterminer si ils sont dus à une réforme économique, à une rationalité budgétaire, ou à l'augmentation des prix du pétrole ?

L'analyse de l'équilibre de la balance des transactions courantes requière deux importantes approches : L'approche des élasticités qui étudie l'impact de la dévaluation du dinar sur la balance commerciale, et l'approche inter temporelle qui quand à elle considère la balance des transactions courantes comme l'écart entre l'épargne et l'investissement d'une économie.

التصحيح الهيكلي، كذلك أهم المتغيرات الاقتصادية التي يمكن أن يكون لها أثر على الميزان الجاري في العديد من الدول التي يعتمد اقتصادها أساسا على صادرات المحروقات.

**1-1 دراسة ( Abdelhak S.Senhadj Et Claudio E. Montenegro 1999 )**

**Time Series Analysis Of Export Demand Equation**

قام الاقتصاديان بتحديد دالة الطلب على الصادرات ل 53 دولة متطورة وأخرى نامية ، ومن أجل ذلك تم ربط دالة الصادرات والمتمثلة في حجم الصادرات الحقيقية للدولة المحلية بمتغيرين: (نسبة سعر صادرات البلد المحلي بالنسبة إلى أسعار أهم شركائها التجاريين، ومتغير النشاط المتمثل في الناتج المحلي الإجمالي مطروحا منه القيمة الحقيقية للصادرات لأهم الشركاء التجاريين للبلد المعني). وتوصلت الدراسة إلى أن 22 دولة من بين 53 لها مرونة سعرية أكبر من الواحد أما 33 دولة المتبقية تظل مرونتها السعرية ضعيفة. وبالنسبة لمرونة الدخل ل 39 دولة لها مرونة دخل تفوق الواحد، بالإضافة إلى أن متوسط مرونة الدخل في الأجل القصير لا تتعدى 0.5% ومتوسطها في الأجل الطويل يقارب 1.5%، ويعود ذلك إلى أن الصادرات لا بد وأن تأخذ وقتا زمنيا للاستجابة للتغيرات في الدخل ، بالإضافة إلى أن مرونة الدخل والسعر بالنسبة للدول الإفريقية تظل ضعيفة مقارنة بالدول الآسيوية.

**2-1 دراسة ( Adja-Iélou Gnaro, 2004 )**

**Dynamique du solde des transactions courantes du Togo,déterminants et soutenabilité**

تم من خلال هذه الدراسة تحليل ميزان العمليات الجارية الطوقولي وذلك بدراسة أثر تخفيض العملة على حجم الصادرات والواردات الطوقولية وكانت النتائج كالتالي: (انخفاض العملة بنسبة 10% أدى إلى انخفاض حجم الواردات بنسبة 4% على المدى القصير و نسبة 6 % على المدى الطويل وفيما يخص حجم الصادرات فلم يكن للتخفيض أثرا وفسر ذلك إلى طبيعة هيكل الصادرات الطوقولية المتمثلة أساسا في المواد الأولية وضعف المنتجات الصناعية)، كما تم دراسة الميزان بالأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الاقتصادية لنموذج (Obstfeld et Rogoff, 1995) وذلك باستخدام نموذج (Méthode Des Moments Généralisés) للاقتصادي (Hansen,1982) وتوصلت الدراسة إلى أن ارتفاع حجم الاستثمار أدى إلى تدهور رصيد ميزان العمليات الجارية فابتعاد حجم الاستثمار عن مستواه التوازني بنسبة 1% يؤدي إلى تدهور ميزان العمليات الجارية بنسبة 0,79% وهذا راجع إلى انخفاض حجم الادخار العام بالإضافة إلى أن 95% من الإنتاج الصافي يستهلك وانه اقل من نسبة 4% تدخر.

**3-1 دراسة ( Abdelaziz Rouabah, 2005 ) :**

## Les déterminants du solde de la balance des transactions courantes au Luxembourg

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد أسباب تدهور ميزان العمليات الجارية للكسمبورغ وقسمت الدراسة إلى جزئين، حيث تم في الجزء الأول دراسة تخفيض العملة على الميزان التجاري باستخدام نموذج (Substitut Imparfait) للاقتصادي (Armington, 1969) وبعد تقدير دالة الطلب على الصادرات والواردات باستخدام طريقة (Log Linéaire) توصلت الدراسة إلى مرونة الطلب السعرية على المدى الطويل تبين أن ارتفاع الأسعار المحلية بنسبة 1 % بالنسبة لأسعار المنافسين الأجانب يؤدي إلى انخفاض حجم الصادرات بنسبة -0,25 % للخدمات وبنسبة -1,302 % للسلع.

أما مرونة الطلب السعرية على المدى القصير تبين أن ارتفاع الأسعار سيؤدي إلى انخفاض حجم صادرات السلع بنسبة - 0,05 % وحجم الخدمات بنسبة - 0,257 % . هذا في حين أن مرونة الطلب السعرية للواردات السلعية في المدى الطويل قدرت بنسبة - 0,405 % وبالنسبة للخدمات بقيمة -0,175 %، ويفسر هذا الاختلاف إلى تركيبة مختلفة لصادرات وواردات البلد وميل حدي كبير للاستهلاك. وفيما يخص مرونة الدخل فقدرت بالنسبة لصادرات السلع والخدمات بنسبة (1,188 و 1,987) وبالنسبة لواردات السلع والخدمات بنسبة (1,282 و 1,025)، وفسرت مرونة الدخل إلى انفتاح الاقتصاد للكسمبرغي على الاقتصاد الدولي.

في الجزء الثاني تم دراسة تدهور ميزان العمليات الجارية باستخدام المقاربة الزمنية وذلك باستخدام نموذج (Bussière et al, 2004) وقدر النموذج باستخدام طريقة (Méthode des Moments Généralisés) وتوصلت الدراسة إلى أن الاستثمار كان العامل الرئيسي لتدهور ميزان العمليات الجارية.

### 4-1 دراسة

(Wliullah Mahmoud Khan Kakar, Rehmatullah Kakar, Wakeel Khan, 2010)

#### The Determinants Of Pakistan's Trade

تطرقت هذه الدراسة إلى اختبار المقاربات الثلاثة المتعلقة بتوازن ميزان المدفوعات الباكستاني خلال الفترة الزمنية (1970-2005) وهي: المقاربة النقدية، مقارنة الاستيعاب، ومقاربة المرونة.

وتم ربط رصيد الميزان الجاري بكل من مستوى الناتج المحلي الإجمالي، عرض النقد الواسع ومعدل الصرف الحقيقي، وتم اختبار العلاقة باستخدام مقارنة Cointegration And Error Correction Model

بتطبيق نموذج : Autoregressive Distributed Lag (ARDL) وتوصلت الدراسة إلى أن تخفيض قيمة العملة يحسن من وضعية الميزان الجاري ، إلا أن أثر التخفيض يظل

ضعيفا مقارنة بأثر عرض النقد والدخل اللذان يرتبطان بعلاقة قوية مع الميزان الجاري.

### 5-1 دراسة (SY Demba et SY Hamat, 2013)

Les causes du déficit structurel du compte courant du Sénégal

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد أسباب العجز في الميزان الجاري لدولة السنغال واقتراح سياسات اقتصادية فعالة للحد من هذا الأخير، ومن أجل ذلك تم استخدام طريقة التكامل المشترك للاقتصاديين (Pesaran et al, 2001) باستخدام النموذج (Modèle Autorégressif à Retard Echelonné) وتم ربط التغيرات في رصيد الحساب الجاري بالتغيرات الماكرواقتصادية التالية: حجم الادخار الوطني، شروط التبادل لدولة السنغال، معدل الصرف المتوسط السنوي للدولار الأمريكي بالنسبة للفرنك الفرنسي، رصيد الموازنة نسبة إلى الناتج المحلي الحقيقي، معدل الاستيراد، الفرق بين الاستثمار الوطني ومستواه في المدى الطويل باستخدام (Le filtre Hodrick-Prscott « filtre HP »)، أخذت هذه البيانات خلال الفترة (1980-2010).

وتوصلت الدراسة إلى أن العجز في الميزان الجاري للسنغال يعود إلى ارتفاع حجم وارداتها، قلة حجم الصادرات بسبب تحسن قيمة العملة ومنه قلة تنافسية السلع المصدرة باعتبار عملة السنغال مرتبطة باليورو والذي بدأ يتحسن نوعا ما بالنسبة للدولار ابتداء من سنة 2003 إلى حد سنة الدراسة. إضافة إلى ارتفاع وتوسع الاستثمار مقارنة بمستوى الادخار، مما يجبر السلطات إلى الحد من الاستيراد ودعم المنتج الوطني وكذلك الرفع من مستوى الادخار الوطني.

### 2- الجانب القياسي:

نحاول في هذا الجانب استخدام بعض الأدوات والتقنيات المعروفة من أجل استغلال المعطيات المتحصل عليها والمتعلقة بالميزان التجاري الجزائري للفترة 2000-2011.

### 1-2 مقارنة المرونات:

لقد تم التطرق إلى هذه الفكرة من قبل عدد من الاقتصاديين ومن بينهم :

Armington (1969), Golstein et Khan (1985), Bond (1985), Sekiguchi (1990), Prasad (1992)

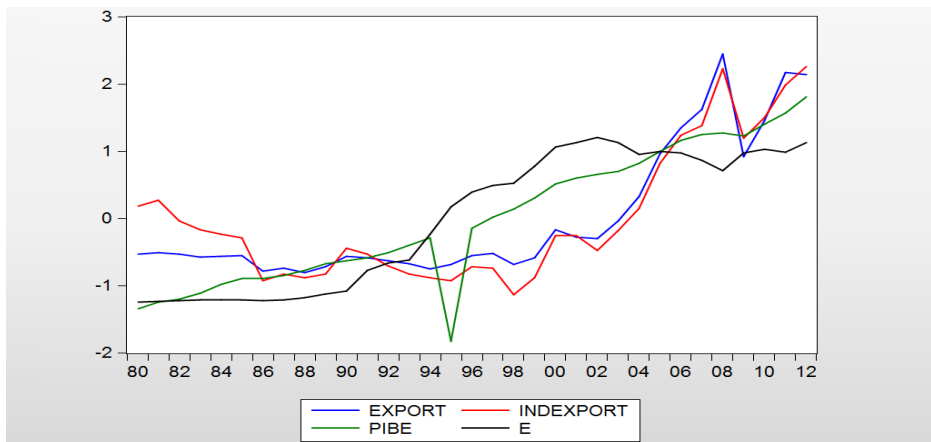
حسب هذه المقاربة فتخفيض معدل الصرف يهدف إلى زيادة تنافسية البلد المعني، ويترجم نجاح تخفيض العملة بزيادة حجم الصادرات والإنتاج المحلي ليحل محل الواردات. ولتقدير هذا النموذج قياسيا لا بد من تحديد ثلاث دوال: ( دالة الطلب على الصادرات، دالة الطلب على الواردات، دالة الميزان التجاري).



لقد تم استخدام اللوغارتميات كأسلوب ومنهج من أجل تبسيط المعادلات المعتمدة. وسنرمز لمتغيرات النموذج ب: (E معدل الصرف الاسمي، indexport مؤشر أسعار الصادرات، indimoprر مؤشر أسعار الواردات، piba الناتج الداخلي الخام في الجزائر، pibe الناتج الداخلي الخام الأجنبي لأهم الشركاء التجاريين في الجزائر والذي تم حسابه على أساس أهم ست شركائها التجاريين (فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، إسبانيا، الصين، الولايات المتحدة الأمريكية)، export حجم الصادرات، import حجم الواردات). إن جميع المتغيرات في هذا النموذج مقيمة بمليون دولار وتم الحصول عليها من الموقع الإلكتروني (unctadstat.unctad.org) المطلع عليه بتاريخ (30 مارس 2014).

## 1-1-2 دالة الصادرات:

قبل الشروع في تقدير دالة الصادرات لابد من دراسة الاتجاه العام للسلاسل الزمنية لمتغيرات دالة الصادرات والمنحنيات البيانية التالية والتي تم استخراجها باعتماد برمجية (Eviews7).

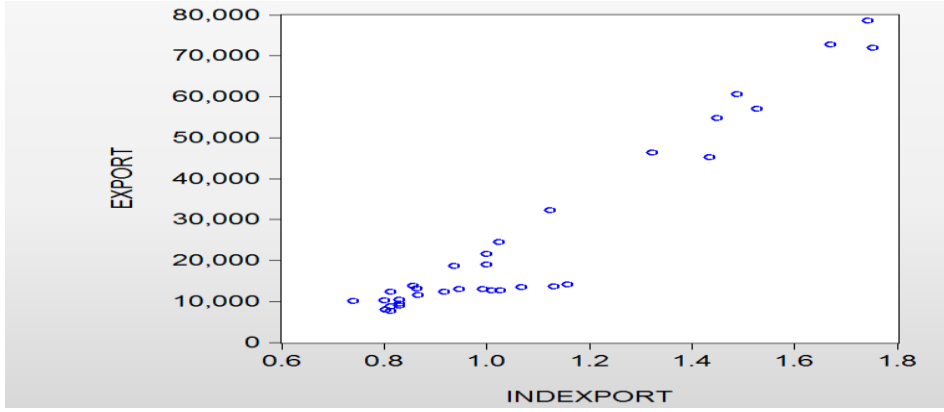


الشكل رقم 1- الاتجاه العام للسلاسل الزمنية لدالة الصادرات

المصدر : برمجية Eviews 7

يتبين من خلال المنحنى البياني والوارد بالشكل (1) أن منحنى الصادرات، وللوهلة الأولى يعكس تحسن ملحوظا انطلاقا من سنة 1999 إلى غاية سنة 2012، باستثناء سنة 2008 والتي تمثل سنة بداية الأزمة العالمية، ليعود بعد ذلك للارتفاع، وهو ما يعكس بروز وجود اتجاه عام قوي سيكون له أثر في التفسير ونمذجة الظاهرة.

نظريا يمكن التساؤل عن مصدر هذا التحسن؟ أهو راجع إلى سياسة نقدية حكيمة؟ أو إلى ارتفاع في مستويات الأسعار البترولية أو زيادة الكميات؟. كما يشير المنحنى كذلك إلى أن مؤشرات دالة الصادرات لها اتجاه عام نحو التزايد، ولتحديد نوعية العلاقة بين كل متغير وحجم الصادرات نعتمد على الأشكال البيانية التالية:



الشكل رقم 2- العلاقة بين حجم الصادرات ومؤشر أسعار الصادرات

المصدر: برمجية 7 Eviews

يتبين من خلال المنحنى البياني أن هناك علاقة اتجاه خطي عام بين كل من حجم الصادرات ومؤشر أسعار الصادرات فارتفاع مؤشر أسعار الصادرات يؤدي إلى ارتفاع حجم الصادرات، إلا أن ذلك يتنافى مع النظرية الاقتصادية، حيث أن ارتفاع مؤشر أسعار الصادرات من المنتظر أن يخفض من حجمها وذلك لأن ارتفاع المؤشر يرفع من سعر السلع المحلية أجنبيا ومن ثمة يخفض من تنافسيتها. والسبب يعود إلى كون صادرات الجزائر مشكلة بحوالي 98% من المحروقات، والتي يظل الطلب عليها مرتفعا بالرغم من ارتفاع أسعارها خاصة ابتداء من بداية سنة 2000 أين شهدت أسعار المحروقات أعلى مستوياتها، وذلك لمختلف الأوضاع العالمية السياسية والاقتصادية والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

[Artus,D'Autume,Charlmin,Chevalier,2010,p32 ]

- حرب العراق سنة 2003، مما أدى إلى تخفيض إنتاجية وتصدير البلاد من المحروقات.

- تأمين الموارد والتي تبنتها العديد من الدول المصدرة للبترول، بحيث تكون لها السيطرة والتحكم الكامل في محروقاتها سواء تعلق الأمر بالإنتاج، تحديد أسعار وكميات التصدير، حجم الرسوم وغيرها، وذلك من أجل الحفاظ على جزء من احتياطاتها لمطالباتها الداخلية ولأجيالها المستقبلية. بالإضافة إلى أن تخفيض مستويات الإنتاج يسمح لدول (OPEP) بالحفاظ على مستويات أسعار مرتفعة، وهذا ما قامت به هذه الدول نهاية سنة 1999 بعد الانخفاض الشديد لسنة 1998 (حيث وصل سعر البرميل إلى أدنى قيمة له 10 دولار للبرميل) فحددت سعر البرميل بين 22 دولار كحد أدنى و28 كحد أقصى، واستمر الوضع كذلك إلى نهاية سنة 2004.

- الاختلاف القائم في دولة الفنزويلا بين الرئيس السابق (Chavez) ومؤسسة البترول الدولية حول استخدام عوائد البترول، مما أدى إلى حدوث إضراب لمدة زمنية طويلة تسبب في خفض مستوى الإنتاج والتصدير.

- اضطرابات سياسية واجتماعية في دولة نيجيريا حول استخدام عوائد البترول، مما أدى إلى انخفاض حجم إنتاج وتصدير البترول.

وبسبب العوامل المذكورة سابقا ارتفعت أسعار المحروقات خلال السنوات (2000-2004) لكن كان الارتفاع مقبولا بحيث تمكنت دول (OPEP) من السيطرة على السعر.

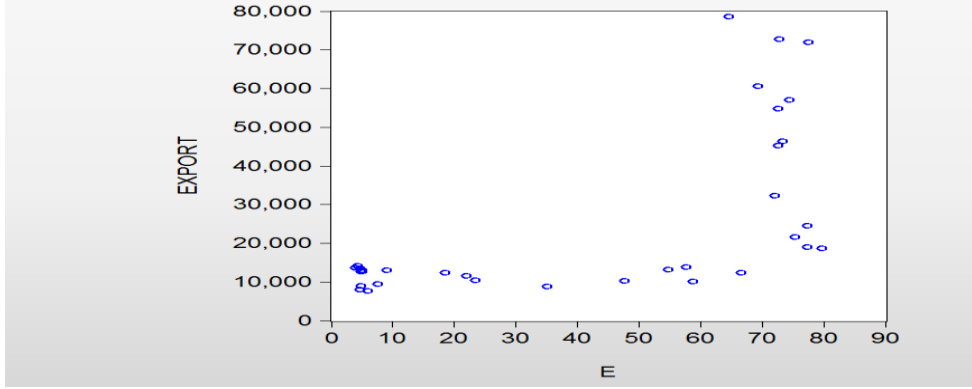
ابتداء من سنة 2004 انفجر الطلب العالمي وبالأخص دولة الصين (3 مليون برميل يوميا، الولايات المتحدة الأمريكية 13 مليون برميل يوميا) بسبب نمو اقتصادي عالمي آنذاك، ولعدم استطاعة الدول المذكورة أعلاه لاسترجاع طاقتها الإنتاجية، ضف إلى ذلك عدم قدرة الدول الأخرى المصدرة للبترول التحكم في السعر، شهدت أسعار البترول مستويات عالية ووصلت إلى 147 دولار للبرميل نهاية جويلية 2008. لكن بعد الأزمة العالمية نهاية سنة 2008 ، عادت أسعار البترول للانخفاض من جديد مما أدى بدول (OPEP) إلى تخفيض حجم إنتاجها لعودة الأسعار للارتفاع.

- عودة ارتفاع الطلب العالمي إلى 84 مليون برميل سنة 2009 ، والتي استمرت إلى بداية سنة 2014، ويعود نصف الطلب إلى الدول الآسيوية في إطار مضاعفة إنتاج صناعة سياراتها لسنة 2030.

[Artus,D'Autume,Charlmin,Chevalier,2010,p55 ]

- حرب ليبيا شهر فيفري سنة 2011 ، مما أدى إلى تخفيض حجم الإنتاج والتصدير.

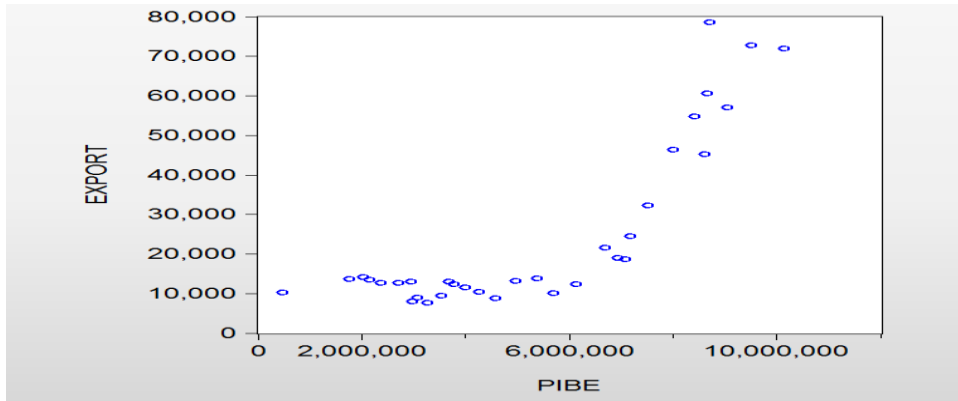
فالملاحظ إذن أنه من جانب الطلب تستمر وتيرته في الارتفاع، على عكس جانب العرض الذي يتزايد بوتيرة أقل بسبب (الأزمات السياسية، ارتفاع تكاليف الاستخراج، قومية الموارد وغيرها من المشاكل) والتي ستؤدي إلى استمرارية تزايد الأسعار.



الشكل رقم 3- العلاقة بين حجم الصادرات وسعر الصرف الاسمي

المصدر : برمجية 7 Eviews

نلاحظ من خلال الشكل البياني (3) أن العلاقة بين متوسط سعر الصرف الاسمي وحجم الصادرات هي علاقة ذات اتجاه أسي، بالإضافة إلى أن تغير طفيف في سعر الصرف يؤدي إلى ارتفاع كبير جدا في حجم الصادرات وهذا ما يعتبر غير منطقي، كما يعطينا إشارة عن عدم تأثير تخفيض سعر الصرف على الصادرات، وهو ما سنحاول التأكد منه لاحقا من خلال النموذج القياسي.



الشكل رقم 4- العلاقة بين حجم الصادرات وسعر الناتج المحلي الأجنبي

المصدر : برمجية 7 Eviews

نلاحظ من خلال الشكل أن العلاقة بين الناتج المحلي الأجنبي وحجم الصادرات هي علاقة ذات اتجاه أسي، بالإضافة إلى أن ارتفاع في الناتج المحلي الأجنبي يؤدي إلى ارتفاع في حجم الصادرات وهو ما يتطابق مع النظرية الاقتصادية.

بعد التطرق إلى تطور السلاسل الزمنية للمتغيرات التي تحدد دالة الصادرات، لابد من تحديد الشكل الدالي الذي يجب أن تصاغ على أساسه، واختلاط العلاقات بين الأسية والخطية ارتأينا ولأسباب تقنية وتفسيرية تفضيل الشكل الخطي. وباعتبار أن الصادرات مشكلة من حوالي 96 بالمئة من الموارد البترولية، فلا يمكننا إدراج كمتغير مؤشر أسعار الصادرات ضمن النموذج وهذا تقاديا لمشكل تمام التباين (Endogénéité)  $COV(X_t, \epsilon_t) \neq 0$  وسيكون النموذج المقدر لدالة الصادرات على النحو التالي:

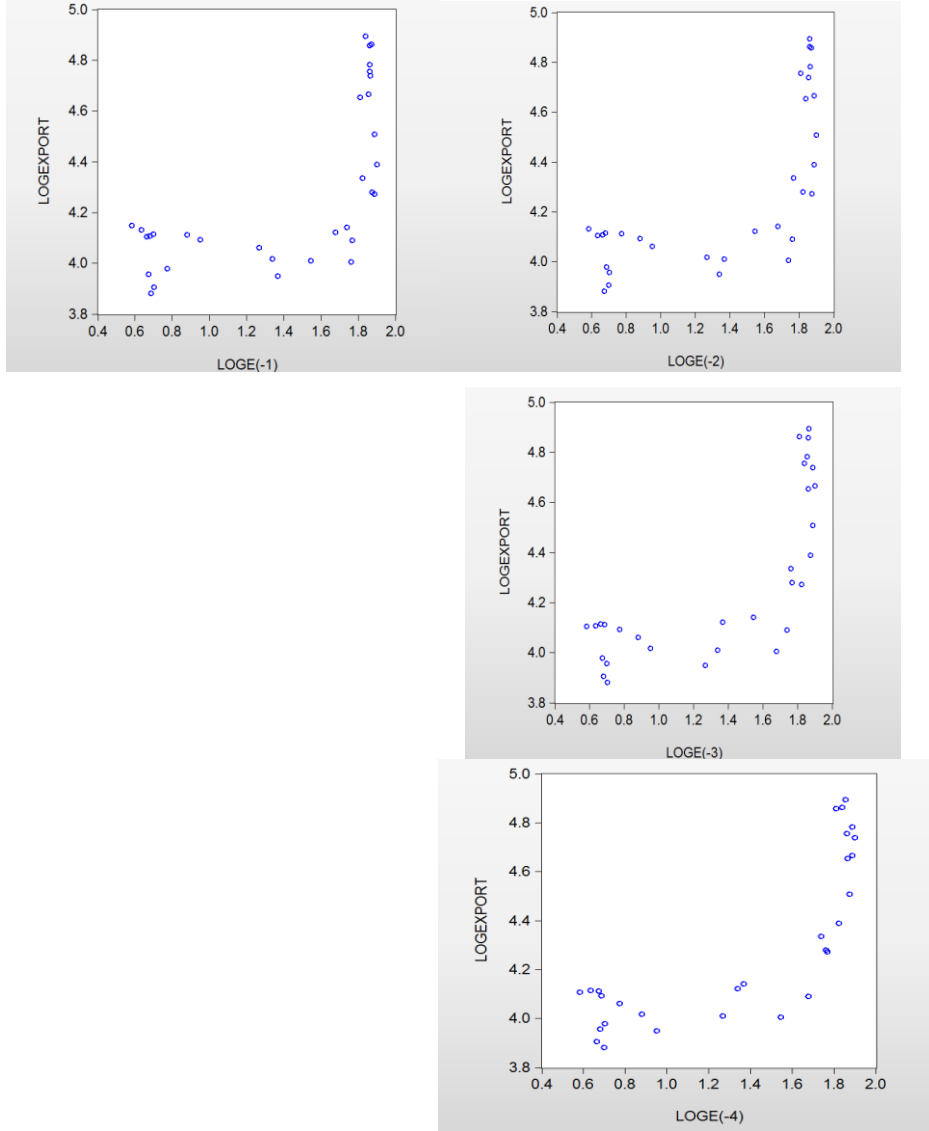
(Export = c + a E + b PIBE). أي حجم الصادرات دالة في كل من معدل الصرف الاسمي والنتاج المحلي الأجنبي، وبتطبيق طريقة المربعات الصغرى العادية بالاعتماد على برمجية (Eviews 7) كانت النتائج كالتالي:

### الجدول رقم 1- نتائج تقدير دالة الصادرات

Dependent Variable: EXPORT				
Method: Least Squares				
Date: 04/09/14 Time: 10:34				
Sample: 1980 2012				
Included observations: 33				
Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	-14128.88	4942.309	-2.858762	0.0077
E	-260.5477	135.7928	-1.918715	0.0646
PIBE	0.009448	0.001582	5.973200	0.0000
R-squared	0.723146	Mean dependent var	25256.18	
Adjusted R-squared	0.704689	S.D. dependent var	21847.07	
S.E. of regression	11872.25	Akaike info criterion	21.68830	
Sum squared resid	4.23E+09	Schwarz criterion	21.82435	
Log likelihood	-354.8570	Hannan-Quinn criter.	21.73408	
F-statistic	39.18013	Durbin-Watson stat	1.193516	
Prob(F-statistic)	0.000000			

تشير نتائج الجدول إلى تضارب في المقاييس، فمتغيرات سعر الصرف والنتاج المحلي الأجنبي والثابت معنوية إحصائياً لكن يوجد ارتباط ذاتي بين الأخطاء العشوائية.

يمكن أن يعود التضارب في المقاييس إلى أحد العوامل الثلاثة التالية: (عدم استقرار السلاسل الزمنية، خطأ في تقدير الشكل الدالي للنموذج أو ارتباط ذاتي بين المتغيرات العشوائية). بالإضافة إلى ما سبق نلاحظ أن إشارة سعر الصرف الاسمي غير متطابقة مع النظرية الاقتصادية فمن المفروض أن يرفع تخفيض سعر الصرف الاسمي من حجم الصادرات وليس العكس، وهو ما يشير إلى انعدام تخفيض أثر سعر الصرف على زيادة حجم الصادرات، ويمكن التأكد من ذلك بيانياً من خلال الأشكال التالية:



الشكل رقم 5- منحنيات تأثير سعر الصرف الاسمي على حجم الصادرات في الأجل الطويل.

المصدر: برمجية Eviews 7

يتبين من خلال الأشكال البيانية السابقة أنه لم يظهر أي أثر لوجود تأثير لتخفيض سعر الصرف الاسمي على ارتفاع حجم الصادرات، مما يوفر علينا الولوج في دراسة نماذج تصحيح الخطأ. وللتأكد من وجود علاقة تكامل مشترك أي علاقة طويلة الجمل

بين المتغيرات وطبقا لاختبار (Johansen) سنقوم باختبار استقرارية دالة بواقي الصادات باستخدام اختبار (Dikey Fuller) عند المستوى، أي تحديد المتغيرات في مستواها الأصلي قبل كشف عدم استقرارية السلسلة الزمنية، وباستخدام نماذج الانحدار الثلاثة ( نموذج بحد ثابت واتجاه عام، نموذج بحد ثابت ونموذج بدون حد ثابت) كانت النتائج المتحصلة عليها كما هو مبين في الجداول التالية:

الجدول رقم 2- اختبار استقرار بواقي دالة الصادات باستخدام النموذج (حد ثابت واتجاه عام)

Null Hypothesis: RESID01 has a unit root Exogenous: Constant, Linear Trend Lag Length: 0 (Automatic - based on SIC, maxlag=0)		
	t-Statistic	Prob.*
Augmented Dickey-Fuller test statistic	-3.715020	0.0357
Test critical values:		
1% level	-4.273277	
5% level	-3.557759	
10% level	-3.212361	

\*Mackinnon (1996) one-sided p-values.

Augmented Dickey-Fuller Test Equation  
Dependent Variable: D(RESID01)  
Method: Least Squares  
Date: 04/11/14 Time: 16:32  
Sample (adjusted): 1981 2012  
Included observations: 32 after adjustments

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
RESID01(-1)	-0.626786	0.168717	-3.715020	0.0009
C	-3266.148	3918.689	-0.833480	0.4114
@TREND(1980)	182.2277	207.1665	0.879619	0.3863
R-squared	0.329434	Mean dependent var		-52.16693
Adjusted R-squared	0.283188	S.D. dependent var		12759.20
S.E. of regression	10802.54	Akaike info criterion		21.50201
Sum squared resid	3.38E+09	Schwarz criterion		21.63942
Log likelihood	-341.0322	Hannan-Quinn criter.		21.54756
F-statistic	7.123531	Durbin-Watson stat		2.166289
Prob(F-statistic)	0.003044			

نلاحظ من خلال الجدول أنه يمكن رفض الفرضية  $H_0$  كون  $t$  المحسوبة أقل من القيمة الحرجة ل  $t$  المجدولة عند مستوى معنوية 5% المتفق عليه حيث:  $(t_{cal} = (-3.55) < (-3.71))$ ، إضافة غالي غياب وجود الارتباط الذاتي من خلال نتائج الجدول.

الجدول رقم 3- اختبار استقرار بواقي دالة الصادات باستخدام النموذج (حد ثابت)

Null Hypothesis: RESID01 has a unit root  
Exogenous: Constant  
Lag Length: 0 (Automatic - based on SIC, maxlag=0)

	t-Statistic	Prob.*
Augmented Dickey-Fuller test statistic	-3.684525	0.0093
Test critical values:		
1% level	-3.653730	
5% level	-2.957110	
10% level	-2.617434	

\*MacKinnon (1996) one-sided p-values.

Augmented Dickey-Fuller Test Equation  
Dependent Variable: D(RESID01)  
Method: Least Squares  
Date: 04/11/14 Time: 16:53  
Sample (adjusted): 1981 2012  
Included observations: 32 after adjustments

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
RESID01(-1)	-0.618272	0.167802	-3.684525	0.0009
C	-256.5760	1903.231	-0.134811	0.8937
R-squared	0.311543	Mean dependent var		-52.16693
Adjusted R-squared	0.288595	S.D. dependent var		12759.20
S.E. of regression	10761.73	Akaike info criterion		21.46584
Sum squared resid	3.47E+09	Schwarz criterion		21.55745
Log likelihood	-341.4535	Hannan-Quinn criter.		21.49621
F-statistic	13.57572	Durbin-Watson stat		2.129299
Prob(F-statistic)	0.000901			

يعكس النموذج الثاني إمكانية رفض العدم عند مستوى معنوية 5% المتفق عليه حيث:  $(t_{cal} = -3.68) < (-2.95)$ . مما يؤدي بنا إلى اختبار آخر نموذج.

الجدول رقم (4)

(اختبار استقرار بواقي دالة الصادرات باستخدام النموذج (انعدام الحد الثابت)

Null Hypothesis: RESID01 has a unit root  
Exogenous: None  
Lag Length: 0 (Automatic - based on SIC, maxlag=0)

	t-Statistic	Prob.*
Augmented Dickey-Fuller test statistic	-3.741893	0.0005
Test critical values:		
1% level	-2.639210	
5% level	-1.951687	
10% level	-1.610579	

\*MacKinnon (1996) one-sided p-values.

Augmented Dickey-Fuller Test Equation  
Dependent Variable: D(RESID01)  
Method: Least Squares  
Date: 04/11/14 Time: 16:59  
Sample (adjusted): 1981 2012  
Included observations: 32 after adjustments

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
RESID01(-1)	-0.617613	0.165054	-3.741893	0.0007
R-squared	0.311126	Mean dependent var		-52.16693
Adjusted R-squared	0.311126	S.D. dependent var		12759.20
S.E. of regression	10589.93	Akaike info criterion		21.40395
Sum squared resid	3.48E+09	Schwarz criterion		21.44975
Log likelihood	-341.4631	Hannan-Quinn criter.		21.41913
Durbin-Watson stat	2.129545			



تشير نتائج الجدول إلى قبول فرضية العدم عند مستوى معنوية 5%، حيث  $(t_{cal} = -3.68) < (-2.95)$

اعتمادا إذن على نتائج الجداول رقم (2)، (3)، (4)، نستخلص أن دالة بواقي الصادرات مستقرة، وهناك علاقة تكامل مشتركة بين المتغيرات.

تفاديا لإضاعة الخصائص طويلة الأجل وتصحيحا لمشكل الارتباط الذاتي تقنيا، قمنا باعتماد إحدى الطرق الكلاسيكية المعروفة أبسطها إضافة المتغير التابع المؤخر بفترة زمنية واحدة في النموذج، واعتمادا على النتائج السابقة لم يتم ادراج متغير سعر الصرف الاسمي في النموذج كونه لا يؤثر على حجم الصادرات وكانت النتائج كما يوضحها الجدول رقم (5)

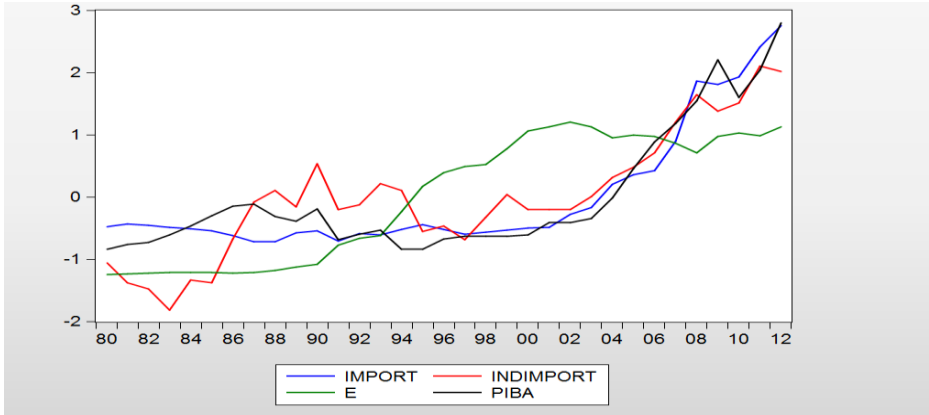
الجدول رقم 5- نتائج تقدير دالة الصادرات في الأجل الطويل:

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	-5059.866	3526.515	-1.434806	0.1620
PIBE	0.002330	0.000913	2.552039	0.0162
EXPORT(-1)	0.755340	0.116834	6.465089	0.0000
R-squared	0.876428	Mean dependent var		25618.81
Adjusted R-squared	0.867906	S.D. dependent var		22095.51
S.E. of regression	8030.563	Akaike info criterion		20.90896
Sum squared resid	1.87E+09	Schwarz criterion		21.04637
Log likelihood	-331.5433	Hannan-Quinn criter.		20.95451
F-statistic	102.8404	Durbin-Watson stat		2.403069
Prob(F-statistic)	0.000000			

يتبين من خلال الجدول (5) أن متغيرة الثابت غير معنوية إحصائيا، على عكس متغيرة الناتج المحلي الأجنبي المعنوي عند مستوى معنوية 5%، بالإضافة إلى ارتفاع معامل التحديد ( $R^2=87\%$ ) وانعدام الارتباط الذاتي بين الأخطاء حيث  $(DW=2.4)$ ، فيما يتعلق بالناتج المحلي الأجنبي فارتفاعه بنسبة 1% يؤدي إلى ارتفاع حجم الصادرات بنسبة 0.0094% وتعتبر هذه النسبة ضئيلة جدا، وهو ما يشير إلى قلة درجة الانفتاح الاقتصادي من جهة على العالم الخارجي بسبب عدم تنوع وتنافسية السلع المستوردة، إضافة إلى أن ارتفاع صادرات المحروقات بسبب ارتفاع أسعارها لا تتحدد على أساس الناتج الإجمالي الأجنبي وإنما على أساس الأسعار الجارية في الأسواق العالمية للمواد الأولية والخاضعة بدورها إلى عوامل خارجية كما أشرنا إليه سابقا الجيوسياسي.

## 2-1-2- دالة الواردات:

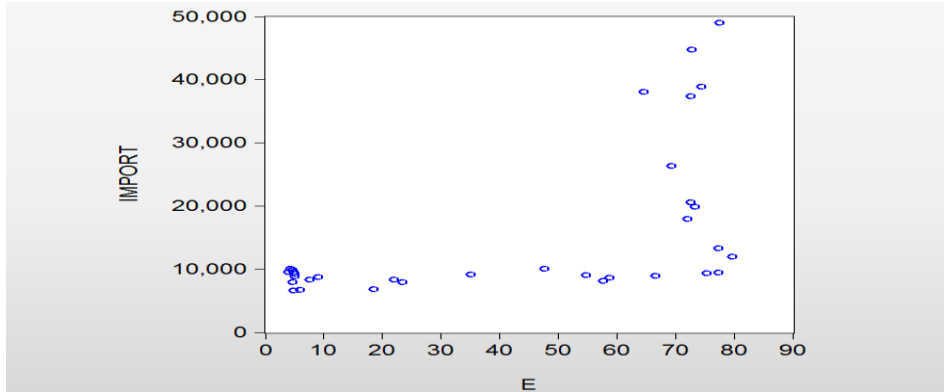
سنقوم أولاً بدراسة الاتجاه العام للسلاسل الزمنية لمتغيرات دالة الواردات، وكانت النتائج موضحة في الشكل (6) التالي:



الشكل رقم 6- الاتجاه العام للسلاسل الزمنية لدالة الواردات

المصدر : برمجية Eviews 7

يعكس الشكل البياني اتجاه عام نحو التزايد وهذا لكل السلاسل الزمنية، ولتحديد نوعية العلاقة بين كل متغير وحجم الواردات نعلم على الأشكال البيانية (7)، (8)، (9) التالية:

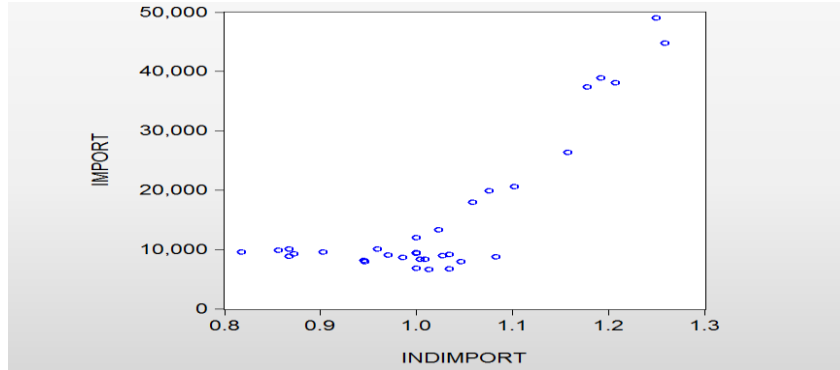


الشكل رقم 7-العلاقة بين حجم الواردات وسعر الصرف الاسمي

المصدر : برمجية Eviews 7

نلاحظ من خلال الشكل البياني أن العلاقة بين سعر الصرف الاسمي وحجم الواردات هي علاقة أسية، بالإضافة إلى أن تغير طفيف في سعر الصرف يؤدي إلى

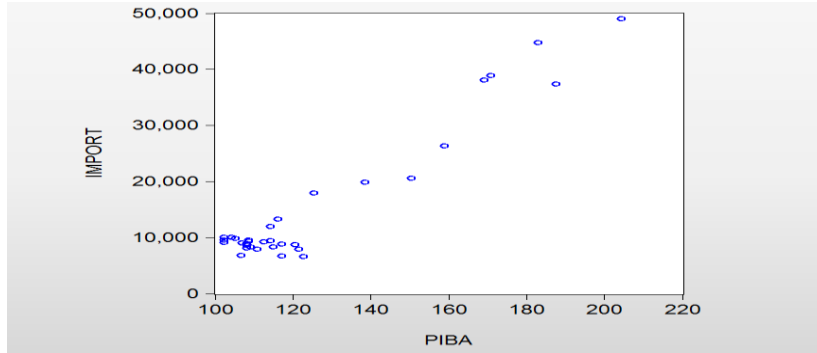
ارتفاع كبير جدا في حجم الواردات وهذا ما يعتبر غير منطقي، هذه النتائج تتطابق تماما مع النتائج المحصل عليها في تقدير العلاقة بين متوسط سعر الصرف وحجم الصادرات بيانيا، كما يشير إلى انعدام تأثير تخفيض سعر الصرف على الواردات، وهو ما سيتم التأكد منه لاحقا من خلال النموذج القياسي.



الشكل رقم 8- العلاقة بين حجم الواردات ومؤشر أسعار الواردات

المصدر : برمجية 7 Eviews

يشير المنحنى إلى وجود علاقة دالة خطية متزايدة بين كل من حجم الواردات ومؤشر أسعار الواردات، وهو ما يتنافى مع النظرية الاقتصادية، فارتفاع مؤشر الواردات من المفروض أن يخفض من حجمها ولكن اعتمادا على معطيات الاقتصاد الجزائري، الذي يتميز بقطاع إنتاجي ضعيف وطلب داخلي متزايد وبرامج حكومية قيد التنفيذ في مشاريع شتى لم تكتمل بعد، يجبر السلطات المحلية لرفع حجم وارداتها بالرغم من ارتفاع أسعارها لتلبية الطلب المتزايد وعدم استطاعة العرض المحلي على تلبية هذا الطلب.



الشكل رقم 9- العلاقة بين حجم الواردات والنتاج المحلي الإجمالي

المصدر : برمجية 7 Eviews

في نفس السياق جاءت العلاقة خطية بين كل من حجم الواردات والنتائج المحلي الإجمالي، وهو ما يتماشى مع النظرية الاقتصادية، فارتفاع الناتج المحلي الإجمالي يرفع من قدرة البلد المحلي على الاستيراد.

**الجدول رقم 6- نتائج تقدير دالة الواردات**

Dependent Variable: IMPORT  
Method: Least Squares  
Date: 04/09/14 Time: 19:27  
Sample: 1980 2012  
Included observations: 33

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	-32153.39	7466.670	-4.306256	0.0002
E	48.06075	24.82147	1.936257	0.0626
INDIMPORT	-5730.830	11109.74	-0.515838	0.6099
PIBA	408.9066	39.85268	10.26045	0.0000
R-squared	0.931374	Mean dependent var	15453.82	
Adjusted R-squared	0.924274	S.D. dependent var	12171.98	
S.E. of regression	3349.519	Akaike info criterion	19.18423	
Sum squared resid	3.25E+08	Schwarz criterion	19.36563	
Log likelihood	-312.5399	Hannan-Quinn criter.	19.24527	
F-statistic	131.1929	Durbin-Watson stat	1.101900	
Prob(F-statistic)	0.000000			

تشير نتائج الجدول الى أن انخفاض في سعر الصرف الاسمي يرفع من حجم الواردات وهذا غير منطقي، كذلك ارتفاع الناتج المحلي الأجنبي يرفع من حجم الواردات، أما مؤشر أسعار الواردات فهو غير معنوي، كذلك تعكس نتائج الجدول تضاربا في المقاييس أي نفس المشكل الذي تعرضنا إليه في تحديد دالة الصادرات ( المعنوية الإحصائية ل t واختبار DW الذي يعكس ارتباط ذاتي بين الأخطاء العشوائية). وللتأكد من وجود علاقة تكامل مشترك بين المتغيرات نقوم باختبار استقرارية بواقي دالة الواردات، والنتائج المحصل عليها كما هي موضحة في الجداول (7)، (8)، (4) التالية:

**الجدول رقم 7- نتائج استقرارية بواقي دالة الواردات باستخدام النموذج (حد ثابت واتجاه عام)**

Null Hypothesis: RESID04 has a unit root  
Exogenous: Constant, Linear Trend  
Lag Length: 0 (Automatic - based on SIC, maxlag=0)

	t-Statistic	Prob.*
Augmented Dickey-Fuller test statistic	-3.647275	0.0414
Test critical values:		
1% level	-4.273277	
5% level	-3.557759	
10% level	-3.212361	

\*MacKinnon (1996) one-sided p-values.

Augmented Dickey-Fuller Test Equation  
Dependent Variable: D(RESID04)  
Method: Least Squares  
Date: 04/11/14 Time: 17:40  
Sample (adjusted): 1981 2012  
Included observations: 32 after adjustments

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
RESID04(-1)	-0.586669	0.160851	-3.647275	0.0010
C	-623.0387	1048.188	-0.594396	0.5569
@TREND(1980)	29.16226	55.45362	0.525886	0.6030

R-squared	0.321382	Mean dependent var	-122.6910
Adjusted R-squared	0.274581	S.D. dependent var	3398.441
S.E. of regression	2894.504	Akaike info criterion	18.86808
Sum squared resid	2.43E+08	Schwarz criterion	19.00549
Log likelihood	-298.8892	Hannan-Quinn criter.	18.91362
F-statistic	6.866966	Durbin-Watson stat	2.076735
Prob(F-statistic)	0.003619		

نلاحظ من خلال الجدول وعند مستوى معنوية 5% أن القيمة المحسوبة ل: t أقل من القيمة المجدولة ((-3.55)<(-3.64)=tcal) مما يعني إمكانية رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة.

**الجدول رقم 8- نتائج استقرارية بواقي دالة الواردات باستخدام النموذج (حد ثابت)**

Null Hypothesis: RESID04 has a unit root  
Exogenous: Constant  
Lag Length: 0 (Automatic - based on SIC, maxlag=0)

	t-Statistic	Prob.*
Augmented Dickey-Fuller test statistic	-3.713478	0.0086
Test critical values:		
1% level	-3.653730	
5% level	-2.957110	
10% level	-2.617434	

\*MacKinnon (1996) one-sided p-values.

Augmented Dickey-Fuller Test Equation  
Dependent Variable: D(RESID04)  
Method: Least Squares  
Date: 04/11/14 Time: 17:44  
Sample (adjusted): 1981 2012  
Included observations: 32 after adjustments

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
RESID04(-1)	-0.589694	0.158798	-3.713478	0.0008
C	-141.9602	505.5003	-0.280831	0.7808

R-squared	0.314911	Mean dependent var	-122.6910
Adjusted R-squared	0.292074	S.D. dependent var	3398.441
S.E. of regression	2859.391	Akaike info criterion	18.81507
Sum squared resid	2.45E+08	Schwarz criterion	18.90667
Log likelihood	-299.0411	Hannan-Quinn criter.	18.84543
F-statistic	13.78992	Durbin-Watson stat	2.050070
Prob(F-statistic)	0.000834		

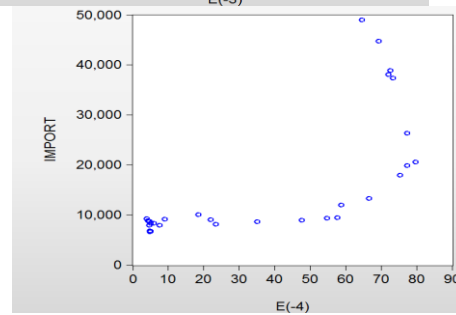
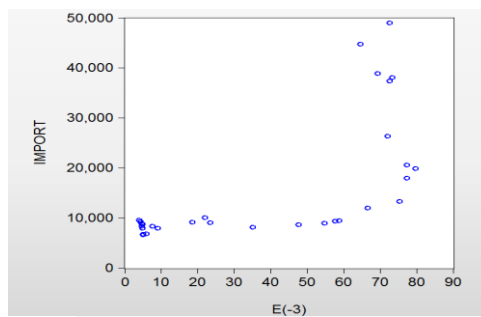
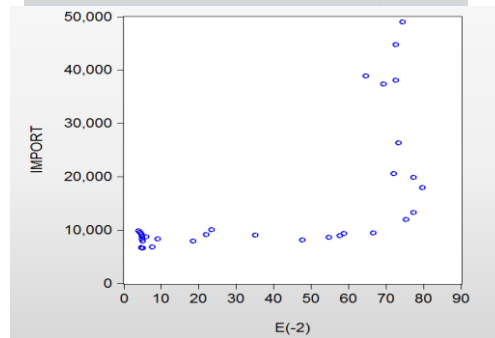
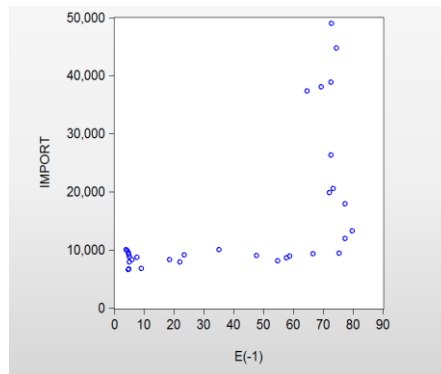
نلاحظ من خلال الجدول انه عند مستوى معنوية 1%، القيمة المحسوبة ل  $t$  من القيمة المجدولة عند هذا المستوى ( $t_{cal} = (-3.71) < (-3.65)$ ) مما يعني إمكانية رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة.

الجدول رقم 9- نتائج استقرارية بواقي دالة الواردات باستخدام النموذج  
(انعدام الحد ثابت)

Null Hypothesis: RESID04 has a unit root Exogenous: None Lag Length: 0 (Automatic - based on SIC, maxlag=0)				
	t-Statistic	Prob.*		
Augmented Dickey-Fuller test statistic	-3.767182	0.0005		
Test critical values:	1% level	-2.639210		
	5% level	-1.951687		
	10% level	-1.610579		
*MacKinnon (1996) one-sided p-values.				
Augmented Dickey-Fuller Test Equation Dependent Variable: D(RESID04) Method: Least Squares Date: 04/11/14 Time: 18:47 Sample (adjusted): 1981 2012 Included observations: 32 after adjustments				
Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
RESID04(-1)	-0.589236	0.156413	-3.767182	0.0007
R-squared	0.313110	Mean dependent var	-122.6910	
Adjusted R-squared	0.313110	S.D. dependent var	3398.441	
S.E. of regression	2816.588	Akaike info criterion	18.75519	
Sum squared resid	2.46E+08	Schwarz criterion	18.80100	
Log likelihood	-299.0831	Hannan-Quinn criter.	18.77037	
Durbin-Watson stat	2.045607			

يتبين من الجدول أن القيمة المحسوبة ل:  $t$  أقل من القيمة المجدولة عند مستويات معنوية (1%، 5%، 10%). اعتمادا إذن على نتائج الجداول (7)، (8)، (9)، يمكن القول أن سلسلة بواقي دالة الواردات مستقرة عند المستوى وان هناك علاقة تكامل مشترك بين المتغيرات. إذن يمكن الاعتماد على نتائج جدول تقدير دالة الواردات السابق كون وجود علاقة طويلة الأجل بين المتغيرات.

إن الإشارة الموجبة لسعر الصرف الاسمي تطرح هي الأخرى تساؤلا حول قبول هذه الفكرة نظرا لمخالفتها لقواعد نظرية التجارة الخارجية، حيث كنا نتوقع أن تكون الإشارة سالبة وكما قمنا به سابقا بالنسبة لدالة الصادرات سيعاد استخدامه في دالة الواردات أي الكشف بيانيا عن العلاقة طويلة الأجل بين كل من متغير سعر الصرف الاسمي وحجم الواردات.



الشكل رقم 9- العلاقة بين حجم الواردات وسعر الصرف الاسمي في الأجل الطويل

نلاحظ من خلال الأشكال البيانية رقم (10) أن تخفيض سعر الصرف الاسمي لا أثر له على حجم الواردات. ومنه سنقوم بإعادة تقدير دالة الواردات بإدراج المتغير التابع المؤخر بفترة زمنية واحدة في النموذج، وبعد إجراء العديد من الانحدارات تم إلغاء كل من المتغيرين (سعر الصرف الاسمي ومؤشر أسعار الواردات) لعدم معنويتهما الإحصائية، وكانت النتائج المحصل عليها لتقدير دالة الواردات والتي أصبحت من الشكل:

$$\text{IMPORT} = c + a \text{PIBA} + b \text{IMPORT}(-1) \dots \dots \dots \text{المعادلة رقم (2)}$$

الجدول رقم 10- نتائج تقدير دالة الواردات في الأجل الطويل

Dependent Variable: IMPORT  
Method: Least Squares  
Date: 04/11/14 Time: 19:08  
Sample (adjusted): 1981 2012  
Included observations: 32 after adjustments

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	-10291.18	4711.653	-2.184197	0.0372
PIBA	107.7108	51.69251	2.083682	0.0461
IMPORT(-1)	0.854009	0.135635	6.296391	0.0000
R-squared	0.968351	Mean dependent var		15636.31
Adjusted R-squared	0.966168	S.D. dependent var		12320.79
S.E. of regression	2266.210	Akaike info criterion		18.37867
Sum squared resid	1.49E+08	Schwarz criterion		18.51608
Log likelihood	-291.0586	Hannan-Quinn criter.		18.42421
F-statistic	443.6507	Durbin-Watson stat		2.099279
Prob(F-statistic)	0.000000			

تشير نتائج الجدول (10) إلى أن دالة الواردات بعد إدراج المتغير التابع المؤخر سمح بمعالجة مشكلة الارتباط الذاتي بين الأخطاء وإلغاء التضارب في المقاييس، إضافة إلى ذلك ارتفاع معامل التحديد وهو ما يرجع مدى صحة النموذج، كما تبين النتائج عدم المعنوية الإحصائية للثابت ولكن المعنوية الإحصائية للمتغير التابع المؤخر ومتغيرة الناتج المحلي الإجمالي عند مستوى معنوية 5%، فارتفاع الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 1% يؤدي إلى ارتفاع حجم الواردات بنسبة 1.16%، الزيادة في حجم الواردات تتأثر إذن بارتفاع الناتج المحلي الإجمالي، وتكون الزيادة في حجم الطلب على السلع الأجنبية الزيادة في حجم الناتج المحلي، على سبيل المثال خلال 9 أشهر الأولى لسنة 2013 تم استيراد ما قيمته 40.66 مليار دولار تمثلت أساسا في: (سلع المعدات الصناعية (36.1%)، منتجات نصف مصنعة (19.9%)، منتجات غذائية (17.65%)، سلع استهلاكية غير غذائية (14.52%).

[Rapport de la banque d'Algérie, 2013,p26]



إذن وكنتيجة للتحليل السابق يمكن أن نستخلص أن تحسن الميزان الجاري لم يكن نتيجة لتخفيض سعر الصرف المقاربة الزمنية:

تم ربط الميزان الجاري حسب المقاربة الزمنية بالمتغيرات التالية: ( الاستثمار الداخلي (invt) ، الادخار الوطني (epr) درجة الانفتاح الاقتصادي (ouv) ، متوسط سعر البرميل (pp) ، نسبة القروض إلى الناتج المحلي الإجمالي (credpib) ، نسبة السيولة (liq) ، الناتج المحلي الحقيقي (pibr) ، حجم الاستثمار الأجنبي (ide) ، ومن أجل تقدير العلاقة قمنا باستخدام طريقة العزوم المعممة وكانت النتائج موضحة في الجدول رقم (11) التالي:

### الجدول رقم 11- نتائج تقدير دالة المقاربة الزمنية للميزان الجاري

Dependent Variable: CC  
Method: Generalized Method of Moments  
Date: 04/12/14 Time: 16:47  
Sample: 1989 2010  
Included observations: 22  
Linear estimation with 1 weight update  
Estimation weighting matrix: HAC (Bartlett kernel, Newey-West fixed bandwidth = 3.0000)  
Standard errors & covariance computed using estimation weighting matrix  
Instrument specification: PP SOLDBUGT INVT EPR LIQ CREDPIB PIBR  
OUV IDE  
Constant added to instrument list

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
PP	4.423849	2.163482	2.044782	0.0617
SOLDBUGT	0.623546	0.227482	2.741074	0.0168
INVT	-0.038802	0.024477	-1.585275	0.1369
EPR	-0.003877	0.008552	-0.453378	0.6578
LIQ	-2.162034	0.928773	-2.327840	0.0367
CREDPIB	-2.907335	1.863329	-1.560291	0.1427
PIBR	0.076693	0.058540	1.310096	0.2128
OUV	0.023080	0.017847	1.293205	0.2184
IDE	0.444849	0.243001	1.830644	0.0902
R-squared	0.829262	Mean dependent var	7.587727	
Adjusted R-squared	0.724192	S.D. dependent var	9.079246	
S.E. of regression	4.768189	Sum squared resid	295.5631	
Durbin-Watson stat	1.759031	J-statistic	0.428833	
Instrument rank	10	Prob(J-statistic)	0.512562	

يتبين من خلال نتائج الجدول (11) إلى ارتفاع معامل التحديد، عدم المعنوية الإحصائية لبعض المتغيرات بالإضافة إلى الارتباط الذاتي بين الأخطاء. ومن أجل التأكد من وجود علاقة تكامل مشترك بين المتغيرات نختبر سكون بواقي الدالة والتي كانت نتائجها ملخصة في الجدول الموالي:

### الجدول رقم 12 - نتائج استقرارية بواقي دالة المقاربة الزمنية للميزان الجاري

المحسوبة قيم t	الدرجة t قيم			النماذج
	%10	%5	%1	
- 3.590683	***_ 3.261452	- 3.644963	*_ 4.467895	النموذج الأول: (حد الثابت والاتجاه العام)
- 3.771312	***_ 2.646119	**_ 3.012363	- 3.788030	النموذج الثاني: (حد الثابت)
- 3.896726	***_ 1.607830	**_ 1.958088	*_ 2.679735	النموذج الثالث: (بدون حد ثابت)

\*\*\*, \*\*, \* تشير إلى سكون البواقي عند مستوى معنوية 10%، 5%، %1

بين نتائج الجدول استقرارية البواقي عند المستوى سواء تعلق الأمر بالنموذج الأول، الثاني أو الثالث، مما يعني وجود علاقة تكامل مشترك بين المتغيرات. هذا ما يلزمنا الآن إعادة صياغة النموذج السابق بالاستغناء عن المتغيرات غير المعنوية تدريجياً والعمل على التخلص من مشكلة الارتباط الذاتي للأخطاء.

بعد استكشاف دقيق تم ملاحظة انعدام التأثير لمتغير الاستثمار الأجنبي على الميزان الجاري سواء لحظياً أو بتأخير متأخر بلغ 5 درجات، وبإجراء العديد من الاختبارات لتعديل النموذج تم التوصل إلى المعادلة التالية:

$$cc = a solbugt+ b pp+c pp(-1) + d cc(-1) + e soldbugt(-1) \dots$$

المعادلة رقم (3)

يرتبط الميزان الجاري بكل من رصيد الموازنة ومتوسط سعر البترول، كما قمنا بإدراج المتغيرات المتأخرة بدرجة واحدة لكل متغيرات النموذج للتخلص من مشكلة الارتباط الذاتي بين الأخطاء. كما تم إلغاء الثابت لعدم معنويته الإحصائية في النموذج.

يتم حساب كل من أثر رصيد الموازنة ومتوسط سعر البرميل على الميزان الجاري من خلال النسب:  $(b+c)/d$  و  $(a+e)/d$  والنتائج ملخصة في الجدول التالي:

الجدول رقم 13- أثر متوسط سعر البترول ورصيد الموازنة على الميزان الجاري

Dependent Variable: CC  
 Method: Generalized Method of Moments  
 Date: 04/12/14 Time: 17:22  
 Sample (adjusted): 1990 2010  
 Included observations: 21 after adjustments  
 Linear estimation with 1 weight update  
 Estimation weighting matrix: HAC (Bartlett kernel, Newey-West fixed  
 bandwidth = 3.0000)  
 Standard errors & covariance computed using estimation weighting matrix  
 Instrument specification: SOLDBUGT PP CREDPIB INVT EPR PIBR IDE  
 OUV LIQ  
 Constant added to instrument list

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
SOLDBUGT	0.447025	0.091990	4.859524	0.0002
PP	6.400604	0.614731	10.41203	0.0000
PP(-1)	-6.030236	0.605649	-9.956654	0.0000
CC(-1)	0.462393	0.057884	7.988329	0.0000
SOLDBUGT(-1)	0.298932	0.095452	3.131759	0.0064
R-squared	0.900997	Mean dependent var	8.041905	
Adjusted R-squared	0.876246	S.D. dependent var	9.043746	
S.E. of regression	3.181466	Sum squared resid	161.9477	
Durbin-Watson stat	2.498498	J-statistic	3.227855	
Instrument rank	10	Prob(J-statistic)	0.664904	

تبين نتائج الجدول رقم (13) صحة النموذج المستخدم، فكل المتغيرات معنوية إحصائياً، إضافة إلى غياب مشكلة الارتباط الذاتي بين الأخطاء، و ارتفاع معامل التحديد إلى 90%.

فيما يخص المتغيرات المستخدمة تشير إلى أن ارتفاع في رصيد الموازنة بنسبة 1% سيؤدي إلى تحسن الميزان الجاري بنسبة 0.20%، فتحسن رصيد الموازنة هذه السنوات الأخيرة من خلال ارتفاع الإيرادات العامة أي بمعنى آخر وجود ادخار محلي كاف سمح للدولة بتغطية نفقاتها. إلا أنه لا بد للإشارة إلى أن موازنة الدولة شهدت عجزاً متواصلاً ابتداءً من سنة 2009 والذي استمر إلى حد الآن حيث بلغ سنة 2012 ( 4.8 بالمئة من الناتج الإجمالي بالنسبة لرصيد الموازنة و 4.71 بالمئة بالنسبة لرصيد الموازنة الإجمالي) فإذا كانت الدولة قادرة إلى حد الآن على تغطية حاجاتها الراجع لارتفاع القدرة المالية للخرينة، فهل سيستمر الوضع إذا ما انخفضت مستويات أسعار المحروقات واستمرت النفقات العمومية في الارتفاع؟.

وفيما يخص متوسط أسعار البرميل، فارتفاع السعر بنسبة 1% يؤدي إلى تحسن الرصيد الجاري بنسبة 0.68%.

#### الخاتمة

مما سبق واعتماداً على النتائج المحصل عليها من خلال مقارنة المرونات والمقاربة الزمنية للميزان الجاري، يمكن استخلاص أن تحسن رصيد الميزان الجاري هذه السنوات الأخيرة لم يكن بسبب تخفيض سعر الصرف ولكن إلى ارتفاع حجم الاستثمار والادخار العموميين، وكذلك إلى الفوائض الهامة التي تراكمت نتيجة تحسن مستويات

أسعار البترول. ومنه لعب الادخار والاستثمار المحليين دورا في تحسن الميزان الجاري.

إذن سعر الصرف لم يكن له أي أثر على تحسن الميزان التجاري ويعود ذلك إلى ضعف تنوع السلع المصدرة والتي تقتصر غالبيتها على صادرات المحروقات، وكذلك إلى ارتباط هذه الأخيرة بتقلبات أسعارها على مستوى الأسواق العالمية. وفيما يخص أثر تخفيض سعر الصرف على الواردات فلم يكن له أثرا كذلك كون الاقتصاد المحلي غير قادر على خلق عرض محلي يلبي الطلب المتزايد مما يؤدي إلى الزيادة في حجم الواردات. و أخيرا فلقد تبين من خلال المقاربة الزمنية مدى التأثير الايجابي لرصيد الموازنة على تحسن الميزان الجاري، وهذا بسبب ارتفاع الادخار المحلي العمومي والذي فاق حجم الاستثمار الداخلي للفترة الزمنية (2000-2008) مما ساهم في ارتفاع احتياطات صندوق ضبط الإيرادات.والذي تعتمد عليه الدولة كواقى ضد الصدمات الخارجية.

### المراجع

- A.Barrelier, J.Duboin, F.Duphil, N.Gevaudan et autres. (1992). Exporter (Pratiques du commerce international). Les éditions Foucher.
- Abdelaziz Rouhabeh. (2005). Les déterminants du solde de la balance des transactions courantes au Luxembourg.Cahier d'etudes n13. Banque Centrale du Luxembourg
- Abdelhak S.Senhadji Et Claudio E. Montenegro. (1999). Time Series Analysis Of Export Demand Equation . IMF Staff Papers. Vol46. N°3. JEL(C22,E21,F14,F41).
- Abdellatif Benchenhou (2008). Pour Une Meilleure Croissance, Alpha Design.
- Abdellatif Benchenhou (2009). La Fabrication de L'Algérie, Alpha Design.
- Abdellatif Rebah.( 2006 ).Economie Algérienne, Le Développement National Contrarié, Inas Edition.
- Aja Lélou Gnaro.(2004) Dynamique du solde des transactions courantes du Togo déterminants et soutenabilité mémoire de DEA en économie
- Aleksander Aristovnik. ( February,2007). Short and Medium-term Determinants of Current Account Balances in Middle East and North Africa Countries, Munich Personal Repec Archive, MPRA paper N°1974.

- Alonso Segura.(2006). Management Of Oil Wealth Under The Permanent Income Hypothesis The Case of Sao Tomé and Principe. IMF Working Paper WP/06/183.JIL (E62,H50,Q32).
- Antoine Dit Rigaud Fils Fragé (2011). Efficacité Des Politiques Budgétaires et Monétaires des Pays D'Amérique Latine, Cas De L'Argentine, Du Brésil et du Mexique, Une Application Des Modèles à Correction D'Erreur. Memoire de sortie en vue de l'Obtention d'une maîtrise en Economie et Finances.
- Bernard Guillochon et Annie Kawecki (2003). Economie Internationale Dunod, Paris.
- Cambridge, MA 02138, Working Paper No. 4893.
- Charles Ruranga.(Avril,2007).Analyse des déterminants de l'épargne Nationale dans un pays en développement: le cas du Rwanda . Rapport de recherche. Université de Montréal.
- Charles Van Marrewijk.(February,2005).Basic Exchange Rate Theories. Discussion paper. N°0501 . international macroeconomic and finance program, university of Adelaide,5005, Australia.
- Cheikh Tidiane Ndiaye (2009). La sensibilité de L'activité économique aux chocs monétaire et budgétaire. Laboratoire d'Economie d'Orléans, JEL Classification E23,E52,E62,E63.
- Clermont-Ferrand I, Ecole d'Economie, Centre d'Etudes et de Recherches sur le Développement International (CERDI).
- Current Account , National Bureau Of Economic Research, 1050 Massachusetts Avenue
- Daniel Leigh et Jan-Peter Olters (2009). Natural Resource Depletion , Habit Formation And Sustainable Fiscal Policy, Lessons From Gabon. International Monetary Fund WP/06/193.JEL(E6,H5,Q3).
- El Manouar Abdellah.(1983). Monnaie Prix et Balance des Paiements. Etude sur le Maroc. Université de Montréal.
- En Développement. Thèse de Doctorat en Sciences Economiques, Université d'Auvergne.
- Etibar Jafarov, Hajime Takizawa, Harm Zebregs et Fabrizio Balassone (2006). Managing Russia's Oil Wealth : An Assesment of Sustainable Expenditure Path . IMF Report N°06/430.
- Ghislaine Legrand et Hubert Martini. (2003). Commerce international. Dunod, Paris.

- Henri Bourguinat et Jean Claude Milleron. (1992). Finance Internationale (L'état actuel de la théorie). Edition Economica
- Henri Bourguinat, Jérôme Téïletche et Michel Dupuy. (2007) Finance internationale, Edition Dalloz.
- Henri Bourguinat, (1992) .Finance Internationale. Presse Universitaire de France. 4ème édition.
- Issouf Samake, Priscilla Muthoora, and Bruno Versailles. ( 2013). Viabilité Budgétaire, Investissement Public et Croissance dans les Pays à Faible Revenu Riche en Ressources Naturelles ( Le Cas Du Cameroun).
- IMF Working Paper WP/13/144. JEL (C11 ,C15, C61, E22 , E23, E27, H61 , O11).
- Jacques Percebois (2009). Prix internationaux du Pétrole, du Gaz Naturel, de L'Uranium, du Charbon : La théorie économique nous aide t-elle à comprendre les évolutions, Centre de Recherche en Economie et Droit de L'Energie CREDEN, Cahiers de Recherche N°09-02-81. Université de Montpellier 1.
- James Daniel, Jeffrey Davis, Manal Fouad et Caroline Van Rijckeghem (2006), Fonds Monétaire International.
- Kako Nubukpo, (2007) , Dépenses publiques et croissance des pays de l'Union économique et monétaire ouest-africaine (UEMOA), Afrique contemporaine 2007/2 (n° 222) , Pages 223 à 250. ISSN 0002-0478.
- L'Ajustement Budgétaire comme instrument de stabilité de croissance. Fonds Monétaire International, Série Des Brochures N°55-F.
- L'Office National Des Statistiques (2011). Indice Des Prix à La Production Industrielle, Collection Statistique N°175,Série E.
- L'Office National Des Statistiques (2012). Le Premier Recensement Economique, Résultats Définitifs De La Première Phase. Série E, N°172.
- L'Office National Des Statistiques (2012).Evolution Des Echanges Extérieurs De Marchandises de 2000 à 2011, Collection Statistique N°176.
- L'Office National Des Statistiques (2013). Présentation des Principales Activités De L'ONS, Forum Journal Liberté.
- Luc Désiré Omgba Et Calvin Djiofack. (2009). Equilibre Général Et Revenu Permanent Dans un Pays en Transition Poste- Pétrolière, Le

Cas Du Cameroun. Article soumis pour la Présentation au 58<sup>ème</sup> Congrès de L'AFSE . Classification JEL(Q3,E6,H5,C6).

- M.E. Benissad. (1983) .Economie internationale. Office des Publications Universitaires
- Martin Coiteux.(1996).Le Taux de change réel et le problème de l'ajustement. Une synthèse des trois approches classiques de la Balance des Paiements. Actualité Economique.Vol,N°4.
- Matthieu Bussière, Marcel Fratzscher et Gernot J. Müller. (2004). Current Account Dynamics in OECD and EU Acceding Countries (An Intertemporal Approach).Working Paper Series N°311.
- Maurice Byé et G.Destanne de bernis.(1977). Relations économiques internationales Edition Dalloz.
- Maurice Obstfeld, Kenneth Rogoff. (October, 1994). The Intertemporal Approach to the Current Account. NBER Working Paper No. 4893
- Michael Parkin, Robin Bade, Benoit Carmichael (2005). Introduction à la macroéconomie moderne, Éditions du Renouveau Pédagogique Inc, Canada Québec.
- Naji Jammal. (2005) . Commerce international : théorie, techniques et applications, Éditions du Renouveau Pédagogique Inc.
- Office National des Statistiques (2010), Enquête, Emploi auprès des Ménages, N°170.
- Office National des Statistiques (2012), Les Comptes Economiques En Volume De 2000 à 2011. N°617.
- Office National des Statistiques (2013), Activité, Emploi, Chômage au 4<sup>ème</sup> trimestre 2013.N°653.
- Osvaldo Nunez.(Octobre,1992).Politique de substitution aux importations et contrainte de change. Le cas Latino Americain. Rapport de maitrise. Faculté des sciences économiques.Université de Montréal.
- Paul Krugman, Robin Well (2009).Macroéconomie, Groupe Boeck.
- Raphael Chiappini.(2010). Comment mesurer la compétitivité structurelle des pays , L'apport d'un indicateur global de compétitivité ( Le World Competitiveness Yearbook).
- Rapport du FMI (2011). Algérie, Consultation de 2010 au titre de l'article 5, note d'information au public sur l'examen par le conseil d'administration et déclaration de l'administrateur pour l'Algérie. N°11/39.

- Rapport du FMI (2012). Algérie, Consultation de 2011 au titre de l'article 5, note d'information au public sur l'examen par le conseil d'administration. N°12/20.
- Rapport de L'Agence Monétaire de L'Afrique de l'Ouest (AMAO). (2008). Impact des fluctuations des cours du pétrole sur les principaux critères de convergence dans les états membres de la CDAO.
- Rapport de la banque centrale des Etats de L'Afrique de L'Ouest.(2013). Analyse de la viabilité et des déterminants du déficit courant des pays de L'UEMOA.
- Rapports de la Banque d'Algérie (Les années 2003 à 2012). Evolution Economique et Monétaire en Algérie.
- Rapport du FMI (Avril, 2007). Perspectives Economiques Régionales (Afrique Subsaharienne) ISBN 978-1-58906-639-7.
- Rapport du FMI (Janvier, 2008). Gabon. N08/24.
- Rapport du FMI. (Février, 2009). Tchad Questions Générales. N 09/67.
- Raymond Barre. (1970). Economie Politique. Presse Universitaire de France .
- Salif Sada Sall. (1999). Impact à moyen terme de la dévaluation du franc CFA sur les exportations sénégalaises, Les Cahiers du SISERA (Secrétariat For Institutional Support For Economical Research in DI/DRC) . ARCHIV 113763.
- Souleymane Diarra (2012). Chocs et Mobilisation des Recettes Publiques dans les Pays en Développement. Economies et finances. Université d'Auvergne - Clermont-Ferrand I, 2012. Français.
- Stéphane Carcillo, Daniel Leigh, et Mauricio Villafuerte (2007). Catch-up Growth, Oil Depletion and Fiscal Policy: Lesson From Republic Of Congo. IMF Report WP/07/80. JEL (E6,H5,Q3).
- Stéphane Bécuwe.(2006). Commerce international et politiques commerciales, Paris : Armand Colin.
- SY Demba et SY Hamat (2013). Les causes du déficit structurel du compte courant du Sénégal. Agence Nationale de Statistique et de la démographie. Rapport\_Etude\_CDSCC\_oct-2013.
- Thomas Brand (2012). La Soutenabilité de long terme des finances publiques : Une évaluation économétrique, Centre d'Analyse Stratégique, Département : Économie et Finances, N°2012-08.



- Taoufik Rajhi, Hatem Saleh (2009), « Recherche de l'efficience et pouvoir de marché des banques en Algérie : investigation empirique sur la période 2000-07 » CEA.
- Valeria Fichera, Ashok Bhundia , and Yitae Kevin Kim (2005). Democratic Republic of Timor-Leste: Selected Issues and Statistical Appendix. IMF Country Report N°05/250.
- Waliullah, Mehmood Khan Kakar, Rehmatullah Kakar and Wakeel Khan. (2010). The Determinants of Pakistan's Trade Balance: An ARDL Cointegration Approach , The Lahore Journal of Economics 15 1 (Summer 2010): pp. 1-26, JEL Classification : F10,F12,C15,C22.
- Zoulfikar.Mehoumoud.Issop. (juin, 2010). Chocs des termes de l'échange et balance courante : estimation des effets de substitution en France (1972-1998). 6 ème colloque « Théories et Méthodes de la Macroéconomie. LATAPSES-IODE-IDEFI-Université de Nice Sophia Antipolis. 13, 14 et 15 juin 2000 Nice Sophia Antipolis.

## محاوّل قياضية لنمذجة العوامل المحددة لسعر الفائدة في الاقتصاد الجزائري للفترة 1988-2011 باستخدام أشعة الانحدار الذاتي VAR

### ملخص

يعتبر سعر الفائدة من أهم المتغيرات التي تؤثر على النشاط الاقتصادي، ونظرا لغياب وقلة الدراسات التي تتشغل بالعوامل المحددة لمستواه، استهدفت هذه الدراسة الكشف عن العوامل الكلية التي يمكن أن تكون قادرة على تحديد مستواه في الاقتصاد الجزائري.

لقد خلصت هذه الدراسة إلى أن سعر الفائدة على الودائع الحكومية يتأثر بالمستويات السابقة لفترة ثلاث سنوات لكل من سعر الفائدة، الادخار المحلي، تغيرات الكتلة النقدية ومعدل التضخم المتوقع. كما أكدت الدراسة على انعدام أهمية الاستثمار في تحديد سعر الفائدة، نظرا لتركز الاستثمارات في القطاعات النفطية ذات العائد المرتفع، أين نجد أن سعر الفائدة لا يؤثر تماما في الاستثمار.

أ. عبد الرزاق كبوط

كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية  
وعلوم التسيير  
جامعة باتنة  
الجزائر

### مقدمة

**يشكل** سعر الفائدة أبرز المتغيرات التي تملك القدرة على التأثير على الحياة الاقتصادية. وتحديد مستواه سيمكننا من الوصول إلى ضبط مستوى الاستثمار والادخار وحجم التشغيل. فسيحرض ارتفاعه زيادة الادخار في ظل بقاء المتغيرات الأخرى ثابتة، لكن في المقابل سيرفع من تكلفة تمويل الاستثمار لدى رجال الأعمال، ليحد من طلبهم على القروض الجديدة لتمويل واستثماراتهم فتقل معدلات العائد، ويتقلص النشاط الاستثماري تدريجيا إلى أن يصل إلى تسريح جزء من العمال، بفعل فشل بعض المشاريع التي لم تتمكن من تحقيق مستوى

### Abstract

The interest rate is one of the important variables that affects the economic activity. Due to the absence and the lack of studies that preoccupied the determinants of its level. This study aimed to detect the factors that can total to be able to determine the level of the Algerian economy in the theoretical framework derived from the many Economic schools.

عائد يفوق معدل تكلفة رأس المال. لكنه في حالة انخفاض سعر الفائدة، سيدفع أصحاب الفوائض إلى الإحجام عن ادخارها. هذا على الصعيد الوطني. أما على صعيد العلاقات الاقتصادية الدولية فإنه وجود فارق بين معدل الفائدة المحلي والأجنبي قد يكون سببا في استقطاب رؤوس الأموال الأجنبية في ظل حرية انتقالها أو في هروبها. وسيتسبب ذلك في صناعة حالة عدم استقرار سعر صرف العملة الوطنية، وسيعرقل ذلك الاستقرار النقدي الوطني ومن ثم عجلة التنمية.

This study has concluded that the interest rate on government deposits is affected by previous levels for a period of three years for each of the interest rate, domestic savings, changes in the money supply, and the rate of expected inflation. The study also confirmed the lack of importance of investment in determining the interest rate due to the focus of investments in the high-yielding oil, where we find that the interest rate does not affect just the investment, it or inflexible to changes in interest rate.

**إشكالية البحث:** إذا على ضوء ما سبق فقد تمحورت إشكالية البحث في السؤال المحوري التالي:

ما هي العوامل المحددة لسعر الفائدة في الاقتصاد الجزائري؟

**هدف الدراسة:** تهدف هذه الدراسة إلى تحديد أهم العوامل الحاكمة لسعر الفائدة في الاقتصاد الجزائري.

**أهمية الدراسة:** بموجب الأهمية التي توليها السياسة الاقتصادية لسعر الفائدة، فإن معرفة العوامل المحددة له أمر دفعنا لإجراء هذه الدراسة القياسية، التي تحاول أن تعرف وتحصر أهم المتغيرات الكلية الحاكمة لسعر الفائدة في الاقتصاد الجزائري ومن ثم تستقصي أثر مختلف المتغيرات الاقتصادية على سعر الفائدة، ليتسنى لصانعي السياسة الاقتصادية في الجزائر بناء سياسة اقتصادية مرتكزة على أساس نظري وتطبيقي، يسمح ببناء تصورات كافية حول تحرك المتغيرات ومن ثم تكوين التوقعات حول مدى فعالية السياسات المنتهجة.

**فرضيات الدراسة:** لخدمة هدف الدراسة فقد حاولنا اختبار الفرضيات التالية المستوحاة من النظريات الاقتصادية:

1- توجد علاقة طردية بين كل من الادخار و معدل التضخم المتوقع مع سعر الفائدة؛

2- هناك علاقة عكسية بين الاستثمار وتغييرات عرض النقود مع سعر الفائدة؛

3- تؤثر مستويات أسعار الفائدة السابقة في مستوياتها الحالية.

ولمعالجة هذا البحث فقد حاولنا استنباط مختلف المتغيرات المحددة لسعر الفائدة من منظور الأدبيات الاقتصادية التي تناولت هذا الموضوع "المبحث الأول" وصولاً إلى اختبار فرضيات البحث طبقاً لنتائج الدراسة القياسية للاقتصاد الجزائري خلال الفترة 1988-2008 باستخدام منهجية أشعة الانحدار الذاتي VAR "المبحث الثاني"

### المبحث الأول : محددات سعر الفائدة في الأدبيات الاقتصادية.

إن اهتمامنا منصب حول كيفية تحديد معدل فائدة وحيد، وتفسير سلوكه، للوصول إلى فهم آلية تكوين مختلف معدلات الفائدة الموجودة في الاقتصاد، وسنحاول أن نعالج سعر الفائدة من خلال محدداته الحقيقية أو النقدية. إذ نجد أن هناك ثلاث تيارات تميز تطور نظرية الفائدة، فالأول يركز على أهمية القوى الحقيقية في تفسير مستواه المحدد بعرض الادخار والطلب عليه للاستثمار، دون مراعاة أهمية النقود، وهنا يمكن أن نجمع العديد من الكتاب الكلاسيك والنيوكلاسيك، منهم بوارك، فيشر، مارشال، هايك، رامسي، وفيليبس "المطلب الأول" أما التيار الثاني فيرى أن الفائدة ظاهرة نقدية، تمثلها نظرية ويكسل ونظرية تفصيل السيولة لكينز، أين تظهر الفائدة على أنها متغير محدد في القطاع النقدي "المطلب الثاني". أما التيار الثالث فتمثله نظرية الأموال المعدة للإقراض، التي جاء بها كل من ويكسل و طورها روبرتسون و ميردال و أوهلين وهانسن والتي تحاول التوفيق بين التيارين السابقين، أين اعتبرت أن سعر الفائدة ذو طبيعة هجينة بين الحقيقة والنقدية "المطلب الثالث".

### المطلب الأول: النظريات الكلاسيكية "الحقيقية" لسعر الفائدة

تبحث مختلف هذه النظريات تحديد سعر الفائدة بالارتكاز على سوق السلع والخدمات، فجعلته متغير ذو طبيعة حقيقية. يتحدد من خلال مفهوم التبادل عبر الزمن، مستبعدين أثر التضخم "الفرع الأول"، لكن الواقع يؤكد سيادة ظاهرة التضخم التي تمس جل الاقتصاديات، فأسهم ذلك في ظهور تناقض جبسون الذي تم حله من طرف فيشر، من خلال التمييز بين مفهوم سعر الفائدة الاسمي وسعر الفائدة الحقيقي. "الفرع الثاني"

### الفرع الأول- النظرية البحتة للفائدة" تكوين معدل الفائدة الحقيقي"

يجد سعر الفائدة مدلوله في إطار اقتصاد تبادل خلال الزمن سواء في الاقتصاد النقدي أو الاقتصاد غير النقدي، ويعرف بالسعر الزمني والمعرف حسب ميزر Von Mises بسعر الفائدة الأصلي الذي يوجد في سوق الزمن. فالجمهور معرض لمسألة الاختيار بين الاستهلاك الحالي للسلع وبين ادخارها، وبفعل وجود تفضيلهم للاستهلاك الحاضر على الاستهلاك المستقبلي فإن اتخاذهم لقرار التأجيل، مشروط بحصولهم على تعويض ممثلاً في سعر الفائدة. هذا ما يعني أن سعر الفائدة ترجمة لتفضيل الحاضر على المستقبل، ويعرف بثمن الوقت.<sup>(1)</sup> في سوق الزمن الذي تتم فيه مبادلة الموارد الحقيقية خلال الزمن.

فمعدل الفائدة عبارة عن النسبة بين الكميات الحقيقية المتاحة في لحظات مختلفة من الزمن، والسؤال الذي يطرح نفسه كيف نفهم تخلي البعض عن استهلاك النقود في الحاضر، وفي المقابل تكون هناك رغبة في استخدامها في الوقت الحاضر؟ فيتعلق الأمر إذا بمسألة العرض والطلب في سوق المبادلات للسلع الحاضرة مقابل السلع المستقبلية، وبتفاعلها يمكن تحديد نقطة التوازن التي تعرف لنا معدل الفائدة المقابل.

**أولاً- عرض رأس المال:** يتعلق عرض رأس المال بالادخار الذي يُعني منه تكوين رأس المال النقدي، الناتج عن عدم استهلاك جزء من الدخل،<sup>(2)</sup> و يترجم الادخار تضحية يتحملها الأفراد الذين يقومون بإحداث المساواة بين عدم منفعتهم في الحين، وبين حجم المنفعة التي تحققها الفائدة، وسلوك الامتناع عن الاستهلاك الحاضر مرتبط بالتفضيل الزمني للحاضر الذي جاء به بوارك في نظرية الأجيال. فالقرض بمثابة عملية تبادل سلعة حاضرة لقاء الحصول على سلعة مستقبلية، وأن المبادلة لا يمكن حدوثها طبقاً لقواعد العدالة إلا من خلال المساواة في القيم المتبادلة، فالسلع الحاضرة أكبر قيمة من سلع المستقبل.<sup>(3)</sup>

و أرجع بوارك التفضيل الزمني للحاضر إلى اجتماع عوامل سيكولوجية و اقتصادية و تقنية تجعل السلع الحاضرة أكبر قيمة من نفس السلع ذات نفس الكم والنوع في المستقبل.<sup>(4)</sup>

وبالنظر إلى هذه العوامل، فإن بوارك قد رأى بضرورة أن يكون هناك معدل فائدة موجب وسعر الفائدة في نهاية المطاف سعر زمني، و سلوك الامتناع مبرر حسب بوارك بالتفضيل الزمني للحاضر على المستقبل، كما بررها مارشال بالانتظار، لأن الادخار بمثابة عرض الانتظار، ولذلك عرّف سعر الفائدة بأنه العائد الطبيعي الذي يجب أن يتحصل عليه صاحب رأس المال ليعوضه عن هذه التكلفة الحقيقية لتكوين رأس المال،<sup>(5)</sup> كما بررها فيشر بمصطلح الرغبة في التمتع بالدخل أو عدم الصبر على إنفاقه، أين رأى بأن التفضيل الزمني لوحده لا يبرر الفائدة بل أنها مبررة أيضاً بالتنازل عن الاستعمال المباشر لرأس المال،<sup>(6)</sup> ليفسح المجال لتخصيص جزء من الموارد الاقتصادية لإنتاج السلع الرأسمالية.

إذا الادخار استعداد للانتظار وللامتناع عن الاستهلاك الحاضر بفعل التفضيل الزمني للحاضر واللامنفعة ( الألم) الحدية للانتظار، ويشكل دالة متزايدة بالنسبة لسعر الفائدة.<sup>(7)</sup>

**ثانياً- الطلب على رأس المال:** فهو طلب على الأموال المدخرة لاستثمارها، و هو مشتق من الطلب على السلع، ويتعلق بالإنتاجية الحدية المتوقعة،<sup>(8)</sup> وتميل هذه الأخيرة إلى الانخفاض كلما يزيد حجم استعمال رأس المال في المشروع بفعل سيادة قانون تناقص الغلة، ومع زيادة الإنتاجية الحدية لرأس المال يزيد الطلب على رأس المال

النقدي للاقتراض، خصوصا مع توقع زيادة الإيراد،<sup>(9)</sup> عند استمرار العوامل المغذية للتداول.

إذا هناك علاقة عكسية بين الاستثمار وسعر الفائدة، أين تميل الإنتاجية الحدية لرأس المال إلى أن تكون مساوية لسعر الفائدة.

**ثالثا- مستوى سعر الفائدة التوازني:** يتحدد سعر الفائدة التوازني في الاقتصاد الحقيقي، ويميل إلى التوازن الذي تتحقق عنده المساواة بين الطلب الإجمالي على رأس المال مع المخزون الإجمالي لرأس المال،<sup>(10)</sup> وتحقق هذه العلاقة التعادل بين سعر الفائدة والإنتاجية الحدية لرأس المال، ومعدل التفضيل الزمني.<sup>(11)</sup>

**الفرع الثاني- التمييز بين سعر الفائدة الحقيقي وسعر الفائدة الاسمي حسب فيشر:**

إن التحليل السابق قائم على فكرة أن معدل التضخم معدوم، لكن الواقع مخالف لذلك، أين تسود ظاهرة التضخم التي تمس جل الاقتصاديات، وهذا ما شكل محور انشغال فيشر في معالجته لتناقض جيبسون الذي أثاره كينز حيث خلص Gibson،<sup>(12)</sup> إلى أن هناك من الناحية التجريبية علاقة ارتباط موجب بين المستوى العام للأسعار وأسعار الفائدة.<sup>(13)</sup>

ارتكز فيشر في حله للمشكلة عام 1930 على إحداث تمييز بين معدل الفائدة الاسمي ومعدل الفائدة الحقيقي، الذي يعتبر معدل عائد الأموال المستخدمة مقاسا بدلالة سلّة السلع والخدمات التي يمكن الحصول عليها.<sup>(14)</sup> فيرى فيشر أن معدل الفائدة الحقيقي محدد بالتوازن بين الادخار والاستثمار، ويختلف عن معدل الفائدة النقدي المحسوب بدلالة وحدة التحاسب المعتمدة، لكن يمكن للقاعدة النقدية أن تشهد تغيرا في قيمتها خلال الزمن من خلال تغير قيمة وحدة التحاسب بسبب التغيرات في مستويات الأسعار.<sup>(15)</sup>

فالاقتراض المكافئ لسلة واحدة من السلع هذا العام ( $t$ )، يقتضي على المقرض تسديد ( $1+r$ ) من سلّة السلع في العام القادم. فكيف يمكن حساب معدل الفائدة الحقيقي في ظل الاقتصاد النقدي؟

يمكن فيشر من تحديد هذا المعدل بالاعتماد على معادلته الشهيرة :

$$(1+i_t) = (1+r_t)(\pi_t^e + 1)$$

و تترجم هذه المعادلة علاقة سعر الفائدة الحقيقي ( $r_t$ ) بسعر الفائدة الاسمي ( $i_t$ )

ومعدل التضخم المتوقع ( $\pi_t^e$ )، وتقوم الوحدات الاقتصادية بتقدير مسبق لمقدار التضخم قبل حدوث الارتفاع في معدلات الفائدة حتى تتمكن من إجراء الاختيارات المناسبة.<sup>(16)</sup>

ويرى فيشر أن سعر الفائدة الحقيقي محدد بعوامل حقيقية من التوازن وهي إنتاجية رأس المال والتفضيل الزمني للحاضر، في حين يختلف معدل الفائدة الاسمي في تحديده عن معدل الفائدة الحقيقي المتوقع أين تتدخل تغيرات الأسعار في التأثير على القوة الشرائية للوحدة النقدية،<sup>(17)</sup> وينتج سعر الفائدة الاسمي ما بين التحديد النقدي للتضخم والتحديد الحقيقي لأسعار الفائدة الحقيقية، ويتعلق الأمر بالفترة الطويلة.<sup>(18)</sup>

### المطلب الثاني- النظريات النقدية لسعر الفائدة.

حاولت العديد من النظريات البرهنة على أن سعر الفائدة ذو طبيعة نقدية، فيتحدد مستواه في سوق النقود وليس في السوق الحقيقي. ويجب أن تفسر الظواهر باقترانها بمركباتها النقدية وكل تغير في كمية النقود سيولد آثاره على أسعار الفائدة ومن ثم في العديد من المتغيرات المرتبطة بها. وهو ما أكده ويكسل "الفرع الأول"، وكينز في إطار نظرية تفضيل السيولة "الفرع الثاني"

### الفرع الأول- نظرية ويكسل في سعر الفائدة وتمييزه بين سعر الفائدة الطبيعي والنقدي:

تولد زيادة كمية النقود زيادة اسمية في المعروض من القروض وارتفاع في مستوى الأسعار. وسيرتّب عنه انخفاض القيمة الحقيقية للقروض المقدمة، وسيرفع أسعار الفائدة إلى مستواها القديم عندما تزيد الأسعار بنفس نسبة زيادة كمية النقود.<sup>(19)</sup> فزيادة كمية النقود ستنتج تغيراً في سعر الفائدة الذي يعتبر متغيراً حقيقياً وفق المنطق الكلاسيكي، وهذا ما يعتبر نتيجة مخالفة تماماً لمبدأ حيادية النقود الذي تقول به النظرية الكلاسيكية.

لقد توصل ويكسل إلى أن الظواهر الاقتصادية لا يجب أن تفسر بمعزل عن مركباتها النقدية، فلا ينبغي تفسير أن تغيرات كمية النقود ستفضي إلى زيادة المستوى العام للأسعار وفقاً للآلية الميكانيكية، بل يلزم الأمر أن نحلل الواقعة على أنها نتيجة للاختلال بين العرض والطلب،<sup>(20)</sup> ولذلك يعتبر ويكسل أن النقود ذات تأثير على النشاط الاقتصادي بتأثيرها على أسعار الفائدة، من خلال الربط بين كمية النقود وسعر الفائدة ومستويات الأسعار،<sup>(21)</sup> فوضع كميات من النقود في الاقتصاد يلحق الأضرار بالحياة الاقتصادية من خلال تأثيرها المباشر على مستوى الأسعار، و يمكن أن ينتج عن هذا السلوك آثار إيجابية أو سلبية على التراكم الرأسمالي.<sup>(22)</sup>

لقد قام ويكسل بإجراء مقارنة بين اقتصاد طبيعي تغيب فيه النقود، أين يكون الادخار في شكل سلع لا يستهلكها الأفراد في الحاضر، ويوجهونها لرجال الأعمال، وهنا يصبح سعر الفائدة سعراً طبيعياً يتحقق بالمقابلة مع الإنتاجية الحدية لرأس المال.

وفي ظل الاقتصاد النقدي، يرغب رجال الأعمال في اقتراض المدخرات بسعر الفائدة النقدي، لكن هذا الأخير واقع تحت سلطة البنوك بحكم تنظيمها لمستواها بشكل

كبير، فالجهاز المصرفي قادر على خلق الكميات النقدية التي يرغب فيها، وسيرتبط في نهاية المطاف زيادة في عرض الأرصدة المعدة للإقراض، وسيكون سعر الفائدة النقدي مختلف عن سعر الفائدة الطبيعي، ويتوقف هذا الأخير على حجم الاستثمار، ومستوى الفن الإنتاجي وعلى عدد السكان... الخ وهي خارجة عن سلطة المصارف.

و يرى ويكسل أن هذا الاختلاف بين المعدلين أمر يتصف بالديمومة، وهو العامل الذي يسمح لنا بفهم وتفسير تحركات النشاط الاقتصادي بشكل ديناميكي، وفهم العمليات التراكمية للارتفاع أو للانخفاض و من ثم عمليات الاختلال.(23)

### الفرع الثاني- النظرية الكينزية لسعر الفائدة:

يقر كينز بالطبيعة النقدية لسعر الفائدة على خلاف ما يراه الكلاسيك فيتحدد في السوق النقدية بالتقاء عرض النقود والطلب عليها؛ فالجزء المتبقي من الدخل بعد الاستهلاك يشكل ادخارا، لكنه يميز بين الجزء من الادخار الموجه للتوظيف المغل والجزء الآخر الذي يبقى بحوزة الجمهور في شكل نقود سائلة لا تغل فائدة. (24) لذلك تشكل السيولة أحد مكونات محفظة الأصول، ويكون سعر الفائدة ثمنا للتنازل عن السيولة لفترة من الزمن مقابل الحصول على ذمة متجسدة في أصل من الأصول.(25)

فيحدد سعر الفائدة المقدار من الادخار الذي يحتفظ به الأفراد في شكل سائل والمقدار الذي يحتفظون به في شكل غير سائل ضمن ثروتهم، ولذلك يتحدد هذا السعر عند المستوى الذي يتحقق عنده تعادل العرض مع الطلب على النقود في السوق النقدية.

**أولا- نظرية الطلب على النقود عند كينز:** حاول كينز الإجابة عن السبب الكامن وراء احتفاظ الجمهور بأرصدة سائلة، من خلال إبرازه للدوافع التي تحفز الأفراد على الاحتفاظ بهذه الأرصدة، وهو ما سمح بتفسير تفضيل السيولة انطلاقا من دوافعها المختلفة؛ دافع المعاملات، دافع الاحتياط و دافع المضاربة.(26)

و توصل كينز إلى أن الطلب على النقود للمعاملات بشقيه -وفق دافع الدخل بالنسبة للعائلات، و لدافع المشروع بالنسبة للمشروعات- متعلق بالدخل الجاري.(27)

كما برهن وليام بومول W.Baumol على أن الطلب على النقود لدافع المعاملات حساس هو الآخر لسعر الفائدة في ظل توافر سوق مالية واسعة، وجهاز مصرفي قادر على مواجهة طلبات السحب مهما صغرت قيمتها.(28)

كما أثبت كينز أن الطلب على النقود لغرض الاحتياط متعلق بمستوى الدخل النقدي،(29) في حين توصل والان *whalen* إلى أن سعر الفائدة النقدي عامل مهم في التأثير على هذا الطلب باعتباره تكلفة للفرصة الضائعة.(30) كما توصل إلى إثبات العلاقة العكسية التي تربط بين تحويلات التفضيل النقدي لغرض المضاربة وتغيرات سعر الفائدة السوقي.(32) وهذا ما تمكن جيمس طوبان من إثباته فيما بعد،(32) إلا أن



هناك شيء أساسي في تحليل طوبان إذ نجده يثبت طبيعة العلاقة العكسية من خلال افتراضه بأن أثر الإحلال أكبر من أثر الدخل.(33)

**ثانيا- تحديد سعر الفائدة التوازني:** يتحدد سعر الفائدة بتقاطع منحني الطلب على النقود مع منحني عرض النقود؛ فعرض النقود متغير خارجي تتحكم فيه السلطات النقدية، في حين أن الطلب على النقود متغير محدد بكل من مستوى الدخل و سعر الفائدة .

ففي ظل بقاء مستوى الدخل ثابتا، و ثبات مستوى الأسعار سينتج عنها ثبات الطلب على النقود، وسينتج عن كل زيادة في عرض النقود انخفاض سعر الفائدة .

و من أجل معدلات فائدة متناقصة فإن كمية النقود التي يرغب الجمهور في الاحتفاظ بها بشكل سائل ستزيد إلى غاية أن تصل معدلات الفائدة إلى مستويات متدنية ، أين يكون الطلب على النقود مرنا مرونة كاملة .

إذا هناك تكافؤا بين سوق النقود و سوق السندات ، فإذا ساد في أحد هاذين السوقين سعر فائدة مختلف عن السعر التوازني فإن سعر الفائدة سيميل إلى التغير باتجاه سعر الفائدة التوازني، بسبب فائض العرض أو فائض الطلب.(34)

**المطلب الثالث- سعر الفائدة في سوق الأموال المعدة للإقراض " نظرية سعر الفائدة الكلاسيكية الحديثة "**

إن المقصود بالأموال المعدة للإقراض "مجموع النقود المعروضة والمطلوبة في أي وقت في سوق النقود،(35) و سعر الفائدة محصلة للتفاعل بين عرض الأموال المعدة للإقراض والطلب عليها، ولا يقتصر الأمر على عرض المدخرات والطلب عليها للاستثمار كما جاءت به النظرية الكلاسيكية .

والتقلبات التي يشهدها سعر الفائدة تجد تفسيرها لها في التقلبات التي يشهدها كل من العرض والطلب.

### الفرع الأول - مصادر عرض الأموال المعدة للإقراض

وهو مقدار النقود المتاحة للإقراض في أي لحظة زمنية، ويتكون هذا العرض للأموال من:(36)

1- المدخرات التي يوفرها قطاع الأعمال والأفراد (S)؛(37)

2- حجم المبالغ النقدية الناتجة عن مقدار التخفيض في حجم الأرصدة النقدية المكتنزة والموجهة للإقراض في الحاضر، بالإضافة إلى المبالغ المالية المتأتية من التنازل عن بعض الأصول المكونة لثروة الفرد؛(38)

3- حجم النقود الجديدة التي خلقها الجهاز المصرفي، فكلما يرتفع سعر الفائدة تزيد فرص الربح للبنوك، و ينشط المضاعف النقدي، وتزيد في ظل هذه الظروف الأموال القابلة للإقراض والعكس صحيح؛

4- الإقراض الأجنبي في السوق المحلي: فعندما يرتفع سعر الفائدة في بلد ما مقارنة بالبلدان الأخرى، تتاح للمتعاملين الأجانب إمكانيات إقراض المتعاملين المحليين، أو يتحصل بعض المتعاملين الوطنيين على قروض مباشرة من البنوك الأجنبية، أو يأخذ صورة شراء المتعاملين الأجانب لسندات مصدرة في السوق المحلية؛

و خلاصة القول من العناصر الأربعة السابقة فإن عرض الأموال المعدة للإقراض (LS) تساوي مجموع كل من الادخار (S) والنقود الجديدة التي خلقها الجهاز المصرفي (ΔM) ومقدار عدم الاكتناز (ΔH) أي:

$$(1) L^s = S + \Delta M + \Delta H \dots\dots\dots$$

للإقراض وسعر الفائدة.

### الفرع الثاني - مصادر الطلب على الأموال المعدة للإقراض

ينشأ الطلب على هذه الأرصدة من ثلاثة جهات: (39)

أ- الطلب على الأموال من طرف قطاع العائلات: لتمويل احتياجاتها الاستهلاكية  
ب- الطلب على الأموال من طرف قطاع الشركات للاستفادة من مزايا الرفع المالي

ج- الطلب على الأموال من الحكومة: أين تضطر الحكومات إلى تمويل العجز في ميزانياتها، ومن شأن هذا السبيل أن يرفع أسعار الفائدة كلما كان العجز كبيرا، فينشط أثر المزاحمة *effet d'éviction*، الذي يمكن أن يعرقل الاستثمارات القطاع الخاص، (40) بسبب ارتفاع تكلفة الاقتراض، لكن يقل مفعول هذا الأثر إذا كان الاقتصاد منفتح بدرجة كبيرة على العالم الخارجي، أين تتوفر إمكانية استدانة الحكومة من الخارج وينحصر بذلك تأثيرها على سعر الفائدة ومن ثم يقل تأثيرها على الاستثمارات الخاصة؛ (41)

د- الطلب الخارجي: نشأ هذا النوع من الطلب في ظل التحرك الحر لرؤوس الأموال على الصعيد العالمي، فعندما ترتفع معدلات الفائدة في بلد ما بالمقارنة بالبلدان الأخرى ينخفض الطلب على الأموال القابلة للإقراض في البلد المعني، والعكس صحيح.

و خلاصة القول أن الطلب الإجمالي على الأموال المعدة للإقراض (Ld) يساوي الطلب عليها للاستثمار (I) زائد الطلب عليها للاستهلاك (C) زائد الاكتناز (H) و لكون الاكتناز الموجب ترجمة لزيادة الطلب على الأموال، فتصبح معادلة الطلب الإجمالي على الأموال المعدة للإقراض على النحو التالي: (42)

$$(2) L^d = I + H \dots\dots\dots$$

الفرع الثالث - كيفية تحديد سعر الفائدة التوازني:

بتجميع النتائج المتوصل لها في المعادلتين (1) و (2) نلاحظ أن هناك حد الاكتناز ( $H$ ) ضمن معادلة الطلب، وعدم الاكتناز ضمن معادلة العرض، لذلك سنتعامل مع رصيد الاكتناز أو بالاكتناز الصافي ( $NH$ )؛ فإذا كان ( $NH$ ) موجبا كان حدا من حدود معادلة الطلب، وإذا كان سالبا كان حدا من حدود معادلة العرض، وللتبسيط فإننا نفترض في البداية أن ( $NH$ ) موجب، فنحصل على منظومة المعادلتين التاليتين:

$$L^s = S + \Delta M \dots\dots\dots(3)$$

$$L^d = I + NH \dots\dots\dots(4)$$

فيظهر إذا طبقا لهذه النظرية أن سعر الفائدة دالة لأربعة متغيرات وهي ( $I$ ), ( $S$ ), ( $NH$ ), ( $\Delta M$ ) ، ولتحديد سعر الفائدة ينبغي علينا فهم تحركات العناصر المكونة للمعادلتين السابقتين (3) و (4) بالنسبة لسعر الفائدة:

1- يشكل الاستثمار ( $I$ ) دالة متناقصة بالنسبة لسعر الفائدة  $I = I(\bar{i})$

2- يشكل الادخار ( $S$ ) دالة متزايدة بالنسبة لسعر الفائدة  $S = S(i)^+$  ؛

3- صافي الاكتناز ( $NH$ ): يشكل دالة متناقصة لسعر الفائدة (43)

$$NH = NH(\bar{i})$$

4- التغيرات في عرض النقود ( $\Delta M$ ) بالنسبة لسعر الفائدة: في البداية اعتبر ويكسل أن ( $\Delta M$ ) غير مرن بالنسبة لتغيرات سعر الفائدة، إلا أن هذه النقطة قد أثارت فيما بعد اهتمام الكثير من الباحثين لتنتج النظرية، فقد خلصوا إلى أنه إذا كان سعر الفائدة منخفضا فإن الطرف لا يشجع البنوك على منح القروض، ومن ثم تضعف عملية خلق الائتمان، لكن عندما ترتفع أسعار الفائدة بدرجة معينة فإنها تغري المودعين على الإيداع وتشجع البنوك على منح القروض، وينشط بذلك مفعول المضاعف، وتتقوى عملية خلق النقود، لذلك يمكن اعتبار أن عرض النقود حساس لتغيرات سعر الفائدة (44)

و خلصت هذه النظرية إلى العديد من النتائج التي نجلها في النقاط التالية:

1- يتحدد سعر الفائدة التوازني ( $i_e$ ) بتقاطع المنحنى ( $I + NH$ ) بالمنحنى

( $S + \Delta M$ ) أي عند سعر الفائدة ( $i_e$ )، وهناك اختلاف بين سعر الفائدة ( $i_c$ ) المحدد

في النظرية الكلاسيكية بين الادخار والاستثمار، وبين ( $i_e$ )، ويرجع السبب لوجود كل من ( $\Delta M$ ) و ( $NH$ )، وبذلك لا وجود للتبادل بين الادخار والاستثمار عند التوازن الذي

قالت به النظرية الكلاسيكية إلا استثناءا ؛

2 - يتحقق عند سعر الفائدة ( $i_c$ ) الكلاسيكي فجوة بين الادخار والاستثمار تعادل المجموع الجبري لمقدار صافي الاكتناز ( $NH$ ) و مقدار النقود الجديدة ( $\Delta M$ )، (45) وهنا تظهر أهمية النقود والائتمان المصرفي في تحديد سعر الفائدة، أين تساهم زيادة عرض النقود في انخفاض سعر الفائدة، وبذلك صار لعرض النقود دورا بارزا في التأثير على سعر الفائدة، كما اعترفت هذه النظرية بظاهرة الاكتناز، وبسلوك الاحتفاظ بالنقود سائلة دون أن تغل عائدا كعامل مؤثر على المتغيرات الاقتصادية؛

3- إن زيادة عرض الأموال المعدة للإقراض في ظل ثبات الطلب عليها، من شأنه تخفيض أسعار الفائدة والعكس صحيح، كما أن زيادة الطلب على الأموال المعدة للإقراض من شأنه في ظل ثبات عرض هذه الأموال أن يؤدي إلى زيادة أسعار الفائدة والعكس صحيح.

وسوف نحاول فيما يأتي أن نكتشف العوامل المحددة لسعر الفائدة في الاقتصاد الجزائري خلال الفترة الممتدة من 1988-2011، من خلال نتائج الدراسة القياسية.

### المبحث الثاني- محاولة قياسية لنمذجة العوامل المحددة لسعر الفائدة في الاقتصاد الجزائري

سوف نعتمد على الدراسة القياسية لاستنباط العوامل المحددة لسعر الفائدة في الاقتصاد الجزائري على ضوء الدراسة النظرية السالفة.

#### المطلب الأول- تحديد درجة استقرار السلاسل الزمنية

##### الفرع الأول - تحديد متغيرات الدراسة

وهنا يتعين علينا تحديد متغيرات الدراسة؛ فالمتغير التابع هو سعر الفائدة الاسمي  $rnt$  أين سنستخدم سعر الفائدة على السندات الحكومية، أما المتغيرات المستقلة فنجدها ممثلة في الادخار  $S$  والاستثمار  $I$  أين سنستخدم مجموع التراكم الخام للأصول الساكنة و تغييرات المخزون، و تغييرات عرض النقود  $DM2$  والتضخم المتوقع  $infanti$  المرتكز على بيانات التضخم الفعلي بعد إدخال تعديلات وفقا لمصفات Hodrick- Prescott filter .

##### الفرع الثاني- دراسة استقرار السلاسل الزمنية للمتغيرات المدروسة.

إن إجراء أي معالجة قياسية يستوجب ضمان استقرارية المتغيرات المدروسة، (46) ومن خلال هذه المرحلة نستعين بدراسة خصائص السلاسل الزمنية، وذلك من خلال الإستقرارية (مركبة الاتجاه العام، مركبة الدورات الاقتصادية)، بالاعتماد على اختبارات ديكي فولار البسيط ( $DF$ ) و ديكي فولار الموسع و جميع النتائج المتوصل إليها متحصل عليها وفقاً لإستراتيجية ديكي- فولار.

وقبل القيام بتطبيق طريقة إستراتيجية ديكي فولر يجب الشروع في مرحلة أولية والمتمثلة في:

أولاً- تعيين درجة التأخير (P): بتحديد المعاملات المعنوية لدالة الارتباطات الجزئية للسلسلة الفروقات من الدرجة الأولى، و النتائج المتوصل إليها محددة في الجدول الموالي:

السلسلة	درجة التأخير
dRnt	0
dS	1
dI	3
dDM2	0
dInfanti	2

و بذلك تم تحديد الاختبار الذي يمكن استخدامه .

ثانياً: اجراء اختبارات الاستقرار لديكي فولر DF وديكي فولر المطور (ADF): نتائج الاختبارات لديكي فولر DF وديكي فولر المطور (ADF) موضحة في الجدول الموالي:

t-statistic	inf anti	DM2	I	S	Rnt	النموذج	
-1.95		0.259			-0.835	$t_{\bar{\theta}_1}$	1
-3		-0.506			-1.029	$t_{\bar{\theta}_1}$	2
2.61		1.155			0.657	$t_{\hat{c}}$	
-3.6		-2.385			-0.96	$t_{\bar{\theta}_1}$	3
2.85		2.576			-1.123	$t_{\hat{\beta}}$	
3.20		-1.452			271.2	$t_{\bar{c}_1}$	
-1.95	-0.768		2.263	3.729		$t_{\bar{\theta}_1}$	4

- 3	0.746		2.327	3.27		$t_{\bar{\theta}_1}$	5
2.61	- 0.997		- 0.659	0.498		$t_{\hat{c}}$	
- 3.6	- 2.503		2.324	1.870		$t_{\bar{\theta}_1}$	6
2.85	- 6.218		- 0.625	1.27		$t_{\hat{b}}$	
3.2	4.30		0.3	-0.83		$t_{\hat{c}_1}$	
المصدر : من إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات السلاسل الزمنية و تحليلها وفق مخرجات EViews							

من خلال الجدول نلاحظ أن كل السلاسل غير مستقرة لوجود جذر الوحدة و بعد تحديد الفرق الأول في السلاسل سوف نواصل في إجراء نفس العمليات لنصل إلى النتائج التالية :

السلسلة	درجة التكامل
RNT	1
DM2	1
I	2
S	2
Infanti	1

فالملاحظ أن هناك اختلاف في درجات تكامل السلاسل الزمنية المستخدمة في التحليل ومن ثم لا وجود لمشكلة التكامل المشترك co-integration التي تشترط أن تكون جميع السلاسل ذات نفس الدرجة من التكامل، لذلك لا يمكن تطبيق نموذج تصحيح الخطأ أثناء عملية التقدير .

#### المطلب الثاني - تقدير نموذج VAR وديناميكيته.

سنحاول عبر خطوات هذا المطلب تقدير نموذج سعر الفائدة باستخدام أشعة أشعة الانحدار الذاتي VAR تبعاً لنتائج اختبارات استقرار السلاسل الزمنية

الفرع الأول- تقدير نموذج سعر الفائدة Rnt باستخدام شعاع الانحدار الذاتي

لتقدير نموذج شعاع الانحدار الذاتي VAR يتعين التعامل مع السلاسل المستقرة من جهة، كما يتوجب تحديد درجة تأخير مسار VAR، أي أننا سنقوم بتقدير نموذج شعاع الانحدار الذاتي VAR للسلاسل المستقرة التالية :

$$DRNT = f(DDS, DDI, dDM2, DInfanti)$$

و يعطى نموذج VAR ذو الدرجة P في الحالة العامة بالصيغة التالية :

$$X_t = A_0 + A_1 X_{t-1} + A_2 X_{t-2} + \dots + A_p X_{t-p} + \varepsilon_t$$

حيث  $X_t$  شعاع متكون من K متغيرة ،  $A_i$  مصفوفة المعالم التي سوف تقدر ،(p)درجة تأخر النموذج ،  $(\varepsilon_t)$  متغير عشوائي

أولاً- تحديد درجة تأخر مسار VAR: يمكن تحديد درجة تأخر مسار VAR من خلال إجراء تقدير لنموذج VAR بدرجات تأخير مختلفة على السلاسل المستقرة، على أن نختار التأخر المقابل لأدنى قيمة لاحصاءة شوارتز وأكايك Shwartz et Akaike أو القيمة العظمى للمعقولية حسب إحصاءة Log likelihood والجدول الموالي يوضح هذه القيم :

التأخير p درجة	1	2	3
Akaike	71.15	66.53	60.73
schwartz	72.60	69.21	64.66
log likelihood	- 894.96	- 716.7	- 648.86

فنلاحظ أن أدنى قيمة لشورتز و اكايك توافق التأخير (p=3)

وعليه درجة تأخر مسار VAR هي 3

ثانياً - تقدير النموذج : بعد تحديد درجة تأخر مسار VAR و المحدد بـ 3 نحصل بعد عملية التقدير على النماذج التالية :

1- معادلة سعر الفائدة Rnt

$$\begin{aligned}
 DRNT = & - 2.813*DRNT(-1) - 1.587*DRNT(-2) + 0.0893*DRNT(-3) \\
 & + 3.067*10^{-05}*DDS(1) - 2,411*10^{-05}*DDS(-2) - 2.495*10^{-05}*DDS(-3) \\
 & + 7.755*10^{-05} *DDI(-1) + 5.57* 10^{-05}*DDI(-2) +7.80016*10^{-06}*DDI(-3) \\
 & + 0.0713*DMM2(-1) + 0.0291*DMM2(-2) - 0.0258*DMM2(-3) \\
 & -25.774*DINFANTI(-1)+ 36.182*DINFANTI(-2) - 5.57*DINFANTI(-3) - 4.762 \\
 R^2 = & 93.56\% \quad \overline{R^2} = 74.27\% \quad F_{cal} = 4.849
 \end{aligned}$$

فلاحظ أن سعر الفائدة مفسر بصفة جيدة ( $R^2 = 93.56\%$ ) و يفسر هذا النموذج أكثر من 93% من تغيرات سعر الفائدة في الاقتصاد الجزائري عن طريق مشاهداته السابقة لفترة تدوم لثلاثة سنوات، وللتغيرات المتأخرة بثلاث فترات في كل من الادخار و الاستثمار و تغيرات الكتلة النقدية، ومعدل التضخم المتوقع، و هناك دلالة إحصائية لأغلب المتغيرات المفسرة لسعر الفائدة طبقا لاحصاء (t) لستودنت عند مستوى المعنوية 5%. كما تؤكد إحصاءة فيشر على المعنوية الكلية للنموذج حيث نجدها ( $R^2 = 4.849\%$ ) تفوق إحصاءة فيشر الجدولية ( $F_{tab} = 3.07$ ) وهي تترجم على أنه على الأقل يوجد واحد من المتغيرات السالفة يفسر سلوك سعر الفائدة.

و لذلك نقبل بهذا النموذج من الناحية الإحصائية.

أما من الناحية الاقتصادية فإن:

- هناك علاقة طردية بين الادخار وسعر الفائدة، أين نشاهد أن الإشارة المناسبة قد جاءت متأخرة بسنة ويتوافق هذا الوضع مع النظرية الاقتصادية .
  - إن العلاقة بين سعر الفائدة و الاستثمار جاءت مغايرة للنظرية الاقتصادية عند التأخيرات الثلاث، و يكمن السبب في ضعف الاستثمار، وتركزه في قطاع المحروقات الذي يشكل القطاع المهيمن على الموارد المالية، ولا يرتبط فيه حجم طلب التمويل بسعر الفائدة نظرا للاحتكار الذي تفرضه الدولة الجزائرية على قطاع المحروقات ويصبح تمويل الاستثمار في القطاعات غير النفطية هامشيا بالنسبة لإجمالي الاستثمار
  - بالنسبة لتغيرات الكتلة النقدية نجد أن إشارتها قد جاءت موافقة للنظرية الاقتصادية بتأخر قدره 3 سنوات
  - بالنسبة لمعدل التضخم المتوقع نجد أن الإشارة جاءت مطابقة للنظرية الاقتصادية (علاقة موجبة) طبقا لمعادلة فيشر.
- خلاصة القول أن النموذج ككل مقبول .



### 2- معادلة الادخار S

$$\begin{aligned} DDS = & -85212.2*DRNT(-1) - 73622.10*DRNT(-2) - 93586.001*DRNT(-3) \\ & - 0.435*DDS(1) - 1.54*DDS(-2) + 0.406*DDS(-3) \\ & + 5.831*DDI(1) + 5.869*DDI(-2) + 6.896*DDI(-3) + \\ & 1333.707*DDM2(-1) - 1529.216*DDM2(-2) - 675.32*DDM2(-3) + \\ & 1016865.203*DINFANTI(-1) - 2893498.842*DINFANTI(-2) \\ & + 2158250.54*DINFANTI(-3) - 164645.4039 \end{aligned}$$

$$R^2 = 90.48\% \quad \overline{R^2} = 61.95\% \quad F_{cal} = 3.17$$

فالادخار مفسر بنسبة 90.48% عن طريق القيم المتأخرة زمنيا لثلاث فترات لكل من الادخار، سعر الفائدة، الاستثمار وتغيرات الكتلة النقدية، ومعدل التضخم المتوقع، لكن بالرغم من وجود المعنوية الإحصائية الإجمالية طبقا لإحصاءة فيشر إلا أن المتغيرات التفسيرية ممثلة في سعر الفائدة والاستثمار وتغيرات الكتلة النقدية والتضخم المتوقع قد جاءت في أغلبها غير ذات دلالة إحصائية.

### 3- معادلة الاستثمار I

$$\begin{aligned} DDI = & -36073.7 * DRNT(-1) - 35576.55 * DRNT(-2) - 28506.91 * DRNT(-3) \\ & + 0.306 * DDS(-1) + 0.037 * DDS(-2) - 0.12 * DDS(-3) + 1.359 * DDI(-1) \\ & + 0.915 * DDI(-2) + 2.203 * DDI(-3) + 1039.335 * DDM2(-1) \\ & + 809.748 * DDM2(-2) + 493.727 * DDM2(-3) + 426997.307 * DINFANTI(-1) \\ & - 1189396.34 * DINFANTI(-2) + 917442.9 * DINFANTI(-3) - 102165.56 \end{aligned}$$

$$R^2 = 93.55\% \quad \overline{R^2} = 74.20\% \quad F_{cal} = 4.83$$

فمن الملاحظ أن النموذج ككل معنوي طبقا لإحصاءة فيشر وأن المقدرة التفسيرية للنموذج في حدود 93.55% بدلالة التأخر في الاستثمار وكل من سعر الفائدة والادخار وتغيرات الكتلة النقدية، ومعدل التضخم المتوقع، مع ملاحظة غياب المعنوية الجزئية لكل متغير على حدة.

#### 4- معادلة التغيرات في عرض النقود

$$\begin{aligned} DDM2 = & -26.92108434 * DRNT(-1) + 7.591376971 * DRNT(-2) \\ & + 38.43979951 * DRNT(-3) + 0.001281 * DDS(-1) + 0.00034 * DDS(-2) \\ & - 0.000167 * DDS(-3) + 0.000296 * DDI(-1) - 0.0004912 * DDI(-2) \\ & - 0.0020 * DDI(-3) + 0.517 * DDM2(-1) + 1.09 * DDM2(-2) - 0.082 * DDM2(-3) \\ & - 192.95 * DINFANTI(-1) + 418.07 * DINFANTI(-2) \\ & - 217.1857 * DINFANTI(-3) - 31.07105 \\ R^2 = 96.37\% \quad \bar{R}^2 = 85.51\% \quad F_{cal} = 8.86 \end{aligned}$$

فمن الملاحظ أن تغيرات عرض النقود مفسرة بـ 96.37% بالتأخيرات لفترة 3 سنوات في تغيرات عرض النقود، سعر الفائدة و الادخار و الاستثمار و التضخم المتوقع.

#### 5- معادلة التضخم المتوقع: حسب نتائج تقدير وفق طريقة شعاع الانحدار الذاتي VAR تحصلنا على المعادلة المقدره للتضخم المتوقع التالية:

$$\begin{aligned} DINFANTI = & 0.013 * DRNT(-1) + 0.019 * DRNT(-2) - 0.0027 * DRNT(-3) \\ & - 2.641 * 10^{-07} * DDS(-1) - 5.49 * 10^{-9} * DDS(-2) + 3.92 * 10^{-7} * DDS(-3) \\ & - 4.04 * 10^{-7} * DDI(-1) - 6.413 * 10^{-7} * DDI(-2) + 4.61 * 10^{-7} * DDI(-3) \\ & - 0.0005 * DDM2(-1) - 0.00066 * DDM2(-2) + 0.00015 * DDM2(-3) \\ & + 2.810 * DINFANTI(-1) - 2.66 * DINFANTI(-2) \\ & + 0.7996 * DINFANTI(-3) + 0.0223 \\ R^2 = 99.97\% \quad \bar{R}^2 = 99.91\% \quad F_{cal} = 1520.98 \end{aligned}$$

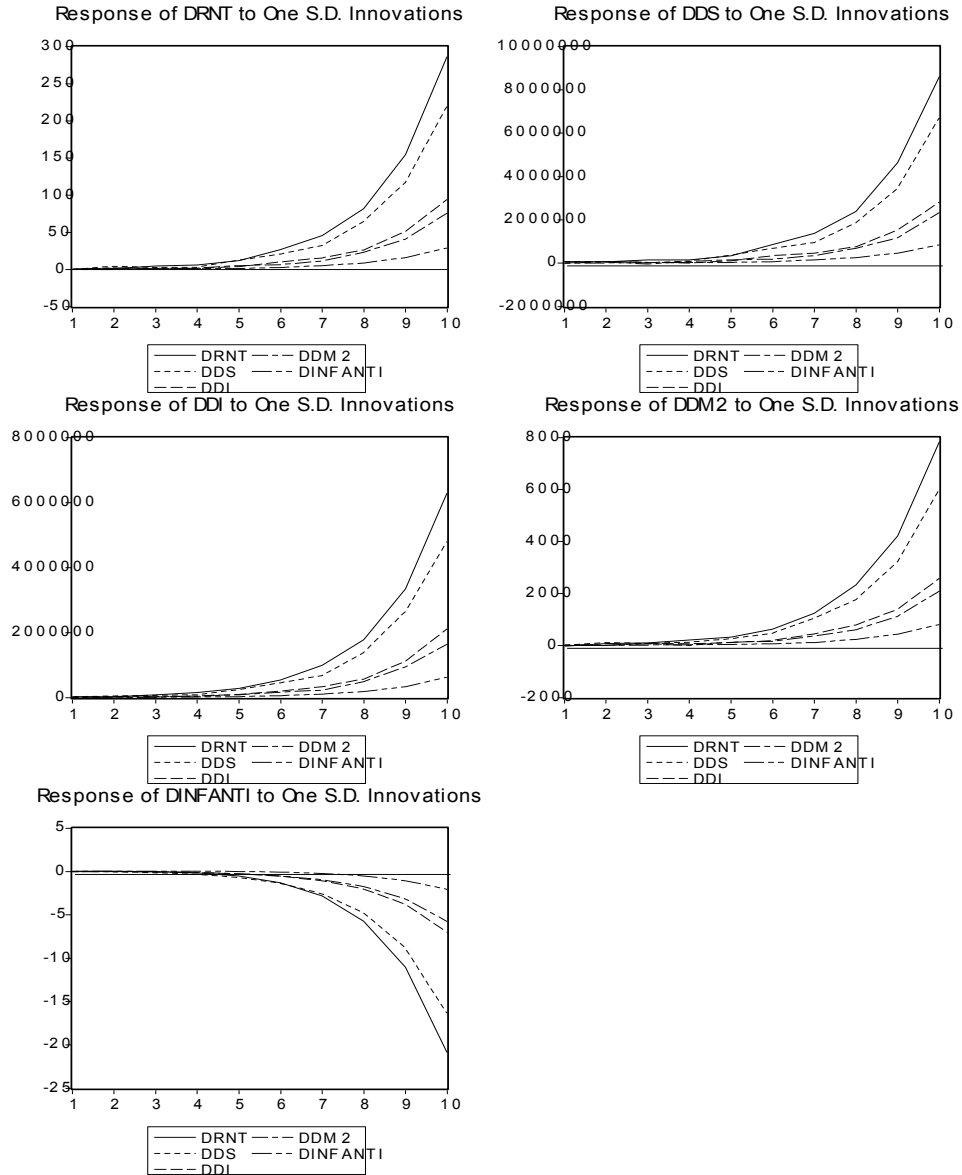
وتظهر هذه المعادلة أن التضخم المتوقع مفسر بنسبة 99.97% بدلالة التأخيرات في التضخم وسعر الفائدة والادخار والتغيرات في الكتلة النقدية، والتضخم المتوقع.

وخلاصة القول من المعادلات الخمسة السابقة، أن سعر الفائدة يؤثر و يتأثر بكل من الادخار والاستثمار وتغيرات الكتلة النقدية والتضخم المتوقع طالما أننا اكتشفنا أن النموذج الذي يصلح لتفسير العلاقة بين هذه المتغيرات هو نموذج شعاع الانحدار الذاتي VAR، الذي يرى بأن هناك علاقات تأثير متبادل بين متغيرات الدراسة، فكل متغير يراد تفسيره، تفسره عدة عوامل، لكنه في نفس الوقت يعتبر متغير تفسيري

لمتغير آخر يراد تفسيره، أو بتعبير أدق أن كل المتغيرات المدرجة في النموذج هي متغيرات داخلية داخل منظومة المتغيرات، ولذلك يسمح هذا النوع من النماذج بفهم العلاقات التبادلية بين المتغيرات و ليس الأمر مقتصر على علاقة في اتجاه وحيد مثل ما تظهره نماذج الانحدار.

#### المطلب الثالث- تحليل الصدمات

يسمح لنا هذا التحليل بمعرفة وقياس أثر التغير المفاجئ في متغير ما على باقي المتغيرات، فمن خلال تطبيقنا لصدمة على سعر الفائدة  $DRnt$  بمقدار انحراف معياري واحد قدره 0.6768 في الفترة الأولى لاحظنا أن المتغيرات الأخرى قد بقيت على حالها في نفس الفترة، لكن هناك تغيرات في الفترة الموالية كما يلي 0.8902 بالنسبة لـ  $DRnt$ ، 3.8982 بالنسبة لـ  $DDS$ ، 1.345 بالنسبة لـ  $DDI$ ، 2.02 بالنسبة لـ  $DDM2$ ، وأخيرا -0.141 بالنسبة لـ  $Dinfanti$ . لكن الجدير بالذكر أن أثر هذه الصدمة كان ضعيفا في بداية الفترة ثم بدأ في التضخم تدريجيا كما تظهره البيانات التالية:



أما بالنسبة للصدمة المطبقة على الادخار والمقدرة بـ 78075.66 في بداية الفترة لكن الملاحظ أن هناك استجابة لهذه الصدمة في نفس الفترة من طرف أسعار الفائدة حيث كانت 76225.99 من دون أن تكون لهذه الصدمة أي أثر على بقية المتغيرات

في نفس الفترة لكن استجابتها ظهرت في الفترة الثانية لكنها بسطة بالنسبة لكل المتغيرات ، و الملاحظ انه أكثر من ذلك أن أثر هذه الصدمة بدأ في التضخم بعد فترة 4 سنوات

ونفس هذه النتيجة تصدق على بقية المتغيرات ماعدا التغير في التضخم المتوقع الذي يؤدي تغير بانحراف معياري واحد في مستواه إلى حدوث تغير في الاتجاه المعاكس في المتغيرات الأخرى

والجدير بالذكر أن المتغيرات الهيكلية الخاصة بالنموذج تستجيب للصددمات التي تحدثها على مختلف المتغيرات المدروسة، و لذلك يمكننا أن نقول أن كل تغير في قيم سعر الفائدة صعودا وهبوطا سينتج أثاره على مختلف المتغيرات الأخرى محل الدراسة كما أن كل تغير في المتغيرات الأخرى ضمن مجال هذه الدراسة من شأنه أن يؤثر على سعر الفائدة مثلما توضحه جداول تحليل الصدمات .

ولعل أن ذلك من سمة نماذج var التي تستطيع أن توضح حجم التداخل بين المتغيرات ودرجة تأثيرها وتأثرها بمختلف الصدمات التي يمكن أن تتعرض لها المتغيرات محل الدراسة

### الخاتمة

لقد خلصت هذه الدراسة إلى أن إثبات أن سعر الفائدة على السندات الحكومية في الاقتصاد الجزائري خلال الفترة الممتدة من 1988-2011 محدد بأربعة عوامل ممثلة في التأخيرات على أساس ثلاث فترات لكل من سعر الفائدة على السندات الحكومية، الادخار المحلي، تغييرات الكتلة النقدية، معدل التضخم المتوقع.

وتسهم مختلف هذه العوامل مجتمعة في تفسير سعر الفائدة بأكثر من 93% في الاقتصاد الجزائري وتتوافر هناك دلالة إحصائية لأغلب المتغيرات.

أما من الناحية الاقتصادية فإن أغلب الإشارات جاء مطابقة للنظرية الاقتصادية بتأخيرات مختلفة وهو ما يثبت فرضيات الدراسة، ما عدا الفرضية المتعلقة بالاستثمار التي رفضناها، حيث جاءت إشارة الاستثمار مخالفة لتوقعات النظرية الاقتصادية، ويمكن السبب وراء ذلك في عدم أهمية سعر الفائدة في تكوين سعر التكلفة بالنسبة لمجمل الاستثمارات التي تركزت بدرجة كبيرة في قطاع المحروقات.

كما توصلت هذه الدراسة إلى أن أي تحديد لسعر الفائدة بالاعتماد على المتغيرات التفسيرية السالفة من شأنه التأثير في تحديد قيمة هذه المتغيرات، لأن نتائج دراستنا توضح أن نماذج شعاع الانحدار الذاتي هي الأنسب من غيرها أين نجد أن هناك منظومة متكاملة لمتغيرات الدراسة فكل المتغيرات وفق منهجية هذا النموذج تعتبر متغيرات داخلية، لأن كل منها يؤثر ويتأثر سواء بصفة مباشرة أو بتأخر زمني، وهذا ما أكدته نتائج تحليل الصدمات.

إن نتائج هذه الدراسة مرتبطة بدرجة كبيرة بمدى صحة وصدق البيانات المحصل عليها من صندوق النقد الدولي، مع الإشارة لأهمية هذا البحث الذي يبقى جدير بالدراسة والبحث لفهم لطبيعة سعر الفائدة و تأثيره على النشاط الاقتصادي في العديد من الاقتصاديات، خصوصا أنه أعتد كأداة مهمة لحل الأزمة الاقتصادية الراهنة .

### الهوامش

- 1-Marie Brière, formation des taux d'intérêt, Economica, France 2005, P.49.
- 2- محمد الشريف إلمان، محاضرات في التحليل الاقتصادي الكلي، منشورات بيرتي، الجزائر، 1994، ص ص 117-120.
- 3-Henri Guitton, Gérard Bramoullé ,La monnaie, 5<sup>ème</sup> édition, Dalloz, France, 1983, pp 290- 291.
- 4- Raymond Barre, économie politique, Tome 2, 6<sup>ème</sup> édition, PUF, France, 1970, pp 190- 191.
- 5- حسين عمر، تطور الفكر الاقتصادي: قديما وحديثا ومعاصرا، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، 1994، ص 556.
- 6- Raymond Barre, Ibid, p192.
- 7- سامي خليل، سامي خليل، النظريات والسياسات النقدية والمالية، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، 1983، ص 529.
- 8- Raymond Barre, Ibid, p192.
- 9- أحمد أبو إسماعيل، أصول الاقتصاد، دار النهضة العربية، (د. ت. م. ن)، ص ص 448-449.
- 10- جون مينارد كينز، النظرية العامة في الاقتصاد ، ترجمة نهاد رضا، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ص 218.
- 11- Alain Siaens, monnaie et Finance, édition De Boeck, Bruxelles, 1981, p73.
- 12- باحث إحصائي إنجليزي قدم دراسته الإحصائية عام 1923.
- 13- Marie Brière ,Op-cit , p 50.
- 14- بول سامويلسون ،ويليام نورد هاووس ، مايكل ماندل ، الاقتصاد، ترجمة هشام عبد الله، الطبعة 25، الطبعة العربية الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، 2001، الأردن، ص 282.
- 15- Irving Fisher, The theory of interest, August us M Kelley Publishers Clifton, 1930, pp 22-23.
- 16- محمد عدنان مكبة قاض، الفائدة وموقعها بين التشريع والشريعة وتأثيرها في الحياة الاقتصادية: دراسة مقارنة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت 2002، ص ص 253-256.
- 17- أحمد أبو الفتوح علي الناقية، نظرية النقود والأسواق المالية، مكتبة الإشعاع الفنية، مصر، 2001، ص 90.

- 18- Agnès Bénassy Quéré, Laurence Boone, Verginie Condert, les taux d'intérêt, édition découverte, France 1998, p7.
- 19- Catherine Lubochinsky, les taux d'intérêt, 2<sup>ème</sup> édition, Dalloz, Paris, 1990, pp 13-14.
- 20- Gilles Jacoude, la monnaie dans l'économie, 3<sup>ème</sup> édition, Nathan, 1994, p 198.
- 21- بلعزوز بن علي ، أثر تغيرات سعر الفائدة على اقتصاديات الدول النامية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، (2003-2004)، ص.18
- 22- Gilles Jacoude, Op.cit, P.198.
- 23- Henri Guitton, Gerard Bramoullé, Op-cit, pp 296- 297.
- 24- جون مينارد كينز، المرجع السابق، ص 198.
- 25-Henri Guitton, Economie politique :la monnaie, la réparation, les relations internationales, 9eme édition, Dalloz, France, 1972, p 297.
- 26- جون مينارد كينز ، المرجع السابق، ص 198.
- 27- ضياء مجيد الموسوي ، الاقتصاد النقدي، مؤسسة شباب الجامعة مصر، 2000، ص 104.
- 28- كبوط عبد الرزاق ،محددات العرض والطلب على النقود- دراسة حالة الجزائر ، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير، (2002-2003)، ص ص 67.-55
- 29- جون مينارد كينز ، المرجع السابق، ص 230.
- 30- Dominique Lacoue-Labarthe, Analyse monétaire, Dunod, Paris 1980, pp 201-212.
- 31- جون مينارد كينز ، المرجع السابق، ص ص 230-233.
- 32- James Tobin, "La demande de monnaie en tant que comportements face au risque" in R.Thorn, théorie monétaire, Dunod, France, 1971, pp 156 -157.
- 33- يصدق هذا التحليل لما يكون أثر الإحلال للسندات أكبر من أثر الدخل، ولمزيد من التفصيل أرجع إلى: بن عبد العزيز فطيمة، الطلب على النقود :دراسة اقتصادية قياسية لحالة الجزائر 1970-1996، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، INPS، 1997، ص 102.
- 34- أحمد أبو الفتوح على الناقه، المرجع السابق، ص ص 126-128.
- 35- سامي خليل، المرجع السابق، ص ص 533-534.
- 36- صبحي تاديس قريصة، محمد علي الليثي، محمد محروس إسماعيل، مقدمة في علم الاقتصاد، دار الجامعات المصرية، ( د.س.ن)، ص 340.
- 37- إسماعيل محمد هاشم، الاقتصاد التحليلي، دار الجامعات المصرية، 1987 مصر، ص 420.
- 38- عبد المنعم السيد علي، نزار سعد الدين العيسى، المرجع السابق، ص 315.
- 39- جيمس جوارتتي، ريتشارد ستروب، المرجع السابق، ص 445.
- 40- Marie Brière, Op-cit, p 53.
- 41- خضير عباس المهر، المرجع السابق، ص 412.

- 42- ونشير هنا إلى عدم ظهور مقدار العجز العمومي الممول بالاستدانة لأنه يمكن ضم اعتمادات الاستثمار إلى الطلب على الأموال للاستثمار و ضم نفقات التسيير إلى الطلب على القروض للاستهلاك، كما نشير إلى أن مقدار الاستهلاك الممول عن طريق الاقتراض قد تم احتسابه ضمن الاستهلاك الكلي.
- 43- سامي خليل، المرجع السابق، ص 538.
- 44- عبد القادر بوزيان، دور سياسة الفائدة في السياسة النقدية لكل من سوريا والجزائر : دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق 2006-2007، ص ص 14-15.
- 45- خضير عباس المهر، المرجع السابق، ص ص 413-414.
- 46- Magali Jaoul, population et croissance en France après la seconde guerre mondiale, Education, 2005, p 3.
- 47- Regis Bourbounnais, Econométrie, 3<sup>ème</sup> édition, Dunod, France, 2000, p 276.

## المراجع

- 1- أحمد أبو إسماعيل، أصول الاقتصاد، دار النهضة العربية، دون سنة ومكان النشر.
- 2- أحمد أبو الفتوح علي الناقية، نظرية النقود والأسواق المالية، مكتبة الإشعاع الفنية، مصر، 2001.
- 3- اسماعيل محمد هاشم، الاقتصاد التحليلي، دار الجامعات المصرية، 1987.
- 4- تادريس قريصة، محمد علي الليثي، محمد محروس إسماعيل، مقدمة في علم الاقتصاد، دار الجامعات المصرية، دون سنة نشر.
- 5- جون مينارد كينز، النظرية العامة في الاقتصاد، ترجمة نهاد رضا، منشورات مكتبة الحياة، لبنان، من دون سنة نشر.
- 6- جيمس جوارتن، ريتشارد ستروب، الاقتصاد الجزئي: الاختيار الخاص والعام، الطبعة الإنجليزية 1981، ترجمة محمد عبد الصبور محمد علي، دار المريخ، العربية السعودية، الطبعة العربية، 1987.
- 7- حسين عمر، تطور الفكر الاقتصادي: قديما وحديثا، ومعاصرا، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، 1994.
- 8- خضير عباس المهر، دراسة موجزة في نظريات التوزيع: توزيع دخول عناصر الإنتاج- الطبعة الثانية، 1975.
- 9- سامي خليل، النظريات والسياسات النقدية والمالية، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، 1983.
- 10- عبد القادر بوزيان، دور سياسة الفائدة في السياسة النقدية لكل من سوريا والجزائر: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق 2006-2007.
- 11- فتح الله ولعلو، الاقتصاد السياسي: توزيع المداخيل، النقود، الائتمان، من دون سنة نشر.
- 12- كيوط عبد الرزاق، محددات العرض و الطلب على النقود دراسة حالة الجزائر 1978-2000، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2002-2003.



- 13- محمد الشريف إلمان، محاضرات في التحليل الاقتصادي الكلي، منشورات بيرتي، الجزائر، 1994.
- 14- محمد عدنان مكية قاض، الفائدة وموقعها بين التشريع والشريعة وتأثيرها في الحياة الاقتصادية: دراسة مقارنة، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2002.
- 15- Alain Saiens, monnaie et Finance, édition De Boeck, Bruxelles, 1981.
- 16- Christian Ottavj, Monnaie et financement de l'économie, édition Hachette, 1995.
- 17- Catherine Lubochinsky, Les taus d'intérêt, 2<sup>ème</sup> Édition Dalloz, France, Paris, 1990.
- 18- Dominique Lacoue-Labarthe, Analyse monétaire, Dunod, Paris, 1980.
- 19- Faouzi Rassi, jean pierre Gourlaouen, Guy Mercier, les taux d'intérêt, édition ESKA, 1989.
- 20- Frédéric Mishkin et autres, Monnaie, Banque et marché financiers, 7<sup>ème</sup> édition, Pearson, 2004.
- 21- Henri Guitton, Economie politique: la monnaie, la réparation, les relations internationales, 9<sup>ème</sup> édition, Dalloz, France, 1972.
- 22- Henri Guitton, Gérard Bramoullé, La monnaie, 5<sup>ème</sup> édition, Dalloz, France, 1983.
- 23- Irving Fisher, The theory of interest, August us M Kelley Publishers Clifton, 1930.
- 24- Gérard.Bramoullé ,D .Augey, Economie Monétaire, Dalloz,1998.
- 25- Gilles Jacoude, La monnaie dans l'économie, 3<sup>ème</sup> édition Nathan,1994.
- 26- Marie Brière, Formation des taux d'intérêt, economica, France ,2005.
- 27- Magali Jaoul, Population et croissance en France après la seconde guerre mondiale, édition, 2005.
- 28- Raymond Barre, Economie politique, Tome2- 6<sup>ème</sup> «édition, PUF 1970.
- 29- Régie Bourbonnais, Econométrie, 4<sup>ème</sup> édition, Paris ,2002.
- 30- Ritchard Thorn, Théories monétaires: contribution à la pensée contemporaine, traduit par F. Duboeuf, édition Dunod, 1971.

## واقع التفاعل بين مستخدمي الصحافة الإلكترونية العربية دراسة حالة لمنتديات الشروق أون لاين الجزائرية

### ملخص

تهدف الورقة البحثية إلى الكشف عن محددات العلاقة التفاعلية القائمة بين مستخدمي الصحافة الإلكترونية الجزائرية وتأخذ حالة المحادثات الإلكترونية عبر منتديات الشروق أون لاين كنموذج؛ إذ أن ثقافة الجزائريين بشقها السلوكي تتغير تبعاً للتغيرات الثقافية العالمية وبمقدار انفتاحهم على العالم. لذلك تركز هذه الدراسة على تغيير أفراد المجتمع الجزائري لاتجاهاتهم نحو أهمية التشاركية والتغذية الراجعة في الإعلام، واكتسابهم لقيم الحوار عبر الميزة التفاعلية المتاحة على الإنترنت بتحليل ووصف أنماط تفاعلهم البيئي في محادثاتهم عبر الصحافة الإلكترونية.

أ. أمّنة قجالي  
قسم العلوم الإنسانية  
جامعة أم البواقي  
الجزائر

### مقدمة

#### Abstract

**إن** المجتمعات الحديثة بكافة شرائحها انجذبت نحو الإعلام الجديد بكل وسائطه المختلفة وأصبح الكثيرون من جيل اليوم رواداً لهذا النوع من الإعلام بل سعوا إلى الغوص في أعماقه ليتمكنوا من إدراك وتطبيق مهارات التعامل معه من خلال التدريب على كيفية الأخذ بهذه التكنولوجيا الحديثة واستخدامها كلغة جديدة وحلقة تواصل فاعلة. وبذلك أفضت تطبيقاته إلى تذيب الفروق بين

This study aims to reveal the determinants of the interactive relationship between users of the Algerian electronic newspaper and takes the case of electronic discussions through online forums Echorouk as a model. Therefore, this study focuses on changing Algerian attitudes towards the importance of participation and feedback in the media, and the acquisition of values of dialogue through interactive function available on Internet by analyzing their interactive discussions via electronic newspaper.

الاتصال المواجهي والاتصال الجماهيري بحيث لم تعد السمات المميزة لكل نوع حكراً عليه، فالتفاعلية وتبادل الأدوار الاتصالية والمرونة لم تعد سمات خاصة بالاتصال المواجهي، كما لم تعد العمومية والاتصال عبر وسيلة سمات خاصة بالاتصال الجماهيري، فقد خلق ما صار يطلق عليه "الإعلام الاجتماعي" حالياً عبر تفاعليته نمطاً مزدوج السمات دمج بين الإثنين. إذن باتت التفاعلية ميزة العصر، أي قدرة وسيلة الاتصال الجديدة على الاستجابة لحديث المستخدم تماماً كما يحدث في عملية المحادثة بين شخصين<sup>(1)</sup>. وقد قادت هذه التغيرات إلى ظهور اتجاهات جديدة في مناهج البحث المستخدمة التي تناسب الإعلام الجديد، تتجاوب مع الفرضيات والمفاهيم المستجدة التي ظهرت معه وفي مقدمتها "التفاعلية" التي أولاهها جل الخبراء اهتماماً كبيراً؛ تمثل في محاولة بعضهم تطوير مقاييس علمية لقياس "التفاعلية" في العملية الإعلامية، ومن هؤلاء هيتير (Heeter 1989) ورافائيلي وسدويكس (Rafaeli Sudweeks, 1997) ورافائيلي (Rafaeli 1998). وفي ذات السياق يحاول البحث الحالي استكشاف مستوى من مستويات التفاعلية؛ "التفاعل بين مستخدمي الوسيلة" عبر دراسة حالة منتدى نقاش حر للشروق أون لاين الجزائرية التابعة للنسخة الورقية لجريدة الشروق اليومي متبعاً خطة عمل كالآتي:

1- الإطار المنهجي للدراسة وإجراءاته

2- التفاعلية بين مستخدمي منتدى نقاش حر للشروق أون لاين.

1- الإطار المنهجي للدراسة

1-1- إشكالية الدراسة

تتناول هذه الدراسة الاتصال التفاعلي في المحادثات الإلكترونية لمستخدمي صحيفة الشروق اليومي الإلكترونية من خلال التعرف على أنماط وطبيعة هذا التفاعل عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين. ويتحدد ذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

1- ما مدى حدوث التفاعل في الحوار الذي يتم عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين؟

2- ما هي العوامل الاتصالية وغير الاتصالية المؤثرة على التفاعل عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين؟

3- ما طبيعة القضايا التي يتناولها المشاركون في الحوار عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين؟

4- ما هي أنواع الحجج التي يستخدمها المشاركون في الحوار عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين؟

5- ما تأثير الحجج التي يستخدمها المشاركون في الحوار على تفاعلهم البيئي عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين؟

### 2-1- أهمية الدراسة وأهدافها

تحاول الدراسة الحالية استكشاف طبيعة الاتصال التفاعلي في المحادثات الإلكترونية لمستخدمي صحيفة الشروق اليومي الإلكترونية من خلال التعرف على العوامل الاتصالية وغير الاتصالية المتدخلة في التفاعل بين مستخدمي منتدى نقاش حر للشروق أون لاين. وهو ما سيضيف القليل في مجال بحوث الإعلام الإلكتروني التي باتت منهجيتها وإجراءاتها الميدانية من الأمور الجدلية الكبرى في علوم الإعلام والاتصال حالياً، إذ تحاول الباحثة تطبيق أساليب القياس الأمريكية وتكييفها على الطبيعة العربية الإسلامية لحالة الدراسة. ويتمحور البحث حول أهداف أساسية منها:

1- استكشاف مدى حدوث التفاعل في الحوار الذي يتم عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين.

2- التعرف على العوامل الاتصالية وغير الاتصالية المؤثرة في التفاعل عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين.

3- الكشف عن طبيعة القضايا التي يتناولها المشاركون في الحوار عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين.

4- تحديد أنواع الحجج التي يستخدمها المشاركون في الحوار عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين.

5- التعرف على تأثير الحجج التي يستخدمها المشاركون في الحوار على تفاعلهم البيئي عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين.

### 3-1- منهج الدراسة وحدودها

استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يتجه إلى "وصف ما هو كائن وتفسيره، ويهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع وتحليلها". واختارت منهج دراسة الحالة. والحقيقة أن هناك تعريفات عديدة لدراسة الحالة، خاصة وأن عدداً من الباحثين يشير إلى أن دراسة الحالة منهج في البحث الاجتماعي يمكن تطبيقه عن طريق جمع البيانات ودراستها بحيث نستطيع أن نرسم من خلالها صورة كلية لوحدة معينة في العلاقات والأوضاع الثقافية والاجتماعية المتنوعة،

كما تعتبر في الوقت نفسه تحليلاً دقيقاً للموقف العام للفرد. ويمكن تعريف دراسة الحالة (أو تاريخ الحالة كما يسميها بعض الباحثين) على أنه: أداة قيمة تكشف لنا وقائع حياة شخص أو جماعة معينة منذ ميلاده وحتى الوقت الحالي<sup>(2)</sup>. وتهدف دراسة الحالة إلى إلقاء الضوء على العمليات والعوامل والمظاهر التي يقوم عليها نموذج الحالة سواء كان شخصاً أو أسرة أو جماعة. وهو منهج ملائم للدراسة الحالية في جمع المعلومات عن منتدى نقاش حر للشروق أون لاين، والكشف عن التفاعل الحاصل بين مستخدميه من حيث طبيعته والعوامل الاتصالية وغير الاتصالية المتدخلة فيه. وتتحدد حدود الدراسة كالآتي:

- الحدود الزمنية: تتراوح بين نشوء منتديات الشروق أون لاين بالمراحل (من بينها التعديلات الإيجابية التي قامت بها المؤسسة الإعلامية في شهر فيفري 2009) التي مرت بها من 2006/12/22 إلى غاية 2014/01/01.

- الحدود التحليلية: تنحصر في تفاعل المستخدمين للمنتدى الأكبر من حيث المشاركة والتفاعلية من بين منتديات الشروق أون لاين؛ منتدى نقاش حر.

### 1-1- المدخل النظري للدراسة

لا يعمل الإعلام في فراغ بل يستمد من السياقات الاقتصادية والسياسية والثقافية، سواء كانت محلية أو قومية أو إقليمية أو دولية. ولكي نفهم أهمية مواقع التفاعلية يجب أن نضعها في النظريات السياسية والديمقراطية التي وفرت سنداً نظرياً وفكرياً لهويتها وممارستها، ويتطلب مراجعة بعض المقاربات على مستويات عدة، يلتزم بعضها الجوانب المتعلقة بالتطورات في تكنولوجيا الاتصال، وبعضها يتعلق بالموضوع من جانب الدراسات الاجتماعية والسياسية وغيرها، بما يمثل مدخلاً لفهم خصائص الإعلام الجديد، متمثلاً في دراستنا بأحد تطبيقاته؛ المنتديات:

#### - نظرية المجال العام

صاغ الفيلسوف الألماني (جورجن هابرماس) (Habermas) نظرية المجال العام (Public sphere) عام (1962)، وهي تشرح وتصف نشأة وتكوّن الرأي العام وحالته، والمجال العام يتوسط في الواقع بين مجال السلطة العامة والحكومة، ونشأ في المجتمعات البرجوازية الأوروبية التي كانت تُمارَس فيها المناقشات حول السياسات الحكومية وفي رحابه تتبلور اتجاهات الرأي العام. وعرّف هابرماس المناخ أو المجال العام بأنه مجتمع افتراضي أو خيالي ليس من الضروري التواجد في مكان معروف أو مميز (في أي فضاء)، فهو مكوّن من مجموعة من الأفراد لهم سمات مشتركة مجتمعين مع بعضهم كجمهور، ويقومون بوضع وتحديد احتياجات المجتمع مع الدولة، فهو يبرز

الآراء والاتجاهات من خلال السلوكيات والحوار، والتي تسعى للتأكيد على الشؤون العامة للدولة وهو شكل مثالي (3).

ويقسم هابرماس النظام المجتمعي إلى ثلاثة أنظمة فرعية هي: النظام السياسي، أنظمة وظيفية كالتعليم والصحة والخدمات، والمجتمع المدني. وأشار هابرماس إلى أن نجاح المجال العام يعتمد على:

- 1- مدى الوصول والانتشار.
- 2- درجة الحكم الذاتي (المواطنون يجب أن يكونوا أحراراً، يتخلصون من السيطرة والهيمنة والإجبار).
- 3- رفض الإستراتيجية (كل فرد يشارك على قدم ومساواة).
- 4- الفهم والثقة والوضوح في المضمون الإعلامي.
- 5- وجود سياق اجتماعي ملائم (4).

وقد ساهمت الثورة الاتصالية الكبرى والتكنولوجيا الجديدة لوسائل الإعلام وعلى رأسها الإنترنت في ظهور فضاء عام اجتماعي جديد يخضع لمثالية هابرماس.

#### 4-1- الدراسات السابقة

يعيد بعض الخبراء الاهتمام بدراسة "التفاعلية" إلى مرحلة مبكرة من عمر الدراسات الاتصالية؛ حيث يشير إلى مقاربة العديد من نماذج الاتصال التي قدمها خبراء الاتصال مثل وينر (Wiener 1948) ولبور شرام (Schramm 1956) لهذا المفهوم عبر مسميات عدة من بينها: رجوع الصدى والتغذية الراجعة. لكن الاهتمام بالبعد التفاعلي في العملية الاتصالية لم يبدأ بشكل حقيقي إلا بعد ظهور الإنترنت وانتشارها كوسيلة اتصال. تمثل "التفاعلية" الخاصية الرئيسية فيها حيث ظهرت العديد من الدراسات التي سعت إلى دراسة هذا المفهوم وتطبيقاته في وسائل الإعلام الجديد؛ ونظراً لتشعب مفهوم التفاعلية وتعدد تطبيقاتها فقد تنوعت اهتمامات الدارسين تبعاً لذلك. ونحاول فيما يأتي تقديم أهم الدراسات التي اهتمت بالتفاعلية:

دراسة هيتير (5) التي قدمت مقياساً للتفاعلية في المواقع الإلكترونية يتضمن ستة أبعاد هي: تعدد الخيارات، والمجهود المبذول من قبل المستخدم، والاستجابة للمستخدم، وسهولة إضافة المعلومات، وتسهيل الاتصال الشخصي، ومراقبة نظام المستخدم، وقد سار العديد من الدارسين على خطى هيتير وعملوا على تطوير مقياسها واستخدامه لقياس التفاعلية في مختلف التطبيقات الإعلامية في الإنترنت، ومن أبرزها الصحافة الإلكترونية ومواقع القنوات التلفزيونية التي عنيت باهتمام كبير من قبل الدارسين.

كما قامت دراسة رافائيلي وسدويكس<sup>(6)</sup> التي اهتمت بدراسة المجموعات الاتصالية عبر الانترنت بهدف التعرف على خصائص هذا النمط الاتصالي والإمكانات التفاعلية التي تميزه عبر تحليل مضمون عينة عشوائية بسيطة من المضامين الاتصالية المتاحة في ثلاث مجموعات هي: يوزنت Usenet وكمبيوسيرف Compuserve وبتنت Bitnet وافترض الباحثان أن تقود التفاعلية بين أطراف العملية الاتصالية التي تتوسطها الإنترنت إلى الاتفاق أكثر من الاتصال الشخصي المواجهي، وخلصا إلى أن التفاعلية ليست صفة للوسيلة وإنما هي مفهوم مرتبط بالعملية الاتصالية.

إضافة إلى دراسة قيلوم<sup>(7)</sup> بعنوان: "A la rencontre des tribus IRC"، وهي عبارة عن مذكرة ماجستير نوقشت بجامعة كيبيك في كندا. وقد تناول الباحث منتديات المحادثة الإلكترونية، وكيفية بناء العلاقات الاجتماعية عبرها، وتشكيل المجتمعات الافتراضية، بالإضافة إلى طرق اندماج المدرشين وانتمائهم إلى مختلف الجماعات الافتراضية، وإتباعهم لمعاييرها وقواعدها المختلفة، كما حاولت الدراسة أيضا كشف التطبيقات والاستخدامات الاتصالية التي يقوم بها الأفراد؛ وقد توصل الباحث في نتائج دراسته إلى تنفيذ ونفي أي تعارض بين الواقع الافتراضي والحياة الحقيقية، خاصة من الجانب الاجتماعي حيث أن منتديات الدردشة تجمع أفرادا من مختلف الأجناس والمستويات والمجتمعات، وتتيح لهم إمكانية التفاعل وبناء علاقات اجتماعية تماما مثل ما يحدث في الواقع.

وزيادة على ذلك دراسة دراسة هورمان<sup>(8)</sup> بعنوان: "دراسة استكشافية للتفاعل الاجتماعي الذي يحدث على شبكة الإنترنت" وهي رسالة ماجستير نوقشت بجامعة لافال بكندا، وتتناول الدراسة أشكال التفاعل الاجتماعي الذي يحدث على الشبكة العالمية، خاصة في إطار انجاز نشاطات جماعية للتكوين والتعليم عبر الشبكة، وكيفية الباحثة على الجانب السوسيوثقافي للأفراد المشاركين في مثل هذه التفاعلات، وكيفية ارتباطهم ببعضهم البعض، وقد توصلت الباحثة إلى أن هذا التفاعل يؤدي إلى درجة كبيرة من التأثير المتبادل بين هؤلاء، حيث يرتبطون ببعضهم البعض بشكل يؤدي إلى تغيير عدة جوانب في حياتهم، وبالتالي فإن الدراسة بينت أن التفاعلات الافتراضية قد تحدث أثرا في حياة الأفراد بنفس الشكل الذي يحدث في التفاعلات المباشرة وجها لوجه.

أما في العالم العربي فهناك عدة دراسات نقدم أهمها: دراسة عبد الباسط هاشم<sup>(9)</sup> التي استهدفت رصد وتقييم الأدوات التفاعلية المتاحة على مواقع المجالات الإلكترونية المصرية والأمريكية عبر المقارنة بين مجلتي التاييم وآخر ساعة وتوصلت إلى أن كلا الموقعين اهتم بتوفير عدد من الأدوات التفاعلية مثل خدمة البحث، والوسائط المتعددة، والوصلات الداخلية والخارجية وغياب عدد من الأدوات من كلا الموقعين مثل

الدردشة، واختيار لغة العرض وخدمة الرسائل الإلكترونية مع تفوق موقع مجلة تايم في توفير بعض الخدمات التفاعلية مثل خدمة التسليمة، والأرشيف الإلكتروني.

كما قام سعيد محمد الغريب النجار (10) بدراسة تحليلية مقارنة لقياس مستوى التفاعلية بين الصحف العربية على الإنترنت ذات النسخ الورقية المطبوعة من جهة، والصحف العربية الإلكترونية الخالصة مستخدماً مقياس هيتز وقد أشارت نتائج الدراسة إلى تفوق الصحف الإلكترونية التي ليس لها صحف ورقية تفوقاً محدوداً في تحقيق التفاعلية، في حين تنحصر التفاعلية في الصحف التي لها نسخ ورقية في توفير بعض الوصلات الفائقة وعناوين البريد الإلكتروني ومحركات البحث على موقعها الإلكتروني، ومن ثم خلص النجار إلى أن هذه الصحف لازالت تعمل وفق النموذج التقليدي للاتصال أحادي الاتجاه غير متأثرة بالطبيعة التفاعلية لوسائل الإعلام الجديد.

وفي الجزائر قام إبراهيم بعزير (11) بدراسة هدفت إلى دراسة ظاهرة مشاركة الأفراد في مضامين وسائل الاتصال الجديدة، عبر التواصل الاجتماعي من خلال مواقع الشبكة الاجتماعية ومنتديات المحادثة الإلكترونية، كما تحاول الكشف عن دوافع استخدام منتديات المحادثة الإلكترونية، وأهم الحاجات والرغبات التي يحاول المستعملون إشباعها، كما تحاول التعرف على الآثار والانعكاسات المختلفة لهذا الاستعمال على مجال الإعلام بصفة خاصة، وعلى الفرد والمجتمع بصفة عامة؛ وقد تم الاعتماد على أداة الاستمارة لجمع البيانات من المبحوثين، وتم انتقاء فقط مستخدمي منتديات المحادثة الإلكترونية بشكل قصدي، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: الفئة الأكثر استعمالاً لمنتديات المحادثة هي التي تتراوح أعمارها بين 15 و25 سنة؛ أدت الدردشة الإلكترونية إلى تغيير عدة جوانب في حياة الأفراد، تساهم الدردشة الإلكترونية في انحراف سلوك الشباب وفساد أخلاقهم؛ الإدمان على الدردشة يؤدي إلى الشعور بالإحباط، والانعزال عن المجتمع، وقلة الاهتمام بالأحداث والقضايا المحيطة؛ هناك نسبة معتبرة من الأفراد الذين يستعملون المنتديات الإلكترونية لأغراض تثقيفية (الحصول على المعلومات، تعلم اللغات الأجنبية...)، بالإضافة إلى انعكاسات عديدة على قطاع الإعلام.

#### - مناقشة الدراسات السابقة

من خلال عرض أهم الدراسات التي توافرت للباحثة حول الموضوع يمكن ملاحظة الآتي:

1- لم تجد الباحثة دراسة تتفق والدراسة الحالية تماماً، إذ ربطت بين المنتديات والتفاعلية في الصحافة الإلكترونية.



- 2- من حيث الأهداف مجمل الدراسات حاولت الكشف عن تأثيرات المحادثة الإلكترونية على الأفراد من حيث السلوك والعلاقات الاجتماعية (كدراسة الدكتور بعزیز مثلاً)، في حين رصدت الدراسات التي عنت بالتفاعلية كل أشكالها ومستوياتها (كدراسة الدكتور النجار مثلاً) دون الاهتمام المباشر بمستوى التفاعل بين المستخدمين والتعمق في دراسة منتديات المحادثة كآلية للتفاعلية عبر الصحافة الإلكترونية.
- 3- من حيث منهجية البحث فكافة الدراسات اتجهت إما لتحليل المضمون أو دراسة جمهور المستخدمين في حين اختارت الباحثة منهج دراسة الحالة للتعمق في التفاعل الحاصل عبر منتدى نقاش حر للشروق أون لاين الجزائري.
- 4- بالرغم من ذلك فإن هذه الدراسات كانت بمثابة قاعدة للباحثة في بلورة الإشكالية ومعايير قياس التفاعلية التي تعد حالياً من بين أهم جدليات البحوث الإعلامية برمتها.

### 5-1- تحديد المفاهيم

أ- المنتديات الإلكترونية: يمكن تشبيه المنتديات الإلكترونية بقنوات المحادثة بالمقاهي والنوادي الاجتماعية، التي يلتقي فيها عدد من المتحدثين ينتمون إلى مجتمعات مختلفة، من حيث الديانة والثقافة، وفيها يتجادبون أطراف الحديث حول مختلف الموضوعات والمجالات، وهذا التحدث يعتمد على عوامل كثيرة، مثل نوعية القناة التي ندخل عليها وتوقيت الدخول... والمحادثة الإلكترونية هي كل نقاش أو حوار يتم بواسطة التطبيقات الاتصالية للإنترنت، سواء كانت كتابية أو شفاهية، فردية أو جماعية (12).

ب- التفاعلية: يعرفها روجرز (Rogers, 1995) أنها تعني مدى قدرة المشاركين في العملية الاتصالية على تبادل الأدوار والسيطرة والتحكم في خطابهم المشترك (13).

ت- الصحافة الإلكترونية: تتمثل في كل منشور إلكتروني دوري يحتوي على الأحداث المرتبطة بموضوعات عامة ذات طبيعة خاصة، تتم قراءتها عبر جهاز الكمبيوتر وتتاح بفضل شبكة الإنترنت.

### 2- التفاعلية بين مستخدمي منتدى نقاش حر للشروق أون لاين

#### 1-2- صحيفة الشروق أون لاين ومنتدياتها

"الشروق أون لاين" هو الموقع الإلكتروني للصحيفة الورقية الشروق اليومي التي تم إنشاؤها من قبل مجموعة من المساهمين ومنهم علي فضيل صاحب دار الشروق للإعلام والنشر الذي ساهم باسم "الشروق" المستمد من الصحيفة الأسبوعية "الشروق العربي" التي تم إصدارها في 11 ماي 1991، ليكون أول عدد ليومية الشروق بتاريخ 2 نوفمبر 2000 تزامنا مع الاحتفال بعيد الثورة الجزائرية. واختار لها مؤسسوها شعار " رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأيكم خطأ يحتمل الصواب." في هذا السياق تم إنشاء موقع إلكتروني للجريدة مع البدايات الأولى لصدورها سنة 2000، لكنه لم يكن يحمل اسم " الشروق أون لاين" بل كان مجرد موقع بسيط يكتفي بنشر بعض المقالات المنشورة بالطبعة الورقية. لكن الشراكة بين المساهمين تم حلها بحكم قضائي في سنة 2004 لتنفرد مؤسسة الشروق للإعلام والنشر بإصدار يومية الشروق التي انطلقت منذ 2005 وإلى يومنا هذا. وبالموازاة مع هذه التطورات تم تغيير شكل موقع الشروق في سنة 2005 ليستفيد من تقنيات البرمجة الجديدة كما تم اعتماد خدمة التعليقات لأول مرة (14).

وكانت الانطلاقة الحقيقية لموقع " الشروق أون لاين " سنة 2007، حيث بقي يعتمد على المواضيع التي تنشرها النسخة الورقية مع فرق في التصميم الذي أصبح أكثر تفاعلية، وبعد مرور عام على نشأة الموقع عمدت مؤسسة الشروق إلى جعله صحيفة إلكترونية مستقلة نوعا ما وتعتمد على أحدث التقنيات ولديها طاقم تحرير خاص بها، وهذا منذ جانفي 2008، أين أصبح الموقع في ظرف وجيز جدا يحتل المراتب الأولى في الجزائر بعد موقع Akhbar- Algeria.

وتوالت التعديلات التي استحدثت على موقع الشروق أون لاين، حيث تم إصدار نسخة جديدة متطورة في ماي 2009، وهي طبعة جديدة ومتطورة تم استحداثها تماشيا مع التطور الحاصل على مستوى الصحافة الإلكترونية في العالم واستجابة للارتفاع المستمر في حجم الموقع، وتماشيا مع نتائج سابقة لاستطلاع أجراه الموقع لمعرفة رغبات مرتاديه ومتصفحيه حول الأمور التي يريدونها. في هذا السياق دخل موقع الشروق أون لاين بعد شهر من تطويره مصاف أكبر 1500 موقع في العالم حسب الإحصائيات التي يبثها الموقع العالمي المتخصص في ترتيب المواقع العالمية " أليكسا ". وحسب ذات المصدر، فقد احتلت الشروق أون لاين مؤخرا المرتبة 1115

عالميا كما وصلت في أوقات الذروة إلى المرتبة 600 عالميا في ترتيب جميع المواقع سواء منها الإخبارية أو المتخصصة وحتى محركات البحث الأخرى (15).

ونظرا لما حققه موقع الشروق أون لاين في ظرف وجيز، فقد استحدث المشرفون على الموقع مع حلول سنة 2011 عدة تعديلات لمواكبة المواقع العالمية، حيث يولي المحررون اهتماما للتحديث الآني للأخبار على مدار الساعة، وهذا من أجل مواكبة الأحداث لحظة وقوعها، وموافاة الجمهور بها في الحين، عن طريق إدراجات متجددة طوال اليوم، ومرفقة بالصور والفيديو، سواء تعلق الأمر بالأحداث الوطنية أو الدولية. وأدخل العاملون بالموقع على خلفية ذلك صندوق "آخر الأخبار"، وهو نافذة جديدة تأخذ زاوية بارزة في صفحته الرئيسية، وتمكن المتصفح من الاطلاع على آخر الأخبار المدرجة في مختلف أقسامه، وتعرضها له بشكل ترتيبى تبعا للأحداث حسب توقيت نشرها الظاهر على يمين عنوان الخبر.

في سياق متصل، يحرص القائمون على موقع الشروق أون لاين على دراسة جمهور الموقع للتعرف على آرائه حول التصميم وحول المواضيع المقترحة والخدمات، لغرض تحسين الأداء وترقية الخدمات التفاعلية للموقع حسب النتائج المتوصل إليها من الدراسات والتي هي عبارة عن صبر آراء واستفتاءات تنشر من حين لآخر ينشر بالشروق أون لاين.

وهو ما أفرز مع نهاية 2012 اعتماد الصحيفة على نظام البوابة حيث تحتوي صفحة البوابة الرئيسية على 08 صفحات رئيسية لمواقع تابعة للشروق كالاتي: الشروق أون لاين، الشروق تي في، الشروق الرياضي، أسواق الشروق، الشروق إنجليزية، الشروق فرنسية، منتديات الشروق، والنسخ المصورة بي دي أف. بالإضافة إلى شروط استخدام الموقع، وتاريخ تطوره.



**الشكل رقم 01:** يوضح أيقونات الثماني صفحات الموجودة على الصفحة الرئيسية لبوابة الشروق أون لاين

وتحتوي الصفحة الرئيسية لمنتدى الشروق أون لاين التي تحمل شعار: منبر للحرية المسؤولة، على عدد كبير من المنتديات الرئيسية والفرعية حيث منذ 2006/12/22 حتى تاريخ 2014/01/01:

- اتضح من خلال تصفح الباحثة لموقع الشروق أن عدد المنتديات الرئيسية للشروق أون لاين حتى تاريخ 2014/01/01 بلغ 16 منتدى يغطون كافة الشرائح

الاجتماعية وجميع ميادين الحياة العامة للأفراد من ثقافة، أدب، سياحة، اقتصاد، دين، أسرة، تاريخ، تربية وتعليم، إعلانات، قانون، صحة، مشاكل وهموم... الخ، كما ينضوي 113 منتدى فرعيا تحت هذه المنتديات الرئيسية. وبلغ عدد الأعضاء في كل هذه المنتديات حتى 2014/01/01: 402241 عضوا.

- وسجل الموقع نسبة مشاركات ومواضيع معتبرة بلغت 1.643.190 مشاركة انقسمت على حوالي 229007 موضوعا أي بمعدل 7,17, مشاركة للموضوع الواحد (حسابيا) وهو أمر مشجع ودال على مستوى تفاعلية مهم بين مستخدمي المنتدى. وتضع إدارة المنتدى للمتصفح الذي يستخدم الأدوات التفاعلية، شروطا يكون قد وافق مسبقا عليها وهي:

- 1 عدم مخالفة القوانين السارية أو تحريض الآخرين على انتهاكها.
- 2 القذف والسب، التحرش والمضايقة، التهديد وانتهاك الحقوق القانونية للآخرين (مثل حقوق الخصوصية).
- 3 لا يسمح بنشر أو توزيع مواد أو معلومات أو روابط مُخلّة بحقوق الغير، أو إباحية، أو مبتذلة وغير لائقة، أو محظورة وغير مشروعة.
- 4 يتحمل المستخدم لوحده مسؤولية نشر أو توزيع مواد أو روابط أو معلومات أو آراء تعرض على العنف والطائفية ولا تحترم الأديان، أو تسيء للرموز والثوابت الوطنية.
- 5 عدم إرسال رسائل عشوائية بالبريد الإلكتروني (spam) إلى أي شخص.
- 6 عدم تحميل أو إرفاق ملفات تحتوي على فيروسات، أو ملفات غير سليمة، أو ما شابهها من البرامج الضارة التي تدمر نظام تشغيل جهاز كمبيوتر شخص آخر.
- 7 يقر المستخدم أن المشاركة باستخدام الأدوات التفاعلية هي مراسلات عامة وليست خاصة.
- 8 مساحة التعليقات في الموقع هي مساحة للنقاش الجاد والبناء وليست مساحة لمجرد الكتابة.
- 9 يحق لمؤسسة الشروق أن تعدل أو تحذف كل المشاركات التي لا تتفق مع هذه الأحكام، ويحق لها أن تقوم بذلك بوجود سبب أو بدون سبب.

## 2-2- منتدى نقاش حر

## أ- التعريف بالمنتدى

ينتمي هذا المنتدى الفرعي إلى منتدى رئيسي يدعى "المنتدى العام" للشروق أون لاين ويقدم الموقع تعريفا له: يتناول هذا المنتدى بالنقاش كل ما يجري على الساحة الوطنية والعربية والدولية من أخبار وأحداث سياسية، اقتصادية، التحقيقات وملفات الفساد والمحاكم ودور المواطن كفرد واع ومسؤول في حماية مجتمعه وبلده. أنشئ بتاريخ 2007/01/04. يعد أول منتدى للشروق أون لاين من حيث المشاركات واهتمام المستخدمين للموقع بـ 175206 مشاركة لحوالي 14516 موضوعا بمعدل حسابي 12 مشاركة للموضوع الواحد. وهو بذلك من أقوى المنتديات من حيث التفاعل بين المستخدمين. أهم روابط صفحته الرئيسية: آخر 10 مشاركات، التسجيل، التعليمات، المجموعات، التقويم، مشاركات اليوم، البحث، المنتديان الفرعيان، المواضيع متسلسلة تاريخيا مع عدد المشاركات فيها ومشاهداتها، عدد الأعضاء المتواجدين الآن، المراقبون الموجودون، إحصائيات المواضيع. وينضوي تحته منتديان فرعيان هما: الرأي بالكاريكاتير، صورة فيديو.. وتعليق.

### - منتدى الرأي بالكاريكاتير

هو منتدى خاص بالرسوم الكاريكاتيرية والتعليق عليها، أنشئ بتاريخ 2009/02/16، يتكون حاليا من 12 صفحة.

### - منتدى صورة فيديو.. وتعليق

هو منتدى يعنى بوضع الصور والفيديوهات المعبرة عن قضية مهمة والتعليق عليها، أنشئ بتاريخ 2013/02/14، يتكون حاليا من 12 صفحة.

## ب- قانون المنتدى

وضعت إدارة المنتدى قانونا خاصا بمستخدميه، عدلته لأول وآخر مرة بتاريخ: 2009/02/07، وقدمت بريدا إلكترونيا مرفقا بنصه في حال وجود أي شكوى توجه للإدارة عبره: <http://www.echoroukonline.com/montada/sendmessage.php>.

### - مناقشة القانون الخاص بالمنتدى

تتلخص الملاحظات التي ارتأت الباحثة تقديمها حول القانون الخاص بالمنتدى حول متغير الدراسة الرئيسي "التفاعلية" كالآتي:

- يتضح أن إدارة المؤسسة الإعلامية ترعى مبدأ زيادة التفاعلية بشكل كبير على موقع الشروق أون لاين وذلك بفتحها ودعوتها للتفاعل بين كل زائري المنتدى وكذا من خلال تشجيع المستخدمين له عبر جمع نقاط مشاركاتهم وتقييمهم وتقديم أوسمة رمزية للمستخدمين الفاعلين الناشطين منهم عبر المنتدى.

- تنظيم التفاعل الإيجابي داخل المنتدى عبر تسليط العقوبات على مخالفين قانون المنتدى والمعتدين على حقوق الآخرين في التعبير الحر عن آرائهم.

- ترعى إدارة المؤسسة الإعلامية التفاعل الحر بين المستخدمين على موقع المنتدى مباشرة كما توفر لهم سبل التواصل البيئي عبر رسائل خاصة يرسلونها لبعضهم وللمشرفين على المنتدى.

- توجد رقابة وغرلة مسبقة تخضع لها جميع مشاركات المنتدى ويتضح ذلك من خلال حذف وإلغاء المواضيع الماسة بحرية أو كرامة أو دين أو خصوصية المشاركين الآخرين.

### ث- التفاعل بين المستخدمين عبر منتدى نقاش حر

يفتح المنتدى المجال أمام المستخدمين للنقاش بشكل مراقب من طرف المشرفين عليه لحماية خصوصية وحرية وكرامة جميع المستخدمين. ويتعلق الأمر بمواضيع يطرحها المستخدم من اختياره وتقع هذه المواضيع في دائرة النقاش بين المشاهدين للموضوع حيث يبديون آراءهم حول وجهة النظر المطروحة في الموضوع، ويقدمون حججهم لدحض الرأي أو لدعمه وفق اتجاهاتهم الشخصية كما ويرد صاحب الموضوع الأصلي للدفاع عن رأيه ويدخل الطرفان في نقاش قد يدوم من يوم إلى سبع سنوات (وهو عمر هذا المنتدى). إذ يلاحظ أن المحادثة الإلكترونية غير منتهية بشكل مطلق، فبإمكان أي مشارك العودة إلى أول موضوع كتب مطلع العام 2007 في المنتدى ودحضه أو دعمه بمعلومات جديدة. وهي الإشكالية التي تواجه الباحثين في مجال الإعلام الجديد حالياً؛ وهي اللانهاية الاتصالية إن صح القول. وتتعلق تفاعلية المستخدمين عبر منتدى نقاش حر بعدة عوامل اتصالية وغير اتصالية توضح طبيعته ونمطه نحاول تحديدها في العنصر الموالي بالتفصيل.

### 3-2- العوامل الاتصالية المتحركة في التفاعل بين مستخدمي منتدى نقاش حر

حاولت الباحثة حصر العوامل التي لها علاقة مباشرة بالعملية الاتصالية بين المستخدمين لمنتدى نقاش حر في: عدد المشاركات في المحادثة الواحدة، عدد المشاهدات، جنس المشاركين، جنس البادئ بالحوار.

#### أ- عدد المشاركات في المحادثة الواحدة

حاولت الباحثة اكتشاف أهم مميزات التفاعل بين مستخدمي منتدى نقاش حر، فتبين أن التفاعل قوي؛ إذ تفاوتت مدة تلك المحادثات الإلكترونية بين محادثات استغرقت يوماً واحداً ومحادثات أخرى استمرت على مدى 07 سنوات تقريباً وهي المدة الأقصى التي رصدتها الباحثة (وتتمثل أساساً في مدة إنشاء ونشاط هذا المنتدى)، وإن كان متوسط مدة المحادثة في المنتدى بشكل عام يراوح الأسبوع (07 أيام).

كما تفاوت عدد المشاركات في المحادثة الواحدة بين 0 و150 مشاركة، ومتوسطها في كل محادثة (15) مشاركة. ويفسر عدد المشاركة الكبير لكون المؤسسة الإعلامية المالكة للموقع خاصة الملكية، مستقلة التوجه وهذا ما يترجم وجود العديد من المنتمين لتيارات مختلفة فإن الاختلاف وتنوع الآراء يغري بالمشاركة ولذلك كان منتدى نقاش حر يتلقى أعداداً متزايدة من المشاركات.

#### ب- عدد المشاهدات

يتراوح عدد مشاهدات المحادثة الواحدة عبر منتدى نقاش حر بين 100 و2500 مشاهدة بينما يتحدد متوسط قراءات للموضوع (400) مشاهدة وهو ما يعزز الانطباع السائد عن حجم المستخدمين لموقع الشروق أون لاين، وكذا المراتب الشروق الإلكترونية عدة مرات في الوطن العربي من حيث الجاذبية والتصفح والتفاعلية.

#### ت- جنس المشاركين

اتضح للباحثة أن معظم المحادثات (70%) شارك فيها الرجال والنساء معاً بينما اقتصرت المشاركة على الرجال في (28%) من المحادثات أما تلك التي اقتصرت المشاركة فيها على النساء فقط فقد كانت ضئيلة جداً (2%)، ويمكن تفسير ذلك بأنه يتسق مع نظرة المرأة للمشاركة برأيها في المجتمع الواقعي الجزائري والتي يبدو أنها انسحبت على المجتمع الافتراضي أيضاً.

#### ث- جنس البادئ بالحوار

واكتشفت الباحثة بالنسبة لجنس البادئ بالحوار أن النزعة الذكورية طاغية بشكل عام، فالرجل كان البادئ في (92%) من المحادثات في المنتدى، بينما لم تبدأ المرأة إلا فيما يقارب (08%) من المحادثات، وهي نتيجة تتوافق مع وضع المرأة في المجتمع



الجزائري والعربي بشكل عام فيما يخص طبيعة مشاركتها في الشأن العام التي تتسم بالضعف وعدم المبادرة.

#### 4-2- العوامل غير الاتصالية المتحركة في التفاعل بين مستخدمي منتدى نقاش حر

حددت الباحثة عددا من العوامل غير الاتصالية التي لها علاقة مباشرة بالعملية الاتصالية بين المستخدمين لمنتدى نقاش حر في: قضية المحادثة، الحجج المستخدمة في الحوار، النتيجة المبدئية للحوار.

##### أ- قضية المحادثة

كانت القضايا السياسية قد حظيت باهتمام بالغ من مستخدمي منتدى نقاش حر فحازت على ما يقارب ثلث عدد المواضيع (28%) وكان على رأسها فضائح الفساد المالي للمسؤولين، مختلف الاستحقاقات الانتخابية التي عرفتها الجزائر منذ 2007، حركة الأحزاب في المنظومة السياسية، الاحتجاجات والإضرابات في مختلف القطاعات، مختلف المشاريع المنجزة، وهو ما يعزز القول بطغيان النزعة السياسية على حوارات كل الجزائريين. تلتها مباشرة الظروف المعيشية المتردية للمواطنين مثل: الفقر، وغلاء الأسعار، والسكن، والبطالة حيث استحوذت على نسبة (23%)، ثم نقد وتقييم أداء الأجهزة الحكومية بنسبة (18%) والملاحظ أن القطاعات الحيوية نالت النصيب الأوفر من النقد كالصحة والتربية والتعليم العالي والإدارات العمومية. فالصراع بين التيارات الفكرية الجزائرية خاصة الفرنكوفونية والمعربة بنسبة (15%) وفي المرتبة الخامسة جاءت كل من: أحداث الربيع العربي، وقضايا الأخلاق العامة في المجتمع الجزائري (مثل الهجرة السرية، الرشوة، التعصب، المحسوبية والدعارة) بنسبة (13%) لكل منهما، وفي المرتبة السادسة جاءت القضايا المتعلقة بالمرأة (مثل العمل خارج المنزل، الخيانات الزوجية، رياض الأطفال، التسوق)، وقضايا الدين والثقافة واللغة وتعدد اللهجات والأعراق داخل المجتمع الجزائري بنسبة (3%) لكل منهما.

##### ب- الحجج المستخدمة في الحوار

تنوعت طبيعة الحجج والبراهين والاستدلالات المستغلة في النقاشات التي مثلت لب التفاعل؛ وكانت الحجج المنطقية والعقلية هي الأكثر استخداماً حيث استخدمت في (50%) من المحادثات، تلتها التجارب الشخصية التي استخدمت في (36%) من المحادثات، ثم الأخبار وتصريحات المصادر الرسمية، والحجج والاستدلالات الشرعية

من الكتاب والسنة بـ (30%) لكل منهما، وفي المرتبة الخامسة جاءت أقوال المفكرين والكتاب (28%) ثم الصور ومقاطع الفيديو (25%) وجاءت الحجج التاريخية في المرتبة التاسعة (20%) تلتها الحجج الاجتماعية التي تستند على الأعراف والتقاليد والعيادات (17%) وفي المرتبة الحادية عشرة جاء كل من الإحصاءات والأرقام، والمأثورات من الحكم والأشعار والأمثال (15%) أما الاستدلال بنتائج الدراسات العلمية فقد كان ضئيلاً في الأخير ولم يرد إلا في (5%) من المحادثات.

### ت- النتيجة المبدئية للحوار

للإشارة فقط ذكرنا "النتيجة المبدئية" لأننا نعتد بلانهاية الاتصال نظراً لقدرة المستخدمين للعودة إلى أي محادثة وتغيير منحائها تغييراً جزئياً أو كلياً في أي وقت شاءوه.

وتشير الإحصائيات التي أجرتها الباحثة إلى أن النسبة الأكبر من المناقشات (38%) بدأت وانتهت باتفاق حول الموضوع المطروح، وأن (30%) من المناقشات بدأت بالاتفاق لكنها لم تستمر حيث انتهت إلى اختلاف في الرأي، ويحدث العكس أي أن تبدأ بالاختلاف ثم تنتهي بالتوافق بنسبة (10%) بينما كان التذبذب بين الاتفاق والاختلاف سمة خاصة لـ (22%) من المحادثات، ويرجع ذلك إلى أن التفاعل الذي يتم في إطار الانتماء الفكري أكثر عرضة للاختلاف وعدم التوافق من التفاعل الذي يتم في إطار ينسم بالاستقلال وعدم الانتماء لتيار معين وهو ما تحاول الشروق أون لاين تشجيعه -التعبير الحر عن مختلف الآراء-.

أما فيما يتعلق بتحقيق المحادثة لأهدافها فيلاحظ أنه وبمجرد الرد والاستفسار عن الحجة وقبولها أو دحضها، فالتفاعل حصل بين طرفين أو أكثر. وذلك ما يعني أن هناك تبادلاً للأفكار والآراء وهو جوهر التغذية الراجعة.

### 3- نتائج الدراسة

وبناء على الأهداف المسطرة فقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- أكدت نتائج الدراسة قوة التفاعل الذي يتم عبر منتدى نقاش حر بشكل عام، وهو ما يؤكد أن التفاعل والحوار من خلال وعاء اتصالي غير منتم إيديولوجياً يكون أكثر ثراءً وقوة وأن غلبة اللون الفكري الواحد في المنتدى يضعف الحماسة للطرح والمناقشة فحينما يكون العدد الأكبر من قراء موضوع ما متفقين في الرأي نحو الموضوع تقل الدافعية نحو الحوار والنقاش لأن القارئ يرى أنه لن يضيف شيئاً.

2- وكشفت أن هناك عوامل عدة اتصالية وغير اتصالية تتحكم في تفاعل المستخدمين لمنتدى نقاش حر منها: العوامل التي لها علاقة مباشرة بالعملية الاتصالية بين المستخدمين لمنتدى نقاش حر في: عدد المشاركات في المحادثة الواحدة، عدد المشاهدات، جنس المشاركين، جنس البادئ بالحوار. في حين أن العوامل غير الاتصالية هي: قضية المحادثة، الحجج المستخدمة في الحوار، النتيجة المبدئية للحوار.

3- اتضح أن هناك عدة قضايا يتناولها مستخدمو منتدى نقاش حر في محادثاتهم الإلكترونية وهي مرتبة: القضايا السياسية، القضايا الاجتماعية وأحوال الناس، نقد الأجهزة الحكومية، القضايا الفكرية الثقافية، والقضايا الدولية.

4- ينوع مستخدمو منتدى نقاش حر من حججهم لإقناع المستخدمين الآخرين بأرائهم بين حجج عقلية منطقية، التجارب الشخصية، المصادر الرسمية والتصريحات والتشريع الإسلامي.

5- يتضح أن هناك تبادلاً للآراء وتأثير للحجج على منحى التفاعل عبر نتائج التي تنقسم بين: البدء والانهاء باتفاق، البدء باتفاق والانهاء باختلاف، البدء باختلاف والانهاء باتفاق، التذبذب بين الاتفاق والاختلاف مما يؤكد تأثير الحجج على مسار التفاعل بين مستخدمي منتدى نقاش حر.

## الخاتمة

حاولت هذه الدراسة الإجابة على عدد من التساؤلات المتعلقة بالتفاعلية، وتطبيق مهم منها في الصحافة الإلكترونية؛ منتديات الحوار وبقدر ما أجابت عن تساؤلاتها فقد أثارت تساؤلات أخرى حول هذه الظاهرة، وهو ما أدى لظهور عدد من التوصيات، أهمها:

1- أشارت نتائج الدراسة إلى ضعف دور المرأة في الحوار الذي يتم في المنتديات، وهي نتيجة تتسق مع الكثير من الدراسات التي تشير إلى فروق بين الرجال والنساء في التعامل مع وسائل الإعلام، وهو ما يدعو لدراسات جديّة لأسباب هذا العزوف خصوصاً كون المرأة مسؤولة عن تنشئة الأجيال والرقابة عليها من مخاطر وسائل الإعلام في ظل غزو التكنولوجيا لحياة الأسرة والمجتمع.

2- أظهرت نتائج الدراسة أن التفاعل في المنتديات المستقلة قوي وإيجابي من حيث الارتقاء بلغة الحوار والحجج المستخدمة وتحقيق الحوار لأهدافه، وهو ما يحفز إنشاء المزيد من المنتديات الحرة المتخصصة في كافة ميادين الحياة الإنسانية.

- 3- هناك تزايد مستمر للاهتمام بتفاعل الجمهور مع الوسيلة والمضمون خاصة في ظل الإعلام الجديد، وهي إذن دعوة موجهة لوسائل الإعلام الجزائرية للعناية أيضا بمواقعها الإلكترونية ومحاولة مواكبة ركب كبريات المؤسسات الإعلامية العالمية.
- 4- تواجه دراسات الإعلام الجديد العديد من المعضلات المنهجية لعدة أسباب منها: اللانهاية الاتصالية التي تجعل النتائج دائما وقتية آنية، الهويات الافتراضية لمجتمعات البحث الإلكترونية،... الخ.

#### الهوامش

- 1- صادق، عباس مصطفى (2008)، الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات. عمان: دار الشروق، ص 47.
- 2- ملحم، سامي محمد (2002)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس. عمان: دار المسيرة ط2، ص ص 370-373.
- 3- الراوي، بشرى جميل (2012)، دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير مدخل نظري. [www.philadelphia.edu.jo](http://www.philadelphia.edu.jo): (تاريخ الزيارة: 2013/10/05)، ص 07.
- 4- Peter ,Dahlgren. The Internet, Public Spheres, and Political Communication: Dispersion and Deliberation, <http://www.cbll.soton.ac.uk> , ( 01/10/2013 ), p149.
- 5- Heeter, Carrie (1989). Implications of New Interactive Technologies for Conceptualizing Communication. In Salvaggio and J. Bryant, eds., Media Use in the Information Age: Emerging Patterns of Adoption and Computer Use, J.L. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

- 6- Rafaeli, Sheizaf. Sudweeks, Fay (1997). .Networked Interactivity. *Journal of Computer Mediated Communication*, 2, (4). Also at <http://www.usc.edu/dept/annenberg/vol2/issue4/rafaeli.sudweeks.html> ,(12/10/2013 ).
- 7- Guillaume, Latzko-toth (1998). A la rencontre des tribus IRC, Thèse de magister, Université Laval, Québec ,Canada.  
[http://archivesic.ccsd.cnrs.fr/docs/00/46/12/32/PDF/Latzko-Toth\\_1998\\_tribus\\_IRC.pdf](http://archivesic.ccsd.cnrs.fr/docs/00/46/12/32/PDF/Latzko-Toth_1998_tribus_IRC.pdf) , (20/12/2013).
- 8- Horman, Judith (2005). Une exploration de l'interaction sociale en ligne lors de la réalisation d'activités d'apprentissage, Thèse de magister, Université de Laval ,canada .  
<http://theses.ulaval.ca/archimede/fichiers/22468/22468.html>, (22/10/2013) .
- 9- عبد الباسط، هاشم (2005)، التفاعلية المتاحة على مواقع المجالات الإلكترونية المصرية والأمريكية. <http://site.iugaza.edu.ps/> : (تاريخ الزيارة: 2013/09/11)، ص 02.
- 10- النجار، سعيد محمد الغريب (2009)، التفاعلية في الصحف العربية على الإنترنت. ورقة مقدمة ضمن أبحاث المؤتمر الدولي: الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة. لعالم جديد، جامعة البحرين: 7-9 إبريل، <http://site.iugaza.edu.ps/> : (تاريخ الزيارة: 2013/11/22)، ص 585 .
- 11- إبراهيم، بعزیز (2012)، مشاركة الأفراد في مضامين وسائل الإعلام الجديدة عبر التواصل الاجتماعي الإلكتروني دراسة حالة منتديات المحادثة الإلكترونية. <http://brahimsearch.unblog.fr> ، (تاريخ الزيارة: 2013/12/24)، ص 01.
- 12- إبراهيم، بعزیز (2008)، منتديات المحادثة والدرشة الإلكترونية. رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجزائر: قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة بن يوسف بن خدة، ص 20.
- 13- اللبان، شريف درويش (2005)، الصحافة الإلكترونية دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص 67.
- 14- بوتلجي، إلهام (2011)، الصحافة الإلكترونية واتجاهات القراء. رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجزائر: قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 3، ص 56.
- 15- المرجع نفسه، ص 58.

## تحليل العلاقة التربوية على ضوء التحليل التعاملي

### ملخص

كشفت الدراسة النسقية للعلاقة التربوية ( معلم، تلميذ، جماعة القسم ) من المنظور النفس سوسولوجي، عن المعالم الأساسية التي يتواصل بها أطراف هذه العلاقة، وكذا عن المظاهر النفسية والمعرفية والاجتماعية للتفاعل الذي يحدث بين أطراف هذه العلاقة، حيث مكنت نتائج تلك الدراسة من تحديد طبيعة العلاقة القائمة بين المعلم والتلميذ، ما إذا كانت علاقة إيجابية بثمن فيها المعلم مجهود ونشاط التلميذ، ومن ثمة يساعده على تحقيق استقلاليتيه؟ أم أنها علاقة سلبية يسعى فيها المعلم من خلال سلطته المعرفية إلى تكريس تبعية التلميذ له، تلك التبعية التي تكون على المستوى المعرفي كما تكون على المستوى العاطفي؟

### أ. صباح حيواني

كلية علم النفس وعلوم التربية  
جامعة قسنطينة 2  
الجزائر

### مقدمة

**أيقض** علم النفس الاجتماعي وعلم النفس العلاجي اهتماما كبيرا لدى الباحثين بدراسة المظاهر العلائقية التي تحدث في مختلف الوضعيات الإنسانية، فبعد الاهتمام بدراسة الوضعيات العلاجية التي تكون بين الطبيب والمريض، والوضعيات الإنتاجية التي تكون بين المستخدم والعامل، جاء الاهتمام كذلك بدراسة مظاهر الوضعيات التربوية التي تجمع كل من المعلم والتلميذ، حيث تم الكشف على العديد من المظاهر النفسية والاجتماعية وكذا المعرفية التي تقوم عليها العلاقة التي تربطهما، وقد اعتمد بعض الباحثين على التحليل السوسولوجي لطبيعة تلك العلاقة وبينوا تأثير معايير وخصائص المجتمع على العلاقة القائمة بين المعلم والتلميذ، أما البعض الآخر من

### Résumé

L'étude systémique de la relation pédagogique a révélé, selon l'approche psychosociale, les paramètres de base de la communication entre les partenaires de cette relation (enseignant, élève, groupe d'élèves), ainsi que les manifestations psychologiques et cognitives de leurs interactions. Comment qualifier la relation pédagogique entre l'enseignant et l'élève ? Est-elle positive, c'est-à-dire favorisant les efforts de l'élève, pour qu'il puisse atteindre son indépendance cognitive et émotionnelle? Ou bien est-elle négative, tendant au résultat contraire ?

الباحثين فقد اعتمد على التحليل النفسي الاجتماعي حيث أبرزوا خصائص الوضعية التي تجمع المعلم بالتلميذ، وعلاقة تلك الخصائص بطبيعة السلوكيات التي تصدر عن كليهما. كما أبرزوا التأثير المتبادل بين سلوكيات المعلم وسلوكيات التلميذ، أي أن سلوك المعلم يؤثر في سلوك التلميذ، كما يؤثر سلوك التلميذ في سلوك المعلم، غير أن نتائج معظم الدراسات النفس - سوسولوجي نجدها قد أكدت أكثر على تأثير سلوك المعلم، وذلك بحكم السلطة المعرفية التي يمتلكها.

## 1- تحديد المصطلحات:

### 1-1- تعريف العلاقة التربوية:

« العلاقة التربوية هي التفاعل الحقيقي بين المعلم والتلميذ، كما هو معاش وملاحظ داخل قسم دراسي معين » (Filouse, 1963, in Aurèle St-Yves, 1986, P78). ويعرف بوستيك Postic التفاعل بدوره بأنه: « رد الفعل المتبادل بين طرفين ويكون لفظيا أو غير لفظي، مؤقتا أو متكرر، ويكون حسب وتيرة معينة أين يؤثر فيه سلوك أحد الأطراف في سلوك الطرف الآخر » (Postic, 1979, P 120).

واعتمادا على التعريفين السابقين يمكننا أن نعتبر بأن العلاقة التربوية هي رد الفعل المتبادل بين المعلم والتلميذ، والذي يتم من خلال تطبيقهما لبرنامج دراسي تحدده هيئات أو وثائق رسمية وفق توقيت زمني معين، أين يؤثر سلوك المعلم في سلوك التلميذ ويؤثر سلوك التلميذ في سلوك المعلم كما يؤثر كل منهما في سلوك باقي جماعة القسم، حيث يؤدي هذا التأثير المتبادل إلى تشكل روابط اجتماعية بينهما، حيث تتصف هذه الروابط المتشكلة بينها بخصائص عاطفية ومعرفية، فمن خلال دراسة تلك الخصائص نستطيع أن نظهر طبيعة ونوع العلاقة التربوية القائمة بين المعلم والتلميذ.

### 1-2- المقاربات التي درست العلاقة التربوية:

ولهذا جاء اهتمام الباحثين بدراسة تلك الروابط المتشكلة بين المعلم والتلميذ ودراسة الخصائص التي تميزها وكذا السيرورات التي تتشكل عبرها، حيث استخدم معظم الباحثون الملاحظة المباشرة كأداة لدراسة سلوك كل من التلميذ والمعلم داخل حجرة القسم الدراسي، وقد أكدت نتائج دراساتهم وملاحظاتهم على أن دراسة أي تفاعل قائم بين المعلم والتلميذ، يجب أن يتم من خلال تحديد شبكة الاتصال القائمة داخل حجرة القسم، إذ من خلالها يتم تحديد طبيعة التأثير المتبادل بين المعلم والتلميذ، كما يتم تحديد نظام العلاقات القائمة داخل القسم الدراسي.

كما أن تلك الدراسات ومن خلال تحديدها لطبيعة شبكة الاتصال القائمة داخل القسم، قد أكدت على التأثير الممارس من طرف المعلم و الذي يأخذ أهمية بالغة في تحديد طبيعة العلاقات القائمة داخل القسم، وذلك بحكم السلطة المعرفية التي يمتلكها، كما اعتبرت نتائج تلك الدراسات بأن مستوى التأثير الممارس من طرف المعلم يعود

إلى عدة عوامل أهمها: طبيعة النموذج البيداغوجي المطبق من طرفه هو الذي يحدد مستوى تبعية التلاميذ له، سواء أكانت تلك التبعية معرفية، عاطفية، أو اجتماعية. إن جميع الدراسات السابقة نجدها قد اعتمدت على مقاربتين أساسيتين هما:

### 1-2-1- المقاربة الأولى: (النظريات المعرفية)

درس أصحاب هذه المقاربة التفاعل بين المعلم والتلميذ على أنه تفاعل له أهداف بيداغوجية، هذا ما أدى بهم إلى تفضيل النظريات المعرفية، وقد توصل أصحاب هذه المقاربة إلى عدة نتائج، من بينها:

1- إن السلوكات التربوية للمعلم تأثر على البنية المعرفية للتلاميذ، حيث بين منير M.Menez من خلال دراسة قام بها سنة 1982 ، أين لاحظ فيها المظاهر الشكلية والمظاهر الوظيفية (حسب نظرية بياجيه في الذكاء)، والتي تظهر عند التلاميذ وذلك تبعا لطريقة المعلم المستعملة داخل القسم، وقد تمكن Menez من بناء شبكتين للملاحظة يقيس بهما المظهر الشكلي والوظيفي عند التلاميذ والتي من خلالهما أيضا يستطيع أن يميز بين السلوكات التربوية للمعلمين. ولقد أكد عند نهاية بحثه الفرضية المبدئية الخاصة بتأثير السلوكات التربوية على البنية المعرفية للتلاميذ.

2 - إن استخدام المعلم للتقويم التكويني يؤثر على التحصيل المعرفي للتلاميذ، كما يؤثر على البناء الذاتي للتلاميذ مستقبلا، حيث قام جونتن M.Genthon سنة 1983 بمقارنة قسمين تجريبيين، أين يقوم المعلم في القسم الأول بإعطاء شرح لأهداف المادة التي يدرسها وللمعايير التي يتبعها في عملية التقويم، وفي القسم الآخر لا يقوم المعلم بهذا العمل، حيث أن الهدف البيداغوجي الخاص بإعطاء التلاميذ شرحا عن أهداف المادة ومعايير تقويم المعلم هو الوصول بهم إلى استيعاب (s'approprier) تلك الأهداف والمعايير، ليكونوا بعد ذلك قادرين على إصدار تقييم ذاتي ومراقبة ذاتية لأنفسهم، تمكنهم من إحداث تعديلات على سلوكياتهم وأعمالهم المستقبلية، وإنطلاقا من هذا الهدف البيداغوجي تتم عملية تحديد أنماط التفاعل التربوي المناسبة لتحقيق هذا الهدف، تلك الأنماط التي تكون مرتبطة بطبيعة الدور الذي يقوم به كل متعامل داخل هذه الوضعية التربوية والتي تعتمد على مبدأ تقاسم السلطة بين المعلم والتلميذ.

ولقد بينت عملية تحليل السيرورات النفسية المستعملة من طرف التلاميذ أثناء قيامهم بالتقييم الذاتي والمراقبة الذاتية لأنفسهم، بأنه تحدث كذلك عملية تحويل لمعايير التقويم المعلنة من طرف المعلم إلى أنماط أخرى من سلوكهم، حيث أصبح التلاميذ من خلالها أقل تبعية لنمطية الأدوار الاجتماعية المخصصة لهم.

### 1-2-2- المقاربة الثانية: (اعتمدت على النظريات النفس-اجتماعية)

اهتم أصحاب هذه المقاربة برصد المظاهر النفسية التي تحدث أثناء تفاعل أطراف العلاقة التربوية، وتمثلت:



أولاً: في دراسة سيرورات التفاعل بين المعلم والتلميذ داخل القسم الدراسي (M.Postic, Deketele).

ثانياً: في دراسة التصورات الاجتماعية لكل من المعلم و التلميذ ( S. Moscovici, ) (M. Gilly).

وأظهرت نتائج الدراسة الأولى بأن سيرورات التفاعل القائم بين المعلم والتلميذ تتلخص في:

1- نوع التعزيزات التي يستخدمها المعلم داخل القسم، وتكون إما تعزيزات إيجابية تظهر رضا المعلم الذي يجازي من خلالها التلميذ، مثل: (المكافأة، المدح، الثناء، الشكر، الإبتسام، التسامح.....). وإما تكون تعزيزات سلبية تظهر عدم رضا المعلم عن التلميذ، مثل: (الضرب، التوبيخ، الذم، التجاهل، التمييز.....الخ)

ويؤكد M.Postic على أن استعمال التعزيز السلبي بصورة دائمة قد يؤدي إلى العديد من المخاطر حيث يحذف المعلم نشاط التلميذ تدريجياً، لأنه يحكم عليه بأنه نشاط غير فعال، وهذا ما يؤدي بالتلميذ إلى تحديد معالم على المستوى المعرفي والعاطفي يقوم من خلالها بالتنبؤ بسلوك المعلم، كما تمكن هذه المعالم التلميذ أيضاً من تحديد رد فعله على سلوك المعلم.

2- نوع المعايير التي يستخدمها المعلم داخل القسم، حيث تحدد هذه المعايير نماذج الاتصال الموظفة داخل القسم، كما تحدد أنماط تدخل التلاميذ ومشاركتهم، وتكون إما معايير مرنة تسمح بنوع من الحرية للتلاميذ داخل القسم، مثل (السماح للتلاميذ بنوع من الحركة داخل القسم، السماح لهم بالتحدث مع بعضهم البعض، تقبل مناقشاتهم، تقبل تغيير أماكن جلوسهم.....الخ)

وإما معايير قاسية تحد من حرية التلاميذ داخل القسم، مثل (منع تغيير أماكن جلوسهم، منع الحديث المتبادل بين التلاميذ، طرد كل من يتأخر، إنقاص الدرجات لكل من خالف النظام.....)

وتأتي المعايير التي يطبقها المعلم من الإطار المؤسساتي للمدرسة والمتمثل في (التوقيت الزمني، حجم البرنامج، مقاييس التقويم...الخ)، كما تأتي من الإطار الثقافي للمجتمع، فالمعلم يقوم بتحديد هذه المعايير سواء بصورة معلنة أو ضمنية، وذلك ابتداء من اليوم الأول للدراسة.

3- مستوى تبعية التلاميذ للمعلم، فالمعايير التي يحددها المعلم تتأثر أيضاً بديناميكية التلاميذ ومستوى قبولهم لتلك المعايير. ويؤكد Postic على أن المعايير يجب أن تكون وفقاً لطبيعة سير مجموعة القسم ووفقاً لمستوى الرضى الذي يحس به كل طرف داخل المجموعة، إذ لا يهم إن كانت محددة من طرف المعلم أو من طرف مجموعة التلاميذ، وإنما الهدف هو تجنب الصراعات التي قد تحدث داخل القسم.

4- نوع الإنتظارات وتبعية الأدوار، وتعني هذه السيرورة بأننا داخل التفاعل الذي يحدث بين المعلم والتلميذ نجد نوعا من التبعية المتداخلة للأدوار التي يقوم بها كل منهما، فالدور المفضل عند المعلم يحدد الدور التكميلي الذي يقوم به التلميذ، فمثلا إذا كان المعلم يقوم بدور القائد فإنه ينتظر أن يكون التلميذ منقادا لطبيعة دوره القيادي. ومنه فإن تبعية الأدوار التي تربط المعلم بالتلميذ تكون أولا حسب النمط الوظيفي المتبع من طرف المعلم، وثانيا حسب مستوى تقبل التلميذ للدور التكميلي المقترح أو المفروض عليه من طرف المعلم.

أكد M.Postic بأن طبيعة هذه السيرورات تتحدد بطبيعة النموذج البيداغوجي الذي يطبقه المعلم داخل قسمه، فإذا كان نموذجا تقليديا فإنه سيساهم في تكريس تبعية التلميذ للمعلم، أما إذا كان نموذجا نشيطا، فإنه يساهم في تحقيق استقلالية التلميذ عن المعلم.

من خلال عرضنا لسيرورات تفاعل المعلم و التلميذ، نستطيع أن نستخلص بأن الدور الذي يقوم به المعلم يعتبر في غالب الأحيان هو المحدد لطبيعة التفاعل القائم بينه وتلاميذه، وذلك بحكم طبيعة الدور الذي يقوم به، نوع التعزيز الذي يستعمله، المعايير التي يقيّمها، والتي تؤدي كلها إما إلى إحداث تبعية عند التلاميذ إذا كان النموذج البيداغوجي المتبع نموذجا تقليديا، أما إذا كان النموذج البيداغوجي المتبع من طرف المعلم يعتمد على التربية النشيطة فإننا نجده يسعى إلى تحقيق استقلالية التلميذ.

أما نتائج الدراسة الثانية والتي ركزت على دراسة التصورات الاجتماعية لكل من المعلم والتلميذ قد أظهرت بأن:

1- الصورة التي يحملها المعلم عن التلميذ، تتحد د من خلال عدة عوامل أهمها:

جنس المعلم (ذكر أم أنثى)، مستوى تعليمه ( ابتدائي، متوسط، ثانوي، جامعي )، دوره المهني، والنموذج البيداغوجي الذي يطبقه.

وقد تم تحديد صورة التلميذ عند المعلم من خلال تحليل مختلف الإنتاجات اللفظية التي أدلى بها المعلمون (أي ما يصرح به المعلم كتابيا أو لفظيا) والتي جُمعت من خلال المقابلات والاستمارات، ومن بين تلك الدراسات نجد دراسة (R.Meyer, 1981) التي جمع من خلالها الإنتاجات اللفظية الخاصة بالمعلمين والتي أظهروا فيها مكانة العقاب والجزاء الذي يستخدمونه مع تلاميذهم، إذ من خلال تلك الإنتاجات اللفظية ظهرت الصورة الضمنية التي يحملها المعلم عن التلميذ تلك الصورة التي أكد الباحث بأنها متأثرة بالنموذج البيداغوجي التقليدي الذي يتبعه المعلم، كما أظهرت هذه الدراسة بأن المعلم المتبع لهذه البيداغوجية التقليدية يعيش صراعا، يتمثل هذا الصراع في وقوع المعلم بين تأثير المرجعية المثالية التربوية ( أي صورة المعلم المثالي)، وبين تأثير المحددات المؤسساتية والاجتماعية (أي النظام المؤسساتي السائد في المدرسة)، حيث يقوم المعلم بعمليات نفسية ضمنية تحدها ميولاته، خصائصه، وحاجاته، فيحاول من

خلال تلك العمليات النفسية أن يبرز بأن البيداغوجية التقليدية التي يطبقها هي البيداغوجية الفعالة.

ويقول M.Gilly بأن تأثير الدور المؤسساتي نجده في جميع الأعمال تناولت الصورة التي يحملها المعلم عن التلميذ. فعلى سبيل المثال نجد دراسة كل من ( Mandrille, 1980, Gilly, ) اللذين قارنا بين الصور التي يحملها معلمو المرحلة الابتدائية (M.E.P)، عن التلاميذ اللذين يدرسونهم، وبين الصور التي يحملها المعلمون المتخصصون (M.E.S)، فاستخرج الباحثان اختلافات مهمة، أرجعها إلى طبيعة الدور المهني المختلف لكلتا الفئتين.

كما أن لجنس المعلم تأثير واضح على صورة التلميذ المفضلة عنده، حيث بينت دراسة كل من ( Pacson, 1968, Gilly, 1974 ) بأن المعلمة تفضل صورة التلميذة الأنثى، مع أن M.Gilly اعتبر بأن التفسيرات المقترحة بهذا الشأن نجدها تركز على تبادل التأثير بين اتجاهات المعلم وبين دوره المهني وجنسه.

2- أما الصورة التي يحملها التلميذ عن المعلم، فإن الدراسات M.Lecacheur, (1981) قد بينت بأن التلاميذ منذ الحضانه وفي سن مبكرة يملكون بنية تقديرية إدراكية منظمة، بخصوص المعلم الذي يفضلونه، حيث تعتمد تلك البنية على الجوانب الظاهرية للعمل الذي يمارسه المعلم، كما تعتمد على حاجيات التلاميذ أنفسهم. حيث يعطي التلاميذ الأهمية إلى 3 جوانب تخص أبعاد تقديرهم لمعلمهم:

- طريقة تقديم و شرح المعلم للمعلومات.

- مستوى تنظيمه لعمله.

- مستوى إحساسه بتلاميذه وما يعانونه من صعوبات. حيث أكد التلاميذ على أنهم يفضلون المعلم الذي يتفهمهم ويشعر بما يشعرونه (L'empathie de l'enseignant).

وقد ظهر تأثير البعد الثالث والخاص ب L'empathie في تحديد صورة المعلم المفضلة عند التلاميذ و ذلك في مختلف المستويات الدراسية ( الابتدائي، المتوسط، الثانوي).

وخلصت نتائج هذه الدراسات وغيرها إلى أن تحسين العلاقة التربوية بين المعلم والتلميذ يجب أن تعتمد على معرفة كل طرف للصورة التي يحملها عنه الطرف الآخر، أي أن معرفة المعلم للصورة التي يحملها عنه تلاميذه (خاصة إذا كانت متعارضة مع ما يعتقد هو)، ستساهم في إحداث تغيير في اتجاهاته بما يتوافق مع إنتظارات تلاميذه، ويتم ذلك من خلال بحث المعلم عن تحقيق الانسجام المعرفي (La cohérence cognitive) بين إنتظاراته وبين ما ينتقيه من إنجازات التلاميذ، وذلك انطلاقاً من التجربة الشهيرة لكل من روزنطال و جاكبسون ( Rosenthal et ) .Jacobson.

غير أن الباحثين المعاصرين الذين ينتمون للتيار الإنساني، و على رأسهم أبراهام ماسلو (A. Maslow) أكدوا على أن:

- معرفة المعلم للصورة التي يحملها عنه تلاميذه لا تكفي وحدها لجعل المعلم يتصرف بشكل أفضل.

- تغيير اتجاهات المعلمين يجب أن يكون بالاعتماد على ما هو حقيقي، وليس على ما هو خيالي. (نتائج التلاميذ غير الحقيقية في تجربة Jacobson و Rosenthal)

- بحث المعلم عن تحقيق الانسجام المعرفي لا يدوم طويلا، إذ يعود المعلم وبعد فترة زمنية إلى طريقته الأصلية في التعامل مع تلاميذه، لأن أفكاره المسبقة بقيت هي نفسها و لم تتغير.

وانطلاقا من هذه النتائج، خلص أصحاب التيار الإنساني إلى أن إحداث تغيير حقيقي في سلوك المعلم وجعله أكثر فعالية، يجب أن يعتمد على ما أطلقوا عليه ب: التعديل المعرفي للسلوك الإنساني، (A. Saint Yves, 1986, P96) و الذي يعتمد على تغيير الأفكار الخاطئة التي يحملها المعلم و استبدالها بالأفكار الصحيحة، مع الاحترام الكامل لحرية واستقلالية المعلم في اتخاذه لقرار التغيير.

تعتبر مقارنة التحليل التفاعلي (L'analyse transactionnelle)، التي أسسها إريك بيرن Eric Berne ( M.J. Chalvin, 2000, P7 ) من بين المقاربات التي تبنت هذا المبدأ، وبالتالي اقترحت طريقة خاصة لفهم وتحليل السلوكيات والعلاقات الإنسانية، كما اقترحت أدوات و وسائل تساعد الفرد والجماعة على إحداث تغيير في السلوكيات غير المرغوبة و التي تكون سببا في إحداث صراعات بين الأشخاص.

### 3- تعريف التحليل التفاعلي: يعرف التحليل التفاعلي على أنه:

3-1 « طريقة مقترحة لفهم وتحليل السلوكيات الإنسانية، إذ نتج هذه الطريقة بصفة خاصة لـ "أنا" الفرد، أي إلى الجانب الشعوري من شخصيته» ( J. V. De Graaf, 1990, P11).

3-2 ويعرفه كل من (J.M. Vergnaud ; P. Blin, 1974, P 3) بأنه: « فلسفة تعتبر بأن كل إنسان يملك طاقة إيجابية يستطيع من خلالها أن يتعلم كيف يثق بنفسه، يفكر لنفسه، يتخذ قراراته بنفسه، أن يحس ويعبر عن أحاسيسه، أي أن يصبح مستقلا».

3-3 ويُعرفه (ناصر محمد العديلي، 1995، ص89) بأنه: « طريقة تساعد الفرد في فهمه لنفسه وذلك من خلال تعامله وعلاقته بالأفراد والعالم من حوله ».

انطلاقا من التعاريف السابقة يمكن اعتبار التحليل التفاعلي بأنه طريقة تساعد الفرد الذي يطبقها، على فهم طبيعة سلوكه وطبيعة سلوك الآخرين، لكي يتسنى له بعد ذلك

إقامة علاقات إيجابية. وبما أن العلاقة بين المعلم والتلميذ هي علاقة إنسانية، لهذا استعنا في بحثنا الحالي بالتحليل التفاعلي كطريقة لفهم وتحليل هذه العلاقة.

#### 4- أهداف تطبيق التحليل التفاعلي:

يعتبر إريك بيرن بأن التحليل التفاعلي يهدف إلى تحقيق هدفين أساسيين هما: ( M.J. Chalvin, 2000,P28).

**1-4 الهدف الأول:** ( يكون على المستوى الفردي) وهو تمكين الإنسان من أن يصبح مستقلا في حياته، يتكفل بنفسه ويتخذ قراراته بكل مسؤولية، ويتم ذلك من خلال مساعدته على معرفة نمط شخصيته، باستخدام أداة يسميها إريك بيرن بحالات الأنا. (M.J. Chalvin,1982, P9)

**2-4 الهدف الثاني:** (يكون على المستوى الجماعي) بتحليل العلاقات والتعاملات التي تحدث بين الأفراد، وتحويل التعاملات الصعبة والعقيمة إلى تعاملات بناءة، يستثمر فيها كل طرف للخصائص الإيجابية الموجودة في شخصيته ويحاول أن يتجنب السلبية منها.

#### 5 - أهداف تطبيق التحليل التفاعلي في المدرسة:

وإذا أسقطنا أهداف التحليل التفاعلي على الوسط المدرسي وبالتحديد على العلاقة التربوية، فإننا نجد بأن أهدافه تصبح كما يلي:

**1- 5** تمكين المعلم من التعرف على نمط شخصيته. وذلك بتحديد حالة الأنا المستخدمة من طرف المعلم داخل القسم والتي ستحدد حالة الأنا التي سيستثيرها عند التلاميذ.

**2- 5** تمكين المعلم من فهم نمط شخصية كل تلميذ داخل القسم (الهادئ، العدوانى، العاطفي، السلبي، المثابر، المبدع...الخ).

**3- 5** مساعدة المعلم على فهم السبب الذي يجعله ينجح في التعامل مع بعض التلاميذ ولا ينجح مع البعض الآخر.

**4-5** إكساب المعلم أساليب جديدة للتعامل مع التلاميذ باختلاف أنماط شخصيتهم لكي يتوصل إلى تحفيز دافعتيهم.

**5-5** تمكين المعلم من التعرف على شخصية زملائه، وذلك بهدف التواصل معهم بصورة إيجابية.

**6-5** تحويل التبادلات الصعبة والعقيمة إلى تبادلات بناءة داخل المدرسة.

#### 6 - أدوات التحليل التفاعلي:

يستخدم التحليل التعملي أدوات أخرى بالإضافة إلى أداة حالات الأنا يسعى من خلال تطبيقها إلى تحقيق الأهداف السالفة الذكر، وأكثر تلك الأدوات استخداما نجد:

1- حالات الأنا: Les États du moi

2- التبادلات: Les transactions

3- وضعيات الحياة: Les positions de vie

4- التعزيزات: Les strokes

وفي بحثنا الحالي اعتمدنا في بنائنا لوسيلة البحث (الاستمارة) على الأداة الأولى حالات الأنا، كما اعتمدنا عليها في تحليلنا لنتائج البحث.

#### - حالات الأنا

عَرَفَ إريك بيرن حالات الأنا بأنها: « مجموع السلوكات الملاحظة عند الفرد والمرتبطة بمجموع الأفكار والآراء والأحاسيس الداخلية لذلك الفرد»، وقسمها إلى 3 حالات، هي:

1- حالة أنا الولي وتعبر عن: القيم ← تتكون بين 3 أشهر و6 سنوات.

2 - حالة أنا الراشد وتعبر عن: الأفعال ← تتكون بين سنة و12 سنة.

3- حالة أنا الطفل وتعبر عن: الرغبات ← وتكون فعالة منذ الولادة.

فالإنسان عندما يستخدم حالة أنا الولي يكون سلوكه معتمدا على استخدام القيم والمعايير المكتسبة والتي نُقلت له من طرف الأشخاص الذين قاموا بتربيته. أما حالة أنا الراشد فإنها تعبر عن الأفعال التي يقوم بها الفرد والتي تكون منطلقة من الواقع الحقيقي الذي يعيشه، حيث يعتمد فيها الفرد على المنطق والتحليل في حكمه على الأشياء.

أما حالة أنا الطفل فتعبر عن رغبات وأحاسيس الفرد، إذ يعتمد فيها الفرد على استعمال مشاعره وأحاسيسه ورغباته في تعاملاته مع الأحداث.

لهذا فإن التحليل التعملي يعتبر بأن تحليل سلوكيات الفرد، يكون من خلال تحليل طريقة استخدامه لهاته الحالات الثلاثة في وقت ومكان معين، كما أن تحليل العلاقات التي يقيمها الأفراد مع بعضهم البعض تكون بتحليل الطريقة التي يتبادلون بها استخدامهم لحالات الأنا الثلاثة، حيث أن استخدام الشخص المرسل لحالة أنا معينة، هي التي تحدد حالة الأنا التي يستخدمها المستقبل، فإذا استُخدمت حالة أنا الولي عند الشخص المرسل فإنها ستستثير عادة حالة أنا الطفل عند الشخص المستقبل، وإن استخدام المرسل حالة أنا الطفل فإنه سيستثير حالة أنا الولي عند المستقبل، أما استخدام المرسل لحالة أنا الراشد فإنها تستثير حالة أنا الراشد عند المستقبل.

كما يعتقد أصحاب التحليل التبادلي، بأن لكل حالة أنا مظهر إيجابي وظيفي إذا استخدمه الإنسان فإنه يقيم علاقات إيجابية وفعالة مع الآخرين. ومظهر سلبي غير وظيفي إذا استخدمه الإنسان فإنه يقيم علاقات غير فعالة تتميز بالصراع.

حيث أن حالتي الولي والطفل تتخذان إما مظهرا وظيفيا يرمز له ب(+)، وإما مظهرا غير وظيفي يرمز له ب(-) فإذا استخدم الإنسان في علاقاته مع الآخرين، حالة أنا الولي الوظيفية (المعياري والمعطاء)، فإنه سيستثير لديهم حالة أنا الطفل الوظيفية (المتكيف والحر)، وتكون العلاقات القائمة في هذه الحالة علاقات فعالة، أما إذا استخدم حالة أنا الولي غير الوظيفية (القهري والمنقذ)، فإنه سيستثير لديهم حالة أنا الطفل غير الوظيفية (المتنمر والخاضع)، وبذلك تكون العلاقات القائمة غير فعالة تتميز بالصراع والنزاع، أما حالة أنا الراشد فإنها تتخذ المظهر الإيجابي فقط، وتستثير لدى الآخرين حالة أنا الراشد كذلك، وبالطبع تكون العلاقات القائمة بين الأشخاص علاقات فعالة أيضا. كذلك، وبالطبع تكون العلاقات القائمة بين الأشخاص علاقات فعالة أيضا.

### 7 - تحليل السلوك الإنساني وفق التحليل التكاملي:

يعتقد أصحاب التحليل التكاملي بأن تحليل السلوك الإنساني يعتمد على ملاحظة الطريقة التي يستخدم بها الإنسان حالات الأنا الثلاث (ولي، راشد، طفل) في مختلف وضعيات الحياة، ويتم ذلك من خلال رصد الإشارات اللفظية وغير اللفظية الصادرة عنه والتي تعبر عن خصائص حالة الأنا المستخدمة من طرفه، وتتبع عملية الرصد تلك استخراج ما يسمى بنظام "و. ر. ط" (ولي، راشد، طفل (P.A.E. (Parent, Adulte, Enfant) الذي يمثل في منحنى يسمى بمنحنى الأنا . Egogramme

فإذا فضل الإنسان استعمال حالة معينة في حياته اليومية أكثر من الحالات الأخرى، فإن هذا يظهر من خلال كمية الطاقة المستعملة في كل حالة أنا، فإذا اعتبرنا مثلا بأن كمية الطاقة التي يستخدمها الشخص خلال فترة زمنية معينة تقدر بـ: 100، فإن توزيعه لتلك الطاقة يكون حسب حالة الأنا المفضلة عنده، وفي المثال السابق نجد بأن حالة الأنا المفضلة هي حالة أنا الراشد (35%) أي أن هذا الشخص يستخدم حالة أنا الراشد أكثر من استخدامه للحالات الأخرى، و تجدر الإشارة هنا إلى أن كمية الطاقة تحسب من خلال رصد عدد السلوكيات اللفظية وغير اللفظية التي تعكس صفات كل حالة أنا.

### 8 - كيف يطور المعلم حالة أنا الراشد عنده:

تعتبر حالة أنا الراشد هي الحالة المحبذ استخدامها حسب التحليل التكاملي، و لكي يستطيع المعلم تطوير هذه الحالة عنده، يقترح عليه التحليل التكاملي القيام بعدة سلوكيات من شأنها أن تساعد على تحقيق ذلك:

**8-1- تخصيص جزء من وقت الحصص الدراسية إلى التلاميذ لكي يقدموا مبادراتهم وآرائهم وتجاربهم.**

- 8-2- الاستماع للتلاميذ بدون مقاطعتهم إلا بهدف إعادة صياغة ما قاله التلاميذ.
- 8-3- التدريب على إعادة صياغة الجمل التي تحمل حكما قطعيا على التلاميذ، وتحويلها إلى جمل تهتم بالسؤال عن ما يملكه وعن ما يستطيعون فعله.
- مثال 1: تحويل الجملة: " إن هؤلاء التلاميذ غير قادرين على فعل ..."، إلى الجملة: " ما هو الشيء الذي يستطيع التلاميذ فعله؟"
- مثال 2: "سيرسبون في هذه المسابقة" إلى "ما هي حظوظ نجاحهم".
- مثال 3: "إن جميع التلاميذ ضعفاء"، إلى " كم عدد التلاميذ الذين حصلوا على المعدل..".

### 9 - منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة الحالية على استخدام الاستمارة كأداة بحث، وذلك بهدف تحديد حالة الأنا المستخدمة كثيرا من طرف الأساتذة داخل القسم. ولقد ضمت الاستمارة 50 عبارة بحيث تقيس كل 10 عبارات حالة أنا عند الأساتذة وذلك كما يلي:

- 10 حالة أنا الولي القهري.
- 10 حالة أنا الولي المعطاء.
- 10 حالة أنا الراشد.
- 10 حالة أنا الطفل الخاضع.
- 10 حالة أنا الطفل المتمرد.

### 10 - عينة الدراسة :

طبقت الاستمارة على 240 أستاذ وأستاذة في مرحلة التعليم الثانوي، العام والتقني، منهم:

37% ذكور و63% إناثا. وذلك حسب:

- متغير الجنس
- المواد الدراسية
- الأقدمية المهنية.

### 11 - فرضيات الدراسة:

#### 11-1 الفرضية العامة :



يستخدم أستاذ التعليم الثانوي حالة أنا الولي القهري غير الوظيفي أكثر من استخدامه لحالات الأنا الوظيفية

### 11- 2 الفرضية الإجرائية:

إن النسبة المؤوية لإجابات الأساتذة الموافقين على عبارات حالة أنا الولي غير الوظيفي تكون أكبر من النسبة المؤوية الخاصة بموافقتهم على عبارات حالات الأنا الوظيفية.

### 12 - نتائج الدراسة :

أظهرت نتائج البحث بأن أساتذة العينة قد وافقوا على عبارات حالة أنا المعلم المعطاء بأكثر نسبة 72% مقارنة بعبارات حالات الأنا الأخرى. وهذا ما يجعلنا ننفي الفرضية الإجرائية للبحث.

حالات الأنا					عدد الأساتذة
الولي القهري	الولي لمعطاء	الراشد	الطفل المتمرد	الطفل الخاضع	
48%	72%	68%	44%	61%	204

لكن تحليلنا المفصل للنتائج المتحصل عليها أعطى ما يلي:

إن نسبة موافقة الأساتذة على حالتني المعطاء (72%) والراشد (68%) جاءت مرتفعة لأن عبارات هاتين الحالتين تضمنان الخصائص أيجابية للأستاذ .

إلا أن نسبة موافقة الأساتذة على عبارات المعلم الخاضع بلغت 61 %، وهي حالة أنا سلبية غير وظيفية، كما أن نسبة موافقتهم على عبارات المعلم القهري بلغت (48%)، وبالرغم من أنها أقل من النسب السابقة، إلا أنه يمكن اعتبارها نسبة معتبرة، رغم أنها تضم سوى العبارات التي تعبر عن الخصائص السلبية للمعلم، حيث بلغت نسبة موافقة الأساتذة على بعض عبارات القهري 83% (العبارة رقم 1)،

نفس الشيء بالنسبة للمعلم المتمرد، والتي كانت نسبة موافقة الأساتذة على عباراته (44%)، وهي كذلك نسبة معتبرة.

باختصار نلاحظ تناقضا واضحا في إجابات الأساتذة، إذ لو كان أساتذة التعليم الثانوي يتصفون فعلا بخصائص المعلم المعطاء والراشد لما جاءت موافقتهم على المعلم القهري والمعلم المتمرد بنسب معتبرة.

وهذا ما جعلنا نشك في مصداقية إجابات الأساتذة، بطرح السؤال التالي:

هل أن إجاباتهم كانت عشوائية؟ أم أن الصفات التي وافقوا عليها في الخاضع، القهري والمتمرد اعتبروها صفات إيجابية؟

هذا ما جعلنا نقارن نسب موافقة الأساتذة على عبارات الاستمارة والتي تضم صفات متناقضة مثلا صفات القهري مع المعطاء. أو القهري مع الراشد، أو المتمرد مع المعطاء.... الخ

وقد أظهرت لنا المقارنة ما يلي :

العبارة 1 - قهري: نالت نسبة موافقة 83%.

« أنا أراقب دائما تحركاته داخل القسم، لكي لا أعطيه فرصة لإثارة الفوضى ». تعبر عن خاصية (لا يترك أي شيء يمر داخل قسمه بدون التعليق عليه).

مع العبارة 31- المعطاء: 73% « أنا متسامح مع هذا التلميذ ». تعبر عن خاصية الصبر. وهذا ما يبين لنا مستوى التناقض بين إجابات الأساتذة.

العبارة 34 – قهري: نالت نسبة موافقة 68%.

« أنا متأكد بأن الظروف الاجتماعية لهذا التلميذ ليست لها علاقة بضعف نتائجه ولا بسلوكه السيء ». (تعبر عن خاصية إصدار الأحكام القطعية)

مع العبارة 42- راشد: 83%.

« أبحث في طبيعة الظروف الاقتصادية والاجتماعية والتي يعيشها هذا التلميذ لأنها قد تؤثر على طبيعة نتائجه وسلوكه داخل القسم. » ( تعبر عن خاصية التحليل والواقعية)

العبارة 36 –المعطاء: 60%.

« أنا أهتم كثيرا بحالة هذا التلميذ لأنه يستحق فعلا المساعدة. » تعبر عن خاصية (يمد يد المساعدة لأنه يعتقد بأن ذلك هو دوره الحقيقي).

مع العبارة 26- المتمرد: 55%.

« أنا أعتقد بأن العائلة هي المسؤولة الوحيدة عن طبيعة سلوك هذا التلميذ » تعبر عن خاصية(نقد الآخرين).

(\* العبارة 7- المتمرد: 63%.

مع العبارة 48- الراشد: 60%.

« أحس بانزعاج كبير من تصرفاته. » تعبر عن خاصية (بحس بأن كل شيء يقلقه)

«أنا أتقبل هذا التلميذ كما هو» خاصية ( اتخاذ وضعية الحياة + +).

(\* العبارة 15 – الخاضع: 59%.

مع العبارة 18 – الراشد: 84%.

«أساند الرأي القائل بفصل التلميذ إذا كان بالأغلبية» يعبر عن خاصية (لا يتجرأ على معارضة الآخرين).

«إن الواقع الذي عشناه مع التلاميذ يبين بأن طرد التلميذ من المؤسسة أو تحويله ليس حلاً تربوياً، لذا فأنا لا أوافق عليه» يعبر عن خاصية التجريب».

كما شملت كذلك عملية تحليل إجابات الأساتذة، تحديد العبارات حالي المعطاء والمعلم الراشد، التي لم تحض بموافقة كبيرة من طرف الأساتذة، رغم أنها عبارات تحمل صفات المعلم الإيجابية.

العبارة 10 و39 – الراشد: 40%.

«أعينه مسؤولاً عن قسمه» خاصية (إعطاء التلميذ المتمرد بعض المسؤوليات بهدف تثمين مجهوداته).

«أعتقد بان للأستاذ جزءاً من المسؤولية في كون هذا التلميذ مشوش ونتائجه غير مرضية» تعبر عن خاصية (العقلانية والمنطق).

العبارة 30 و33: 34%، 40%،

«أدمج هذا التلميذ في جماعة عمل تتكون من تلاميذ نجباء» خاصية (يخلق جو المعاشرة).

«إذا عوقب من طرف رقابة الثانوية، فإنني أوضح له عواقب مخالفة قوانين المؤسسة» خاصية (مد يد المساعدة).

وأخيراً يمكن إرجاع التناقض الملاحظ في إجابات الأساتذة إلى:

أ - أسباب موضوعية:

- حدوث تلوث في حالة أنا الراشد عند أستاذ التعليم الثانوي من طرف حالي الولي والطفل.

- افتقاد أستاذ التعليم الثانوي لنموذج بيداغوجي محدد.

- الميل إلى الاعتماد على النموذج التقليدي.

- جهل الأساتذة بالمعارف النظرية الخاصة بالنماذج والأساليب البيداغوجية المطبقة عبر العالم.

- جهلهم بمدى تأثير سلوكياتهم على سلوكيات وردود أفعال التلاميذ.

ب - أسباب ذاتية:

- طبيعة الأداة المستخدمة في البحث وهي الاستمارة، حيث استخدام الأستاذ للميكانيزمات الدفاعية بهدف إظهار أنه كأنا ذكي ومنطقي مطابق لمعايير الجماعة المرجعية، لذا أتت نسب الموافقة على عبارات المعطاء والراشد مرتفعة، حيث أتفادي الحكم لسليبي وإثارة إعجاب الآخر.

- صعوبة استخدام الملاحظة المباشرة كأداة بحث، والتي كانت من شأنها أن تساعدنا في أن نتفادي العديد من الأمور السابقة.

13 - اقتراحات الدراسة :

انطلاقا من نتائج هذه الدراسة نرى بأنه من أجل تحسين العلاقة التربوية بين الأساتذة والتلاميذ يجب:

- رسكلة مستعجلة ومستمرة للأساتذة في الميدان التربوي والنفسي لإدراك مستوى التأثير الذي يمارسونه على التلاميذ إذا التزموا باستخدام حالات الأنا السلبية غير الوظيفية.

- إعداد مشروع تكوين للأساتذة في مجال التحليل التعاملي ولكل العاملين بقطاع التربية والتكوين.

الخاتمة

لقد أظهرت نتائج البحث بأن أساتذة التعليم الثانوي، يفتقدون لنموذج بيداغوجي محدد يطبقونه داخل الوضعية التربوية، إلا أن نفس النتائج قد أظهرت أيضا بأن الأساتذة يميلون إلى استخدام النموذج البيداغوجي التقليدي الذي يؤدي إلى تحقيق تعبئة التلاميذ لهم وذلك من خلال تفضيلهم استعمال حالة أنا الولي، أكثر من استعمال حالة أنا الراشد، هذه الأخيرة التي تعتمد على البيداغوجية النشيطة، وبالرغم من اقتناعنا كباحثين بصعوبة تطبيق هذه البيداغوجية داخل المدرسة الجزائرية لما تتطلبه من شروط مادية ومعنوية، يدل الواقع الجزائري بأنه يصعب توفيرها، لأن نظامنا التربوي يتميز بعدة خصائص منها؛ النسبة العالية لتمدرس التلاميذ والتي أدت إلى اكتظاظ كبير في الأقسام، حجم الميزانية المعطاة لقطاع التربية، والذي يخصص جزؤها الأكبر للجانب المالي المتمثل في رواتب العمال، أكثر من الجزء المخصص للجانب التربوي والبيداغوجي، نقص تكوين الأساتذة في المجال النفسي والتربوي، حيث أن نتائج البحث الحالي تؤكد على ذلك النقص، كثافة البرنامج. كثافة التوقيت. غياب الإشراف التربوي العلمي، نقص تكوين المشرفين التربويين، غياب الاتصال بين البيت والمدرسة، نقص التكفل النفسي بمشاكل التلاميذ داخل المدرسة... الخ، و كل هذه الخصائص لا تتماشى مع متطلبات تطبيق البيداغوجية الحديثة داخل المدرسة الجزائرية، إلا أننا نعتبر بأن هذا كله لا يمنع الأساتذة والمعلمين في مختلف الأطوار التعليمية، من بناء

علاقة بيداغوجية فعالة، والتي لا تتطلب ميزانية خاصة ولا وسائل وتجهيزات معتبرة، وإنما تتطلب تكويننا نفسيا وتربويا يعتمد على وعي المعلم بمدى تأثير سلوكاته التربوية على سلوكيات التلاميذ.

## المراجع

### 1/ قائمة المراجع باللغة الفرنسية:

1. Bailly B., Enseigner : une affaire de personnalité, Paris, Ed Nathan pédagogie, 1999.
2. Chalvin D., Analyse transactionnelle et relations de travail, Collection dirigée par Roger Muccheilli, 1982.
3. Chalvin D., Les nouveaux outils de l'analyse transactionnelle, Paris, ESF, 1993.
4. Chalvin M J., Enseignement et analyse transactionnelle, Paris, Nathan, 2000.
5. De Graaf J.V., Krack M, Nasielski S., L'analyse transactionnelle, Toulouse, Ed privé, 1990.
6. Moscovici S., Psychologie sociale, Paris, P.U.F, 1996.
7. Muccheilli R., Le questionnaire dans l'enquête psychosociale, Paris, Ed E.S.F, 1979.
8. Postic M., La relation éducative, Paris, PUF, 1979.
9. St-yves A., Perturbations familiales et analyse transactionnelle thérapeutique, Presses de l'université du Québec, 1994.
10. St-yves A., Psychologie de l'apprentissage- enseignement, Presses de l'université du Québec, 1986.
11. Vergnaud J.M, Blin P., L'analyse transactionnelle, Alger, Ed Chihab, 1995.

### 2/ المرجع باللغة العربية:

- ناصر العديلي: السلوك الإنساني والتنظيمي، معهد الإدارة العامة، الرياض، 1995.

## الجنريك في المسلسلات التلفزيونية العربية دراسة سيميولوجية

### ملخص

تحاول هذه الدراسة قراءة نموذج من جنريك المسلسلات التلفزيونية العربية قراءة سيميولوجية للوقوف على أهم العناصر المشكلة له مستعينين في ذلك بمقاربة رولان بارت في التحليل السيميولوجي، وقد تم اختيار المسلسل المصري "عايزة اتزوج" بشكل عمدي نظرا لاعتماد المخرج تصوير الجنريك بشكل مستقل تماما عن لقطات ومشاهد العمل المقدم عكس ما هو سائد في معظم المسلسلات العربية، وتم اعتماد الجنريك كمادة سمعية بصرية للتحليل لكونه يشكل الهوية المرئية للعمل الدرامي، ومع كونه في الغالب قصير جدا إلى انه يكون مركزا ويحمل الكثير من المعان الظاهرة والخفية، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها اعتماد الجنريك على اللقطات القريبة والمتوسطة أكثر من غيرها، وعدم العناية بشكل جيد بالديكور لاعتماده على دور الممثل أكثر في إبراز قوة العمل، كما توصلت الدراسة إلى أن المضامين الإيديولوجية والقيمية تعكس بأمانة الخط الدرامي العام للقصة.

أ. جمال قواس  
جامعة خنشلة  
الجزائر

### Abstract

### مقدمة

**يعد** العمل الدرامي على شاشة التلفزيون من أكثر الأعمال شعبية وجماهيرية في الوطن العربي فسواء كان العمل كوميديا أو تراجيديا لا فرق يميز هذا عن الآخر طالما توفرت عناصر الإبداع في هذه الأعمال الفنية، وكثيرة هي تلك الأعمال الدرامية التي يعرفها المشاهد العربي عن ظهر قلب، ويتابعها باستمرار وشغف كبير، ومع ظهور الفضائيات وتخصص بعضها في الدراما أصبح المجال أكثر اتساعا لجذب أعداد أكبر من المشاهدين وخصوصا في شهر رمضان الكريم.

This study aims at reading and understanding the generic used in One serie was chosen deliberately, using semiologic analysis which enables us identify and know the social and esthetic values in theses series, knowing that generic is the identity of the dramatic work.

This study has shown some important results, the studied generic in the famous Egyptien série " I want to get married" use close and even very closes plans and focus more on sound than on the image.

Generics are selected extracts among the plans of the television series itself and so reflect the same values as the series.

إن وجود النص التلفزيوني الجيد والإبداع في الإخراج وتوفير الموارد المالية المناسبة لإنتاج أعمال درامية تتمتع بجودة فنية مقبولة كفيلة وحدها بان تجعل المشاهد العربي يقبل على ما تبثه الفضائيات العربية وبالتالي الاستفادة من القيم المتضمنة في هذه الدراما.

والمتتبع لجل الدراسات المتعلقة بالدراما التلفزيونية وعلى الأخص أهم ألوانها وهو المسلسل التلفزيوني يجدها تركز على مجالين كبيرين وهما "تحليل مضمون" هذه الأعمال، مستعينين في ذلك بأداة تحليل المضمون، والمجال البحثي الثاني يركز على "تأثير" هذا المضمون باللجوء إلى الدراسات الميدانية مستخدمين في ذلك الاستمارة والملاحظة والمقابلة.

في هذه الدراسة سيتم تحليل نموذج من "مقدمات" أو جنريك المسلسلات التي صارت فنا قائما بذاته، إذ نجده في حالات وان كانت قليلة عبارة عن عمل درامي مستقل يتم الإعداد له بشكل مدروس من حيث التقنيات المستخدمة في الإخراج ومن حيث الأغنية المصاحبة له، وقد جاءت هذه الدراسة كمحاولة لفهم اللغة البصرية المستخدمة في تصميمه ودلالاتها الفكرية والايديولوجية.

### أولاً: الإطار المفاهيمي للدراسة

#### 1- الإشكالية:

يعتبر الفن مرآة الشعوب فمن خلاله يمكن أن يتعرف الفرد على تاريخه وحضارته وعاداته وتقاليده، كما يمكن عن طريقه أيضا أن يُعرف الآخرين على ثقافته ونمط عيشه واهتماماته وأحلامه وآماله فهو يخاطب العاطفة في الإنسان، ولهذا يؤثر في الناس بصفة عامة. فإذا كان هادفا راقيا فهو بلا شك يسمو بعواطف الإنسان إلى مستويات عالية من الرقي والنضج تدفعه بالتالي إلى السلوك السليم الفردي والجماعي.

وأشكاله الفنية كثيرة ومتنوعة وكلها تخاطب في الإنسان عقله ووجدانه وتحاول الاستئثار به للتأثير فيه، ومن أهم هذه الفنون التي تحظى بالقبول والرضا عند عامة الناس تأتي المسلسلات التلفزيونية في المقدمة كما أثبتت ذلك الكثير من الدراسات الميدانية.

فالدراما تعتبر من أهم وأخطر الفنون تأثيرا على المشاهد سواء كانت فيلما أو مسلسلا أو مسرحية، إذ من السهل على كل هذه الأنواع وغيرها أن تساهم بشكل مباشر في تشكيل منظومة القيم عند الفرد أو تعديلها أو تغييرها بشكل جذري.

وهذا التأثير يتم عن طريق الحوار الذي يجري بين شخصيات المسلسل أو الفيلم، أو يتم عن طريق الإيحاءات والإيماءات التي تتضمنها الصور المبتوثة في مختلف المشاهد، وذلك من خلال التنوع في طرق عرضها باختبار زوايا معينة أثناء التصوير، ويضاف إلى هذا الكثير من الأمور التقنية والفنية التي من شأنها أن تساعد في إبراز

بعض القيم و إهمال أخرى، ومن هذه الأمور الموسيقى المصاحبة للمشهد والديكور المختار ونوع الإضاءة وغيرها كثير.

يهدف هذا البحث بالدرجة الأولى للكشف عن منظومة القيم الاجتماعية والتعبيرية المتضمنة في نموذج مختار من جنريك المسلسلات العربية، وعلى هذا الأساس لم نلتزم بإدراج جميع المفردات الفرعية المشكلة لشريط الصورة والصوت، وركزنا في المقابل على أهم هذه العناصر التي نرى أنها قد تعكس مضمونا قيماً معيناً، إن الديكور مثلاً قد يعكس بأمانة وبطريقة إيحائية الكثير من المعاني، فهو يساعد المشاهد على معايشة فترة تاريخية معينة، لكنه قد يعطي انطباعاً إيجابياً أو سلبياً عن المجتمع الذي تدور فيه الأحداث.

إن ديكورات الفيئات في المسلسلات الخليجية مثلاً تساعد على وضع المشاهد في جو القصة من جهة، لكنها تحمل أيضاً أفكار وقيم المجتمع الذي أنتجها، إن قيم مثل الافتخار بالثراء الفاحش أو التبذير والأنفاق بلا حدود أو التعالي على الآخرين واحتقارهم قد تبدو أكثر وضوحاً من خلال هذه الديكورات، وملابس الممثلين والممثلات لا تضيء الواقعية على أحداث القصة فحسب بل هي حمالة للكثير من القيم الاجتماعية والأخلاقية الخاصة بهذا المجتمع أو ذاك.

وإذا صار من المعروف الآن أن القيم يمكن أن يتضمنها الحوار الدائر بين مختلف شخصيات المسلسل الرئيسية منها والثانوية بشكل مباشر أو غير مباشر، فإنه لا يخفى أيضاً أن هذه القيم يمكن أن تبتث وتترسل عن طريق الصورة من خلال تعابير الوجهة والديكور والإضاءة والموسيقى وزوايا التصوير التي يختارها المخرج.

في هذه الدراسة سيتم التركيز على الجانب الفني والجمالي في نموذج من "مقدمات" المسلسلات ومدى تأثيره في إبراز بعض القيم وإغفال أخرى، ومن الواضح أن تحليل المحتوى يبدو عاجزاً في الاستجابة لهذا المشكلة البحثية فقد ارتأى الباحث الاستناد بالمنهج السيميولوجي الذي هو في الأصل خاص باللسانيات ثم طور من قبل الباحثين ليتلاءم مع هذا النوع من البحوث.

ولأن لكل مخرج فلسفته الخاصة ورؤيته الإبداعية التي تظهر بصماتها بشكل أوضح في الجنريك، فقد اخترنا بشكل مقصود جنريك المخرج "رامي إمام" الذي تم إعداده بشكل مستقل عن المسلسل، والجنريك عادة ما يكون قصيراً لكنه محمل بمعانٍ كثيرة، وكما هو معروف فإن الشكل الفني حتى ولو بدا تقنياً بحثاً فإنه لا يكون بريئاً أبداً، إن الشكل مهم كما هو حال المضمون، ولا يمكننا أن نتصور مضموناً بمعزل عن القلب الذي قدم به.

إن الهدف من هذه الدراسة هو محاولة استنباط المضامين القيمية والاشكال التعبيرية الجمالية التي تتخلل ثنايا جنريك هذه المسلسل المصري، ومادام الأمر هكذا فقد اقتصرنا هذه الدراسة على بعض التقنيات السينمائية التي نراها أكثر



قدرة على إبراز أو إخفاء بعض هذه القيم، حتى تتمكن من فهم المعاني الباطنة والخفية في هذه العمل، وللوصول إلى قراءة متمعنة فاحصة قمنا بطرح الإشكالية التالية : ما هي المضامين القيمية والأشكال التعبيرية في جنريك المسلسل العربي "عايزة اتزوج" ؟

ويمكن أن نستنتج من إشكالية هذا البحث مجموعة من الأسئلة الفرعية على الشكل التالي:

التساؤلات الفرعية:

- ما هي أنواع القيم الايجابية والسلبية المتضمنة في جنريك المسلسل؟

- ما هي القوالب الفنية المستعملة في تصميم هذا الجنريك ؟

- ما هي دلالة اختيار بعض التقنيات في شريط الصورة وشريط الصوت ؟

2- أهداف الدراسة: تحاول هذه الدراسة أن تحقق هذه الأهداف:

- فهم أهم التقنيات المستعملة في تصميم الجنريك.

- قراءة المضمون القيمي الإيديولوجي الغير معلن المتضمن في الجنريك

- محاولة فهم هل يتم التركيز على شريط الصورة أكثر أو شريط الصوت وتفسير سبب الاختلاف.

- محاولة تفسير العلاقة بين الشكل الفني و المضمون القيمي.

3- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة من الأهمية المتنامية للمسلسلات التلفزيونية في العالم بصفة عامة، وفي العالم العربي بصفة خاصة، ففي السنوات الأخيرة تطور إنتاج المسلسلات التلفزيونية لا من حيث الكم فقط بل أيضا من حيث الشكل والمضمون، فقد أصبحت تتطرق إلى مواضيع متنوعة وهامه، والحبكة الدرامية صارت أكثر تعقيدا مما جعلها تحظى باهتمام الباحثين الأكاديميين في مختلف الجامعات الغربية.

ومن حيث الشكل فقد تطورت بشكل ملفت إلى حد قاربت السينما من حيث تقنيات الإخراج وجمالية الصورة، ولعل الجنريك هو احد أهم ميزات الدراما التلفزيونية وعامل من عوامل نجاحها، وهو بمثابة إعلان تسويقي لها، ويعتبر مجالا بحثيا جديدا يحتاج إلى مزيد من القراءة المتأنية لفهم طرق تصميمه الفنية ومضامينه الإيديولوجية.

4- تحديد المفاهيم الرئيسية للدراسة: هناك أكثر من مصطلح يحتاج إلى تحديد في

هذه الدراسة ويتم شرحها باختصار فيما يلي:

**الجنريك:**

هو الشيء الوحيد المشترك بين جميع حلقات المسلسل وهو يقدم شخصيات وفريق العمل، كما يعطي الفكرة العامة على ما سيأتي فهو بمثابة علامة تعريفية تبقى عالقة بالأذهان للعمل المقدم. إذ يمكن اعتباره بطاقة تعريفية للمسلسل، وإن كان في الغالب قصير وسريع، فإنه في أحيان أخرى يكون عبارة عن فيلم قصير تتوفر فيه كامل عناصر العمل الدرامي كالمونتاج والإضاءة والديكور والموسيقى والإنفوغرافيا والرسوم وغيرها.

إن مجرد سماع أغنية أو موسيقى الجنريك يجعل المشاهد يتعرف بسرعة على العنوان المقدم إلى درجة أنه يمكن تشبيه سرعة الاستجابة عند المتلقي بما يحدث في تجربة بافلوف، فهو يجعل المشاهد في حالة استعداد نفسي لدخول عالم الخيال وكأنه يتلقى إشارة سرية، خاصة شريط الصوت الذي في الغالب يكون قوياً وبريتم عال. ويمكن أن نلاحظ نوعين رئيسيين في تصميم مقدمات المسلسلات فالنوع الأول يكون بسيطاً من حيث التصميم حيث يتمثل في مجموعة من اللقطات والمشاهد عادة ما تختار من أقوى وأحسن لقطات ومشاهد المسلسل، ثم يتم التركيب بينهما بشكل معين وربما يتم عرض بعض الذرى الصغرى أثناء الجنريك. أما الجزء الثاني فهو أكثر تعقيداً، فهو يقترب بشكل كبير من كونه فيلم قصير *petit court métrages*، يتم إنجازه بشكل مستقل من المسلسل، ويتم استخدام الإعلام الآلي وكل ما يتبناه هذا المجال في عملية التركيب. (1)

تم اختيار مصطلح الجنريك الذي هو في الأصل كلمة فرنسية إلا أنها شاعت في الاستعمال ودخلت في اللغة العربية المستعملة في الكتب الأكاديمية ووسائل الإعلام، وحتى في الثقافة الشعبية مع أن لها مرادف في اللغة العربية وهو "مقدمة" الفيلم أو المسلسل، وفي دول المشرق العربي يستخدمون كلمة "التتر" كمرادف للجنريك، و"أغنية الشارة" للإشارة إلى الأغنية المصاحبة للجنريك.

ونعني بالجنريك في بحثنا مجموع اللقطات والمشاهد التي تقتطع من المسلسل وتركب بطريقة معينة لتعرض قبل بدايته. أو هو مجموعة اللقطات والمشاهد تعرض قبل بداية المسلسل يشار فيها إلى فريق العمل وبعض المحطات المهمة في المسلسل. (2)

### - المسلسل التلفزيوني:

يمكن أن نعتبر المسلسل التلفزيوني كما يراه الكاتب السوري نهاد سيريس: "سردياً روائياً بالصورة - وهذا لا يعني إلغاء الحوار - أي أننا يمكن أن نطلق على المسلسل اسم الرواية التلفزيونية إذا توفرت فيه بعض التقنيات التي طورتها الرواية الأدبية مثل الاهتمام بالعالم الداخلي للشخصيات وإظهار ميولها وضعفها وقلقها وحالاتها النفسية وغيرها" (3)، ويعرف أيضاً بأنه "تمثيلية طويلة تداع على حلقات متتابعة متتالية بحيث تؤدي كل حلقة من هذه الحلقات إلى التي تليها في تسلسل و منطقية". (4)

ويتكون المسلسل التلفزيوني من حلقات عادة ما تنتهي كل حلقة بعقدة صغرى تحل في الحلقة الموالية ليظل المشاهد متشوقا لمتابعة باقي الحلقات، كما أنه في الغالب الأعم تكون لمجموع الحلقات عقدة كبرى يتم حلها في الحلقة الأخيرة.

كما أن المسلسل إلى جانب ما تقدم هو مجموعة من المواقف الخطرة المتتابعة التي يتعرض لها بطل القصة في العادة، وهو يقوم أساسا على تتابع الحلقات وتواليها، بمعنى أن الشخصيات والأحداث تتطور بشكل متوال لتتصاعد حتى تصل إلى قمة الأزمة أو ما يعرف بالذروة ثم يأتي بعدها الحل و عادة ما يترك للحلقة الأخيرة.

أما بالنسبة للأعمال الدرامية التي تصل حلقاتها إلى الثلاثين أو أكثر فتتضمن أكثر من عقدة، عقدة رئيسية يتطلب حلها في نهاية المسلسل كله، وعقد أخرى فرعية تدور في فلك العقدة الكبرى بحيث تضم كل حلقة عقدة فرعية بشكل مستقل يتم حلها أثناء الحلقة لكن المخرج يعتمد وضع عقدة أخرى فرعية مع نهاية الحلقة لتضفي عنصر التشويق على المسلسل ككل لجذب انتباه المشاهد وجعله يتطلع لمتابعة الحلقة الموالية إلى أن يصل المسلسل إلى نهايته. (5)

وملخص القول انه شكل من أشكال الدراما التلفزيونية، وجميع حلقاته متصلة وشخصياته واحدة ويتم تطوير الحبكة الدرامية والصراع بمختلف أشكاله من الحلقة الأولى وحتى نهاية المسلسل. وما يميز المسلسل أن كل حلقة تنتهي بذروة صغرى تجعل المشاهد ينتظر الحلقة الموالية لمعرفة البقية وهكذا حتى نهاية المسلسل. (6)

#### - التحليل السيميولوجي:

السيميولوجيا أو السيميائية هي "دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية". (7) وهي في حقيقتها "كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة، إنها تدريب للعين على النقاط الضمني والمتواري والمتمنع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق أو التعبير عن مكونات المتن". (8)

ويمكن ان نعرفها تعريفا اجرائيا بانها: مجموعة التقنيات والخطوات المستعملة لوصف وتحليل شيء باعتباره له علاقة في حد ذاته من جهة وبإقامة علاقات مع أطراف أخرى من جهة أخرى". (9)

#### ثانيا: الإجراءات المنهجية للدراسة:

##### 1- منهج الدراسة:

إن اللجوء إلى المنهج السيميولوجي في هذه الدراسة جاء لتغطية بعض النقاط التي تظهر في الدراسات التي اقتصر على أداة تحليل المضمون، ولعل أهم هذه النقاط وأخطرها على الإطلاق هو الإغراق في معالجة الظواهر الاجتماعية والإعلامية من الناحيتين الظاهرية والكمية فقط.

من المعروف أن تحليل المضمون يقتضي من الباحث التجرد المطلق والاكتفاء في أقصى الحالات على التعليق الموضوعي على النتائج النهائية لعشرات وربما مئات الجداول، غير أن الأمر يختلف عند استخدام التحليل السيميولوجي الذي يتطلب من الباحث قدرًا كبيرًا من التحليل والتفسير وقد يرتبط هذا في جزء منه على الأقل بالخلفية الفكرية والإيديولوجية للباحث. إن تدخل ذات الباحث في عملية التحليل، كانت تبدو منافية لروح البحث العلمي بصفة عامة في السابق، أما الآن فقد صار الأمر مقبولاً ومطلوباً، وخاصة بعد أن تبين أن المبالغة في الجداول والإحصائيات والنسب المئوية المجردة قد لا تنفع كثيراً في تفسير وتحليل الظاهرة إلا في جزء يسير منها. (10)

وعلى هذا الأساس فإن الباحث عند استخدامه لمنهج التحليل السيميولوجي لا ينظر إلى المواد التي تخضع للتحليل بنفس الطريقة عند استخدامه تحليل المضمون، مثل احترام نظام العينة بصرامة، فكما كانت العينة ممثلة بأمانة لمجتمع الدراسة كلما كانت نتائج الدراسة مقبولة، وفي كثير من الأحيان كلما كانت العينة أكبر كلما كانت نتائج الدراسة أفضل من حيث المصادقية.

غير أن الأمر مختلف تماماً في التحليل السيميولوجي، فالباحث هنا ينظر إلى المواد التي تخضع للتحليل على أنها مواد غير متساوية في الأهمية، وبالتالي يكفي أن نحلل الجزء الذي نراه مهماً ويخدم أهداف البحث. ويبدو من زاوية أخرى أن الناحية العملية التطبيقية من المنهج صعبة جداً، فمن غير الممكن على أي باحث أن يتناول بالتحليل أعمال درامية كاملة خاصة إذا عرفنا أن أصغر وحدة تحليل وهي اللقطة يمكن تقسيمها إلى عشرات العناصر الفرعية المكونة لها والتي تجتمع لتشكيل لنا في الأخير لقطة لا يستغرق عرضها إلا بضع ثوانٍ.

## 2- مادة التحليل في الدراسة:

تم اختيار بشكل عمدي جنريك مسلسل واحد وهو مسلسل مصري ببطولة تونسية، وتتم عملية استخلاص النتائج بعد تفريغ البيانات في جداول، وتعتبر هذه هي المادة الأساسية لعملية التحليل، وهي المادة الخام التي يمكن إخضاعها للتحليل والقراءة، والتي من خلالها يبرز المعنى بشكل أو بآخر، وتم اختيار الجنريك كمادة درامية خاضعة للتحليل لكونه يلخص العمل الدرامي بشكل مركز، وتظهر الكثير من الأشياء التي تستحق التحليل، كما أن الجنريك لا يستغرق إلا وقتاً قصيراً، وهو كمن يتذوق مسبقاً ولو بشكل رمزي ما سيأتي لاحقاً، وترتبط هوية المسلسل بشكل دائم بالجنريك الخاص بها، فالموسيقى والرسومات البيانية والألوان واللقطات التي تتكرر مع بداية كل مسلسل تبقى راسخة في ذاكرة المشاهدين لسنوات طويلة جداً.

من خصائص الجنريك أنه يهدف بصفة عامة إلى تحديد مجموعة من القيم الإخبارية، والقيم الجمالية الفنية، كما أنه يسعى في الأساس إلى جعل المشاهد وفيًا

ولسنوات قد تطول لهذا المسلسل أو ذاك، إنه يجعل المشاهد يستمتع بمشاهدة مُسلسله المفضل باكتشافه الجديد مع كل حلقة جديدة. كما يجعله يشعره بالابتهاج والسرور بلقاء شخصيات المسلسل مرة بعد أخرى، وهذا كله راجع لكونه يجمع بين خاصيتين تبدوان متناقضتان وهما الإعادة والاختلاف في نفس الوقت، فالجنريك يُكرر نفسه مع بداية كل حلقة لكن محتوى الحلقة يختلف من يوم لآخر.

وباعتبار أن الجنريك لا يمثل إلاّ مدة زمنية رمزية في المسلسل، فهو بالضرورة يحاول أن يعكس ويلخص بأمانة المحطات الأساسية الخاصة بتطور أحداث المسلسل (11)، وللجنريك وظيفة إخبارية إذ تظهر الكلمات والجمل في جنريك البداية لتؤدي بالدرجة الأولى وظائف إخبارية مهمة مثل التعريف بعنوان المسلسل و أبطال الرئيسيين، كاتب السيناريو، المخرج، مهندس الديكور وغير ذلك. (12)

إن القيمة الإخبارية في جنريك البداية تكاد تختفي بالنظر إلى الطريقة التي يتم بها عرض الأسماء والعنوان، وذلك باللجوء إلى طرق فنية مبتدعة ومتنوعة أثناء العرض، إن الأسماء تظهر بأحجام وأشكال من الحروف المختلفة وبألوان متباينة، وقد تظهر أحياناً راقصة متحركة، كما أنها قد تظهر من زوايا مختلفة من الشاشة، وكل هذا يجعل من الكلمات جزءاً مندمجاً بالكلية مع الصورة والموسيقى المصاحبة لها.

وقد يلاحظ المنتبِع جهداً كبيراً يبذل لدمج القيمة الإخبارية التي لا يمكن إنكارها لهذه العبارات (الأسماء، العنوان) مع القيمة الفنية والجمالية والإيديولوجية للجنريك بصفة عامة حتى إنه في كثير من الحالات يجد المشاهد صعوبة في قراءة ومتابعة أسماء الممثلين، وهذا ربما هو المطلوب.

والجنريك نوعان: جنريك في البداية وآخر في النهاية، ودراستنا هذه تقتصر فقط على جنريك البداية باعتبار أن جنريك النهاية يأتي طويلاً وتظهر فيه جميع الأسماء التي شاركت في العمل بالتفصيل الدقيق. وهو لا يحظى في الغالب بالمتابعة ويكون مستغرقاً وقتاً أطول بكثير من جنريك البداية كما تختفي فيه اللمسة الفنية فيبدو أو تبدو الشاشة بلون رمادي غير جذاب.

### 3- الخطوات العلمية الإجرائية في التحليل السيميولوجي:

إن مقارنة عالم السيميولوجيا الفرنسي رولان بارت في التحليل تبدو مقنعة من جهة ومفصلة بشكل دقيق وواضح من جهة أخرى، فهو يقسم الرسالة على هذا النحو (13):

أ- الرسالة الأيقونية: والتي تحتوي على دالتين:

- الدلالة التعينية: dénotation

- الدلالة التضمينية connotation

### ب- الرسالة اللسانية

وتبدو هذه المقاربة مفيدة في هذه الدراسة إذ تتيح للباحث إمكانية ربط الدال كجزء هام في إنتاج المعاني، وذلك من خلال توظيف بعض التقنيات السينمائية للتعبير عن مضمون الرسالة، والمدلول الذي يكشف عن القيم المتضمنة في العينة المدروسة، ومما سبق يمكن تلخيص الخطوات التي تم الالتزام بها في هذا البحث على هذا النحو:

- التحليل التعيني ويشمل التقطيع التقني تليه القراءة التعينية.

- التحليل التضميني.

### 3.1 التحليل التعيني:

ونعني به القراءة الأولية للمادة الدرامية المسجلة، وهذه القراءة تفيد الباحث في وضع وصف دقيق للمادة المراد تحليلها، ويعتبر هذا المستوى الأول من عملية التحليل في غاية الأهمية لأن التحليل التضميني متوقف عليه، فإذا لم يصف الباحث جيداً المضمون الدرامي ولم يلاحظ تفاصيله الدقيقة سيفشل حتماً في الخطوة الثانية (التحليل التضميني)، وهذا سواء تعلق الأمر بتحليل صورة كاريكاتورية أو صورة عادية أو إعلان تلفزيوني أو مشهد درامي. (14)

وبما أننا بصدد تحليل مادة مرئية مسموعة فإن الخيارات المتاحة أمامنا لتقييمها تتمثل في تقسيم جنريك المسلسل إلى لقطات أو مشاهد أو متتاليات، وقد اخترنا اللقطة كأصغر وحدة في عملية التحليل، وعملية التقسيم إلى لقطات قابلة للتحليل يسمى في اللغة السينمائية "التقطيع التقني".

#### 3.1.1 - التقطيع التقني (Découpage technique): يمكن تقسيم اللقطة في عملية

التقطيع التقني إلى شريط خاص بالصورة وآخر خاص بالصوت على هذا الشكل:

\* شريط الصورة: وقد تضمن العناصر التالية: رقم اللقطة وزمنها، نوع اللقطة، محتوى اللقطة، حركة التصوير، الديكور، ملابس الممثلين، الإضاءة، الألوان

\* شريط الصوت: ويشمل: الموسيقى.

#### 3.1.2 - خطوات قراءة العينة: الخطوة الثانية التي تلي عملية التقطيع التقني

هي عرض المادة الدرامية للمشاهدة وإعادة المشاهدة مرّات عديدة إن اقتضت الضرورة، وفي هذه الدراسة قمنا بالخطوات التالية لتسهيل عملية التسجيل ثم القراءة والتحليل:

- تم تسجيل العينة من فضائية mbc، ثم تم إفراغ مضمون العينة في قرص مرن.

- تم إخضاع محتوى المادة لبرنامج خاص لقراءة وقص المواد المقروءة والمسموعة تحت اسم Boilsoft Video Splitter ، هذا البرنامج ساعد الباحث في عدة أمور مهمة مثل:

- تتم معاينة العينة على جهاز الكمبيوتر وليس على جهاز الفيديو.
- يمكن عزل شريط الصورة عن شريط الصوت بكل سهولة.
- يمكن توقيف الشريط عند أي لحظة بالضغط على الفأرة فقط arrêt sur image.
- يعطي لنا بدقة زمن كل لقطة وكل مشهد.
- يمكن مشاهدة الشريط ببطء عند الرغبة Ralents.
- يمكن قص الجنريك في شكل لقطات أو مشاهد ومن ثم معاينتها بشكل مستقل.

3. 2- التحليل التضميني (connotation): في هذه المرحلة من التحليل اعتمدنا على بعض تقنيات التصوير التي اختارها المخرج لتكوين الجنريك وقد حاولنا أن نعرف المغزى والهدف الخفي الذي يجعل المخرج يختار هذه التقنية دون سواها. إنه من الواضح أن لكل مخرج فلسفته الخاصة ورؤيته الإبداعية التي تظهر بصماتها بشكل أوضح في الجنريك، وكما هو معروف فإن الشكل الفني حتى ولو بدا تقنياً بحثاً فإنه لا يكون بريئاً أبداً، إن الشكل مهم كما هو حال المضمون، ولا يمكننا أن نتصور مضموناً بمعزل عن القالب الذي قدم به. (15)

إن الهدف من هذه الدراسة هو محاولة استنباط منظومة القيم الفنية الجمالية والقيم الاجتماعية التي تتخلل ثنايا هذا العمل الدرامي، ومادام الأمر هكذا فقد اقتصرنا هذه الدراسة على بعض التقنيات السينمائية التي نراها أكثر قدرة على إبراز أو إخفاء بعض هذه القيم، ولكشف طبيعة القيم الخفية المتضمنة علينا دائماً أن نطرح هذا الأسئلة: لماذا هذا الديكور في هذا المشهد وما هي وظيفته؟ ، وهل يمكن أن يكون حاملاً لقيمة معينة؟، لماذا جاءت ألبيسة الممثلين والممثلات بهذا الشكل؟ هل يريد المخرج أن يوصل رسالة ما، قيمة ما، فكرة ما؟ من خلال هذا التحليل يمكننا أن نصل إلى بعض النتائج التي نراها مهمة، وعندها قد نفهم بشيء من الوضوح المضمون الأيديولوجي والقيمي للعمل الفني المقدم.

#### 4- الدراسة التطبيقية: المسلسل المصري "عايزة أتزوج"

##### 4. 1- البطاقة التقنية للمسلسل (16):

عنوان المسلسل	عدد الحلقات	مدة الحلقة	قناة العرض	اللغة السائدة	البلد
---------------	-------------	------------	------------	---------------	-------

عائزة أتزوج	30	45 د	MBC	لهجة مصرية	مصر
المخرج	رامي إمام				
المنتج	مؤسسة الشروق للإنتاج الفني + شركة تي فيجين + الشروق للإنتاج الإعلامي				
الكاتب	غادة عبد العال				
اللون الدرامي السائد	كوميدي				
ملخص القصة	تدور أحداث المسلسل حول فتاة صيدلانية متوسطة الحال ترغب في الاستقرار، وتسعى جاهدة للزواج قبل وصولها إلى الثلاثين من العمر، فضلا عن ضغوط عائلتها عليها لقبول أول عريس يطرق على بابها مما يعرضها للعديد من المواقف الكوميديّة، وتحكي طوال الوقت عن معاناتها مع الرجال الذين يتقدمون لخطبتها. وفكرة المسلسل مأخوذة عن كتاب غادة عبد العال "عائزة أتزوج" الذي هو في الأصل مدونة مصرية ساخرة .				

#### 4. 2- التحليل التعييني لمسلسل " عائزة أتزوج "

شريط الصوت	شريط الصورة				الوقت	رقم اللقطة
	الملابس والديكور	الإضاءة والألوان	نوعها	محتوى اللقطة		
تم الاستعانة في موسيقى الجنريك بلحن موسيقى غير مصاحب بالكلمات	تظهر المرأة بفستان بنفسجي	الابيض الأسود الأصفر المائل للبنّي أحياناً	لقطة مقربة G P	خلفية بيضاء تختفي اختفاء تدرجياً مثل الضباب الذي ينقشع شيئاً فشيئاً تتظهر امرأة ترتدي فستاناً بنفسجياً بعيون حائرة تنتظر لزهرة ذات أوراق سوداء ، و الضباب يتوجه نحوها ليأتي ظل امرأة تنفخ في الزهرة فتنتطير الأوراق	00.00 إلى 00.24	01



				<p>وتصبح كل ورقة مثل مجسم لرجال بطقم اسود و تنتبهم بذهول وهم يبتعدون ويختفون ليظل مجسم واحد يتوجه نحو عبارة تظهر تدريجيا، وهي عنوان المسلسل "عايزة أتجوز" ثم تختفي العبارة و يدور المجسم الذي كان قد ابتعد لخلفية الصورة ويتقدم مع اسم الكاتب ليعود الضباب مجددا مغطيا الكادر ويحدث "قطع" مع اللقطة التالية</p>		
		<p>اللون الأزرق إضافة للون الأسود والأبيض والأحمر والخلفية البنية المائلة للاصفرار</p>	G P	<p>تظهر البطلة على يمين الكادر وهي تحرك رأسها بلقطة "مقربة"، متجهة نحو الخلفية لتظهر على يسار الكادر اسم ممثلة أسفله. تظهر زهرة زرقاء اللون ليخرج مجسم من أعلى اليمين متجها نحو وسط الزهرة ليأتي رسم لمجسم طائر الغراب يحمل مجسم رجل ليغادر بعيدا في</p>	<p>00.25 إلى 00.49</p>	02

				الضباب، وهنا يظهر اسم ممثل آخر، ليعود مرة أخرى الغراب في الظهور وهو يرمي الجسم في أمواج زرقاء بها العديد من المجسمات لتصل سفينة على متنها البطلة و هي تنظر بنمعن للمجسمات.		
	تظهر الام بحجاب اسود والبنت بفستان بنفسجي في سفينة شراعية صغيرة مرسوم عليها مجموعة من القلوب المتناثرة.	الاسود الأصفر الأبيض	لقطة متوسطة	تظهر سيدة عجوز جالسة على كرسي خشبي تحمل كتاب تحاول إمعان النظر فيه ليظهر انه صورة للبطلة و عودة الكادر للقطة العجوز بطريقة بانوراميك من الأعلى للأسفل ليظهر الكرسي موضوعا على صخرة يغطيه الضباب والمجسم الساقط وتنتهي بقطع اسود	00.50 إلى 01.03	03
	صور لثوب زفاف اسود رجالي وآخر ابيض نسائي كهل ببذلة		لقطة متوسطة	تبدأ اللقطة بفستان زفاف و طقم و بعد zoom out تظهر في برواز "اطار" ذهبي اللون بخلفية ذات لون ذهبي أيضا ليكون بعد	1.04 إلى 1.28	04

	<p>انيقة على كرسي وهو يقرأ جريدة وتظهر على وجهه علامة الاستغراب تظهر أم البنيت بحجاب أسود ملتزم والجدة بلباس فضفاض اسود</p>			<p>البانور اميك لليمين السيدة العجوز تنتظر للصورة بانفعال و غضب، بعدها بانور اميك ليسار البطلة مع أمها ينظران للصورة بسعادة وهن يبتسمن لتمتزوج اللقطة العامة لهن مع الخلفية وتنتقل لشخصية جديدة انطلاقا من صورة بجريدة التي يحملها كهل ويغلق الجريدة بدون مبالاة لتنقل مع خلفية لصورة شاب واقف بهزكتفيه</p>		
نفسها	<p>عجوز تقرا في كتاب وهي جالسة على كرسي يبدو أنه فوق صخرة تظهر و كأنها معلقة في السماء.</p>		<p>لقطة مقربة</p> <p>لقطة متوسطة ثم مقربة</p>	<p>لقطة لمجموعة أيادي تنتظر امسأك باقة زهور ليعود الضباب في الظهور وهو يغطي الكادر و تظهر البطلة واقفة وهي تمد يدها إلى الأعلى محاولة الإمساك بباقة الزهور لنعود وتظهر بملامح الفشل لعدم تمكنها من التقاطها.</p>	<p>1.29 الى 1.41</p>	05

06	1.45 إلى 2.22	لقطة مقربة ثم متوسطة	إضاءة عادية	كادر يظهر فيه رسم لللباس الزفاف للرجل والمرأة، ثم صورة لكهل ببذلة أنيقة يقرأ جريدة وهو غير مكترث، كل هذا في بهو بيت يبدو أنه متواضع	لقطة لحبل علقت به المجسمات السابقة الخاصة بالرجال و الرياح تأخذها هنا وهناك مع استمرار ترافق الصور مع أسماء الطاقم لتظهر البطلة تجلس تحت شجرة و أمامها قمر يغطي معظم وجهها مع zoom out يليه البانوراميك إلى اليمين ليبقي جزء من القمر فحسب ظاهرا و السماء زرقاء صافية مع نجوم لامعة والبانوراميك للأعلى وصولا للحبل مع المجسمات مع خلفية بلون بني محممر و تواصل أسماء طاقم العمل في الظهور	نفسها
07	2.23 إلى 2.32	لقطة متوسطة	إضاءة عادية	لا تظهر إلا أيادي بيضاء محاولة الإمساك بزهور متساقطة	خلفية بيضاء لسحاب أو ضباب تظهر فيه شخصية تتبسم وتنفخ ليطير المجسم بعيدا	نفسها
08	2.33 إلى 2.46	لقطة متوسطة ثم قريبة	إضاءة عادية واعتماد اللون الأبيض	تظهر البطلة بثوب زفاف أبيض وهي جالسة مع نفس الخلفية	نفسها	

		أحيانا والأسود تارة أخرى في الكتابة لا يتعلق سوى بمحاولة عكس الإضاءة والخلفية لتكون الكتابة واضحة		الجرافيكية السابقة مع zoom in لها لتصبح بمقدمة اللقطه يسار الكادر في حين يمين الكادر يظهر فيه اسم المخرج "رامي إمام"، وتعود البطلة في الظهور وهي تنظر مباشرة إلى الكاميرا وهي تهز كتفها بأسئراب	
--	--	--	--	--	--

#### 4. 3- التحليل التضميني للمسلسل

يبدأ الجنريك بلون ابيض لجعل المشاهد متشوقا للعمل وسرعان ما يكتشف أن هذا اللون ما هو إلا الضباب الذي عادة ما يحمل معه العديد من الأسرار، ثم يتضح ببطء مع أول لقطة مقربة للبطلة لما تحملها من دلالات لتركيزها على تعابير الوجه لتبيان الانفعالات، وقد ظهرت الممثلة مبتسمة.. مختارة، لتتحول إلى مصدومة بعد تطاير أوراق باقة الورد.

من خلال اللقطة نكتشف المحور العام لهذه المسلسل الذي يركز على هذه الشخصية أساسا التي ترغب بشدة في إيجاد الزوج المناسب و على الرغم من أنها ستحصل عليه لاحقا إلا انه سيأتي من يبعده عنها بسهولة، وهذا ما توحى به لقطة النفخ و تطاير المجسمات.. وهذا كله يجتمع ليخلص فكرة المسلسل العامة حول موضوع الزواج والعنوسة، وقد يكون استخدام اللون الأبيض لكتابة اسم البطلة يوحي بشخصيتها الطيبة أو يشير إلى عملها كصيدلية.

أما بالنسبة لأغنية الجنريك فتبدو متناسقة مع روح العمل حيث تكون أحيانا خفيفة وكأنها توحى بالطابع الكوميدي للمسلسل وأحيانا تعلق لتصبح النغمات متسارعة، وأحيانا هادئة وحزينة وذلك حسب اللقطة المصاحبة، وعلى ما يبدو إن استخدام اللقطة المقربة يكون للتعريف بالشخصية المحورية من خلال تعابير وجهها، ويظهر الغراب فجأة الذي يخطف مجسم الزوج لخلق جو الإثارة لدى المشاهد.

إن الحظ العاثر يتبع البطلة أينما ذهبت ورغم ذلك تبقى مصممة تلاحق حلمها في الزواج بكل الطرق، وهو ما تشير إليه لقطة البحر في "لقطة متوسطة" للبطلة وأمها الممسكة بشراع قارب، وهي بذلك تعطينا تفاصيل أكثر حول ما سيأتي ضمن أحداث المسلسل أين تكون أم البطلة هي المبادرة في البحث عن الزوج متحدية هي الأخرى كل الظروف التي تواجههما لتحقيق غايتهم وهذه المصاعب قد تمثلها الأمواج وإمساكها بشراع الحب قد يوحي بذلك الدور.

استعمال الحركة البانورامية عادة لإظهار بعض الجمالية و لجعل المتلقي يشعر بتتابع الأحداث وديناميكيته وهذا ما تساهم اللقطة المتوسطة بإبرازه لكونها لقطة وظيفية تظهر فيها أن العجوز التي تتدخل بكل شؤون البطلة حسب نظرتها للكتاب الذي بين يديها وهي شخصية مخيفة يمكن اعتباره أحد العوائق التي تقف بوجه زواج البطلة، هذا ما يمكن أن تشير إليه اللقطة الموالية خاصة مع ترافق لقطة العجوز مع سقوط الجسم من أعلى الصخرة.

وهي من جهة أخرى تعطي دلالة أخرى إذ تؤكد الخط الدرامي الرئيسي للعمل المقدم، بعدها تأكيد على الصورة السميائية النمطية التي تدور حول العجوز التي لا تريد الخير للبطلة، وفي نفس الوقت تأكيد لدور الأم كمساعد أساسي، ولقطة الكهل القريبة تبرز تعابير وجهه اللامبالية لتخلق حالة ترقب وقلق للمشاهد حول من يكون ومشاهدة المسلسل يجعلنا نعرف انه الأب الذي تهمة الأخبار أكثر من زواج ابنته على خلاف زوجته، وهو نفس منطق أخ البطلة الشاب الغير مهتم في اللقطة التي تليها .

يتم تأكيد الموضوع الرئيسي مرة أخرى وهو الرغبة في الزواج من خلال عدم التمكن من الإمساك بالزهور، وهي دلالة على عدم القدرة على تحقيق أمنية الزواج أين تظهر البطلة في أسفل اللقطة وقد فشلت في إمساك الباقية ليستخد لقطه مقربة تظهر تعابير الفشل والحزن بشكل واضح على وجه الممثلة الرئيسية.

#### 4.4 استنتاج:

يمكن أن نلاحظ بعض العلامات والإشارات التي تدل على بعض القيم الاجتماعية التي ربما يريد صاحب العمل إيصالها للجمهور، ويمكن اختصارها في بعض الرموز التي وردت في لقطات مختلفة من الجنريك، ويمكن تلخيصها في ما يلي:

- طائر الغراب الأسود يرمز إلى التشاؤم والتطير والحظ العاثر الذي ربما تحاول من خلاله البطلة تفسير عدم تقدم العرس لها، وان كان هذا غير صحيح ومخالف للعقيدة الإسلامية إلى أن الكثير من النساء يعتقدن في هذا.
- الأب يقرأ جريدة وهو غير منتبه، ربما هي محاولة الإيحاء بأن مهمة تزويج البنات ملقى على عاتق الأم بالدرجة الأولى، ومع أن هذا غير صحيح من الناحية الشرعية والواقعية فهو شائع عند كثير من الناس.

- صور العرائس والمجسمات المتحركة الهاربة والمتناثرة هنا وهناك تأكيد للرسالة اللسانية المتمثلة في العنوان المختار بمعنى أريد ن أتزوج، وهذا أسلوب يستخدم كثيراً في الجنريك لترسيخ العنوان بثلاث دلالات قد تأتي أحياناً مجتمعة، ونعني بها العنوان المكتوب والرسم المصاحب له الذي يحاول تجسيد الخط الدرامي وأغنية الجنريك التي قد تتضمن كلمات العنوان ملحنة مع موسيقى مصاحبة.

- اللباس المستعمل يعكس بوضوح ما هو شائع أو يراد له أن يكون كذلك بمعنى أن المرأة الكبيرة أو الجدة عادة ما تظهر في المسلسلات محتشمة في لباسها وفي الغالب يتم اختيار اللون الأسود للدلالة على زهد المرأة في هذه المرحلة من العمر وتحاشيها جميع الألوان الزاهية، والمرأة الشابة وخاصة تلك المقبلة على الزواج أو التي تبحث على زوج كما هو حال المسلسل يحق لها أن تردي ما تشاء بدون أن تلتزم بأي ضابط أخلاقي.

- في اللقطة الخامسة تظهر مجموعة من الأيدي تحاول التقاط شيء ما، ثم تظهر بطلة القصة في نفس اللقطة وهي تحاول الإمساك بياقة ورد، وهذه عادة منتشرة في المجتمعات الغربية تقتضي أن ترمي العروس في يوم زفافها بياقة ورد بشكل عشوائي على مجموعة من الفتيات العازبات الحاضرات، ومن أمسكت بالياقة تكون محظوظة بالظفر بالعريس القادم، وهو نوع من التطير أو التفاؤل، وبغض النظر عن المغزى من هذه العادة فهي غير في منتشرة في العالم العربي ويجعل السبب لإقحام هكذا أمور في أعمال فنية يفترض أنها موجهة لجمهور لا يؤمن بها.

#### نتائج الدراسة

1- يلاحظ اهتمام متزايد في جنريك المسلسلات العربية بأغنية "الشارة" كما شاع استعمالها. ويظهر الاهتمام من خلال اختيار مطرب مشهور وملحن مشهور لوضع أغنية خاصة فقط بالجنريك وتمتاز في الغالب بالكلمات القوية والموسيقى الجيدة وتكون في مضمونها تخدم السياق العام لسيناريو المسلسل. وهذا ما يعطيها بُعداً إخبارياً إضافة إلى البعد الجمالي.

إن الملاحظ على أغاني مقدمات المسلسلات أنها مُتقنة بشكل جيد، وتؤدي وظيفتها بطريقة جيدة أيضاً، كلماتها خفيفة، وإيقاعها الموسيقي يأسر المتلقي ويجعله يحفظها عن ظهر قلب، وتكون هي الرابط أو المذكر الدائم بقدم حلقة جديدة، ويمكن أن يسمع المشاهد المقطع الموسيقي وهو بعيد كأن يكون في المطبخ ليعرف عنوان المسلسل المعروف.

أن أغنية الجنريك تكون كلماتها قوية ومرتبطة بشكل كبير بأحداث القصة، كما يلاحظ محاولة ربط الكلمات مع اللقطات والمشاهد المعروضة، وهذا ما يعطيها مصداقية من ناحية ويساعد في ترسيخ المسلسل في ذهن المتلقي من ناحية أخرى، إذ هو يتعرض لقصف ثلاثي متقن يجعله لا ينسى العمل لسنوات قد تطول، فالقصف الأول "مرئي" إذ هو يرى عنوان المسلسل مكتوب بخط عريض على الشاشة،

والقصف الثاني يسمع عنوان المسلسل في "أغنية" الشارة يتكرر أكثر من مرة، أما القصف الثالث فيتمثل في مشاهد مختارة بعناية فائقة "للشخصيات الرئيسية" للمسلسل التي بدونها لا تعرف العمل.

(2)- يلاحظ اهتمام المخرجين بصفة عامة وربما مبالغ فيها بشريط الصوت على حساب شريط الصورة، وربما يعود هذا في الأساس أن شريط الصورة يتم "ملأه" باختيار أقوى اللقطات وأقوى المشاهد التي "تُقص" من المسلسل عموماً، و"تلصق" بطريقة محكمة يتم فيها إبراز نقاط قوة المسلسل وبعض البؤر الصغرى إضافة إلى ظهور أهم الشخصيات الرئيسية وهذا الكلام يعني أن الاجتهاد في شريط الصورة لا يكون إلا من خلال "اختيار" ما سيُعرض من مجموع المشاهد المصوّرة، أما في شريط الصوت فالحوار يغيب والأصوات تغيب ويعوض كل هذا بمحاولة ملأ هذا الشريط بأغنية الشارة كما قلنا سابقاً. مع ملاحظة أن هناك استثناءات في هذا المجال فبعض الأعمال تشهد ثورة في مجال إخراج الجنيريك وخاصة عند بعض المخرجين، فالجنيريك يتحول عند هؤلاء إلى "فيلم قصير" يتم إنجازه بشكل مستقل عن المسلسل تظهر فيه مختلف العناصر الفنية الإبداعية التي نجد بصمة المخرج فيها واضحة، وإن كانت أغنية الشارة موجودة فهي لا تغطي المشاهد التي يتم تصويرها خصيصاً للعمل الفني، وتكون في الغالب متناسبة ومتناسقة مع الاتجاه العام للمسلسل.

(3)- يتم الاعتماد بصفة عامة على اللقطات المتوسطة والقريبة لإبراز التفاصيل بشكل أوضح، وهذا ما يتفق بصفة عامة مع طبيعة التلفزيون الذي هو جهاز صغير مقارنة مع السينما، فالمشاهد يكون في الغالب قريباً من الشاشة.

يتم التركيز بصفة كبيرة على اللقطات المتوسطة ، وهذا يعود في الأساس إلى أهميتها الدرامية في كونها لقطة تساعد في الدفع بالقصة إلى الأمام زيادة على كونها تعمل على الربط بين الأنواع المختلفة للقطات، ويعتبر النجاح في استعمال اللقطة المتوسطة في الربط بين اللقطة القصيرة والطويلة هو نجاح للعمل الفني ككل، وهذا يشبه إلى حد بعيد نجاح الكاتب في الربط بين الأفكار والجمل، ثم تأتي اللقطات القريبة في المرتبة الثانية من حيث كثرة الاستخدام، وهي لا تستعمل كما قد يتوهم، بشكل عبثي غير مدروس فهذا قد يؤدي إلى نتائج سلبية تؤثر على الشكل الفني النهائي للعمل الدرامي، فرغم كونها مؤثرة وفعالة جداً في جذب المشاهد إلا أنه يجب استعمالها بذكاء وفي الوقت المناسب. ولا تنحصر قوة اللقطة التلفزيونية في قدرتها على التكوين البصري للصورة فحسب بل في النجاح في وضعها بشكل دقيق في السياق العام للمسلسل.

(4)- الديكور بصفة عامة والملابس بصفة خاصة لا تعطي واقعية للعمل الدرامي فحسب بل تعكس التوجه الإيديولوجي العام للعمل الفني، فهو تبرز بشكل أو بآخر المضمون الفني الذي يزداد توصيله للجمهور. ويلاحظ الاهتمام بشكل كبير وجدي بالديكور والملابس في حين يعتمد بشكل كبير ومبالغ فيه أعلى أداء الممثلين النجوم



لإنجاح العمل ولهذا تصرف لهم أجور كبيرة جدا، وهذا في اعتقادي خطأ كبير فالديكور من أهم وظائفه وضع المتفرج في الجو العام للعمل وهذا في غير مقدور الممثل فعليه إن الاعتماد على ديكورات بسيطة جاهزة دون إدخال اللمسة الفنية فيه أمر يضعف قوة الإقناع في الصورة التلفزيونية.

(5)- إن ترسيخ الواقعية في الأعمال الدرامية لا يعني بالضرورة القفز على منظومة القيم الخاصة بالمجتمعات الإسلامية إذ في اعتقادي لا يوجد تعارض بين الأمرين بدليل وجود أعمال درامية جيدة من الناحية التقنية والجمالية ومراعية لحد كبير لقيم المجتمع الذي يفترض أنها لأجله أنجزت.

### المراجع

- أديب خضور، سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون، الدراما التلفزيونية، دار الأيام، الجزائر، ط1، 1999.
- شكري عبد المجيد، الدراما التلفزيونية فن كتابة واخراج التمثيلية التلفزيونية، دار الفكر العربي، 2009.
- عبد الحميد درويش، الدراما في الراديو والتلفزيون، المدخل الاجتماعي للدراما، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2012.
- نسمة احمد البطريق، نقد الفيلم والمسلسل، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.
- نسمة احمد البطريق، الدلالة في السينما والتلفزيون في عصر العولمة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.
- Alexandre Tylsky, Le générique de cinéma : histoire et fonction d'un fragment hybride, Toulouse, presse universitaires de Mirail, 2009.
- Alex Mucchielli, Savoir interpréter. Comment les choses acquièrent leurs significations, Paris, Armand Colin, 2012.
- Ariane Hudelet, Le générique, moment – clé des séries télévisées, université Paris-Diderot, 2009 .
- Laurence Moinereau , le générique de film, presses universitaires de Rennes, 2009.

### الدوريات

- مخلوف بوكروح، " البعد الإبداعي والجمالي في الكتابة المسرحية للإذاعة والتلفزيون"، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، العدد الثاني، 2001
- سعيد بنكراد ، "السيمائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها"، مجلة علامات، المغرب، العدد16، 2003

### الرسائل الجامعية

- يخلف فايزة، خصوصية الإشهار التلفزيوني الجزائري في ظل الانفتاح الاقتصادي، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر 2005 .

### مواقع الكترونية

- غادة عبد العال، عايزة أتجوز، <http://mybook4u.com>، تاريخ الاطلاع على الموقع: 2012-4-5

- نهاد سيريس، مدخل إلى الرواية التلفزيونية ، تاريخ الاطلاع على الموقع: 2012-12-11، [www.syrigate.com/nihadsyrees/jaridah/mak-005.html](http://www.syrigate.com/nihadsyrees/jaridah/mak-005.html)

## مدى مساهمة محتويات الكتاب المدرسي في تنمية الاختيارات المهنية للتلاميذ

( كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي نموذجاً )

### الملخص

هدفت الدراسة الحالية إلى تحديد مدى ملائمة محتوى كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي لتحقيق أهداف تنمية الاختيار المهني لدى التلاميذ، وذلك من خلال استقصاء آراء معلمي و معلمات اللغة العربية في المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية على مستوى بلدية عنابة - حيث تكونت فرضيتين اثنتين تنص الأولى على أن كتاب موضوع الدراسة يحقق الأهداف العامة لتنمية الاختيار المهني المنصوص عليها في المنهاج، و تنص الثانية على أن ترتقي إلى المستويات السنة للمجال المعرفي لـ " بلوم "

أ. نضيرة إغمين

قسم العلوم الاجتماعية  
جامعة قالم  
الجزائر

وقد خلصت الدراسة الحالية إلى أن محتوى الكتاب موضوع الدراسة ملائم لتحقيق أهداف تدريسية خاصة بتنمية الاختيار المهني، ولكن في المستويات الدنيا للمجال المعرفي لـ " بلوم " ( المعرفة، الفهم، التطبيق ) في حين لا ترتقي هذه الأهداف إلى المستويات العليا ( التحليل، التركيب، التقويم ).

### Résumé

#### مقدمة

**ي**مر العالم اليوم بتغير سريع، ولكل مجتمع من المجتمعات تطورات متضمنة داخل خطته التنموية والاقتصادية و السياسية والاجتماعية والثقافية، ولتحقيق خطط التنمية هذه لا بد أن يتوافر عنصران أساسيان هما العنصر المادي من رأس مال ومواد وآلات وغيرها، إضافة إلى العنصر البشري المتمثل في قوة العمل اللازمة لاستثمار العنصر المادي، والذي تعد المدرسة العامل المسؤول عن إعداده.

إذ أن التربية اهتمت حديثاً بالعمل لذلك ربطت بينه وبين المدرسة، فلم تعد هذه الأخيرة مجتمعا بعيدا عن الحياة ومتطلباتها عامة، وخاصة الاجتماعية والاقتصادية، بل أصبحت بمفهوم

L'objectif de cette recherche est de déterminer l'adéquation entre les contenus du manuel d'éducation civique de la 4<sup>ème</sup> année primaire et la réalisation des objectifs de développement des choix professionnels chez les élèves et ceci à travers une enquête auprès des enseignants de langue arabe dans les écoles primaires de la commune d'Annaba.

Ce travail a été réalisé sur la base de 2 hypothèses ; la première considère que le manuel scolaire réalise les objectifs généraux de développement des choix professionnels visés et la seconde considère que le niveau de ces objectifs touche les différents niveaux de la taxonomie du domaine cognitif de Bloom.

التربية الحديثة تعتبر العمل جزءا لا يتجزأ من عملها اليومي، كما أصبحت تهدف إلى إعداد المتعلم لأن يكون عامله فاعلا ومنتجا بما يناسب والتطور المنشود، لذلك كان لزاما على عملية تنمية الاختبار المضي أن تبدأ في المدرسة بجميع مراحلها بما فيها المدرسة الابتدائية التي تضم عادة الأطفال الذين تقع أعمارهم بين ستة وإثني عشر سنة تقريبا، وتتميز هذه الفئة من التلاميذ بتفتح استعداداتها

Les résultats obtenus indiquent que les contenus du manuel contribuent à la réalisation des objectifs pédagogiques relatifs au développement des choix professionnels chez les élèves et que l'atteinte de ces objectifs touche seulement les niveaux inférieurs ( connaissance , compréhension et application) de la taxonomie de Bloom et ne touche pas les niveaux supérieurs ( analyse, synthèse et évaluation).

وقدراتها العامة والخاصة وميولها واهتماماتها الدراسية والمهنية، وتسمح هذه الاستعدادات والقدرات والميول للعاملين في التربية وعلم النفس بدراستها وتقويمها وتنميتها بما يناسب وحاجاته المجتمع وسوق العمل، بحيث يتمكن التلميذ في هذه الفترة من تنمية هذه القدرات والميول بما يناسب مع ما هو متوافر فيها في مجال العمل والدراسة، وبالتالي يدفعه تدفعه للتفكير السليم للتوفيق بين واقعه وطموحاته المستقبلية تفكيراً يقترب من الواقعية أحيانا ومن الطموح البعيد أحيانا أخرى .

وتتم عملية التربية المهنية أو بالأحرى تنمية الاختبارات المهنية للتلاميذ في هذه المرحلة من خلال المناهج والكتب المدرسية التي تعتبر في هذا المجال سندا بيداغوجيا للمتعلم يتضمن عددا من الوحدات الدراسية التي تعمل على تنمية المهارات التي تدور حول البيئة المحلية لتلميذ هذه المرحلة ، بحيث تكون الأساس الذي يمكن أن يبنى عليه مهنة المستقبل، على أن تتضمن هذه الوحدات دراسة الحرف والمهن المختلفة السائدة في البيئة، مع توضيح الأعمال والخدمات التي تقدمها ومدى حاجة المجتمع إلى هذه الخدمات، وهناك عدة أساليب يمكن أن تساعدنا على تحقيق أهداف تنمية الاختبار المهني عند الأطفال بإتاحة الفرصة أمامهم ليكونوا اتجاهات نحو تقدير واحترام العمل والعمال، إضافة إلى زيادة مختلف المؤسسات وكتابة تقارير عن هذه الزيارات، أو إعطاء واجبات مدرسية تتطلب من الطفل إنجاز تقرير عن مهنة والده أو أحد أفراد أسرته أو جيرانه، وكل هذا يتم تحقيقه انطلاقا من مضامين الكتب المدرسية.

بناء على ما ورد فإن قضية تنمية الاختبارات المهنية قضية مهمة سواء على المستوى العالمي أو على المستوى المحلي، والمتصفح لمضامين مناهج المواد الدراسية يلاحظ إدراك القائمين على إعداد هذه المناهج لأهمية التربية المهنية وضرورة أن تساهم المناهج الدراسية بهذه التربية، وتحديد منهاج التربية المدنية الذي اتحد في خطوطه العريضة على الاهتمام بتنمية الاختيار المهني لدى التلاميذ.

## إشكالية الدراسة:

يتسم العصر الحديث بالتغير الثقافي السريع، والذي يمكن إرجاعه إلى التقدم العلمي والتكنولوجي المذهل الذي تتأثر به المجتمعات الحديثة في كافة أرجاء الأرض، مما أدى إلى تحول سريع وكبير في أساليب الحياة فيها، وقد يجد الإنسان نفسه منعزلاً عن الواقع ما لم يكيف تفكيره ومؤسساته الاجتماعية والسياسية والتربوية مع عصر التقدم و الاكتشافات العلمية والتكنولوجية.

وفي هذا الصدد لم تعد التربية مجرد عملية تلقين التلاميذ بالمعلومات و تزويدهم بالمعارف العامة والمتخصصة بل أصبحت في الوقت الحاضر عملية استثمارية ذات مردود إنتاجي، حيث تزود التلميذ بالمعلومات وتكسيه الاتجاهات والمهارات اللازمة لإعداده كمواطن واعي يسهم في تقدم المجتمع و تطوره وتحقيق أهدافه الحاضرة والمستقبلية، وإن الدور الدينامي الذي تلعبه التربية في تنمية المجتمع و تطوره ليس وليد اليوم، بل هو يمثل تواصلًا مستمرًا في إطار تطور التربية منذ أقدم العصور وخاصة خلال القرون الأربعة السابقة حيث أكد "جون جاك روسو" على أهمية تكوين الإنسان وتنمية شخصيته و توثيق علاقته بالمجتمع وذلك في كتابه الشهير "إميل" منذ القرن السابع عشر، وفي بداية القرن الماضي كان "فرانك بارسونز" أول من ذكر عبارة "التوجيه الحرفي أو المهني" في تقرير له عام (1909) في الوم.أ مؤكداً على أن التوجيه المهني يجب أن يصبح جزءاً لا يتجزأ من البرنامج المدرسي في جميع المجتمعات، كما تشير منظمة اليونسكو في تقرير لها عام (1981) إلى أن الاتجاه التطبيقي في التربية أصبح يجسد مبدأ الجمع بين الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وبين الأهداف التربوية والتعليمية، حيث جرى إدخال العمل المنتج والعمل النافع للمجتمع ضمن مناهج التعليم المدرسي أو في التعليم العالي، لا لقيمة العمل التربوي فحسب بل أيضاً لقيمه الاقتصادية وإسهامه في تعزيز الإنتاج.

وإن تحقيق التفاعل المستمر بين التربية والعمل يساعد التلاميذ ويدفعهم إلى تقدير وتقبل القيم والاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية لمختلف أنواع العمل وذلك منذ عمر مبكر، حيث يبرز التأكيد على ذلك في مجالات مختلفة منها الإعداد المهني منذ الطفولة وحتى الشباب، وشموله جميع النشاطات الحياتية، وأن تتم الموازنة بين الأنشطة المتميزة و بين خصائص المراحل العمرية التي يمر بها الفرد وكل ما يظهر خلالها من إمكانيات جسمية وعقلية وسلوكية، فأعداد الفرد للعمل يجب أن يبدأ منذ عمر مبكر لما تتميز به هذه الفترة من سمات تجعلها ملائمة للإعداد المهني.

وبما أن المدرسة هي المؤسسة التربوية النظامية التي أوكل لها المجتمع مهمة القيام بالوظيفة التربوية النظامية وعملياتها، وإن كانت المدخلات المدرسية جميعها من معلمين و تلاميذ ومناهج و مواد تعليمية وسواها تسهم في مخرجات التربية، فعمل محتوى المناهج الدراسية أن يكون له أكبر الأثر في إكساب التلاميذ المهارات الحياتية

أي تلك المهارات التي تجعلهم قادرين على التفاعل مع الحياة الحالية بكل إيجابياتها و سلبياتها، وبالتالي تكون المعارف التي تحويها الكتب المدرسية ذات وظيفة أساسية هي عرض الجانب النظري للمهارة، على أن يتم ذلك مع ما يتاح للمتعلم من فرص الممارسة وتطبيق كل ما درسه نظريا في واقع الحياة، وبالنظر إلى الأهمية التي يكتسبها الكتاب المدرسي في عملية التربية والتعليم وباعتباره الوسيلة التطبيقية لمحتويات المنهاج، رأينا ضرورة الوقوف على مستوى أهداف تنمية الاختيار المهني للتلاميذ التي يحققها نموذج من الكتب المدرسية للطور الابتدائي تمثل في كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي .

وفي ظل هذه المعطيات والتوصيف الذي يتفق مع وجهة نظر الباحثة حول مشكلة الدراسة التي تتمثل في تقدير مدى مساهمة محتوى الكتاب المدرسي في تحقيق أهداف تنمية الاختيار المهني لدى التلاميذ من خلال آراء معلمي اللغة العربية المشرفين على تدريس محتويات هذا المنهاج "التربية المدنية" للسنة الرابعة ابتدائي، لذلك ستحاول الدراسة الإجابة على السؤال الرئيسي التالي: إلى أي مدى يساهم محتوى الكتاب المدرسي في تحقيق أهداف تنمية الاختيار المهني لدى التلاميذ ؟

#### أسئلة الدراسة :

- 1- كيف يرى معلمو اللغة العربية ملائمة محتوى كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي لتحقيق الأهداف العامة لتنمية الاختيار المهني المنصوص عليها في المنهاج ؟
- 2- كيف يرى معلمو اللغة العربية ملائمة محتوى كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي لتحقيق أهداف سلوكية خاصة بتنمية الاختيار المهني؟ وإلى أي مستوى من مستويات المجال المعرفي ل "بلوم" ترتقي فيه هذه الأهداف السلوكية؟

#### أهداف الدراسة :

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق هدفين أساسيين هما:

- 1- استطلاع آراء معلمي اللغة العربية في المرحلة الابتدائية لتحديد مدى ملائمة محتوى كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي لتحقيق أهداف تنمية الاختيار المهني لدى التلاميذ ، سواء كانت أهداف عامة منصوص عليها في منهاج هذه المادة أو أهداف سلوكية تدريسية يجسدها المعلم المشرف على العملية التعليمية، بالإضافة إلى تحديد المستويات المعرفية التي ترتقي إليها الأهداف السلوكية و ذلك في إطار تصنيف " بلوم " للمجال المعرفي.

- 2- الخروج باقتراحات فيما يخص محتويات الكتب المدرسية و النقاط الواجب أخذها بعين الاعتبار من قبل خبراء المناهج في عمليات تطوير و تحديث الكتب.

#### منهج الدراسة :

إن الدراسات والبحوث النفسية والتربوية تفرض على الباحث اختيار المنهج

الملائم لها، والمعيار الأساسي في استخدام منهج معين في البحث هو ما إذا كان المنهج يوفر الإجابة عن تساؤلات البحث، ويوصل بالتالي إلى النتائج الصحيحة والموضوعية ونظرا لطبيعة موضوع الدراسة الميدانية فإننا اعتمدنا على المنهج الوصفي " " الذي يعتبر " أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة وتصويرها كميا عن طريق جمع بيانات ومعلومات مقننة عن الظاهرة أو المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة " (ملحم، 2002، ص 245) ونظرا لموضوع الدراسة الهادف إلى معرفة مدى مساهمة الكتاب المدرسي في تنمية الاختيارات المهنية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من خلال المحتوى الذي يعرضه، فقد كان من المفروض إتباع المنهج الوصفي من نوع "تحليل المضمون " على اعتباره الأنسب في هذا النوع من الدراسات، ونظرا للصعوبات التي واجهتنا عند محاولتنا اعتماد هذا المنهج كعدم توفر الباحثين المدربين للمشاركة في عملية التحليل ، فقد تم اعتماد " الاستمارة كأداة لجمع البيانات من خلال استطلاع آراء معلمي اللغة العربية لهذا الطور التعليمي، و سوف نستعرض لاحقا مراحل إعداد واعتماد أداة الدراسة .

### مجتمع الدراسة و عينتها :

يتكون المجتمع المستهدف لهذه الدراسة من جميع معلمي ومعلمات اللغة العربية والبالغ عددهم (143 معلما و معلمة ) والذين يدرسون الصف الرابع الابتدائي في جميع المدارس الابتدائية الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم على مستوى " بلدية عنابة " والبالغ عددها (73 مدرسة ابتدائية) .

وشملت عينة الدراسة جميع أفراد مجتمعها ، ولهذا فإن توزيع أفراد عينة الدراسة هو نفس توزيع أفراد مجتمعها ، و قد وزعت أداة الدراسة عليهم جميعا، وبعد جمع الإستبانات تم اعتماد (120) استبانة واستبعاد (23) استبانة وذلك لعدم اكتمال الإجابة عليها .

بذلك تصبح عينة الدراسة في صورتها النهائية مكونة من (120 معلما و معلمة ) أي ما نسبته 83,91 من مجتمع الدراسة.

### أداة الدراسة :

تهدف الدراسة الحالي إلى استقصاء آراء معلمي اللغة العربية القائمين على تدريس الصف الرابع الابتدائي حول مساهمة محتويات كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي في تحقيق أهداف تنمية الاختيارات المهنية لدى تلاميذ هذه المرحلة التعليمية، و لبلوغ ذلك تم إعداد الأدوات التالية:

- 1- وضع قائمة خاصة بالأهداف العامة لتنمية الاختيار المهني لمنهاج التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي المحددة من قبل وزارة التربية الوطنية ,
- 2- بناء قائمة للأهداف التدريسية (السلوكية) المستوحاة من المفاهيم الخاصة بتنمية

الاختيار المهني الموجود على مستوى الكتاب المدرسي موضوع الدراسة موزعة على المستويات الستة للمجال المعرفي لـ "بلوم" .

و فيما يلي نتعرض إلى وصف مفصل لإعداد هذه القوائم :

1- قائمة الأهداف العامة لتنمية الاختيار المهني لتدريس منهاج التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي المحررة من قبل وزارة التربية الوطنية :

للإجابة على السؤال الأول من الدراسة تم حصر مجموعة من الأهداف العامة لتنمية الاختيار المهني المنصوص عليها في منهاج التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي (منهاج السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، 2005، ص ص67، 69) و التي تنص في محتواها على جوانب تنمية الاختيار المهني و عددها (11) هدفا عاما .

2- قائمة الأهداف التدريسية ( السلوكية) موزعة حسب تصنيف "بلوم" للمجال المعرفي والمستوحاة من المفاهيم الخاصة بتنمية الاختيار المهني الموجود على مستوى الكتاب المدرسي موضوع الدراسة :

للإجابة على السؤال الثاني من الدراسة تم بناء الأهداف التدريسية أو السلوكية المستوحاة من المفاهيم الخاصة بتنمية الاختيار المهني الموجودة على مستوى الكتاب المدرسي، والتي تم توزيعها حسب المستويات الستة لنموذج "بلوم" للمجال المعرفي (التذكر، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم ) وذلك بغرض التأكد من أن الكتاب المدرسي موضوع الدراسة يحقق أهداف سلوكية ترتقي إلى مستويات عليا من تصنيف "بلوم" للمجال المعرفي .

وقد تم التوصل إلى توزيع هذه المفاهيم الخاصة بتنمية الاختيار المهني على المستويات الستة للمجال المعرفي لـ "بلوم" ، وقد كتبت هذه المفاهيم على شكل أهداف تدريسية (سلوكية) حتى تكون قابلة للقياس باعتبارها أكثر وضوحا وتحديدا ، فكان نصيب المستوى الأول (المعرفة أو التذكير) (19) هدفا تدريسيا ، وكان نصيب المستوى الثاني ( الفهم) (12) هدفا تدريسيا، و كان نصيب المستوى الثالث (التطبيق) (05) أهداف تدريسية، والمستوى الرابع (التحليل) (04) أهداف تدريسية، و المستوى الخامس(التركيب) (04) أهداف تدريسية ، أما المستوى السادس والأخير حصل على (التقويم) (2) هدفين تدريسيين.

### صدق الأداة : ( la validité )

للتأكد من صدق أدوات الدراسة ، تم عرض القائمتين في صورتها الأولية :

1- قائمة الأهداف العامة لتنمية الاختيار المهني لتدريس منهاج التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي المحددة من قبل وزارة التربية الوطنية .

2- قائمة الأهداف السلوكية المستوحاة من المفاهيم الخاصة بتنمية الاختيار المهني



الموجودة على مستوى الكتاب المدرسي موضوع الدراسة (موزعة حسب تصنيف "بلوم" ط للمجال المعرفي) ، على مجموعة من المحكمين من أعضاء هيئة التدريس بجامعة عنابة (قسمين علم النفس و علم الاجتماع )، وتم الحكم على القوائم من حيث الصدق الظاهري المعبر عنه بانتماء البنود للسمات المقاسة .

وقد شرع في توزيع هذه القوائم على السادة المحكمين في منتصف شهر مارس 2007 و تم جمعها في أواخر شهر أبريل 2007

ويعد إجراء عملية قياس الصدق على القوائم الأولية أصبحت القوائم النهائية على الشكل التالي:

1- قائمة الأهداف العامة لتنمية الاختيار المهني لتدريس منهاج التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي المحددة من قبل وزارة التربية الوطنية: بعد إجراء عملية الصدق تم حذف (4) أهداف عامة من القائمة الأولية، وهي الأهداف التي كان يتفق على عدم صلاحيتها 3 محكمين، وبالتالي أصبحت القائمة النهائية للأهداف العامة مكونة من(7) أهداف عامة، وهي القائمة التي أصبحت صالحة للاستعمال لأغراض الدراسة الحالية .

2- قائمة الأهداف السلوكية المستوحاة من المفاهيم الخاصة بتنمية الاختيار المهني الموجودة على مستوى الكتاب المدرسي موضوع الدراسة (والموزعة على المستويات الستة للمجال المعرفي لـ"بلوم" ).

بعد إجراء عملية الصدق عليها تم حذف(10) أهداف تدريسية من القائمة الأولية ،وهي الأهداف التي كان يتفق على عدم صلاحيتها ثلاثة محكمين، بحيث أصبحت القائمة النهائية للأهداف التدريسية السلوكية مكونة من (35) هدفا تدريسيا وهي القائمة التي أصبحت صالحة للاستعمال لأغراض الدراسة الحالية، و قد تم عرض كلا القائمتين في استمارة واحدة ،مع فصلهما بوضع كل قائمة في جدول خاص بها .

### ثبات الأداة: (La fidélité)

هناك طرق متعددة لقياس الثبات، أما الطريقة التي استعملت في قياس ثبات أداة هذه الدراسة فهي طريقة معامل ( $\alpha$ )، التي اقترحها وطورها " كروباخ" عام (1951) لتقدير ثبات مقاييس الاتساق الداخلي للاختيار، و يشيع استخدام هذه الطريقة في تقدير ثبات مقاييس الاتجاهات، واستطلاع الرأي ( البنهان ، 2004 ، ص248 ) كما هو الشأن في الدراسة التي نحن بصدها .

- وقد تم حساب معامل ثبات الأداة على عينة استطلاعية من خارج مجتمع الدراسة، حيث تم اختيار (40) معلما ومعلمة للسنة الرابعة ابتدائي في مدارس مختلفة من ولاية عنابة ، و قد تم حصر أفراد هذه العينة بالتعاون مع عدد من مفتشي اللغة العربية المشرفين على مختلف المقاطعات الدراسية على مستوى الولاية، حيث قام المفتشين (وعددهم خمسة) ، بتوزيع و استلام أداة الدراسة على أفراد العينة الاستطلاعية ، وبعد

ذلك تم حساب معامل الثبات للأداة ككل ولكل مجال من المجالات المكونين للأداة باستخدام معادلة كرونباخ ( $\alpha$ )

وسائل المعالجة الإحصائية: استخدمت في تحليل بيانات هذه الدراسة عمليات الإحصاء الوصفي، و قد تم اعتماد الأدوات الإحصائية التالية :

1- النسب المئوية لحساب دلالات الفروق بين استجابات أفراد العينة لمفردات الاستبيان .

2- معامل الارتباط ( $\alpha$ ) كرونباخ لقياس ثبات المقياس.

3- اختبار فرضيات الدراسة تم استخدام الرانز كا<sup>2</sup>.

4- وبناء على موافقة مجموعة من المحكمين تم اعتماد المحكات التالية للحكم على مدى ملائمة الكتاب للإجابة عن تساؤلات الدراسة و هذه المحكات هي :

-يعد محتوى الكتاب ملائماً لتحقيق أهداف تنمية الاختيار المهني بمستوى عال إذا كان متوسط أو أكثر . 70% التقديرات عليه

-يعد محتوى الكتاب ملائماً لتحقيق أهداف تنمية الاختيار المهني بمستوى منخفض إذا كان متوسط التقديرات عليه 50% أو أقل

- وفي ما عدا ذلك يعد محتوى الكتاب ملائماً بمستوى متوسط (أكثر من 50% و أقل من 70%)

#### عرض نتائج الدراسة :

1- عرض نتائج الفرضية العامة و فروعها

1-1- عرض نتائج الفرضية الجزئية الأولى :

كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي يحقق الأهداف العامة لتنمية الاختيار المهني المنصوص عليها في المنهاج.

أولاً : استجابات أفراد العينة لمفردات القائمة (1): قائمة الأهداف العامة لتنمية الاختيار المهني المنصوص عليها في المنهاج.

\* تعليق: بالنظر إلى استجابات أفراد العينة كمفردات القائمة رقم (1) نلاحظ ما يلي :

-أغلبية أفراد العينة اتفقوا على عدم ملائمة محتوى الكتاب لتحقيق الهدف العام رقم(1) الخاص بتنمية الاختيار المهني و الذي ينص على "قدرة التلميذ على تحمل المسؤولية إزاء الوطن و الآخرين و أداء الواجبات و ممارسة الحقوق " ، و قد بلغت نسبة الاتفاق على عدم الملائمة 60.00% من مجموع أفراد العينة ، بينما بلغت نسبة الاتفاق على الملائمة 40.00% من مجموع أفراد المستجوبين.

-أما فيما يخص بقية الأهداف العامة الخاصة بتنمية الاختيار المهني و التي تنص عليها المفردات رقم (2)،(3)،(4)،(5)،(6)،(7) ، فقد اتفق أغلبية أفراد العينة و المقدره نسبتهم بـ 73.74% على ملائمة محتوى الكتاب لتحقيقها ، بينما اتفق البعض على عدم ملائمته لتحقيق هذا الغرض و بلغت نسبتهم 26.27% من مجموع أفراد عينة الدراسة .

\* تعليق :

يظهر أن نسبة ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف تراوحت بين 87.50% كأعلى قيمة و بين 40.00% كأدنى قيمة .

و اعتمادا على محك تصنيف مستوى ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف ( عال ، متوسط منخفض) يكون المحتوى العلمي للكتاب ملائما لمستوى عال في تحقيق 05 أهداف ، بمستوى متوسط في تحقيق هدف واحد ، و بمستوى منخفض في تحقيق هدف واحد أيضا.

**\* تعليق**

بالنظر إلى إستجابات أفراد العينة لمفردات القائمة رقم (1) نلاحظ مايلي :

-ان أغلبية أفراد العينة إتفقوا على عدم ملائمة محتوى كتاب التربية المدنية لتحقيق الهدف العام رقم (1) الخاص بتنمية الإختيار المهني والذي ينص على قدرة التلميذ على تحمل المسؤولية إزاء الوطن والآخرين وأداء الواجبات وممارسة الحقوق وقد بلغت نسبة الإتفاق على عدم الملائمة ب:60.00%

من مجموع أفراد العينة بينما بلغت نسبة الإتفاق على الملائمة ب: 40.00% من مجموع الافراد المستجوبين .

-أما فيما يخص بقية الأهداف العامة الخاصة بتنمية الإختيار المهني والتي تنص عليها المفردات رقم (1). (2). (3). (4). (5). (6). (7) فقد إتفق أغلبية أفراد العينة والمقدرة نسبتهم ب: 73.74% على ملائمة محتوى الكتاب لتحقيقها بينما إتفق البعض على عدم ملائمته لتحقيق هذا الغرض .وبلغت نسبتهم 26.24% من مجموع أفراد عينة الدراسة.

يظهر أن نسبة ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف تراوحت بين 87.50% كأعلى قيمة و بين 40.00% كأدنى قيمة وإعتمادا على محك تصنيف مستوى ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف ( عال - متوسط - منخفض) يكون المحتوى العلمي للكتاب ملائما لمستوى عال في التحقيق 05 أهداف ، ولمستوى متوسط في تحقيق هدف واحد ، ولمستوى منخفض في تحقيق هدف واحد أيضا

**عرض نتائج الفرضية الجزئية الثانية :**

- كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي يحقق أهداف لوكية ترقى إلى المستويات الستة للمجال المعرفي ل " بلوم "

• أولاً : إستجابات العينة لمفردات القائمة (02) : قائمة الأهداف السلوكية المستوحاة من مفاهيم الخاصة بتنمية الإختبار المهني الموجود على مستوى الكتاب المدرسي موضوع الدراسة

• 1-1 : إستجابات العينة لمفردات مستوى المعرفة :

تعليق :

-أغلبية أفراد العينة إتفقوا على ملائمة محتوى الكتاب لتحقيق أهداف سلوكية ( إجرائية ) مصنفة في المستوى الأول للمجال المعرفي ل "بلوم " حيث إعتبروا أن كل الأهداف الموجودة في هذا المستوى و البالغ عددها 10 من أهداف قائمة (02) محققة في مستوى الكتاب موضوع الدراسة حيث بلغت نسبة الإتفاق على ملائمة الكتاب لتحقيقها 73.41 % بينما بلغت نسبة الإتفاق على ملائمته لذلك الغرض 26.41 % .

تعليق :

نسبة ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف تراوحت بين 93.33% كأعلى قيمة وبين 56.66% كأدنى قيمة

وإعتامادا على محك تصنيف مستوى ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف ( عال . متوسط . منخفض ) . و لمستوى متوسط في تحقيق الكتاب ملائمة لمستوى عال لتحقيق 5 أهداف سلوكية ( مستوى المعرفة ) . و لمستوى متوسط في تحقيق 5 أهداف سلوكية . 0 هدف سلوكي لمستوى منخفض.

• 2-1 : إستجابات العينة لمفردات مستوى الفهم :

تعليق :

هناك إجماع بين أفراد عينة الدراسة على ملائمة محتوى الكتاب لتحقيق الأهداف السلوكية المصنفة ضمن مستوى الفهم و التي تنص عليها المفردات رقم ( 11 ) ( 12 ) (14) (15) (17) (19) (20) (21) و لقد بلغت نسبة الإتفاق بينهم 70.55 % بينما أجمع البقية على عدم ملائمته و قدرت نسبتهم ب 29.41 % في حين تم الإتفاق بين أفراد عينة الدراسة على عدم ملائمة محتوى الكتاب لتحقيق الأهداف السلوكية المصنفة ضمن مستوى الفهم الخالصة بتنمية الإختبار المهني و التي تنص عليها المفردتين رقم (13)(18) حيث بلغت نسبتهم 42.49 % على ملائمته لتحقيق هذا الغرض .

• 3-1 : إستجابات العينة لمفردات مستوى " التطبيق " :

\*تعليق :

- هناك إجماع بين عينة الدراسة على عدم ملائمة محتوى الكتاب لتحقيق الأهداف السلوكية لتنمية الإختبار المهني المصنفة ضمن مستوى "التطبيق" و التي تنص عليها المفردات رقم (24) . (25) . (26) . وقد بلغت - نسبة الإتفاق على عدم ملائمة 63.88% من مجموع أفراد العينة, بينما أجمع البقية على ملائمة و قد قدرت نسبتهم بـ 36.10%

- هناك توافق في الآراء بين أفراد عينة الدراسة على ملائمة و عجم ملائمة محتوى الكتاب فيما يخص تحقيق الهدف الذي تنص عليها المفردة رقم (23) حيث إتفق 50.00% من هؤلاء على ملائمة لتحقيقه , واتفق في نفس الوقت 50.00% الباقون على عدم ملائمة .

- أما بالنسبة للهدف الذي تنص عليه المفردة رقم (22) , فقد بلغت نسبة الإتفاق على ملائمة محتوى الكتاب لتحقيقه 58.33% من أفراد العينة , بينما قدرت نسبة أفراد العينة الذين أقروا عدم ملائمة 41.66%

نسبة ملائمة المستوى لتحقيق الهدف السلوكي تراوحت بين 58.33 % كأعلى قيمة وبين 29.16 % كأدنى قيمة.

- و اعتمادا على محك تصنيف مستوى ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف ( عالي – متوسط منخفض) يكون محتوى الكتاب ملائما بمستوى عال في تحقيق ( 0 ) هدف سلوكي مستوى التطبيق و بمستوى متوسط في تحقيق هدفين سلوكيين و بمستوى منخفض في تحقيق 03 أهداف سلوكية.

#### • 4-1 إستجابات أفراد العينة لمفردات مستوى التحليل :

##### تعليق :

هناك إجماع بين أفراد عينة الدراسة على ملائمة محتوى الكتاب لتحقيق الأهداف السلوكية لتنمية الإختبار المهني المصنفة ضمن مستوى التحليل و التي تنص عليها المفردات رقم (27) (28) (29) وقد قدرت نسبة الإتفاق على عدم الملائمة بـ 66.66% في حين بلغت نسبة الإتفاق على الملائمة بنسبة 33.33% من مجموع أفراد العينة.

نسبة ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف السلوكي تتراوح بين 49.16 % كأعلى قيمة و 22.50% كأدنى قيمة

إعتمادا على محك تصنيف مستوى ملائمة المحتوى الهدف (عال- متوسط- منخفض ) يكون محتوى الكتاب ملائما وبمستوى منخفض في تحقيق الأهداف الثلاثة السلوكية المصنفة في مستوى التحليل من المجال المعرفي لـ " بلوم"

#### • 5-1 إستجابات العينة لمفردات مستوى التركيب :

تعليق :

- هناك إجماع بين أفراد عينة الدراسة على عدم ملائمة محتوى الكتاب لتحقيق كل الأهداف السلوكية لتنمية الإختيار المهني المصنفة ضمن مستوى التركيب و التي تنص عليها المفردات رقم (30) (31) (32) (33) وقد قدرت نسبة الإتفاق على عدم الملائمة ب 81.87% بينما بلغت نبة الإتفاق على الملائمة 18.12% نسبة ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف السلوكي تراوحت بين 26.66% كأعلى قيمة وبين 05.83% كأدنى قيمة.

واعتمادا على محك تصنيف مستوى ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف ( عال, متوسط, منخفض) يكون محتوى الكتاب ملائما و بمستوى منخفض في تحقيق الأهداف الأربعة المصنفة في مستوى التركيب من المجال المعرفي لـ : "بلوم".

- 1-6 إستجابات العينة لمفردات مستوى التقويم :

تعليق :

هناك إجماع بين أفراد عينة الدراسة على عدم ملائمة محتوى الكتاب لتحقيق كلا الهدفين السلوكيين لتنمية الإختيار المهني المصنفين ضمن مستوى التقويم اللذان تنص عليهما المفردتين رقم (34) (35) فقد قدرت نسبة الاتفاق على عدم الملائمة ب 85.41% بينما بلغت نسبة الاتفاق على الملائمة 14.58%.

نسبة ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف السلوكي تراوحت بين 16.66% كأعلى قيمة وبين 12.50% كأدنى قيمة.

واعتمادا على محك تصنيف مستوى ملائمة المحتوى لتحقيق الهدف ( عال - متوسط -منخفض )

يكون محتوى الكتاب ملائما وبمستوى منخفض في تحقيق الهدفين المتضمنين مستوى التقويم من المجال المعرفي

عرض نتائج الفرضيات الصفرية :

كان نص الفرضيات الصفرية التي تم اختبارها كما يلي :

1- لا توجد فروق دالة إحصائيا بين آراء المعلمين والمعلمات حول تحقيق كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة للأهداف العامة لتنمية الإختيار المهني المنصوص عليها في المنهاج

2- لا توجد فروق دالة إحصائيا بين نوات الخبرة المختلفة في آراء المعلمين حول تحقيق كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي للأهداف العامة لتنمية الإختيار المهني المنصوص عليها في المنهاج

- 3- لا توجد فروق دالة إحصائية بين آراء المعلمين و المعلمات حول تحقيق كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي حول تحقيق لأهداف سلوكية خاصة بتنمية الاختيار المهني ترتقي إلى المستويات الستة ل" بلوم "
- 4- لا توجد فروق دالة إحصائية بين سنوات الخبرة المختلفة في آراء المعلمين حول تحقيق كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي لأهداف سلوكية ترتقي إلى المستويات الستة للمجال المعرفي ل "بلوم"
- 5- وقد أظهرت نتائج اختبار (كا 2) وجود فروق دالة إحصائية بين متغيرات الجنس و الخبرة و بين آراء المعلمين حول مدى ملائمة محتوى الكتاب موضوع الدراسة لتحقيق أهداف تنمية الاختيار المهني و عليه تم نفي الفرضيات الصفرية الأربعة.

### تفسير ومناقشة نتائج الفرضية العامة

#### تفسير ومناقشة نتائج الفرضية:

- كان نص الفرضية هو : "الكتاب المدرسي للتربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي ملائم لتحقيق الأهداف العامة لتنمية الاختيار المهني المنصوص عليها في النهاج " .
- لقد بينت نتائج الدراسة الحالية أن الكتاب يحتوي على جميع الأهداف العامة لتنمية الاختيار المهني المنصوص عليها و البالغ عددها (7) أهداف عامة , ولكن بمستويات مختلفة حيث:
- \*يحتوي الكتاب علي خمسة (5) أهداف عامة بمستوى عال ( أي ما نسبته 71.42% من مجموع الأهداف ) .
- \*يحتوي على هدف عام واحد بمستوى متوسط (أي ما نسبته 14.28% من مجموع الأهداف
- \*يحتوي الكتاب على هدف واحد عام بمستوى منخفض (أي ما نسبته 14.28% من مجموع الأهداف).
- وهذه النتيجة تعطي مؤشرا على ملائمة محتوى الكتاب موضوع الدراسة لتحقيق قائمة أهداف تنمية الاختيار المهني الموجود في المنهاج , ويمكن أن يفسر ذلك بالتزام مؤلفي الكتاب بمتطلبات الخطوط العريضة لمنهاج التربية المدنية في مرحلة التعليم الابتدائي .

● 1-2 تفسير ومناقشة الفرضية الثانية :

- كان نص هذه الفرضية هو الكتاب المدرسي للتربية المدنية لسنة الرابعة ابتدائي ملائم لتحقيق أهداف سلوكية ترتقي إلى المستويات الستة للمجال المعرفي ل "بلوم".
- دلت نتائج الدراسة لهذا الكتاب عن توافر عدد من الأهداف السلوكية ولكن بنسب متفاوتة وذلك في كل المستويات التالية :
  - المستوى الأول المعرفة (التذكر):
  - كشفت الدراسة الحالية على أن الكتاب يحتوي على خمسة أهداف سلوكية ( مستوى المعرفة ) بمستوى عال من مجموع 10 أهداف سلوكية أي ما نسبته 50 %م من مجموع الأهداف
  - يحتوي الكتاب على خمسة أهداف سلوكية بمستوى متوسط من مجموع 10 أهداف سلوكية أي ما نسبته 50% من مجموع الأهداف
  - لا يحتوي الكتاب على أي هدف سلوكي بمستوى منخفض
  - المستوى الثاني ( الفهم ):
  - يحتوي الكتاب على خمسة أهداف سلوكية بمستوى عال من مجموع إحدى عشرة هدفا سلوكيا أي ما نسبته 45.45 % من مجموع الأهداف
  - يحتوي الكتاب على أربعة أهداف سلوكية بمستوى متوسط من مجموع إحدى عشرة هدفا سلوكيا أي ما نسبته 36.36 % من مجموع الأهداف
  - يحتوي الكتاب على هدفين سلوكيين بمستوى منخفض من مجموع إحدى عشرة هدفا سلوكيا أي ما نسبته 18.18 % من مجموع الأهداف
  - المستوى الثالث ( التطبيق ):
  - لا يحتوي الكتاب على أي هدف سلوكي بمستوى عال
  - يحتوي الكتاب على هدفين لوكيين بمستوى متوسط من مجموع خمسة أهداف سلوكية أي ما نسبته 40 % من مجموع الأهداف
  - يحتوي الكتاب على ثلاثة أهداف سلوكية بمستوى منخفض من مجموع خمسة أهداف سلوكية أي ما نسبته 60% من مجموع الأهداف
  - بينما كشفت الدراسة عن عدم إرتقاء الأهداف السلوكية الموجودة في هذه القائمة إلى المستويات الأخرى للمجال المعرفي ل "بلوم" وهي المستوى الرابع :



مستوى التحليل ، المستوى الخامس : مستوى التركيب مستوى السادس : مستوى التقويم

- وذلك نتيجة لإحتواء القائمة لهذه الأهداف بمستويات منخفضة
- وبهذا يصبح الهدف الإجمالي لأهداف التدريس ( الأهداف السلوكية ) التي توفرت في المستويات الستة للمجال المعرفي في هذا الكتاب كما يلي :
- بمستوى عال 10 أهداف سلوكية من مجموع 35 أي بنسبة 28.57 %
- بمستوى متوسط 11 هدفا سلوكيا من مجموع 35 أي بنسبة 31.42 %
- بمستوى منخفض 14 هدفا سلوكيا من مجموع 35 أي بنسبة 40 %
- وإنطلاقا من هذه النتائج نلاحظ بأن الكتاب المدرسي ملائم لتحقيق أهداف سلوكية بمستوى عال والمتوسط تقع معظمها في المستويات الدنيا من المجال المعرفي ل"بلوم" (المعرفة – الفهم- التطبيق).
- والتي تعتبر في الحقيقة مستويات نمو القائمة على إسترجاع أو تعرف المتعلم على عناصر معينة في المادة الدراسية و قدرته على التعرف على الأجزاء المنفصلة للموضوع و رؤية العلاقات فيما بين هذه الأجزاء في صورة أفكار عامة أو قواعد لإجراء العمليات أو طرق عامة كما قد تكون مبادئ فنية أو أفكار أو نظريات يجب أن يتم تذكرها وتطبيقها ( ن و آخرون )
- في حين لا ترتقي الأهداف السلوكية الموجودة على مستوى الكتاب المدرسي إلى المستويات العليا للمجال المعرفي ل"بلوم" ( التحليل – التركيب – التقويم ) و التي تعتبر مستويات تحكم و التي يتمكن فيها التلميذ من تحليل العناصر أو العلاقات التعبير عنها بصورة صريحة ، وكذا تجميع الأجزاء معا لتشكيل الكل بالإضافة إلى إكتسابه للقدرة على إصدار الأحكام حول قيمة الأفكار الأعمال الحلول المادة .. إلخ. ( ح ، أ و آخرون )
- كاحتفاظ الأقسام، ضيق الوقت، انعدام الوسائل والإمكانات العلمية اللازمة، نقص كفاءة المعلم أو انعدامها أو قد يعود السبب كذلك إلى نقص كفاءة لجنة التأليف والبرمجة نفسها إلى غير ذلك من العوامل، مما جعل مؤلفو الكتاب المدرسي ومخططي المنهاج يركزون على أدنى مستويات المجال العرفي دون الارتقاء إلى المستويات الأخرى (التحليل، التركيب، التقويم).

#### قائمة المراجع باللغة العربية :

- 1 - أ. ميمون 1980 – نظرية القيم في الفكر المعاصر ( بين النسبية المطلقة ) الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ( سلة الدراسات الكبرى ) و

- 2- أ ، ج اللقاني ( 1995 ) – المناهج القاهرة عالم الكتب.
- 3- ت أ مرعي و م م الحيلة 2000 المنهج التربوية الحديثة عمان دار المسيرة
- 4- ت رابح (1990) أصول التربية التعليم الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية
- 5 – ح شحاته (1998) المناهج الدراسية القاهرة الدار العربية للكتاب
- 6- ح أ الوكيل و م أ المفتي ( 1999 ) المناهج القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية.
- 7- ح أ الوكيل و ح بشير ( 1999 ) الإتجاهات الحديثة في تخطيط وتطوير مناهج المرحلة الأولى القاهرة دار الفكر العربي
- 8- ح بن عيسى ( 1983 ) الجزائر ( الأمة و المجتمع ) الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب
- 9- ع أ سلامة ( 2003 ) – الوسائل التعليمية و المنهج ، عمان دار الفكر للطباعة و النشر .
- 10- ع أ وطفة و ع ج الشهاب (2004 ) علم الاجتماع المدرسي ( بنبوية الظاهرة المدرسية و وظيفتها الاجتماعية) بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع .
- 11- ع سليمان ( 1996 ) الوظيفة الإجتماعية للمدرسة القاهرة دار الفكر العربي.
- 12- ع شتا و ف ع الجولاني (1997) علم الاجتماع السياسي الإسكندرية مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية.
- 13- ع بشارة (2000) المجتمع المدني بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.
- 14- ع الزيات ( 2002 ) التنمية السياسية القاهرة دار المعرفة الجامعية.
- 15- ف برو (1998) علم الاجتماع السياسي بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.
- 16- ن نصار ( 2005 ) في التربية و السياسة متى يصير الفرد في الدولة العربية مواطنا بيروت دار الطليعة للطباعة و النشر و التوزيع .
- 17- ف ح ريان ( 1999 ) التدريس القاهرة عالم الكتب.
- 18- ك ح كوجاك ( 1997 ) إتجاهات الحديثة في مناهج القاهرة عالم الكتب
- 19- ر لبيب و ف م ، المينا ( 1993 ) المنهج منظمة لمحتوى التعليم القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية.
- 20- م ز الجلاء ( 2005 ) تعلم القيم وتعليمها عمان دار الميرة للنشر و التوزيع.
- 21- س م ملحم ( 2002 ) مناهج البحث في التربية وعلم النفس عمان دار المسيرة للنشر و التوزيع

المراجع باللغة الأجنبية :

- 1-Leca .j 1991- la citoyenneté entre la nation et la société civile .paris .puf
- 2 - Faure .e 1972 Learning to be the woelod of education today and tomorrow. Paris unesco
- 3- Hillander .g 1972 –soviet political indoctrination developments in the mass– media and proganda since Staline .new york .pager Publisher .
- 4 – Richaudeau. F 1982 – conception et production des manuels scolaires .paris .unesco .

### الملحق الأول : قائمة الأهداف العامة لتنمية الاختيارات المهنية المنصوص عليها في المنهاج.

- 1- القدرة على تحمّل المسؤولية إزاء الوطن والآخرين وأداء الواجبات وممارسة الحقوق.
- 2- القدرة على الاستفادة من خدمات وسائل الإعلام والاتصال (الهاتف بنوعيه، الحاسوب، الجرائد والمجلات)، كأدوات للتواصل والتوعية والتنقيف.
- 3- القدرة على الاستفادة من خدمات المراكز الصحية وحسن التواصل معها وتقدير خدماتها.
- 4- القدرة على الاستفادة من خدمات مكاتب البلدية وحسن التعامل مع مختلف مصالحها.
- 5- القدرة على الاستفادة من خدمات مراكز البريد وحسن التواصل معها وتقدير خدماتها.
- 6- معرفة دور المؤسسات الأمنية في حياة الأفراد(الشرطة والدرك الوطني)
- 7- معرفة دور مصالح الإنقاذ والإسعاف(الحماية المدنية) والقدرة على استخدام آليات الإسعاف عند الخطر.

### الملحق الثاني : قائمة الأهداف السلوكية لتنمية الإختيار المهني مصنفة حسب المجالات الستة لتصنيف "بلوم".

- أ- مستوى المعرفة :
- 1- يسمي التلميذ المؤسسة التي تنجز فتورة مستحقات الهاتف الثابت.
- 2- يسمي التلميذ الأماكن التي تشتري منها بطاقات الاشتراك والتعبئة الخاصة بالهاتف النقال.
- 3- يسمي التلميذ الأجهزة التي تحفظ وتنقل فيها المعلومات من حاسوب لآخر.
- 4- يسمي التلميذ أنواع الأخبار المختلفة التي تنشر في الجرائد.
- 5- يسمي التلميذ الخدمات التي تقدم في شبابيك مكتب البريد.

- 6- يسمى التلميذ الأقسام الموجودة في العيادة المتعددة الفروع والخدمات.
- 7- يحدد التلميذ الخدمات التي تقدمها المراكز الصحية على اختلاف أقسامها
- 8- يسمى التلميذ الخدمات التي تقدمها أقسام البلدية لفائدة المواطنين
- 9- يذكر التلميذ المصالح التي تتدخل في حالة وقوع حوادث المرور.
- 10- يذكر التلميذ مهام كل من الشرطي أو الدركي أو رجل الحماية المدنية في حالة وقوع حوادث المرور.

**ب- مستوى الفهم :**

- 11- يبين التلميذ سبب وضع الغرف الهاتفية في الساحات والمؤسسات العمومية.
- 12- يوضح التلميذ كيفية الاشتراك في الهاتف النقال.
- 13- يبين التلميذ خدمات الحاسوب في مختلف المؤسسات.
- 14- يبين التلميذ بعض المعلومات العملية التي تقدمها الجريدة لقرائها (عرض التوظيف مثلاً)
- 15- يبين التلميذ الفرق بين قاعة العلاج والمركز الصحي.
- 16- يبين التلميذ الفرق بين العيادة المتعددة الخدمات والمستشفى.
- 17- يوضح التلميذ من يعمل في قسم التمريض، ومن يعمل في أقسام الفحص.
- 18- يبين التلميذ دور البلدية في تحسين ظروف حياة المواطنين.
- 19- يبين التلميذ بعض الأضرار التي تخلفها حوادث المرور.
- 20- يوضح التلميذ الفوائد من احترام قواعد السير في الطرقات.
- 21- يوضح التلميذ بعض قواعد السير التي تنبه عليها اشارات المرور المثبتة على جوانب الطرق.

**ج- مستوى التطبيق :**

- 22- يسجل التلميذ الخدمات التي تقدمها المؤسسات الخدماتية باستعمال الحاسوب أثناء زيارته لإحدى هذه المؤسسات.
- 23- يدون التلميذ الخدمات التي تقدم في كل قسم من أقسام وحدة علاج معينة عن طريق زيارته لهذه الوحدة.
- 24- أن يتعرف التلميذ على كيفية حساب ثمن إرسال البرقيات عن طريق زيارته لمكتب البريد.
- 25- أن يملأ التلميذ وثيقة من وثائق الخدمة الزائدة عن نقل الرسائل البريدية عن طريق زيارته لمكتب البريد.
- 26- أن يشاهد التلميذ تدريب على ممارسة الإسعافات الأولية بواسطة دمية مخصصة لذلك من خلال زيارته لمصحات الحماية المدنية.

**د- مستوى التحليل :**

- 27- أن يصنف التلميذ الخدمات التي تقدمها المؤسسات الخدمائية للمواطن حسب نوعية هذه الأخيرة (مراكز بريد، مراكز صحية، مصالح أمن ...)
- 28- أن يقارن التلميذ بين دور كل من الطبيب والممرض والمسعف في التكفل بالجرحى.
- 29- أن يقارن التلميذ بين مهام كل من الشرطي والدركي ورجل الحماية المدنية في حالة حوادث المرور.

**هـ- مستوى التركيب :**

- 30- أن ينجز التلميذ تقريراً أو وصفاً لرحلة أو زيارة مدرسية (زيارة مكتب البريد، مقر البلدية، وحدة علاجية، مصلحة الحماية المدنية ...)
- 31- أن يقترح التلميذ حلولاً تكون قابلة للفحص تساهم في تحسين مستوى الخدمات التي تقدمها مختلف المؤسسات الخدمائية.
- 32- أن يقوم التلميذ بتلخيص خطوات إجراء الإسعافات الأولية في حالة الاختناق أو الغرق مثلاً
- 33- أن يقوم التلميذ بأداء دور مهنة معينة داخل القسم (عمل فردي أو جماعي).
- و- مستوى التقويم :
- 34- أن يكتب التلميذ تقريراً يضع فيه آراء حول مميزات المؤسسات الخدمائية المختلفة ومختلف الخدمات التي تقدمها وذلك في حدود مستواه والمعلومات التي تحصل عليها من المقرّر الدراسي والمراجع المختلفة الأخرى.
- 35- أن يبدي التلميذ رأيه حول النشاطات والأعمال التي قام بها زملاؤه التلاميذ أثناء الزيارات المدرسية المختلفة مع تبرير هذه الآراء.

## المصادر المهنية للإجهاد وعلاقتها بظهور الأمراض السيكوسوماتية لدى سائقي الحافلات "

دراسة ميدانية على سائقي الحافلات التابعين لمديرية النقل لمدينة تبسة

### ملخص

تتميز بعض المهن بكونها صعبة وتؤثر على الحياة الشخصية للإنسان ، ومن بين هذه المهن مهنة السائق الذي يقضي ساعات يومه وليله في الطرقات وبين كل رحلة ورحلة يقضي وقته في النوم والراحة استعدادا للرحلة الموالية، مما يؤثر على أدائه لدوره كأب، كزوج، وكأخ ، فيزداد توتره، وللبحث عن مستوى الإجهاد تسعى الدراسة الحالية التي أجريت على سائقي الحافلات بولاية تبسة (نقل مابين الولايات، نقل ريفي، نقل حضري، نقل جامعي) إلى الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هو مستوى الإجهاد لدى سائقي الحافلات؟

- ما هي أهم المصادر المهنية للإجهاد لدى هذه الفئة؟

أ. خضرة حديدان

قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية  
جامعة تبسة  
الجزائر

### مقدمة

يشهد العالم حركة سريعة تطلبت من الإنسان بذل المزيد من الجهود والاستنفار الدائم لمواكبة هذه الحركة السريعة مما يجعل الإنسان عرضة للإجهاد، خاصة في البيئة المهنية حيث يتطلب الأمر منه اللهث دائما لتلبية متطلبات هذه البيئة ، خاصة إذا تعلق الأمر بالمهنة التي تفرض تحديات تفوق أحيانا طاقة العامل مثل مهنة السائق الذي يكون دائما عرضة للإجهاد، فما هو مستوى الإجهاد لدى سائقي الحافلات؟

### Résumé

Cet article se propose d'étudier les sources, et le niveau de stress chez les chauffeurs de bus, à la ville de Tébessa. Pour la collecte des données une échelle a été élaborée, et passée à un échantillon de 300 chauffeurs inscrits au niveau de la direction du transport du Tébessa .

## 1- تعريف الاجهاد:

اشتقت كلمة STRESS من الفعل اللاتيني STRINGERE، ومعناه "سحبه بشدة" ضغط، ومنه أخذ الفعل الفرنسي ETEINDRE، ومعناه طوق بجسمه، ضاغطا بقوة (ستورا، 1997، ص7).

ويرى (لوكيا ) و(ابن زروال) أن كلمة "STRESS" ظهرت في اللغة الفرنسية خلال القرن العشرين لكنها استعملت في اللغة الإنجليزية على مدى قرون للدلالة على الضجر و المحن و المصائب، و قد عرف هذا المدلول تطورا منذ القرن الثامن عشر، بحيث أصبحت الكلمة تعني القوة الضغط، الذي يؤدي إلى تشوه المادة مع مرور الزمن مادام الضغط يشوه المعادن (التعدين) يمكنه على المدى الطويل أن يسبب أمراضا جسدية و نفسية(لوكيا وبن زروال، 2006، ص8).

**اصطلاحا:**

تندرج تعاريف الإجهاد ضمن ثلاث فئات: كمنبه او كاستجابة أو كتفاعل بين المنبه والاستجابة.

### 1- تعريف الإجهاد كمنبه:

يرى هيت وميدلميست HIT & MSTMIDDLE (1988) أن الإجهاد هو: "هوتلك القوى الخارجية التي تمارس تأثيرها على الفرد و يترتب عليها الإجهاد النفسي والجسماني والسلوكي لهذا الفرد(بلال، 2002، ص182).

### تعريف الإجهاد كاستجابة:

عرفه لوثا نزل LUTHANS (1985) في ميدان العمل بأنه: "استجابة الجسم لمجموعة من المواقف والمتغيرات البيئية والتي يترتب عليها العديد من الانحرافات والآثار السلوكية والفسولوجية والنفسية للعاملين في المنظمة".

تعريف الإجهاد كتفاعل بين المثير والاستجابة:

عرف كشرود الإجهاد بأنه: " استجابة تكيفيه تتوسطها الخصائص الفردية أو العمليات النفسية الناتجة عن أي فعل أو موقف أو حدث خارجي يضع متطلبات طبيعية و نفسية معينة على الفرد، و هذه الخصائص قد تشمل متغيرات كالعمر و الجنس و الحالة الصحية و الوراثية و ما إلى ذلك. أما العمليات النفسية فقد تشمل هي الأخرى عوامل أو متغيرات مثل مكونات الاتجاهات، و القيم والمعتقدات، و عدد كبير من أبعاد الشخصية من النمط السلوكي أ/ ب، و تحمل الغموض ، و مركز التحكم ( كشرود، 1995، ص311).

## II . آلية الإصابة بالإجهاد:

إن الإصابة بالإجهاد عملية يمكن التمييز فيها بين أربع مراحل هي:

- مرحلة التعرض للإجهاد:

يمكن تسمية هذه المرحلة بالإنذار المبكر، وتبدأ عندما يتعرض الفرد إلى متير(داخلي أو خارجي)، فتفرز الغدد الصماء هرمونات معينة، يمكن الاستدلال من خلالها على تعرض الفرد للإجهاد، و أهم هذه المظاهر(زيادة ضربات القلب، الأرق، التوتر، الاستهداف للحوادث، ..) (بلال، 2002، ص184).

#### - مرحلة رد الفعل(التعامل مع الإجهاد):

بعد حدوث التغيرات السابقة، تبدأ المرحلة الثانية، حيث تستثار العمليات الدفاعية في الجسم كمحاولة للتعامل مع هذه التغيرات، و رد الفعل هذا يأخذ اتجاهين على شكل مواجهة الخطر أو الهروب منه (بلال، 2002، ص184)، حيث يرسل الهيبتوتالاموس تنبيهاً للغدد الكظرية التي تستجيب بدورها وتفرز هرمون الأدرينالين في الدم و تزداد دقات القلب، وتتسارع عملية التنفس، وترتفع نسبة السكر في الدم، وتظهر لنا هذه العملية، بمظهر شحوب الوجه، برودة اليدين والقدمين، كما تفرز المعدة حمض الكلوريدريك، الذي يفرز عادة لهضم الغذاء، فإذا ما كانت المعدة خاوية، والفرد متوتراً يمكن أن يصاب بالقرحة المعدية.

#### - مرحلة المقاومة ومحاولة التكيف:

خلال هاته المرحلة يحاول الفرد علاج الآثار التي حدثت في المرحلة السابقة، ومقاومة أي تدهور أو تطورات إضافية، ومحاولة التكيف. فإذا نجح الفرد في ذلك قد يستقر الأمر وتزداد فرص العودة إلى حالة التوازن، أما إذا فشل وبقيت عوامل الضغط متواصلة، يتواصل عمل الجسم على مواجهتها بشدة، وهذا يؤدي إلى زيادة النشاط الهرموني للكظر، وإذا استمر الوضع لمدة طويلة فإن الموارد الغذائية والفيتامينات تنقص بالتدريج حتى النضوب و هنا يدخل الفرد مرحلة الإنهاك (بلال، 2002، ص 184-185). و(عسكر، 2003، ص43).

#### - مرحلة الإنهاك:

وإذا استمرّ الإجهاد دون مواجهة يمكن أن يؤدي إلى الوفاة، ويرى "سيلي" أنّ الأمراض السيكوسوماتية تصنّف فيما يسمّى بأمراض التكيف، ولأنها تنتج عن المقاومة المستمرة للإجهاد، حيث يحاول العضو التكيف مع البيئة.

#### 3-أنواع الإجهاد:

ترى بريجيت ترانكيم TRANKIEM BRIGTTE أن الإجهاد ثلاثة أنواع:

- تحت الإجهاد(Le sous-stress): و يخص الأشخاص الذين يرفضون مجابهة الصعاب، و يفتقدون للطموح، يتميزون بالهروب، أو أن بيئاتهم ليست محفزة.



- **الإجهاد المفيد (Le bon stress):** يضع الفرد في أحسن الظروف لاستعمال قدراته بشكل متناسق و كذا إمكانياته للتكيف.

- **فوق الإجهاد (Le sur-stress):** يرغم الفرد للالتجاء إلى مصادر الطاقة لمجابهة مثيرات جد قوية، تفوق طاقاته، و يستنفذ كليا في هذا النوع من الإجهاد. (TRANKIEM BRIGTTE, p10, 1995)

#### 4- مصادر الإجهاد:

قسم (تشارلز ورت و ناثان NATHAN & CHARLES WORTH (1984) مصادر الإجهاد إلى :

المجموعة الأولى: و تشمل الإجهاد الناتج عن التغيير، والضغط الكيميائية، والضغط المصاحبة لعملية اتخاذ القرارات..

المجموعة الثانية: و تشمل الإجهاد المصاحب للأمراض، والضغط الانفعالية، والضغط البيئية، و الضغط المصاحبة للآلام .

المجموعة الثالثة: الإجهاد المرتبط بالخوف، والضغط الجسمية، والضغط الاجتماعية، و الضغط المهنية. (إسماعيل، 2004، ص 56).

وقد قسم (لازاروس وكوهين) مصادر الإجهاد إلى ثلاثة أقسام رئيسية، هي:

- الظواهر العنيفة الجائحة (PHENOMENA CATAclysmic): مثل الأعاصير، تسرب الإشعاعات، التعرض للفتابيل الجوية (وهي كوارث تمر بها المجموعات السكانية المشتركة)..

2- يتضمّن النوع الثاني الحرمان أو التوقف عن العمل حيث يكون لها أيضاً التأثير القوي والمفاجئ على الأفراد الذين تحدث لهم.

3- المشاحنات اليومية: وهي تشير إلى المواقف الضاغطة الموجودة في كل زمان ومكان (إسماعيل، 2004، ص ص56-57).

وقد سلك (GODEFROID) نفس المسلك إذ قسم مصادر الإجهاد إلى ثلاثة:

1- الحياة اليومية: الواجبات الأسرية، المدرسية، فترة الامتحانات، الحياة المهنية.... الخ

2- الكوارث الطبيعية والحوادث: الحرائق، الزلازل، الفيضانات، الحروب، حوادث المرور...

**3-التغيرات الحياتية:** وفاة احد المقربين، تغيير البيئة الدراسية، تغيير بيئة العمل،...  
(Godefroid, 2001, PP382-383).

أما (الصبوة) فقد قسم الضغوط إلى أربعة مجموعات متمثلة في:

**1- الضغوط الفيزيائية:** وتشمل منبهات البيئة الخارجية التي تحيط بجسم الإنسان

والتي إن تعرّض لها سببت له ضرراً أو أذى محدداً. كالحرارة أو البرودة الشديدة، تلوث الهواء، وأشعة الشمس، الجاذبية، الضغط، الرطوبة.. الخ

**2- الضغوط الطارئة:** وهي تلك الأحداث التي لا تتّصف بالدوام والتي تحدث فجأة وبشكل طارئ، كحوادث السيارات أو الطائرات أو أية وسيلة مواصلات، أو غياب شخص عزيز بسبب الموت أو السفر، وكذا الطلاق، السرقة، والكوارث الطبيعية كالزلازل والأعاصير... الخ.

**3- الضغوط الاجتماعية:** وتشمل المكانة الاجتماعية و الاقتصادية، الفقر، سوء التغذية، و المستوى التعليمي ومكان الإقامة.

**4- الضغوط الشخصية:** وهي تنشأ من داخل الفرد ذاته، مثل ضغط أسلوب الحياة المتبع من طرف الشخص، والضغوط الجسميّة والعصبية والنفسية الناتجة عن النمط الغذائي للفرد وكذا تناول بعض المشروبات والأدوية والمسكرات بطيب خاطر و بكامل إرادة الشخص.(حسين و حسين، 2006، ص ص 38-39)

#### **4-2: مصادر الإجهاد في البيئة المهنية و التنظيمية:**

تعرف مصادر الإجهاد في العمل بأنها ظروف وخصائص العمل التي تجلب المخاوف والمخاطر للعامل والتي تنتج من بيئة الفرد المهنية غير الملائمة (إسماعيل، 2004، ص 64).

ويحدّد ماك لين (1980) متغيرين أساسيين يؤديان بالعامل إلى تجاوز حدود الاحتمال، وبالتالي إلى إجهاد مرتبط بالعمل هما: العبء الكمي (زيادة حجم العمل المطلوب انجازه)، و العبء الكيفي (تطلب مهام صعبة لتحقيق العمل).

ومما لا شك فيه أنّ مصادر الإجهاد في العمل متنوعة، بعضها خاصة ببيئة العمل الطبيعية، وبعضها الآخر نفسي اجتماعي في طبيعته، والوظيفة ذاتها يمكنها أن تتضمن عوامل ضاغطة مثل زيادة عبء العمل، نقص الاستقلالية..

أمّا وار WARR (1992) فقد وضع تسع خصائص تتميز بها الوظائف الضاغطة (رغم أنّ هذه الخصائص لا تكشف عن كل مصادر الإجهاد في العمل) و هي:

- نقص الأمن المهني.
- نقص أو عدم استخدام المهارات.
- قلة التنوع أو التجديد في العمل.

- قلة أو زيادة متطلبات العمل.
- عدم التأكد الزائد.
- الأجور المنخفضة.
- سوء ظروف العمل.
- عدم التقدير الاجتماعي للعمل.
- نقص المساندة الاجتماعية.

ويرى (وار) أنّ الأعمال الضاغطة هي التي تتوافر فيها واحدة أو أكثر من الخصائص السابقة و بدرجة عالية، وأكثر الوظائف تميّزاً بالخصائص الثلاثة الأولى هي الوظائف الخاصة بالعمّال الكادحين كعمّال النظافة، أمّا الوظائف الإدارية فتتميز بالخاصيتين الرابعة و الخامسة ( إسماعيل ، 2004، ص 65).

- و حدّد (ريجيو) أيضاً خصائص الوظائف التي تسبب الإجهاد:
- كثرة العمل و شدّته.
- عدم استخدام الفرد لمهاراته و قدراته.
- ظروف عمل خطيرة جداً.
- مسؤولية عالية تجاه الآخرين (صحتهم و رفايتهم).
- واجبات صعبة و معقدة.

و حسب (المعهد الوطني للأمن بالدانمارك ) فإن قائمة مصادر الإجهاد في العمل طويلة و تتطوّر كما يتطوّر عالم الشغل، ومع ذلك يمكن تمييز خمس فئات كبرى من المصادر هي:

### 1- المهمة :

يكون العمل مصدراً للإجهاد المهني بطبيعته: كالحالات الاستعجالية التي يتكفل بها رجال monotones المطافئ ، أو الأعمال الرتيبة التي تتطلب معالجة عدد كبير جداً من المعلومات والمعطيات، أو بتميّزاته: كزيادة العبء أو نقصه في عمل ما، أو ضغط الوقت، أو التكنولوجيا الحديثة. الخ

### 2- منظمة العمل:

غياب المراقبة حول توزيع المهام و تخطيطها، غموض الأدوار، متطلبات متناقضة، ضعف قنوات الاتصال أو انعدامها، التوتر، عدم توافق توقيت العمل مع متطلبات الحياة الأسرية والاجتماعية، عدم استقرار أوضاع العمل، عدم تحديد الأهداف العامة للمنظمة. الخ.

### 3- نوعية العلاقات في العمل:

نقص الدعم من طرف الزملاء و المشرفين، إدارة لا تقوم على المشاركة، نقص أو انعدام المعرفة للعمل، عزلة اجتماعية أو مادية.. الخ.

### البيئة الفيزيائية:

الضجيج، الحرارة، الرطوبة، وجود عدد كبير من الموظفين في مساحات صغيرة.. الخ

### البيئة الاجتماعية الاقتصادية للمنظمة:

أهمية المنافسة الوطنية والدولية، الحالة الاقتصادية السيئة للمنظمة، قدرة المنظمة أو عدم قدرتها على المنافسة.. الخ (Corinne van de weerd & al, 2003 , p2) أما دومينيك أوارو فقد قسم مصادر الإجهاد إلى: Dominique Hoareau

#### \* عوامل الإجهاد الموضوعية: أي القابلة للقياس والملموسة ومنها:

- خطورة العمل (احتمال الإصابة بالحوادث).
- الضجيج، التلوث، الحرارة، البرودة، الرطوبة.
- وتيرة العمل، العمل في دوريات.. الخ.

#### \* عوامل الإجهاد الذاتية:

- الدور والصورة المهنية.
- تحديد المهام.
- صراع الأدوار.
- درجة المراقبة و المسؤولية.
- درجة المشاركة واتخاذ القرار.
- العلاقات مع زملاء العمل.
- العلاقات مع المشرفين.
- العلاقات مع الزبائن.

ملاحظة: كلّ الناس يمكن أن يصيبهم الإجهاد في العمل مهما كانت رتبهم لكن الإجهاد يختلف؛ فالأشخاص الذين لديهم سلطة لاتخاذ القرار أقل عرضة للإجهاد من أولئك

### 5- تأثيرات الإجهاد على الفرد:

إن استجابة الفرد للإجهاد ، تكون على ثلاثة مستويات متداخلة وهي :

#### أ- الاستجابة النشطة (Réaction active):

وتظهر على شكل سلوكيات تجنبية لدى الفرد، إذ يتجنب مثلاً الصراعات أو تحمّل المسؤوليات ، قد يلجأ إلى تغيير عمله ، و قد يصل به الأمر إلى حد الهروب ، فيغيّر

مكان سكنه، أو ينفصل عن الزوج (أو الزوجة)، كما قد يتجلى في شكل صراعات مهنية و خلافات عائلية .

#### ب-الاستجابة السلبية (Réaction passive):

يلجأ الفرد إلى هاته الاستجابة عندما يعجز عن الاستجابة النشطة؛ وتظهر على شكل سلوكيات مختلفة كالشعور الدائم بالتعب، والأرق، و نقص الحيوية ، وتقلبات المزاج ، والانطواء، وعدم انتظام العادات الغذائية(فقدان الشهية أو الشراهة للأكل)، وصعوبة اتخاذ القرار، والعجز عن مواجهة أبسط المشكلات، والمشاكل الجنسية (كالبرود الجنسي)، والاكتئاب.

#### الاستجابة السوماتية (Réaction Somatique):

عندما ينهك الجسم و يستنفذ كل طاقته نتيجة الاستنفار المفرط للجهاز الدفاعي ،

وعندما يصل إلى حدود قدراته ، تظهر الأعراض الجسدية والتي تتمثل في :القرحة المعدية ، أمراض الأوعية و القلب ، الربو أو الحساسية (آجرابات في لوكيا وبن زروال،2006،ص ص19-20)، وقد توصل ( آدم العتيبي) في دراسة حول علاقة الإجهاد في العمل بالاضطرابات السيكوسوماتية أنه كلما زاد الإجهاد لدى الموظفين الكويتيين زاد معدل إصابتهم بالاضطرابات السيكوسوماتية (العتيبي،1997،ص197)

#### 6- تأثيرات الإجهاد على العمل :

إن الفرد لا يدفع ثمن الإجهاد بمفرده، بل تشاركه المنظمة التي ينتمي إليها في ذلك، ومن مؤشرات الإجهاد المهني، ارتفاع نسبة الغياب والحوادث، والإصابات في العمل وارتفاع نسبة الشكاوى والتذمر بين الأفراد العاملين، وهذا يتجلى في انخفاض مستوى الأداء في العمل مما يؤثر حتى على وضعية المؤسسة .

وقد توصلت بحوث(ماك غراث)1976 إلى أن تعرض العامل للإجهاد الحاد والمستمر، يؤثر تأثيراً قوياً على أنماط عديدة من السلوكيات التنظيمية ، وتتمثل في :

#### 1-6-1-الأداء:

إن العلاقة بين الإجهاد في العمل والأداء علاقة معقدة، و يرجع هذا التعقيد إلى أن العلاقة تتأثر بمستوى صعوبة المهمة التي يؤديها العامل، كما أن هناك عوامل تتدخل في هاته العلاقة وهي مصادر توالد الإجهاد المختلفة، والعوامل الشخصية (العمر- الخبرة) والمتغيرات الموقفية كمنط القيادة، وظروف العمل (الصيرفي،2007،ص119).

ويرى الإجهاد عندما Ivance vich and Mattson (1980) أن مستوى الإجهاد يكون منخفضاً جداً، فإن الفرد يحافظ على مستواه الحالي في الأداء ، أمّا المستويات المنخفضة للإجهاد فمن شأنها تنشيط العامل بدرجة كافية لرفع مستوى الأداء ، و قد أثبتت الدراسات أن رجال البيع و المديرين عندما يعانون مستوى معتدلاً من الإجهاد

يصلون إلى أفضل مستوى من الأداء ، أما المستويات العالية من الإجهاد ، فتؤدي إلى ظهور تأثيرات سلبية ( التعب، عدم الراحة ، عدم الرضا).

### **2-6 دوران العمل والتغيب :**

إن دوران العمل والتغيب، يعتبران من الأشكال التي تناسب العامل للانسحاب وترك الوظيفة والغياب.  
يرى (عسكر) أن ترك العمل والغياب كوسائل انسحابية تعتبر من أخف الأضرار إذا ما قورنت بالبدائل الأخرى كالعدوانية والتخريب، رغم أن لهما تأثيراً على الإنتاج (عسكر في كشرود، 1995 ص 342-343).

### **3-6- العدوانية و التخريب:**

إن الإحباط الحاد من شأنه أن يؤدي إلى ظهور السلوك العدواني تجاه الأفراد أو الأشياء، كالشتم، الاعتداء، تعطيل الآلة، إتلاف المواد الأولية، وما شابه ذلك ويكون هذا السلوك العدواني هو المتنفس الوحيد للفرد، إذ يشعر بالإحباط من ناحية، وليست لديه وسيلة مقبولة لمعالجة هذا الإحباط أو التعايش معه من ناحية ثانية (كشرود، 1995، ص 343).

وحسب (المكتب العالمي للعمل)، فإن آثار الإجهاد في العمل متعددة، ويتمثل أهمها في:

- التغيب عن العمل، دوران العمل، الحوادث، الإرهاق العصبي،.... bureau international du travail 1993

حسب المكتب الدولي للعمل (Mars 1993) فإن المهن التي يتعرض أصحابها لمستوى مرتفع من الإجهاد هي:

**(1) العمال اليدويون:** حسب دراسة بالولايات المتحدة الأمريكية على عشرين 20 تصنيفاً من العمال، بينت بأن سائقي الآلات وعمال التركيب هم الأكثر شكوى من اضطرابات سوماتية سببها الإجهاد والاكنتاب.

وفي دراسة أخرى سنة 1991، في مصانع الجعة البريطانية تبين أن العمال يأخذون عطلاً مرضية أكثر بضعفين من عمال التآطير.

### **(2) المدرسون:**

أجريت دراسة سنة 1983 في اليابان، وكانت نتيجتها أن حوالي 40% من المدرسين يعانون من مشاكل صحية (صداع متكرر، اكتئاب، قلق مزمن.. الخ) وهذه الاضطرابات كانت أكثر حدة لدى النساء والشباب.

وفي المملكة المتحدة وحسب دراسة أجريت سنة 1990 فإن ما يزيد عن 20% من المدرسين يعانون من أعراض القلق و الاكتئاب و الإجهاد.

### 3) سائقو الحافلات:

في نيرمبرغ بألمانيا Nuremberg, en allmagne 5% من سائقي الحافلات يعملون حتى سن التقاعد (63 سنة)، و 30% يتقاعدون قبل سن الستين، لعدم قدرتهم على مواصلة عملهم، و38% منهم لديهم الحق في التقاعد المبكر لنفس السبب (الإجهاد)

### 4) العاملون على الشاشة:

في الولايات المتحدة الأمريكية هناك 20 مليون عامل يعملون في المراقبة، وفي دراسة لجامعة ويسكونسون L'université du Wisconsin تبيّن أن عمال المراقبة الالكترونية أكثر عرضة للمعاناة من غيرهم بنسبة 10 إلى 15 % من الاكتئاب، الضغوط والقلق، كما أنهم يعانون من آلام المعصم بشكل مضاعف مقارنة مع غيرهم من العمّال. (Le point des connaissances, 2003)

### 7- مشكلة الدراسة:

- ما هو مستوى الإجهاد لدى أفراد العينة؟
- ما هي أهم المصادر المهنية للإجهاد لدى أفراد العينة؟

### 8- أهداف الدراسة:

- تسعى هذه الدراسة إلى :
- التعرف على مستوى الإجهاد لدى أفراد العينة.
- التعرف على أهم المصادر المهنية للإجهاد لدى أفراد العينة.
- 9- فرضيات الدراسة: انطلاقاً من التساؤلات السابقة تمت صياغة الفرضيات التالية:
- يعاني سائقو الحافلات من مستوى مرتفع من الإجهاد.
- تتمثل أهم المصادر المهنية للإجهاد في: تعارض الأدوار، الحوافز، أخطار المهنة.

### 10- منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي لكونه أكثر ملائمة لدراسة هذه الظواهر.

### 11- عينة الدراسة:

تتكون العينة من 300 سائق حافلة يتوزعون: بين الولايات ، بين الدوائر، النقل الحضري، النقل الجامعي.

### 12- حدود الدراسة:

أجريت الدراسة بمحطات النقل التابعة لمدينة تبسه المسجلة بمديرية النقل للولاية، وذلك في الفترة الممتدة من جوان 2013 إلى ديسمبر 2013.

### 13- أداة الدراسة:

لقياس مستوى الإجهاد لدى سائقي الحافلات وأهم المصادر المهنية له تم بناء مقياس يستجيب له المفحوص باختيار احد الاختيارات من (1) إلى (5) حيث يشير:

(1)أبدا، (2) نادرا، (3) أحيانا، (4) غالبا، (5) دائما،

وتم حساب ثبات المقياس بطريقة التجزئة النصفية، وبعد التصحيح عن طريق معادلة سبيرمان – براون كانت النتيجة 0.91.

#### 14- الأساليب الإحصائية: تم استخدام الأساليب الإحصائية التالية:

-النسب المئوية -ا- لمتوسط الحسابي. -الانحراف المعياري.

#### - نتائج الدراسة:

هناك ثلاثة مستويات للإجهاد لدى أفراد العينة : مرتفع، متوسط، منخفض، وتم تحديدها بإعطاء نقطة لكل مصدر يسهم في شعور الفرد بالإجهاد من 1 الى 5، ثم حولت هذه النقاط إلى درجات خام، وصنفت هذه الدرجات ضمن احد المستويات المذكورة، ثم تم حساب عدد الأفراد في كل مستوى، ومن ثمة النسبة المئوية، كما هو واضح في الجدول رقم: (1).

جدول رقم: (1) يبين توزيع أفراد العينة على مستويات الإجهاد

مستوى الإجهاد	مجال الدرجات:	العدد:	%:
ضعيف	112-48	137	45.66%
متوسط	177-113	114	47%
مرتفع	240-178	22	07.33%

من خلال الجدول يتبين لنا أن مستوى الإجهاد لدى أفراد العينة يميل إلى أن يكون متوسطا (47%) إلى ضعيف (45.66%)، في حين لا يميل إلى الارتفاع إلا بنسبة (07.33%) .

وللوقوف على أهم المصادر المهنية المولدة للإجهاد لدى أفراد العينة ، وبعد تحليل النتائج تم التوصل إلى :

1- **تعارض الأدوار (المحور السادس):** وذلك بمتوسط وزني يقدر ب(03,19)، ونجد في مقدمة البنود البند رقم 44 بنسبة(61,66%) من السائقين الذين يرون انه مجهد بدرجة كبيرة، والمتعلق بصعوبة تتبع المسار الدراسي للأبناء، ثم البند رقم(45) والمتعلق بالعجز عن حضور المناسبات العائلية المختلفة وذلك بنسبة تقدر ب(53%) من السائقين يرون انه مجهد بدرجة كبيرة، ثم البند رقم 43 والمتعلق بصعوبة القيام



بالزيارات العائلية كما يجب، وذلك بنسبة (52,66%) صنفوه ضمن المجهود بدرجة كبيرة أيضا ، ويليه البند رقم 48 والمتعلق بالحرمان من التمتع بالدفء العائلي وذلك بنسبة (51,33%) والبند 47 والمتعلق بصعوبة القيام بالواجبات تجاه الوالدين والإخوة وذلك بنسبة (50%) من السائقين الذين صنفوه من البنود المجهدة بشكل كبير. أي أن ما يجعل مهنة السائقين مجهدة لدى أفراد العينة هو قضاءهم معظم أوقاتهم خارج البيت مما يجرمهم من أداء واجباتهم كأباء، أو كأزواج وإخوة جزئيا وأحيانا بشكل كلي، خاصة أن مهنة السائق لا تعترف بالعمل وفق نظام 8 ساعات يوميا بل تمتد إلى ساعات أطول، وبالليل والنهار(المسافات الطويلة)، وأيام الأعياد والمناسبات الخاصة ، ونهايات الأسابيع، وحتى عند حدوث طارئ أو سماع نبا يتطلب من السائق التواجد في بيته كاب، أو كزوج، وكابن واخ، فانه لا يمكنه المغادرة فورا مثلما يفعل أي موظف في إدارة او شركة، بل لابد من إيصال المسافرين وتأمين الحافلة ، ثم بعد ذلك الانصراف وقد يمتد ذلك إلى ساعات طويلة وأحيانا لأكثر من يوم (في ظروف نفسية خاصة) مما يستنزف طاقة السائق ويجهده.

**2- أخطار المهنة (المحور الثالث):** وذلك بمتوسط وزني يقدر ب(2,85) ، ونجد في مقدمة هذا المحور الذي يشكل مصدرا هاما من مصادر الإجهاد لدى أفراد العينة البند رقم(25) والمتعلق بتحمل المسؤولية على حياة الآخرين وذلك بنسبة: (53,33%) من السائقين الذين يرون انه مجهد بدرجة كبيرة، ثم البند رقم 28 والمتعلق بتحمل السائق لعواقب تقصير مالك الحافلة (فيما يخص حالة الحافلة ، التأمين، الصيدلية...) وذلك بنسبة (53%)، فالبند رقم (26) المتعلق بخطر التعرض للحوادث وذلك بنسبة (52,66%) من السائقين أيضا يرون انه مجهد بدرجة كبيرة.

ومن النتائج السابقة نستنتج أن ما يجعل مهنة السائق مجهدة حسب أفراد العينة هو المخاطر التي تنطوي عليها، إذ أن الشعور بالمسؤولية على حياة الآخرين وأمنهم وسلامتهم يضع كل الثقل على السائق مما يجعله في يقظة وتركيز دائمين ، لا مجال للسهو أو الخطأ، علاوة على أن كل تبعات الحافلة تلقى على عاتق السائق أثناء الحواجز المرورية مما يجعل السائق بين نارين: المالك الذي يرفض بعض التعديلات من ناحية، والشرطي أو الدركي (في الحاجز) والذي يرى أن السائق هو الذي يقود الحافلة وبالتالي هو المسؤول عن تأمين الحافلة ، تجديد علبه الصيدلية، الأضواء، استخدام حزام الأمن بالنسبة الراكب... الخ.

كما أن خطر الحوادث الذي يتهدد حياة وامن وسلامة السائقين ومن هم تحت مسؤوليتهم، يجعل هاته المهنة من المهن المجهدة حسب أفراد العينة، خاصة في ظل اهتراء الطرقات وأحيانا عدم صلاحيتها، ضف إلى ذلك الاستعمال المفرط للسرعة، عدم احترام إشارات المرور...

**3- الحوافز (المحور الخامس):** وذلك بمتوسط وزني يقدر ب(2,78)، ويحتل الصدارة في هذا المحور البند رقم(36) والمتعلق بالعلاوات والمنح بنسبة (52.66%) من السائقين الذين صنفوه بدرجة كبيرة، يليه مباشرة البند رقم(35) والمتعلق بنظام الأجور وذلك بنسبة (51%)، ثم البند رقم (37) والمتعلق بعدم وجود فرص التطور في المهنة(50%) من السائقين الذين صنفوه أيضا ضمن درجة كبيرة.

من النتائج السابقة يتبين لنا عدم رضا السائقين عن شبكة الأجور والمنح الخاصة بمهنة السائق، في ظل ارتفاع الأسعار وضعف القدرة الشرائية للمواطن خاصة أن هذه المهنة تتطلب منهم جهدا جسديا وعصبيا ونفسيا، ويتعرض القائمون بها إلى مخاطر دائمة، ورغم ذلك لا يتحصلون إلا على اجر لا يفي بمتطلباتهم الخاصة ولا بمتطلبات عائلاتهم، إلا بشكل قليل مما يشعرهم بعدم التوازن بين ما يقومون به من جهد وما يحصلون عليه مقابل ذلك. كما أن أداءهم لمهنة ليست فيها فرصا للتطور وتحسين المستوى خاصة في الوقت الحالي: حيث يتطور العالم بشكل سريع، ويسعى الأفراد الى مواكبة هذا التطور عن طريق التكوين، الدورات التدريبية، الترقية... الخ، يجعل السائق خارج دائرة هذه التطورات لان مهنته ليست فيها فرصا للترقية والتطور.

**4- البيئة المادية للعمل (المحور الثاني):** وذلك بمتوسط وزني يقدر ب(2,40)، ويأتي البند رقم (15) في الصدارة ويتعلق بالطرق المتهترئة، وذلك بنسبة (73%) من السائقين الذين يرون أن هذا البند مجهد بدرجة كبيرة، فالمحور (17) المتعلق باكتظاظ الطريق بالسيارات ومختلف المركبات، وذلك بنسبة (49,66%) أيضا يرون انه مجهد بدرجة كبيرة.

يبدو من النتائج السابقة أن ما يجعل مهنة السائق مجهدة بالنسبة لأفراد العينة هو: نوعية الطرق التي يستخدمونها ويتواجدون عليها طيلة ساعات العمل على كثرتها، حيث هاته الأخيرة ورشة مفتوحة طيلة أيام السنة: إما لتعيدها، أو لإصلاح مقطع منها، أو لردم حفر أو قنوات .. وغيرها، كما أن عدم الإلتقان يجعلها تهترئ بصفة دائمة، والسائق ملزم على التعامل مع هذا الواقع وتقبله رغما عنه لأنه ليس لديه خيار مما يهدر طاقته الجسدية، العصبية والنفسية.

كما أن التزايد المستمر للسيارات ومختلف المركبات بالطريق يجعل السائق مجهدا: فسيارات أكثر معناها حرص اكبر، ومجهود اكبر وإهدار للوقت، بسبب الازدحام وبالتالي التأخر عن مواعيد الوصول والانطلاق من جديد وهذا يؤدي إلى النرفزة والعصبية خاصة في ظل ثقافة مرورية خاصة لدى الجزائريين عموما، والمجتمع التبسي خصوصا.

**5- العوامل المرتبطة بطبيعة العمل (المحور الأول):** حيث بلغ المتوسط الوزني (2,26)، وفي مقدمة البنود البند رقم (10) المتعلق بضرورة انتظار الدور لملا خزان

الحافلة بالوقود وذلك بنسبة (54,33%)، ثم البند رقم(9)المتعلق بضرورة التوقف بكل المحطات على كثرتها واختلافها، وذلك بنسبة (40,33%).

ومن النتائج السابقة أيضا يبدو جليا ان السائقين مجهدون من ضرورة انتظار الدور يوميا، ولمدة لا تقل عن ساعة في معظم الحالات لملا خزان الحافلة بالوقود ، ورغم أن للحافلات الأولوية، و اوقاتا محددة تساعدهم على تجنب الطوابير الطويلة إلا أنها ليست محترمة ،خاصة أن ولاية تبسه ولاية حدودية (تشتهر كغيرها من الولايات الحدودية بتهرب الوقود)، مما يجعل السائقين دائما تحت رحمة الازدحام وطوابير المهربين) التي لا تنتهي ليلا نهارا)، ضف إلى ذلك تعب السائق والحالة النفسية له مما يجعل كل طاقته تستنزف في وقت من المفروض انه يعد وقتا لراحته واسترجاعه لقواه.

كما أن اضطرار السائق الدائم للتوقف في كل المحطات (خاصة النقل بين الدوائر والحضري) وحسب رغبة المسافر يجهده، خاصة أن هذا الأخير يطلب من السائق أحيانا التوقف في أماكن لا يعترف بها قانونا كمواقف، وأحيانا أماكن ممنوعة: أي ان المسافر يحبذ أن يتوقف أمام بيته: والسائق لديه مواقف محددة فقط عليه احترامها، مما يجهده ويجعله بين نارين: احترام المواقف المحددة من ناحية، وتلبية رغبات المسافر من ناحية أخرى.

**6-العلاقات مع الآخرين(المحور الرابع):** إذ بلغ المتوسط الوزني(1,54)، أما بالنسبة للبنود فيتقدمها البند رقم(34) والمتعلق بالتعامل مع صاحب الحافلة الموائية حول انقضاء الوقت وذلك بنسبة(32,33%)، ثم البند رقم (29)المتعلق بالتعامل مع المسافرين وذلك بنسبة(31,66%).

ومن النتائج السابقة يتبين لنا أن العلاقات مع الآخرين هي آخر مصدر من ناحية الأهمية لدى أفراد العينة ،ويبدو ذلك في النسب التي تشير إلى بنوده، مثل البند رقم(34)المتعلق بما يحدث من شجار بين السائقين عندما يتعلق الأمر بانقضاء وقت السائق، ويماطل للحصول على زبائن آخرين: فينزعج منه صاحب الحافلة الموائية لأنه اعتدى على الوقت المخصص له.

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على مستوى الإجهاد لدى سائقي الحافلات، كما سعت إلى التعرف على أهم المصادر المهنية للإجهاد لدى أفراد العينة المذكورة وتوصلت إلى النتائج التالية:

- يعاني سائقي الحافلات من مستوى إجهاد متوسط إلى ضعيف:أي أن الفرضية الأولى التي كانت تتوسم أن مستوى الإجهاد مرتفع لدى أفراد العينة لم تتحقق.

2- تتمثل أهم المصادر المهنية للإجهاد في: تعارض الأدوار، أخطار المهنة، الحوافز.

**المراجع**

- 1-جان بنجمان ستورا، الإجهاد: أسبابه وعلاجه، ترجمة أنطوان الهاشم، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1997.
- 2- الهاشمي لوكيا وبن زروال فتيحة، الإجهاد، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.
- 3- محمد إسماعيل بلال، ضغوط العمل، محاضرات في السلوك التنظيمي ، المعمورة: مكتبة الإشعاع الفنية، 2002.
- 4--عمار الطيب كشرود، علم النفس الصناعي والتنظيمي الحديث، بنغازي: جامعة قار يونس ، ط1 ،المجلد2 ، 1995.
- 5-علي عسكر، ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها، دار الكتاب الحديث، 2003.
- 6- Brigitte Trankiem : Stress, attention, action, Nathan pédagogie, 1997.
- 7- أسامة إسماعيل قولي، العلاج النفسي بين الطب والإيمان، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000.
- 8- Jo Godefroid : Psychologie science humaine et science cognitive, troisième édition actualisée et augmentée, ed. de Boeck, 2011.
- 9- طه عبد العظيم حسين ،سلامة عبد العظيم حسين، استراتيجيات إدارة الضغوط التربوية والنفسية ، عمان ، دار الفكر، 2006.
- 10- Corinne Van der Weerd, Définition,,importance et sources de stress au travail,Le point de connaissance.Finlande Helsinki 2005.
- 11-آدم العتيبي (1997)، علاقة ضغوط العمل بالاضطرابات السيكوسوماتية والغياب الوظيفي لدى العاملين في القطاع الحكومي في الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد 2، جامعة الكويت .
- 12- محمد الصيرفي، الضغط والقلق الإداري ، الإسكندرية ، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ، 2007.

## طفولة في خطر

### ملخص

إن معرفة العوامل التي تجعل الطفل في خطر ومحاولة تطبيق الوقاية بشكل فعلي في مجتمعنا الجزائري لمنع مواجهة الطفل للمخاطر المميتة دون قدرة منه يعد من الأشياء الواجب البحث فيها والعمل على تجسيدها في الواقع خاصة إذا أدركنا استفحال ظاهرة الأطفال في خطر في المجتمع وما ينجم عنها على المدى القريب أو البعيد. لذا حاولنا من خلال هذه الدراسة البحث عن بنية وطبيعة تصورات الأخصائيين النفسيين لأهم العوامل الأسرية التي تجعل الطفل في خطر في مختلف جوانبها الاجتماعية والصحية والاقتصادية ولعل أهم النتائج المحصل عليها :

- الخطر هو الانحراف عن المعايير الاجتماعية، أي تلك الخاصة بالأسرة وبهياكل المجتمع .

- الطفل في خطر هو كل من يعيش وضعيات تهدد أمنه واستقراره وهذه الوضعيات تمس جميع الجوانب الحياتية للطفل سواء أكانت داخلية أو خارجية .

- أهم العوامل الأسرية التي تجعل الطفل في خطر هي الاضطرابات النفسية للأسرة ثم تأتي بعض المشاكل العلائقية والاجتماعية ثم الاقتصادية .

أ. سناء عبيدي

قسم علم النفس

جامعة سكيكدة

الجزائر

### Résumé

#### مقدمة

إن العالم الذي نعيشه اليوم عالم شديد وسريع التغير، فالعصر الذي نحياه هو عصر التجارب والاختراعات ما يتطلب من الإنسان أن يتكيف مع ما يظهره من مكتشفات. هذه التغيرات الساحقة والسريعة غالبا ما يكون لها بالغ الأثر على حياة الأسرة وحياة أطفالها. حيث أصبحت الطفولة اليوم مهددة بالانطفاء ومعرضة لجملة من الأخطار المترصدة بها من كل جانب، فأصبح الأطفال يواجهون تحديات كبيرة في جهودهم للعيش والنجاح في عالم يزداد تعقيدا في مطالبه يوما بعد يوم، ونعلم أن الطفل يمثل العنصر الهام الذي يبني عليه كيان أي مجتمع، إلا أنه اليوم أصبح ضحية مقصودة أو غير

Il est important de connaître les facteurs qui mettent l'enfant en danger dans la société algérienne, pour essayer de mettre en place une prévention efficace à travers l'adoption de mesures d'intervention appropriées à même d'éviter à l'enfant de se trouver confronté à diverses situations dangereuses pour lui et devant lesquelles il se trouve démuné et désarmé. C'est pourquoi nous avons réalisé cette recherche sur la représentation sociale des psychologues cliniciens du phénomène des enfants en danger et ses conséquences sur le court et long terme, qui nous permet de traduire ce phénomène dans la réalité quotidienne.

مقصودة لضغط طاغ، ذلك الضغط المتولد عن التغيرات الاجتماعية السريعة والحاجات المتزايدة باستمرار والتي كان لها بالغ الأثر على بناء ووظائف ومتطلبات الأسرة، حيث أضحى الطفل يعيش في جو أسري تتناوبه ظروف ضاغطة نتيجة المطالب الحياتية المتسارعة والتحولات وتغير الأدوار والشكوك الشخصية والمهنية، إذ أصبحت تربية الطفل تتمخض عن شدة وعسر وبذلك فقدت الأسرة طابعها التربوي والتوجيهي ، فعلى الرغم من كونها أهم الجماعات الإنسانية وأعظمها تأثيراً في حياة الطفل إلا أنها اليوم تعد من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تهددهم بالخطر.

Les résultats les plus importants obtenus dans cette recherche sont :

- Le danger est constitué par l'écart aux normes sociales, normes liées à la famille et à la société.

- L'enfant en danger est celui qui vit des situations d'ordre personnel ou environnemental, qui menacent sa sécurité et sa stabilité.

- Les facteurs les plus importants qui mettent l'enfant en danger sont constitués par les troubles psychologiques dans la famille suivis par les problèmes relationnels, sociaux et économiques.

وسنحاول من خلال دراستنا التعرف على أهم العوامل الأسرية التي تجعل الطفل في خطر. و ذلك عبر أذهان مجموعة من الأخصائيين النفسيين الإكلينكيين من خلال تصوراتهم التي تتضمن معارفهم وخبراتهم تجاه الموضوع، من خلال الأسئلة التالية:

ما هي تصورات الأخصائي النفسي الإكلينكي حول مفهوم الخطر والطفل في خطر ؟  
وما هي تصوراته حول العوامل الأسرية التي تجعل الطفل في خطر ؟ وما أهم  
الوضعيات والمشاكل التي تعيشها هذه الأسر ؟

**1- مجتمع البحث:** نعلم أن الباحث لا يمكن له أبداً الشروع في انجاز أي دراسة، قبل التعرف بصورة جيدة على مجتمع بحثه، حتى يقرر اعتماده طريقة الدراسة الكلية لمفرداته أو اعتماد طريقة العينة، وذلك باعتماد عملية التعيين échantillonnage قصد الحصول على عينة ممثلة لكل مجتمع البحث. (Maurice Angers، 1997).

وقد تمكنا من حصر مفردات المجتمع الأصلي من خلال طلب قوائم الأخصائيين النفسيين الإكلينكيين من الجهات الرسمية والتي تكون غالباً المسؤولة عن توظيفهم عبر مختلف المؤسسات بولاية قسنطينة حيث شملت القوائم على (130) أخصائي نفسي إكلينكي موزعين على المراكز التالية:

عدد الأخصائيين النفسيين الإكلينكيين	المؤسسة
03	E.P.H Constantine
09	E.P.S.P Ben M'hidi

08	E.P.S.P Mentouri
17	C-H-U de Constantine
09	E.H.S Psychiatrie
01	E.H.S Erriadh
02	E.H.S Mère et enfant
02	E.H.S Daksi
01	E.P.S.P Zighoud Youcef
03	E.P.S.P Hamma Bouziane
07	E.P.H Khroub
01	Direction de la santé
13	إخصائي نفسي موزعين على : دار الشباب احمد سعدي يحي فيلالي، دار الشباب عز الدين مجوبي علي متلجي، دار الشباب الامير عبد القادر، القاعة متعددة النشاطات حامة بوزيان، دار الشباب سطح المنصورة، دار الشباب بوذراع صالح، ديوان مؤسسات الشباب.
11	الهلال الاحمر الجزائري - حي القصبة -
01	مكتب الاستعجالات الاولى
02	جمعية Maison Nedjma
04	مديرية النشاط الاجتماعي
04	+ مدير المركز باعتماده اخصائي نفسي إكلينيكي.
02	المركز النفسي البيداغوجي - دقسي 01-
03	المركز النفسي البيداغوجي - دقسي 02-
03	مرفق الأشخاص المسنين والمعوقين - عبد القادر بوخروفة -
08	مؤسسة إعادة التربية - الكدية -
01	مركز الطفولة المسعفة- حضانه -
02	مركز الطفولة المسعفة - بنات -
03	مربي رنيسي+04 مربي مختص
03	المركز الطبي البيداغوجي - علي منجلي -
01	المؤسسة العمومية للصحة الجوارية العربي بن مهدي . فيلالي
01	الإقامة الجامعية - علي منجلي 02-
01	القطاع الصحي قسنطينة عيادة متعددة الخدمات. وحدة منتوري.
01	القطاع الصحي قسنطينة عيادة متعددة الخدمات - الدقسي -
01	المؤسسة الصحية المتخصصة في المسالك البولية وأمراض الكلى وزرع الكلى المجاهد عبد القادر بوشريط - الدقسي -
01	روضة الاطفال بن عبد الرحمان - سيدي مبروك -
03	موزعين على: - شارع الإخوة بوشامة - شارع فضيلة سعدان - شارع نابي محمد.
	أخصائيين نفسيين خواص

جدول رقم (01) يوضح قوائم الأخصائيين النفسيين لولاية قسنطينة .

## 2- أداة الدراسة: تقنية شبكة التدايعات le réseau d'association

**1-2- وصف تقنية شبكة التدايعيات:** صممت هذه التقنية من طرف Anna Maria Silvana De Rosa، وهي تقنية للدراسة الحرة، وتهدف إلى اكتشاف بنية مضامين مؤشرات التقطب والحياد والنمطية في الحقل الدلالي المرتبط بالتصورات الاجتماعية . حيث كانت البداية سنة 1995 بعد ذلك لازمت العديد من التجارب التي لقيت اهتمام واسع في السنوات الأخيرة. ولا بد لهذه التقنية قبل تقييمها ووضعها في محتوى منهجي أن نلاحظ أنها تعرف فقط في بعض المجالات الدلالية والتقييمية المرتبطة بالتصورات خصوصا والعناصر المتصلة فيما . (Abric,2003). وعن كيفية إجرائها نذكر:

**2-2- اختيار، عدد، تقديم المثيرات المستعملة في الشبكة:** إن شبكة التدايعيات تقوم على واحد أو عدة مقاطع مثيرة Le mot stimulus ويستطيع المقطع أن يكون: كلمة، عبارة، جملة، أو نص قصير، صورة، مقطع موسيقي، فيلم... الخ، وذلك حسب طبيعة الموضوع، وأهم مراحل تطبيق هذه التقنية هي:

**2-3- المرحلة الأولى:** بعد تحديد المقطع المنبه يتم تشييد شبكة تداعية حول الجملة المقدمة في مركز الصفحة وذلك بكتابة كل الكلمات التي تأتي إلى الذهن بحرية بوضع الكلمات أو التفرعات بينها باستعمال كل المساحة المحيطة بالجملة. في كل مرة يتم وضع الرقم حسب ترتيبها الذي جاءت عليه في الذهن. حيث يتم إعطاء رقم 1 للكلمة التي بدأ بها ثم رقم 2 للكلمة الثانية وهكذا حتى ينهي جميع الكلمات.

**2-4- المرحلة الثانية:** بعد منح كل العبارات التي تداعى بها المفحوص رقم والذي يسمى برقم ترتيب الظهور فإننا في هذه المرحلة نكتب جملة المثير في ورقة أخرى بنفس الطريقة ونضيف للمفحوص التعليمة التالية: "عليك التمعن في هذه الشبكة وما أنتجته من عبارات وإذا وجدت أنه من الضروري القيام بربط بعض الكلمات ببعضها عبر أسهم فلنقم بذلك". وليس شرطا أن يقوم المفحوص بالربط.

**2-5- المرحلة الثالثة:** نعيد تشكيل المقطع المنبه على ورقة أخرى ونطلب من المفحوص الرجوع إلى الكلمات التي كتبها و هذه المرة نشير إلى قيمة كل كلمة بوضع علامة (+) إذا كانت ايجابية و علامة (-) إذا كانت سلبية و(0) إذا كانت القيمة معدومة، وذلك حسب الدلالة التي يعطيها المفحوص للمثير.

**2-6- المرحلة الرابعة:** بعد إعادة كتابة المثير على ورقة أخرى نطلب من المفحوص ترتيب الكلمات ترتيبا تفضليا بوضع الرقم I للكلمة الأكثر أهمية و رقم II للكلمة الثانية وهكذا ليشمل كل الكلمات.

**2-7- المعلومات المحصل عليها من شبكة التدايعيات:** ثم أن تحليل التدايعيات يتم من خلال:

**2-7-1- مضامين و بنية الحقل الدلالي:** contenu et structure du champ sémantique: تسمح التعليمة الأولى حول الحث على إجراء تداعي كل الكلمات التي تتبادر في الذهن باستخراج مضامين حقل التصور من خلال الكلمات المتداعية، حيث



تحت الأخصائي على إبراز ليس فقط الكلمات التي تخضع منطقيا لقواعد سيرورة التداعي و إنما أيضا ابتزاز المضامين الرمزية التي تنشطها الجملة المثيرة .

**2-7-2- ترتيب وتنظيم ظهور الكلمات:** *Ordre d'apparition des mots* حيث يمكن استعمال ترتيب الظهور كمؤشر على إمكانية الوصول إلى الإجابة النموذجية حيث أن سرعة التداعي لا تدل فقط على التغيير في قوة ارتباط التداعي و إنما أيضا إلى إمكانية وصوله إلى قدر كبير من الإجماع النموذجي.

**3-7-2 ترتيب أهمية الكلمات بالنسبة للفرد:** *Ordre d'importance des mots* : يمكن القول أن هدف هذه المرحلة هو معرفة عبارات التصورات الأكثر تهيؤا في المجتمع. أما المعادلات الإحصائية فهي :

**4-7-2 المؤشر القطبي (p) :** و هو قياس لمكون التقييم و الاتجاه الضمني في حقل التصورات .

المؤشر القطبي (p) = عدد الكلمات الايجابية - عدد الكلمات السلبية  
العدد الإجمالي للكلمات المتداعية

و يتراوح بين : (1-) و (1+) . فإذا كان (P) بين (1-) و (0.05) يمكن تفسيره بـ 1 ويدل على أن معظم الكلمات ذات إحياء سلبي. وإذا كان بين (0.4-) و (0.04) يمكن تفسيرها بـ 2 و يدل على أنه هناك ميل متعادل للكلمات. وإذا كان (P) بين (0.04+) و (1+) يمكن تفسيرها بـ 3 و هذا يعني أن معظم الكلمات ذات إحياء ايجابي .

**5-7-2 مؤشر الحياد ( N ) :** يتراوح ما بين (1-) و (1+) و يعتبر كقياس للتحكم و الضبط .

عدد الكلمات المحايدة- (عدد الكلمات الايجابية + عدد الكلمات السلبية)

المؤشر الحيادي ( N ) = العدد الإجمالي للكلمات المتداعية.  
إذا كان ( N ) بين (1-) و (0.05-) يمكن تفسيره بـ (1) و تدل على أن الكلمات ذات حياد ضعيف. وإذا كان بين (0.04-) و (0.04+) يمكن تفسيره بـ (2) و يدل على أن الكلمات المحايدة تميل إلى التعادل. إذا كان ( N ) بين (0.04+) و (1+) يمكن تفسيره بـ (3) و يدل على ان معظم الكلمات ذات حياد مرتفع.

**6-7-2 المؤشر النمطي:** كقياس فارقي للقاموس المرتبط بموضوع التصور حيث يعتبر كقياس لاختلاف الشروحات بالارتباط مع هدف التصورات.

عدد الكلمات المختلفة المتداعية من طرف كل مجموعة من الأفراد

و يرمز له بـ ( y ) = 100 × العدد الكلي للكلمات المتداعية

ولجعل هذا المؤشر له قيمة تتراوح بين (-1) و (1+) تحول القيمة المحصل عليها لـ (y) بواسطة الصيغة التالية :  $(-1) * \left[ 1 - \left( \frac{y^2}{100} \right) \right]$ . (Abric,2003).

**3- تحديد حجم عينة تقنية شبكة التدايعات:** بالنسبة لطبيعة مفردات مجتمع البحث فإنها لا تحمل نفس المعلومات من حيث مدة الخبرة والسن والجنس ومراكز العمل و... الخ. و هنا علينا في اختيار حجم العينة الحرص على أن تكون جميع هذه التباينات مضمنة داخلها. وحرصا على تمثيلها السليم قمنا باقتطاع عينة باعتماد الأسلوب المنتظم والمعروف بأسلوب العد العشوائي (Maurice Angers، 1997).

والذي يقوم على مبدأ توزيع اختيار مفردات العينة على مسافات متساوية من مجتمع البحث وهذا من أجل تغطية التعيين بصورة منتظمة لكل المجموعات المكونة للمجتمع الأصلي بهدف الابتعاد عن حصر اختيار العينة في جزء منه، تجنباً لترك فجوات دون تغطية. (أحمد بن مرسل، 2005)، كما يلي:

- أولاً قمنا بتحديد الحجم الكلي للمجتمع الأصلي والمتعامل معه والمتمثل في 125 أخصائي نفسي إكلينيكي وقد حددنا حجم العينة المراد سحبها و الذي يتماشى عادة مع تقنية شبكة التدايعات بـ: 25% وللحصول على مسافة الاختيار قمنا بقسمة مجموع مفردات المجتمع على مجموع مفردات العينة كما يلي:

- حساب مجموع مفردات عينة شبكة التدايعات (س) = 31 فرد.

$$125 \xrightarrow{\% 100} \frac{125 \times 25}{100} = س = 31$$

- تحديد طول مسافة الاختيار = 04. حيث: (04 / 125) = 04

وبالتالي طول مسافة الاختيار (04) أي حجم مجموعة الاختيار الواحدة تساوي (04) وحدات ثم بعدها نقوم باختيار مفردة واحدة ممثلة للمجموعة الواحدة المتكونة من (04) وحدات وفق ترتيبها العادي في المجتمع الأصلي حسب قوائم الأسماء الممنوحة. والشئ الواجب التفكير فيه هنا يتمثل في كيفية التوصل إلى تحديد ترتيب مفردة التمثيل على مستوى المجموعة الواحدة من حيث موقعه في الترتيب على مستوى المجموعات، هل يكون الرقم 1 أو 2 أو 3 أو 4. بطبيعة الحال نلجأ هنا إلى أسلوب الاختيار العشوائي بتطبيق طريقة القرعة بسحب رقم من مجموع أربعة أرقام متسلسلة من واحد إلى أربعة أعداد. و لقد أسفر السحب العشوائي الذي قمنا به على الرقم (02)، بمعنى أن العدد (02) على مستوى كل مجموعة هو الممثل لها في العينة. فإذا أخذنا الرقم (02)

من المجموعة الأولى (من 01 إلى 04) المتصدرة لترتيب المجموعات من القائمة الأصلية فإن رقم المفردة (06) هو الممثل لمفردات المجموعة الثانية، والرقم (10) ممثل المجموعة الثالثة و .... هكذا . أي في كل مرة نضيف العدد (04) لرقم المفردة المختارة (2، 6، 10، 14، 18، 22، 26، 30.... الخ ) . لتحديد رقم سحب العينة في المجموعات و يمكن تمثيل هذه الطريقة في الشكل التالي:

مفردات العينة	مفردات العينة	مفردات العينة
84 83 82 81 • • • •	44 43 42 41 • • • •	4 3 2 1 • • • •
88 87 86 85 • • • •	48 47 46 45 • • • •	8 7 6 5 • • • •
92 91 90 89 • • • •	52 51 50 49 • • • •	12 11 10 9 • • • •
96 95 94 93 • • • •	56 55 54 53 • • • •	16 15 14 13 • • • •
100 99 98 97 • • • •	60 59 58 57 • • • •	20 19 18 17 • • • •
104 103 102 101 • • • •	64 63 62 61 • • • •	24 23 22 21 • • • •
108 107 106 105 • • • •	68 67 66 65 • • • •	28 27 26 25 • • • •
112 111 110 109 • • • •	72 71 70 69 • • • •	32 31 30 29 • • • •
116 115 114 113 • • • •	76 75 74 73 • • • •	36 35 34 33 • • • •
120 119 118 117 • • • •	80 79 78 77 • • • •	40 39 38 37 • • • •
124 123 122 121 • • • •		
125 •	وهكذا كان مجموع أفراد العينة التي طبقت عليها تقنية شبكة التدايعات ثلاثون أخصائي نفسي إكلينيكي .	

جدول رقم (02) يوضح الأسلوب المنتظم المعتمد في اختيار عينة تقنية شبكة التدايعات.

4- عرض نتائج تقنية شبكة التدايعات: بعد شرح تقنية شبكة التدايعات لم يبق لنا سوى وضع المثير المناسب الذي يعكس لحد كبير موضوع الدراسة، لذلك حاولنا استعمال جملة "العوامل الأسرية التي تجعل الطفل في خطر" باعتباره المثير المناسب لاستدعاء تدايعات الأخصائيين النفسيين .

4-1- تفرغ العبارات المتداعية من طرف أفراد شبكة التدايعات : كما يلي:

الحالة (01)	الحالة (02)	الحالة (03)	الحالة (04)	الحالة (05)
-------------	-------------	-------------	-------------	-------------

سنة عبيدي

- ضرب الطفل- عنف ضد الطفل- رفض - إهمال - عدم القدرة على ضبط النفس- الفقر - طلاق الوالدين- البعد عن الدين	- عدم الرغبة في الطفل- عنف جسدي- خلافات زوجية دائمة- سوء المعيشة- لا مبالاة- مشكل السكن	- اعتداء جسدي - الشتيم - عصبية الوالدين- انفصال عن الطفل- مشاكل زوجية- انخفاض المعيشة- إهمال- سوء تعلم مبادئ الدين	- نقص الوازع الديني - اعتداء جسدي - تخويف الطفل - استعمال وسائل حادة ضد الطفل - البطالة- الطلاق	- ضرب الطفل - خيانات زوجية - الحقرة- مشاكل سكنية- الهجر- عدم مراعاة الطفل - صراعات نفسية
المجموع = 08	المجموع = 06	المجموع = 08	المجموع = 06	المجموع = 07

الحالة (06)	الحالة (07)	الحالة (08)	الحالة (09)	الحالة (10)
- الإساءة الجسدية للطفل- استعمال القوة - الفقر - سوء المعاملة بين الزوجين - انحطاط الأخلاق	- الضرب- اللكم - الكلام البذيء - تسلط الوالدين - عدم كفاية الدخل - عدم الانضباط تجاه الطفل	- البعد عن الطفل - إلحاق الأذى الجسدي- جرح الطفل - البعد عن الدين	- الاندفاعية- العنف المعنوي- الهروب من الأسرة و الأطفال- سوء الظروف المادية- عدم النضج- غياب السكن الملائم	- قسوة ضد الطفل - الكلام الجرح - الاضطرابات النفسية- الفقر- الطلاق- سوء التربية الدينية- عدم توفر السكن الملائم
المجموع = 05	المجموع = 06	المجموع = 04	المجموع = 06	المجموع = 07

الحالة (11)	الحالة (12)	الحالة (13)	الحالة (14)	الحالة (15)
-------------	-------------	-------------	-------------	-------------

طفولة في خطر

- ضرب الطفل - رفض الطفل - الهجر- مستوى اقتصادي متذبذب - اللامبالاة - سكن غير مناسب - عدم النضج النفسي	- العنف المادي - صعوبة التعامل بين الأفراد- راتب شهري منعدم- مشاكل بين الزوجين- علاقات جنسية شاذة مع الطفل	- البرودة العاطفية - نقص الوازع الديني - الضرب- المعاناة النفسية- انعدام الدخل - الإهمال- التشتت الأسري	- الخشونة الجسدية - التمييز بين الأطفال - اعتداء جنسي- انخفاض المستوى المادي- سكن قصديري- التخلي عن الطفل- عدم احترام مبادئ الدين- الاضطرابات النفسية- الانفصالات	- الحرمان العاطفي - صراعات زوجية - سوء المعاملة الجسدية- تحرش جنسي- الإحباط- الفقر- الإهمال المفرط- المشاكل النفسية- الفراق و الهجر
المجموع = 07	المجموع = 05	المجموع = 07	المجموع = 09	المجموع = 09

الحالة (20)	الحالة (19)	الحالة (18)	الحالة (17)	الحالة (16)
- الخلافات الزوجية - التقليل من الشان - الهجر والحرمان - سكن مهمش	- المشاكل الزوجية - ضرب الطفل - الاحتقار - عدم توفر ظروف العيش السكنية الملائمة - عدم القدرة على العيش- الإهمال	- اعتداءات جنسية - مختلف أشكال الإساءة الجسدية - الإهانة- العنف النفسي- عنف زوجي - انخفاض المدخول - التخلي عن الطفل - الطلاق- تندي الأخلاق- ظروف سكن رديئة	- الإساءة بالضرب - السب- سوء التفاهم بين الزوجين - نقص الوازع الديني - البطالة - اللجوء إلى الشارع - عدم الاكتراث بالطفل - اضطرابات نفسية	- عدم الرغبة في الطفل - علاقات متذبذبة - دفع الطفل بقوة - استغلال جنسي - عدم كفاية الدخل - الفجور - الهروب من المسؤولية
المجموع = 04	المجموع = 06	المجموع = 10	المجموع = 08	المجموع = 07

الحالة (25)	الحالة (24)	الحالة (23)	الحالة (22)	الحالة (21)
- حرمان الطفل من اللعب والأصدقاء - مشاكل في العمل - انعدام التفكير - وقدرة المواجهة- الإهمال المادي- مشاكل علائقية- انحلال العلاقات الزوجية	- غياب الوعي - الإهانة الجسدية - عزل الطفل- انعدام روح التواصل- انخفاض المستوى الثقافي والتعليمي	- الوحشية- عدم الاحترام بين الوالدين- عدم نوفر السكن الضروري- عدم سد الحاجات الضرورية- غياب الاتصال- غضب- عنف جنسي	- الحرمان العاطفي - انعدام الحوار - عدوانية- تحرش جنسي- عنف بين الزوجين- الإهمال المعنوي- معاناة نفسية - أزمنة الانفصال	- سوء معاملة جنسية - إساءة جسدية - الحقرة- عدم القدرة على التكيف- عدم توفر العمل المناسب - إفراط الإهمال- عدم التفاهم بين الزوجين
المجموع = 06	المجموع = 05	المجموع = 07	المجموع = 08	المجموع = 07

الحالة (30)	الحالة (29)	الحالة (28)	الحالة (27)	الحالة (26)
- النقد الدائم- عدم إدراك الأسرة لأفعالها- مشاكل مهنية لرب الأسرة- مشاكل صحية- اللامبالاة بالطفل- الإهمال- الفقر	- الإساءة النفسية للطفل- أمراض مزمنة- التقاليد الرديئة- عم الاستماع لمشاكل الطفل- المشاكل النفسية- هدم العلاقات الزوجية	- الصراخ الدائم في وجه الطفل- انتقاد الطفل- إعاقات جسدية - صعوبات في العمل - عدم الشعور بالمسؤولية	- الطلاق- سوء المعاملة الجسدية - لوم الطفل- عدم احترام القيم الدينية - أمراض مزمنة - الفقر- اللامبالاة - الأمراض النفسية	- استعمال القوة - الحط من قيمة الطفل- المراقبة الشديدة للطفل- التهميش - ضياع آمال الأسرة- عدم وعي الوالدين
المجموع = 07	المجموع = 06	المجموع = 05	المجموع = 08	المجموع = 06

المجموع الكلي للعبارات المتداعية هو: 200 عبارة.

جدول رقم (03) يوضح تفريغ العبارات المتداعية من طرف الأفراد.

#### 2-4- التوزيع حسب المعنى الدلالي للعبارات المتداعية ( تشكيل المحاور ) : سنأتي

الآن إلى خطوة مهمة وهي إعادة تبويب العبارات المتداعية و ذلك حسب ما تم تفريغها في الجداول السابقة، و لكن بأسلوب أكثر عملية حيث سنحاول تفريغها في محاور لكي نستطيع التعامل معها بأكثر سهولة ، كما يلي:

محاوير التحليل	العبارات	تكرار
----------------	----------	-------

30	ضرب الطفل - عنف ضد الطفل - عنف جسدي - اعتداء جسدي - استعمال وسائل حادة - ضرب الطفل - الإساءة الجسدية للطفل - استعمال القوة - الضرب - اللكم - إلحاق الأذى الجسدي - جرح الطفل - الاندفاعية - قسوة ضد الطفل - سوء المعاملة الجسدية - الخشونة الجسدية - الضرب - العنف المادي - ضرب الطفل - دفع الطفل بقوة - الإساءة بالضرب مختلف أشكال الإساءة الجسدية - عدوانية الوحشية - الإهانة الجسدية - استعمال القوة - سوء المعاملة الجسدية.	إساءة المعاملة الجسدية
28	رفض الطفل - عدم الرغبة في الطفل - شتم الطفل - تخويف الطفل - الحقرة - الكلام البذيء - العنف المعنوي - الكلام الجارح للطفل - الحرمان العاطفي - التمييز بين الأطفال - برودة عاطفية - رفض الطفل - عدم الرغبة في الطفل - السب - الإهانة - الاحتقار - التقليل من شأن الطفل - الحقرة - الحرمان العاطفي - عزل الطفل - الحرمان من اللعب - عزل الطفل - الحرمان من اللعب و الأصدقاء - الحط من قيمة الطفل - المراقبة الشديدة للطفل - لوم الطفل - الصراخ في وجه الطفل - انتقاد الطفل - الإساءة النفسية للطفل - النقد الدائم.	إساءة المعاملة النفسية
21	الفقر سوء المعيشة - انخفاض المستوى المعيشي - البطالة - الفقر - عدم كفاية الدخل - سوء الظروف المادية - الفقر - الفقر - انخفاض المستوى المادي - انعدام الدخل - راتب شهري منعدم - مستوى اقتصادي متذبذب - عدم كفاية الدخل - البطالة - انخفاض المدخول - عدم القدرة على العيش - عدم توفر العمل المناسب - عدم القدرة على سد الحاجات الضرورية - الفقر - الفقر.	الفقر
20	إهمال - لامبالاة - إهمال - عدم مراعاة الطفل - عدم الانضباط تجاه الطفل - الإهمال المفرط - التخلي عن الطفل - الإهمال - اللامبالاة - عدم الاكتراث بالطفل - التخلي - الإهمال - إفراط الإهمال - الإهمال المعنوي - الإهمال المادي - التهميش - اللامبالاة - عدم الاستماع لمشاكل الطفل - اللامبالاة بالطفل - الإهمال.	الإهمال
18	عدم القدرة على ضبط النفس - عصبية الوالدين - صراعات نفسية - تسلط الوالدين - عدم النضج - الاضطرابات النفسية - الإحباط - المشاكل النفسية - الاضطرابات النفسية المعاناة النفسية - عدم النضج النفسي - اضطرابات نفسية - ضعف نفسي معاناة نفسية - غضب - ضياع أمل الأسرة - الأمراض النفسية - مشاكل نفسية.	المشاكل النفسية
16	طلاق الوالدين - انفصال عن الطفل - طلاق - هجر - البعد عن الطفل - الهروب - الطلاق - الفراق - الانفصالات - التشتت الأسري - الهجر - الهروب من المسؤولية - الطلاق - الهجر و الحرمان - أزمات الانفصال و الانقطاع - الطلاق.	أزمات الانفصال والطلاق
15	خلافات زوجية دائمة - مشاكل زوجية - خيانات زوجية - سوء المعاملة بين الزوجين - صراعات زوجية - مشاكل بين الزوجين - سوء التفاهم بين الزوجين - عنف زوجي - مشاكل زوجية - الخلافات الزوجية - عدم التفاهم بين الوالدين - عنف بين الزوجين - عدم الاحترام بين الوالدين - انحلال	المشاكل الزوجية

	العلاقات الزوجية - هدم العلاقات الزوجية.	
12	البعد عن الدين - سوء تعلم المبادئ الدينية - نقص الوازع الديني - انحطاط الأخلاق - البعد عن الدين - سوء التربية الدينية - عدم احترام المبادئ الدينية - نقص الوازع الديني - الفجور - نقص الوازع الديني - تدني الأخلاق - عدم احترام القيم الإسلامية.	نقص الوازع الديني
11	مشكل السكن - مشاكل سكنية - غياب السكن الملائم - عدم توفر ظروف السكن الملائم - سكن قصديري - سكن غير مناسب - اللجوء إلى الشارع - ظروف سكن رديئة - عدم توفر ظروف العيش السكنية - سكن مهمش - عدم توفر السكن الضروري.	المشاكل السكنية
08	تحرش جنسي - اعتداء جنسي - علاقات جنسية مشبوهة - استغلال جنسي - اعتداءات جنسية - سوء معاملة جنسية - تحرش جنسي - عنف جنسي.	الإساءة الجنسية
07	صعوبة التعامل بين الأفراد - علاقات متذبذبة - عدم القدرة على التكيف - انعدام الحوار - غياب الاتصال - انعدام روح التواصل - مشاكل علائقية - اتصالية	مشاكل علائقية اتصالية
05	غياب الوعي - انعدام التفكير - عدم وعي الوالدين - عدم الشعور بالمسؤولية - عدم الإدراك للأفعال	غياب الوعي
04	أمراض مزمنة - إعاقات جسدية - أمراض مزمنة - مشاكل صحية.	مشاكل صحية
03	مشاكل في العمل - صعوبات في العمل - مشاكل مهنية.	مشاكل مهنية
02	انخفاض المستوى التعليمي و الثقافي - العادات و التقاليد الرديئة.	مشاكل ثقافية

**جدول رقم (04) يوضح التوزيع حسب المعنى الدلالي للعبارة المتداعية ( تشكيل المحاور )**

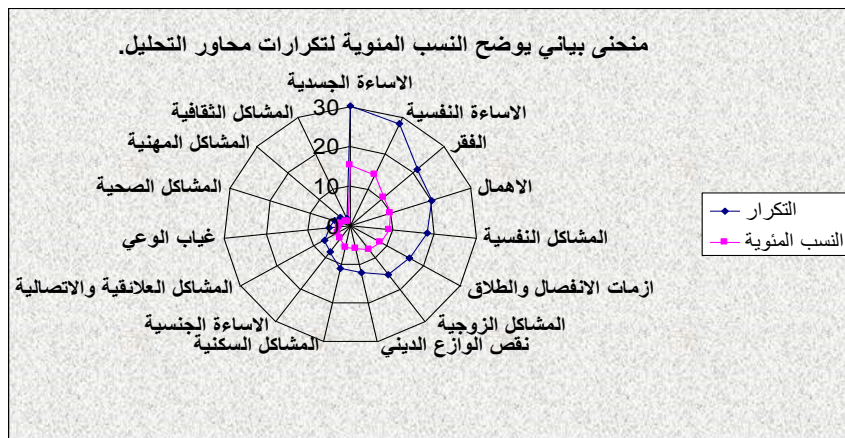
**التعليق:** انطلاقاً من العدد المعتبر للعبارة المتداعية وهو (200 عبارة) حاولنا إعادة تبويبها في محاور فتحصلنا على (15) محور ضم كل واحد منها مجموعة من التكرارات حسب الترتيب التنازلي لمجموعها، حتى وصلنا إلى المحور الأخير و الذي يضم عبارتين فقط حيث لا يمكننا إهماله لأنها تبقى عبارات مقسمة اجتماعياً بين الأفراد. وكان الهدف هو أننا في الخطوات القادمة من الدراسة سنتعامل مع هذه المحاور و ليس مع الحالات. لنقوم بعد ذلك باستخراج النسب المئوية للتكرارات و سنحاول تدعيمها بمنحنى بياني، لنحاول عرض و توضيح النتائج بصورة واضحة ودقيقة، كما يلي :

النسب المئوية	التكرار	محاور التحليل	محاوري التحليل
15 %	30	الإساءة الجسدية	محاوري التحليل الإساءة الجسدية الإساءة النفسية الفقر الإهمال
14 %	28	الإساءة النفسية	
10.5 %	21	الفقر	
10 %	20	الإهمال	



المشاكل النفسية	18	9 %
أزمات الانفصال والطلاق	16	8 %
المشاكل الزوجية	15	7.5 %
نقص الوازع الديني	12	6 %
المشاكل السكنية	11	5.5 %
الإساءة الجنسية	08	4 %
مشاكل علائقية اتصالية	07	3.5 %
غياب الوعي	05	2.5 %
المشاكل الصحية	04	2 %
المشاكل المهنية	03	1.5 %
المشاكل الثقافية	02	1 %
مج	200	100 %

جدول رقم (05) يوضح النسب المئوية لتكرارات محاور التحليل .



منحنى بياني رقم (01) يوضح النسب المئوية لتكرارات محاور التحليل الخمسة عشرة.

من خلال الخطوات الأولى من خطوات الشبكة قمنا بترتيب العبارات ثم رتبنا ظهورها حسب المحاور ثم عملنا على ترتيبها حسب ظهورها من الحالة، فالعبارة التي تدعى بها الأولى أعطينا لها رقم (01) و التي تدعى بها ثانية منحناها الرقم (02) و هكذا مع كل العبارات والكلمات المتداعية مع كل الحالات. و بعدها عملنا على تفريغ العبارات في محاور و التي كانت (15) محور حسب الدلالة التي حملتها الكلمات، لتقوم بإعادة ترتيبها كما وردت، فحصلنا على مجموعة الترتيب في كل محور، و لكي نجد قيمة واحدة شاملة و جامعة لكل قيم الظهور الخاصة بكل محور قمنا بعملية حساب الوسيط ، ونفس الخطوات مع ترتيب عبارات المحاور حسب الأهمية .



18	0	18	0	(-), (-), (-) (-), (-) (-), (-) (-), (-) (-), (-) (-), (-) (-), (-), (-) (-), (-), (-)	عدم القدرة على ضبط النفس - عصبية الوالدين - صراعات نفسية - تسلط الوالدين - عدم النضج - الاضطرابات النفسية - الإحباط - المشاكل النفسية - الاضطرابات النفسية - المعاناة النفسية - عدم النضج النفسي - اضطرابات نفسية - ضعف نفسي - معاناة نفسية - غضب - ضياع أمل الأسرة - الأمراض النفسية - مشاكل نفسية.	المشاكل النفسية
16	5	11	0	(0), (-), (0) (-) (-), (-) (0), (-) (-), (-), (-) (-), (0), (-) (0), (-)	طلاق الوالدين - انفصال عن الطفل - طلاق - هجر - البعد عن الطفل - الهروب - الطلاق - الفراق - الانفصالات - التشتت الأسري - الهجر - الهروب من المسؤولية - الطلاق - الهجر و الحرمان - أزمات الانفصال و الانقطاع - الطلاق	أزمات الانفصال والطلاق
15	1	14	0	(-), (0), (-) (-), (-), (-) (-), (-), (-) (-), (-), (-) (-), (-), (-)	خلافات زوجية دائمة - مشاكل زوجية - خيانات زوجية - سوء المعاملة بين الزوجين - صراعات زوجية - مشاكل بين الزوجين - سوء التفاهم بين الزوجين - عنف زوجي - مشاكل زوجية - الخلافات الزوجية - عدم التفاهم بين الوالدين - عنف بين الزوجين - عدم الاحترام بين الوالدين - انحلال العلاقات الزوجية - هدم العلاقات الزوجية.	المشاكل الزوجية
12	0	12	0	(-), (-), (-) (-), (-), (-) (-), (-), (-) (-), (-), (-)	البعد عن الدين - سوء تعلم المبادئ الدينية - نقص الوازع الديني - انحطاط الأخلاق - البعد عن الدين - سوء التربية الدينية - عدم احترام المبادئ الدينية - نقص الوازع الديني - الفجور - نقص الوازع الديني - تدني الأخلاق - عدم احترام القيم الإسلامية.	نقص الوازع الديني
11	9	2	0	(0), (0), (0) (0), (0), (0) (0), (-), (0) (0), (-)	مشكل السكن - مشاكل سكنية - غياب السكن الملائم - عدم توفر ظروف السكن الملائم - سكن قصديري - سكن غير مناسب - اللجوء إلى الشارع - ظروف سكن رديئة - عدم توفر ظروف العيش السكنية - سكن مهمش - عدم توفر السكن الضروري.	المشاكل السكنية
8	0	8	0	(-), (-), (-) (-), (-), (-) (-), (-)	تحرش جنسي - اعتداء جنسي - علاقات جنسية مشبوهة - استغلال جنسي - اعتداءات جنسية - سوء معاملة جنسية - تحرش جنسي - عنف جنسي.	الإساءة الجنسية
7	0	7	0	(-), (-), (-) (-), (-), (-) (-)	صعوبة التعامل بين الأفراد - علاقات متذبذبة - عدم القدرة على التكيف - انعدام الحوار - غياب الاتصال - انعدام روح التواصل - مشاكل علائقية	مشاكل علائقية اتصالية
5	5	5	0	(-), (-), (-) (-), (-)	غياب الوعي - انعدام التفكير - عدم وعي الوالدين - عدم الشعور بالمسؤولية - عدم إدراك الأسرة لأفعالها.	غياب الوعي

4	3	1	0	،(0) ،(0) (0)،(-)	أمراض مزمنة - إعاقات جسدية - أمراض مزمنة - مشاكل صحية.	مشاكل صحية
3	3	0	0	(0) ،(0) ،(0)	مشاكل في العمل - صعوبات في العمل - مشاكل مهنية.	مشاكل مهنية
2	2	0	0	(0) ،(0)	انخفاض المستوى التعليمي و الثقافي - العادات والتقاليد الرديئة.	مشاكل ثقافية

جدول رقم (06) يوضح تفريغ قيم عبارات المحاور (+ ، - ، 0) حسب الأفراد.

من أجل التوضيح نعرض الجدول الشامل لكل للقيم المستخلصة كما يلي :

المحاور	التكرار	الظهور	الأهمية	القيم العددية	تصورات الأخصائيين النفسيين للعوامل الأسرية التي تجعل الطفل في خطر
الإساءة الجسدية	30	01	01	-	
الإساءة النفسية	28	02	02	-	
الفقر	21	10	11	0	
الإهمال	20	14	12	-	
المشاكل النفسية	18	11	03	-	
أزمات الانفصال والطلاق	16	13	10	-	
المشاكل الزوجية	15	06	04	-	
نقص الوازع الديني	12	12	05	-	
المشاكل السكنية	11	15	13	0	
الإساءة الجنسية	08	07	07	-	
مشاكل علائقية واتصالية	07	08	08	-	
غياب الوعي	05	03	09	-	
المشاكل الصحية	04	05	14	0	
المشاكل المهنية	03	04	15	0	
المشاكل الثقافية	02	09	06	0	

جدول رقم (07) يوضح القيم الكلية لمراحل تقنية شبكة التداعيات .

4-4- تفريغ عبارات المحاور حسب ترتيب القيم العددية مع حساب المؤشرات

(Y)	(N)	(P)	مج	مج	(0)	مج	(-)	مج	+	المؤشرات المحاور
+0.70	-0.240	-0.255	54	3	3	51	1-1-4-2-1-2-2-1 3-3-1-1-2-2-1-2- 2-2-12-3-1-1-1-1- 1-2-2-1-3	0	0	إساءة المعاملة الجسدية
+0.72	-0.165	-0.225	57	12	3-2-3 1-3	45	1-2-1-2-2-1 2-3-3-2-1-2- 3-3-2-1-3-3 3-1-1-2-1	0	0	إساءة المعاملة النفسية
+0.79	+0.030	-0.240	102	54	5-4-6 4-5-3 5-5-6 5-6	48	3-4-4-6 4-5-5-4 7-6	0	0	الفقر

+0.80	-0.280	-0.425	114	29	7-6-5 4-7	85	5-6-6-7-4 4-6-6-7-7 6-5-4	0	0	الإهمال
+0.82	-0.525	-0.525	105	0	0	105	3-7-3-5 - 6 -5-5-5-5-3 8-8-8-7-7-7	0	0	المشاكل النفسية
+0.84	-0.120	-0.275	86	31	1-8-9-6-7	55	9-5-3-1-5-4 8-3-3-7-7	0	0	أزمة انفصال وطلاق
+0.85	-0.235	-0.260	57	5	5	52	3-4-2-5-2-3 6-6-1-5-7-1-1-5	0	0	المشاكل الزوجية
+0.88	-0.315	-0.315	63	0	0	63	6-4-4-1-8-8 4-9-4-6-2-7	0	0	نقص الوازع الديني
+0.89	+0.165	-0.070	61	47	6-4-6 -6 6-5-7 3-4	14	4-1	0	0	مشاكل سكنية
+0.92	-0.145	-0.145	29	0	0	29	7-4-1-1-4-5-3-4	0	0	الإساءة الجنسية
+0.93	-0.120	-0.120	24	0	0	24	5-4-5-2-4-2-2	0	0	مشاكل علائقية
+0.95	-0.085	-0.085	17	0	0	17	2-5-6-3-1	0	0	غياب الوعي
+0.96	+0.050	-0.010	14	12	4-3-5	2	2	0	0	مشاكل صحية
+0.97	+0.045	0	9	9	3-4-2	0	0	0	0	مشاكل مهنية
+0.98	+0.040	0	8	8	3-5	0	0	0	0	مشاكل ثقافية

جدول رقم (08) يوضح تفريغ عبارات المحاور حسب ترتيب القيم العددية مع حساب المؤشرات الثلاثة

##### 5- عرض وتفسير قيم المؤشرات القطبية والحيادية ، كما يلي :

\* محور إساءة المعاملة الجسدية : حيث المؤشر القطبي  $P = -0.255$  وحسب ما تقدمت به الباحثة

"Anna Maria De Rosa" فإن هذه القيمة تنحصر في المجال  $0.4-$  و  $0.4+$  وهذه القيمة المتتابة يمكن أن نمنحها الرقم (2) وهذا ما يدل بأن معظم الكلمات المتداوية ذات قيم متعادلة أي أن القيم الموجبة والسالبة تتجه نحو التعادل. أما المؤشر الحيادي  $N = -0.240$  ، وهذه القيمة تنحصر في المجال :  $1-$  ،  $0.05-$  إذن القيمة المتتابة يكن أن ترمز بـ (1) وهذا يدل أن الكلمة ترمز بالحياد (حياد ضعيف) .

\* محور إساءة المعاملة النفسية: حيث  $P = -0.225$  ، وهي تنحصر في المجال:  $0.4+$ ،  $0.04+$  ويمكن أن ترمز بـ (2) ما يشير إلى التعادل بين القيم الموجبة

والسالبية. أما  $N = -0.165$  ، وهي تنحصر في المجال  $-1$ ،  $-0.05$  ومنه يمكن أن ترمز بـ (1) مما يدل أن الكلمات ترمز بالحياد أي ذات حياد ضعيف .

\* محور الفقر : حيث  $P = -0.240$  ، وهي تنحصر في المجال:  $-0.4$  و  $+0.04$ ، ويمكن ترمز بـ (2) ما يشير إلى أن القيم الموجبة والسالبة تتجه نحو التعادل. أما  $N = +0.030$  وهذه القيمة تنحصر في المجال :  $-0.04$  و  $+0.04$  ويمكن أن ترمز بـ (2)، وهذا يدل أن الكلمات الحيادية تتجه نحو حياد معتدل.

\* محور الإهمال : حيث  $P = -0.425$ ، وهذه القيمة تنحصر في المجال :-  $+0.05$ ، وهذه القيمة المتتابة يمكن أن ترمز بـ (1) وهذا يدل أن معظم الكلمات ذات دلالة سلبية. أما  $N = -0.280$  وهي قيمة تنتمي إلى المجال:  $-1$ ،  $-0.05$  ومنه يمكن أن ترمز بـ (1) مما يشير أن الكلمات مرزمة بالحياد الضعيف .

\* محور المشاكل النفسية: حيث  $P = -0.525$  وهي تنحصر في المجال:  $-1$ ،  $+0.05$  مما يمكن أن تحمل الرقم (1) لكي تشير إلى السلب. أما  $N = -0.525$  وهي قيمة تنحصر في المجال:  $-1$ ،  $-0.05$  ويمكن لهذه القيمة أن تحمل الرقم (1) ما يشير إلى أن معظم الكلمات المتداعية مرزمة بالحياد الضعيف .

\* محور أزمات الانفصال والطلاق: حيث  $P = -0.275$  وهي تنحصر في المجال :-  $+0.04$  ،  $-0.4$ ، ويمكن ترميزها بـ (2) ما يشير إلى أن التعادل. أما  $N = -0.120$  وهي تنحصر في المجال:  $-1$ ،  $-0.05$  ويمكن ترميزها بـ (1) لتشير إلى أن معظم الكلمات المتداعية مرزمة بالحياد الضعيف .

\* محور المشاكل الزوجية : حيث المؤشر القطبي  $P = -0.260$  ، وهي قيمة متتابة تنحصر في المجال :  $-0.4$ ،  $+0.04$  وهذه القيمة يمكن أن ترمز بـ (2) وهذا يدل بأن الكلمات الموجبة والسالبة تتجه نحو قيم متعادلة. أما المؤشر الحيادي  $-0.235$   $N =$  وهي قيمة تنحصر في المجال :  $-1$ ،  $-0.5$  وهذه القيمة المتتابة يمكن أن ترمز بـ (1) وهذا يدل أن معظم الكلمات مرزمة بالحياد ( حياد ضعيف ) .

\* محور نقص الوازع الديني : حيث  $P = -0.315$  وهي تنحصر في المجال:  $-0.4$  ،  $+0.04$ ، وهذه القيمة يمكن أن ترمز بـ (2) ، مما يشير أن الكلمات تتجه نحو قيم متعادلة. أما  $N = -0.315$  ، وهي تنحصر في المجال:  $-1$ ،  $-0.05$  ويمكن ترميزها بـ (1) أين تشير إلى أن معظم الكلمات ذات حياد ضعيف .

\* محور المشاكل السكنية : حيث  $P = -0.070$  هذه القيمة المتتابة تنحصر في المجال :-  $+0.04$ ،  $-0.4$  ويمكن أن ترمز بـ (2) ما يدل بأن الكلمات المتداعية ذات إحاء متعادل. أما  $N = +0.165$  وهي قيمة تنحصر في المجال :  $+0.04$  ،  $+1$  ويمكن ترميزها بـ (3) ما يدل أن معظم الكلمات ذات حياد مرتفع .

\* محور الإساءة الجنسية : حيث  $P = -0.145$  وهي قيمة متتابعة تنحصر في المجال : -1، +0.05 ، هذه القيمة يمكن ترميزها بـ (1) لتشير بأن معظم الكلمات المتداعية سلبية. أما:  $N = -0.145$  وهي قيمة تنحصر في المجال : -1 ، -0.05 حيث يمكن ترميزها بـ (1) ما يشير إلى الحياد الضعيف.

\* محور مشاكل علائقية وإتصالية: حيث  $P = -0.120$  وهي تنحصر في المجال:- 0.4، +0.04 ، ويمكن ترميزها بـ (2) لتدل على أن الكلمات متعادلة من حيث الإيجاب والسلب. أما  $N = -0.120$  وهي تنتمي إلى المجال : -1، -0.05 ويمكن ترميزها بـ (1) لتشير إلى أن معظم الكلمات ذات حياد ضعيف.

\* محور غياب الوعي : حيث  $P = -0.085$  هذه القيمة المتتابعة تنحصر في المجال : -0.4، +0.04 ويمكن أن ترمز بـ (2) ما يدل بأن الكلمات المتداعية متعادلة في الإيجاب والسلب. في حين  $N = -0.085$  ، وقيمتها تنتمي إلى المجال:-1، -0.05 والتي يمكن ترميزها بـ (1) مما يدل على الحياد الضعيف .

\* محور المشاكل الصحية : حيث  $P = -0.010$  هذه القيمة تنتمي إلى المجال :- 0.4، +0.04 ، والتي يمكن ترميزها بـ(2) حيث تدل أن معظم الكلمات المتداعية تتجه نحو قيم متعادلة.أما  $N = +0.050$  وهي قيمة تنتمي إلى المجال : +0.04، والتي يمكن ترميزها بـ (3) حيث تدل على حياد عالي ومرتفع .

\* محور المشاكل المهنية: حيث المؤشر :  $P = 0$  ، وهذه القيمة المتتابعة تنتمي إلى المجال الأول :

-1 ، 0.05 ، والتي يمكن ترميزها بـ (1) لتدل على الإيحاء السلبي.أما  $+0.45 = N$  ، وهي تنحصر في المجال: +0.04، +1 والتي يمكن ترميزها بـ(3) لتشير بأن معظم الكلمات المتداعية ذات حياد مرتفع .

\* محور المشاكل الثقافية : حيث  $P = 0$  وهذه القيمة المتتابعة تنتمي إلى المجال الأول:-1، +0.05 حيث يمكن أن ترمز بـ (1) لتشير إلى أن معظم العبارات مرمزة بالسلب. أما  $N = +0.040$  هي قيمة تنحصر في المجال : +0.04، +1 والتي يمكن أن ترمز بـ (3) لتدل على الحياد المرتفع .

نعلم أن أهمية المؤشرات القطبية تساعدنا في عملية تقييم مدى توجه الأفراد بتصورهم حول موضوع معين ، ومن خلال ما تحصلنا عليه من نتائج حول قيم المؤشر القطبي والدلالات الإحصائية التي أشار إليها يتضح لنا كيف أنه ظهر بدرجة عالية جدا وهي اتخاذ الدلالة الإحصائية (2) من سلم 1، 2، 3 لعشر (10) مرات وهذا يثبت مدى صدق هذه التقنية وثبات هدفها في قياس التوجه الضمني لمواقف التصورات ونعلم كذلك أن ترتيب تكرار العبارات ليس دليلا كافيا ولا معيارا حاسما على معرفة مدى توجه المواقف الضمنية للتصورات ، لكن بالمؤشرات القطبية يمكن ذلك ، حيث

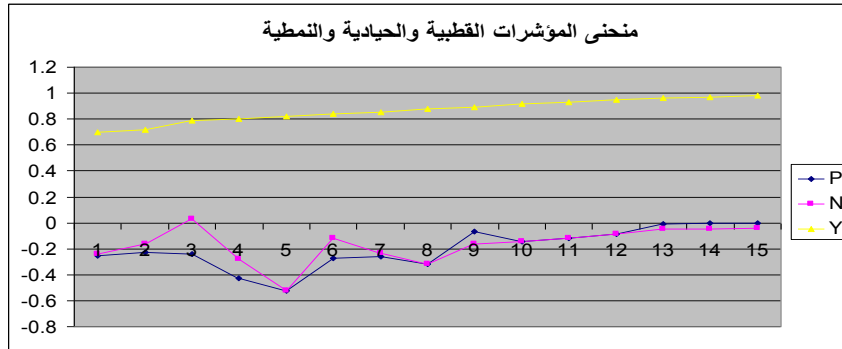
كان محور الإساءة الجسدية قد حصل على أكبر تكرار (30)، وعمل المؤشر القطبي على تأكيد ذلك من خلال حصوله على درجة بعيدة عن السلب لتستقر في التعادل، وهكذا أيضا بالنسبة لمحور الإساءة النفسية الذي حصل على ثاني تكرار بـ(28) ليشير مؤشره القطبي إلى القيمة (2) للدلالة على التعادل بين الإيجاب والسلب، وبما أن الهدف من كل خطوات بناء شبكة التداعيات هو بالدرجة الأولى التعرف على طبيعة توجه تصورات الأخصائيين النفسيين حول العوامل الأسرية التي تجعل الطفل في خطر ومدى انتشارها وتقسيمها بين الأفراد، فقد اتضح لنا من خلال المحاور العشر السابقة والتي تحصلت على الدرجة (2) إضافة إلى المحاور الخمسة ذات القيمة (1) أنها كلها عكست تصوراتهم وبغض النظر على المحاور الأخيرة ذات التكرارات الضعيفة والتي تعادل فيها المؤشر القطبي مع القيمة (0)، يتضح لنا كيف أن قيم المحاور: إساءة المعاملة الجسدية الإساءة النفسية، الفقر، أزمات الانفصال والطلاق، المشاكل الزوجية قد تقاربت قيم المؤشر القطبي فيها والتي تراوحت بين (-0.225 و -0.275) مما يبين بروز هذه التصورات وتقاربها عند الأخصائيين النفسيين لكي تكون مقسمة اجتماعيا بينهم. إضافة إلى بروز محاور أخرى بقيم مرتفعة للمؤشر القطبي كالمشاكل المهنية والثقافية والمشاكل الصحية والسكنية، المشاكل العلائقية الاتصالية والإساءة الجنسية ورغم تكراراتها الضعيفة تبقى تصورات موزعة بينهم.

كذلك يتبين لنا أن مؤشر الحياد يدعم المؤشرات القطبية والنمطية للتعرف على طبيعة وتكوين تصورات الأخصائيين النفسيين حول الموضوع. حيث كلما كانت دلالة الحياد منخفضة وضعيفة دلت أكثر على دور المحور في التصور، ولقد وجدنا تكرار الحياد الضعيف في (10) محاور وهذا يؤكد تحقيق هدفنا في التأكد في وجود تصورات للعوامل الأسرية التي تهدد الطفل بالخطر حيث انخفاض الحياد دليل على قوة وثبات هذه المحاور العشر والتي سبق ذكرها ما يشير إلى قوتها وثباتها في التصور وقربها من النظام المركزي، وعلى العكس فكلما كان الحياد مرتفع دل ذلك على محيطية المحور وبعده عن النواة المركزية واستقراره كعنصر محيط بها، ولذلك يمكن القول أن المحاور الأربعة ذات الحياد المرتفع والمتمثلة في المشاكل السكنية، الصحية، المهنية، والثقافية ليست لها أهمية ولا ثبات في تصورات الأخصائيين، أما محور الفقر يعد عنصرا لا مركزيا ولا محيطيا حيث يستقر بالقرب من النواة ومن العناصر المحيطية وبهذا يمكن أن نستنتج جملة من التصورات الثابتة والمستقرة بين الأخصائيين النفسيين لولاية قسنطينة والتي حددت في المحاور العشر ذات الحياد الضعيف كنظام مركزي ثم محور الفقر لتأتي بقية المحاور الأربعة كنظام محيطي. وتتجلى أهمية المؤشر النمطي في التعرف على مدى ثبات عناصر التصورات حيث كلما كانت قيمة المؤشر ضعيفة كلما دلت على قوة الثبات حيث يعمل على قياس بنية التصورات بالتناسب العكسي مع التكرار، حيث كلما كان التكرار كبير، كلما كان الثبات أقل وعليه نجد أن محور الإساءة الجسدية ذو تكرار (30) أخذ القيمة الأقل للمؤشر كما أن محور الإساءة النفسية ذو ثاني تكرار بقيمة (28) قد حصل على ثاني أضعف قيمة للمؤشر النمطي مما يشير



إلى مدى ثبات تصورات الأخصائيين النفسيين للإساءة الجسدية والنفسية وتقسماها الاجتماعي بينهم ، مما يدل على اختلال هذين المحورين المراكز الأساسية والصلبة في التصور والمعبر عنها بالنواة المركزية.

وللوقوف على تفسير شامل للمؤشرات الثلاث معا نقترح المخطط التالي :



منحنى بياني رقم (02) يوضح العلاقة بين المؤشرات القطبية والحيادية والنمطية.

**6- مضمون النتائج المحصل عليها من خلال شبكة التداعيات:** إن الهدف من دراسة التصورات لأي موضوع هو إبراز العناصر المكونة لها أي بنية وتكوين تلك التصورات ، حيث كانت أهداف بحثنا حول تصورات الأخصائي النفسي الإكلينيكي حول "العوامل الأسرية التي تجعل الطفل في خطر" حتى نقف على نظامها من نظام مركزي وآخر محيطي، ونعلم أن النواة المركزية هي الجزء الأكثر ثباتا وإستقرارا في التصور فهي أصلب عنصر فيه وتبين مدى توجه المواقف الضمنية لعناصر التصور، أما النظام المحيطي فهي تلك التي تعطي للتصور الحركية والدينامية وتجعله أكثر مرونة لأنها تعود إلى تجارب الفرد، مما يعكس عمل التصورات كنظام مزدوج (Abric, 1997). double système

ولتوضيح بنية هذه العناصر سنحاول تحليل النتائج عبر مختلف مراحل شبكة التداعيات كما يلي:

**6-1 التكرار:** لقد تبين أن محور إساءة المعاملة الجسدية للطفل أخذ أكبر تكرار بقيمة (30) من مجموع (200) عبارة متداعية ، يليه محور الإساءة النفسية للطفل بـ (28) وهكذا بالنسبة للمحاور المتبقية .ومن أهم شروط النواة المركزية توافرها على أكبر تكرار، وهذا ما يرشح محور إساءة المعاملة الجسدية للطفل ليكون النواة المركزية ما يدل على دلالة تصورات الأخصائيين الإكلينيكيين النفسيين للعوامل الأسرية التي تجعل الطفل في خطر تحمل معنى الإساءة الجسدية للطفل كأهم عامل مهدد بالخطر

حيث كان محور الإساءة الجسدية تصور مقسم بين الأخصائيين ويحتل المركزية في بنيته.

وما يؤكد هذا هو تأكيد الأخصائيين على موضوع الإساءة للطفل بالإشارة إلى نوع آخر منها هو الإساءة النفسية للطفل باحتلالها ثاني تكرار أي قريبا الشديد من النواة المركزية، حيث رغم وجود هذه الأخيرة ( الإساءة الجسدية ) إلا أنها غالبا تكون متبوعة بإساءة نفسية مهددة للأمن والصحة النفسية للطفل فرغم غياب الجروح الجسدية ، تكون المعاناة النفسية المتولدة عن الشتم والإهانة والحط من القيمة وتدني تقدير الذات ..... الخ ،خطيرة نتيجة ما تتركه من آثار وعقد نفسية راسخة في شخصية الطفل ما يمكننا القول أن الطفل تتمخض تربيته عن شدة وعنف الأسرة خاصة الوالدين بأسلوب مقصود أو غير مقصود. ليأتي محور الفقر بثالث تكرار والذي يؤكد قرابه أيضا من النواة المركزية وهنا تشير تصورات الأخصائيين إلى عامل من عوامل الخطر التي تهدد الطفل وهو معاناة أسرته من الفقر حيث تدني ظروف المعيشة، وتذبذب الأوضاع المادية - الاقتصادية لها تجعله مهددا بالخطر كخطر اللجوء إلى العمل في سن مبكر واستغلاله من طرف الآخرين وترك الدراسة والتعرض لمختلف الأخطار التي يحملها الشارع .

**2-6- عملية ترتيب الظهور l'apparition :** من خلال حساب قيمة ترتيب الظهور لمحاور التحليل وجدنا أن محور إساءة المعاملة الجسدية وكذلك إساءة المعاملة النفسية تحصلا على المرتبة الأولى ضمن ترتيب المحاور، ونعلم أن درجة الظهور تدل على سعة إنتشار التصور وتقسيمه الإجتماعي، حيث كان لمحور الإساءة الجسدية أولوية الترتيب مع محور الإساءة النفسية ثم محور غياب الوعي، المشاكل المهنية، المشاكل الصحية، المشاكل الزوجية، لإساءة الجنسية، المشاكل العلائقية والإتصالية... الخ . حيث المحاور التي تعدت رتبها السادسة إلى العاشرة تتميز بالوسطية في مدى إنتشارها بين الأخصائيين النفسيين ، في حين نجد المشاكل السكنية تعاني ضعف كبير في الإنتشار بين أفراد الدراسة .

**3-6- عملية ترتيب الأهمية l'importance:** حيث تكمن أهميتها في إبراز العبارات الأكثر تهيؤا في المجتمع للوقوف على مدى قوة وثبات عناصر التصورات للأخصائيين النفسيين وصلابتها وإستمراريتها رغم تلك التغيرات والتبدلات التي تجعلها مرنة ودينامية وهذا ما ينطبق على النظام المحيطي، حيث تصدر محوري الإساءة الجسدية والنفسية الرتبتين الأولى والثانية على التوالي مما يدل على ثبات تصورات الأخصائيين الإكلينيكين على هذين النوعين من الإساءة كأهم عوامل أسرية تهدد الطفل بالخطر ، ثم يأتي محور المشاكل النفسية، المشاكل الزوجية، نقص الوازع الديني، في أولى مراتب الترتيب لتحل محاور المشاكل الثقافية، الإساءة الجنسية، المشاكل العلائقية الإتصالية، غياب الوعي، أزمت الإنفصال والطلاق الوسطية، لتحل المشاكل السكنية، المشاكل الصحية، المشاكل المهنية المراتب الأخيرة .

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن أغلب النتائج أكدت على أهمية عامل الإساءة للطفل بمختلف أنواعها الجسدية والنفسية ، كأهم خطر يهدد حياته، إلى جانب المشاكل النفسية التي يمكن أن تعانيتها الأسرة خاصة الوالدين وتأثيرها على الطفل، كما أن المشاكل الزوجية تترتب عنها أخطار كبيرة يكون الطفل ضحيتها، ولعل ما يجذب إنتباهنا هو ثبات تصور الأخصائيين النفسيين على نقص الوازع الديني كعامل مهم وحساس إفتقاده يمكن أن يشكل خطر على الطفل حيث التربية الأسرية التي لا تقوم على مبادئ دينية وعقائدية ثابتة أكيد ستكون مصدر تهديد للطفل، ليقع في الأخير إهمال المشاكل السكنية الصحية، والمهنية باعتبارها ليست عوامل كافية وأساسية يمكن أن تهدد الطفل بالخطر فقد تكون عوامل مساعدة ومفجرة، لكنها ليست الأسباب الحقيقية التي يمكن أن تشكل مصدر خطر للطفل. وهكذا فإن ترتيب الأهمية يلعب دور كبير في تمييز النواة المركزية والعناصر المحيطة، إلا أنه غير كاف للحكم على محور معين إلا بالإستناد على بقية الشروط الأخرى.

**4-6- المؤشرات القطبية والحيادية والنمطية:** كما رأينا في تفسير المؤشرات أن المؤشر القطبي تحصل على القيمة الإحصائية (2) في (10) محاور أي أن معظم الكلمات ذات دلالة متعادلة حيث تتجه فيها قيم السلب والإيجاب نحو التعادل بمعنى توجه محتواها الضمني نحو التعادل، وهذا يدل على أن هناك من الأخصائيين النفسيين من له مواقف لا تنحاز إلى الإيجاب ولا إلى السلب ، مما يشير إلى غياب مراجع أكيدة وثابتة ودراسات ميدانية يمكن أن يستند عليها هؤلاء للتعبير عن تصوراتهم التي بقيت في المجال الوسطي بين السلب والإيجاب أي يمكن أن تؤثر سلبا أو يمكن أن توجي بالإيجاب ولكن هذا يكون حسب وضعيات وعوامل أخرى قد تعيشها الأسرة . في حين خمسة محاور وقع ترميزها ب (1) وهذا يعني توجه الموقف الضمني السلبي لهذه المحاور. أما بالنسبة لمؤشر الحياد فإنه يدعم المؤشر النمطي لمعرفة طبيعة هذه التصورات ، والذي أخذ القيمة (1) في عشر محاور التي احتلت المرتبة الأولى في الحياد الضعيف ، مما يدل على دور هذه المحاور في تصورات الأخصائيين وقربها من النواة المركزية حيث من خلالها يتبين وجود مختلف أنواع الإساءة الجسدية والنفسية وكذلك الجنسية ، ثم بعض المشاكل النفسية والزوجية وكذلك نقص الوازع الديني ، والتي إحتلت المركزية في تصوراتهم. أما **المؤشر النمطي** والذي يحرص على إبراز مدى نمطية التصورات وقياس مدى ثباتها ومرونتها، فمن خلاله تحصل محور الإساءة الجسدية ذو أكبر تكرار على أضعف قيمة للمؤشر، كذلك بالنسبة لمحور إساءة المعاملة النفسية المتحصل على ثاني أضعف قيمة للمؤشر وهي المحاور الأكثر نمطية والتي تدل على قوة وثبات التصور أما المحاور ذات المراتب الأخيرة في التكرار والتي تحصلت على أكبر قيم للمؤشر فهي أقل نمطية أي تمثل العناصر المحيطة وذلك لمرونتها حيث أنها قابلة للتغيير والتبدل تماشيا مع ظروف والخبرات الفرد.

## خاتمة

من خلال نتائج شبكة التداعيات، نستنتج أن هناك تنوع في تصورات الأخصائيين النفسيين الاكلنيكيين لولاية قسنطينة حول العوامل الأسرية التي تدفع الطفل إلى الخطر حيث كان الهدف من خلال هذه الدراسة الميدانية معرفة بنية وتكوين تلك التصورات، من خلال إبراز أهم العناصر المكونة لها ومعرفة دلالتها. وعليه يمكن الوقوف على أن محور إساءة المعاملة الجسدية يمكن أن يمثل النواة المركزية لموضوع بحثنا وهذا لاشتماله على معظم شروط النظام المركزي، من اكبر تكرار وألوية المراتب في ترتيب الظهور والأهمية، وأضعف قيم المؤشر النمطي و...الخ. وبالتالي نستنتج أن أهم عوامل يمكن أن تتميز بها الأسرة التي تجعل أطفالها في خطر هي ممارستها لسوء المعاملة خاصة الجسدية لأطفالها ويمكن تعميم ذلك إلى اتسام هذه الأسرة بممارسة العنف بمختلف أشكاله. أما محور إساءة المعاملة النفسية فيتميز بقربه الشديد من محور الإساءة الجسدية ما يشير إلى ثاني أهم عامل أسري يهدد الطفل بالخطر لقربه الشديد من النواة المركزية. أما بقية عناصر التصورات عبر بقية المحاور الأخرى تلعب دور العناصر المحيطة وذلك تبعا لعملية الترتيب والأهمية وقيم المؤشرات الثلاثة.

## المراجع

- أحمد بن مرسل (2005). مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال. بن عكنون الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية .
- Abric ,J.C (2003).Méthodes d'études des représentations sociales .Ramon : ERES.
- Abric ,J.C (1997).Pratiques sociales et représentations . Paris: puf.
- Angers, M (1997).Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines .Alger :Casbah université.



## تجريم الزنا بين الحفاظ على العرض والآداب العامة والحفاظ على الحرية الجنسية

### ملخص

لقد اجتمعت غالب التشريعات الوضعية على إنكار الجرائم اللاأخلاقية وعلى رأسها الزنا، وقد أكد التشريع الجزائري على تجريم هذا الفعل استنادا في الأول والأخير إلى تعاليم الدين الإسلامي فجاءت نصوصه واضحة بهذا الشأن، ولكن نجد أن أغلب الدول أصبحت تتأرجح بين فكرة تجريم الزنا كونه مناف للأخلاق وتجريمه فقط إن مس بمصلحة من مصالح المجتمع وربما كان لهذه الأفكار آثار سلبية على مبادئ التجريم لهذا الفعل في عدة قوانين.

### أ. دليلة ليطوش

كلية الحقوق  
جامعة قسنطينة 2  
الجزائر

### مقدمة

**إن** الملاحظ على الدول الحديثة أن أغليبتها لا تفرض عقوبة جزائية على كل اعتداء يمس المصالح الاجتماعية، وإنما حصرت العقاب في الاعتداءات التي تضر على نحو جسيم بالنظام الاجتماعي أما الاعتداءات الأخرى فتعالجها القوانين غير الجنائية، وقد يؤيد هذا الرأي وقد ينتقد ولكن حينما تكون هناك أفعال تجمع كل العادات والمجتمعات والأعراف على استهجانها فلا يمكن القول إلا بسن نصوص تعاقب فاعليها بالعقاب الرادع حفاظا على المجتمع والقيم والأفراد، كذلك هو حال جريمة الزنا التي تعتبر من الأفعال التي إذا تفشت في المجتمع أدت إلى انحلاله، وتعد الدول الإسلامية

### Abstract

Positivism legislation has met the denial immoral crimes, especially the adultery was confirmed by Algerian legislation to criminalize this act, based on the first and last to the teachings of the Islamic religion came texts are clear in this regard, but we find most countries have become oscillating between the idea of criminalizing adultery as immoral and criminalized only if Miss the interests of society and may have had a negative impact of these ideas categorize the principles of this act several laws.

عموما أكثر الدول التي تحارب انتشار هذه الفاحشة اقتداء بمبادئ الشريعة الإسلامية

السمة التي جعلت الحفاظ على العرض مقصدا من مقاصدها، لأهميته في المحافظة على النسل و منع شيوع الفاحشة ومن أجل المحافظة على هذا المقصد جاءت بأحكام وتدابير وقائية تقي من الوقوع في الزنا، فحثت على الزواج وأمرت النساء بالتستر والبعد عن الخلوة والسفر دون محرم ومنعت الاختلاط المحرم (1) ، وهنا يتجلى الفرق واضحا بين تعاليم الشريعة الإسلامية وما جاءت به أغلب التشريعات الوضعية التي كانت غايتها الحفاظ على الحرية الجنسية بغض النظر عن كونها في إطار شرعي أو خارجه ، فكان لا بد من إسقاط الضوء على هذا المنعرج الخطير وتلك الهوة التي ما فتئت تتسع بين مختلف التوجهات والآراء.

وهذا هو الأمر الذي جعلنا نتساءل عن ما مدى صحة القول بتجريم الزنا انطلاقا من كونه فعل مناف للأداب العامة ومكارم الأخلاق وتجريمه انطلاقا من كونه مجرد اعتداء على الحرية الجنسية؟

وعليه يتمحور موضوع هذه الدراسة حول تلك الفروق الجوهرية التي استند عليها من أجل تجريم الزنا في التشريعات عموما ومدى نجاعتها في التصدي لهذه الجريمة.

### أولاً: الضبط القانوني لجريمة الزنا

اعتبر المشرع الجزائري جريمة الزنا من جرائم الاعتداء على كيان الأسرة لما تحضي به هذه الأخيرة من اهتمام بالغ في المنظومة التشريعية، وجعل له عقوبات من أجل محاولة التقليل والردع من ارتكاب هذه الجريمة الخطيرة.

#### 1- التعريف بجريمة الزنا وتمييزه عن جرائم أخرى :

لم يتطرق القانون الجزائري لتعريف الزنا أسوة بالمشرع الفرنسي واكتفى بالنص عليه وتبيين أنواعه والعقوبة المقررة له، وبالتدقيق نجد أن عبارة "جريمة الزنا" مؤلفة من لفظتين " جريمة " و " الزنا " ، ولغويا نجد أن كلمة " جريمة " من الفعل جرم، والجرم هو القطع و التعدي، ويقال أجرم فلان فهو مجرم وجريم، أما كلمة " الزنا " فهي مشتقة من فعل زنا أي ضاق ، ويرد أيضا بمعنى فجر (2) .

وباستقراء القوانين الوضعية يمكن تعريف الزنا بأنه " إدخال ذكر رجل في فرج امرأة في غياب رابطة الزوجية بينهما " (3)، أما من تعريف الفقه الإسلامي لهذا الفعل أنه هو: " كل وطء في غير ملك وحل سواء كان مرتكبه محصنا أي متزوجا أو غير محصن مع تقرييق في الحد المقرر"، فالزاني المحصن يعاقب بالرجم حتى الموت أما الزاني غير المحصن فيعاقب بالجلد مائة جلدة (4)، وبالتالي ففعل الزنا يقتصر على وطء المرأة في قبل عند انتفاء الشبهة وتوافر القصد سواء كان محصنا أو غير محصن، وسواء تم الفعل برضا الطرفين أو تم دون رضا الأنثى.

وتتميز هذه الجريمة عن جرائم أخرى كجريمة الاغتصاب واللواط والفحش، فهذه الجرائم وإن اختلفت فإنها تجمع كلها على كونها لا تتحقق قانونا إلا بفعل اتصال جنسي مباشر قام بين رجل وامرأة غير مبرر شرعا، فتتفق الزنا والفحش في أنهما لا تقعان إلا برضا متبادل من الفاعلين كليهما، كما أنها جرائم قد تتداخل أحيانا بحيث أن فعل الجريمة يمكن وصفه بأكثر من وصف واحد وفي هذه الحالة لا يجوز أن تتعدد الأحكام تبعا لتعدد الأوصاف بل يجب تطبيق نص المادة 32 من قانون العقوبات الجزائري، ويصدر حكما واحدا يتضمن عقوبة الوصف الأشد، أو العمل بنص المادة 337 مكرر من نفس القانون بتغيير التكييف من جنحة إلى جناية، كمن يرتكب جريمة زنا ويتبين فيما بعد من خلال التحقيق أنها اتصال جنسي وقع تحت إكراه، هذا بالإضافة إلى أن جريمة الاغتصاب تتميز عن جريمتي الفحش والزنا بأن وقوعها على شخص صغير لم يبلغ السادسة عشر من عمره يترتب عنه قيام ظرف خاص من ظروف التشديد، ولكن مفهوم الاغتصاب لا يختلف عن مفهوم الزنا في الشريعة الإسلامية لأن مفهوم الزنا فيها يتحقق بكل وطء ففي الحالتين يعاقب الفاعل أما المجني عليها فإنها لا تعاقب وفقا للرأي الراجح لأنها أكرهت على الفعل (5) .

أما في القانون الوضعي فإن مفهوم الاغتصاب يختلف عن مفهوم الزنا فعرف الاغتصاب بأنه: " اتصال رجل بامرأة اتصالا جنسيا كاملا دون رضا صريح منها بذلك" في حين يقتصر مفهوم الزنا في القانون الوضعي على الواقعة غير المشروعة التي تتم برضا غير صحيح وغير معتبر قانونا، فيلتقي المفهومين في وقوع الفعل من رجل على أنثى عن طريق الواقعة الطبيعية غير المشروعة و يختلفان في عنصر الرضا فيتم فعل الاغتصاب مع انعدام الرضا، أما فعل الزنا فيتم مع وجود الرضا الصحيح بذلك (6) ، أما اللواط فهو عبارة عن علاقة جنسية غير طبيعية بين أشخاص من نفس الجنس من ذكر ضد آخر أو بين ذكر وأنثى بإتيانها في غير المكان الطبيعي للوطأ، فهو فعل شاذ يتحقق بالواقعة غير الطبيعية بالوطء في دبر و يقع على الأنثى كما يقع على ذكر.

## 2- أركان جريمة الزنا:

أدرج المشرع الجزائري في قانون العقوبات جريمة الزنا في إطار جرائم الاعتداء على كيان الأسرة، وتأخذ هذه الجريمة في إطار قانون العقوبات الجزائري صورتين زنا الزوج وزنا الزوجة، أما فيما يخص الأولى فنجد أن القانون الجزائري توسط بين مذهبين هما مذهب تجريم الزنا والعقاب عليه في كل الأحوال سواء كان الجاني ذكرا أم أنثى وسواء كان متزوجا أم غير متزوجا وهو مذهب الشريعة الإسلامية، ومذهب عدم العقاب على الزنا و هو مذهب معظم التشريعات الأوروبية كالتشريع الفرنسي الذي ألغى جريمة الزنا من قانون العقوبات فهو لم يعاقب على كل وطء في غير حلال و إنما قصر العقاب على الفعل الذي يحصل من شخص متزوج على اعتبار أن فيه انتهاك



لحرمة الزوج الآخر ولا يجيز المتابع إلا بناء على شكوى الزوج المضرور ولم يميز بين أركان جريمة زنا الزوج وزنا الزوجة وهو الأمر الذي يستشف من نص المادة 339 من قانون العقوبات الجزائري، ولكن هناك تشريعات سعت إلى التمييز بين جريمة زنا الزوج و زنا الزوجة وخير مثال التشريع المصري والفرنسي والليبي، وهو الأمر الذي جعل بعض الشراح يذهب إلى القول بأن زنا الزوجة يعتبر إخلالا بواجب الإخلاص لزوجها، أما زنا الزوج فيعد انتهاكا لواجب المساكنة فحسب، وتمتد جذور هذه الأفكار إلى القانون الروماني حيث انعدمت المساواة بين الرجل و زوجته فكانت جريمة الزنا لا تقع إلا من الزوجة (7).

أما بالنسبة لأركان جريمة الزنا حسب نص المادة 339 من قانون العقوبات الجزائري لا بد من توافر ثلاثة أركان هي الوطء وقيام الزوجية والقصد الجنائي.

**الوطء** هو الفعل المادي للجريمة ونجد أن المشرع لم يعط بشأنه تعريفا لبيان المقصود منه، و بالرجوع للشريعة الإسلامية هو إدخال الحشفة وهي رأس الذكر في فرج المرأة ويكون ذلك سواء حدث إنزال أم لم يحدث، ولا يشترط حسب الرأي الراجح في الذكر أن يكون منتصباً، فإذا لم يتم الوطء على هذه الصفة فلا يعتبر وطئاً ولا يعاقب عليه بالحد، وإنما يعتبر الفعل معصية و يستحق صاحبه التعزير من قبل ولي الأمر (8).

أما الركن الثاني فهو **قيام الزوجية**، حيث نجد أن الوطء الممنوع هو الوطء الذي يأتيه الجاني و هو متزوج، أما إذا وقع الوطء من رجل غير متزوج على امرأة غير متزوجة فلا يعاقب عليه القانون ما لم يقترن به عنف وما لم تكن الموطوءة قاصرة، وتقوم الزوجية بين الرجل والمرأة بإبرام عقد زواج بينهما طبقاً للشروط المنصوص عليها في قانون الأسرة وهو ما ذهب إليه قضاء المحكمة بقيام جريمة الزنا في حق الزوجة التي تزوجت مع رجل آخر بالفاتحة دون أن تنتظر الفصل في القضية المنشورة بينها وبين زوجها الأول (9).

وبالنسبة **للقصد الجنائي (الركن المعنوي)** فالمقصود به هو القصد العام ويمكن توفره متى ارتكبت المرأة المتزوجة فعل الزنا طواعية وهي عالمة بأنها زوجة لرجل غير ذلك الرجل الذي وهبته جسدها، غير أنه إذا اعتقدت عن حسن نية مثلاً أنها مطلقة أو أن زوجها الغائب قد توفي أو تبين أنها استسلمت للفاعل مغلوبة ومكرهة فإنه لا جريمة ولا عقاب وذلك لتخلف ركن هام من أركان جريمة الزنا وهو القصد وإرادة الفعل (10)، وعن الحديث عن جريمة زنا الزوج فهي نفسها الشروط الواجب توافرها لقيام جريمة زنا المرأة المتزوجة في قانون العقوبات الجزائري، أي إثبات الفعل المادي ووجود الرابطة وتوافر القصد الجنائي، وعموماً هذا الأخير يختلف باختلاف مركز المتهم و صفته، فيتوفر لدى الفاعل الأصلي متى ارتكب الفعل عن إرادة و علم هذا

الأخير بأنه متزوج و أنه يصل شخصا غير زوجه، وتبعاً لذلك لا تقوم الجريمة لانعدام القصد الجنائي إذا ثبت أن الوطء قد حصل دون رضا الزوج كما لو تم بالعنف أو التهديد، ويثار التساؤل بشأن الزوج الذي يتحجج بجهله إن كان مقيداً بعقد الزواج كما لو اعتقد أنه مطلق أو أن الزوج الغائب قد مات، فهل يؤخذ مثل هذا الجهل كسبب لانتفاء القصد الجنائي؟ وهنا يذهب رأي من الفقه الجنائي الجزائري أن الأصل أن لا عذر بجهل القانون، ذلك أن الرابطة الزوجية تضل قائمة ما لم تنحل ببطلان نهائي يقيد على هامش عقد الزواج أو تنفصم بموت المفقود طبقاً للإجراءات المقررة في قانون الأسرة (11) غير أنه يجب التأكد من توافر القصد الجنائي العام من علم وإرادة لدى الفاعل الأصلي أو شريكه لإثبات جريمة الزنا وهو على عقد زواج أو شريكه متزوج، وعلى هذا لو فرضنا أن امرأة متزوجة عن طريق الفاتحة و بعد ذلك افتقرت وطلقت بالثلاث ثم أعادت زواج رسمي مع رجل آخر ثم احتاج الزوج الأول إلى تقديم شهادة عائلية بالنسبة لأولاده فقام بتسجيل الزواج السابق العرفي قبل أن تتزوج زوجها السابقة بالزوج الثاني وهي لا تدري بما قام به الزوج الأول فأصبحت متزوجة برجلين ثم تقدم الزوج الأول بشكوى من أجل الزنا فهل تقوم جريمة الزنا هنا أم لا ؟ فإذا ثبت أن هذه المرأة كانت تعتقد جازمة أنها مطلقة وتأكد ذلك فلا تقوم جريمة الزنا في حقها وعليه لا بد أن يكون المتهم يعلم بأنه متزوج أو الطرف الآخر شركه متزوج (12)، أما بالنسبة للشريك فيشترط فيه العلم بأن خليله أو خليلته متزوجا أو متزوجة فإذا كان يجهل الرابطة الزوجية وقت إتيان الفعل فإن القصد الجنائي يكون منتفياً، ومن ناحية أخرى تستوجب جريمة الزنا أن يأتي الزوج على فعله بحرية وإرادة فلا تقوم الجريمة إذا كانت الزوجة ضحية اغتصاب كما لا يعاقب الشريك إذا قام الدليل أنه يجهل.

#### ثانياً: مدى صحة التسبب المستند إليه لتجريم الزنا

تلعب الغريزة الجنسية دوراً هاماً في تكوين شخصية الفرد و لها انعكاسات لا تنكر على تصرفاته والتوجه به نحو الأفعال الحميدة أو الضارة، وإن نشاط الغريزة الجنسية وإن كان أمراً طبيعياً وضرورياً في حياة الكائنات الحية الجمعاء إلا أن المثل العليا المغروسة في ضمير الإنسان بفعل الدين والتربية قد قيدت ممارسة الإنسان لتلك الغريزة من ناحيتين: أولهما تلزمه بإخفاء تلك الممارسة وإلا كان مخالفاً لمقتضيات الأخلاق العامة، وثانيهما يلزمه بالممارسة المشروعة للجنس وإلا كان مفرطاً في صيانة عرضه، ولكن تجريم الزنا في تشريعات مختلفة أخذ مسارات مختلفة فهناك من أرجع الغاية للحفاظ على حرية الشخص الجنسية، وهناك من أرجع الغاية لكون جريمة الزنا تمس بالقيم الأخلاقية و هناك من ذهب مذهباً وسطاً.

#### 1-الحفاظ على العرض و الآداب العامة سبباً لتجريم الزنا كمبدأ:

إن للعرض مفهومان أخلاقي و اجتماعي، يتحدد على أساسهما كون الممارسة الجنسية مشروعة أم غير مشروعة، على اعتبار أن العرض هو الحق الذي تناله الجريمة بالاعتداء، و يستمد المفهوم الأخلاقي للعرض مقوماته من القواعد الدينية و المعتقدات الأخلاقية النابعة من المثل العليا، وهو يتجه إلى الفرد و يحثه على التحلي بالأخلاق و الفضيلة و الابتعاد عن كل فعل أو تصرف يتعارض مع مقتضيات الحفاظ عليها و يقوم هذا المفهوم على مبدأ أن نقاء العرض هو واجب على الفرد اتجاه نفسه كما أنه حق لصاحبه في مواجهة الغير، لذلك كان القصد منه وفقاً لهذا المفهوم صيانة الجسد من كل ممارسة غير مشروعة للجنس، فإذا كانت تلك الممارسة غير مشروعة فإن ذلك يعد تفریطاً في العرض(13).

وقد جاء الإسلام كغيره من التشريعات السماوية فوضع قواعد محكمة لتنظيم العلاقات الجنسية والحفاظ على النسل وحرص على حماية الفضيلة فحرم الزنا لذاته بمجرد أن يثبت ارتكابه بغض النظر عن القائم به والظروف المحيطة، حيث قال تعالى: " ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً" (14)، كما قال أيضاً: " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين " (15).

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولهم عذاب أليم، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر " رواه مسلم.

ونجد أن الشريعة اليهودية تعاقب على الزنا بالقتل والرجم، فقد جاء في سفر التثنية " إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتنزع الشر عن إسرائيل، وإذا كانت فتاة عذراء مخطوبة من رجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى الموت، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه فتنزع الشر من وسطك، ولكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة في الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها فيموت الرجل الذي اضطجع معها وحده وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئاً... " ( سفر التثنية – الإصحاح 22 – الآية 22 - 26 )، ولم يرد في الإنجيل ما يخالف ما ورد في التوراة بل أقر تطبيق الشريعة اليهودية (16).

وبالرجوع إلى الشريعة الإسلامية نجد أنها حينما حرمت الزنا جعلته من الجرائم الحدية، و ثبوت ارتكاب هذا الفعل يعني إقامة عقوبة قدرها المشرع وهي الرجم حتى

الموت للمحصن، وهناك من أوجب الجمع بين الجلد والرجم للبكر مع التغريب عند بعض الفقهاء (17).

وقد اشترطت الشريعة الإسلامية أربعة شهداء فلا يؤخذ بأقل من هذا العدد، ويشترط في شهود إثبات الزنا إلى جانب الذكورة، الأصالة والإسلام والبلوغ والرؤية ووصف الجريمة والعدد فلا يقل عن أربعة شهداء وإتحد المجلس أي الحضور أمام القضاء في مجلس واحد عند الحنفية والمالكية (18).

كما تثبت جريمة الزنا بالإقرار إذا توفرت شروط خاصة بالمقر نفسه ويعد شهادة على النفس لقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ... " (19)، وبالتالي فإن الشريعة الإسلامية جعلت مجرد توفر شروط ثبوت قيام الزنا يجعل توقيع الحد لازماً، وقد حدثت بعض الدول العربية حدو الشريعة الإسلامية في قوانينها منها التشريع اليمني الذي حرم في الباب الحادي عشر من الكتاب الثاني من قانون العقوبات جرائم الاعتداء على العرض، و ذلك تحت عنوان " الزنا وهتك العرض إفساد الأخلاق "، وكذلك القانون الجنائي السوداني لسنة 1991 الذي جرم في الباب الخامس عشر جرائم الاعتداء على العرض تحت عنوان: " جرائم العرض والأداب والسمعة " (20) وذلك دون أن يقرنه بوجود ورود شكوى من الزوج أو غيرها من الشروط التي أصبحت موجودة حالياً.

## 2-الحفاظ على الحرية الجنسية سببا لتجريم الزنا و خروجا عن المبدأ الأول:

كما لاحظنا سابقا فيما يتعلق بتجريم الزنا أن القوانين الوضعية أصبحت لا تعاقب عليها لذاتها ولا تجرم كل وطء في غير حلال كما يقتضي ذلك المفهوم الديني والأخلاقي، وإنما تأثرت إلى حد كبير بأفكار الثورة الفرنسية التي نادى بتأكيد الحرية الشخصية "، وبذلك انفصلت المفاهيم الاجتماعية للقيم عن المفاهيم الدينية والأخلاقية، وحرص واضعو القوانين الحديثة على عدم العقاب على الجرائم الأخلاقية وعدم التدخل في التفاصيل الشخصية لحياة الأفراد أو التجسس على أسرار العائلات لكشف خباياها والاستطلاع على مكنوناتها، فأصبحت الحرية الجنسية بهذا المفهوم من بين الحريات التي أكدتها التشريعات الحديثة وأصبح للفرد أن يتصرف في عرضه ولا يتدخل القانون بالعقاب إلا إذا كان التعدي على العرض قد تم بغير رضا صاحبه أو إذا تم بالرضا ولكنه تضمن اعتداء على حق آخر، كحق كل من الزوجين في الاختصاص بالزوج الآخر أو على حق المجتمع في عدم الاتجار في الأعراض أو في صيانة الحياء، و عدا ذلك فالأصل أن الأفعال مباحة مهما كانت منافية للأخلاق، فمثلا لا جريمة في الاتصال الجنسي بين رجل وامرأة غير متزوجين متى كان ذلك حاصل بالرضا وفي غير علانية (21).

وبالتالي نستخلص أن فلسفة التشريعات التي لا تعاقب على الزنا تقوم على نقشي الحرية الجنسية بحيث يكفي لإباحة الصلة الجنسية مجرد الرضا الصحيح فتواتر فكرة الزواج باعتباره سببا للصلة الجنسية إذ يجب للاتصال - حتى بين الزوجين - توافر الرضا الصحيح بينهما ولذلك فإن مشكلة اغتصاب الزوجات من أزواجهن أصبحت إحدى المشكلات التي تواجه المجتمعات الغربية بل وانتقلت إلى تركيا وهي دولة إسلامية، فقد أدت الرغبة في انضمام تركيا إلى الإتحاد الأوروبي إلى ارتفاع بعض أصوات الأحزاب التي نادى بحذف تجريم الزنا من مشروع قانون العقوبات بحجة أن دول الإتحاد الأوروبي لا تجرم هذا الفعل (22).

### الخاتمة

تعتبر الشريعة الإسلامية الملاذ الوحيد والأخير للإنسانية كي تحقق غاية الكمال ومنتهى ما يمكن الوصول إليه من أمن واستقرار، لأن جميع المصالح فيها مجلوبة وكافة المفسد فيها مدفوعة، وخصوصا فيما يتعلق بؤاد الجريمة في مهدها، وأول ما ما يستخلص حين دراسة هذا الموضوع أنه أصبح هناك قصور كبير عند المسلمين في فهم مبادئ التشريع الإسلامي و حكمته والقدرة على الانتفاع به وإظهار تفوقه للناس، فانساقوا وراء ما تقننه الدول الغربية وتركوا التعاليم الأساسية الموجودة في الشريعة الإسلامية الصالحة لأي زمان و مكان.

وعند تصفح سياسة التجريم في الشريعة الإسلامية نجدها تحمي القيم الأخلاقية وتحظر الإخلال بها والتعدي عليها وتعلي من شأنها لكونها مصلحة حقيقية للإنسان تحفظ كيانه وتصور كرامته، فحذرت من جميع المفسد والخبائث وأبرز مثال ما جاءت به فيما يتعلق بتجريم الزنا، وهذا بخلاف السياسة التجريبية في النظم الوضعية فإنها قد تخلت عن حماية القيم الأخلاقية بالتجريم والعقاب ولم تحفل بها وإنما قصرت حمايتها على المصالح المادية وما كان ضرره مباشرا ولذلك لم تجرم الزنا بإطلاق ولا غيرها من المنكرات وما تعده حرية شخصية ولو كان انتهاكا لقيمة خلقية أو دينية وكلها تنطوي على تهديد مصالح إنسانية كبرى، ما يؤدي بنا إلى وجوب الحث والتأكيد أنه في المنظومات التشريعية للدول هناك عدة اختلافات وآراء و تصورات من خلالها كان اختلاف التشريع في كل دولة فيما يخص كل مجالات الحياة العامة ومجال التجريم على وجه خاص، فكان لا بد من إدراك أن هذا الاختلاف إنما هو نابع من اختلاف العادات والدين وطبيعة التفكير، وبالتالي خصوصية كل مجتمع بما يضمه من محاسن ومساوئ يجب أن يدركها كل قائم على التشريع فيمتنع عن الإقتداء والاقْتباس الأعمى، لأن هذا الأمر سيكون له الأثار الوخيمة خصوصا على مجتمعاتنا العربية المسلمة، وخير مثال ما يحدث عندنا في الدولة الجزائرية عند السعي لوضع نص قانوني فغالبا ما يكون الإقتداء بأحكام القانون الفرنسي على إطلاق وهو ما يلاحظ حين التخصيص في جريمة الزنا.

إن أهم أمر لا يمكن مجادلته أن الروابط الإنسانية إنما تمتد ترابطها من القيم السامية ومكارم الأخلاق، وهو أمر لا يمكن استمراره ما لم يكن السعي دائم ومستمر لتربية وتوعية وتوجيه أفراد المجتمع إلى الحفاظ عليها وتكوين أسر أساسها حسن النشأة ولا يتأتى ذلك ونحن في إطار المناداة بالحرية الجنسية وذلك عبر قوانيننا وتشريعاتنا، فما ندركه بأنه خطأ ونسكت عليه اليوم تفهمه الأجيال اللاحقة بأنه الصواب وتسلك دروبه، وإن انطوت التشريعات على ما يسمى بالحرية الجنسية ( وبالتالي تشجيع الزنا والتمادي فيه ) سوف يقبل عليه كل من تبتغي نفسه وأهواءه السلوكيات غير السوية وعدم تحمل المسؤوليات، فكان من اللازم السعي لسد هذه البؤر التي ما فتنت تتسع وذلك بسن قوانين صارمة تعاقب على الزنا وغيره من الأفعال المنافية للأخلاق.

إن المجتمعات الإسلامية لها من الحوض القدر الكبير لانتمائها للدين الإسلامي الذي جاء بكل التعاليم التي تحمي القيم ومكارم الأخلاق، وكونه ديناً صالح لكل زمان ومكان وما على المشرعين في هذه الدول إلا الاستناد عليه وإعمال كل ما يوافق مبادئه وأصوله، ولن يجد في ذلك صعوبة لأن الدين الإسلامي جاء موافقاً للمنطق السوي والفضيلة السليمة في كل القضايا.

وإن خير مثال على فشل سلوك مذهب المنادات بالحرية الجنسية وعدم تجريم كثير من الأفعال وعلى رأسها جريمة الزنا من طرف الدول التي تأثرت بالقوانين الغربية هو تفشي هذا النوع من الجرائم بأشكال هائلة، وانتشار الأمراض الجنسية، وكثرت المواليد غير الشرعيين، وتردي الأخلاق، ولا يمكن القول سوى أنه لا بد من دق ناقوس الخطر ومراجعة القوانين و التشريعات فيما يخص تجريم هذه الأفعال الهدامة وجعلها رادعة لكل من تسر له نفسه القيام بها.

## المراجع

- 1- قال الله تعالى: " ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً " سورة الإسراء، الآية 32.
- 2- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي مجد الدين، القاموس المحيط، الطبعة 6، دون مكان نشر مؤسسة الرسالة، 1958، ص82 .

- 3- دروس مكى، القانون الجنائي الخاص في التشريع الجزائري، الجزء 2، دون طبعة، قسنطينة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 113.
- 4- غالى إدوارد الذهبى، الجرائم الجنسية، الطبعة 3، القاهرة، دار غريب، 2006، ص 17.
- 5- نجيب حسنى محمود، شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، دون طبعة، مصر، دار النهضة، 1988، ص 527.
- 6- أبو زيد محمد، المعجم في علم الإجرام والاجتماع القانوني والعقاب، دون طبعة، دون دار نشر، 1987، ص 473.
- 7- إدوارد غالى الذهبى، مرجع سابق، ص ص 23، 24.
- 8- نجيب حسنى محمود، مرجع سابق، ص 529.
- 9- قرار صادر عن المحكمة العليا، بتاريخ 13/5/1986، غير منشور...أنظر في ذلك، بوسقيعة أحسن، الوجيز في القانون الجنائي الخاص، الجزء 1، الطبعة 12، الجزائر، دار هومه، 2011، ص 136، هامش رقم 2.
- 10- عبد العزيز سعد، الجرائم الأخلاقية في قانون العقوبات الجزائري، دون طبعة، الجزائر، المركز الوطني للنشر، 1982، ص 55.
- 11- بوسقيعة أحسن، مرجع سابق، ص 136.
- 12- المرجع نفسه، ص 136.
- 13- بوحجيلة على، الحماية الجزائية للعرض في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية، الطبعة 1، دون مكان نشر، دار وائل للنشر، 2003، ص ص 16-17.
- 14- سورة الإسراء، الآية 32.
- 15- سورة النور، الآيتين 2، 3.
- 16- إدوارد غالى الذهبى، مرجع سابق، ص ص 16-17.
- 17- ابن قدامة بن أبى الفرج شمس الدين، الشرح الكبير على المغني، بيروت، دار الكتب العامة، دون سنة نشر، ص 133.
- 18- معجب معدي الحويقل، دور الأثر المادي في الإثبات الجنائي، الطبعة 1، الرياض، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، 1999، ص 100.
- 19- سورة النساء، الآية 135.

- 20- عدنان الفيل علي، علي عبد الله الصفو نوفل، جريمة الزنا في القوانين الوضعية، دراسة مقارنة بين أحكام الشريعة الإسلامية، مجلة الأمن والقانون، السنة 14 ، العدد 1، يناير، 2006، أكاديمية شرطة دبي، ص355.
- 21- إدوارد غالي الذهبي، مرجع سابق، ص ص 10- 11.
- 22- المرجع نفسه، ص17.



## اتفاقية الأمم المتحدة للنقل البحري للبضائع بالمقارنة مع اتفاقية بروكسل

### ملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل والمقارنة نص اتفاقية الأمم المتحدة للنقل البحري للبضائع المبرمة في هامبورغ عام 1978 (قواعد هامبورج) التي جاءت بأحكام جديدة خلافا لاتفاقية بروكسل لعام 1924.

د. سليم بودليو  
كلية الحقوق  
جامعة قسنطينة 1  
الجزائر

هذا التحليل بين لنا الاختلاف فيما تعلق بأساس مسؤولية الناقل ومسؤولية الشاحن والإعفاء منها والحق في تحديدها أو ما تعلق منها بالأحكام الخاصة بالمنازعات القضائية الخاصة بسندات الشحن وإجراءاتها والاختصاص القضائي والتحكيم.

### مقدمة

**يعتبر** النقل البحري للبضائع عنصرا هاما في تنمية الحياة التجارية والتنمية الشاملة في البلاد، خاصة وأن الجزائر تحتل موقعا إستراتيجيا في حوض البحر الأبيض المتوسط. ويؤهلها موقعها هذا لأن تلعب دورا محوريا في هذه المنطقة، خاصة مع التحولات الدولية والتكتلات الإقليمية المصاحبة لذلك.

وبما أن الجزائر تعتبر بالدرجة الأولى دولة شاحنة، أمر يجعل متعاملها يلجئون إلى الشركات الأجنبية لنقل بضائعهم من وإلى الجزائر خاصة الأوروبية منها سواء عن طريق إبرام عقود نقل أو استئجار.

### Résumé

Le présent article présente une étude analytique et comparative du texte de la convention des Nations Unies des nouvelles dispositions sur le transport de marchandises par mer 1978 (Règles de Hambourg), contrairement à celles de la convention internationale de Bruxelles de 1924.

Cette analyse porte sur différents axes : tels que le fondement de la responsabilité du transporteur, la responsabilité du chargeur, la déchéance du droit de limiter la responsabilité, ainsi que les dispositions générales relatives aux litiges juridiques relatives à l'émission du connaissement, la compétence juridique et l'arbitrage.

ولعل هذا الوضع يجعل الشاحنين الجزائريين من شركات عامة وخاصة وخواص في مركز ضعف في مواجهة شركات النقل الدولية، الأمر الذي يستوجب على الدولة أن تتدخل لتوفير قدر من الحماية لهم إن على مستوى التشريع الداخلي أو الدولي.

وبتفحص النظام القانوني الذي يحكم النقل البحري للبضائع في الجزائر، نجد أن الجزائر قد صادقت ومنذ الاستقلال على اتفاقية بروكسل الخاصة بتوحيد بعض القواعد المتعلقة بسندات الشحن والمبرمة في بروكسل في 1924/8/25 وبنصها الأصلي وهي السارية المفعول إلى غاية اليوم بالرغم من التعديلات التي أدخلت على النص الأصلي سنتا 1968 و1979 وبالرغم كذلك من أن معظم الدول قد تخلت عنها وفقا لنصها الأصلي لاسيما الدول التي ساهمت في إبرامها كإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وغيرها. هذه الأخيرة التي تأثر المشرع الجزائري إلى حد كبير بأحكام قانونها عند سنه القانون البحري الجزائري سنة 1976 أو في تعديله لهذا القانون سنة 1998.

وإذا كانت اتفاقية بروكسل قدمت خدمة كبيرة لقطاع النقل البحري لسنين طويلة عبر العالم فإن نصوصها وخاصة النص الأصلي أصبحت لا تستجيب والتحويلات التي عرفها العالم إن على المستوى المالي أو الاقتصادي أو التكنولوجي لاسيما ما عرفته صناعة النقل البحري من تطور، أضف إلى ذلك أنها لا توفر الحماية المطلوبة للشاحنين في مواجهة الناقلين. هذا الأمر دفع على الأخص الدول الشاحنة إلى السعي عبر سنوات وفي إطار الأمم المتحدة إلى وضع اتفاقية أممية تحكم النقل البحري للبضائع عبر العالم تقيم قدرا من التوازن في المصالح، وقد نجحت هذه الجهود في إبرام اتفاقية الأمم المتحدة للنقل البحري للبضائع في مدينة هامبورغ بألمانيا سنة 1978<sup>(1)</sup>.

لكن التساؤل المطروح ما مدى نجاعة الاتفاقية الأمم المتحدة للنقل البحري للبضائع في توفير الحماية للشاحنين؟ وهل من مصلحة الجزائر الانضمام لهذه الاتفاقية في الوقت الراهن؟

إن الإجابة عن هاذين التساولين يقتضي من الأمر تحليل أحكام الاتفاقية ومقارنتها بما جاءت به اتفاقية بروكسل من خلال دراسة الأحكام الموضوعية في مبحث أول والأحكام الخاصة بحل المنازعات التي تنشأ بين الأطراف في مبحث ثاني.

#### المبحث الأول: الأحكام الموضوعية بنص الاتفاقية

لقد جاءت الاتفاقية بأحكام موضوعية متعددة، وسوف لن نتناول كل هذه الأحكام إنما نقتصر على دراسة الأحكام الجديدة التي جعلتها تختلف عن اتفاقية بروكسل بنصها الأصلي وبالتعديلات التي أدخلت عليه، إبرازا منا للفوائد التي جاءت بها هذه الاتفاقية وتتمثل هذه المسائل في الآتي:

#### المطلب الأول: نطاق تطبيق اتفاقية هامبورغ

يمكننا تقسيم نطاق تطبيق الاتفاقية إلى نطاق قانوني ونطاق زمني.

### أولاً: النطاق القانوني

لقد حددت المادة الثانية من الاتفاقية نطاق سريانها في ثلاثة مجالات:

1 - المجال الجغرافي: لقد نصت المادة الثانية في فقرتها الأولى على أن الاتفاقية تحكم فقط النقل البحري للبضائع، ولتطبيق أحكامها يجب أن يتم النقل بين دولتين مختلفتين، وإلى جانب ذلك فقد عدت حالات معينة تنطبق فيها أحكامها، إذ أنها تنطبق عندما يقع ميناء الشحن أو ميناء التفريغ المنصوص عليه في العقد في دولة متعاقدة أو عندما يكون سند الشحن أو أية وثيقة أخرى مثبتة لعقد النقل البحري قد تم في دولة متعاقدة أو عندما تنص وثيقة الشحن أو أية وثيقة مثبتة لعقد النقل على أن نصوص الاتفاقية هي التي تنطبق على العقد<sup>(2)</sup>.

ويتجلى من خلال هذه الأحكام أن اتفاقية هامبورغ توسعت في مجال تطبيق أحكامها، وهذا خلافاً لما كان عليه الأمر في اتفاقية بروكسل التي كانت تقصر مجال تطبيقها على وجوب صدور سند الشحن في إحدى الدول المتعاقدة فقط<sup>(3)</sup>، وأن المعيار الذي جاءت به أثار الكثير من الاختلافات بين الفقهاء وفي التطبيق القضائي في مختلف الدول. لذلك نقول أن اتفاقية هامبورغ في هذا الشأن جاءت بشئ من التفصيل والوضوح يرفع كل لبس عن مجال التطبيق ويقضي على الخلافات التي كانت سائدة في ظل اتفاقية بروكسل، وفي هذا تكون اتفاقية هامبورغ قد تفوقت على اتفاقية بروكسل.

2 - من حيث السندات والوثائق التي تخضع لأحكامها: إن اتفاقية هامبورغ تنطبق على كل عقود النقل البحري سواء كانت ثابتة بسند شحن أو بأية وثيقة مثبتة لعقد النقل البحري. فهي على خلاف اتفاقية بروكسل التي تنطبق على عقود النقل البحري المثبتة بسندات الشحن لا غير، فإنها تحكم حقوق والتزامات الأطراف سواء صدر سند الشحن أو لم يصدر<sup>(4)</sup>. هذا الأمر يجعلها تستجيب للتطورات الحاصلة في مجال صناعة النقل والتطور التكنولوجي، إذ أصبحت معظم عمليات النقل البحري للبضائع تتم عقودها عن طريق السندات الإلكترونية عبر شبكة الانترنت.

3 - من حيث البضائع وكيفية نقلها: بخلاف اتفاقية بروكسل التي كانت تستبعد تطبيق أحكامها على نقل الحيوانات الحية وبضائع السطح، كما أنها لا تعرف ما يسمى بالنقل عن طريق الحاويات. فإن اتفاقية هامبورغ قد جاءت بأحكام تنطبق على نقل الحيوانات وبضائع السطح والنقل عن طريق الحاويات وفق نظام وقواعد محددة ومنظمة تنظيمياً محكماً بنص المادة الخامسة الفقرة الخامسة والمادة التاسعة<sup>(5)</sup>.

4 - من حيث الأشخاص الذين تنطبق عليهم أحكامها: إن اتفاقية بروكسل بنصها الأصلي لا تعرف من الأشخاص إلا الناقل المتعاقد. أما اتفاقية هامبورغ فقد ميزت بين الناقل الذي يبرم عقد نقل البضائع مع الشاحن وبين الناقل الفعلي، الذي يعهد إليه من

جانب الناقل الأصلي (المتعاقد) بالتنفيذ الكامل أو الجزئي لعملية النقل وفقا لنص المادة الأولى الفقرة الأولى والثانية<sup>(6)</sup>، كما جاءت الاتفاقية بتعريفها للشاحن ووضعت لأول مرة أحكام خاصة به وبيان مسؤوليته هو أيضا وكذلك المرسل إليه. ضف إلى ذلك أنها وضعت أحكام مفصلة خاصة بالنقل البحري المتتابع التي تصدر بشأنه سندات شحن مباشرة.

### ثانيا: النطاق الزمني لتطبيق الاتفاقية

لقد توسعت اتفاقية هامبورغ في مجال تطبيقها من حيث الزمان خلافا لاتفاقية بروكسل التي تطبق فقط وفقا لنص المادة الأولى منها على المرحلة البحرية من العقد أي من بداية عملية الشحن إلى نهاية عملية تفريغ البضاعة في ميناء الوصول، أما خارج هاتين المرحلتين فلا تنطبق أحكامها الأمر الذي يمكن الناقل وفق ذلك من فرض شروط للإعفاء أو تحديد المسؤولية، زيادة على أن هذا النص أثار الكثير من النزاعات بين أطراف العقد والمستفيدين من عملية النقل.

ومواجهة من اتفاقية هامبورغ لهذه الإشكالات وللقضاء على شروط الإعفاء من المسؤولية وتحديدتها، فقد وسعت من نطاق تطبيقها لتشمل كل عمليات النقل منذ لحظة تسلّم الناقل للبضاعة إلى غاية تسليمها تسليمًا كاملاً للمرسل إليه أو ممثله القانوني في ميناء التفريغ أو في أي مكان آخر يتفق عليه طرفا العقد<sup>(7)</sup>، وبعبارة أخرى فإن الناقل يكون مسؤولاً عن البضاعة منذ لحظة دخولها في عهده في ميناء الشحن وأثناء النقل وفي ميناء التفريغ وإلى غاية الوقت الذي يقوم فيه بتسليم البضاعة، وفقا لما تنص عليه المادة الرابعة بقرتها الأولى والثانية<sup>(8)</sup>.

إن نص المادة الرابعة من الاتفاقية يؤدي إلى استبعاد الشروط التي كان يضعها الناقل بسند الشحن لإعفاء نفسه من المسؤولية عما يلحق البضاعة من خسائر وأضرار في الفترة السابقة عن الشحن واللاحقة على التفريغ، وهو ما كانت تجيزه المادة السابعة من اتفاقية بروكسل، فقواعد هامبورغ أغلقت الباب في هذا الشأن ولم يعد هناك مبرر لوجود مثل هذه الشروط.

والحقيقة أن رعاية مصالح الشاحنين كانت الباعث الرئيسي للتوسع في مجال مسؤولية الناقل البحري عن البضاعة المنقولة في المادة الرابعة، وهو ما تؤكد بالفعل في نص المادة 23 من الاتفاقية التي أبطلت التضييق من مجال تطبيقها وكل شروط الإعفاء من المسؤولية أو تحديدها<sup>(9)</sup>.

ما يمكن أن يقال في هذا النطاق، ورغم ما يقال عنه من أنه يجوز للناقل التخلص من مسؤوليته في الحالات التي لا تكون البضاعة في حراسته حتى ولو لم يتسلمها المرسل إليه فعلا، فإن ما جاءت به الاتفاقية فيه الكثير من تحقيق لمصلحة الشاحنين خلافا لما هو في اتفاقية بروكسل.

### المطلب الثاني: نظام المسؤولية الذي جاءت به الاتفاقية

لقد جاءت اتفاقية هامبورغ ورغبة من واضعيها وتحت تأثير الدول النامية بأحكام تتعلق بنظام مسؤولية الناقل البحري يختلف عن ما هو منصوص عليه في اتفاقية بروكسل سواء بنصها الأصلي أو التعديلات التي أدخلت عليها.

### أولاً: أساس مسؤولية الناقل البحري

تنص المادة الخامسة الفقرة الأولى على " يسأل الناقل عن الخسارة الناتجة عن هلاك البضائع أو تلفها، كذلك الناتجة عن التأخير في التسليم إذا وقع الحادث الذي تسبب في الهلاك أو التلف أو التأخير أثناء وجود البضائع في عهده على الوجه المبين في المادة الرابعة. ما لم يثبت الناقل أنه قد اتخذ هو ومستخدموه ووكلاؤه جميع ما كان يلزم اتخاذه بشكل معقول من تدابير لتجنب الحادث وتبعاته "

من خلال هذا النص يتضح وأن اتفاقية هامبورغ كانت أكثر وضوحاً من اتفاقية بروكسل، التي كانت أحكامها تتسم بالغموض واللبس والذي أثار الكثير من الاختلافات بين الفقهاء وفي التطبيق القضائي، على الرغم من أن كلاهما يؤسسان المسؤولية على نظرية الخطأ وليس المسؤولية. إلا أن ما جاءت به اتفاقية هامبورغ هو نصها بوضوح على أن مسؤولية الناقل البحري تقوم على أساس الخطأ المفترض على الرغم من أن هذا المبدأ لم يرد من البداية في الفقرة الأولى من المادة الخامسة وإنما جاء مؤكداً عليه في التفاهم الذي ورد في الملحق رقم 3 من الاتفاقية، والذي شهد بشأنه خلافاً كبيراً بين المؤتمرين لأنه يجسد فعلاً الصراع بين مصالح الناقلين والشاحنين إلى الحد الذي كاد أن يؤدي إلى فشل المؤتمر<sup>(10)</sup>.

لقد توصل المؤتمر رغم كل الاختلافات في النهاية إلى إقرار أن أساس المسؤولية يقوم على الخطأ أو الإهمال المفترض وما على الناقل إلا إثبات عكس ذلك، بمعنى أن عبئ الإثبات وفقاً لنص الاتفاقية يقع على عاتق الناقل البحري وليس الشاحن أو من يحل محله، ما عدا في حالات استثنائية كالحريق التي تستوجب أن يكون الخطأ بحق الناقل واجب الإثبات.

على هذا الأساس يمكن لنا القول بأن نظام الإثبات في ظل الاتفاقية هو أيسر مما هو عليه في ظل اتفاقية بروكسل، إذ أن الشاحن أو المرسل إليه أو من يحل محلهما يكفي فقط أن يثبت أن البضاعة الهالكة أو التالفة أو التي لم يتم إيصالها في وقتها كانت في عهدة الناقل، وهو أمر يسير يكون بتقديم وثيقة أو سند الشحن أو أية وثيقة مثبتة لعقد النقل، زيادة على إثبات ما لحق البضاعة من هلاك أو تلف أو ما لحقه هو جراء التأخير في تسليمها، وعندئذ تعمل قرينة الخطأ في جانب الناقل لينتقل عندها عبئ إثبات أن الهلاك أو التلف اللاحق بالبضاعة أو الناتج عن التأخير في إيصالها لا يعود إليه أي أن يثبت أنه ووكلاؤه وتابعوه قد قاموا باتخاذ التدابير اللازمة وبطريقة معقولة لمنع وقوع الحادث أو للتقليل من أثاره أو إقامة الدليل على استحالة اتخاذ مثل هذه التدابير<sup>(11)</sup>.

### ثانيا: حالات قيام مسؤولية الناقل البحري

من المعلوم أن حالات قيام مسؤولية الناقل البحري إن في الاتفاقيات الدولية أو القوانين الوطنية هي ثلاث حالات تتمثل في الهلاك والتلف والتأخير في إيصال البضاعة مما يفوت على صاحبها فرصة الكسب أو وقوع له خسارة (12).

غير أننا بدراستنا لأحكام اتفاقية بروكسل ووفق ما ذهب إلى ذلك غالبية الفقه والأحكام القضائية لا تنطبق أو لا تحكم الضرر الناتج عن التأخير في إيصال البضاعة (13). وكان يفسر ذلك في بداية الأمر بضعف صناعة النقل البحري والسفن الأمر الذي يجعل الناقل لا يتحكم في الوقت اللازم لإيصال البضاعة. أما وقد تطورت صناعة السفن وأصبحت تسير بأنظمة تكنولوجية متطورة فإن الناقل لا حجة له في الاحتجاج بالتأخر في إيصال البضاعة، لذلك اتجهت اتفاقية هامبورغ إلى النص على التأخير وبشكل واضح وصريح (14). حيث نصت المادة الخامسة الفقرة الثانية على أنه " ... 2 - يقع التأخير في التسليم إذا لم تسلم البضائع في ميناء التفريغ المنصوص عليه في العقد في حدود المهلة المتفق عليها صراحة أو في حالة عدم وجود هذا الاتفاق في حدود المهلة التي يكون من المعقول تطلب إتمام التسليم خلالها من ناقل يقظ، مع مراعاة ظروف الحالة...".

مما لاشك فيه أن النص على الحالات الثلاث لقيام مسؤولية الناقل البحري وبكل وضوح فيه مصلحة كبيرة للأطراف لاسيما الشاحنين الذين أصبح بمقدورهم وفقا لأحكام الاتفاقية المطالبة بالتعويضات اللازمة عن ما يلحقهم من خسارة وما فاتهم من كسب وهذا تماشيا مع قواعد المسؤولية في اتفاقيات دولية أخرى وقوانين وطنية لمختلف الدول.

### ثالثا: إعفاء الناقل البحري من المسؤولية

لم تتبنى اتفاقية هامبورغ الأسلوب الذب أخذت به اتفاقية بروكسل، هذه الأخيرة نصت على حالات كثيرة للإعفاء من المسؤولية وصل عددها إلى 17 حالة، ولا كما جاءت به بعض التشريعات الوطنية (15). إنما جاءت في المادة الخامسة الفقرة الأولى بوضع مبدأ عام بحيث يكون للناقل بمقتضاه دفع المسؤولية عنه وهو إثبات أنه وتابعه أو وكلاؤه قد اتخذ جميع ما كان من المعقول تطلب اتخاذه من تدابير لتجنب الحادث وتبعاته وهو ما يسمى بسبب الإعفاء العام (السبب الأجنبي) (16)، كما تقرر بصفة صريحة إعفاء الناقل البحري من المسؤولية إذا ما كانت الأضرار اللاحقة بالبضائع ناتجة عن التدابير التي اتخذها الناقل لانقاذ الأرواح أو الأموال في البحر، كما قدمت إعفاء ضمني للناقل من المسؤولية عن البضاعة بسبب طبيعتها وهي حالة نقل الحيوانات الحية أو بسبب طريقة نقلها ويتعلق الأمر بنقل البضائع على السطح، كما تضمنت أيضا وبشكل خاص الإعفاء من المسؤولية في حالة الحريق، زيادة على وضع أحكام خاصة بالحوادث النووية والنقل الاستثنائي (17).

#### رابعاً: تحديد مسؤولية الناقل البحري

إن تحديد مسؤولية الناقل البحري للبضائع هي من الأحكام التي استفاد منها الناقل في هذه الاتفاقية أو في غيرها، ذلك أن التحديد القانوني للمسئولية هو مقابل لمنع الناقل من إدراج شروط الإعفاء المختلفة في عقد النقل البحري، وهذا حتى لا ينوء الناقل تحت أعباء قد يعجز عن مواصلة الاستغلال التجاري للسفينة<sup>(18)</sup>.

وخلافا لاتفاقية بروكسل فإن اتفاقية هامبورغ نصت وبكل وضوح على سريان التحديد القانوني على كل الدعاوى مهما كان مصدرها عقدياً كانت أو تقصيرية وأياً كان سبب الضرر هلاكاً أو تلفاً أو تأخيراً في إيصال البضاعة. ضف إلى ذلك أن اتفاقية بروكسل لم تكن واضحة في سريان التحديد القانوني على الخطاء المرتكبة من تابعي ووكلاء الناقل بخلاف اتفاقية هامبورغ التي نصت صراحة على استفادة تابعي ووكلاء الناقل البحري من التحديد القانوني للمسئولية، كما يستفيد من هذا التحديد الناقل الفعلي وتابعيه ووكلائه<sup>(19)</sup>.

غير أن ما يمكن تأكيده، هو أن اتفاقية هامبورغ بمقارنتها باتفاقية بروكسل هو وضعها لحد أعلى يفوق بكثير الحد الأعلى الذي جاءت به اتفاقية بروكسل، ذلك أن هذه الأخيرة تحدده بـ100 جنيه انجليزي عن كل طرد أو وحدة أو على ما يعادل هذه القيمة بعملة أخرى، وقد عدل هذا الحد مرتان في سنة 1968 و1979. فقد استفادت اتفاقية هامبورغ من التطورات والتغيرات التي عرفها النظام النقدي العالمي، إذ جاءت بالنص على قاعدة واضحة بنص المادة السادسة وهي أن تحديد المسؤولية عن الخسائر الناتجة عن الهلاك أو التلف يحدد بمبلغ يعادل 835 وحدة حسابية عن كل طرد أو وحدة شحن أخرى أو 2,5 وحدة حسابية عن كل كيلو جرام من الوزن القائم للبضائع يهلك أو يتلف أيهما أكبر.

أما فيما يخص التأخير فنصت لأول مرة على تحديد قانوني لهذه المسؤولية، إذ قدرته بمبلغ مرتين ونصف أجره النقل، كذلك أضافت حد أعلى يتعلق بالحاويات أو أي منصة نقالة أو أداة نقل مماثلة وكذلك بوضع حد أعلى للحساب في حالة هلاك أداة النقل أو تلفها (نكتب نص المادة).

كما أن الاتفاقية ورغبة من واضعيها في توحيد النظام القانوني للتحديد القانوني لمسئولية الناقل البحري، فقد وضعت مفهوماً للوحدة الحسابية بنص المادة 26 التي جاء فيها أن المقصود بها هي " حق السحب الخاصة " كما يحددها صندوق النقد الدولي، على أن تحول هذه المبالغ إلى العملة الوطنية لكل دولة معنية بالأمر تبعاً لقيمة هذه العملة في تاريخ الحكم أو في التاريخ الذي يتفق عليه الأطراف.

ما يمكن أن يقال أن التحديد الذي جاءت به اتفاقية هامبورغ وبمقارنتها بما جاء باتفاقية بروكسل لاسيما نصها الأصلي الذي لم يعد قابلاً للتطبيق بالرغم من إبقاء بعض الدول على سريانه على النقل الدولي وفقاً لقانونها الوطني كما هو الشأن بالنسبة

للجزائر طبقا لنص المادة 745 من القانون البحري قد جاءت بأحكام جديدة فيها مصلحة كبيرة للشاحنين بل وتقييم في تقديرنا توازنا بين مصالح الطرفين حتى لا يضطر الناقل إلى البحث عن وسيلة لفرض شروط مختلفة تلحق الضرر بأصحاب البضائع المنقولة.

ما نخلص إليه أن الأحكام الموضوعية التي جاءت بها اتفاقية هامبورغ تخدم مصالح الشاحنين في الكثير من المواقع باعتبارهم الطرف الأضعف في عقد النقل على النحو الذي أوضحناه خلافا وتفوقا على اتفاقية بروكسل خاصة بنصها الأصلي الذي أصبح عاجزا عن مسايرة ما طرأ من جديد في العلاقات التجارية البحرية الدولية وصناعة النقل بمختلف جوانبها. وإذا كان الأمر كذلك فهل هو ذات الأمر فيما يخص الأحكام المتعلقة بالمنازعات والفصل فيها؟

### المبحث الثاني: الأحكام الخاصة بالفصل في المنازعات الناشئة عن تنفيذ عملية النقل البحري

نتناول بالدراسة والتحليل في هذا المبحث الأحكام التي جاءت بها اتفاقية هامبورغ في شأن بيان كيفية حل المنازعات التي تنشأ بين الأطراف بمناسبة تنفيذ عملية النقل البحري للبضائع وإجراءاتها سواء قبل رفع الدعوى.

#### المطلب الأول: الإجراءات السابقة عن رفع دعوى المسؤولية وتقدمها

##### أولا: الأحكام الخاصة بالإخطار بالهلاك أو التلف أو التأخير

لم تستغني اتفاقية هامبورغ مثل ما هو الشأن في اتفاقية بروكسل عن إجراء توجيه الإخطار الكتابي إلى الناقل أو ممثله من طرف مستلم البضاعة أو من يحل محله في ميناء التفريغ (الوصول)، غير أنها وضعت أحكام مفصلة ودقيقة بنص المادة 19 في فقراتها الثمانية.

على هذا الأساس يجب على المرسل إليه أو من يحل محله في حالة حدوث هلاك أو تلف للبضاعة أن يخطر الناقل بطبيعة هذا الهلاك أو التلف وحجمه في مدة معينة تختلف بحسب ما إذا كان الضرر ظاهرا أو غير ظاهر، فإذا كان ظاهرا فيجب أن يعمل الإخطار في يوم العمل التالي لتاريخ استلام البضاعة. وهو ما يجعلها تتميز عن اتفاقية بروكسل التي توجب عمل و توجيه الإخطار في وقت استلام البضاعة أي فور الاستلام<sup>(20)</sup> وفي اتفاقية هامبورغ قد أعطت مهلة أوسع لمستلم البضاعة للقيام به لاسيما في حالة وصول البضاعة وتسليمها في وقت متأخر من اليوم أو إذا لم يحصل التسليم مباشرة للمعني بالأمر.

أما إذا كانت الأضرار غير ظاهرة، فيتعين على المرسل إليه القيام بعمل وتوجيه الإخطار في مهلة لا تتجاوز 15 يوما التي تلي مباشرة عملية التسليم، وهذا خلافا لاتفاقية بروكسل التي تستوجب توجيهه في خلال ثلاثة أيام فقط<sup>(21)</sup>، وهي مدة قصيرة



جدا خصوصا مع تعقد عملية النقل وأحجام و كيفية تغليف البضاعة وغيرها من الصعوبات.

لقد تميزت اتفاقية هامبورغ عن اتفاقية بروكسل في كونها نصت على وجوب توجيه إخطار في حالة التأخير في إيصال البضاعة في الوقت المحدد أو المتفق عليه، ويكون ذلك في مهلة الستين يوما التالية للتاريخ الذي كان يجب أن تسلم فيه البضاعة.

أما فيما يتعلق بأثر الإخطار فإن اتفاقية هامبورغ لم تختلف بشأنه عن اتفاقية بروكسل، إذ أن أعمال وتوجيه الإخطار ليس قرينة قاطعة في مواجهة الناقل بل هو قرينة بسيطة لصالح المرسل إليه أو من يحل محله على أن الضرر اللاحق بالبضاعة حصل وقت كون البضاعة في عهدة الناقل، غير أنه يمكن للناقل هدم هذه القرينة وإثبات عكسها بكافة الطرق. كما أن عدم توجيه الإخطار وفقا لأحكام الاتفاقية لا يترتب عليه سقوط الحق في رفع دعوى المسؤولية ضد الناقل وإنما يجعل المدعي في مركز ضعيف من حيث الإثبات فقط هذا عندما يتعلق بالهلاك أو التلف. أما عدم توجيه الإخطار وفقا للاتفاقية عن التأخير فيترتب عليه جزاء خطير وهو عدم قبول دعوى التعويض عن التأخير في إيصال البضاعة أي سقوط حق المرسل إليه أو من يحل محله في المطالبة بالتعويض<sup>(22)</sup>.

### ثانيا: الأحكام الخاصة بالتقادم

إن القاعدة المعمول بها في اتفاقية بروكسل هي التقادم السنوي، بحيث كل دعوى ترفع ضد الناقل البحري عن هلاك البضاعة أو تلفها إذا لم ترفع خلال سنة كاملة يبدأ حسابها من تاريخ تسليم البضاعة أو من التاريخ الذي كان يجب أن تسلم فيه، غير أنها لم تكن شاملة لكل الدعاوى لاسيما دعوى الرجوع التي لم تنص على أحكام تخصها.

وتجنبنا لكل النقص الذي جاءت به اتفاقية بروكسل فقد جاءت اتفاقية هامبورغ بأحكام أكثر مرونة ومحقة لمصلحة الشاحنين ومن لهم الحق في تسلم البضاعة أو من يحل محلهم. فقد حددت هذه الأحكام في المادة 20 منها بفقرات الخمس، إذ جاءت الفقرة الأولى بالنص على التقادم المسقط أي أن كل دعوى متصلة بنقل البضائع بطريق البحر والخاضعة لأحكام الاتفاقية تسقط ما لم تتخذ إجراءات التقاضي أو التحكيم خلال مدة عامين كاملين (24 شهرا)<sup>(23)</sup>. ويبدأ حساب هذه المدة من اليوم الذي سلم فيه الناقل البضائع أو جزء منها، وفي حالة عدم التسليم من آخر يوم يتعين أن يتم فيه التسليم.

كما أن الفقرة الرابعة من المادة 20 أجازت إطالة مدة التقادم في أي وقت أثناء سريانها معلقة ذلك على شرط إعلان كتابي يصدر من المدعى عليه للمدعي، ويجوز تكرار طلب إطالة مدة التقادم. في حين جاءت الفقرة الخامسة بأحكام جديدة فيما يتعلق بدعاوى الرجوع، إذ انه لا يحول انقضاء مدة التقادم المنصوص عليها في الاتفاقية دون مباشرة هذا دعوى الرجوع إذا كانت مدة التقادم وفقا لقانون المحكمة التي تنظر النزاع لا تزال سارية شريطة أن لا تقل المدة الباقية لاستكمال هذا التقادم عن 90 يوما يبدأ

حسابها من اليوم الذي قام فيه المدين بوفاء الدين أو من يوم مطالبته به رسميا إذا لم يكن قد وفاه.

وواضح من خلال مقارنة هذه الأحكام بمثلتها في اتفاقية بروكسل أنها أحكام جاءت موسعة وفيها فائدة كبيرة للمدعين لاسيما إعطائهم مدة طويلة تصل إلى سنتين أو تفوق إذا ما أتفق على إطالة مدة التقادم.

### المطلب الثاني: الفصل في المنازعات الناشئة عن تنفيذ عملية النقل

إن تحديد الجهة القضائية المختصة بالفصل في النزاع الناشئ عن عملية النقل البحري للبضائع والذي جاءت أحكامه في اتفاقية هامبورغ يعد تحولا هاما وضروريا للفصل في أي نزاع ينشأ في هذا الشأن، وما يميز اتفاقية هامبورغ عن اتفاقية بروكسل أو غيرها من الاتفاقيات أنها وضحت أحكام خاصة بالقضاء وأحكام خاصة بالتحكيم.

### أولا: الأحكام الخاصة بالاختصاص القضائي

لقد التزمت اتفاقية بروكسل بنصها الأصلي أو المعدل الصمت حيال مسألة تحديد المحكمة المختصة بالفصل في النزاع، تاركتنا أمره للقوانين الوطنية ولما يتفق عليه الأطراف بكل حرية. الأمر الذي أدى إلى انتشار ظاهرة وضع شروط تتعلق بالاختصاص القضائي من طرف الناقلين في سندات الشحن، أو في اتفاقات الأطراف، ومن ثم عقد الاختصاص لمحاكم أجنبية عن الشاحنين تبعا لرغبة الناقل. هذا الأمر لاشك فيه إجحاف بحق الشاحنين أو المرسله إليهم البضائع أو من يحل محلهم، ولعل هذا السبب هو الذي أدى إلى قلة القضايا المعروضة على القضاء الجزائري عندما يكون المدعى عليه ناقلا أجنبيا، ذلك أن مثل هذا الشرط يسلب القضاء الوطني اختصاصه بنظر النزاع ويعقده للقضاء أجنبي.

ومن أجل تقادي هذه النتيجة والتي لا تخص الجزائر فقط، فقد عملت الدول خاصة النامية على تدارك ومواجهة هذا الوضع بوضع أحكام تتعلق بالاختصاص القضائي بنصوص اتفاقية هامبورغ على نحو يعقد الاختصاص لمحاكم معينة وفقا لما جاء بنص المادة 21 من الاتفاقية، فقد أعطت هذه المادة بفقرتها الأولى الحق للمدعي الخيار بين عدة محاكم، فله أن يختار المحكمة التي يكون فيها المقر الرئيسي للمدعى عليه أو مكان إبرام العقد بشرط أن يكون للمدعي عليه مقر عمل أو فرع أو وكالة أبرم العقد عن طريقها أو في ميناء الشحن أو التفريغ أو أي مكان آخر غير ذلك يعين في عقد النقل.

واختيار المدعي لأحد هذه الأماكن يؤدي إلى عقد الاختصاص لقضاء إحدى الدول التي يقع فيها هذا المكان، وحينها يكون قانون هذه الدولة هو الذي يعين المحكمة المختصة نوعيا وإقليميا بنظر النزاع. وواضح أن نص الاتفاقية لم يسلب القضاء الوطني اختصاصه، وإنما أعطى الحق للمدعي للاختيار بين هذه الأماكن.

وتضيف الفقرة الثانية أحكاما خاصة بالحجز على السفينة وتحديد لمن ينعقد الاختصاص، كما تضيف الفقرة الرابعة حكم آخر ناص على عدم قبول أي دعوى ترفع بعد رفع الدعوى أمام المحكمة المحددة بالفقرة الأولى والثانية منعا لتعدد الدعاوى والأحكام في مواجهة الناقل. على أن الملفت للانتباه بنص هذه المادة هو أن الفقرة الثالثة كانت صريحة في إبطال أي اتفاق يخالف ما جاء بنص الفقرة الأولى والثانية من هذه المادة.

إن بطلان الاتفاقات المشار إليها في الفقرة الثالثة ليس مطلقا وإنما يتعلق فقط بالاتفاقات التي تعقد قبل نشوء النزاع، أما بعد نشوئه فقد أجازت للطرفين الاتفاق وبمحض إرادتهما على عرض نزاعهم على أي محكمة يريانها مناسبة للفصل في نزاعهما، عل أساس أن في هذه المرحلة لا يمكن للناقل أن يفرض شروطه وتنتقي حينها العبرة من فرض اختصاص معين على الأطراف وفقا لحكام الاتفاقية.

ما يمكن قوله أن سريان الاتفاقية وانتشارها على نحو واسع تدريجيا سيؤدي إلى القضاء على شروط عقد الاختصاص لمحاكم غير المحاكم المحددة بنص المادة 21 منها، الأمر الذي يحقق حماية أكبر وأفضل للشاحنين والمرسلة إليهم البضاعة أرو من يحل محلهم.

### ثانيا: الأحكام الخاصة بالتحكيم البحري

كما هو الشأن بالنسبة للقضاء، فإن اتفاقية بروكسل بنصها الأصلي أو التعديلات التي أدخلت عليه لم تضع أحكام تتعلق بالفصل في النزاع عن طريق التحكيم. على الرغم من أن معظم المنازعات البحرية يتم الفصل فيها عن طريق التحكيم لما يوفره من مزايا كالسرعة والمرونة والسرية، وأنه أصبح في وقتنا الحاضر أنسب وسيلة لحل المنازعات البحرية.

فهذه الميزات والتطور الذي عرفه هذا النظام، جعل المؤتمر يتفقون على وضع أحكام تتعلق بالتحكيم للفصل في المنازعات الناشئة بين الأطراف، وإن لم تكن شاملة لكل الحكام غير أنها جاءت بالأسس والأحكام اللازمة. وتعد اتفاقية هامبورغ الأولى في تاريخ الاتفاقيات المتعلقة بالنقل البحري الناصة على جواز اللجوء إلى التحكيم بصدد المنازعات الناشئة عن تنفيذ عملية النقل البحري للبضائع<sup>(24)</sup>، فقد جاءت المادة 22 بفقرتها الأولى بالنص على جواز الاتفاق على التحكيم سواء قبل نشوء النزاع أو بعده شريطة أن يكون الاتفاق مكتوبا. أما الفقرة الثانية فقد نصت على مكان إجراء التحكيم وأعطت الحرية للمدعى عليه (المتضرر) أن يختار بين عدة أماكن، من ذلك المركز الرئيسي للمدعى عليه وفي حالة عدم وجوده ففي مقر إقامته المعتاد أو ميناء الشحن أو ميناء التفريغ... الخ.

ما يميز نص الاتفاقية في مجال التحكيم عن غيرها من الاتفاقيات ولوائح التحكيم، أنها ألزمت المحكم أو هيئة التحكيم على تطبيق قواعد هذه الاتفاقية على موضوع النزاع، وأبطلت كل اتفاق يأتي مخالفا لأحكامها. على أن هذا الحكم ليس على إطلاقه، إذ أجازت للأطراف الاتفاق على التحكيم بعد نشوء النزاع حتى ولو خالف الأحكام التي جاءت بها الاتفاقية، وهذا لانتفاء العلة من تقييد إرادة الأطراف في ذلك.

### الخاتمة

لقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن اتفاقية هامبورغ وبمقارنتها بما جاءت به اتفاقية بروكسل لاسيما ما ورد بنصها الأصلي، أنها حققت تقدما كبيرا في سبيل توفير حماية أكبر للطرف الضعيف في عقد النقل وهو الشاحن ومن ورائه المرسل إليه البضاعة ومن يحل محله.

إذ أن الاتفاقية كما بينا جاءت لحكم الكثير من المسائل التي طرأت في التجارة البحرية الدولية، وصناعة النقل البحري والثورة التي أحدثتها النقل بالحاويات وتشعب العلاقات الناشئة عن تنفيذ عقد النقل البحري للبضائع وظهور ما يسمى بالناقل الفعلي والنقل المتتابع والنقل المتعدد الوسائط. الأمر الذي تطلب تغيير الكثير من الأحكام القانونية إن على مستوى أساس المسؤولية والقضاء على حالات الإعفاء وشروطها المختلفة أو على مستوى وضع نظام جديد لتحديد المسؤولية بما يتماشى والتطور الذي عرفه النظام المالي الدولي.

كما أن الاتفاقية ورغبة منها في القضاء على شروط عقد الاختصاص للقضاء الأجنبي على الشاحن أو المرسل إليه أو من يحل محله فقد وضعت لأول مرة أحكام تتعلق بالاختصاص القضائي والتحكيم، مسايرتا في ذلك التطور الحاصل على المستوى الدولي ووجود عدة اتفاقيات للتجارة الدولية والمحددة لكيفية حل المنازعات بين أطرافها.

مما لا شك فيه أن هذه الاتفاقية وإن كانت غايتها الأساسية إقامة توازن بين مصالح الأطراف، إلا أنها توفر حماية كبيرة للشاحنين والمرسل إليه البضاعة وكل من يحل محلهم، خلافا لاتفاقية بروكسل التي كانت ولا تزال تعبر عن سياسة ومصالح الدول الناقل، أما اتفاقية هامبورغ فهي تعبر عن تطلعات الدول النامية والتي في معظمها دولاً شاحنة، ولا أدل على ذلك من أن الدول المنظمة والمصادقة عليها هي من الدول النامية. أما الدول المتقدمة والتي تتبع لها شركات النقل العالمية بالأساس فمنها ما يعارضها بشدة ومنها ما يسعى بكل الوسائل إلى إيجاد قواعد بديلة لها ولاتفاقية بروكسل.

ولعل الأمر في تقديرنا بالنسبة للجزائر يجب أن يتجه إلى الانضمام إلى اتفاقية هامبورغ تماشيا مع مصالحنا الوطنية وخلق تكامل مع الدول النامية الأخرى المنظمة إليها لاسيما الدول المجاورة لنا كالمغرب وتونس هذا من جهة. ومن جهة أخرى لما

تحققه هذه الاتفاقية وفق ما بيناه من حماية أكيدة للشاحنين والمرسلة إليهم البضاعة أو من يحل محلهم الجزائريين بمقارنتها باتفاقية بروكسل، ولا يكفي أن يقتبس المشرع الجزائري نص أو اثنين منها للقول بأنه يأخذ بأحكامها على مستوى التشريع الداخلي. ذلك أن الجزائر وإلى غاية اليوم فيما يخص النقل الدولي لا تزال تأخذ بنص اتفاقية بروكسل وبنصها الأصلي مع أن الثابت حاليا أن هذه الاتفاقية وبهذا النص لا يمكن تطبيقها على الإطلاق وكل الدول قد تخلت عنها نهائيا لاسيما الدول التي أوجدتها كفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا... الخ.

على هذا الأساس وأمام انتقال الجزائر وسعيها للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، عليها أولا وقبل تقديم أوراق انضمامها نهائيا أن تحمي مصالح متعاملها في مجال النقل البحري إن كانوا شاحنين أو ناقلين من خلال الانضمام إلى هذه الاتفاقية، ومن أجل القضاء على الفراغ القانوني الذي يسود عمليات النقل الدولي للبضائع في الجزائر وعدم ترك الشاحنين الجزائريين لهيمنة شركات النقل العالمية.

من كل ما سبق فإننا من خلال هذه الدراسة ندعو السلطة المختصة في الدولة إلى بحث هذه الاتفاقية من كل الجوانب، والاستفادة من الخبرات الجزائرية والأجنبية وصولا إلى إقرار الانضمام إليها والانسحاب من اتفاقية بروكسل المعطلة واقعا. ويبقى لنا أن نقدم بصفة مستمرة دراسات في هذا الشأن من خلال الاطلاع على تجارب غيرنا فقها وقضاءا.

#### الهوامش

- 1- Le Gendre (C): La convention des nation unies sur le transport de marchandises par mer, D.M.F, 1978, p390- Bokalli (V-E): La protection des chargeurs a travers les règles de Hambourg, DMF, 1997,246.
- 2 - علي جمال الدين عوض، النقل البحري للبضائع، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992 ص624.
- 3- Rodière (R): Droit maritime, 6 édition, Dalloz, Paris, 1974, p326.
- 4- Rodière (R) : op.cit, 8 édition, 1979, p394.
- 5 - عاطف محمد الفقي، النقل البحري للبضائع، دار النهضة العربية، القاهرة، 2001، ص38.
- 6 - كمال حمدي، اتفاقية الأمم المتحدة للنقل البحري للبضائع عام 1978، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1998، ص71.
- 7 - كمال حمدي، مسؤولية الناقل البحري للبضائع، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995، ص42.

- 8 - هاشم رمضان الجزائري، متى يعتبر الناقل قد تسلم البضاعة في عقد النقل البحري للبضائع، بحث منشور في مجلة الحقوق، السنة العاشرة، عدد 1 مارس 1986، ص 140 وما بعدها.
- 9 - محمد بهجت عبد الله قايد، مسئولية الناقل البحري للبضائع في اتفاقية هامبورج، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992، ص 34.
- 10 - سعيد يحيى، مسئولية الناقل البحري، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون سنة النشر ص 35.
- 11 - محمد بهجت عبد الله قايد، المرجع السابق، ص 43.
- 12 - محسن شفيق، الجديد في القواعد الدولية الخاصة بنقل البضائع بالبحر، دار النهضة العربية القاهرة، بدون سنة النشر، ص 67.
- 13 - كمال حمدي، القانون البحري، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1997، ص 829 - محمد بهجت عبد الله قايد، المرجع السابق، ص 56 - 10 - سعيد يحيى، المرجع السابق، ص 36 - علي جمال الدين عوض، القانون البحري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987، ص 294.
- 14 - أحمد محمود حسني، النقل الدولي البحري للبضائع منشأة المعارف، الإسكندرية، طبعة ثانية، دون سنة نشر، ص 67.
- 15 - من ذلك القانون البحري الجزائري الصادر سنة 1976 والمعدل سنة 1998 والقانون الفرنسي الصادر سنة 1966.
- 16 - كمال حمدي، اتفاقية الأمم المتحدة للنقل البحري للبضائع عام 1978، منشأة المرجع السابق، ص 80.
- 17 - انظر في ذلك المادة 25 من الاتفاقية بفقرتها الثالثة.
- 18 - محسن شفيق، المرجع السابق، ص 98.
- 19 - أمال كيلاني، التقاضي في عقد النقل البحري، مطبعة الرسالة بطنطا، سنة 2001، ص 520.
- 20 - أمال كيلاني، المرجع السابق، ص 155.
- 21 - أحمد محمود حسني، التعليق على نصوص اتفاقية هامبورج، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1998، ص 194.
- 22 - عاطف محمد الفقى، المرجع السابق، ص 178.
- 23 - سعيد يحيى، المرجع السابق، ص 74.
- 24 - سعيد يحيى، المرجع السابق، ص 81.



## الإطار القانوني للتعددية السياسية في الجزائر منذ دستور فبراير 1989 حتى صدور القانون 04/12 المتعلق بالأحزاب السياسية

### ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان النصوص القانونية المنظمة للتعددية السياسية في الجزائر منذ أن أقرها دستور 23 فبراير 1989 إلى اليوم وذلك بالمقارنة بين مختلف النصوص القانونية التي توالى حول مسألة إنشاء الأحزاب السياسية، وبيان شروط تأسيسها، والضوابط التي في تحكم تسييرها، ووفى نشاطها، والعيوب والانتقادات التي وجهت إلى هذه القوانين، وما ترتب عنها من مساوئ وسلبيات وأثرها على تجربة التعددية في الجزائر حتى صدور قانون 04/12 في 14 يناير 2012. المتعلق بالأحزاب السياسية في إطار الإصلاحات التي أعلن عنها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في السياسية خطابه يوم 14 أبريل 2011.

أ. محمد الصالح بن شعبان  
كلية الحقوق  
جامعة قسنطينة 1  
الجزائر

### مقدمة

**إن** المتبع للنظام السياسي الجزائري منذ الاستقلال إلى اليوم يلاحظ أن في كل عقد من العقود ( في كل عشرية ) تقوم السلطة بوضع دستور يلغي أو يعدل سابقه وهكذا، ففي الستينات تم وضع دستور 10 سبتمبر 1963 يؤسس لدولة مستقلة ذات نظام الحزب الواحد. وتم تعليق العمل به بعد انقلاب 17 جوان 1965 أو ما عرف آنذاك بالتصحيح الثوري، وفي السبعينات تم وضع دستور 22 نوفمبر 1976. يؤسس لدولة عصرية يحكمها حزب واحد وهو حزب

### Résumé

Cette étude vise non seulement à faire un état des lieux, mais aussi de mieux cerner les textes juridiques régissant le pluralisme politique en Algérie. La constitution du 23 février 1989 approuve le droit de créer des associations à caractère politique. Notre tâche est double : tout d'abord, il convient de comparer les textes traitant les partis politiques, et ensuite de s'interroger sur les conditions de leur création, et les contrôles sur leur activité.



جبهة التحرير الوطني. وفي الثمانينات تم وضع دستور 23 فيفري 1989 الذي تراجع عن الاشتراكية. وأحدث انقلابا ظاهريا في نظام الحكم الجزائري، وفتح الباب على مصراعيه أمام الحريات والحقوق' مثل: إقرار التعددية السياسية وغيرها من الحقوق إلى حد أنه أدخل البلاد في فوضى سياسية واجتماعية عارمة، وفي التسعينات صدر دستور 28 نوفمبر 1996 المعدل لذلك دستور 1989.

Un autre point mérite interrogation : mettre en évidence les lacunes de ces dits textes et les critiques formulées à leur rencontre.

Les réformes proclamées lors du discours du président Abdelaziz Bouteflika prononcé le 14 Avril 2011 ouvrent une nouvelle ère dans la gestion politique. Elles apparaissent comme des indices d'une libéralisation politique correspondant à une stratégie renouvelée du pouvoir, sans garantir pour autant les conditions d'une transition démocratique effective.

وفي العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين أدخلت جملة من التعديلات على دستور 1996 لتواكب متطلبات وتطور المجتمع. وفي العشرية الثانية سيحدث تعديل دستوري يواكب الإصلاحات التي أعلن عنها رئيس الجمهورية في أبريل 2011.

ويلاحظ على دستوري 1963 - 1976 بأنهما ركزا على مبدأ الحزب الواحد بينما دستور 1989، وما بعده من دساتير. أقر التعددية السياسية وذلك من خلال نص المواد 14. 10 و 30 و 39 ثم أشار صراحة في نص المادة 40 منه، على أن: حق إنشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي معترف به ومضمون. في حين نصت المادة 42 من دستور 1996 "على حق إنشاء الأحزاب السياسية معترف به ومضمون وهو ما نوضحه على النحو الآتي:

في هذا الإطار وضع المشرع النصوص القانونية المنظمة لتعددية الحزبية و بيان شروط تأسيسها. والقواعد والضوابط التي تحكم سلوكها ونشاطها. ففي هذا الصدد عرفت التعددية السياسية في الجزائر، ثلاثة قوانين اختلفت في مضمونها، وفي قواعدها، وفي نظرتها إلى الأحزاب السياسية باختلاف الظروف الموضوعية التي أحاطت بكل قانون عند وضعه و هي على النحو الآتي:

### أولا: القانون 11/89

أسس دستور 89 للتعددية السياسية في الجزائر صراحة بنص المادة 40 وهو النص الذي تم تجسيده في القانون 11/89 المؤرخ في 05 جويلية 1989 الذي بمجرد المصادقة عليه من قبل المجلس الشعبي الوطني سارعت الأحزاب إلى إيداع ملفاتها لدى وزارة الداخلية تطلب الاعتماد. وكان أول حزب تم اعتماده هو "الحزب الاجتماعي الديمقراطي" ثم تلتها أحزاب أخرى مثل: "حزب الطليعة الاشتراكي" و "التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية". وأول حزب إسلامي تم اعتماده هو "الجبهة

الإسلامية للإنقاذ" حتى بلغ عدد الجمعيات في سبتمبر 1991 اثنين وخمسين جمعية (52) (1)، بل تجاوز العدد ذلك لاحقاً.

ولعل أهم ملاحظة يمكن استنتاجها بشأن هذا الكم الهائل المعتمد من الجمعيات ذات الطابع السياسي تعود بالدرجة الأولى إلى الليونة المفرطة التي أبداهها المشرع في شروط وإجراءات تأسيس الجمعية ذات الطابع السياسي. بحيث يمكن لخمسة عشرة شخصاً أن يؤسسوا جمعيتهم ويتحصلوا على الاعتماد. ولعل مرد هذا التساهل يكمن في أن النظام يسعى إلى امتصاص السخط الجماهيري وتشتيت القوى السياسية الناشطة، حتى يضمن لنفسه الاستمرار في الحكم لأطول مدة ممكنة. (2)

أما فيما يتعلق بالضوابط التي تحكم نشاط الجمعيات ذات الطابع السياسي فإنه يلاحظ في هذا القانون أنه وضع جملة من الضوابط يجب عليها التقيد بها. منها: أن تساهم في المحافظة على الاستقلال الوطني والسلامة الترابية والوحدة الوطنية ودعمها، ودعم سيادة الشعب، واحترام اختياراته الحرة، وحماية النظام الجمهوري، والحريات الأساسية للمواطن، وتدعيم وحماية الازدهار الاجتماعي والثقافي للأمة، في إطار القيم العربية الإسلامية، وحماية الاقتصاد الوطني من كل أشكال التلاعب، والاختلاس أو المصادر غير المشروعة. ويجب عليها كذلك أن تمنع في برنامجها وأعمالها. التعصب، والتزمت، والعنصرية، والتحريض على العنف بكل أشكاله، أو اللجوء إليه. (3)

ونصت المادة الخامسة منه كذلك على عدم جواز إنشاء الجمعية على أساس ديني أو عرقي، أو جهوي، أو طائفي، أو عرق واحد، أو إلى وضع مهني معين، أو إقامة علاقة مع تجمع سياسي أجنبي، تكون فيه الجمعية بمثابة فرع له، كما يجب على كل جمعية أن تتقيد بمبادئ وقيم ثورة أول نوفمبر 1954. (4)

غير أن الممارسات الميدانية كشفت عن نقائص وثغرات في هذا القانون زجت بالبلاد في أزمة سياسية. وأدخلتها في فوضى سياسية، واجتماعية، قاربت العشر سنوات.

### ثانياً القانون رقم 09/97

في ظل دستور 1996 . صدر القانون بموجب الأمر 09/97 الصادر في 06 مارس 1997 عن طريق المجلس الوطني الانتقالي الذي تأسس بديلاً للمجلس الشعبي الوطني بعد توقيف المسار الانتخابي، الذي فازت فيه "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" في الدور الأول بأغلبية مقاعد البرلمان، مما دفع بالسلطة إلى إعلان حالة الطوارئ، واستقالة رئيس الجمهورية، التي صادفت انحلال المجلس الشعبي الوطني. والإعلان عن شغور منصب رئيس الجمهورية، ووجود فراغ دستوري. فتم وضع هذا القانون تعديلاً للقانون الأول من أجل معالجة النقائص والتغيرات التي ميزت قانون الجمعيات السياسية والتجربة الديمقراطية السابقة.

وبموجب التعديل الدستوري الذي طال المؤسسات الدستورية وكذلك السلطتين التشريعتين والتنفيذ وإنشاء غرفة ثانية للبرلمان وهي مجلس الأمة. كما تم إنشاء مجلس الدولة تدعياً للسلطة القضائية. ومحكمة عليا للدولة لمحاكمة رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء. أما فيما يخص المؤسسات غير الرسمية فقد تم إعادة النظر في النظام الحزبي فنص صراحة في المادة 42 على " حق إنشاء الأحزاب السياسية معترف به ومضمون (5) وبذلك تم تعديل المادة 40 من دستور 89 باستعمال مصطلح " الأحزاب السياسية " بدلا من " الجمعيات السياسية " للتدليل على التعددية الحزبية. و في نفس الوقت حظرت استعمال مكونات الهوية الوطنية، واستغلالها للدعاية الحزبية ومنع العنف بكل أشكاله كوسيلة للوصول إلى السلطة أو البقاء فيها.

وهكذا جاء القانون العضوي الذي صدر في 6 مارس 1997 لتجسيد هذا النص الدستوري. لاسيما ما تعلق بالمكونات الأساسية للهوية الوطنية ( الاستلام، العروبة، الأمازيغية) وذلك بخطر استعمالها في أغراض سياسية، أو دعاية حزبية حسب المادة الثالثة من القانون. (6)

ونظرا للظروف المأساوية التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة من تاريخها فانه يفهم من سياق نص المادة المذكورة أن الأحزاب السياسية المعنية خاصة هي " حركة المجتمع الإسلامي" ، و"حركة النهضة الإسلامية"، وكذلك الأحزاب الجهوية، وهي : "حزب القوى الاشتراكية"، و"حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية". ومن ثم استلزم الأمر على هذه الأحزاب التكيف مع الوضع الجديد. فقامت الأحزاب الإسلامية بحذف كلمة " إسلامية " من تسميتها ، فأصبحت " حركة مجتمع السلم"، و " حركة النهضة ". أما الأحزاب الصغيرة الأخرى فإنها لم تستطع التأقلم مع الوضع الجديد فأنحلت تلقائيا بعد انقضاء الأجل المحدد لها بتاريخ 06 مارس 1998.

هذا القانون فرض قيودا من الصعوبة بمكان على إنشاء أحزاب سياسية جديدة ، حيث اشترط في المادة 18 الثامنة عشرة منه على أنه لا يصح انعقاد المؤتمر التأسيسي للحزب إلا إذا كان ممثلا في 25 خمسة وعشرين ولاية على الأقل من أصل 48 ولاية. و يجب أن يجمع المؤتمر بين أربعمئة ( 400 ) وخمسمئة (500) مؤتمر ينتخبهم 2500 منخرط على الأقل يقيمون في 25 ولاية.

وإذا كان هذا القانون اعترف صراحة بالأحزاب السياسية، فإنه من جانب آخر ضيق عليها الخناق فيما يتعلق بنشاطها. وحصر دورها في المعارضة دون المشاركة الفعالة والمؤثرة في العملية السياسية وصنع القرار. بل والأشد من ذلك أنه أعطى صلاحيات واسعة للإدارة، ليسط نفوذها ورقابتها على الأحزاب المعتمدة لا في ممارسة نشاطها. واتخاذ تدابير ضد كل حزب يخل بأحكام القانون. وذلك بتسليط عقوبات صارمة عليه تصل إلى حد حله. وبهذا ظهرت الإدارة قوية في وجه الأحزاب السياسية مما قلل من نشاط هذه الأحزاب وانصرافها عن العمل السياسي، وقد أثر ذلك تأثيرا

واضحا في الخريطة السياسية للدولة، وفي نظامها السياسي، وفتح باب الانشقاقات والنزاعات الداخلية على مستوى هذه الأحزاب.

### ثالثا القانون 04/12

صدر القانون 04/12 المؤرخ في 12 جانفي 2012 المتعلق بالأحزاب في إطار الإصلاحات السياسية التي أعلن عنها رئيس الجمهورية في خطابه الذي ألقاه في 15 افريل 2011 وجاء هذا القانون من أجل تعميق المسار الديمقراطي في الجزائر، وسن تدابير قانونية للمستقبل، وذلك استجابة للعديد من المتطلبات ومتحررا من المعتقدات الثابتة. و المخاوف والشكوك غير المبررة. (7)

وقد ركز هذا القانون على ثلاث مجموعات من المتطلبات الأساسية و هي:

**أولا** – احترام النظام الدستوري، وعدم المساس بالطابع الجمهوري للدولة بكل ما يجيز عنه كل السيادة والاستقلال الوطنيين، ولحفاظ على وحدة التراب الوطني، و تأمينه والدفاع عنه.

**ثانيا** – الالتزام بعدم تأسيس أي حزب سياسي، أو ممارسة نشاطات مخالفة لقيم ثورة أول نوفمبر 1954، الإسلام، والهوية الوطنية، أو على أسس دينية، أو لغوية، أو عرقية، أو بحسب الجنس، أو ممارسات طائفية، أو تمييزية.

**ثالثا** – تبني المبادئ و الأهداف والقواعد الديمقراطية في تنظيم الحزب وسيره ونشاطاته، وتطبيقها في ظل احترام الحريات العامة، والفردية والجماعية، واحترام حق المنتخبين في الاختيار الحر، واحترام ممارسة التعددية السياسية، وانتخاب الهيئات القيادية، والتداول على المسؤولية، ونبذ العنف. وإلى جانب هذه المبادئ الأساسية حرص القانون على إيضاح وضبط الأهداف التي تسعى من أجلها الأحزاب السياسية، وذلك من خلال إبراز دلالة وحجم ورد الاعتبار الذي يخصها به الدستور وبدورها في الحياة السياسية. وكذلك ضمان حرية إنشاء الحزب السياسي في إطار القانون، والتعبير الحر عن آرائه و مشروعه، وكذلك ممارسة نشاطاته بكل حرية، شريطة ألا تستغل هذه الحرية لغرض إنشاء وإعادة حزب قد تم حله.

هذا بالإضافة إلى إعادة صياغة طبيعة العلاقة بين إدارات الدولة والأحزاب السياسية في إطار متوازن ومنسجم، أساسه احترام الطرفين للقانون في ممارسة المهام المخولة لكل منها، و تمكينها من أوجه الطعن في ظل نفس الشروط لتمكين كل طرف من تحصيل حقوقه.

فيلاحظ على هذا القانون أنه من الناحية الشكلية قد جاء مقسما إلى ستة أبواب تضمنت 89 مادة .

### الباب الأول :

تضمن جملة من التعاريف والتوضيحات منها تعريف الحزب السياسي في المادة 03 ثم الأهداف والمبادئ والأسس التي يقوم عليها الحزب، وموقعه في الحياة السياسية في مواجهة الرأي العام والمواطنين والمنتسبين إليها، وكذلك السلطات العمومية، وذلك في إطار الدستور والسيادة الوطنية، والدولة الجمهورية الديمقراطية. (8)

#### الباب الثاني:

شرح وتفصيل الشروط والكيفيات التطبيقية لإنشاء حزب سياسي في " خارطة طريق " تحدد وتضبط جميع المراحل من التصريح بالتأسيس، من قبل المؤسسين المؤهلين لذلك فحص المطابقة . فالاعتماد وعقد المؤتمر التأسيسي. وكذلك طرق الطعن المقررة. (9)

#### الباب الثالث:

تناول تنظيم الحزب السياسي وتسييره وأجهزته وهياكله، وموقعها الإقليمي وعلاقته بالتشكيلات السياسية الأخرى، وهذه المسائل يجب أن يتم النص عليها بالتفصيل في القانون الأساسي للحزب وأن يصادق عليها من خلال مؤتمره التأسيسي. (10)

#### الباب الرابع:

فتناول الأملاك المنقولة والعقارية والموارد المالية للحزب، وكيفية تسييرها وأسلوب محاسبتها، وتقديم تقريرها المالي إلى الإدارة المختصة. (11)

#### الباب الخامس:

تناول إجراءات التوقيف والحل والاطعون الممكنة في حالة مخالفة القانون العضوي. (12)

#### الباب السادس:

تناول التدابير الانتقالية والختامية. (13)

#### الخاتمة

جاء هذا القانون بعد تجربتين خلال عشرينيتين صدر فيهما نصاب قانونيان (11/89) و(07/97) يتعلقان بالأحزاب السياسية، ولكن هذين القانونين لم يحظيا بالشروط المواتية لتطبيقهما ولم يتوصلا إلى تشكيل تنظيم ملائم قادر على احتواء التطورات والأحداث التي لم يكن من الممكن اجتنابها في ظل ظروف مضطربة، ولذلك بقيت الجهود المبذولة لتأطير التعددية السياسية والحزبية في الجزائر دون مستوى تطلعات وطموحات المواطنين.

فالتجربة الأولى كانت بالقانون 11/89 الذي أسس لما عرف بالجمعيات ذات الطابع السياسي الذي فتح المجال أمام تأسيس عدد كبير من الجمعيات التي أرادت

احتلال الحقل السياسي، ولكن سرعان ما كشف الواقع، والتطبيق النقائص والعيوب والتناقضات الموجودة في هذا القانون الذي جاء في الواقع استجابة ورضوخا لضغط الأحداث، أكثر مما حرص على وضع تنظيم كفيل فعلا بتوجيه وتنظيم ظهور التعددية السياسية، وتعايشت الجمعيات الجديدة التي اكتفت بدور " جمعي " أكثر مما هو سياسي، مع حزب واحد احتفظ بخصوصياته كاملة ، فأصبحت تعتبر كمساعد عمومي له. بالنظر للأهداف التي أسندت إليها، والتكفل بمهام ذات طابع اجتماعي، جردها من أي طابع سياسي. وذلك بسبب القيود المفروضة عليها والأحكام الجزائية الصارمة، وبالتالي كان المجال الاجتماعي هو المنفذ الوحيد لإبراز نشاطاتها ، وقد سمح ذلك بظهور التطرف الديني تحت غطاء هذا النشاط الاجتماعي المعترف به، واستغله لتحقيق أهدافه، وهو الاستحواذ على الحقل السياسي، وكان ختامه المأساة الوطنية الطويلة التي عاشتها البلاد. من أهم نتائجها توقيف المسار الانتخابي والدخول في مرحلة انتقالية.

أما التجربة الثانية: فجاءت بعد اعتماد دستور 1996 بعد الحقبة الأليمة فحاول المشروع في المرحلة الانتقالية فتح آفاق جديدة للتعددية السياسية من خلال القانون 07/97 في ظل ظروف متوترة وصعبة. ولكن المشروع كان مصمما على تفادي تناقضات ونقائص القانون الأول ووضع جملة من الأحكام المتشددة في صلب هذا القانون، حرصا منه على حماية الدولة من كل انحراف حزبي فاسند مهمة السهر على احترام هذا الهدف إلى الإدارة، ومنحها سلطة تقديرية واسعة في اتخاذ القرار والتقييم، وتفسير كل الوقائع والتصرفات التي تصدر عن الأحزاب السياسية، وأدى ذلك إلى تعقيد الإجراءات المتعلقة بإنشاء الحزب السياسي، وتنظيمه وتسييره، وممارسة نشاطاته، في ظل حالة الطوارئ . حيث وجدت الأحزاب السياسية نفسها محدودة الوسيلة في القيام بدورها، إلا البعض القليل منها. وبالتالي كان هذا القانون موضوع انتقادات حادة . لما ترتب عنه من شلل في الحياة السياسية الحزبية.

وكل هذه الأسباب الداخلية وغيرها من الأسباب الخارجية لاسيما ما شهدته الساحة العربية من حركية ثورية استخلص المشرع الدروس والعبر وأدرك الأهمية التي تجب أن تعطى للتعددية السياسية والحزبية فجدد ذلك بالقانون 04/12.

## المراجع

1. جريدة المسار الصادرة في 01/03/1991 ص 03.
2. ناجي عبد النور – تأثير التعددية الحزبية في النظام السياسي الجزائري/ رسالة دكتوراه 2005 ، جامعة قسنطينة – ص 167 .
3. المادة 03 من القانون 11/89 الصادر في 05 جويلية 1989 المتعلق بالجمعيات ذات الطابع السياسي / الجريدة الرسمية عدد 27 .

4. المادة 5 من القانون 11/89 الصادر في 05 جويلية 1989 المتعلق بالجمعيات ذات الطابع السياسي / الجريدة الرسمية عدد 27 .
5. دستور 28 نوفمبر 1996 – المادة 42. / الجريدة الرسمية عدد 96 بتاريخ 08 ديسمبر 1996.
6. القانون العضوي 07 /97 صادر بتاريخ 06 مارس 1997 المتعلق بالأحزاب السياسية المادة 03/ الجريدة الرسمية عدد 12.
7. مشروع قانون عضوي يتعلّق بالأحزاب السياسية ص 5. / الحكومة الجزائرية.
8. المواد 4 إلى 16 من القانون العضوي المتعلق بالأحزاب السياسية. 04/12 المؤرخ في 12 يناير 2012 / الجريدة الرسمية عدد 1 .
9. المواد : 17 . 39. من نفس القانون.
10. المواد 40 . 56 من نفس القانون.
11. المواد 75 . 68 من نفس القانون.
12. المواد 69 . 81 من نفس القانون.
13. دستور 23 فبراير 1983 / الجريدة الرسمية عدد 9 بتاريخ 01 مارس 1989.

## إشكالية تنفيذ أحكام المحاكم الدولية الإقليمية لحقوق الإنسان "حالة المحكمة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب"

### ملخص

إن واحدة من أهم المشاكل بالنسبة للمحاكم الدولية الإقليمية لحقوق الإنسان هي مسألة تنفيذ الأحكام الصادرة عنها، فميكانيزمات الرقابة على تنفيذها تبقى ضعيفة وغير مجدبة في كثير من الأحيان، ذلك أن الاتفاقيات الدولية الإقليمية لحقوق الإنسان تعطي حرية واسعة للدول الأطراف في تنفيذ مثل هذه الأحكام من جهة وتسندها مهمة الرقابة على تنفيذها إلى جهات سياسية أكثر منها قضائية من جهة أخرى، بالإضافة إلى غياب العقوبات التي قد تسلط على الدول المعنية بهذه الأحكام في حالة عدم تنفيذها. وعليه نتناول هذا المقال في مقدمة و ثلاثة محاور أساسية تتعلق بالتنفيذ الإرادي للأحكام (أولا)، الرقابة على تنفيذ الأحكام (ثانيا) وجزء عدم التنفيذ (ثالثا) فختامة.

د. يوسف بوالقمح  
أ. مريم بوغازي

كلية الحقوق والعلوم السياسية  
جامعة سكيكدة  
الجزائر

### Résumé

Les cours régionales internationales sont confrontées à diverses difficultés. L'exécution de leurs arrêts en est un des plus épineux et ce, du fait que les mécanismes de contrôle sont souvent impuissants et inadaptés.

En règle générale, les conventions régionales des droits de l'Homme accordent aux pays membres une large initiative pour l'exécution de ces arrêts. Outre l'absence de dispositions punitives sanctionnant toute carence en cas de l'inexécution, le contrôle est quant à lui, dévolu à des organes plutôt d'ordre politique que judiciaire.

Nous aborderons cette problématique en trois points :

- L'exécution volontaire des arrêts.
- Le contrôle de l'exécution des arrêts.
- Les conséquences pénales résultant de l'inexécution des arrêts.

### مقدمة

إذا كانت أحكام القانون الدولي لحقوق الإنسان قد أصبحت الآن أحكاما ملزمة وأن معظمها تشكل قواعد دولية أمره لا يجوز مخالفتها، فإن أحكام المحاكم الدولية لحقوق الإنسان قد تدرج في هذا السياق أيضا، فهي تصدر أحكاما ملزمة للأطراف المعنية في القضايا التي تنظر فيها، حيث تصدر كل من المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان والمحكمة الأمريكية لحقوق الإنسان والمحكمة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب (1) أحكاما ملزمة، إلا أن ما يمكن التأكيد



عليه في البداية هو أن الأحكام القضائية الصادرة عن المحكمة سوف تبقى عديمة الجدوى ما لم تتوفر إمكانية تنفيذها وتجسيدها على أرض الواقع، فالعبرة في مجال حقوق الإنسان ليس بوجود نصوص براءة تمنح الحقوق وإنما العبرة بتطبيق هذه النصوص وتحويلها إلى واقع ملموس. (2)

إن مسألة تنفيذ أحكام المحاكم الدولية لحقوق الإنسان هي واحدة من أهم المشاكل التي قد تعترض الأجهزة المكلفة بترقية وحماية حقوق الإنسان خاصة في إفريقيا، حيث لم ينص البروتوكول على أية ميكانيزمات فعالة لتنفيذ أحكام المحكمة بل ترك ذلك لإرادة الدول (التنفيذ الإرادي للأحكام) وهو المحور الأول لهذه الدراسة ويسهر المجلس التنفيذي للاتحاد الإفريقي نيابة عن مؤتمر رؤساء الدول والحكومات على مراقبة تنفيذها (المراقبة على تنفيذ الأحكام) وهو المحور الثاني لهذه الدراسة، كما تقدم المحكمة تقريرا بهذا الخصوص إلى كل دورة عادية للمؤتمر يتضمن الحالات التي لم تمتثل فيها الدول لأحكام المحكمة كجزاء لعدم الامتثال (جزاء عدم التنفيذ) وهو المحور الثالث والأخير في هذه الدراسة.

### أولاً: حرية الدول في اختيار الوسائل القانونية لتنفيذ الأحكام :

يبدو من خلال الممارسة أن الدول الإفريقية تفضل المصالحة عن الحلقات القضائية، ولا تلتزم بالأحكام القضائية (3) حتى في الحالات التي تكون هذه الدول قد قبلت نظرياً مثل هذه الالتزامات، حيث لا تزال الدول تميل إلى تنفيذ التزاماتها الدولية طواعية وبمحض إرادتها مع رفض ورد أي تدخل من أية جهات أخرى، استناداً إلى مبادئ القانون الدولي نفسها خاصة مبدأي السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول. إلا أن الأمر أصبح يختلف في مجال حماية حقوق الإنسان التي لم تعد أمراً داخلياً محضاً وإن الدول أصبحت تحت تأثير عوامل عديدة تقبل بمثل هذه الالتزامات وتسعى بقدر الإمكان إلى تنفيذها خاصة إذا كانت لا تتعارض مع المصالح المختلفة للدولة المعنية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبدو أن الاتفاقيات الدولية الإقليمية لحقوق الإنسان افترضت في الدول الأطراف تنفيذ التزاماتها بحسن نية طبقاً لأحكام القانون الدولي العام، (4) فأعطت للدول حرية كاملة في كيفية تنفيذ التزاماتها دون وضع أي ضوابط لذلك، فلقد جاء في البروتوكول والنظام الداخلي للمحكمة أن الدول الأطراف تتعهد بالامتثال لأحكام المحكمة وضمن تنفيذها في أي قضية تكون طرفاً فيها خلال المدة التي تحددها المحكمة لذلك، (5) وهو ما لا يعد أمراً سهلاً، بل إن ذلك يقتضي الأخذ بعين الاعتبار ظروف كل دولة طرف معنية بأحكام المحكمة ومدى قدرتها واستعدادها لتنفيذ هذه الأحكام وإلا أصبح تحديد مثل هذه المدة ليست له قيمة عملية، خاصة إذا علمنا أن الدول المعنية لا تستطيع الوفاء بالتزاماتها خلال تلك الفترة وذلك بغض النظر عن أسباب عدم الوفاء. (6)

فطبقاً للمادة 30 من البروتوكول تتعهد الدول الأطراف فيه بالامتثال لأحكام المحكمة وضمن تنفيذها في أي قضية تكون طرفاً فيها خلال مدة زمنية تكون للمحكمة

سلطة تقديرية في تحديدها، فمع الملاحظة أن لهيئة المحكمة سلطة تقديرية كبيرة في تحديدها لهذه المدة التي هي في الحقيقة عبارة عن مهلة قانونية تمنحها المحكمة للدول الأطراف المعنية لتنفيذ أحكامها، و عليه يجب على المحكمة أن تراعي بالضرورة عند تحديدها لهذه المدة مصلحة الأفراد بما يتماشى واحترام حقوقهم وحررياتهم وليس مصلحة الدول التي انتهكت هذه الحقوق والحرريات، بأن تسهر على تنفيذ أحكامها في أقرب وقت ممكن خاصة في الحالات التي تكون فيها حالات الانتهاك مستمرة.

كما تنص الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان على أن تتعهد الدول الأطراف السامية المتعاقدة بأن تقبل نتائج قرارات وأحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان في أي دعوى أو قضية تكون طرفاً فيها، (7) وجاءت الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان في هذا السياق، حيث تتعهد الدول الأطراف فيها بأن تمتثل لأحكام المحكمة الأمريكية لحقوق الإنسان في أي قضية تكون طرفاً فيها. (8)

وهكذا فإن التنفيذ الإرادي للأحكام يعني إعطاء الحرية التامة للأطراف المعنية في اختيار وسائل تنفيذ الأحكام الصادرة عن هذه المحاكم، ففي الحالات التي تتجه فيها نية الأطراف إلى تنفيذ هذه الأحكام سوف تتخذ الإجراءات القانونية اللازمة لذلك، كأن تبادر إلى تعديل قوانينها الداخلية بما يتماشى وهذه الأحكام أو أن تقوم بتعويض الشاكي عن الأضرار التي ألحقت به، (9) وبذلك تكون قد أوفت بالتزاماتها وبالنسبة للدول الإفريقية تكون قد ساهمت إيجابياً في تنفيذ وتطبيق الميثاق والبروتوكول وبالتالي تكون قد ساهمت أيضاً في تطوير القانون الدولي لحقوق الإنسان بصفة عامة والقانون الدولي الإفريقي بصفة خاصة. (10) أما في الحالات التي لا تكون كذلك، فإنها تكون قد أعاقت تنفيذ و تطبيق كل من الميثاق والبروتوكول وبالتالي الانتقاص أو الحد من فعالية المحكمة في مجال حماية حقوق الإنسان والشعوب.

غير أن مبدأ حرية اختيار وسائل التنفيذ ليس مطلقاً ، فطبقاً لما ورد في المادة 41 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان فإنه لا يمكن اللجوء إلى هذا المبدأ إلا إذا استحالت إعادة الحال إلى ما كانت عليه، إن السلطة التقديرية التي تتمتع بها الدول في اختيار وسائل التنفيذ مشروطة بإقرار لجنة وزراء مجلس أوروبا بالطابع الملائم والفعال للتدابير المتخذة وهو ما يمنع استخدام حرية الاختيار استخداماً تعسفياً. (11)

إن حرية الدولة في اختيار وسائل التنفيذ في إطار النظام الأوروبي لحقوق الإنسان تنقيد في بعض الحالات بمضمون حكم المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، وذلك إذا حددت هذه الأخيرة في حكمها تدابير محددة يتوجب على الدولة اتخاذها لتنفيذ الحكم وذلك إذا حددت الدولة في الحكم ذاته تدابير محددة يتوجب على الدولة اتخاذها لتنفيذ الحكم إذا ما كانت طبيعة الانتهاك المقرر لا تسمح بالاختيار بين أنواع مختلفة من التدابير، كما هو الحال بالنسبة للاعتقال التعسفي للشاكي أو نزع الملكية دون تعويض مثلاً (12)، أو في حال الانتهاك الذي يطرح مشكلاً جوهرياً يؤدي إلى شكاوى مكررة، حيث تكون التدابير العامة على المستوى الوطني الوسيلة الأكثر فعالية لتنفيذ الحكم،

وهو ما يعرف بالأحكام النموذجية على النحو الذي جاء في التوصية رقم (2004/3) الصادرة عن لجنة الوزراء بتاريخ 2004/05/12 (13) حول الأحكام التي تطرح مشكلا جوهريا.

ومن هذا المنطلق، يبدو أنه لا يجب في مجال هام ك مجال حقوق الإنسان أن يعول على إرادة الدول في تنفيذ التزاماتها الدولية رغم ما لذلك من أهمية عملية، ومن ثم يجب البحث عن وضع وسائل ردية أخرى تجبر الدول على تنفيذ أحكام المحكمة وكل التزاماتها في هذا المجال حتى لا تكون أحكام المحكمة نسبية تتوقف فعاليتها على إرادة الدول بالدرجة الأولى.

فإذا كان يجب على الدول أن تتعاون من أجل تنفيذ الأحكام خلال الوقت التي تحدده المحكمة وأن تعمل بحسن نية واحترام قواعد القانون وأن تتعاون مع الأجهزة المختلفة العاملة في مجال حقوق الإنسان كسبيل وحيد لتقوية سلطة المحكمة (14)، فإنه بالمقابل يرى البعض (15) أن مبدأ حسن النية فيه الكثير من المثالية، لأن التطبيق العملي له يبقى شبه معدوم باعتبار أن أغلب الاتفاقيات الدولية لم تطبق في الواقع.

### ثانيا: الرقابة على تنفيذ أحكام المحاكم الدولية لحقوق الإنسان:

لم يخرج البروتوكول عما هو متعارف عليه في مجال الرقابة على تنفيذ أحكام المحاكم الدولية الإقليمية لحقوق الإنسان، فعادة ما تسند مهمة الرقابة على تنفيذ هذه الأحكام إلى أجهزة سياسية أنشئت ليس حتى في إطار اتفاقيات حقوق الإنسان وإنما أنشئت في إطار المنظمة التي أبرمت في ظلها هذه الاتفاقيات، ك لجنة الوزراء في إطار مجلس أوروبا و المجلس التنفيذي في إطار الاتحاد الإفريقي، وهو ما يؤثر سلبا على عملها في هذا المجال، فلقد أثبتت التجربة أن مثل هذه الأجهزة قلما لا تخضع للضغوط السياسية المختلفة كما هو الحال في إفريقيا خاصة إذا علمنا أن المجلس التنفيذي للاتحاد الإفريقي يتولى هذه المهمة نيابة عن مؤتمر رؤساء الدول والحكومات الإفريقية فقط، حسب ما جاء في البروتوكول والنظام الداخلي للمحكمة الذي اسندا مهمة الرقابة على تنفيذ أحكام المحكمة إلى المجلس التنفيذي. (16)

فطبقا للفقرة الثانية من المادة التاسعة والعشرين من البروتوكول يتم إشعار هذا المجلس بأحكام المحكمة ليتولى مراقبة تنفيذها نيابة عن المؤتمر، لكن باستثناء الإشارة إلى تحديد الوقت أو المدة اللازمة لتنفيذ الأحكام لم يحدد كل من البروتوكول ولا النظام الداخلي للمحكمة ولم يشير إلى كيفية إجراء هذه الرقابة ولا إلى صلاحيات المجلس التنفيذي في هذا المجال حتى في الحالات التي لا تتخذ فيها الدول المعنية الإجراءات الخاصة بتنفيذ الأحكام أو رفضها أصلا. إلا أنه ميدنيا يمكن القول أنه سيتبع الإجراءات العامة المنصوص عليها في كل من القانون التأسيسي للاتحاد الإفريقي واللائحة الداخلية للمجلس التنفيذي حيث سيقوم ب رقابة التنفيذ من خلال إدراج الأحكام في جدول أعماله ويقوم بدراستها أثناء عقده لاجتماعاته التي تعقد مرتين في السنة أو حتى في دورته غير العادية. (17)

أما في إطار الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان فإن مهمة الرقابة والإشراف على تنفيذ أحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان فقد أسندت إلى لجنة الوزراء (18) كجهاز سياسي أنشئ في إطار مجلس أوروبا وليس في إطار الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، ومع ذلك تلعب مصلحة تنفيذ الأحكام التابعة للجنة وزراء مجلس أوروبا دورا هاما في وظيفة الرقابة على تنفيذ أحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، إذ تقوم بفحص التدابير التي اتخذتها الدولة في تنفيذ الحكم والتأكد من فعاليتها و مدى توافقها مع ما جاء في الحكم والتأكد من فعاليتها، كما تقوم بتزويد لجنة الوزراء بأراء ونصائح واقتراحات حول عملية التنفيذ. (19)

إلا أنه بالرغم من التطور الايجابي الذي عرفه النظام الأوروبي لحقوق الإنسان، إلا أن الاعتبارات السياسية ما زالت تسيطر بوضوح على إرادات الدول فيه وعدم تنازلها بسهولة عن صلاحيات أصبح يحكمها القانون الدولي لحقوق الإنسان، ولم تعط للجنة الوزراء الصلاحيات الكافية التي تمكنها من تنفيذ أحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان وخاصة في الحالات التي تمتنع فيها الدول عن ذلك، فلجنة الوزراء لا تملك أكثر من إصدار توصية في هذا المجال طبقا للفقرة ب من المادة الخامسة عشر من النظام الأساسي لمجلس أوروبا تناشد فيها الدول الممتنعة أن تمتثل لأحكام المحكمة و تنفيذها (20). إلا أنه بموجب البروتوكول 14 الملحق بالاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان تم توسيع صلاحيات لجنة الوزراء في هذا المجال، إذ أصبح بإمكانها اللجوء إلى المحكمة إذا صادقتها عراقيل أو صعوبات في تفسير الأحكام أو إذا رفضت الدولة المدعى عليها تنفيذ الأحكام الصادرة ضدها، حيث يمكنها رفع دعوى أمام المحكمة بعد إنذار الدولة المعنية، لفحص مسألة احترام الدولة لالتزامها بتنفيذ الأحكام، فإذا أقرت المحكمة انتهاك هذا الالتزام فإنها ترسل القضية إلى اللجنة بهدف النظر في التدابير الواجب اتخاذها، وفي الحالة العكسية يتم غلق القضية وتضع لجنة الوزراء حدا لرقابتها على التنفيذ. (21)

وتجدر الإشارة إلى أنه إذا كانت الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان لا تشير إلى أي قواعد أو إجراءات يجب إتباعها لتنفيذ أحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان وأن هذه الأحكام لا تتضمن أساليب أو كيفية تنفيذها، فإن لجنة الوزراء في اجتهاد منها حاولت وضع بعد القواعد لعملها في هذا المجال، تمثلت بالأساس في تسجيل موضوع الحكم في جدول أعمالها فور تبليغها بذلك، ثم إعادة تسجيل القضية في جدول أعمالها من جديد لمدة ستة أشهر كلما تم إخطارها بأن الدولة المعنية لم تقم بعد باتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ الأحكام الصادرة ضدها، ثم إعادة تسجيل القضية من جديد وبصورة تلقائية ستة أشهر أخرى في حالة عدم التنفيذ إلى أن تقوم الدولة المعنية باتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ الأحكام الصادرة ضدها. (22)

يتضح لنا مما سبق أن مسألة تنفيذ أحكام المحكمة هي مسألة لازلت تتعلق بإرادة الدول المعنية نفسها، ولا تملك أجهزة الرقابة اتخاذ إجراءات صارمة تمكنها من تنفيذ

هذه الأحكام، مما أصبح يعول أكثر على حسن نية الأطراف و مدى تفهمها وتعاونها مع المحكمة بغرض تنفيذ الأحكام الصادرة ضدها في غياب أي جزاء ملموس مقابل الامتناع عن التنفيذ.

### ثالثا: الجزاءات المترتبة على عدم تنفيذ أحكام المحاكم الدولية لحقوق الإنسان :

إذا كان الجزاء كخاصية من خصائص القاعدة القانونية يترتب نتيجة لإلزامية هذه القاعدة ويكون ضروريا لإنفاذها لا يطرح أي مشكلة في القانون الداخلي، فإن ذلك يطرح أكثر من مشكلة في القانون الدولي بصفة عامة وفي القانون الدولي لحقوق الإنسان بصفة خاصة.(23)

ولعل من أهم المشاكل التي تطرح بخصوص التنفيذ الفعلي لأحكام القانون الدولي لحقوق الإنسان - بما فيها أحكام المحاكم الدولية لحقوق الإنسان - هي انعدام وسائل فعالة للتنفيذ داخل أقاليم الدول التي تنتهك فيها حقوق الإنسان، خاصة وأن الآليات الحماية المعتمدة حتى الآن - التقارير والشكاوى الدولية والفردية - لازالت محدودة الفعالية في ظل افتقادها لنظام جزاءات فعال (24) وغياب النصوص الدولية الضابطة للعقوبات أو الجزاءات التي قد تترتب عن عدم الالتزام أو بالأحرى عن انتهاكات حقوق الإنسان، بحيث لا تستطيع الأجهزة الدولية المكلفة بالحماية اتخاذ أية إجراءات قانونية فعالة لوقف هذه الانتهاكات إلا من خلال أجهزة سياسية - مجلس الأمن مثلا - بإمكانها تكييف هذه الانتهاكات بشكل يعتبر تهديدا للسلم والأمن الدوليين (25)، فالعقوبات الدولية المفروضة على الدول بغرض حماية حقوق الإنسان سواء كانت عقوبات اجتماعية، اقتصادية، سياسية أو حتى التدخل بالقوة المسلحة لحماية حقوق الإنسان هي أعمال تستند إلى الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة وينفذها أعلى جهاز سياسي فيها - مجلس الأمن - سبق له أن فشل في القيام بمثل هذه المهام في بعض بلدان القارة الإفريقية (26) ، ولم تكن العقوبات المفروضة على كل من رودسيا و جنوب إفريقيا كفيلة بتغيير سريع للانتهاكات الحاصلة فيها وإنما كانت النتائج آنذاك عبارة عن تنازلات متتالية من الأقلية البيضاء لصالح الأغلبية السوداء التي استطاعت في النهاية أن تحقق استقلالها.(27)

إلا أن الاعتبارات السابقة لم تمنع العاملين في ميدان حقوق الإنسان من الاجتهاد في إيجاد أكبر عدد ممكن من الوسائل المختلفة لحماية حقوق الإنسان وفي تطبيق حتى أدنى الجزاءات على منتهكي حقوق الإنسان، فهناك العديد من الجزاءات الدولية التي يمكن أن توقعها في هذا المجال، كوقف المعونات الاقتصادية وتجميد الأرصدة ورفض انضمام الدول لبعض المنظمات الدولية وتقديم المساعدات المشروطة باحترام حقوق الإنسان (28)، وهناك حتى من يؤكد على أهمية النشر والتشهير بالقضايا المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان، (29) والتي يكون الهدف من ورائها هو إظهار هذه الانتهاكات للرأي العام كصورة من صور الجزاء، حيث أصبح الرأي العام يشكل و بحق قوة ضغط هائلة قد تؤدي إلى العدول عن مثل هذه الانتهاكات. (30)

لم يخرج البروتوكول ومن قبله كل من الاتفاقيتين الأوروبية والأمريكية لحقوق الإنسان عن هذا الاتجاه، فجزء عدم تنفيذ أحكام المحكمة هو إدراج حالات عدم التنفيذ في التقرير السنوي للمحكمة، فهذه الأخيرة ملزمة طبقاً للمادة الواحدة والثلاثين من البروتوكول بأن تقدم إلى كل دورة عادية لمؤتمر رؤساء الدول والحكومات تقريراً يتضمن الأعمال والنشاطات التي قامت بها خلال السنة الفارطة، حيث يجب أن يوضح في هذا التقرير وبصفة خاصة جميع الحالات التي لم تمتثل أولم تستجب فيها الدول لأحكام المحكمة، وذلك عكس ما ذهب إليه الميثاق الذي يشترط الموافقة المسبقة لمؤتمر رؤساء الدول والحكومات الإفريقية حتى على نشر تقارير اللجنة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب. (31)

إلا أنه بالرجوع إلى المادة 23 من القانون التأسيسي للاتحاد الإفريقي نستنتج انه يمكن للمجلس التنفيذي في حالة عدم تنفيذ الأحكام القيام بتوقيع جزاءات ذات طبيعة اقتصادية كحرمان هذه الدولة من روابط النقل أو الاتصالات مع الدول الأخرى أو وقف الصلات الاقتصادية أو عقوبات ذات طابع سياسي كقطع العلاقات الدبلوماسية أو حتى تعليق العضوية أو الطرد من الاتحاد الإفريقي مما يجعل هذه الدولة في حالة عزلة عن بقية الدول الأخرى، فالمادة 23 المذكورة أعلاه جاءت مفتوحة، وعليه يمكن للمجلس التنفيذي أن يوقع أي جزاء اقتصادي أو سياسي بما أنه يمارس عملية الرقابة نيابة عن مؤتمر رؤساء الدول والحكومات للضغط على هذه الدولة بغرض حملها على تنفيذ الأحكام الصادرة ضدها. (32) وستبين لنا ربما الممارسة العملية هذا الأمر مستقبلاً، حيث لم تصدر المحكمة إلى حد الآن إلا حكماً واحداً في الموضوع ضد تنزانيا بتاريخ 2013/06/14 في القضية المتعلقة ب:

“ Tanganyika Law Society and The Legal and Human Rights Centre ”. (33)

أما بالنسبة للمحكمة الأمريكية لحقوق الإنسان فإنها ترفع تقريراً عن أعمالها ونشاطاتها خلال السنة المنصرمة إلى كل دورة عادية للجمعية العامة لمنظمة الدول الأمريكية تبين فيه على وجه الخصوص القضايا التي لم تلتزم فيها الدول بأحكام هذه المحكمة، مع إمكانية تقديم أية توصيات أخرى بشأن الموضوع (طبقاً للمادة 65 من الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان والمادة 30 من النظام الأساسي للمحكمة الأمريكية لحقوق الإنسان).

أما بالنسبة للجنة الوزراء في إطار الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان فيمكنها اتخاذ إجراءات جزائية أخرى ضد الدول الأطراف التي ترفض تنفيذ الأحكام، تتمثل في الضغوط الدبلوماسية، التشهير (34) والغرامات المالية اليومية عن كل يوم يتأخر فيه تنفيذ أحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان (35)، كما لها أيضاً أن تقوم بتعليق العضوية أو الطرد من مجلس أوروبا تطبيقاً لنص المادة الثامنة من النظام الأساسي لهذا المجلس، حيث طبقاً لهذه المادة فإن كل عضو في مجلس أوروبا يخالف بصورة جسيمة أحكام المادة الثالثة التي تلزم أعضاء المجلس بالاعتراف بسيادة القانون، وإقرار

حقوق الإنسان والحريات الأساسية لكل شخص خاضع لولايتها والتعهد بالتعاون المخلص والفعال لتحقيق هذه الغاية، يوقف حقه في التمثيل، وتقوم لجنة الوزراء بتعليق عضوية هذه الدولة و توجه لها دعوة بالانسحاب من المجلس وفقا للشروط المنصوص عليها في المادة السابعة من هذا النظام، وهو ما يترتب عليه فقدان وصف الدولة الطرف في الاتفاقية.

ومع ذلك لا يطمئن البعض إلى الدور الذي تقوم به لجنة الوزراء في إطار الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان باعتباره أيضا أحد الأجهزة السياسية الرئيسية في مجلس أوروبا تتأثر بالاعتبارات السياسية التي توجه مناقشاتها وقراراتها، مما قد يضعف دورها في مراقبة تنفيذ أحكام الاتفاقية من جهة وعدم فعالية القرارات التي تتخذها ضد الدول التي ترفض تطبيق قراراتها وأحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان من جهة أخرى، باعتبار أن تعليق عضوية الطرف المتعاقد أو حتى طرده من المنظمة نهائيا لا يحقق الهدف المنشود خاصة إذا كان هناك استمرار لحالات الانتهاك وعدم تسوية القضايا العالقة في مجال حقوق الإنسان.

وما من شك في هذا الإطار أنه سوف يتم التطرق إلى تفاصيل أكثر، قد تخرج الدول المعنية بانتهاكات حقوق الإنسان عندما يتعلق الأمر بسمعتها ومصداقيتها والنظر إليها على أنها لا تحترم حقوق الإنسان في عالم يدعو إلى ذلك باستمرار، خاصة تلك الحالات التي يتم إدراجها أكثر من مرة في التقرير السنوي للمحكمة، وما من شك أيضا أن الدول المعنية بمثل هذه الحالات قد تحاول إيجاد المبررات لتلك الانتهاكات، ولكن أية مبررات تكون مقبولة أمام انتهاكات حقوق الإنسان؟

## الخاتمة

إن لأحكام المحكمة أهمية كبرى في الكشف عن الانتهاكات المختلفة لحقوق الإنسان، يجب احترامها من طرف الدول الأطراف في الميثاق وتنفيذها تنفيذا صحيحا وسليما، بحيث يجب على الدول أن تلتزم نفسها بالامتثال لها واتخاذ الإجراءات الدستورية والقانونية الداخلية (36) التي تمكنها من تنفيذ الأحكام الصادرة ضدها، ويتوقف ذلك على حسن نوايا الحكومات ومدى تعاونها مع أجهزة الحماية المختلفة وخاصة المحكمة لتسوية النزاعات المتعلقة بحقوق الإنسان تسوية ودية وتنفيذ أحكام المحكمة تنفيذا إراديا و تلقائيا. (37)

كما يقع على عاتق المجتمع الدولي والدول الأطراف في الاتفاقيات الدولية الإقليمية لحقوق الإنسان إيجاد الوسائل الفعالة لتنفيذ أحكام المحاكم الدولية الإقليمية لحقوق الإنسان وإلزام الدول على احترامها، بحيث يمكن أن تسند هذه المهام إلى أجهزة دولية مستقلة تماماً، تكون بعيدة عن المصالح الضيقة للدول وتعطي لها الصلاحيات الكاملة في فرض العقوبات وتوقيع الجزاءات (38) حتى وإن كانت جزاءات معنوية في حق الدول الصادرة ضدها تلك الأحكام، لأن الحكم يمثل جوهره التقاضي وثمرته فيما إذا حصل التنفيذ.

### الهوامش والمراجع

1- أنشئت المحكمة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب -يشار إليها فيما بعد بالمحكمة- في إطار الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب -يشار إليه فيما بعد بالميثاق- والذي دخل حيز التنفيذ في 1986/10/21 وذلك بموجب بروتوكول إضافي ملحق بهذا الميثاق -يشار إليه فيما بعد بالبروتوكول- صدر في 1998/6/9 ودخل حيز التنفيذ في 2004/1/25.

أنظر النص الكامل للميثاق في:

- محمود الشريف بسيوني، الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان: الوثائق الإسلامية والإقليمية. الطبعة الأولى 2003، المجلد الثاني، القاهرة: دار الشروق، ص ص 373-393.

- وأنظر النص الكامل للبروتوكول في: نفس المرجع، ص ص 394-402.

2- أنظر في هذا المعنى:

- NJ. Udombana, "Towards the African Court on Human and Peoples' Rights: Better Late than Never," Review of the African commission on human and people's rights, volumes 5(1995), parts 1 and 2, the African society of international and comparative law, P. 354.

3- لأن العدالة الإفريقية التقليدية تقوم بالأساس على فكرة المصالحة دون اللجوء إلى القضاء.

- أنظر في هذا المعنى:

- Kéba Mbaye, Les droits de l'homme en Afrique, Paris, Éditions A. Pédone Paris, 1992, p189.

4- أنظر نفاذ وتطبيق المعاهدات في:

أبو الخير أحمد عطية، نفاذ المعاهدات الدولية في النظام القانوني الداخلي، الطبعة الأولى 2003، القاهرة، دار النهضة العربية.



5- المادة 30 من البروتوكول ، والمادة 5/61 من النظام الداخلي للمحكمة ، الصادر في اروشا بتنزانيا في 2010/06/02. تم تحميله من الموقع الالكتروني [www.africain-court](http://www.africain-court) بتاريخ 2012/12/15.

6- قد تكون أسباب عدم الوفاء عديدة، كأن يتطلب إصدار قوانين جديدة أو إلغاء قوانين معينة أو حتى بسبب التماطل في تنفيذ هذه الأحكام.

7- المادة 53 من هذه الاتفاقية المؤكدة بموجب المادة 46 من البروتوكول رقم 11 الملحق بهذه الاتفاقية.

8- المادة 1/68 من هذه الاتفاقية.

9- أثبتت التجربة الأوربية لحقوق الإنسان أن الدول الأطراف في الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان عادة ما تلتزم بأحكام المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان، سواء فيما يخص اتخاذ الإجراءات القانونية بما فيها تعديل القوانين الداخلية بما يتماشى وهذه الأحكام، سواء فيما يخص اتخاذ الإجراءات بالنسبة للتعويض في حالة الحكم بالتعويض.

أنظر في هذا:

- عزت سعد السيد البرعي، حماية حقوق الإنسان في ظل التنظيم الدولي الإقليمي، القاهرة، مطبعة العاصمة، 1985 ص ص 363-367.

10- عزت سعد السيد البرعي، المرجع السابق، ص 335.

11- Xavier Baptiste Ruedin, Exécution des arrêts de la cour européenne des droits de l'homme, Bruylant, Bruxelles, 2009, p 89.

12- Ibid, p 91.

13- Ibid, p 94.

14- N.J. Udombana, op. cit, p 335.

15- مرشد أحمد السيد وخالد سلمان الجود، القضاء الدولي الإقليمي، دراسة تحليلية مقارنة، الطبعة الأولى 2004، عمان، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص ص 178-179.

16- يرى البعض أنه بالرغم من أن هذا المجلس بإمكانه وضع توجيهات وقواعد ملزمة للضغط على الدول التي ترفض تنفيذ أحكام المحكمة، إلا أن ذلك قد يخرج عملية الرقابة من مجالها القضائي ليدخلها في مجال سياسي.

أنظر على شبكة الانترنت:

Kaba, Sidiki. "10 clés pour comprendre et utiliser la cour africaine des droits de l'Homme et des peuples, [www.fidh.org](http://www.fidh.org) , 22/01/2007.

17- المادة 11 من القانون التأسيسي للاتحاد الإفريقي المعتمد و المواد 11، 10 ، 8، 9 من اللائحة الداخلية للمجلس التنفيذي المعتمد في الدورة العادية الأولى لمؤتمر رؤساء الدول والحكومات المنعقد في جويلية 2000 والمعدل في الدورة العادية الثامنة للمؤتمر في جويلية 2007 .

تم تحميلهما من الموقعين التاليين : [www.achpr.org/fr/instruments](http://www.achpr.org/fr/instruments)

بتاريخ: 2012/09/10. smtp2.africa-union.org.

18- المادة 54 من هذه الاتفاقية.

19- Xavier Baptiste Ruedin, Op.Cit, p 14.

20- عزت سعد السيد البرعي، المرجع السابق. ص 344.

21-Frédéric Dolt, " comité des ministre et la restitutio in integrum " , in : les Mutation de l'activité du comité de ministres, acte du séminaire de l'institut international des droits de l'homme, René Cassin, Anthemis , Belgique, 2012, p 67.

22- أنظر أكثر تفصيلا دور لجنة الوزراء في تنفيذ أحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان

في: Xavier Baptiste Ruedin, Op.Cit, p p 14-29.

23- يرجع السبب في هذا إلى اعتبارات عديدة، كعدم وجود قوة أو سلطة تفرض وتوقع الجزاء على من يخرق قواعد هذا القانون، بالإضافة إلى تكريس المبادئ التقليدية كمبدأ السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول رغم ميول الاتجاهات الحديثة في القانون الدولي المعاصر نحو اعتبار حقوق الإنسان ولا اعتبارات إنسانية مسألة دولية تخرج من نطاق الشؤون الداخلية للدول.

24- خالد عبد العزيز الجوهري، الأمم المتحدة ونظام العقوبات الدولية: المدى والفعالية. في: رواق عربي، كتاب غير دوري يصدره مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، العدد 21، سنة 2001، ص 62.

25- نفس المرجع و نفس الصفحة.

26- أنظر كيف تدخل مجلس الأمن بغرض حماية حقوق الإنسان أو لأغراض إنسانية في كل من رودسيا وجنوب أفريقيا و الصومال والمهام الفاشلة والنتائج غير الفعالة خاصة في الصومال، إلى درجة أنه وحسب تقارير منظمة العفو الدولية أصبحت حقوق الإنسان بما فيها الشيوخ والنساء تنتهك من طرف القوات الأممية نفسها أثناء ملاحقة ومحاولة القبض على الجنرال عديد، في: نفس المرجع، ص ص 64-68.

27- دافيد ب. فورسايت، حقوق الإنسان والسياسية الدولية، ترجمة محمد مصطفى غنيم، الطبعة العربية الأولى 1993، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العامة، ص 85.

28- وجدي ثابت غبريال، دستورية حقوق الإنسان. القاهرة: مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، ص ص 98-99.

29- عيسى شيفجي وحلمي شعرواي، حقوق الإنسان في إفريقيا والوطن العربي، القاهرة، مركز البحوث العربية للدراسات والتوثيق والنشر، ص 52.

30- انظر على سبيل المثال دور الرأي العام باعتباره ضمان من ضمانات حقوق الإنسان:

- أحمد عبد الوهاب السيد، الحماية الدستورية لحق الإنسان في قضاء طبيعي، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الزقازيق، 1999، ص ص 272-274.

31- Mutoy Mubiala, "La cour africain des droits de l'homme et des peuples: mimétisme institutionnel ou avancée judiciaire ?", in: Revue générale de droit international public, vol 102, N° 4, 1999, p 778.

32- جاءت صياغة المادة 23 من القانون التأسيسي للإتحاد كالاتي: " يحدد المؤتمر العقوبات المناسبة التي تفرض على أي دولة عضو... يجوز أن تخضع أي دولة عضو لا تلتزم بقرارات وسياسات الاتحاد لعقوبات أخرى مثل حرمانها من إقامة روابط للنقل والاتصالات مع دول أعضاء أخرى أو أي إجراءات أخرى ذات طابع سياسي أو اقتصادي يحددها المؤتمر ".  
تم تحميله من الموقع : [www.african-court.org](http://www.african-court.org) بتاريخ: 2013/07/20.

33- CDL/AD (2002)34, N43, Opinion on the implementation of the judgments of the European court of human rights, European commission for democracy through law (Venice commission) Strasbourg, 18/12/2002, N°19. On the web site: [www.venice.coe.int](http://www.venice.coe.int) consults the 09/10/2013.

34- Xavier Baptiste Ruedin, Op. Cit, p p 34-35.

35- CDL-AD(2002) 34, Op.Cit. N° 78 - 81.

36- كإقدامها على تعديل الدستور أوسن قوانين وإلغاء قوانين أخرى بما يتماشى وأحكام الاتفاقيات الدولية التي التزمت بها في مجال حقوق الإنسان.

أنظر أكثر تفصيلا علاقة القانون الدولي بالقانون الداخلي والإجراءات القانونية لنفاذ المعاهدات الدولية في القوانين الداخلية للدول في:

أحمد سرحال، قانون العلاقات الدولية. الطبعة الأولى 1990، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، الكتاب للنشر والطباعة والتوزيع، ص ص 33-39.

37- عزت سعد السيد البرعي، المرجع السابق، ص 363.

38- وهو الشيء المفقود في المجتمع الدولي، بحيث يلاحظ عدم وجود إطار قانوني لتنظيم العقوبات الدولية بغرض حماية حقوق الإنسان.  
انظر في هذا المعنى: خالد عبد العزيز الجوهري، المرجع السابق، ص ص 74 – 77.

## مساهمة حمولة التدريب والمنافسة الرسمية في تطوير الجانب التقني والطكتيكي لدى لاعبي كرة القدم الجزائريين تحت 17 سنة " دراسة مقارنة لثلاث مستويات "

### ملخص

إن علاقة حمولة التدريب والمنافسات الرسمية بالأداء التقني والطكتيكي هي علاقة وثيقة يجب أن تأخذ بجد أثناء إعداد اللاعبين وخاصة عند مرحلة الناشئين الذين يعتبرون ثمرة المستقبل حيث يجب على المدربين والمربين الرياضيين انتهاز طريقة علمية وصحيحة من أجل النهوض بمستوى كرة القدم.

- فالتدريب الرياضي المنهجي والمنظم تنظيما سليما يعمل على اتقان وتثبيت المهارات التقنية من أجل النهوض بمستوى كرة القدم.  
- تخضع عملية التدريب إلى التخطيط السليم والمنظم من حيث شدة وحجم العمل من اجل الوصول إلى الهدف المنشود وهو الرفع من مستوى لاعبي كرة القدم الجزائريين.

- ومن هذا المنطلق جاء موضوع بحثنا هذا الذي يهدف إلى التعرف على أهمية ومساهمة حمولة المنافسة الرسمية في تطوير وتنمية وتحسين الجانب التقني والطكتيكي لدى لاعبي كرة القدم الجزائريين، فمكون الحمولة يعتبر أحد أركان وركائز التدريب الرياضي الذي نعتمد عليه في تنمية قدرات اللاعب البدنية، التقنية والطكتيكية.

أ. عبد المالك قاسمي

معهد علوم وتقنيات النشاطات  
البدنية والرياضية  
جامعة باتنة  
الجزائر

### Résumé

La relation entre la charge d'entraînement lors des compétitions officielles et le rendement technique, tactique est une relation rationnelle qu'il faut prendre en considération pendant la préparation des footballeurs. Il est recommandé aux entraîneurs et aux éducateurs de suivre une méthodologie scientifique pour atteindre les objectifs visés et les résultats souhaités.

### مقدمة

**تعتبر** كرة القدم اللعبة الأكثر شعبية في العالم والتي تزداد انتشارا وأهمية يوما بعد يوم ولها من المميزات والخصائص ما تجعلها في مقدمة الألعاب الأخرى في ميدان الرياضة والتي جعلت من اللعبة تنتشر هذا الانتشار الواسع في كافة بلدان العالم فهي

لعبة جماعية مميزة بأكبر عدد من اللاعبين والمكونة من اثني وعشرون لاعبا يمارسون اللعب في أكبر مساحة ممكنة لذلك كان الاختلاف كبيرا عن الألعاب الجماعية الأخرى مثل كرة الطائرة، كرة السلة، وغيرها.

L'entraînement sportif est une activité obligatoire qui doit être bien organisée pour aider à la stabilisation des qualités tactiques des jeunes joueurs et à l'amélioration de leur niveau technique pendant les compétitions sportives officielles.

ولقد حظيت لعبة كرة القدم لشعبيتها الجارفة عن قمة الاهتمام مقارنة بنظيرتها الأخرى من الألعاب وبالتالي من لعبة كرة القدم على ما هي عليه اليوم من تقدم وتطور في فنون اللعب وتخضع للمزيد من التطورات في المستقبل، حيث يشهد عالم كرة القدم اليوم سرعة كبيرة ودقة متناهية في تطبيق المهارات الحركية التقنية والطكتيكية والمتنوعة والتي تحتاج إلى علاقة وثيقة بين اللياقة البدنية والمهارات الحركية وباعتبار أن التكتيك العالي والتكتيك الناجح يتربعان على قمتين شاهقتين فإن المكون البدني يعد الجسر الصلب الذي يربط بينهما (1) والمتتبع للبطولات العالمية والاقليمية يلاحظ التطور الكبير في المستوى الفني للفرق بصورة عامة وتلاشي الفجوة التي كانت بين هذه الفرق والنتائج الثقيلة لم يعد لها مكان في سجل البطولات.

تحتوي كرة القدم على الكثير من المهارات التقنوطكتيكية المتنوعة والتي تمارس على مستوى الفريق بشكل جماعي أو فردي بل هي من أكثر الألعاب التي تعطي مساحة واسعة للفرد للانطلاق بمهاراته الفنية (2) والإبداع والجمال في فنون اللعبة داخل الفريق، وبما أن المبادئ التقنوطكتيكية تتغير بصفة مستمرة من أداء فني معين إلى أداء فني آخر طوال فترة المباراة بحيث لا يمكن أن تتطابق مباراة مع أخرى حتى ولو كانت بين نفس الفريقين فدائما نجد أداء فنيا متغير في كل لحظة وفقا لتحرك الكرة على أرض الملعب وقد يغير المدرب من طريقة اللعب في أي لحظة من المباراة فنشاهد أداء كروي مختلف وجديد وهذا ما يحقق أكبر قدرة من المتعة لجمهور الكرة وأبطال كرة القدم هم الذين يتمتعون بأكبر قدر من الأداء الفني لفنون اللعبة فهم يقدمون أفضل ما عندهم لتحقيق الأداء المطلوب ويضيفون من قدراتهم إبداعا جديدا لفنون اللعبة وفي كرة القدم يحاول كل فريق تقديم أفضل أداء فني وبدني وطكتيكي أثناء المنافسة وذلك من خلال استخدام المهارات الفنية في التدريب.

إن العلاقة بين حملات التدريب ذات الشدة العالية وحمولة المنافسة الرسمية بالأداء التقني والطكتيكي في لعبة كرة القدم هي علاقة وثيقة يجب أن تأخذ بجد أثناء إعداد وتدريب اللاعبين وخاصة عند مرحلة التكوين التي تخص الأصناف الدنيا ومن بينها صنف أقل من 17 سنة حيث تعتبر هذه المرحلة حساسة من ناحية تكوين اللاعب نحو المستقبل.

وكما هو معروف أن الأداء التقني والطكتيكي الجيد يلعب دورا كبيرا في تحقيق نتائج ايجابية لصالح الفريق حيث أن عملية نجاح طريقة لعب وإتقانها تتطلب من اللاعب القيام بالدفاع والهجوم في مختلف مناطق الملعب على أكمل وجه وبدقة متناهية في الانجاز لان الوصول إلى النتائج العالية لا يمكن تحقيقها ما لم يكن هناك بناء قاعدي متين في شتى الأصعدة ( البدني، تقني، طكتيكي، النفسي، الخ). (3)

إن حمولات المنافسة الرسمية هي مكون أساسي لتطوير وتحسين وإتقان الجانب التقني الطكتيكي حيث يجب على اللاعب أن تتوفر لديه بعض المكونات البدنية ومحاولة تنميتها باستمرار من أجل الرفع من المستوى الفني، الفردي والجماعي للفريق وتقديم نتائج مرضية ومستوى عالي من الأداء لصنع الفرجة والإثارة أثناء المقابلات وكما هو متفق عليه لدى الأخصائيين في مجال تدريب كرة القدم أن المنافسة الرسمية هي حصة تدريبية ذات شدة تشمل جميع المكونات البدنية (سرعة، قوة، مداومة x سرعة، مداومة قوة، سرعة x قوة، مداومة). ومن هنا فإن أهمية بحثنا تكمل في علاقة مكون حمولة المنافسة بالجانب تقنوطكتيكي لدى لاعبي كرة القدم الجزائريين صنف أقل من 17 سنة.

### - الإشكالية:

تعتبر كرة القدم تحدى أكثر الرياضات شعبية في العالم على الإطلاق ولقد تبوأ مكانة عليا بين مختلف الألعاب والأنشطة الرياضية الأخرى حتى أنها أصبحت تعرف بـ"معشوقة الجماهير" حيث لا تكاد أي دولة من دول العالم تخلو من ممارسة هذه اللعبة فهي تتابع على الجميع الأصعدة وفي كل المستويات ويرجع هذا الإقدام على متابعة وكذا ممارسة هذه اللعبة إلى ما تتضمنه من مهارات فنية عالية ومتنوعة إضافة إلى الإثارة والتشويق العالين المميزين لها كما إن ممارسة كرة القدم لا تتطلب الكثير من الوسائل أو الأدوات كل هذه الخصائص وأخرى جعلت من كرة القدم مصب اهتمام وانشغال الكثير من المختصين في مجال التدريب الرياضي بصفة خاصة حيث اتخذوا الأسلوب العلمي طريقا لهم للنهوض بمستوى أداء لاعبي وفرق كرة القدم مستغلين التطور العلمي والتكنولوجي الذي عرفه العصر الحديث وهذا طبعا أدى إلى تطور كبير في هذه اللعبة وفي جوانبها المختلفة منها (4) البدنية المهارية، التقنية، والتكتيكية والتي تؤثر بمختلف أجزاء الجسم وبطرق مختلفة هذا جعله يحوز على أهمية بالغة في ممارسة الأداء في هذه اللعبة وعليه فقد أصبح تطور المهارات التقنية والتكتيكية وأداؤها مؤشرا حقيقيا لمدى تطور الانجاز الحركي في هذا النوع من الرياضات هذا

كله جعل كثيرا من الدراسات الحديثة توجه نحو دراسة خصائص هذه المهارات سواء الحركية النفسية أو الحركية الاجتماعية وكذا دراسة الأساليب والطرق الحديثة المستعملة لإتقان الأداء الحركي الجيد لهذه المهارات.

ونظرا للأهمية البالغة التي يحتلها الجانب التقني أو المهاري في كرة القدم فقد أصبح مؤشرا للتمييز بين المستوى العالي والمستوى الأدنى (5) أي بين لاعبي النخبة وبين اللاعبين الهواة وهذا ما جعل بعض الدراسات الحديثة تحاول تبني الأداء تقنونكتيكي كمعيار أساسي لدراسة الفروق المختلفة بين أداء المستوى العالي وأداء المستويات الأقل على غرار الأداء البدني والذهني والنفسي وهذا في جميع البطولات الرياضية في دول العالم تقسم إلى عدة أقسام أو مستويات على أساس النتائج التي تحققها الفرق من خلال التفوق في المنافسات وذلك بالتحكم في تسيير وتدريب كرة القدم التي أصبحت في العصر الحديث تعتمد أساسا على الأداء الخططي والمهاري العالي وتراجع نسبي للأداء البدني وعليه فإن مجرد مشاهدة مقابلة كرة القدم في مستويات مختلفة يعطينا لمحة واضحة عن الفرق في الأداء التقني التكتيكي بين مستوى وآخر ولكن وحدها الدراسة التحليلية المعمقة التي تسمح لنا بمقارنة موضوعية بين الأداء المهاري والخططي لمختلف الأقسام والمستويات وبالتالي إثبات ما إذا كان هناك حقا فروق تقنية وطكتيكية بينها أو لا.

كما أن أهم ما يميز مرحلة المنافسة في كرة القدم الحديثة هي المرحلة، حيث توجد مرحلتين مختلفتين الأولى أو الشتوية وعليه فإنه يتعين على كل باحث في ميدان كرة القدم أن يأخذ بعين الاعتبار الاختلاف المعتبر والملحوظ في الأداء الفني بين المرحلتين سواء في الأداء الفني أو البدني والذي يرجع أساسا إلى تواصل التدريبات وارتفاع شدة وحجم العمل خلال مرحلة المنافسة.

ويبدأ تعليم كرة القدم في مراحل مبكرة من عمر اللاعب يمر بعدة مراحل تتميز كل مرحلة بالعمل على الوصول إلى أهداف معينة من الممارسة والتدريب خاصة بها ويتم تحقيق ذلك بإتباع منهجية وتخطيط التدريب واستعمال طرق ووسائل بيداغوجية لتحقيق ذلك وتعتبر المرحلة العمرية بالعمل الذهني الثاني للتعليم الحركي حيث يستطيع اللاعب بفضل مرونة الجهاز العصبي المركزي (6) تطوير الصفات البدنية المختلفة، من تحمل حمولات تدريب قصوى وتعليم أصعب الحركات بسرعة ويصل تدريب اللعب في نهاية هذه المرحلة إلى إتقان وصل وثبتت المهارات الأساسية المتعلمة سابقا، ونجد أن مستوى التدريب والأداء في لمنافسة خلال هذه المرحلة يقارب ما هو عليه عند الكبار.

كما يتكون فريق كرة القدم من 11 لاعبا موزعين على الميدان حسب مراكز لعبهم سواء كان ذلك في حراسة المرمى أو الدفاع أو الهجوم، وتفرض طريقة اللعب في كل مركز على اللاعب أن يكون كفوفاً ويكون ذلك بامتداد المهارة الفنية وإتقان المهارات الأساسية بالإضافة إلى الكفاءة البدنية والنضج التكتيكي (7) أي أن اللاعب في أي مركز يحتم على اللاعب تكوين مهاري وبدني وذهني أي لاعب قادر على أداء مهامه، ونجد



أيضا أن لاعبي خط الوسط والمهاجمين يحتاجون إلى مهارات افتكالك الكرة أكثر من المهاجمين، ولكن وبالرغم من ذلك نجد أن ظروف المباراة تحتم على المدافعين لعب ادوار هجومية في حالة استحواذ فريقه على الكرة والعكس أيضا بالنسبة للمهاجمين حيث يلعبون كمدافعين في حالة تعرض فريقهم لهجمة، وهذا ما يوصلنا إلى انه على المدافعين أو المهاجمين أن يتقنوا المهارات الأخرى غير ذات الاختصاص لان ظروف المباراة تتغير باستمرار وهذا ما أصبحت عليه كرة القدم الحديثة، ذات طابع شمولي فالكل يدافع والكل يهاجم واستنادا إلى كل ما سبق ذكره يتبادر إلى أذهاننا الإشكالية التالية:

"ما مدى مساهمة حمولة المنافسة الرسمية في تطوير النشاط التقنوطكتيكي" لدى لاعبي كرة القدم الجزائرية تحت 17 سنة خلال مرحلة المنافسة مختلفة المستوى"

ويأتي إتباعا إلى هذا التساؤل العام بعض التساؤلات الفرعية وهي كالتالي:

#### ✓ التساؤل العام:

- هل باختلاف حمولة ومستوى المنافسة الرسمية يختلف تطوير النشاط التقنوطكتيكي لدى لاعبي كرة القدم الجزائري تحت 17 سنة؟

#### ✓ التساؤلات الفرعية:

- ما هو مستوى تطور المهارات التقنية للاعبي كرة القدم الجزائريين في فترة الذهاب والإياب خلال مرحلة المنافسة في ثلاث مستويات؟

- هل توجد فروق فردية في الجانب التقنوطكتيكي بين لاعبي كرة القدم الجزائري تحت 17 سنة حسب نوع المنافسة الرسمية التي ينشط فيها كل فريق في فترة الذهاب؟

- هل توجد فروق تقنوطكتيكية بين لاعبي كرة القدم الجزائري تحت 17 سنة حسب نوع المنافسة التي ينشط فيها كل فريق فترة الإياب؟

- الفرضيات:

- الفرضية العامة:

تساهم اختلاف حمولة المنافسة الرسمية كل مستوى في اختلاف تحسن النشاط التقنوطكتيكي لدى لاعبي كرة القدم الجزائري تحت 17 سنة.

### - الفرضيات الجزئية:

- تساهم حمولة المنافسة الرسمية بمرحلتها الذهاب والإياب في تطوير وتحسين النشاط التقني والتكتيكي لدى لاعبي كرة القدم الجزائري تحت 17 سنة.
- توجد فروق تقنية تكتيكية بين لاعبي كرة القدم الجزائرية تحت 17 سنة حسب نوع المنافسة التي ينشط فيها كل فريق خلال فترة الذهاب.
- توجد فروق تقنية طكتيكية بين لاعبي كرة القدم الجزائرية تحت 17 سنة حسب المنافسة التي ينشط فيها كل فريق خلال فترة الإياب.

### - أهداف البحث:

- يهدف البحث إلى دراسة ميدانية لمعرفة مدى مساهمة حمولة ومستوى المنافسة الرسمية في تطوير النشاط تقنوتكتيكي لدى لاعبي كرة القدم الجزائري تحت 17 سنة وتمثل أهداف البحث في الأهداف العلمية.
- (1) الوصول إلى مجموعة من الحقائق حول التحفيز الجانب التقني والتكتيكي في كرة القدم.
  - (2) معرفة العلاقة الكامنة بين حمولة المنافسة والجانب التقني والطكتيكي لدى لاعبي كرة القدم.
  - (3) محاولة تقديم تشخيص الموضوع.
  - (4) دراسة مستوى تطور النشاط تقنوطكتيكي لدى لاعبي كرة القدم تحت 17 سنة حسب نوع المنافسة.
  - (5) مقارنة مستوى تطور المهارات التقنية والتكتيكية لدى لاعبي كرة القدم الجزائري تحت 17 سنة في ثلاث مستويات لعب.
  - (6) التعرف على المستوى التقني والمهاري للاعبي كرة القدم على حسب مراكز اللعب.

### - أهمية البحث:

تتصدر أهمية البحث في جانبين اثنين الجانب النظري ويتمثل في:

- (1) إضافة مرجع علمي للمكتبة الجزائرية بوجه خاص وللمهتمين بوجه عام
- (2) محاولة اقتراح بعض التوصيات نظرية وتطبيقية.

أما الجانب العلمي فأهميته تنحصر في:

- (1) تعريف أهمية النشاط تقنوتكتيكي لدى لاعبي كرة القدم
- (2) دراسة الخصائص التقنية والتكتيكية بالنسبة لفئة تحت 17 سنة

- 3) إجراء الاختبارات التي تعتبر مؤشر صريح إلى الدقة.
- 4) جمع وتحليل الاختبارات ومقارنة النتائج لكل فرق البحث
- 5) تقديم نصائح واقتراحات خاصة بالجانب التقني والتكتيكي الذي يساعد المعنيين بشؤون التدريب مستقبلا على إعداد لاعبيهم إعدادا ملتزما وهادفا لتنمية وتطوير إمكانياتهم وبالتالي رفع مستوى كرة القدم الجزائرية.

#### - تحديد مصطلحات البحث:

إن مصطلحات البحث تلعب دورا هاما في تعريف وتحديد ما يجب تناوله والتطرق إليه من خلال البحث إذا أنها تنحصر الدراسة الخاصة بعنوان البحث، وتجنب الباحث الخروج أو الدوران حول عنوان البحث بدون الذهاب إلى لبه، فالمصطلحات تعتبر مفتاح البحث لان القارئ عند قراءته له ومن خلال التعرف عليها تكون له نظرة عن الموضوع المدروس.

- وفي بحثنا هذا سوف نعرف ونشرح المصطلحات الآتية والتي لها كل البعد في دراستنا وهي: الحمولة، المنافسة الرسمية، التقنية، التكتيك، المرحلة العمرية اقل من 17 سنة.

#### - مفهوم الحمولة

حسب ما تفياف تعرف بأنها "كمية التأثير المعنية على أعضاء وأجهزة الفرد المختلفة أثناء ممارسة النشاط البدني. (8)

حسب Weinek تعرف بأنها "العبء أو الجهد البدني والعصبي الواقع على أجهزة الجسم المختلفة كالجهاز العصبي والجهاز الدوري والجهاز التنفسي والجهاز العضلي والجهاز الغددي كنتيجة للأداء للأنشطة البدنية المقصودة. (9)

- **المنافسة الرسمية:** هي التي استنفذت وقتها الأصلي أو بضربات الترجيح إن اقتضى الأمر تجرى بين فريقين يتكون كل فريق من 11 عشرة لاعبا يحق لكل فريق 3 تغيرات فقط كما تتضمن 18 لاعبا لكل فريق مسجلين على ورقة المقابلة. (10)

- **لعبة كرة القدم:** هي لعبة تنافسية بين فريقين يتكون من 11 لكل فريق وزمن محدد.

- **اللاعب:** هو الفرد المشارك برياضة معينة بناء على الخصائص الوظيفية والبدنية والتقنية والنفسية. (11)

- **الطكتيك:** هي كل خطط اللعب التي يؤديها اللاعب بهدف خدمة أي لعبة في إطار قوانينها كما يعتبر الطكتيك في كرة القدم فن ونوعية لتسيير تقنيات اللاعبين يمكنهم من حسن التصرف في مختلف المواقف المتعددة والمتغيرة خلال المباراة. (12)

- **التكتيك (التقنية):** هي كل الحركات الرياضية التي يؤديها اللاعب بهدف خدمة أي لعبة في إطار قوانينها، كما يعتبر التكتيك أو التقنية في كرة القدم فن ونوعية التحكم في الكرة. (13)

### - المرحلة العمرية (17 سنة):

نحن بصدد دراسة لاعبي المراهقة الوسطى حيث هذه الأخيرة تمتد من 15 سنة إلى 17 سنة ويطلق عليها أيضا المرحلة الثانوية، وتتميز هذه المرحلة ببطء في التقنو الحسي نسبيا مقارنة مع المرحلة السابقة (المراهقة المبكرة)، وتزداد التغيرات الجسمية والفيزيولوجية من الزيادة في الطول والوزن وفي هذه المرحلة نجد المراهق يهتم بمظهره الجسدي، صحته، وقوته الجسمية.

### - أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أسباب اختيار موضوع بحثنا فيما يلي:

- 1- نقص الدراسات والبحوث التي تناولت مواضيعها هذا الموضوع
- 2- نود من خلال هذا الموضوع إبراز أهمية الجانب التقنو طكتيكي لدى لاعبي كرة القدم.
- 3- نسعى من خلال اختيارنا لهذا الموضوع تحقيق بعض الأهداف في مجال تكويننا والتي تعتبر مسعى كل باحث.

### - الغرض من البحث: يتضمن غرضين أساسيين هما:

أ- **الغرض الأكاديمي:** نود من خلال بحثنا دراسة أهمية ودور المنافسة الرسمية في تطوير وتحسين النشاط التقنوطكتيكي لدى لاعبي كرة القدم الجزائرية تحت 17 سنة.

ب- **الغرض التطبيقي:** الاستفادة من نتائج هذه الدراسة في تعديل الصورة التعليمية والتدريبية لفئة اقل من 17 سنة وإتباع الطرق العلمية المناسبة في بناء البرامج التدريبية المركزة على تطوير النشاط التقنوطكتيكي من أجل الإعداد الجيد الشامل والامتزن.

### - منهج البحث:

إن المنهج في البحث العلمي هي مجموعة من القواعد والأسس وضعها من أجل الوصول إلى الحقيقة "إنه الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة لاكتشاف الحقيقة". (14) ومن خلال المشكلة المطروحة استخدم الباحث المنهج الوصفي باعتباره مناسباً لذلك.

### - عينة البحث:

كانت عينة البحث مقصودة وعمدية من طرف الباحث وكانت تتكون من ثلاثة مستويات الرابطة المحترف الأولى والثانية، وقسم الهواة وهي مبينة كالتالي:

### الموسم الرياضي 2013 - 2014

الرقم	اسم النادي	المستوى	عدد اللاعبين
01	شباب قسنطينة	الرابطة المحترفة (1)	10
02	جمعية الخروب	الرابطة المحترفة (2)	10
03	مولودية قسنطينة	القسم الثاني هواة	10
المجموع	03	03	30

### 10- أدوات البحث:

استخدم الباحث هذه الأدوات باعتبارها السند القوي الذي يوصفه الباحث في الوصول إلى الحقيقة (15) وكانت كالتالي:

1. المصادر والمراجع باللغة العربية والأجنبية
2. الاختبارات المهارية
3. الوسائل البيداغوجية: كرات + أقماع + صحن، ميقائية + صفارة.

### - مواصفات الاختبارات:

تم إجراء الاختبارات المهارية على النوادي المختارة والسابقة الذكر وهذا خلال مرحلة الهدنة أو مرحلة الراحة الشتوية وهذا بمساعدة زملائنا المدربين المشرفين على تدريب هذه النوادي.

**- الدراسة الاستطلاعية:**

الهدف منها هي كفاءة الاختبارات المهارية، حيث قمنا بإجراء اختبارات مهارية على عينة تتكون من 30 لاعب من الفرق الثلاثة التي تم اختيارها كعينة البحث وهي: مولودية قسنطينة، جمعية الخروب، شباب قسنطينة، والوقوف على الصعوبات التي تواجه الباحث ومعرفة مدى تفهم اللاعبين والوصول إلى أفضل طريقة لإجرائها.

**- الأسس العلمية للاختبار:**

**- ثبات الاختبار:**

يقصد به هو أن يعطي نفس النتائج إذا ما أعيد على نفس الأفراد وفي نفس الظروف. (16) ولقد تم اختيار العينة التي تتكون من 30 لاعب من الفرق التالية: مولودية قسنطينة، شباب قسنطينة، جمعية الخروب وبعد مدة زمنية لم تتجاوز 15 يوما وتحت نفس الظروف أعيد إجراء الاختبار على نفس العينة ثم قام الباحث باستخدام معامل الارتباط "بيرسون".

بعد الكشف في جدول الدلالات لمعامل الارتباط البسيط عند مستوى الدلالة 0.05 ودرجة الحرية 29(ن-1) وجدنا أن القيمة المحسوبة اكبر من القيمة الجدولية. مما يؤكد أن الاختبارات تتمتع بدرجة عالية من الثبات وكانت النتائج المتحصل عليها قد أكدت ذلك من خلال الجدول "أ" الذي يوضح ذلك.

**- صدق الاختبار:**

من اجل التأكد من صدق الاختبار استخدمنا معامل الصدق الذاتي باعتباره اصدق الدرجات التجريبية بالنسبة للدرجات الحقيقية التي خلصت من أخطاء القياس الذي يقاس بحساب الجذر التربيعي لمعامل الثبات للاختبار وحقت النتائج التالية: من خلال الجدول "أ".

معامل الصدق	معامل الثبات الاختبار	معامل الارتباط الجدولية	مستوى الدلالة	درجة الحرية	حجم العينة	الدراسات الإحصائية الاختبارات
0.92	0.86					اختبار تنطيط الكرة
0.90	0.81			(ن-1)		اختبار السيطرة والتحكم في الكرة

0.93	0.87	0.55	0.05	29	30	اختبار دقة تسديد الكرة المرمى نحو
0.92	0.86					اختبار دقة التمرير الطويلة
0.92	0.81					اختبار سرعة الجري بالكرة

جدول "أ" بين صدق وثبات اختبارات الجانب التقني والمهاري للاعبين كرة القدم الجزائري تحت 17 سنة من عينة البحث.

نلاحظ من خلال الجدول "أ" أن جميع مفردات الاختبارات المهارية والتقنية أعطت نتائج ذات صدق وثبات عاليتين حيث سجلنا ارتباطات ذات دلالة إحصائية (0.05) وهذا ما أكد لنا أن عملية انتقاء الاختبارات كانت بطريقة مبنية على أسس علمية صحيحة وانطلاقاً من نتائج هذه التجربة باشر الباحث بإجراءات التجربة الرئيسي على عينة البحث باستعمال نفس الأسلوب والطريقة ومراعاة جميع المتغيرات التي يمكن أن تؤثر على نتائج البحث:

#### الوسائل الإحصائية:

إن الهدف من استعمال الوسائل الإحصائية هو التوصل إلى مؤشرات كمية تساعدنا على التحليل والتغيير حيث استعملنا في بحثنا هذا نظام SPSS قصد الحصول على:

- الانحراف المعياري
- المتوسط الحسابي
- معامل الارتباط

الرقم	اسم الاختبار	الغرض من الاختبار
01	اختبار تنطيط الكرة بالقدم	محاولة لمس أكبر عدد ممكن من المرات دون أن تلمس الكرة الأرض
02	اختبار السيطرة والتحكم في الكرة	القدرة على التحكم في الكرة والتنسيق بين أعضاء الجسم

03	اختبار دقة تسديد الكرة نحو المرمى	قياس الدقة وتوافق التمريرة
04	اختبار دقة التمرير الطويلة	قياس قوة القذف وقذفها على مسافة طويلة
05	اختبار سرعة الجري بالكرة	تقييم التنسيق والتوافق في الحركة زائد السرعة في التنفيذ

**جدول "ب" يوضح الاختبارات المهارية**

عرض وتحليل نتائج الاختبارات التقنية لمرحلة الذهاب:

عرض وتحليل نتائج الاختبارات التقنية لمرحلة الذهاب حسب الفرق:

**جدول يمثل عرضاً إجمالياً لنتائج اختبارات الذهاب للاعبين حسب الفرق.**

عرض النتائج لكل اللاعبين			الاختبار	
العينة: 10	العينة: 10	العينة: 10	الفريق	
فريق مولودية قسنطينة	فريق جمعية الخروب	فريق شباب قسنطينة		
$\pm 31.6$ 9.08	$\pm 32.6$ 9.32	$\pm 39.53$ 12.41	المتوسط الحسابي $\pm$ الانحراف المعياري	اختبار تنطيط الكرة بالقدم
50	50	67	القيمة العليا	
6	14	12	القيمة الدنيا	
$1.50 \pm 2.4$	$\pm 1.85$ 1.09	$\pm 2.56$ 1.46	المتوسط الحسابي $\pm$ الانحراف المعياري	اختبار السيطرة والتحكم في الكرة
6	5	5	القيمة العليا	
1	1	0	القيمة الدنيا	
$3.36 \pm 8.8$	$2.72 \pm 7$	$\pm 6.19$ 2.04	المتوسط الحسابي $\pm$ الانحراف المعياري	اختبار دقة تسديد الكرة نحو المرمى
16	12	10	القيمة العليا	
3	2	1	القيمة الدنيا	
$\pm 1.88$ 1.59	$\pm 3.05$ 1.67	$\pm 3.63$ 2.22	المتوسط الحسابي $\pm$ الانحراف المعياري	اختبار دقة التمريرة الطويلة
5	6	8	القيمة العليا	
0	1	1	القيمة الدنيا	
$\pm 25.66$ 2.10	$\pm 23.83$ 2.21	$\pm 21.80$ 1.45	المتوسط الحسابي $\pm$ الانحراف المعياري	اختبار سرعة الجري بالكرة



29.81	32.83	25.10	القيمة العليا
21.75	21.57	19.50	القيمة الدنيا

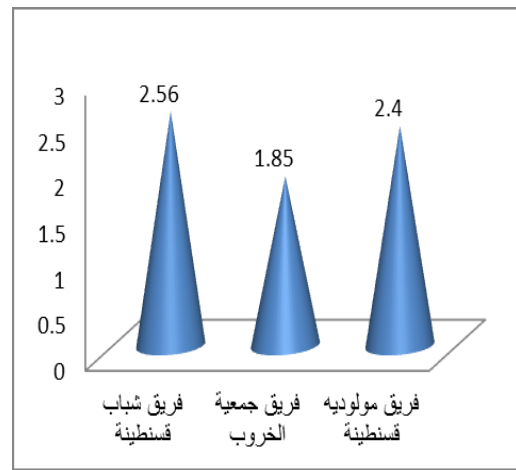
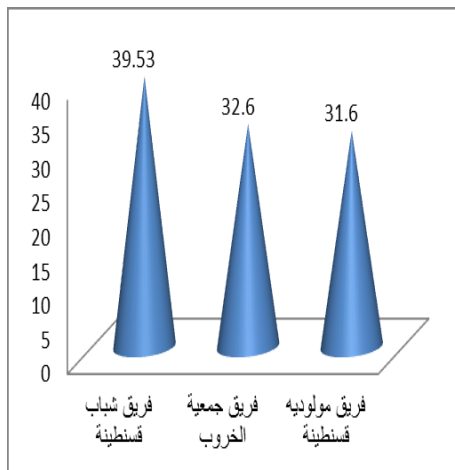
اعتمادا على الجدول السابق والذي يمثل عرضا إجماليا لنتائج الاختبارات القبلية الخمسة لكل لاعبي فرق المستويات الثلاثة، وقد تضمن المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وكذا أكبر نتيجة وأصغر نتيجة محققة في هذه الاختبارات.

حيث في اختبار تنطيط الكرة بالقدم تحصل فريق شباب قسنطينة الذي ينتمي إلى القسم الوطني الأول على متوسط حسابي قدر بـ (12.4±39.53) نقطة أما فريق مولودية قسنطينة الذي ينتمي إلى القسم الهواة فقد تحصل على متوسط حسابي قدر بـ (9.32±32.6) نقطة في حين تحصل فريق جمعية الخروب الذي ينتمي إلى القسم الثاني على متوسط حسابي قدر بـ (9.08±31.6) نقطة.

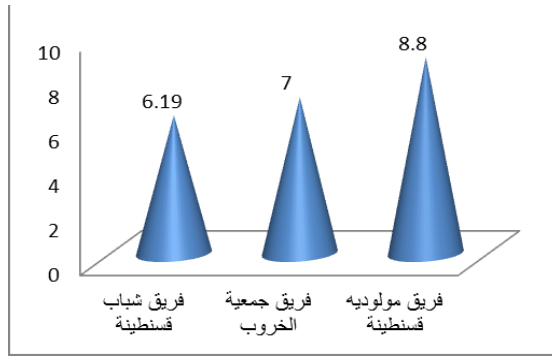
أما في اختبار تنطيط الكرة و التنسيق لمرحلة الذهاب فيه فريق شباب قسنطينة على متوسط حسابي قدر بـ (1.46±2.56) نقطة أما فريق مولودية قسنطينة فقد تحصل على متوسط حسابي قدر بـ (1.09±1.85) نقطة جمعية الخروب فقد تحصل على متوسط حسابي قدر بـ (1.50±2.4) نقطة.

وفي اختبار دقة التسديد نحو المرمى لمرحلة الذهاب تحصل فريق شباب قسنطينة على متوسط حسابي قدر بـ (2.04±6.19) نقطة أما فريق مولودية قسنطينة فقد تحصل على متوسط حسابي قدر بـ (2.72±7) نقطة وتحصل فريق جمعية الخروب على متوسط حسابي قدر بـ (3.36±8.8) نقطة.

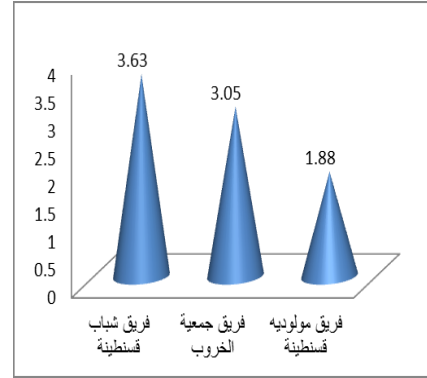
كما نلاحظ نتائج اختبار سرعة الجري بالكرة لمرحلة الذهاب حيث تحصل فريق شباب قسنطينة على متوسط حسابي قدر بـ (1.45±21.80) ثانية أما فريق مولودية قسنطينة فقد تحصل على متوسط حسابي قدر بـ (23.83±2.21) ثانية أما فريق جمعية الخروب فقد تحصل على متوسط حسابي قدر بـ (2.10±25.66) ثانية.



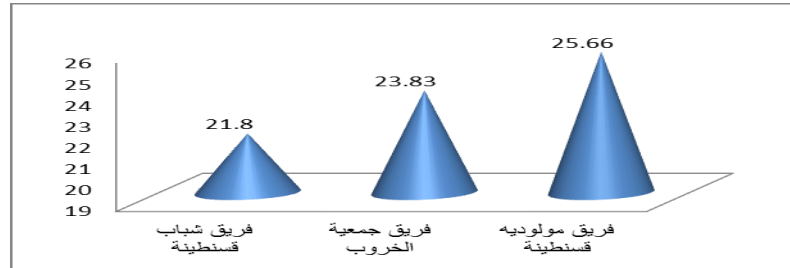
يبين المتوسط الحسابي لنتائج اختبار تنطيط الكرة بالقدم لمرحلة الذهاب



يبين المتوسط الحسابي لنتائج اختبار تنطيط والتنسيق لمرحلة الذهاب



المتوسط الحسابي لنتائج اختبار دقة التمرير نحو المرمى لمرحلة الذهاب



المتوسط الحسابي لنتائج اختبار دقة التمريرة الطويلة لمرحلة الذهاب

يبين المتوسط الحسابي لنتائج اختبار سرعة الجري بالكرة لمرحلة الذهاب

جدول يمثل عرضا إجماليا لنتائج اختبارات الذهاب للاعبين حسب مراكز اللعب

العينة: 06	العينة: 09	العينة: 09	العينة: 06	عرض النتائج لكل اللاعبين	
المهاجمون	وسط الميدان	المدافعون	حراس المرمى	الاختبار	
				مركز اللعب	
$\pm 47.5$ 14.48	$\pm 41.8$ 2.59	$\pm 35.5$ 10.97	$\pm 30$ 25.46	$\pm$ المتوسط الحسابي الانحراف المعياري	اختبار تنطيط الكرة بالقدم
92	44	48	48	القيمة العليا	
50	39	15	12	القيمة الدنيا	
$\pm 3.75$ 0.96	$\pm 2.2$ 0.84	$1.64 \pm 2.8$	$\pm 0.5$ 0.71	$\pm$ المتوسط الحسابي الانحراف المعياري	اختبار السيطرة والتحكم في الكرة
5	3	5	1	القيمة العليا	
3	1	1	0	القيمة الدنيا	
$\pm 6.00$ 1.41	$\pm 7.20$ 1.92	$1.52 \pm 6.4$	$\pm 3.5$ 3.54	$\pm$ المتوسط الحسابي الانحراف المعياري	اختبار دقة تسديد الكرة نحو المرمى
7	10	8	6	القيمة العليا	
4	5	4	1	القيمة الدنيا	
$2.71 \pm 3$	$\pm 3.2$ 1.64	$2.55 \pm 5$	$\pm 2.5$ 0.71	$\pm$ المتوسط الحسابي الانحراف المعياري	اختبار دقة التمرير الطويلة
7	6	8	3	القيمة العليا	
1	2	2	2	القيمة الدنيا	
$\pm 21.66$ 1.39	$\pm 22.21$ 1.71	$\pm 21.16$ 1.39	22.65 $1.47 \pm$	$\pm$ المتوسط الحسابي الانحراف المعياري	اختبار سرعة الجري بالكرة

23.52	25.10	22.73	23.69	القيمة العليا
20.22	30.55	19.5	21.61	القيمة الدنيا

استنادا على الجدول السابق والذي يمثل عرضا إجماليا لنتائج الاختبارات القبلية الخمسة لكل لاعبي فرق المستويات الثلاثة، وقد تضمن المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وكذا أكبر نتيجة وأصغر نتيجة محققة في هذه الاختبارات.

حيث في اختبار تنطيط الكرة بالقدم تحصل حراس المرمى على متوسط حسابي قدر بـ (25.46±30) نقطة أما المدافعون فقد تحصلوا على متوسط حسابي قدر بـ (10.97±35.5) وتحصل لاعبو وسط الميدان على متوسط حسابي قدر بـ (2.59±41.8) نقطة فيما تحصل المهاجمون على متوسط حسابي قدر بـ (14.48±47.5) نقطة.

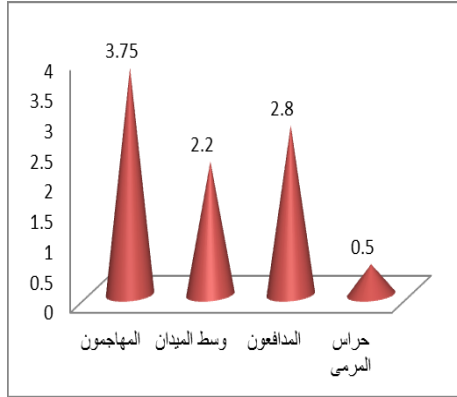
أما في اختبار تنطيط الكرة والتنسيق تحصل فيه حراس المرمى على متوسط حسابي قدر بـ (0.71±0.5) نقطة أما المدافعون فقد تحصلوا على متوسط حسابي قدر بـ (1.64±2.8) نقطة وتحصل لاعبو وسط الميدان على متوسط حسابي قدر بـ (0.84±7.2) نقطة فيما تحصل المهاجمون على متوسط حسابي قدر بـ (0.96±3.75) نقطة.

وفي اختبار دقة التسديد نحو المرمى تحصل فيه حراس المرمى على متوسط حسابي قدر بـ (3.54±3.5) نقطة أما المدافعون فقد تحصلوا على متوسط حسابي قدر بـ (1.92±7.20) نقطة فيما تحصل المهاجمون على متوسط حسابي قدر بـ (1.41±6.00) نقطة.

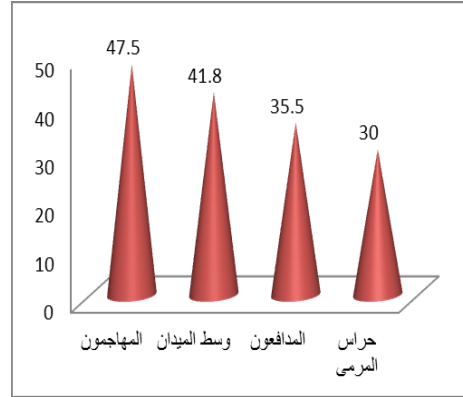
وكانت نتائج اختبار دقة التمريرة الطويلة تحصل فيه حراس المرمى على متوسط حسابي قدر بـ (0.71±2.5) نقطة أما المدافعون فقد تحصلوا على متوسط حسابي قدر بـ (2.55±5) نقطة وتحصل لاعبو وسط الميدان على متوسط حسابي قدر بـ (1.64±3.2) نقطة فيما تحصل المهاجمون على متوسط حسابي قدر بـ (2.71±3.00) نقطة.

ونلاحظ في اختبار سرعة الجري بالكرة تحصل فيه حراس المرمى على متوسط حسابي قدر بـ (1.47±22.65) ثانية أما المدافعون فقد تحصلوا على متوسط حسابي قدر بـ (1.39±21.16) نقطة وتحصل لاعبو وسط الميدان على متوسط حسابي قدر بـ

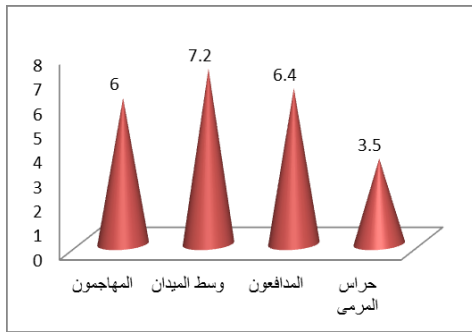
ب- ثمانية فيما تحصل المهاجمون على متوسط حسابي قدر  $(1.71 \pm 22.21)$  ثمانية.  $(1.39 \pm 21.66)$  ثمانية.



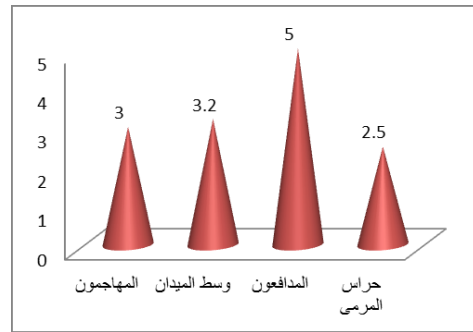
المتوسط الحسابي لنتائج اختبار تنطيط الكرة بالقدم  
لمرحلة الذهاب حسب مراكز اللعب



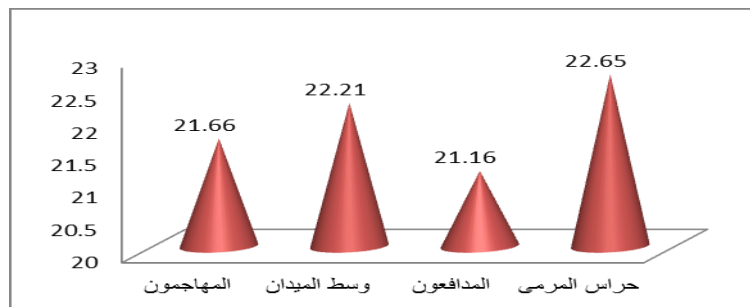
المتوسط الحسابي لنتائج اختبار تنطيط والتنسيق  
لمرحلة الذهاب حسب مراكز اللعب



المتوسط الحسابي لنتائج اختبار دقة التسديد نحو المرمى  
لمرحلة الذهاب حسب مراكز اللعب



المتوسط الحسابي لنتائج اختبار دقة التميربة الطويلة  
لمرحلة الذهاب حسب مراكز اللعب



يبين المتوسط الحسابي لنتائج سرعة الجري بالكرة  
لمرحلة الذهاب حسب مراكز اللعب

## الاستنتاج العام

في ضوء النتائج المتحصل عليها في الجانب التطبيقي وبهدف دراسة والتعرف على الخصائص المهارية للاعبين كرة القدم وتحسينها بين فترة الذهاب والإياب لمرحلة المنافسة وكذا معرفة الفروق في المهارات التقنية بين ثلاث مستويات مختلفة وبهدف تقييم واختبار فعالية ونجاعة التدريبات المهارية المتبعة من الفرق المحلية لكرة القدم قمنا بإجراء الاختبارات التقنية التي اخترناها كوسيلة بحث أساسية في بحثنا هذا نظرا للأهمية البالغة التي تتميز بها وبعد عرض نتائج الاختبارات وتحليلها ثم مناقشتها ومقارنتها بالفرضيات توصلنا إلى نتائج واستنتاجات مهمة تمثلت فيما يلي:

➤ عدم تحسن كل المهارات الفنية لكرة القدم الجزائريين تحت 17 سنة خلال مرحلة المنافسة في ثلاث مستويات، لكن وجود تحسن مقبول في بعض المهارات التقنية مثل تنطيط الكرة والتنسيق وكذلك دقة التمريرة الطويلة.

➤ عدم وجود فروق تقنية بين لاعبي كرة القدم الجزائريين تحت 17 سنة حسب نوع المنافسة التي ينشط فيها كل فريق خلال فترة الذهاب من مرحلة المنافسة وبالتالي تنطلق كل الفرق بمستوى مهاري مشترك في بداية مرحلة المنافسة رغم اختلاف نوعها.

➤ عدم وجود فروق تقنية بين لاعبي كرة القدم الجزائريين تحت 17 سنة حسب نوع المنافسة التي ينشط فيها كل فريق خلال فترة الإياب من مرحلة المنافسة وبالتالي تنهي كل الفرق مرحلة المنافسة بمستوى مهاري متماثل ماعدا بعض الفروق في بعض المهارات التقنية وهي مهارة التنطيط بالكرة والتنسيق ومهارة سرعة الجري بها رغم اختلاف نوع المنافسة التي ينشط فيها كل فريق.

انطلاقا من هذه النتائج التي توصلنا إليها إضافة إلى ما أوردنا في الجانب النظري لبحثنا هذا فإننا حاولنا تقديم مؤشرات دالة للمدربين في كرة القدم قد تساعدهم في تحديد

النقائص والسلبيات المهارية التي تعرقل أداء لاعبيها أثناء مرحلة المنافسة قصد التركيز عليها وإعطائها حجما اكبر وكذا استغلال نوع المنافسة التي ينشطون فيها إضافة إلى زيادة الاهتمام بهذه الفئة العمرية الحساسة جدا في جانب التحسين التقني للوصول باللاعبين إلى أحسن أداء فني.

### الخاتمة

لقد أصبح الاهتمام بعملية التكوين بالأصناف الدنيا في السنوات الأخيرة من البديهيات المعترف بها والواجبة على المختصين في مجال كرة القدم وقد عرفت القدم الجزائرية مستوى عالمي ضمن الدول العربية والإفريقية آخرها التأهل إلى كأس العالم 2014 هذه النتائج المحققة هي ثمرة العمل المتواصل والتكوين الجيد الذي تلقاه لاعبين الذين ينشطون أغلبيتهم في اغلب البطولات الأوروبية لان الوصول باللاعب إلى أعلى مستواه لا يمكن تحقيقه ما لم يكن هناك بناء قاعدي ميبين في مختلف الجوانب (البدنية، التقنية، الطكتيكية، النفسية، الذهنية).

إن الجانب التقني والطكتيكي أصبح اليوم يأخذ حيزا كبيرا من نشاط كرة القدم فالإعداد المهاري والخططي الجديد بلعب دورا كثيرا في تحقيق النتائج الايجابية لصالح الفريق حيث أن عملية نجاح طريقة لعب معينة وإتقانها في مختلف مناطق اللعب على أكمل وجه وبدقة متناهية في الانجاز يحتم على اللاعب تطوير مهارته التقنية والطكتيكية لان كرة القدم اليوم تتطلب ذلك وهذا ما صرح به المدرب العالمي كابلو في إحدى قنوات الجزيرة الرياضية أن هذه اللعبة عرفت تطورات كبيرة ففي الماضي وعلى سبيل المثال كان فريق أجاكس أمستردام في السبعينات كان يعتمد على مكيدة التسلسل والضغط على حامل الكرة باستعمال الدفاع العالي أو التقدم.

أما اليوم فالأمر يتعلق بابتكار أشياء جديدة تطبقها أندية أخرى كفريق برشلونة الحالي لم يكتفي باسترجاع الكرة فقط بل أصبح يحتفظ بها اللاعب مدة زمنية ممكنة كما أن استرجاع الكرة تعتمد على الذكاء ولحظة ضياعها.

إن العلاقة بين حمولة المنافسة والأداء المهاري والخططي هي علاقة وثيقة يجب أن تأخذ بجد أثناء إعداد اللاعبين وخاصة عند مرحلة تكوين الناشئين الذين يعتبرون ثمرة المستقبل حيث، يجب على المدربين انتهاز طرق علمية صحيحة من اجل النهوض بمستوى عملية التكوين عامة وكرة القدم خاصة، فالتدريب الرياضي المنهجي والمنظم تنظيما سليما يعمل على إتقان تثبيت الدراسات المهارية والرفع من مستوى الأداء أثناء المنافسة الرياضية ولهذا يجب أن تخضع عملية التدريب الرياضي إلى التخطيط السليم

والمنظم من اجل الوصول إلى الهدف المنشود وهو الرفع من مستوى كرة القدم الجزائرية ومن هذا المنطلق جاء موضوع بحثنا الذي يهدف إلى التعريف بأهمية حمولة المنافسة الرسمية ومدى تأثيرها على الجانب التقني والطكتيكي لدى لاعبي كرة القدم الجزائرية تحت 17 سنة ومن خلال الدراسة يمكن القول انه يوجد ترابط وثيق بين مستوى حمولة المنافسة والمكون التقني والطكتيكي للاعب بحيث لا يمكن الفصل بينهما ولهذا يجب العمل على تنميتها في اطار منهجي منظم من اجل الارتقاء بمستوى اللعبة والوصول الى الغاية المنشود إليها لأنها أصبحت ذات شعبية كبيرة من محبين وممارسين لها في مختلف بلدان العالم.

### الهوامش

- 1- موفق مجيد المولي، الأساليب الحديثة في تدريب كرة القدم ط1، دار الفكر، عمان الأردن، 2000.
- 2- مهند حسن البشتاوي، مبادئ التدريب الرياضي ط2، جامعة القدس، 2010.
- 3- Jürgen Weineck, Manuel d'entraînement, éditions Vigot, 1981, p417.
- 4- إبراهيم شعلان الحديث في الإعداد المهاري والفني الخططي، ط 2010، ص 51.
- 5- محمد عفيفي، كرة القدم للناشئين، ط1 2009، ص 109.
- 6- إبراهيم شعيبين ، أبو العلاء عبد الفتاح، فيزيولوجيا التدريب في كرة القدم، القاهرة 1998، ص 80 .
- 7- Bernard Turpin, préparation en entraînement du football, Editions Amphora, Paris, 1998, p27.
- 8- احمد إبراهيم الخوجا، مبادئ التدريب الرياضي، ط1 2010 ، جامعة القدس، ص 58.
- 9- Jürgen Weineck, manuel d'entraînement 4<sup>ème</sup> édition Vigot 1997 p32.
- 10- الاتحاد الجزائري لكرة القدم، قانون بطولة كرة القدم، ط1 2013.
- 11- الاتحاد الجزائري لكرة القدم، قانون بطولة كرة القدم ، 2013.
- 12- مفتي إبراهيم حمادة، التدريب الرياضي الحديث، دار الفكر، القاهرة 2008، ص 21.



- 13- أمين الخولي وآخرون، دائرة معارف التدريب الرياضي وعلوم التربية البدنية ، القاهرة 2007، ص73.
- 14- جمال احمد أبو شنب، "قواعد البحث العلمي" دار الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 124.
- 15- سوزان احمد "البحث العلمي، في ق ب ر ط1، الأردن 2011، ص 80.
- 16- ناصر عبد القادر، تأثير واجبات اللعب وخصوصية الدفاعية الهجومية في إحداث التباين في المتطلبات المهارية للاعبين كرة القدم ، دكتوراه سنة 2006 ، ص 140.

### قائمة المراجع:

#### المراجع باللغة العربية:

- موفق مجيد المولي: الأساليب الحديثة في تدريب كرة القدم ط1، دار الفكر- عمان الأردن سنة 2000.
- هند حسن اليشتاوي: مبادئ التدريب الرياضي ط2، جامعة القدس، 2010.
- إبراهيم شعلان الحديث في الإعداد المهاري والفني الخططي ط 2010.
- محمد عيفي - كرة القدم للناشئين ط1 2009.
- إبراهيم شعيبين . أبو العلاء عبد الفتاح: فيزيولوجيا التدريب في كرة القدم 1998 القاهرة.
- احمد إبراهيم الخوجا: مبادئ التدريب الرياضي ط1 2010 - جامعة القدس.
- الاتحاد الجزائري لكرة القدم: قانون بطولة كرة القدم ط1 2013.
- مفتي إبراهيم حمادة - التدريب الرياضي الحديث، دار الفكر- القاهرة 2008 .
- أمين الخولي وآخرون: دائرة معارف التدريب الرياضي وعلوم التربية البدنية - القاهرة 2007
- جمال احمد أبو شنب، "قواعد البحث العلمي" دار الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2010.
- سوزان احمد "البحث العلمي في ق ب ر ط1 2011 الأردن.

- ناصر عبد القادر: دوكتراه بعنوان: تأثير واجبات اللعب وخصوصية الدفاعية الهجومية في إحداث التباين في المتطلبات المهارية للاعبين كرة القدم سنة 2006.

#### المراجع باللغة الفرنسية

- Jürgen Weineck, Manuel d'entraînement, édition Vigot 1981, Paris.
- Bernard Turpin, préparation en entraînement du football, Editions Amphora, Paris, 1998.

## القيادة الإدارية ودورها في نجاح وظيفتي التخطيط والتنظيم داخل الأندية الرياضية لكرة القدم

### ملخص

حاولنا في دراستنا إبراز الدور الفعال الذي تلعبه القيادة الإدارية في نجاح العملية الإدارية ، من خلال القيام بتصميم استمارة استببانيه موجة للطايم الإداري لأندية كرة القدم في الجزائر مجزأة إلى أربعة محاور متعلقة بالقيادة الإدارية و عمليتي التخطيط والتنظيم داخل الإدارة الرياضية.

وخلال دراستنا لهذا الموضوع تبين لنا جليا دور القيادة الإدارية في تجسيد وتفسير وتطبيق الأهداف والسياسات واستراتيجيات الأندية الرياضية إلى جانب الدور الحيوي الفعال الذي تلعبه في القيام بكافة عناصر العملية الإدارية كعملية التخطيط والتنظيم.

د. أحمد حمزة غضبان  
د. فتحي بلغول  
د. الطاهر بريكي  
أ. عامر حملاوي

مخبر علوم وتقنيات النشاط البدني الرياضي  
معهد التربية البدنية والرياضية  
جامعة الجزائر 3  
الجزائر

### Abstract

In our study we tried to highlight the active role played by the administrative leadership in the success of the administrative process, from design through to the wave form questionnaire for the administrative staff of the football clubs in Algeria segmented into four themes related to leadership and administrative planning and organization within the sport management.

During our study of this subject shows us clearly the role of leadership in the embodiment and the interpretation and application of the targets, policies and strategies of sports clubs as well as the vital role they play in the effective carrying out all elements of the administrative process as a process of planning and organization.

### مقدمة

**أدى** النمو الكبير في حجم المنظمات، وتنوع أنشطتها وتعقدتها إلى ضرورة توفير الموارد البشرية المناسبة والمتوافقة واحتياجات ومتطلبات العمل، نشير هنا إلى أن إدارة الأفراد موجودة في كل المنظمات أي كان حجمها، ولكن التفاوت يكمن فيمن يمارس هذه الوظيفة، ففي المنظمات الصغيرة قد تمارس بواسطة المدير، وبذلك تعتبر هذه الوظيفة جزء من مهام المدير، ومع كبر حجم المنظمة وتجاوز أعباءها لطاقة المدير يبدأ في إسناد هذه الوظيفة إلى فرد أو أكثر، وبذلك نجد في المنظمات كبيرة الحجم إدارة ووظيفة متخصصة لإدارة الأفراد.

وقد أشار كل من "كلي" وآخرون (1990) (مصطفى حسين باهي، 2001، ص 89) بان الإدارة الرياضية هي "مجموعة المهارات التي تشمل كل ما له صلة بالتخطيط والتنظيم والمتابعة والتمويل والتوجيه والقيادة والتقييم داخل أي منظمة أو إدارة تقدم خدمات متصلة بالتربية البدنية والرياضية"، كما عرفها "هنري فايول" على أنها "ان تقوم بالإدارة معناها أن تتنبأ أو تخطط أو تنظم وأن تصدر الأوامر أو تراقب" (عمار بحوش، 1984، ص15). وتم تعريف الإدارة الرياضية بأنها "تنسيق الموارد وجهود الأفراد بالاستفادة من التقنيات وتوجيهها بطريقة تسمح بتحقيق الأهداف بدقة في اقصر وقت وبأقل تكلفة".

وبهذا فإن أهمية التسيير الإداري للأندية الرياضية يتضح من خلال اهتمام هذه الأندية بتطوير النظم الإدارية والعمل على تخطيط إدارة المنشآت الرياضية وتنمية قدرات برامج التدريب الرياضي وفق المتطلبات والمقاييس العالمية، وبذلك فهي تجسد مفاهيم تحسن وتطور الإنسان.

وعلى خلاف جميع الرياضات حققت كرة القدم تطور نوعي كبير عرفت من خلالها تغييرا في طرق ومنهجيات التدريب و هذا بفضل السياسات الرياضية المتبعة والإمكانيات الكبيرة المسخرة لها من طرف الأندية والدول وهو ما يتجلى من خلال المستوى الجيد الذي أظهرته هذه اللعبة في كثير من دول العالم.

أما في الجزائر فقد أولت الدولة اهتماما كبيرا لتطوير هذه اللعبة حتى تتماشى مع تطورات هذا العصر الرياضي، وهذا راجع إلى الدعم الذي منحه الدولة للأندية من إنجاز العديد من المنشآت الرياضية هذه الأخيرة التي تتطلب صيانة وتسيير إداري رياضي محكم.

وفي السنوات الأخيرة وتماشيا مع نظام الخوصصة برزت عدة أندية عالمية ذات مستوى جيد ويرجع هذا إلى وجود تسيير إداري منسق، يسهر عليه مسيرون ومؤطرون ذوي كفاءة عالية.

وبهذا فإن أهمية التسيير الإداري للأندية الرياضية يتضح من خلال اهتمام هذه الأندية بتطوير النظم الإدارية والعمل على التخطيط المحكم و تنمية قدرات الموظفين وفق المتطلبات والمقاييس العالمية وبذلك فهي تجسد مفاهيم تحسن و تطور الإنسان.

ولذلك ارتأينا إلى أن نخوض في مجال من مجالات الإدارة الرياضية ألا وهو القيادة الإدارية حيث تكمن أهمية بحثنا في تشخيص واقع التسيير الإداري للأندية الرياضية لكرة القدم الجزائرية من خلال إبراز الدور الذي تلعبه القيادة الإدارية في نجاح عملية التسيير الإداري باتباعها للطرق والاستراتيجيات العلمية الحديثة .

#### 1- الإشكالية:

تعتبر الإدارة بمعناها العام توفير نوع من التعاون والتنسيق بين الجهود البشرية المختلفة من أجل تحقيق هدف معين، لذا فهي جزء من الحضارات العالمية التي

ازدهرت، فالإدارة قديمة من حيث الممارسة قدم الإنسان، أما من حيث هي فرع من فروع المعرفة فهي حديثة نسبياً، والفكر الإداري المعاصر كان نتيجة جهود مجموعة من الباحثين وهو يقسم العملية الإدارية إلى عدة مراحل متواصلة ومتناسقة فيما بينها، فنجد التخطيط باعتباره العنصر الأول والأسبق من عناصر الإدارة وهو الأسلوب العلمي الذي يكفل أمثل استخدام لكافة الموارد والإمكانات المتاحة (إبراهيم محمود عبد المقصود، 2003، ص 16). أما فيما يخص التنظيم يعني بناء هيكل داخلي للأعمال وعلاقتها ببعضها البعض، وبناء الهيكل التنظيمي يتضمن تحديد للمهام والأنشطة التي يجب أن تؤدي إلى تحقيق أهداف منظمة (حسن احمد الشافعي 2003، ص9) ، وكذا نجد التوجيه والرقابة، وباعتبار أن القيادة الإدارية هي في قمة الهرم الإداري ولها الدور البارز في توجيه باقي المستويات الإدارية، فمن خلال كل ذلك نطرح الإشكال التالي :

**هل للقيادة الإدارية للأندية الرياضية لكرة القدم دور في نجاح العملية الإدارية؟**

ومنه نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

- هل للقيادة الإدارية للأندية الرياضية لكرة القدم دور في نجاح عملية التخطيط ؟
- هل للقيادة الإدارية للأندية الرياضية لكرة القدم دور في نجاح عملية التنظيم؟

**وطرحنا الفرضيات التالية :**

**الفرضية العامة :** للقيادة الإدارية للأندية الرياضية لكرة القدم القسم الجهوي الشرقي دور في نجاح العملية الإدارية .

**- الفرضيات الجزئية:**

- للقيادة الإدارية للأندية الرياضية لكرة القدم القسم الجهوي الشرقي دور في نجاح عملية التخطيط.
- للقيادة الإدارية للأندية الرياضية لكرة القدم القسم الجهوي الشرقي دور في نجاح عملية التنظيم .

**2- أسباب اختيار الموضوع :**

تكمن أسباب اختيار الموضوع في:

- حالة الإدارة الرياضية للنادي، نظرا لافتقارها للأسس والمناهج العلمية والعملية المعمول بها على المستوى الدولي.

- إبراز الدور الذي يلعبه القائد الإداري في نجاح عملية التسيير الإداري .

**3- أهداف البحث :**

نتلخص هذه الأهداف والتي نريد الوصول إليها من خلال بحثنا هذا :

- إبراز دور القائد الإداري داخل النادي .
- معرفة الدور الحقيقي الذي تلعبه القيادة الإدارية في نجاح عملية التسيير على مستوى الأندية الرياضية.
- توضيح العلاقة التي يجب أن تكون بين القائد ومروسيه .
- التأكد من قيام القائد الإداري بواجباته في الحدود المرسومة قانونا .

#### 4- تحديد المصطلحات :

##### الإدارة الرياضية:

- اصطلاحا: عرفها كل من "كيلى وسوسن" و"بلونتن" بـ:

"الإدارة الرياضية تعني المهارات المرتبطة بالتخطيط والتنظيم والتوجيه والمتابعة والميزانيات والقيادة والتقسيم داخل هيئة تقدم خدمة رياضية أو أنشطة بدنية وترويجية" (عصام بدوي ، ص 17).

##### - تعريف إجرائي:

وفي بحثنا هذا الإدارة الرياضية هي هيئة تضم أفراد وتسدن إليهم وظائف مختلفة حسب تخصصات كل فرد وفق هيكل تنظيمي معين قائم على التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة والنشاط الرياضي هو هدفها وسبب وجودها.

##### القيادة الإدارية:

-اصطلاحا:"هي روح الإدارة العامة وهي تختص بتوجيه الأفراد بطريقة يتسنى معها كسب طاعتهم واقتراحاتهم وولائهم وتعاونهم على سبيل الوصول الى هدف معين" (فريدريك معتوق، 1993 ، ص212).

-تعريف إجرائي :وفي بحثنا هذا القيادة الإدارية هي أساس الإدارة العامة فهي التي تنظم وتوجه الأفراد داخل الإدارة الرياضية بالشكل السليم وعليها يكون النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف المسطرة .

##### التخطيط :

-اصطلاحا :يعرف "فايول" بقوله " إن التخطيط في الواقع يشمل التنبؤ بما سيكون عليه المستقبل مع الاستعداد لهذا المستقبل".

- تعريف إجرائي: وفي بحثنا هذا التخطيط هو رسم سياسة دقيقة وصحيحة لانتهاجها وتطبيقها في العمل المراد إنجازه أو إنجازه.

##### التنظيم

-اصطلاحا: التنظيم يعني بناء هيكل داخلي للأعمال وعلاقتها ببعضها البعض

وتحديد الأعمال المطلوب تنفيذها ثم تقسيمها الى مجموعات ويمكن أن يتولى كل منها شخص واحد.

- **تعريف إجرائي:** وفي بحثنا هذا التنظيم هو توزيع المهام والمسؤوليات على الأفراد من أجل تحقيق الأهداف المسطرة.

#### التسيير الإداري

- **اصطلاحا:** تلك المجموعة من العمليات المنسقة والمتكاملة التي تشمل أساسا التخطيط والتنظيم، التوجيه الرقابة فهو اختصار لعملية تحديد الأهداف وتنسيق جهود الأشخاص لبلوغها" (محمد رفيق الطيب، 1995، ص5).

- **تعريف إجرائي:**التسيير جزء من العملية الإدارية ويعتبر أداة للتخطيط والتنظيم والتوجيه والمراقبة من أجل تحقيق الأهداف الموضوعية.

#### 5- الدراسات السابقة:

**الدراسة الأولى:** بعنوان "مدى انعكاس القيادة الإدارية للمنشآت الرياضي على نجاعة المردود الرياضي"، إعداد الطالب: بورزامة راجح، مذكرة ماجستير، معهد التربية البدنية والرياضية جامعة الجزائر، سنة 2004.

#### كانت إشكالية البحث كما يلي:

ما مدى انعكاس القيادة الإدارية للمنشآت الرياضية على نجاعة المردود الرياضي للقائد الإداري من خلال نمط قيادته؟ هل يؤثر على تنمية المردود الرياضي لدى الفرق المتعاقدة مع منشآته؟

#### وكانت نتائج الدراسة كما يلي:

بعد دراسة بعض الفرضيات مسبقا والمتمثلة في أن القيادة الإدارية للمنشآت الرياضية لها انعكاس سلبي وهذا راجع إلى النمط المعمول به من طرف القائد فإذا كان مستبدا في إدارة المنشأة الرياضية فهذا ما ينعكس سلبا على الأداء.

وكذا النتائج المحققة على ارض هذه المنشأة فالقائد الإداري له دور اجتماعي رئيسي يقوم به أثناء تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة (الأتباع) ويتسم هذا الدور بان يكون له القدرة بالتأثير على الآخرين وتوجيه سلوكهم في سبيل بلوغ هدف الجماعة.

وهكذا يمكن النظر إلى أن القيادة لها دور اجتماعي كما يمكن النظر إليها على أنها سمة شخصية وعملية سلوكية، والقيادة دوما تفاعل اجتماعي، نشاط مؤثر وموجه وليست عملية جامدة تتكون من وجود مركز ومكانة وقوة .

#### الدراسة الثانية بعنوان : "دور وظيفة التوجيه في إدارة المنشآت الرياضية"

إعداد الطالب :حمادي جمال ، مذكرة ماجستير، معهد التربية البدنية والرياضية

،جامعة الجزائر ، سنة 2004.

#### وكانت إشكالية البحث كما يلي :

على أي أساس يتم تبني سياسة واضحة وتطبيق إجراءاتها الإدارية في تطبيق نظام التوجيه ومدى مساهمته في رفع من مستوى التسيير لإدارة المنشأة الرياضية والنهوض بها وتحقيق أهدافها؟

#### وكانت نتائج الدراسة كما يلي:

بعد دراسة الفرضيات وإثبات صحة الفرضية الأولى من خلال توجيه المباحث الثلاثة وتأكيد نتائج الاستثمارات ،ومن خلال النتائج المتحصل عليها في إثبات صحة الفرضية المتحصل عليها وتبين من خلال ذلك توضيح الدور الفعال الذي تلعبه وضيفة التوجيه في تطبيق جميع عمليات (من اتصال وقيادة وتحفيز) في تحقيق أهداف المنشأة المتمثلة في رفع المداخل والتتنسيق بين كامل إدارات الوحدة التابعة الى مركب وتحسين المعاملات وتقييم أداء موظفيها جراء تطبيق سياسة واضحة للتوجيه.

**الدراسة الرابعة: بعنوان "مدى انعكاس التسيير الإداري للمركبات الرياضية على واقع منشآتها "**

**من إعداد الطالب:** احمد حمزة غضبان ،مذكرة الليسانس ،قسم التربية البدنية والرياضية ،جامعة الجزائر ،سنة 2003 .

#### وكانت إشكالية البحث كمايلي:

ما مدى وجود الكفاءات المتخصصة في التسيير الإداري للمركبات الرياضية على نجاعة وفعالية التسيير؟ وما مدى تأثير فعالية هذا التسيير على سلامة المنشآت والعتاد الرياضي للمركب؟ وما هي فرص الاستثمار في ضوء كل ذلك؟

#### وكانت نتائج الدراسة كما يلي :

- ضرورة توفير الاستقلالية في تسيير المركبات الرياضية /توفير ميزانية خاصة بتسيير المركبات .

- إعادة النظر في منشآت المركبات وترميمها مع تجديد اعتمادها الرياضي /إعادة النظر في تكوين وتأهيل القادة.

- وضع برامج خاصة بالإدارة ومراقبتها.

- استخدام الوسائل العملية في البرمجة كالإعلام الآلي بدلا من الأرشيف.

- برمجة ندوات وملتقيات علمية دولية خاصة بمجال التسيير الإداري الرياضي وذلك لتوعية الطلبة بأهمية هذا المجال .

- القيام بأبحاث ومعالجة مواضيع خاصة بالإدارة الرياضية من اجل إبراز دور



الإدارة.

#### 6- مدى الاستفادة من الدراسات السابقة:

من خلال عرضنا لمختلف الدراسات السابقة وجدنا أن معظم الدراسات تناولت التسيير الإداري من عدة جوانب:

- فالدراسة الأولى تناولت القيادة الإدارية للمنشآت الرياضية وركزت على الأنماط القيادية والدراسة الثانية تناولت إحدى الوظائف الإدارية وهي وظيفة التوجيه في إدارة المنشآت الرياضية والدراسة الثالثة تناولت التسيير الإداري بإدارة الجودة الشاملة في الإدارة الرياضية والدراسة الرابعة والدراسة السادسة تناولتا التسيير الإداري من ناحية وجود الكفاءات المتخصصة وفاعليته في نجاح تسيير النوادي والمنشآت الرياضية والدراسة الخامسة تناولت عوامل التنظيم والتسيير والتمويل ومساهمته في حل أزمة كرة القدم الجزائرية .

وتتميز دراستنا عن بقية هذه الدراسات بأنها تناولت القيادة الإدارية ودورها في نجاح وظيفتي التخطيط والتنظيم داخل الأندية الرياضية فهي جاءت مكملة لبعض الدراسات و نقطة بداية لدراسات أخرى .

الطرق المنهجية للبحث

#### 7- المنهج المستخدم:

تستدعي دراستنا هذه استعمال المنهج الوصفي و الذي يهدف إلى وصف الظاهرة المتعامل معها وصفا مفصلا من خلال جمع بيانات دقيقة و كافية و التحقق من صحتها وكشف الجوانب التي تحكمها (- محمد السيد عبد الرحمان، 2004، ص 421).

فالمنهج الوصفي يهدف إلى جمع بيانات دقيقة عن الظاهرة التي نحن بصدد دراستها، في ظروفها الراهنة، ويحاول أحيانا تحديد العلاقات بين هذه الظاهرة والظواهر التي يبدو أنها في طريقها للتطور أو النمو ووضع تنبؤات عنها.

#### 8- عينة البحث وكيفية اختيارها:

إن اختيار العينة المناسبة للبحث من العناصر الأساسية والمهمة في بداية العمل الميداني، فالعينة هي أحد التقنيات المساعدة على جمع المعلومات من مجتمع الدراسة حيث يلجأ الباحث إليها عند استحالة أو صعوبة المسح الشامل للمجتمع الأصلي للدراسة، كما يجب أن تحتوي العينة المختارة على مجموعة الشروط الموضوعية للعينة الممثلة لمجتمع البحث، حتى يتمكن الباحث من تعميم النتائج المتحصل عليها من خلال العينة على مجتمع الدراسة كله.

وانطلاقا من موضوع البحث تتكون عينة الدراسة من رؤساء الأندية لكرة القدم

الجزائرية القسم الجهوي شرق. و كذا الأعضاء الموجودين على مستوى النوادي الرياضية لكرة القدم الجزائرية القسم الجهوي شرق، وتم اختيار العينة وفق الطريقة العلمية المدروسة و ذلك بأخذ نسبة 15% من المجتمع الأصلي للدراسة، و المجتمع الأصلي في دراستنا هذه هو جميع فرق القسم الجهوي شرق لكرة القدم و المتمثلة في ستة عشرة فريق و تم اختيار بحساب نسبة 15% من مجموع الفرق، إذن يجب اخذ 03 فرق، و اخترنا كل من فريق: مولودية شباب مسيلة و الاتحاد الرياضي لبلدية برهوم، و النجم الرياضي لبلدية أولاد دراج، أي 15 عضوا من أعضاء الأندية.

#### 9- مجالات البحث:

- **المجال المكاني:** تم توزيع الاستبيان على مستوى الأندية الرياضية لكرة القدم القسم الجهوي الشرقي المتمثلة في : مولودية شباب مسيلة و الاتحاد الرياضي لبلدية برهوم، و النجم الرياضي لبلدية أولاد دراج.

- **المجال الزمني:** مدة البحث كانت خمسة 05 أشهر.

#### 10- أدوات الدراسة:

- **الجانب النظري للبحث :** اعتمدنا في بحثنا في شقه النظري على كتب متخصصة ، مذكرات رسائل وأطروحات أكاديمية ومجلات علمية وهذا كله باللغتين العربية و الأجنبية .

- **الجانب التطبيقي للبحث :** اعتمدنا على تقنية الاستبيان

#### - الاستبيان:

استعملنا الاستبيان كوسيلة للبحث لكونه تقنية شائعة الاستعمال ووسيلة علمية لجمع البيانات والمعلومات مباشرة من مصدرها الأصلي وقد استعملنا الإستبيان كأداة للبحث باعتبارها مناسبة لموضوع البحث، و استعملنا الأسلوب البسيط لطرح الأسئلة لكي يتسنى لعمال الأندية فهمها بسهولة ووضوح وتحتوي الاستمارة الخاصة بالعمال على 15 سؤال وتتمحور حول:

-المحور الاول : البيانات الشخصية وتتضمن أسئلة حول السن، الخبرة، المؤهل الدراسي.

- المحور الثاني: أسئلة خاصة بسمات القائد الإداري.

- المحور الثالث: أسئلة خاصة بأهمية التخطيط والتنظيم على مستوى الأندية الرياضية.

-المحور الرابع: أسئلة خاصة بدور القائد الإداري في نجاح عمليتي التخطيط والتنظيم على مستوى الأندية الرياضية.

#### 11- كيفية تفرغ الاستبيان:

بعد جمع كل الإستثمارات الخاصة بعمال الأندية قمنا بتوزيع وفرز الاستبيانات التي بلغ عددها 15 استبيان موجه لعمال الأندية وقد تمت هذه العملية لحساب عدد تكرارات الأجوبة الخاصة بكل سؤال وبعدها تم حساب النسب المئوية بإتباع الطريقة التالية (محمد حسن علاوي، 1988 ، ص 151).

- النسبة المئوية

- وباستخدام  $K^2$

## 12- تحليل ومناقشة النتائج

من خلال إجابات الأعضاء حول وضعية سياسة التخطيط داخل أندية الرياضية وجدنا أن أغلب أعضاء النوادي يرون أن سياسة التخطيط داخل النادي تعتمد على النتائج وهي غير منظمة وهي سياسة بعيدة عن التطلعات مع غياب الخطط بعيدة المدى كما يري القلة أنها سياسة جيدة ومتواصلة .

ومن خلال تحليلنا لإجابات الأعضاء نجد أن عملية التخطيط داخل الأندية الرياضية لا تتطبق على ما تناولناه في الخلفية النظرية، في مبادئ التخطيط حيث يجب أن يقوم التخطيط على أساس من الحقائق الصحيحة والتفكير الموضوعي لا الاعتماد على النتائج كما ذكره الأعضاء، كذلك يجب أن يقوم التخطيط على أساس عدد من الأساليب المتعددة بدلا من الاعتماد على أسلوب واحد، كما ذكر الأعضاء عن غياب الخطط طويلة المدى.

- هل عملية التخطيط داخل النادي تستجيب لتطلعاتكم الشخصية و المهنية ؟

**الجدول رقم 1:** يوضح إجابات الأعضاء حول مدى استجابة التخطيط لتطلعاتهم.

الإجابات	التكرارات	النسبة %	كا <sup>2</sup> المحسوبة	كا <sup>2</sup> الجدولة	درجة الحرية	مستوى الدلالة	الدلالة
نعم	05	%33.33	1.66	3.84	01	0.05	غير دال
لا	10	%66.66					
المجموع	15	%100					

### تحليل ومناقشة النتائج:

تبين لنا من خلال الجدول أن نسبة %66.66 من أعضاء النوادي يرون بأن التخطيط لا يستجيب لتطلعاتهم الشخصية والمهنية و%33.33 يرون عكس ذلك.

من خلال المعالجة الإحصائية للاستبيان عن طريق حساب كا<sup>2</sup>و المبينة في الجدول

أعلاه نجد إن قيمة كا<sup>2</sup> المحسوبة تساوي 1.66 وهي اصغر من قيمة كا<sup>2</sup> الجدولة 3.84 عند درجة الحرية 01 ومستوى الدلالة 0.05 إذن لا توجد هناك دلالة إحصائية

ومن خلال تحليل إجابات الأعضاء تبين لنا أن التخطيط داخل الأندية الرياضية لا يستجيب لتطلعاتهم الشخصية والمهنية ومنه نستنتج أن التخطيط داخل الأندية الرياضية يكاد ينعدم .

- هل يمكن للتخطيط إحداث تغييرات في مهاراتكم الإدارية؟

**الجدول رقم 2: يوضح إجابات الأعضاء حول طبيعة التخطيط .**

الإجابات	التكرارات	النسبة %	كا <sup>2</sup> المحسوبة	كا <sup>2</sup> الجدولة	درجة الحرية	مستوى الدلالة	الدلالة
بدرجة كبيرة	11	73.33%	10.76	5.99	02	0.05	دال
بدرجة متوسطة	04	26.66%					
بدرجة ضعيفة	00	00%					
المجموع	15	100%					

#### تحليل ومناقشة النتائج:

تبين لنا من خلال الجدول أن نسبة 73.33% من أعضاء النوادي يرون أن عملية التخطيط تحدث تغييرات على مهاراتهم الإدارية بدرجة كبيرة، ونسبة 26.66% بدرجة متوسطة.

ومن خلال المعالجة الإحصائية للاستبيان عن طريق حساب كا<sup>2</sup> والمبينة في الجدول أعلاه نجد أن قيمة كا<sup>2</sup> المحسوبة تساوي 10.76 وهي أكبر من قيمة كا<sup>2</sup> الجدولة 5.99 عند درجة الحرية 02 ومستوى الدلالة 0.05 إذن هناك دلالة إحصائية.

ونستنتج من خلال النسبة الكبيرة والممتلئة بـ 73.33% بأن عملية التخطيط تحدث تغيير في المهارات الإدارية لمختلف المصالح الموجودة في النادي، وهذا ما يؤكد الدراسات العلمية التي تقوم بتحديد دقيق لأهداف التخطيط حيث يرمي إلى تحديد الأهداف والنتائج التي يسعى لتحقيقها في الفترة المخطط لها، وتقدير المواد المطلوبة لتحقيق الأهداف المطلوبة.

- هل ترى بأن القائد ملزم بإنجاح عملية التخطيط داخل النادي لوحده ؟

**الجدول رقم 3: يوضح إجابات الأعضاء حول دور الأعضاء في عملية التخطيط.**

الإجابات	التكرارات	النسبة %	كا <sup>2</sup> المحسوبة	كا <sup>2</sup> الجدولة	درجة الحرية	مستوى الدلالة	الدلالة
----------	-----------	----------	--------------------------	-------------------------	-------------	---------------	---------

دال	0.05	01	3.84	08.06	%13.33	02	نعم
					%86.66	13	لا
					%100	15	المجموع

#### تحليل ومناقشة النتائج:

تبين لنا من خلال الجدول أن نسبة 86.66% من أعضاء النوادي يرون أن القائد ليس ملزماً بإنجاح عملية التخطيط داخل النادي لوحده و13.33% ترى عكس ذلك.

ومن خلال المعالجة الإحصائية للإستبيان عن طريق حساب كا<sup>2</sup> والمبين في الجدول أعلاه نجد أن قيمة كا<sup>2</sup> المحسوبة تساوي 08.06 وهي أكبر من قيمة كا<sup>2</sup> الجدولة 3.84 عند درجة الحرية 01 ومستوى الدلالة 0.05 إذن هناك دلالة إحصائية

نستنتج من خلال النسبة الكبيرة والممثلة بـ 86.33% بأن القائد الإداري ليس ملزماً بإنجاح عملية التخطيط داخل النادي لوحده، وهذا ما يؤكد الدراسات العلمية التي تناولناها في الجانب النظري في أنماط السلوك القيادي من خلال نموذج "بيكري" في النسق الثالث وهو "تنسيق المشاركة الكلية" حيث يشجع أتباع المرؤوسين على المشاركة الفعلية في عملية التخطيط، وكذلك يؤكد أن طبيعة سلوك القائد داخل النادي تمتاز باللامركزية.

- هل عملية التنظيم داخل النادي تستجيب لتطلعاتك الشخصية والمهنية ؟

الجدول رقم 4: مدى استجابة التنظيم لتطلعات أعضاء الأندية.

الإجابات	التكرارات	النسبة %	كا <sup>2</sup> المحسوبة	كا <sup>2</sup> الجدولة	درجة الحرية	مستوى الدلالة	الدلالة
نعم	02	%13.33	08.06	3.84	01	0.05	دال
لا	13	%86.66					
المجموع	15	%100					

#### تحليل ومناقشة النتائج:

تبين لنا من خلال الجدول أن نسبة 86.66% من أعضاء النوادي لا يستجيب للتنظيم داخل النادي لتطلعاتهم الشخصية و المهنية، ونسبة 13.33% فقط ترى عكس ذلك.

ومن خلال المعالجة الإحصائية للإستبيان عن طريق حساب كا<sup>2</sup> والمبين في الجدول أعلاه نجد أن قيمة كا<sup>2</sup> المحسوبة تساوي 8.06 وهي أكبر من قيمة كا<sup>2</sup>

المجدولة 3.84 عند درجة الحرية 01 ومستوى الدلالة 0.05 إذن هناك دلالة إحصائية

ونستنتج من خلال النسبة الكبيرة والممثلة ب 86.66% من أعضاء النوادي لا يستجيب التنظيم داخل النادي لتطلعاتهم الشخصية والمهنية، أن التنظيم المسطر للأندية لا يتم العمل به .

- هل يمكن للتنظيم إحداث تغييرات في مهاراتهم الإدارية؟

الجدول رقم 5: يوضح إجابات الأعضاء حول طبيعة التنظيم الموجود.

الإجابات	التكرارات	النسبة %	كا <sup>2</sup> المحسوبة	كا <sup>2</sup> المجدولة	درجة الحرية	مستوى الدلالة	الدلالة
بدرجة كبيرة	10	66.66%	08.10	5.99	02	0.05	دال
بدرجة متوسطة	04	26.66%					
بدرجة ضعيفة	01	06.66%					
المجموع	15	100%					

#### تحليل ومناقشة النتائج:

تبين لنا من خلال الجدول أن نسبة 66.66% من أعضاء النوادي يرون أن عملية التنظيم تحدث تغييرات على مهاراتهم الإدارية، ونسبة 26.66% تكون بدرجة متوسطة ونسبة 06.66% بدرجة ضعيفة.

ومن خلال المعالجة الإحصائية للاستبيان عن طريق حساب كا<sup>2</sup> والمبينة في الجدول أعلاه نجد أن قيمة كا<sup>2</sup> المحسوبة تساوي 08.10 وهي أكبر من قيمة كا<sup>2</sup> المجدولة 5.99 عند درجة الحرية 02 ومستوى الدلالة 0.05 إذن هناك دلالة إحصائية

ونستنتج من خلال النسبة الكبيرة والممثلة ب 66.66% بأن عملية التنظيم تحدث تغيير في المهارات الإدارية لمختلف مصالح النادي وهذا ما يزيد تأكيد النظريات الرامية بالأهمية البالغة للتنظيم في تحديد المسؤولية والسلطة والعلاقة بين الأشخاص في الجهد الجماعي بقصد تحقيق أهداف محددة وذلك بتصميم الهيكل الوظيفي والجمع بين المناصب الإدارية وبين الأشخاص الملائمين بها، حيث أن التنظيم يقسم العمل بين العاملين.

- كيف ترون عملية التنظيم المعمول بها على مستوى الأندية الرياضية لكرة القدم

؟

**الجدول رقم 6 : يوضح إجابات أعضاء النوادي الرياضية حول التنظيم المعمول به.**

الإجابات	التكرارات	النسبة %	كا <sup>2</sup> المحسوبة	كا <sup>2</sup> المجدولة	درجة الحرية	مستوى الدلالة	الدلالة
ملائمة	00	%00	15	3.84	01	0.05	دال
غير ملائمة	15	%100					
المجموع	15	%100					

**تحليل ومناقشة النتائج:**

تبين لنا من خلال تحليل نتائج الجدول أن نسبة 100% من الأعضاء يقرون أن عملية التنظيم المعمول بها على مستوى الأندية الرياضية لكرة القدم غير ملائمة.

ومن خلال المعالجة الإحصائية للاستبيان عن طريق حساب كا<sup>2</sup> والمبينة في الجدول أعلاه نجد أن قيمة كا<sup>2</sup> المحسوبة تساوي 15 وهي أكبر من قيمة كا<sup>2</sup> المجدولة 3.84 عند درجة الحرية 01 ومستوى الدلالة 0.05 إذن هناك دلالة إحصائية.

ومنه نستنتج أن مختلف الأندية الرياضية لكرة القدم تكون بها عملية التنظيم غير ملائمة، وذلك ما يؤدي إلى خلل على مستوى فروع النادي ويعود بالسلب على العملية الإدارية.

**السؤال السابع عشر:** في رأيكم إلى أي مدى يمكن للقيادة الإدارية أن يكون لها دور في نجاح عملية التنظيم؟

**الغرض منه:** معرفة آراء أعضاء النوادي حول القائد الكفاء الذي يلم جميع عناصر العملية الإدارية.

**تحليل ومناقشة النتائج:**

من خلال مختلف إجابات أعضاء النوادي حول مدى مساهمة القيادة الإدارية في نجاح عملية التنظيم، يمكن أن نلخص آراءهم فيما يلي:

- القيادة ليست كافية لوحدها إلا من خلال تضافر جهود المجموعة.
- للقيادة الرشيدة الدور الأساسي والكبير في نجاح عملية التنظيم.
- للقيادة دور فعال من خلال القيادة السليمة والصحيحة.

لكي يكون القائد ناجح في تسيير إدارته وذلك حسب آراء الأعضاء يجب أن يكون ملماً بمهام جميع الفروع ومدى فعاليتها على المستوى الميداني، ومنه يتأكد ما ذكرناه في الجانب النظري من خلال نظرية المدخل الوظيفي التي تبين الأهداف الوظيفية للقائد، حيث نجد أهداف التنظيم و فيها أن مهمة القائد الرئيسية هي تحقيق أهداف التنظيم من خلال وضع السياسات العامة و القيام بالتوجيه والتأثير في سلوك الآخرين،

وتوزيع الأدوار والاختصاصات المختلفة حسب الكفاءات المطلوبة في كافة أجزاء التنظيم الهيكلي.

حيث يجب أن يكون هناك مشرفين أو مستشارين متخصصين يلجأ إليهم القائد الإداري لتحديد الطرق العلمية الكفيلة لأحداث ديناميكية فعالة على مستوى الإدارة.

#### مقابلة النتائج بالفرضيات :

##### الفرضية الأولى:

تنص على أن " للقيادة الإدارية للأندية الرياضية لكرة القدم القسم الجهوي الشرقي دور في نجاح عملية التخطيط ".

فمن خلال الدراسة النظرية التي قمنا بها و التي حددنا فيها مختلف النظريات المتعلقة بالقيادة الإدارية وبعملية التخطيط وكذا الدراسة الميدانية، وذلك بتحليل ومناقشة نتائج الاستبيان الخاص بأعضاء النوادي الرياضية وبعد تحليل النتائج وجدنا أن القيادة الإدارية لها دور في نجاح عملية التخطيط وهذا ما أكدته مختلف النظريات والدراسات المتخصصة وآراء المتخصصين في علم الإدارة حيث يرى إبراهيم محمود عبد المقصود أن القيادة: "تختص بالتأثير الفعال على نشاط الجماعة وتوجيههم نحو الهدف والسعي لبلوغ هذا الهدف".

وكذلك جاءت مدعمة للدراسة التي قام بها الطالب "بورازمة رايح" حول " مدى انعكاس القيادة الإدارية للمنشآت الرياضي"، و كانت نتيجة الدراسة أن القائد الإداري له دور اجتماعي رئيسي يقوم به أثناء تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة (الأتباع) ويتسم هذا الدور بأن يكون له القدرة على التأثير في الآخرين وتوجيه سلوكهم في سبيل بلوغ هدف الجماعة. و منه نكون قد حققنا فرضيتنا الأولى.

##### الفرضية الثانية:

والتي تنص على أن " للقيادة الإدارية للأندية الرياضية لكرة القدم القسم الجهوي الشرقي دور في نجاح عملية التنظيم ".

فمن خلال الدراسة النظرية التي قمنا بها والتي حددنا فيها مختلف النظريات المتعلقة بالقيادة الإدارية وبعملية التنظيم، وكذا الدراسة الميدانية وذلك بتحليل ومناقشة نتائج الاستبيان الخاص بأعضاء النوادي وبعد تحليل النتائج وجدنا أن القيادة الإدارية لها دور في نجاح عملية التنظيم، وذلك بالتعاون بين الأفراد، وهذا ما أكدته مختلف النظريات و الدراسات المتخصصة وآراء المتخصصين في علم الإدارة حيث يرى "اندرودوبرين" أن القيادة تتضمن (مصطفى حسين باهي، 2001، ص 03).

-القدرة التي توحى بالثقة والمساندة بين الأفراد من اجل تحقيق أهداف منظمة .

-القدرة على بث الثقة والتأييد في نفوس الأفراد المطلوب منهم إنجاز أهداف منظمة



-التأثير الشخصي المنظم والموجه من خلال عملية الاتصال من اجل تحقيق هدف معين.

- هي القوة الفعالة وتنظيم الجماعة أثناء عملية تحقيق الهدف.

وأصبح مقدار النجاح الذي تحققه أية منظمة يتوقف إلى حد بعيد على قدرة و كفاءة قيادتها على التنظيم، و منه نكون قد حققنا فرضيتنا الثانية .

### الخاتمة

الميدان الرياضي هو احد الميادين التي أصبحت الدول العظمى توليه أهمية كبرى لتحقيق استقرارها، ولعله من المنطقي أن تعلن أهداف الدول من خلال رياضة البطولة والتربية البدنية والرياضة للهواة، والرياضة للجميع حتى يمكن أن توضح هذه الإستراتيجية نعمل جميعا على تحقيقها . وهنا نستطيع أن نقول أن تدخل الإدارة الرياضية الحديثة تعتمد أساسا في تفسيرها على التخطيط والتنظيم وهما عنصران أساسيان التي تنطلق منها الإدارة الرياضية الحديثة، إذ أنها تبدأ من فلسفة الدولة وفكرها واتجاه الرياضة وتحديد إستراتيجيتها على المجالات الزمنية المختلفة والتي ترتبط من خلالها النواحي الفنية المراد تحقيقها، وبرامج التمويل المالي وكيفية تسييرها، والكوادر الفنية المتخصصة وطرق العثور عليها وتأهيلها وتدريبها وتنميتها . ويتطلب ذلك أيضا العمل في التنظيم الذي يتطلب هيا تنظيمية مناه من ناحية الحجم والمحتوى والتأهيل والسياسات والاختصاصات والسلطات، بما يتماشى مع تحقيق الأهداف الموضوعية.

ولعل التنظيم في حد ذاته يحتاج إلى دعومات وتشريعات وقوانين تنظم حدود المسؤولية والسلطة حتى يمكن من خلال المشروع ضمان استمرارية الإدارة الرياضية في تحقيق ما تسعى إليه من تحقيق الأهداف المنشودة ويتطلب هذا الفكر مساندة إعلامية ووسائل تحقيقها وارتباط ذلك بجدول زمني بأهداف مرحلية.

أي أن الإدارة الرياضية الفاعلة هي المحور الأساسي من خلال النجاحات المرحلية ، والتي تكون هي الوسيلة لتقويم مدى نجاحها أو إخفاقها وليس بطريق الإدارة بالفعل ورد الفعل الذي هو الأساس الذي تتم عليه عمليات التقويم والتغيير في الوقت الحاضر، والذي يتعارض مع أي أساس علمي لعمليات التقويم ويهدم أسس بناء أي عمل تخطيطي.

وخلال دراستنا لهذا الموضوع تبين لنا جلليا دور القيادة الإدارية في تجسيد وتفسير وتطبيق الأهداف والسياسات واستراتيجيات الأندية الرياضية إلى جانب الدور الحيوي الفعال الذي تلعبه في القيام بكافة عناصر العملية الإدارية كعملية التخطيط والتنظيم.

### الاقتراحات والتوصيات :

ومن خلال دراستنا لواقع النوادي الرياضية عن قرب يمكن أن نخرج بجملة من

التوصيات والاقتراحات على ضوء النتائج المتوصل إليها:

- لنجاح القيادة الإدارية في تحقيق الأهداف المنشودة، يجب توفر على مستوى كل مصلحة شخص متخصص ذو كفاءة عالية في الميدان، للعمل جنباً إلى جنب مع القيادة الإدارية.
- لنجاح عملية التخطيط والتنظيم على مستوى الأندية الرياضية لكرة القدم يجب تطبيق نظام احترافي يساير الدول المتقدمة.
- لنجاح عملية التخطيط والتنظيم يجب توفير جميع الإمكانيات البشرية و المادية معا وضبطها وفق معايير دولية تكون مسايرة للتطور المشهود.
- لنجاح عملية التخطيط والتنظيم على مستوى الأندية الرياضية يجب أن يكون هناك قادة ذو كفاءة وخبرة كافية لتسيير الأندية وفق طرق علمية.

### قائمة المراجع

#### أولا: المراجع باللغة العربية:

أ- الكتب:

- 1- إبراهيم محمود عبد المقصود، حسن احمد الشافعي، الموسوعة العلمية للإدارة الرياضية، التخطيط في المجال الرياضي، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، ط1، 2003.
- 2- إبراهيم محمود عبد المقصود، احمد الشافعي : القيادة الإدارية في التربية البدنية والرياضية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر الإسكندرية ، مصر ط.2003، 1
- 3- إبراهيم محمود عبد المقصود ،حسن احمد الشافعي، القيادة الإدارية في التربية البدنية ، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، ط2003، 1.
- 4- إبراهيم عبد المقصود، حسن الشافعي، الموسوعة العلمية للإدارة الرياضية، الإدارة في المجال الرياضي، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2002.
- 5 - أحمد صقر عاشور، إدارة القوة العاملة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، بدون طبعة، وبدون سنة.
- 6- احمد محمد المصري، التخطيط والمراقبة الإدارية ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، بدون طبعة ، 2004.
- 7- العيساوي عبد الرحمن، سيكولوجية الإدارة، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، بدون طبعة ، بدون سنة.
- 8- حامد عبد السلام الزهران، الإدارة علم النفس الاجتماعي، عالم الكتاب، القاهرة ، مصر، ط5، 1984.

- 9- حسن شلتون ، حسن معوض، التنظيم والإدارة في التربية البدنية، دار الكتاب الحديث ، القاهرة، ط1، 1976.
- 10- طلحة حسام الدين، عدلة عيسى مطر، مقدمة في الإدارة الرياضية، مركز الكتاب للنشر، مصر، بدون طبعة، 1997.
- 11- محمد البياع، القيادة الإدارية في ضوء المنهج العلمي والممارسة، الدار العربية للطباعة، بغداد، العراق، ط1، 1985.
- 12- محمد السيد أبو نبيل، علم النفس الصناعي، بحوث عربية وعالمية، دار النهضة .
- 13- محمد السيد عبد الرحمان، علم النفس الاجتماعي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2004.
- 14- محمد حسن علاوي ، نصر الدين رضوان، القياس في التربية الرياضية ، دار الفكر العربي ، القاهرة، مصر، ط2 ، 1988 .
- 15- محمد رفيق الطيب، مدخل التسيير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- 16- عباس محمد عوض، علم النفس العام ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر، ط1، 1999.
- 17 - عبد الحميد مرسى، السلوك الإنساني في العمل، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، 1974.
- 18- عبد الكريم درويش، ليلا تكلا، أصول الإدارة العامة، مكتبة الانجلو المصرية ، الإسكندرية، بدون طبعة ، 1972.
- 19- عبد العزيز صالح بن حبتور، أصول ومبادئ الإدارة العامة ، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة، عمان، الأردن ، بدون طبعة ، 2000.
- 20- على السلمي، الإدارة المعاصرة، مكتبة غريب، مصر، بدون طبعة، بدون سنة.
- 21- علي الشريف عبد الغفار حنفي، وآخرون، التنظيم والإدارة ،الدار الجامعية ، بيروت ، لبنان ، بدون طبعة ، 1998 .
- 22- عمار بحوش، الاتجاهات الحديثة في علم الإدارة ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، بدون طبعة، 1984.
- 23- عصام الدين محمد بدوي، كمال أميري، التطور العلمي لمفهوم الرياضة ، عمان، بدون طبعة، 1992.
- 24- عصام بدوي، استثمار الوقت في إدارة الهيئات الرياضية، مطبعة النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط1، بدون سنة.
- 25- عصام بدوي، موسوعة التنظيم والإدارة في التربية البدنية والرياضية ، دار الفكر العربي ، مصر ط 1، 2001.
- 26- فائق حسني أبو حليلة، الحديث في الإدارة الرياضية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن ، ط1، 2004.
- 27- سعيد محمد المصري، التنظيم والإدارة، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002.

**ب- الوثائق الحكومية:**

- 1- تعليمة وزارية مشتركة رقم 002 ، مؤرخة في 23 أكتوبر 2001، تتعلق بكيفيات تطبيق أحكام المادة 17 من قانون المالية التكميلي لسنة 2001.
- 2- مرسوم وزاري مؤرخ في 20 ديسمبر 2002 (وزارة الشبيبة و الرياضة).
- 3- قانون ما بين الوزارات، والمؤرخ في 1980/03/25، الذي يحدد توزيع مداخل المناسبات الرياضية.
- 4 - وزارة الشباب والرياضة: قانون رقم 10.04 يتعلق بالتربية البدنية والرياضية، المطبعة الرسمية البساتين، بئر مراد رايس، الجزائر، سنة 2004 .

**ج- القواميس:**

- 1- علي بن هادية، بلحسن البشش وآخرون، القاموس المدرسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بدون طبعة ، بدون سنة.
- 2- فريدريك معتوق: معجم العلوم الاجتماعية، أكاديمية، ط1، 1993.
- 3- فؤاد اقرام البستاني، منجد الطلاب، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط24 1975.

**ثانيا المراجع باللغة الأجنبية :**

**الكتب:**

- 1- A.R. Tyagi, Public Administration – Principles and Practices, Delhi Atma Ram & Sons (6<sup>th</sup> ed.) 1992.
- 2-Harold Koontz and Cyril O'Donnell , Principles of management : an analysis of managerial functions, Hill Book New York 1964.
- 3- Ordway Tead, The art of leadership, McGraw-Hill Book Company, New York, 1935.
- 4- Pfiffner John M. and Robert Presthus, Public Administration ; Ed . New York, Ronald Press Company, 1967.

## Gouvernance internationale

### Résumé

Cet article a pour objectif de proposer une étude sur le concept de gouvernance internationale. Ce dernier fait partie de nouveaux paradigmes utilisés en politique internationale dans le cadre de la mondialisation des droits de l'homme et de la démocratie. Dans un premier temps, nous étudions le terme de gouvernance et ses nuances avec le terme de gouvernement. Dans un deuxième temps, nous nous penchons sur l'usage du concept de gouvernance internationale. Enfin, dans un troisième temps, nous évoquons la question de savoir comment concevoir une bonne gouvernance internationale.

**Riadh BOURICHE**

Faculté des Sciences Politiques  
Université Constantine 3  
(Algérie)

### Introduction

Le mot de gouvernance est utilisé tant sur le plan national qu'international. Ce mot ne fait que remplacer celui de gouvernement même si son sens est légèrement différent. Pourtant ce terme possède des significations bien définies, mais appliquées à divers domaines tels qu'à la gestion des entreprises, à la gestion des villes et des territoires, à la gestion des collectivités locales, à la réforme des politiques des Etats, à la gouvernance des intégrations comme la gouvernance européenne qui est synonyme du mode de gouvernement post-étatique de l'Union européenne, ou encore à la gouvernance internationale, c'est-à-dire au fonctionnement d'un système international en quête de procédures nouvelles.

Au constat de toutes ces significations modifiant l'art de mener les organisations, les sociétés, les Etats et le monde, une question primordiale que l'on peut se poser est celle de savoir si la gouvernance est une simple méthode ou technique nouvelle de management des sociétés, ou bien le nom d'un régime politique en gestation proche de celui d'une après-démocratie qui s'annoncerait dans les pays sur le plan international dans le but d'aboutir à une sorte de gouvernance internationale.

### ملخص

يهدف هذا المقال إلى دراسة مفهوم الحكم الراشد العالمي أو الرشادة العالمية. فهذا المفهوم يعتبر جزء من المفاهيم الجديدة المستخدمة في العلاقات الدولية و السياسة الدولية وخاصة المستعملة في سياق عولمة حقوق الإنسان والديمقراطية. في المرحلة الأولى من هذا المقال ندرس معاني و مبادئ الحكم الراشد والفروق بينه وبين مصطلح الحكومة. ثم في المرحلة الثانية نتطرق إلى استخدام مفهوم الحكم الراشد العالمي أو الرشادة العالمية. وأخيرا في المرحلة الثالثة نناقش مسألة كيفية تصميم وتحقيق وتكريس الرشادة العالمية.

L'objectif que nous poursuivons dans cet article est de faire le point sur la gouvernance internationale. L'ambition est de retracer l'itinéraire d'un concept qui prend de l'ampleur sans pour autant que l'on soit sûr d'avoir suffisamment cerné tous ses contours. L'apparition de cette notion, en particulier dans les travaux en sciences politiques, nous permet d'en donner une analyse qui n'a pas l'ambition d'être exhaustive, mais au moins représentative.

### **I Gouvernance et gouvernement : cadre conceptuel**

En tant que mot, la gouvernance ne date pas d'hier, puisque son usage dans diverses langues – dont bien sûr le français remonte à plusieurs siècles. Ce terme serait né en France au 12<sup>ème</sup> siècle, avec un sens très technique : la direction des bailliages, c'est-à-dire, la gestion d'une partie de territoires soumise à l'autorité du bailli qui fut un officier remplissant des fonctions judiciaires, militaires et financières au nom du roi. Les historiens anglais du moyen âge se réfèrent aussi à la gouvernance pour caractériser le mode d'organisation du pouvoir féodal<sup>(1)</sup>.

Ce mot, puisé dans le vocabulaire propre au secteur privé (corporate governance) dans les années soixante et soixante-dix et promu par la Banque Mondiale dès 1989 pour adapter les structures de l'Etat aux exigences du libéralisme économique, est hautement politique parce que, sous couvert de réorganiser les différents niveaux de responsabilité au sein de la société, il aboutit à exiger des réformes des Etats<sup>(2)</sup>.

Aujourd'hui, la gouvernance exprime tout de même quelque chose de réellement nouveau : des sociétés démocratiques, riches, urbaines, éduquées, en contact constant avec l'extérieur ne peuvent pas être gouvernées de la même manière que des sociétés traditionnelles. Ces sociétés dites sophistiquées appellent des modes de gouvernement et d'administration plus souples, plus égalitaires, régis par le dialogue, la négociation et le compromis<sup>(3)</sup>. Le terme de gouvernance incite à penser à la manière dont l'économie mondiale est gouvernée.

Mais tout comme d'autres termes de la « nouvelle langue », tels ceux de transparence ou de multiculturalisme, d'ingénierie politique et institutionnelle, de démocratie et droits de l'homme, ou de « sécurité », il a proprement envahi la façon d'exprimer la politique sinon de la penser depuis vingt ans à peine<sup>(4)</sup>.

Les études<sup>(5)</sup> existant sur le sujet tentent de répondre à la notion de « gouvernabilité » et consacrent l'essentiel de leurs approches à l'examen de la gouvernance sous plusieurs angles : l'économie, le développement, l'Etat, les politiques publiques et les relations internationales. Ces approches donnent un panorama très large des champs possibles d'application à l'idée de gouvernance.

C'est à partir du début des années quatre-vingt-dix que les travaux relatifs à la gouvernance ont véritablement commencé à émerger. L'ouvrage collectif intitulé « Gouvernabilité » publié en 1996 par le CURAPP tente de mettre en évidence l'évolution des méthodes de gestion notamment celles qui ont initié le passage « du gouvernement à la gouvernance »<sup>(6)</sup>.

En outre, Guy Hermet estime que même si la démocratie demeure sans discussion possible l'unique régime politique concevable, elle a ce défaut rédhibitoire de se

trouver soumise aux humeurs électorales versatiles. Il s'agit de mentionner que l'on est en présence de l'infatigable recherche du pluralisme limitée. La question qui se pose est si la gouvernance pourrait être le nom de l'après démocratie<sup>(7)</sup>.

En effet, depuis quelques années, la conception du néolibéralisme typique de la nouvelle droite anglo-saxonne doit composer avec une réapparition de la nouvelle gauche, rassemblée plus ou moins confortablement sous le slogan de la troisième voie (la Third way). Cette dernière décrit les divers éléments d'une idéologie en émergence cherchant à établir une position mitoyenne entre les deux alternatives dominantes du libéralisme radical et du socialisme démocratique. Or, l'on remarque que la diffusion internationale de l'idée de gouvernance est surtout faite à partir de ces récentes politiques d'innovation institutionnelle<sup>(8)</sup>.

On est en présence d'un passage de la « nouvelle droite » à la « troisième voie ». Il s'agit de repenser la gouvernance comme conception de la « troisième voie ». Il est clair que la gouvernance a commencé à constituer, à partir du milieu des années quatre-vingt-dix, le nouveau discours sur la nouvelle conception de l'Etat mis en avant par les tenants de la « third way », notamment dans les pays anglo-saxons. Il est légitime de remarquer que les partisans du libéralisme radical étaient originaires des pays anglo-saxons, et qu'aujourd'hui ceux qui défendent la troisième voie sont aussi issus des pays anglo-saxons. Peut-on en déduire que depuis les années quatre-vingt le monde subit l'idéologie anglo-saxonne<sup>(9)</sup> ?

En tout cas, c'est dans ce contexte que la gouvernance devient un concept de plus en plus utilisé dans le monde politique et académique. Quoique ce mot a une dimension dans ce qui touche à la réforme des Etats notamment dans les pays en voie de démocratisation.

Mais gouvernance n'est pas synonyme de gouvernement : le tableau ci-dessous illustre bien cela.

<b>Domaine</b>	<b>Gouvernement</b>	<b>Gouvernance</b>
Champ	Affaires publiques	Affaires collectives
Monde	Rareté	Abondance
Horizon	guerre	paix
Esprit	Vertical hiérarchique	Horizontal démocratique
Décisions	Ordre, instruction	Négociation, processus
Finalités	Maintien, unité	Créativité, diversité
Policier	Etat	Autorités indépendantes, Etat, ultime recours

**Source :** Philippe Moreau Defarges, La gouvernance, 2<sup>ème</sup> édition, Presses Universitaires de France (PUF), novembre 2006, p30.

Ce tableau montre qu'un même domaine n'est pas perçu de la même manière selon que l'on parle de gouvernance ou de gouvernement. Ainsi, pour le gouvernement, le champ se constitue de affaires publiques alors que pour la gouvernance il s'agit des affaires collectives. Concernant l'esprit, il est vertical et hiérarchique pour le gouvernement alors qu'il est horizontal et démocratique pour la gouvernance. Sur le

plan des décisions, c'est l'ordre et l'instruction qui vaut pour le gouvernement tandis que c'est la négociation et le processus qui prime pour la gouvernance.

En effet, la littérature politique très étendue réservée à la gouvernance se base précisément sur l'idée d'un lien global associant la démocratie et le développement économique.

Mais les procédés d'interventions, parfois externes, qui modifient les équilibres sociaux et redéfinissent les enjeux économiques et politiques, concourent à la reconfiguration des pouvoirs, voire même au « reparamétrage » du système politico-économique sur le plan international<sup>(10)</sup>. Il s'agit de poser ici la question qui est celle de l'origine et du sens de la « gouvernance internationale ».

## **II Gouvernance internationale : usage du concept**

Sur le plan international, le terme de gouvernance est un néologisme utile parce qu'il s'agit de réfléchir à la façon dont l'économie mondiale est gouvernée, et que le terme usuel de « gouvernement » porte une connotation de centralisation susceptible d'en affecter la compréhension. Gouvernance exprime le problème de base de l'organisation économique internationale : comment gouverner sans gouvernement<sup>(11)</sup>?

La gouvernance internationale fait donc partie de nouveaux paradigmes, ou de nouveaux termes utilisés en politique ou bien de nouvelles orientations dans la science politique dans le cadre de la mondialisation des droits de l'homme et de démocratie.

Autrement dit, c'est le temps de la mondialisation économique et de la globalisation de la démocratisation qui a produit quelques nouveaux concepts. En effet, derrière des mots nouveaux tels que la déréglementation, la privatisation, la régulation, la flexibilité, la transparence, l'information libre, la responsabilité et évidemment la gouvernance internationale qui n'apparaissent jamais par hasard s'exprime le besoin de formuler quelque chose d'inédit. La gouvernance internationale s'inscrit donc dans la constellation d'idées produites par cette mondialisation<sup>(12)</sup>.

C'est au cours de la décennie quatre-vingt que la notion de gouvernance intègre le champ des relations internationales par le biais du concept de gouvernance internationale ou gouvernance globale. La construction d'un système de gouvernance internationale permettrait de pallier l'incapacité des Etats-nations et des organisations internationales actuelles à faire face aux demandes de la société. Les institutions financières internationales utilisent alors le terme de « bonne gouvernance » pour définir les critères d'une bonne administration publique dans les pays qui ont été soumis à des programmes d'ajustement structurel. Ces institutions recommandent, à travers cette notion, des réformes institutionnelles nécessaires à la réussite de leurs programmes économiques. Mais, telle qu'elle est conçue par les institutions internationales, cette conception de la gouvernance rencontre de nombreuses oppositions car elle est basée sur une vision néo-libérale du développement.

Les structures de la politique internationale ont été ébranlées en profondeur d'une part par la fin de la guerre froide et d'autre part par le processus concomitant de mondialisation des échanges et des finances. L'effondrement du mur de Berlin et la désintégration de l'URSS ont ouvert la voie à l'hégémonie du marché capitaliste et ont



permis aux théories économiques libérales de triompher au niveau mondial. La libéralisation des échanges, la dérégulation des marchés monétaires et financiers, l'évolution des modes de production, les progrès des systèmes d'information et de communication, l'emprise croissante des entreprises transnationales ont, pour leur part, conduit à renforcer le processus d'intégration régionale au niveau mondial. Les mécanismes de coopération internationale et l'interdépendance des pays occidentaux ont connu un développement plus fort. Par contre, d'autres Etats se sont dans le même temps décomposés et ont été la proie de désordres politiques<sup>(13)</sup>

L'émergence d'une économie et d'une société mondialisées et la fin de la guerre froide remettent en cause d'une part la capacité des Etats-nations à faire face à ces bouleversements et d'autre part les institutions internationales héritées de l'après-guerre. Les gouvernements seraient désormais dans l'impossibilité de remplir leur mission du fait de la complexification des sociétés modernes, de l'apparition de sous-systèmes fragmentés, de l'incertitude liée à l'avenir, de la crise de la représentation politique, de la participation, de la légitimité des instances politiques et seraient dans l'obligation de s'intégrer davantage dans un ensemble plus vaste pour pouvoir répondre aux nouvelles préoccupations.

C'est en réponse à cette crise de la gouvernabilité au niveau supranational que se sont développés des travaux et des réflexions autour de la notion de gouvernance internationale. Ces travaux, émanant des instances internationales, ne traitent que de l'aspect technocratique, administratif de la gouvernance. Cette approche suscite de nombreuses critiques de la part de ceux qui ont une perception plus large de la gouvernance et souhaiteraient voir développer des réflexions sur les enjeux de pouvoir liés à l'émergence de mécanismes de régulation informelle et aux réformes des institutions internationales.

La notion de gouvernance internationale ou globale a suscité un grand nombre de travaux<sup>(14)</sup> qui s'inscrivent dans le prolongement des études sur les régimes et les institutions internationales. Ces travaux relèvent de deux catégories : soit une réflexion analytique sur le système international présent, soit une réflexion normative sur un système de gouvernance internationale qu'il conviendrait de construire.

Les travaux descriptifs mettent l'accent sur les pratiques développées hors Etat et hors organisations intergouvernementales, institutions qui ne sont pas les seuls supports et promoteurs de l'ordre mondial et de régimes de coopération. Ces travaux rendent compte de l'émergence de modes de régulation informels, des processus de négociation associant les Etats, les organisations intergouvernementales, les entreprises transnationales, les fondations privées, les groupes de pression nationaux ou encore les coalitions d'ONG. Ils mettent à jour ce que James Rosenau et Ernest Czempiel<sup>(15)</sup> ont appelé une « gouvernance sans gouvernement », c'est-à-dire une société internationale qui s'institutionnalise de plus en plus et a recours à d'innombrables mécanismes de régulation tout en étant dépourvu d'instance supranationale.

On peut noter que la question de la gouvernance internationale s'articule autour de trois axes :

1/ Le premier axe, « **Gouvernance, réseaux transgouvernementaux et gestion de la globalisation** »<sup>(16)</sup>, part du fait que la gouvernance internationale est utilisée notamment pour décrire les mécanismes de coopération transnationales et les réseaux d'intégration transnationale échappant au contrôle direct des Etats qui sont en cours de constitution. La gouvernance internationale, constituerait la réponse à apporter à la crise de la gouvernabilité que rencontre le système international. Cependant, la vie politique telle qu'elle est envisagée par la commission se résume à une gestion technocratique des affaires publiques.

2/ Le deuxième axe a pour thème « **Les institutions financières internationales et la bonne gouvernance** »<sup>(17)</sup>. Or, la problématique de la gouvernance internationale a été accaparée par des institutions internationales qui en ont fait un outil au service de l'idéologie néo-libérale. Pour éviter cela, il s'agit de mettre en place des mécanismes de régulation qui restaurent certaines entraves au libre fonctionnement du marché. La notion de gouvernance internationale devrait aussi permettre de réfléchir sur le rôle des acteurs non-étatiques dans les mécanismes de régulation politique mais aussi aux rapports d'autorité et de pouvoir.

3/ Le troisième axe, « **Gouvernance et sécurité** »<sup>(18)</sup> part du fait que les institutions internationales existantes devraient se réformer et que de nouvelles institutions devraient voir le jour pour gérer et prévenir les conflits, rétablir et maintenir la paix dans le monde, promouvoir et protéger les droits élémentaires ou, de manière plus concrète, assurer la stabilité économique et lutter contre les effets d'une spéculation effrénée.

Dans le cadre de la gouvernance internationale, il s'agit d'atteindre une gouvernance sans gouvernement pour rendre la société internationale plus institutionnalisée et plus régulée avec des instances supranationales efficaces. Il est évident qu'il s'agit de revoir la question de la réforme de l'ONU qui pourrait participer à une bonne gouvernance internationale ou mondiale. Dans ce sens, et selon A. Hasbi « la question de la réforme par exemple de l'ONU est devenue insistante avec la fin de la guerre froide »<sup>(19)</sup> même si la crise est devenue un mode normal de fonctionnement de l'ONU et que cette organisation, selon Yves-Marie Laulan, semble avoir « porté en elle les germes de sa propre impuissance »<sup>(20)</sup>.

La question de la réforme de cette institution par exemple comporte plusieurs positions : certains considèrent que les Nations Unies doivent devenir le système politique de la mondialisation libérale, un mélange d'institutions du type Banque Mondiale, FMI et OMC d'une part et une alliance militaire du type OTAN de l'autre ; d'autres, tenants du réformisme modéré, estiment que l'existence d'une régulation, même partielle et peu efficace, est déjà un objectif en soi ; enfin, les tenants d'une réforme radicale considèrent qu'il faut accepter les risques d'une remise en cause qui marque une rupture nécessaire compte tenu de la nature des enjeux sur le plan international<sup>(21)</sup>.

Selon Sébastien Daziano, pour que l'ONU prétende régir un nouvel ordre mondial, il lui faudra être démocratique dans ses représentants, rigoureuse dans sa gestion et solidaire dans son action<sup>(22)</sup>. Le même auteur considère que « l'ONU est l'un des lieux où s'organise la future structure de la gouvernance mondiale »<sup>(23)</sup>. Il semble nécessaire aujourd'hui, comme l'indique Pierre-Edouard Deldique, que l'ONU intègre des représentants de la société civile en son sein car si elle persiste à se fondre dans une structure étatique et qu'il n'y a pas d'écoute de la société civile et des populations, alors il y aura une crise de représentativité encore plus importante à terme car les Etats ne représentent plus nécessairement les intérêts des populations, même dans les pays dits démocratiques<sup>(24)</sup>. Pourquoi ne pas imaginer alors un rôle accru de la société civile avec la création d'un siège de membre non permanent par continent pour un représentant de la société civile qui devra alors s'organiser pour assurer sa représentativité<sup>(25)</sup> ?

### III- Comment concevoir une bonne gouvernance internationale

Il y a une hésitation plus profonde quant à la nature du processus d'intégration internationale en cours, aux questions à résoudre, et à la nature des solutions. L'un des obstacles qui empêchent de trouver une réponse satisfaisante aux problèmes posés est le manque de paradigmes opératoires à partir desquels réfléchir à des solutions concrètes. Quatre séries de phénomènes concourent à dessiner la toile de fond des questions de gouvernance internationale. Il s'agit de l'intensification de l'intégration internationale qui reste cependant très incomplète, de l'hétérogénéité persistante des préférences collectives, de la montée des problèmes globaux et de l'apparition d'une conscience civique planétaire<sup>(26)</sup>.

Le processus de l'intégration internationale a connu une accélération dans les années quatre-vingt à la suite de la conclusion des négociations de l'*Uruguay Round*, et avec la création de l'OMC, à la suite de l'émergence des asiatiques, des pays émergents de seconde génération, l'effondrement du bloc soviétique, et l'ouverture commerciale et financière de nombreux pays en développement. Tout cela explique que les termes de « globalisation » et d'internationalisation soient apparus dans les années quatre-vingt et se soient imposés au début des années quatre-vingt-dix pour caractériser une nouvelle phase de gouvernance internationale et de développement du capitalisme<sup>(27)</sup>.

Dans ce cadre, il s'agit d'évoquer la mondialisation qui est en danger notamment avec un bilan en demi-teinte de l'intégration internationale, le retour des différends internationaux et la montée des contestations. Pour cela, un réexamen des questions d'efficacité, d'équité et de responsabilité démocratique sur le plan international était nécessaire, avec la mise en évidence de principes pour une gouvernance internationale hybride. Ces principes tournent autour des questions de spécialisation, de responsabilité politique, d'équilibre, de transparence et démocratisation, de subsidiarité, de solidarité... En outre, il s'agit de formuler des propositions pour une gouvernance renouvelée, c'est-à-dire qu'il faut établir une instance politique légitime, rééquilibrer l'architecture institutionnelle, impliquer les sociétés civiles, intégrer les pays pauvres<sup>(28)</sup>.

Par ailleurs les institutions internationales énoncent deux conditions pour évoquer la mise en place d'une gouvernance internationale : l'instauration des Etats de droit qui garantissent la sécurité des citoyens et le respect des lois sur le plan international, la responsabilité et la transparence qui imposent aux dirigeants de rendre compte de leurs actions devant leurs populations. Ces conditions sont présentées comme un moyen de faire progresser davantage la démocratie et la transparence sur le plan international.

Ceci dit que cette conception repose sur le principe de séparation des pouvoirs dans des Etats de droit <sup>(29)</sup>:

- La « transparency », avec la liberté d'accès aux documents administratifs, prolongement de la liberté d'information, et la garantie d'une bonne justice administrative, tout comme la motivation des décisions ;
- l'« accountability », la responsabilité des décideurs, les contrôles sur l'administration, le contrôle des marchés publics, de la gestion des deniers publics, etc. ;
- l'« empowerment », qui correspond à l'idée d'administration consultative est à la nécessité de rapprocher les citoyens de la décision, qu'il s'agisse de démocratie locale, de micro-projets, du développement de la société civile, à travers les ONG, la liberté syndicale, une presse libre, l'exercice des libertés fondamentales, etc.

En effet, la construction d'un bon système de gouvernance internationale ou mondiale permettrait de pallier l'incapacité des Etats-nations et des organisations internationales actuelles à faire face aux demandes de la société et à atteindre la pacification des relations internationales.

Généralement, les institutions financières internationales utilisent le terme de bonne gouvernance pour définir les critères d'une bonne administration publique dans les pays soumis à des programmes d'ajustement structurel. Ces institutions recommandent, à travers cette notion, des réformes institutionnelles nécessaires à la réussite de leurs programmes économiques orthodoxes. Mais, telle qu'elle est conçue par ces institutions internationales, cette conception de la gouvernance rencontre de nombreuses oppositions car elle est basée sur une vision néo-libérale du développement. En outre, cette notion de bonne gouvernance est utilisée aujourd'hui par les Etats forts et puissants de ce monde tels que les Etats-Unis pour parler du processus de démocratisation des pays considérés comme « non-démocrates » parmi lesquelles des pays arabes et autres.

Autrement dit, on est en présence d'un certain type de gouvernance internationale qui veut imposer une seule vision économique néo-libérale et une « démocratisation forcée » sous prétexte d'améliorer la croissance économique et la gouvernance dans ces pays : l'on peut citer les cas de l'application des mêmes réformes libérales à tous les pays en développement en faisant un cataclysme sur le plan des résultats sociaux, et du grand désastre aujourd'hui en Irak... En effet, il est clair que cette vision de la gouvernance internationale existante aujourd'hui qui voudrait chapeauter la gouvernance nationale de ces pays, quels que soient les coûts, est appelée à changer et à s'améliorer.

C'est dans ce cadre que peut s'inscrire la question de la gouvernance internationale ou mondiale avec la mise en application des lois internationales fortes, justes et équitables qui pourraient orienter ce monde sans passer par les grandes puissances. Mais certaines puissances et certaines institutions internationales ont instrumenté la gouvernance internationale pour la mettre au service de l'idéologie néo-libérale. Il y a cependant de la place pour de nouvelles études sur la gouvernance qui posent le problème d'institutions internationales mieux adaptées aux évolutions du monde contemporain et à ses défis.

### **Conclusion**

Le concept de gouvernance internationale ou mondiale ou bien globale doit susciter un grand débat international qui s'inscrirait dans le prolongement des recherches sur les régimes et les institutions internationales. Il s'agit de développer, d'un côté, une réflexion analytique sur le système international présent et, d'un autre côté, une réflexion normative sur un système de gouvernance internationale ou mondiale qu'il conviendrait de construire.

En effet, on peut appréhender la gouvernance internationale ou mondiale comme un ensemble de principes qui participent à la définition de normes collectives. Ces principes s'appuient sur divers processus tels que la formation de consensus sur les objectifs à atteindre, la consultation entre gouvernements, l'adoption de législations communes, la définition de bonnes pratiques...

Les différentes études sur la gouvernance internationale mettent en évidence l'émergence de modes de régulation informels, ainsi que des processus de négociation associant les Etats, les organisations intergouvernementales, les entreprises transnationales, les fondations privées, la société civile et les ONG. Ces travaux laissent apparaître une société internationale qui s'institutionnalise de plus en plus et a recours à d'innombrables mécanismes de régulation tout en étant dépourvu d'instance supranationale.

Enfin, il est important de mettre à jour ce que l'on appelle une « gouvernance sans gouvernement », c'est-à-dire une société internationale qui devrait s'institutionnaliser avec plus d'outils de régulation, de justice et d'équité. La bonne gouvernance internationale doit constituer la réponse à apporter à la crise de la « gouvernabilité » que rencontre le système international.

### **Références bibliographiques**

1. Philippe Moreau Defarges, *La gouvernance*, 2ème édition, Presses Universitaires de France (PUF), novembre 2006, p5.
2. Pierre Calame, *La démocratie en miettes : pour une révolution de la gouvernance*, Descartes et Cies, paris, 2003, p13.
3. Ibid. pp.13-19.
4. Guy Hermet, Ali Kazancigil et Jean-François Prud'homme, *La gouvernance – Un concept et ses applications*, Editions Karthala, Paris, 2005, pp.5-9.

5. Cf. travaux sur la gouvernance du Centre Universitaire de Recherches Administratives et Politique de Picardie (CURAPP) et de la Revue Internationale des Sciences Sociales (RISS).
6. Ibid.
7. Guy Hermet, op.cit. pp.17-48.
8. Ibid. p84.
9. Ibid. pp.84-86.
10. Ibid. pp.182-200.
11. Pierre Jacquet, Jean Pisani-Ferry et Laurence Tubiana, Gouvernance mondiale, Rapport de synthèse, Conseil d'analyse économique, 2001, p.11.
12. Philippe Moreau Defarges, op.cit.pp5-6.
13. Ibid. pp.91-95.
14. Cf. Philippe Moreau Defarges, La gouvernance, 2003 ; Guy Hermet, Ali Kazancigil et Jean-François Prud'homme, La gouvernance – Un concept et ses applications, 2005 ; Pierre Calame, La démocratie en miettes : pour une révolution de la gouvernance, 2003 ; James Rosenau, Ernest Czempiel, Governance without Government, 1992 ; Jan Kooiman, Modern Governance, 1993 ; James March et Johan Olsen, 1995.
15. James Rosenau, Ernest Czempiel, Governance without Government : Order and Change in World Politics, Cambridge, Cambridge University Press, 1992.
16. Maria Celia Toro, Gouvernance, réseaux trans-gouvernementaux et gestion de la globalisation, in Guy Hermet, Ali Kazancigil et Jean-François Prud'homme, op.cit. pp.181-200.
17. Pierre Calame, op.cit. pp.13-33.
18. Monica Serrano, Gouvernance et sécurité en Amérique du Nord, in Guy Hermet, Ali Kazancigil et Jean-François Prud'homme, op.cit. pp.201-216.
19. Aziz Hasbi, ONU et ordre mondial : Réformer pour ne rien changer, L'Harmattan, Paris, 2005, p.13.
20. Yves-Marie Laulan, La faillite des « machins », Société d'édition Les Belles Lettres, Paris, 1996, p. 104.
21. Riadh Bouriche, Ordre international en crise et Réforme de l'Organisation des Nations Unies (ONU), in Revue Sciences Humaines, N°32, Université Constantine, décembre 2009, p.56.
22. Sébastien Daziano, Faut-il supprimer l'ONU ? Editions Ellipses, 2006, cité par Riadh Bouriche, op.cit. p.70.
23. Ibidem.
24. Pierre-Edouard Deldique, Fin de partie à l'ONU – Les réformes indispensables, Editions JC Lattès, 2005, 250 p. ; cité par Riadh Bouriche, op.cit. p.70.
25. Riadh Bouriche, op.cit. pp.70.
26. Pierre Jacquet, Jean Pisani-Ferry et Laurence Tubiana, op. cit. p.50.
27. Ibid. pp.50-51.
28. Ibid. pp.18-105.
29. Pierre Calame, op.cit. p14.

## La mobilité de la main d'œuvre dans la région euro-méditerranéenne

### Résumé

Cette étude traite de l'influence du partenariat euro-méditerranéen sur la migration ouvrière dans la région, et de l'impact de ces migrations sur le secteur économique des pays concernés.

Nous aborderons, à la fin, la politique migratoire euro-méditerranéenne du point de vue de chaque pays en évaluant le niveau de coordination.

**Hadjer REMACHE**

Faculté de Sciences Economiques  
et de Gestion, Université Constantine 2  
(Algérie)

### Introduction

Le bassin méditerranéen est l'une des premières régions du monde à avoir connu des programmes de migration de main d'œuvre. Après la deuxième guerre mondiale, alors qu'elle fait face à d'importantes pénuries de main d'œuvre, l'Europe dévastée doit se reconstruire. Un certain nombre de pays européens font donc appel à des travailleurs du pourtour méditerranéen. Ceux-ci venaient aussi bien de pays du sud de l'Europe que d'Afrique du Nord. Au milieu des années 1970, un terme fut mis à ces programmes. Dès lors la migration qui continua était essentiellement liée au regroupement familial.

Dans la deuxième moitié des années 1980, la migration de main d'œuvre reprit du Sud, mais également de l'Est, vers le Nord de la Méditerranée. Elle s'intensifia durant la décennie suivante puis fut mêlée à des migrations venant d'autres horizons. Le chômage, le sous-emploi, les écarts de revenus et les conflits amenaient les travailleurs d'Afrique du Nord à chercher du travail en Europe. Celle-ci, pour sa part, connaissait des pénuries de travailleurs dans certains secteurs désertés par les nationaux. Mais aussi, son offre interne de travailleurs hautement qualifiés ne suivait pas la demande

### ملخص

تهدف من خلال هذه الدراسة إلى توضيح مدى تأثير الشراكة الأورومتوسطية في مسألة هجرة العمالة في المنطقة، وذلك عن طريق تحليل مختلف أنواعها: هجرة الشباب، هجرة الأدمغة و الهجرة غير الشرعية. كما نبين أثر هذه الأنواع من الهجرة على القطاع الاقتصادي في البلدان المعنية. كما نستعرض بالتحليل السياسي الأورومتوسطية الخاصة بهجرة العمالة من وجهة نظر كل بلد مع تحليل مستوى الترابط بينها في الميدان.

dans certains secteurs. Les conditions du mouvement des travailleurs entre les deux rives étaient réunies. Ce mouvement s'effectua dans des situations régulières, mais aussi irrégulières, selon les politiques et les conditions dans les pays d'origine et de destination.

Depuis l'an 1995, les pays concernés ont convenu d'un partenariat euro-méditerranéen (PEM) lancé à Barcelone. Ce qui a été une initiative intéressante, ambitieuse et audacieuse :

– *intéressante* par le fait de rassembler, à l'origine, les quinze pays membres de l'Union européenne (UE) et douze pays méditerranéens au sein d'une dynamique commune et partagée.

– *ambitieuse* car le partenariat se fixait des objectifs vastes, dans un contexte marqué par une grande diversité de situations tant au Nord qu'au Sud de la Méditerranée.

– *audacieuse* car le partenariat visait à aborder de front trois catégories de questions : les aspects politiques et de sécurité, économique-financier et socioculturel, dont, les migrations constituent l'un des sujets les plus sensibles, tant pour la vie économique des pays sud méditerranéen, que pour leurs relations avec l'union européenne. Mais, dans quelle mesure ce partenariat euro-méditerranéen a-t-il influencé la question de la migration ouvrière dans la région ?

Les données disponibles nous permettent d'envisager l'hypothèse selon laquelle le partenariat euro-méditerranéen en matière de migration des travailleurs est tributaire de la variété complexe des intérêts des pays partenaires.

Après un aperçu sur l'émigration sud-méditerranéenne de façon générale, nous proposons d'en examiner les trois principaux types, à savoir l'émigration des jeunes, l'exode des cerveaux et l'émigration illégale. Cette investigation sera complétée par la prise en compte des dimensions économiques et politiques de ce phénomène.

### **1. L'émigration sud-méditerranéenne**

La migration représente l'un des aspects les plus compliqués et les plus sensibles de la mondialisation actuelle. Il s'agit d'un phénomène inévitable irréversible qui devrait poursuivre sa croissance pendant au moins les 50 prochaines années. Il y a aujourd'hui dans le monde 215 millions d'émigrés internationaux – dont la moitié est composée des femmes, soit 3,1% de la population mondiale. On constate une augmentation de 40% du nombre d'émigrés par rapport à la décennie précédente (1). En 2009, les transferts monétaires mondiaux liés à la migration s'élevaient à 414 milliards US\$ avec plus de 75% transférés vers les pays en voie de développement. Les principales destinations de cette migration restent les pays les plus riches et les plus développés (OCDE, Amérique du Nord, pays du Golf, etc.) (2)

Les pays du Sud Euro-méditerranéen (S. E. M.) compteraient aujourd'hui 12,7 millions d'émigrés, définis comme des personnes nées dans un pays du SEM avec la nationalité de ce pays et résidents actuellement dans un autre pays, quelle que soit leur nationalité présente. Ces émigrés se répartissent entre 8,2 millions (64,7%) dans



l'union européenne, 2,7 millions (21,4%) dans les pays arabes (Golfe, Libye et autres pays du SEM) et 1,7 millions (13,7%) dans d'autres régions du monde (tableau 01).

Ces chiffres incluent les migrants résidant dans des pays qui établissent des statistiques migratoires, ainsi que des estimations des migrants non comptés dans ces statistiques : soit par ce qu'il s'agit de catégories difficiles à saisir (migrants temporaires et migrants irréguliers, principalement), soit parce qu'il s'agit de migrants dans des pays qui ne fournissent pas de statistiques de leur immigrés: les pays du Golfe (destination de nombreux migrants originaires d'Égypte et de Tunisie, notamment) ; les pays d'Afrique sub-saharienne (migrants originaires de Mauritanie, en particulier). (3)

Tableau 1 - Migrants originaires des pays SEM - Données les plus récentes en 2008 (stocks)

Région de résidence / Pays d'origine	Union Européenne		Pays arabes	Reste du monde	Total (Statistiques des pays d'origine)
	Statistiques des pays d'accueil	Statistiques des pays d'origine			
Algérie	811.826	1.118.674	72.887	23.491	1.215.052
Égypte	177.674	106.398	1.928.160	381.400	2.415.958
Israël	47.750	n.d.	n.d.		n.d.
Jordanie	20.531	n.d.	n.d.	n.d.	n.d.
Liban	145.807	157.030	123.966	325.604	606.600
Libye	28.096	n.d.	n.d.		n.d.
Mauritanie	12.314	20.000	24.000	206.000	250.000
Maroc	2.102.534	2.837.654	281.631	173.314	3.292.599
Palestine	4.195	n.d.	n.d.		n.d.
Syrie	100.137	n.d.	n.d.		n.d.
Tunisie	365.003	846.803	142.655	28.715	1.018.173
Turquie	2.525.558	3.106.958	131.494	590.926	3.829.378
Total SEM	6.341.425	8.193.517	2.704.793	1.729.450	12.627.760

n.d : non disponible

Source - *Migrations méditerranéenne*, Rapport 2008-2009, CARIM, Octobre 2009, p. 8.

La poursuite de l'émigration des pays du SEM s'explique, d'un côté, par l'existence de diasporas bien établies qui exercent un effet d'appel dans les pays d'origine, notamment par le canal du regroupement familial. Elle s'explique aussi par la persistance de forts différentiels – non seulement économiques, mais aussi politiques – entre le Nord et le Sud de la Méditerranée et par l'aspiration croissante des jeunes à la mobilité et à l'expérience migratoire. Dans ce qui suit, nous exposerons les types de migrations les plus importants dans la région euro-méditerranéenne, à savoir l'émigration des jeunes, la fuite des cerveaux et l'émigration clandestine.

## **2. L'émigration des jeunes**

Plusieurs enquêtes révèlent que la proportion de jeunes qui ont le désir ou l'intention d'émigrer est non seulement extrêmement élevée, mais aussi en croissance rapide dans les pays du SEM. En Palestine, une enquête menée en 2007 par le Bureau Central des Statistiques montre que le tiers des jeunes de 10-29 ans (45% des garçons et 18% des filles) pensent émigrer. Les raisons qu'ils donnent sont pour partie spécifiques à la Palestine (l'insécurité civile liée au conflit avec Israël), et, pour le reste, des raisons communes à tous les pays de la région : chômage, sous-emploi, inadéquation de l'offre d'emploi à la formation reçue, faible rétribution des compétences, absence de libertés et déficit de gouvernance. Les jeunes Palestiniens qui pensent émigrer envisagent désormais de partir dans un pays occidental (47%) plutôt que dans le Golfe (38%) où pourtant leurs réseaux sont plus denses. (4)

Les raisons pour lesquelles la jeunesse palestinienne aspire à l'émigration se retrouvent dans les autres pays du SEM, loin du conflit israélo-palestinien. En Algérie, une enquête déjà ancienne (2002), trouvait que 37% des jeunes de 15-29 ans avaient le désir d'émigrer (44% des jeunes hommes, 29% des jeunes femmes). (5) La Tunisie est le seul pays qui apporte sur la question des données collectées à différentes dates. Les enquêtes nationales auprès de la jeunesse, menées depuis 1996, donnent des résultats particulièrement significatifs (Tableau 2) : entre le milieu des années 1990 et celui des années 2000, la proportion de jeunes qui manifestent un désir d'émigrer est passé de moins d'un quart à plus des trois quarts (75,9%). Quels que soient le sexe, l'âge, l'éducation et la situation économique, c'est une large majorité des jeunes Tunisiens qui songent désormais à l'émigration. C'est selon toute vraisemblance un phénomène sans précédent. Entre le désir d'émigrer et sa réalisation, toutefois, il existe une distance que les enquêtes ne permettent pas d'estimer.

Tableau 2 - Désir d'émigration parmi la jeunesse de Tunisie 1996-2005  
Proportion (%) de jeunes de 15-29 ans déclarant qu'ils ont l'intention d'émigrer

Caractéristiques individuelles	1996	2000	2005
Sexe			
Masculin	28,9	53,5	84,2
Féminin	13,6	36,9	66,0
Total	22,0	45,2	75,9
Situation économique			
Actif occupé	24,7	47,6	77,2
Chômeur	30,8	54,4	84,9
Elève	23,1	46,3	76,2
Etudiant	26,4	47,6	75,1
Fille au foyer	6,3	30,2	60,0
Total	22,0	45,2	75,9

Caractéristiques individuelles	1996	2000	2005
Age			
15 – 19	20,5	44,4	76,1
20 – 24	23,8	46,5	76,6
25 – 29	22,5	44,7	74,2
Total	22,0	45,2	75,9
Niveau d'éducation			
Analphabète	5,8	2,6	66,0
Primaire	19,3	44,9	77,0
Secondaire	25,6	48,5	77,2
Universitaire	24,3	45,9	73,0
Total	22,0	45,2	75,9

Source : Habib FOURATI, *Consultations de la jeunesse et désir d'émigrer chez les jeunes en Tunisie 1996–2005*, CARIM – AS, 2008, pp. 5-10.

### 3. La fuite des cerveaux

La question de la fuite des cerveaux, ou la migration des travailleurs les plus qualifiés, est l'une des plus polémiques. Il est évident que la migration de ces travailleurs hautement qualifiés pourrait conduire à une perte de capital humain pour les pays d'origine. De plus on pourrait avancer que ces travailleurs auraient contribué au développement de leur pays d'origine et augmenté la production par tête s'ils n'avaient pas émigré. De plus, l'investissement dans l'éducation de ces travailleurs peut être considéré comme une perte.

La fuite des cerveaux n'est pas une conséquence évidente des migrations, mais elle dépend fortement d'une combinaison de facteurs parmi lesquels on trouve les flux de transferts et le statut des marchés du travail dans les pays d'origine particulièrement celui des travailleurs hautement qualifiés.

De nombreuses études et modèles ont tenté d'évaluer l'effet net de la fuite des cerveaux sur les pays d'origine (6). Certaines études ont mis en évidence son impact négatif sur la productivité des facteurs totaux et donc sur la croissance des produits. D'autres ont constaté des gains nets de la fuite des cerveaux en termes d'incitations pour une meilleure éducation, si les investissements dans le pays d'origine sont canalisés dans cette direction. Il est évident qu'il n'y a pas de consensus compte tenu du nombre de variables et des aspects impliqués. Si l'on essaie d'envisager les avantages et inconvénients en termes de revenus et de dépenses seulement, l'effet est définitivement négatif net. Mathématiquement, si nous examinons les avantages nets de

la migration en comparant les résultats ou les revenus de la migration (ex. les transferts) aux dépenses induites par ce processus, ceci inclut la valeur de la sortie perdue (éventuelle) et les dépenses en capital humain (éducation et santé) faites dans les pays d'origine, le déficit est énorme.

Toutefois, selon certains observateurs, les avantages de la migration ne sont pas tous quantifiables et la fuite des cerveaux peut être un gain ou une perte en fonction de la manière dont les pays d'origine ou hôtes gèrent les processus de migration et le statut de leurs marchés du travail.

D'un point de vue Euro-méditerranéen, les migrants vers l'Europe et les pays de l'OCDE ont normalement des niveaux d'éducation plus élevés. Mais compte tenu des hauts niveaux de chômage chez les personnes compétentes dans ces pays, la probabilité qu'ils soient au chômage dans leur pays d'origine est plus élevée que dans les pays hôtes (les taux de chômage parmi les plus éduqués dans ces pays est élevé et peut atteindre 21% au Maroc et en Turquie, environ 16% en Egypte). (7)

La situation est différente dans les pays du Maghreb car la plupart des migrants deviennent des résidents permanents dans les pays de l'UE. Malgré le pourcentage relativement bas de migrants hautement qualifiés, il est troublant de constater que le ratio de ces migrants par rapport à ceux qui ont le même niveau d'éducation dans le pays d'origine est élevé, ce qui les rend vulnérables à la fuite des cerveaux. (8)

Le Liban présente également une proportion alarmante de migrants hautement qualifiés, comparés à ceux qui restent dans le pays d'origine. On pourrait dire par exemple que les flux de transferts des migrants libanais vers leur pays d'origine pourraient plus contribuer à son développement d'une manière qui pourrait compenser la perte de capital humain. Sur une note positive, la migration d'un nombre relativement élevé de personnes à haut niveau d'éducation pourrait être inversée avec les contributions de ces migrants au développement technologique de leurs économies.

Les retours sur l'éducation pourraient être beaucoup plus élevés à l'étranger que dans le pays d'origine et donc les perspectives de migration peuvent relever le retour attendu sur le capital humain et inciter les personnes à investir dans l'éducation dans le pays d'origine. Ceci est étayé par la forte hypothèse selon laquelle les travailleurs qualifiés sont plus susceptibles d'émigrer que les travailleurs non qualifiés. (9)

Pour résumer, lorsque l'on examine les PM dans leur ensemble, il n'existe pas de tendance ou règle spécifique sur la fuite des cerveaux, chaque pays doit être considéré individuellement sur la base des facteurs mentionnés ci-dessus. Il faut toutefois préciser que la migration des travailleurs hautement qualifiés pourrait apporter des externalités positives appelées "transferts sociaux" tels que : transferts de connaissance et de technologie, incitations à une meilleure éducation avec un plus grand espoir de migration. La "circulation des cerveaux" ou migration circulaire pourrait apporter des bénéfices aux deux côtés, tant que la protection sociale et les droits des migrants sont assurés. Ceci pourrait être une étape potentielle à considérer pour les migrants des PM.

En général, la composition des flux migratoires peut créer des distorsions sur les marchés du travail et des manques de capacités sectoriels. Dans le cas des PM, avec

l'abondance et la diversification de la main-d'œuvre, les flux d'émigration ne sont pas en eux-mêmes la cause de déséquilibres au niveau global (10), et ne semblent pas avoir un impact sur le niveau des salaires domestiques. Le principal problème pour les pays émetteurs réside ~~ici~~ dans la migration des diplômés, « l'exode des cerveaux ». Il s'agit d'une perte de capital humain, dont la région aurait pu bénéficier si elle avait pu offrir des emplois correspondant aux qualifications.

Ce brain drain se situe à un niveau élevé dans les pays méditerranéen. Alors que la part des migrants dans la population des PM est un point de pourcentage plus élevée que la moyenne mondiale, la part du brain drain dépasse la moyenne mondiale de 4 points (9% contre 5%) Ce chiffre est celui de l'ensemble des pays MENA mais donne une bonne estimation pour les PM dans la mesure où les migrants « brain drain » sont principalement issus de ces pays.

La plupart des PM sont touchés : le Liban subit le plus fort taux d'émigration des travailleurs qualifiés (se classant 27ème sur 195 pays dans une étude sur le brain drain) (11) ; les taux de migrants qualifiés s'élèvent à 59 et 56% pour l'Egypte et la Jordanie ; La Tunisie et le Maroc affichent également des taux de migration de personnes hautement qualifiées supérieurs à leur proportion dans la population totale.

Selon une enquête réalisée par un centre de recherche égyptien, le monde arabe perd chaque année 50% des médecins qu'il forme, 23% de ses ingénieurs et 15% de ses scientifiques. Sur l'ensemble des étudiants arabes à l'étranger, seulement 4,5% retournent chez eux.

#### **4. La migration illégale**

La migration illégale, dite clandestine ou irrégulière, décrit une gamme de phénomènes différents mettant en jeu des personnes qui entrent ou demeurent dans un pays dont elles ne sont pas citoyennes, en violation des lois nationales. «Elle inclut les migrants qui entrent ou restent dans un pays sans autorisation, ceux qui sont victimes de trafic ou de la traite des personnes, les requérants d'asile déboutés qui ne respectent pas un ordre d'expulsion, et les personnes qui contournent les contrôles de l'immigration par un mariage arrangé » (12).

Depuis quelques années, cette immigration, aux caractéristiques instables et souvent irrégulière, a fait son apparition dans les pays du Sud et de l'Est de la Méditerranée (SEM) et constitue un nouveau défi pour ces Etats. Bien que l'Europe (Union européenne) ait montré une attention croissante pour une partie de ces flux, les pays du SEM sont seuls pour gérer l'ensemble du phénomène. (13)

Trois catégories d'immigrants irréguliers peuvent être distinguées, dans les pays du SEM :

– *Les travailleurs migrants irréguliers* : Ces derniers sont attirés par des opportunités sur le marché du travail du pays d'accueil (généralement dans le secteur informel). Ils ne répondent pas à une demande formelle de travail et ne remplissent pas les conditions d'entrée, de séjour et d'emploi fixées par la loi. Pour ces raisons, ils sont considérés comme « indésirables » par le gouvernement du pays d'accueil.

– *Les réfugiés* : ils constituent la deuxième catégorie et la plus significative en termes numériques. La majeure partie de ces flux provient d’Irak, du Soudan, de Somalie et d’Érythrée et est accueillie en Syrie, Jordanie, Égypte et dans une moindre mesure au Liban. Le flux des réfugiés irakiens représente l’arrivée la plus massive de population dans les pays arabes, où leur sort reste incertain.

– *Les migrants de transit* : ils forment une nouvelle catégorie dans le lexique de la migration internationale. Ce sont des personnes en route pour l’Europe, l’Amérique du Nord ou les Pays du Golfe mais qui restent bloquées en chemin parce qu’elles ne parviennent pas à obtenir le visa nécessaire. Elles répondent à des facteurs d’appel du pays de destination qu’elles s’étaient fixé, mais non de celui où elles se trouvent. Dans leur pays d’accueil forcé, ces migrants sont perçus comme indésirables et traités en conséquence.

Tableau 3 - Types des migrations illégales dans le sud euro-méditerranéen

	Refugiés	Les travailleurs migrants	Migrants de transit	Colons
Algérie		-		
Égypte	-	-	-	
Israël	-	-		
Jordanie	-	-		
Liban	-	-		
Mauritanie			-	
Palestine	-	-		-
Syrie	-			
Tunisie		-		
Turquie	-		-	

Source - Shahira Samy, La migration irrégulière dans le sud est méditerranéen : Perspectives socioculturels, Note analytique synthétique 2008 /69, 2008, p. 4.

Un quatrième type de migration irrégulière est présenté dans le rapport national Palestinien « colons israéliens ». Il concerne une présence irrégulière en vue de vivre dans des colonies illégales en violant les principes de la loi internationale dans un territoire Palestinien occupé. (14)

Il importe de voir maintenant l’impact économique des migrations d’une façon générale, et dans la région d’étude d’une manière précise.

## 5. L’impact économique des migrations

Pour expliquer la décision de migrer des personnes (prises individuellement ou à l’intérieur d’un ménage), il n’y a pas une théorie unique, mais une multitude de théories qui tentent de rendre compte de l’évolution des circonstances de la migration au fil du

temps. Néanmoins, le concept de maximisation de l'utilité des migrants sur lequel se fonde la théorie néoclassique, se retrouve dans presque toutes les autres théories ou explications. La simplicité de ce concept et le modèle testable (à deux ou plusieurs pays) auquel il donne lieu, font de cette théorie néoclassique, l'une des plus utilisées pour expliquer la décision de migrer. Tout compte fait, l'explication à retenir dépendra toujours des circonstances particulières de chaque étude, lesquelles peuvent varier notamment avec le temps, le pays considéré et les conditions sociales et économiques du moment. (15)

L'impact de la migration sur le taux de croissance totale des pays de destination a fait l'objet de nombreuses discussions, mais il est difficile d'effectuer une mesure fiable. Les données et les complexités méthodologiques posent en effet problème, d'autant plus qu'il faut distinguer les effets directs des effets indirects et déterminer leur échelonnement dans le temps.

La théorie économique prévoit des gains totaux significatifs résultant des mouvements migratoires, tant pour les migrants que pour les pays de destination. C'est parce que la migration, comme le commerce international, permet aux personnes de se spécialiser et de tirer parti de leurs atouts relatifs. La plupart des avantages reviennent aux individus qui migrent, mais certains bénéficient aux résidents des pays de destination, ainsi qu'aux habitants des pays d'origine, grâce aux flux financiers ou autres. Des estimations fondées sur un modèle d'équilibre général de l'économie mondiale indiquent que les pays de destination capteraient environ un cinquième des bénéfices si le nombre de migrants augmentait de 5 % dans les pays développés, ce qui représenterait 190 milliards de dollars. (16)

Les mouvements migratoires peuvent stimuler l'emploi et les activités au niveau local, mais de tels effets risquent d'être spécifiques à chaque contexte. Les migrants ont également un impact sur le niveau et la composition de la demande des consommateurs, par exemple en matière de produits dits « nostalgiques » ou de biens et services disponibles localement à proximité du logement et du lieu de travail. (17)

Sur le plan économique, les migrations ont permis aux pays méditerranéens de bénéficier de sources de revenus et d'alléger les pressions sur le marché du travail local et de réduire le chômage, en particulier pour les jeunes diplômés.

Les transferts des migrants sont, en effet, l'une des sources de financement extérieur les plus importantes, supérieure aux IDE. Pour les PM, ils assurent même pour moitié l'équilibre du compte courant de la balance des paiements. Ils constituent une source de revenu, qui améliore la situation économique et le niveau de consommation de la famille dans le pays d'origine. Ces transferts peuvent également jouer un rôle direct dans la création d'emploi, lorsqu'ils sont utilisés comme investissements dans une activité professionnelle. Ce n'est toutefois pas le cas actuellement dans la plupart des PM où ces fonds sont le plus souvent destinés à la consommation ou à des investissements non directement productifs comme l'immobilier ou encore utilisés dans le secteur informel.

Malgré les nombreux éléments théoriques indiquant que la libre circulation permettrait des gains d'efficacité et un accroissement du revenu global 25 fois supérieur à celui obtenu par la libre circulation des marchandises et capitaux (18), les mouvements migratoires sont en but à des considérations d'ordre sociologique et politique qui ne peuvent être ignorées. De fait, malgré l'augmentation des flux migrants et une réorientation des flux des PM vers l'UE, les gains potentiels, dans un contexte euro-méditerranéen extrêmement sensible, ne peuvent s'envisager que dans un schéma d'actions coopératives concertées et progressives, destinées à optimiser les mouvements, afin que chacune des rives méditerranéennes puisse en tirer un avantage du point de vue du marché du travail.

C'est dire l'importance de la coordination des politiques migratoire dans la région euro-méditerranéenne.

## **6. Les politiques migratoires : une question de coordination**

Bien que le sujet de la migration fût mentionné dans la Déclaration de Barcelone en 1995, dans les années suivantes, pendant longtemps il n'existait guère de programmes ou d'activités concernant la migration. C'est seulement en 2005, lors du dixième anniversaire du Partenariat euro-méditerranéen que le sujet de la migration est mis en avant et qu'un quatrième volet «migration, justice et sécurité» est ajouté aux trois volets existants: le Partenariat politique et sécuritaire, le Partenariat économique et financier ainsi que le Partenariat culturel et social. Le Programme de Travail du Sommet de Barcelone du 28 Novembre 2005 propose une coopération renforcée dans le domaine de la migration, mais aussi dans les domaines de l'intégration sociale, de la justice et de la sécurité ainsi qu'une approche globale et intégrée et une meilleure coopération pratique sur le plan régional. (19) Depuis lors, au cours des conférences Euromed des ministres des Affaires étrangères, (notamment à Tampere en novembre 2006 et à Lisbonne en novembre 2007), la migration est devenue un sujet de plus en plus présent.

En novembre 2007, à l'initiative de la Présidence portugaise de l'UE, la première conférence ministérielle euro-méditerranéenne sur la migration a eu lieu à Albufeira au Portugal. Au cours de cette conférence, trois sujets prioritaires sont définis: la migration légale, la migration et le développement ainsi que le combat contre la migration illégale. Dans le cadre du premier volet du Partenariat Euromed, différents programmes et projets, dans le domaine des politiques «justice, liberté et sécurité» et «migration», seront implémentés. Il s'agit notamment des programmes régionaux Euromed Justice I et II, Euromed Police I et II ainsi qu'Euromed Migration I et II. (20) Mais malgré ces conférences et ces programmes, on constate que le bilan du Partenariat euro-méditerranéen en matière de questions migratoires reste plutôt faible.

Ces PM ont adopté différentes politiques migratoires (tableau 03). Elles varient au niveau global de l'encouragement ('Augmenter') comme en Tunisie et Jordanie, au découragement ('Réduire') comme au Liban, Israël, en Palestine et en Syrie.



Tableau 3 - Nature des politiques migratoires des pays méditerranéen

PM	Politiques d'immigration		Intégration des non ressortissants	Politiques d'émigration	Encouragement au retour
	Niveau général	Travailleurs qualifiés		Niveau général	
Algérie	maintien	-	-	Pas d'intervention	oui
Egypte	Réduire	Maintien	Oui	Maintien	Oui
Maroc	Réduire	Maintien	Oui	Maintien	Oui
Tunisie	Pas d'intervention	Pas d'intervention	Non	Augmenter	Non
Israël	Augmenter	Maintien	Oui	Réduire	Oui
Jordanie	Réduire	Réduire	Non	Augmenter	Non
Liban	réduire	Pas d'intervention	Non	Réduire	Oui
Palestine	-	-	-	-	-
Syrie	Maintien	-	-	Réduire	-
Turquie	réduire	Réduire	Non	maintien	Non

Source : site d'internet (consulté le 01 /11/2011)  
[http://www.un.org/esa/population/publications/2006Migration\\_Chart/Migration2006.pdf](http://www.un.org/esa/population/publications/2006Migration_Chart/Migration2006.pdf)

L'encouragement se fait généralement par la création d'agences spécialisées mises en place par plusieurs PM, comme l'Office National Algérien de la main-d'œuvre en Algérie (1962), l'office de la Formation Professionnelle à l'Etranger en Tunisie (1969) et le Ministry of Manpower and Emigration en Egypte (1996). Le rôle de telles agences est fondamental, dans la mesure où elles constituent un outil qui peut réduire l'asymétrie d'information qui conduit à des accords et des contrats imparfaits et une forte inadéquation de la qualité. Le migrant employé ne dispose pas d'assez d'informations sur les opportunités d'emplois disponibles hors de son pays d'origine en fonction de ses compétences et qualifications, ni sur les régulations en cours, ses droits et ses responsabilités. De façon similaire, l'employeur du pays de destination manque d'informations fiables sur les qualifications potentielles. Cette asymétrie est sans doute l'une des raisons principales de l'inadaptation entre l'offre de travail des PM et la demande émanant de l'Europe. Cela soulève la question de la mise en place d'outils statistiques dédiés. Un autre aspect essentiel à une meilleure gestion des flux relève de la question de la reconnaissance des diplômes et des qualifications destinée à assurer que les migrants utiliseront pleinement leurs compétences en adéquation avec les besoins de l'employeur, évitant les pertes en termes de revenus et de capacités. (21)

Quand, en 2008, l'Union pour la Méditerranée (UPM) est lancée, il est souligné dans la Déclaration du Sommet de Paris, que la migration fait partie des défis régionaux centraux. L'objectif de l'UPM est un partenariat multilatéral, avec une intégration régionale intensifiée. Les migrants jouent un rôle clé dans les processus d'une intégration régionale puisque ce sont eux qui la mettent en œuvre. Dans le cadre

de l'UPM, il est prévu de faciliter la circulation légale des personnes dans l'intérêt de toutes les parties concernées et de lutter contre les migrations clandestines. De fait, les mesures qui sont entreprises dans ce domaine, jusqu'à présent, se font avant tout dans des cadres bilatéraux (p.ex. Italie – Libye, France - Tunisie) et non pas dans le cadre de l'UPM. Parmi les projets phares de l'UPM, c'est surtout le projet des «autoroutes de la mer et des autoroutes terrestres» qui touche aux questions de la migration. Le développement et la modernisation de ces autoroutes augmenteront non seulement la libre circulation des marchandises mais aussi la mobilité des personnes. Dans ce contexte, la sûreté et la sécurité maritimes semblent les préoccupations prioritaires. (22)

Les organisations non gouvernementales (ONG), comme Amnesty International, accusent l'UE de poursuivre une politique de cloisonnement. Les demandeurs d'asile sont refoulés en Méditerranée; la possibilité de poser une demande d'asile en Europe est très réduite et les réfugiés ne sont pas assez protégés. Au lieu d'établir des lignes directrices contraignantes pour l'Agence européenne pour la gestion de la coopération opérationnelle aux frontières extérieures (FRONTEX), la coopération avec les administrations anti-terrorisme est renforcée. Les ONG critiquent également la coopération de l'UE avec la Libye et la Mauritanie, car ces deux pays ne reconnaissent pas la Convention des Réfugiés de Genève. Et, ils exigent que les demandeurs d'asile soient traités d'une manière harmonisée et plus humaine. (23)

L'UE a besoin d'une politique migratoire sélective, basée sur des quotas, et accompagnée de programmes d'intégration et d'anti-discrimination. La sensibilisation des opinions publiques aux aspects positifs de la migration et l'image de l'Europe comme un continent d'immigration progressent lentement.

### **Conclusion**

La question des immigrations dans le présent article révèle à quel point la région Méditerranéenne est loin d'être une zone homogène. Il existe de nombreuses disparités qui suivent le tracé de la frontière Nord-Sud. Il y a encore beaucoup à faire pour rapprocher les niveaux de vie, répondre au défi démographique et lever les obstacles institutionnels et politiques à la circulation des personnes.

Le Partenariat euro-méditerranéen comprenait depuis ses débuts des mesures directes et indirectes afin d'influencer l'immigration. Mais, il est apparu que l'influence du partenariat euro-méditerranéen sur la migration, a été jusqu'à présent modeste. L'incapacité ou le refus de développer une stratégie globale et commune, la variété complexe des intérêts des pays partenaires y sont pour beaucoup.

Une chose est sûre, la diminution des inégalités entre les deux rives de la méditerranée sera à même de conduire vers un paradigme de cohabitation.

## Notes

1. <http://web.worldbank.org/WBSITE/EXTERNAL/TOPICS/0,,contentMDK:21924020~pagePK:5105988~piPK:360975~theSitePK:214971,00.html>.(consulté le 10/10/2011)
2. Le partenariat euro-méditerranéen à la croisée des chemins, Rapport du FEMISE, novembre 2010, p. 45.
3. Migrations méditerranéennes, Rapport 2008-2009, CARIM, Octobre 2009, p. 7.
4. Migrations méditerranéenne, Rapport 2008-2009, *op. cit.*, p. 3.
5. Nacer Eddine Hammouda, *Le désir de migration chez les jeunes algériens – analyse micro-économique*, CARIM-ASN, 2008.
6. Commander S. et al., The Brain Drain: Curse or Boon? A Survey of the Littérature, Séminaire sur le commerce international, Stockholm, May, 2002, pp. 24-25.
7. Le partenariat euro-méditerranéen à la croisée des chemins, *op. cit.*, p. 65.
8. 'The road not travelled: Education Reform in the Middle East And North Africa, MENA Development Report, World Bank, Washington, 2008.
9. Noland & Pack, Arab economies at a tipping point, 31 mars 2008, p. 66.
10. La Jordanie a connu un manque de main d'oeuvre non qualifiée dans le secteur agricole, qui a été compensé par des migrants venus des pays voisins comme l'Egypte.
11. Frédéric Docquier et Abdeslam Marfouk, *Measuring the international mobility of skilled workers (1990-2000)*, Release 1.0, p. 21.
12. Rapport de la Commission mondiale pour les migrations internationales, imprimé en Suisse par SPO-Kunding, 2005, p. 35.
13. Consortium pour la Recherche Appliquée sur les Migrations Internationales, CARIM, <http://www.carim.org/index.php?callContent=239>
14. Shahira Samy, *La migration irrégulière dans le sud est méditerranéen : Perspectives socioculturels*, Note analytique synthétique 2008 /69, 2008, p. 5.
15. Ayéko Appolinaire TOSSOU, Conséquences démographiques et économique des migrations internationales dans les pays développés et plus particulièrement en Amérique du nord : une revue de la littérature, juin 1998.
16. Rapport mondiale sur le développement humain, 2009, p. 95.
17. Rapport mondiale sur le développement humain, *op. cit.*, p. 96
18. Dani Rodrik, *Feseable globalisations, national bureau of economic research*, working Paper 9129, Cambridge, September 2002, p. 20.
19. Council of the European Union: Five Year Work Programme, 10th Anniversary Euro-Mediterranean Summit, Barcelona, 27 and 28 November 2005. 15074/05 (Presse 327), Bruxelles, 28.11.2005.
20. [www.euromed-migration.eu](http://www.euromed-migration.eu) (consulté le 04 /11/2011).
21. Le défi de l'emploi dans les pays méditerranéens, FEMISE, Novembre 2007, p. 31.
22. Isabel Schäfer, Politiques migratoires et identitaires de l'Union européenne (UE) dans l'espace euro-méditerranéen Humboldt-Universität zu Berlin Décembre 2010. [http://www.projekte.hu-berlin.de/de/heimat/heimat-workingpaper/wp/wp1\\_schaefer21122010.pdf](http://www.projekte.hu-berlin.de/de/heimat/heimat-workingpaper/wp/wp1_schaefer21122010.pdf)
23. Amnesty International Brüssel: Information de Presse sur la politique migratoire de l'UE, (consulté le 05/11/2001) [http://www.amnesty.de/files/Amnesty\\_EU\\_Innen\\_und\\_Justizminister\\_Migration\\_30.11.pdf](http://www.amnesty.de/files/Amnesty_EU_Innen_und_Justizminister_Migration_30.11.pdf)

### Références bibliographiques

- Ayéko Appolinaire Tossou, Conséquences démographiques et économique des migrations internationales dans les pays développés et plus particulièrement en Amérique du nord : : *une revue de la littérature*. Université de Montréal, Immigration et Métropoles, Working Paper, 92 p. <https://www.erudit.org/revue/cqd/2002/v31/n1/000425ar.html>
- Commander S. et Al , *The Brain Drain: Curse or Boon? A Survey of the Littérature*, Séminaire sur le commerce international, Stockholm, May, 2002.
- Council of the European Union, *Five Year Work Programme, 10th Anniversary Euro-Mediterranean Summit*, Barcelona, 27 and 28 november 2005.
- Dani Rodrik, Feseable globalisations, national bureau of economic research, working Paper 9129, Cambridge, September 2002
- Frédéric Docquier et Abdeslam Marfouk, Measuring the international mobility of skilled workers (1990-2000).
- Isabel Schäfer , Politiques migratoires et identitaires de l'Union européenne (UE) dans l'espace euro-méditerranéen Humboldt-Universität zu Berlin Décembre 2010.
- Le défi de l'emploi dans les pays méditerranéens, FEMISE, novembre 2007.
- Le partenariat euro-méditerranéen à la croisée des chemins, Rapport du FEMISE, novembre 2010.
- Migrations méditerranéenne, Rapport 2008-2009, CARIM, Octobre 2009.
- Nacer Eddine Hammouda, Le désir de migration chez les jeunes algériens – analyse micro-économique -, CARIM- ASN, 2008.
- Noland & Pack, Arab economies at a tipping point, 31 mars 2008.
- Isabel Schäfer , Politiques migratoires et identitaires de l'Union européenne (UE) dans l'espace euro-méditerranéen Humboldt-Universität zu Berlin Décembre 2010.
- Rapport de la Commission mondiale pour les migrations internationales, Imprimé en Suisse par SPO-Kunding , 2005.
- Rapport mondiale sur le développement humain, 2009.
- Shahira Samy, La migration irrégulière dans le sud est méditerranéen : Perspectives socioculturels, note analytique synthétique 2008 /69, 2008.
- The road not travelled: Education Reform in the Middle East And North Africa, MENA Development Report., World Bank, Washington, 2008.

### Sitographie

1. <http://www.carim.org/>
2. <http://web.worldbank.org/>
3. <http://www.un.org/>
4. <http://www.euromed-migration.eu>

## Contribution à l'étude de l'alexithymie comme facteur favorisant la consommation de drogue chez l'adolescent

### Résumé

La toxicomanie est l'un des principaux problèmes auxquels la société actuelle est confrontée. Elle entraîne la destruction de l'homme et la perte de ce que la société a de plus précieux : la jeunesse, en d'autres termes « ses adolescents ».

Cette étude clinique suppose l'existence d'un dysfonctionnement émotionnel connu sous le nom d'*alexithymie* qui serait en cause dans la conduite toxicomane chez l'adolescent.

Les symptômes recueillis auprès des adolescents répondent positivement à notre hypothèse. En effet, nous avons pu révéler, chez presque tous les cas étudiés, la présence d'une incapacité à exprimer ses sentiments, une activité fantasmatique limitée, des symptômes physiques et une pensée à contenu pragmatique excluant toute dimension imaginaire.

**Ghanem NAFISSA**

Faculté de Psychologie  
et des Sciences de l'Education  
Université de Constantine 2  
(Algérie)

### Introduction

La consommation de drogue ne cesse de s'amplifier d'année en année. Les saisies opérées régulièrement par la gendarmerie nationale, et qui font les premières pages des journaux, en donnent la mesure. Par ailleurs, les ravages de la drogue au sein des populations, particulièrement chez les jeunes, constituent une véritable hécatombe.

En ce qui nous concerne, nous pensons qu'une bonne compréhension de la toxicomanie et de ses facteurs, dans le but d'établir des programmes de prévention effective, reste la meilleure façon de freiner la propagation du phénomène. Dans cette optique, notre étude se propose d'étudier les déterminants individuels impliqués dans la conduite toxicomane et ne se limite pas aux facteurs environnementaux. Bien que les éléments de la personnalité soient

### ملخص

يعتبر الإدمان من أهم الأزمات التي تعاني منها المجتمعات، فلا تقتصر آثاره على المدمنين فقط بل تؤثر على كل المجتمع وخاصة على القلب النابض له " الشباب"، أو بعبارة أخرى "المراهقين".

تفترض هذه الدراسة الاكلينيكية المدمن يعاني من خلل عاطفي يدعى "بالتكتم". الأعراض التي جمعناها مع هؤلاء المراهقين تؤكد فرضيتنا. بالفعل لقد لاحظنا، عند أغلب أفراد العينة، عجز على التعبير عن المشاعر، ضعف الخيال، بروز أعراض جسدية والتفكير الإجرائي الذي يفتقر للخيال.

déterminants dans la réalisation d'un quelconque comportement, ce dernier souligne l'existence de phénomènes émotionnels dans son initiation mais également dans sa répétition. Par conséquent, nous allons tenté de mettre en évidence une des caractéristiques psychologiques déterminant la conduite toxicomane chez les adolescents.

### **Problématique**

L'adolescence est une période durant laquelle les changements physiologiques et psychologiques vont de pair bien qu'ils ne soient pas synchronisés. C'est une période où l'individu est perdu, désorienté et c'est cette quête d'identité qu'il va chercher dans l'exacerbation des risques, des plaisirs, dans les conflits familiaux, dans l'amitié et dans l'amour, mais aussi dans des expériences beaucoup plus nocives telles que la consommation de drogues.

En effet, en matière saisie, la courbe grimpe d'année en année. Le bilan des quatre premiers mois de l'année 2014 de l'office national de lutte contre la toxicomanie, relatif aux saisies de stupéfiants et de substances psychotropes, démontre des chiffres spectaculaires en matière de saisie de drogues : 59 746,152 Kg de résine de cannabis, 331,556 gr de cocaïne, et 461 468 comprimés de substances psychotropes de différentes marques .

([http://www.onlcdt.mjustice.dz/onlcdt\\_fr/donnees\\_statistiques/bilan\[2014\].pdf](http://www.onlcdt.mjustice.dz/onlcdt_fr/donnees_statistiques/bilan[2014].pdf))

En raison des chiffres alarmants et de la vitesse de propagation de ce fléau, il a été convenu par la communauté internationale de la nécessité d'une stratégie antidrogue. Le comité de lutte contre la drogue des Nations Unies propose une approche ciblée en vue de contrer les drogues illicites. La stratégie comporte deux plans d'action: la lutte contre la production et la distribution de drogues illicites mais aussi la prévention de la consommation de drogues afin d'en diminuer la demande (32<sup>ème</sup> session des Nations Unies, 17-26 juin 1987). En prêtant une attention toute particulière quant aux efforts de diminution de la demande, il convient avant toute chose de tenter de connaître les facteurs qui contribuent à la propagation de ce fléau dont les conséquences nuisibles ne sont plus à démontrer. Ainsi, notre souci est de poser la question des éventuelles raisons de la consommation de drogue chez cette tranche d'âge défini plus haut, qu'est l'adolescence.

La revue de la littérature nous permet de cerner que certains traits de personnalité sont reliés à des conduites bien spécifiques, notamment les conduites à risque. On sait, par exemple, que la recherche de sensations ainsi que la faible estime de soi sont des traits de personnalité caractéristiques des sujets dit « à risque ». Que ce soit dans le domaine du sport, ou dans des conduites d'usage de toxiques (Zuckerman, 1983). Plus récemment, la psychopathologie a connu l'émergence d'un nouveau concept mis en cause dans la conduite toxicomane. Il s'agit d'une perturbation émotionnelle introduite en 1972 par Peter Sifneos sous la nomination d'alexithymie. Ce dysfonctionnement émotionnel se définit par des difficultés avec des patients caractérisés par une incapacité particulière à identifier et à décrire verbalement les sentiments et les émotions, par une activité fantasmatique limitée et par un style

cognitif pragmatique orienté vers les symptômes physiques et les éléments factuels extérieurs (Corcos, 2003)

En ce qui nous concerne, notre ambition est de tenter de déterminer le mode de fonctionnement émotionnel du jeune toxicomane algérien. Pour cela nous essayerons de répondre à la question suivante : les adolescents toxicomanes sont-ils sujets à des dysfonctionnements émotionnels tel que l'alexithymie ?

Avant de présenter notre étude sur le terrain, nous voudrions, tout d'abord, éclaircir quelques notions :

**Quelques notions théoriques:**

- **L'adolescence** est une période de bouleversements : biologique, intellectuel, psychologique et social qui s'effectuent entre l'enfance et l'âge adulte. Cette phase de l'évolution, déclenchée par la puberté, est un passage d'un état de dépendance et d'immaturité à celui d'une maturité sexuelle, affective et relationnelle.

- **La toxicomanie** : selon l'Organisation Mondiale de la Santé (OMS), la définition de la toxicomanie correspond à quatre éléments : une envie irrépressible de consommer le produit (dans notre étude il s'agira de différentes drogues); une tendance à augmenter les doses; une dépendance psychologique et parfois physique ; et des conséquences néfastes sur la vie quotidienne (émotives, sociales, économiques).

- **L'alexithymie** : Etymologiquement l'alexithymie veut dire incapacité à décrire les émotions par les mots.

C'est un médecin du nom de Peter Sifneos qui a introduit le concept d'alexithymie en 1972. Celui-ci ne cessait de rencontrer des difficultés avec des patients caractérisés par une incapacité particulière à identifier et à décrire verbalement les sentiments et les émotions, par une activité fantasmatique limitée et par un style cognitif pragmatique orienté vers les symptômes physiques et les éléments factuels extérieurs (Haviland et al, 1988). Mais il semblerait que le concept « alexithymie » est réellement sorti à la lumière du jour lors de la 11<sup>ème</sup> conférence européenne de recherche en psychosomatique à Heidelberg en 1976 ; Cette conférence a présenté le concept théorique d'alexithymie en tant que trait de personnalité omniprésent dans les affections d'origine psychosomatique. Depuis, les études sur l'alexithymie se multiplient, et tendent à mieux circonscrire la personnalité des malades psychosomatiques.

Les recherches cliniques ont également permis de définir et d'identifier les éléments fondamentaux appartenant au noyau central du concept.

A -une incapacité à identifier, à exprimer verbalement ses émotions et à les distinguer des sensations corporelles : la personne alexithymique éprouve des difficultés à verbaliser ses émotions, ceci traduit une difficulté dans la perception de ses propres émotions, une incapacité à se figurer les émotions d'autrui (Corcos, 2003), mais aussi des difficultés dans le maniement du vocabulaire émotionnel. Ainsi, une personne alexithymique peut être très émotive mais n'est pas en mesure de mettre des mots sur ses émotions.

Quant à l'incapacité de distinguer ses sentiments de ses sensations corporelles, elle se justifie par le fait que le sujet alexithymique décrit sans fin des symptômes physiques, cette description pouvant être comprise comme une tentative d'expression des sentiments que le sujet ne peut élaborer. Les plaintes somatiques sont nombreuses, le sujet possédant peu de capacités imaginatives.

B -une limitation de la vie fantasmatique : cette spécificité rejoint le premier. L'impossibilité de raconter un rêve semble s'apparenter à la difficulté à "parler" des émotions. Les sujets alexithymiques rêvent sans doute. Cependant, la possibilité de passage à la pensée réflexive et à la verbalisation ne peut se faire.

C -une pensée à contenu pragmatique, en d'autres termes l'adhérence aux faits et réalités concrètes. Le sujet produit une description détaillée de faits, des événements, de symptômes physiques ayant produit des émotions mais qui ne sont pas exprimées. Il exclut de son récit les dimensions sentimentales et imaginaires ; Il ne tient compte que du factuel.

### **Méthodologie de la recherche**

Pour les besoins de notre étude nous avons opté pour la méthode clinique, ou plus exactement l'étude de cas, qui nous semble être la plus appropriée, car elle nous permettra de recueillir le maximum de témoignages des sujets eux mêmes qui sont les meilleurs témoins de leur situation. Ainsi, nous avons jugé utile de nous appuyer sur :

-**L'observation** : durant les entretiens, le chercheur doit faire appel à son sens de l'observation. Les attitudes et les comportements du sujet sont très souvent révélateurs et fournissent un complément d'informations qui oriente le chercheur dans le choix de ses questions afin de s'orienter vers la bonne direction.

- **L'entretien** : nous avons procédé à un entretien semi directif, à la fois anamnestique et diagnostique, à travers lequel nous avons tenté d'explorer deux axes :

-*L'axe introductif* : dans cet axe nous avons posé les questions d'usage afin de recueillir le maximum de renseignements concernant le sujet: prénom, âge, parents, fratrie, scolarité, antécédents familiaux, l'histoire personnelle du sujet, son quotidien, etc...

-*L'axe des manifestations de l'alexithymie* : qui regroupe une série de questions relatives aux manifestations de l'alexithymie .

- **L'analyse de contenu** : Une fois les entretiens terminés, ceux-ci seront soumis à une analyse catégorielle. Dans notre étude, nous avons établi quatre sous catégories qui répondent aux composantes fondamentales de l'alexithymie telle qu'elle a été décrite dans la littérature. Après nous allons procéder au Découpage, et à la distribution des unités d'information. En d'autres termes nous allons retenir toute phrase signifiante qui pourrait renvoyer aux sous catégories préalablement définies et classer chaque une de ces unités sous la catégorie adéquate, puis celles-ci vont être quantifiées.

- **L'échelle française de l'évaluation de l'alexithymie** : cette échelle comprend 10 items dichotomiques dont les scores seuil permettent de remplir des objectifs de dépistage et de diagnostic. Un score égal ou supérieur à 5 permet d'affirmer



l'alexithymie. Alors qu'un score égal ou inférieur à 4 permet de l'éliminer (Clément et al, 2006).

**Présentation des cas :**

Enfin, pour les besoins de notre étude, nous avons effectué une série d'entretiens avec quatre adolescents toxicomanes (Zahia, Ismail, Nabil et Malik) âgés de quinze à dix sept ans. Nos échanges se sont produits soit à l'hôpital psychiatrique de Constantine, soit dans un cabinet de psychologie privé dont nous nous retiendrons de citer un quelconque détail qui puisse y être associé afin de respecter le choix de ses dirigeants et protéger l'intégrité de cet espace.

**Tableau n° 1:** Répartition des adolescents selon leur sexe, leur âge, leur niveau scolaire, et les drogues utilisées.

	sexe	âge	Scolarité	Les drogues utilisées
<b>Malik</b>	masculin	17 ans	4ème année moyenne	Cannabis, Cocaïne Alcool
<b>Nabil</b>	masculin	17 ans	4ème année moyenne	Cannabis, alcool
<b>Smail</b>	masculin	17 ans	4ème année moyenne	Cannabis, dissolvant, différentes colles, alcool, psychotropes, hallucinogène, kétamine
<b>Zahia</b>	féminin	17 ans	1ème année secondaire	Cannabis, cocaïne, alcool.

**Présentation des résultats**

**Premier cas : Malik**

**Tableau N°2 :** les symptômes de l'alexithymie

catégorie	Sous catégories	Fréquences	Pourcentages
L'alexithymie	• Description des symptômes physiques	0	0%
	• Difficulté à communiquer ses émotions ;	3	60%
	• Production fantasmatique et onirique pauvre ;	0	0%
	• un style de pensée pragmatique (pensée opératoire)	2	40%
<b>Total</b>		5	100%

**Interprétation des résultats obtenus à l'échelle française de l'évaluation de l'alexithymie :**

La passation de l'échelle française de l'évaluation de l'alexithymie a donné un score supérieur à cinq (6>5) ce qui confirme que Malik est un adolescent alexithymique.

**Deuxième cas : Nabil**

**Tableau N°3 : les symptômes de l'alexithymie**

catégorie	Sous catégories	Fréquences	Pourcentages
L'alexithymie	• Description des symptômes physiques	0	0%
	• Difficulté à communiquer ses émotions ;	7	87,5%
	• Production fantasmatique et onirique pauvre ;	1	12,5%
	• un style de pensée pragmatique (pensée opératoire)	0	0%
Total		8	100%

**- Interprétation des résultats obtenus à l'échelle française de l'évaluation de l'alexithymie :**

La passation de l'échelle s'est effectuée durant le deuxième entretien. Le score obtenu via cette échelle est bas (8>5) ce qui confirme que Nabil est un adolescent alexithymique.

**Troisième cas : Smail**

**Tableau N°4 : les symptômes de l'alexithymie**

catégorie	Sous catégories	Fréquences	Pourcentages
L'alexithymie	• Description des symptômes physiques	3	42,85%
	• Difficulté à communiquer ses émotions ;	0	0%
	• Production fantasmatique et onirique pauvre ;	4	57,14%
	un style de pensée pragmatique (pensée opératoire)	0	0%
Total		7	99,99%

**- Interprétation des résultats obtenus à l'échelle française de l'évaluation de l'alexithymie :**

La passation de l'échelle s'est effectuée à la troisième séance entretien. Le score obtenu via cette échelle est supérieur à cinq bas (8>5) ce qui confirme que Smail est alexithymique.

**Quatrième cas : Zahia**

**Tableau N°5 : les symptômes de l'alexithymie**

catégorie	Sous catégories	Fréquences	Pourcentages
<b>B</b>			
L'alexithymie	• Description des symptômes physiques	1	25%
	• Difficulté à communiquer ses émotions ;	3	75%
	• Production fantasmatique et onirique pauvre ;	0	0%
	• un style de pensée pragmatique (pensée opératoire)	0	0%
Total		4	100%

**Interprétation des résultats obtenus à l'échelle française de l'évaluation de l'alexithymie :**

Les résultats de l'échelle française de l'évaluation de l'alexithymie sont inférieurs à la moyenne ( $2 < 5$ ), ce qui confirme que Zahia ne souffre d'aucune instabilité émotionnelle et n'est pas alexithimique.

**Analyse et discussion des résultats :**

Précédemment nous avons suggéré la présence d'un dysfonctionnement émotionnel particulier chez les sujets toxicomanes. En effet, une difficulté à identifier, décrire, verbaliser ses émotions peut avoir toute son importance dans le déclenchement d'un comportement. Des travaux soulignent que l'alexithymie pourrait favoriser les comportements à risque. La consommation de drogue est perçue comme une prise de risque (coslin,2003), nous la considérons donc à partir de cette optique.

En effet, trois de ces adolescents ont des difficultés à reconnaître et identifier leurs états émotionnels. Trull et Sher (1994) suggèrent que les comportements à risques, tel que la consommation de drogues, sont un moyen de traduire plus concrètement des affects négatifs ressentis au quotidien. Ainsi pour ces adolescents, les conduites addictives pourraient représenter un moyen d'autorégulation des émotions qui agirait comme une défense contre les événements stressants, voire traumatisants du passé et du présent (Michel et al, 1997). En effet, les addictions sont associées à des comportements compulsifs qui servent à réduire les états émotionnels répulsifs (Adès et al, 1994) .

Avant de porter un jugement hâtif quant au dysfonctionnement émotionnel auquel sont sujets les adolescents de notre étude, nous allons discuter avec plus de détail des difficultés émotionnelles suspectées et manifestées dans le comportement des sujets.

Les adolescents que nous avons interrogés ne se sont pas exprimés librement avec nous. Si Zahia a parlé facilement, les autres jeunes (Malik, Smail et Nabil) ont eu du mal à se mettre à l'aise. Leurs paroles étaient vides d'affects, leurs discours étaient parfois répétitifs. Aussi, on avait droit à des comportements d'évitement. Nous avons

aussi eu droit à des absences, des séances abrégées. Nous avons dû être patient, afin d'établir un climat de confiance.

L'incapacité à verbaliser ses émotions est le premier signe de l'alexithymie. Elle transparaît dans le comportement des adolescents à travers leurs discours répétitifs, des instants de silences répétitifs, les comportements d'évitement, leur incapacité à trouver les mots pour décrire certaines situations. Nous avons décelé cette composante de l'alexithymie chez presque tous les adolescents à l'exception de Zahia.

Nous supposons que l'adolescente s'exprime plus facilement car le cadre et les valeurs sociales auxquelles elle adhère lui offrent cette possibilité, contrairement aux garçons pour qui le dévoilement des sentiments est plutôt perçu comme une faiblesse.

Toutefois, les valeurs et les représentations sociales ne faisant pas partie de nos prérogatives dans notre procédure d'analyse, nous préférons donc les occulter au profit d'autres explications en accord avec notre déficit émotionnel hypothétique ; de même que d'autres manifestations relatives à ce dysfonctionnement émotionnel ont été observées et vont être prises en compte.

Mais avant de discuter ces manifestations, il faut préciser que les trois garçons ne présentent pas une incapacité à ressentir des états émotionnels. Contrairement à certains auteurs qui parlent de faible réactivité émotionnelle (Vorst, H. C., & Bermond, 2001), pour notre part nous préférons dire que ces garçons ressentent des affects mais éprouvent des difficultés à les différencier. Lorsque ces jeunes parlent de situations émotionnelles, leurs phrases sont courtes, leurs propos se limitent à décrire une impression générale sur le fait de se sentir *bien*, *mal* ou *normal*. Donc il est clair que ces jeunes éprouvent des états émotionnels qu'ils ont du mal à identifier ou à différencier. Logiquement, cette déficience dans la reconnaissance émotionnelle rend l'expression verbale à autrui tout aussi difficile.

Donc, les sujets « alexithymiques » n'ont pas de difficultés à ressentir des émotions, mais plutôt des difficultés à rattacher ces émotions aux représentations qu'elles sollicitent. Ils auraient donc davantage recours au registre du factuel pour gérer leurs émotions. Les sujets « non alexithymiques » pourraient ainsi utiliser le registre du factuel d'un point de vue verbal pour gérer leurs émotions, tandis que les sujets « alexithymiques » utiliseraient plutôt le registre comportemental à travers l'activité, notamment à travers la prise de drogue. Et si ce comportement s'avère efficace, cela expliquerait, nous semble-t-il, le pourquoi de sa redondance. L'exemple suivant illustre au mieux notre réflexion : quand une douleur physique devient intolérable, on prescrit de la morphine. Pour celui qui souffre d'une détresse psychologique qu'il ne peut ni identifier ni nommer, la moindre activité qui lui procure de l'apaisement devient le remède auquel il s'accroche. La drogue se révélera pour lui un remède efficace qu'il adoptera rapidement. On rejoindrait donc les conclusions d'une recherche de Michel et al. (Corcos, 2003) pour qui la prise de risques pourrait représenter un moyen d'autorégulation émotionnelle faisant fonction de défense momentanément efficace mais dangereuse contre la dépression. Selosse (1972) quant à lui considère les déviations des jeunes non pas comme des dysfonctionnements mais des ajustements ou des repaires.

Par ailleurs, Krystal (1988 ; Corcos, 2003), De même que Lane et Schwartz (1990 ; Corcos, 2003) précisent que l'alexithymie doit être appréhendée non seulement à travers les capacités du sujet à se représenter son état émotionnel, mais surtout à se figurer les états émotionnels d'autrui. Dans cette optique, il semblerait que seule zahia répond à ce critère et est apte à parler de ses émotions ainsi que celle de son entourage.

En cherchant à comprendre la raison de cette défaillance dans l'expression émotionnelle, la littérature nous offre plusieurs perspectives. Alors qu'en 1988, Krystal parle de traumatisme qui s'est produit durant l'enfance avant que le sujet ait acquis la capacité à différencier et à se représenter mentalement les états émotionnels (Corcos, 2003), d'autres modèles attestent que l'alexithymie n'est pas limitée aux déterminants individuels. Les facteurs sociaux ont une influence non négligeable. Des études établies par Lumley, Ovies, Stettner, wehmer et Lakey en 1996 suggèrent que les difficultés à identifier ses états émotionnels et à les verbaliser sont liées à un niveau de support social faible, des relations interpersonnelles insuffisantes (Luminet, 2008). D'autres auteurs, plus contemporains, tel que Sifnéos, 1988, Pedinielli, 1992 et Parker et Al, 1999, attestent de l'existence d'un déficit interhémisphérique (Luminet, 2008). Cette théorie suppose qu'il y aurait un défaut dans la transmission des informations de l'hémisphère gauche, rationnel, et l'hémisphère droit chargé de la gestion de l'imagerie et des représentations concrètes.

En ce qui nous concerne, il faut avouer que nous avons du mal à nous positionner parmi ces modèles explicatifs qui sont tous aussi convaincants les uns que les autres. Toutefois, et sur un plan purement subjectif, nous sommes tenté d'adhérer à l'hypothèse neuropsychologique qui atteste du déficit interhémisphérique. A l'ère de l'imagerie cérébrale, il aurait été intéressant de vérifier cette hypothèse. Malheureusement cette initiative relève de l'utopie car elle nécessite du temps, un personnel spécialisé et des moyens financiers considérables.

Un autre point cardinal du syndrome alexithymique est le style de pensée pragmatique. Cette notion est moins visible à travers le discours des cas étudiés qu'elle ne l'est à travers leurs comportements. En effet, le discours de ces adolescents ne renvoie que rarement à cette composante de l'alexithymie, à savoir des réponses rationnelles occultant toute connotation affective. En ce qui concerne nos cas (Nabil, Smail) c'est surtout la manière de répondre qui trahit cette spécificité. Nous entendons par là les réponses automatisées, prêtes à être servies.

Par ailleurs ce qui dénonce la présence de la pensée opératoire chez Smail c'est l'existence d'affections organiques occasionnelles et inexplicables. En effet, la pensée opératoire renvoie à une carence de la fonction mentale qui peut parfois se traduire par des symptômes psychosomatiques (Corcos, 2003).

La pensée opératoire est caractérisée par des difficultés à exprimer les émotions, par le recours aux symptômes physiques mais aussi par des relations blanches. Les adolescents (Smail, Nabil) ont manifesté une mise à distance à notre égard (peu d'échanges visuels, l'impression d'être ignoré par le sujet) à laquelle s'ajoute un éroussement de l'affectivité et peu d'attachement à l'entourage.

En outre, le fait que Malik et Smail insistent sur le fait d'avoir de nombreuses relations amicales laisse prêter à suspicion. Les sujets alexithymiques semblent être bien adaptés et cherchent à montrer un haut degré de conformisme social (Dethieux et al, 2001). Ce semblant d'adaptation n'est qu'illusoire puisque les personnalisées alexithymiques n'ont pas ou peu de prédisposition empathique.

D'autre part, les trois garçons rencontrés rapportent ne pas rêver ou peu. Les rares fois où ces jeunes parlent de leurs rêves, ils en parlent avec peu de participation et d'implication émotionnelle. Ce constat appuie les études empiriques dans la littérature. En 1984, Taylor rapporte que les personnes alexithymiques avaient un rappel de rêve limité, avec des rêves courts, simples et appauvris (Corcos, 2003). Leur contenu mental était plus concret, manquait de fantaisie. En d'autre terme des rêves avec peu ou pas de bizarreries.

Nonobstant, Pedinielli (1992) affirme qu'il est difficile de trancher entre une faible activité imaginaire et une activité imaginaire normale qui ne peut être verbalisée par le sujet.

En accord avec cet auteur, il semblerait que l'impuissance des sujets à raconter leurs rêves, démontre que la participation et l'implication émotionnelle de ceux-ci, dans leurs rêves, soit limitée. Ces adolescents ont une vie onirique qui ne peut être verbalisée, de la même façon qu'ils ressentent des émotions qu'ils ne peuvent exprimer.

En fin, les entretiens effectués autour de la sphère psycho-affective révèlent la présence de facteurs dispositionnels inhérents aux comportements toxicomanes chez les adolescents. Nos résultats indiquent que certains des adolescents ressentent des affects, comme n'importe qui : ils n'ont pas des affects émoussés, mais des difficultés de symbolisation, de même qu'ils ont des difficultés à parler de leurs rêves. Aussi nous avons remarqué des manifestations physiques, des réponses rationnelles qui sont des signes de pensée opératoire. Ainsi nous avons conclu que les sujets sont alexithymiques et qu'ils passent par le registre comportemental à travers l'activité, notamment à travers la prise de drogue. Ainsi la consommation de drogues représente un moyen d'autorégulation émotionnelle. Quant au soulagement et l'affect positif que cette consommation engendre, même s'il est éphémère, est la raison de la répétition de ce comportement d'où la dépendance.

### **Conclusion**

Loin d'avoir répondu à toutes les questions que l'on pourrait se poser, ce travail s'inscrit dans une voie de recherche intéressante, car elle ouvre des portes vers de nouvelles perspectives de recherche, notamment, de prendre en compte l'affectivité de l'adolescent toxicomane et ne pas se limiter aux facteurs environnementaux en excluant toute composante individuelle comme ça a souvent été le cas dans les études portant sur une population de toxicomanes algériens.

Enfin, nous insistons sur le fait que la prévention reste la seule solution afin de parer le fléau de la toxicomanie. Face à un pays qui ne compte qu'un nombre restreint de centres et d'annexes de désintoxication, et qui, depuis de nombreuses années, fait

miroiter d'autres projets de création de centres de désintoxication, qui restent à ce jours des projets fictifs

### Bibliographie

- Adès, J., Lejoyeux, M., Tassain, V. (1994). Sémiologie des conduites de risques.
- Encyclopédie médico-chirurgicale, Psychiatrie **37**(114-A-70).
- *Conférence internationale des Nations Unies sur l'abus et le trafic illicites des drogues, Vienne, 17-26 juin 1987* (publication des Nations Unies, numéro de vente : F.87.I.18), chap. I, sect. A.
- Coslin, P. (2003). Les conduites à risque à l'adolescence, Paris, Armand Colin
- Crocos, M. et Sperenza, M. (2003). Psychopathologie de l'alexithymie. Paris, Dunod.
- Dethieux, J.B., Dounet, C., HAazan, F. (2001). A la recherche des émotions perdues. L'adolescente anorexique et son père. Etude préliminaire à propos de l'hypothèse alexithymique. In Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence. Vol 49, 131-140.
- Haviland MG, Shaw DG, Cummings MA, MacMurray JP. (1988). Alexithymia, subscales and relationship to depression. Psychotherapy and Psychosomatics, 50 : 164-70
- Luminet, O. (2008). psychologie des émotions : confrontation et évitement. Paris, De Boeck
- Michel, G., Carton, S. & Jouvent, R. (1997). Recherche de sensations et anhédonie
- dans les conduites de prise de risque : Etude d'une population de sauteurs à l'élastique. L'Encéphale, 23. 403-411.
- Ofice national de la lutte contre la drogue et la toxicomanie, [http://www.onlcdt.mjustice.dz/onlcdt\\_fr/donnees\\_statistiques/bilan\[2014\].pdf](http://www.onlcdt.mjustice.dz/onlcdt_fr/donnees_statistiques/bilan[2014].pdf), consulte le 3 juin 2014
- Organisation Mondiale de la Santé (1993), Comité OMS d'experts de la pharmacodépendance. Vingt-huitième rapport. Série de rapports techniques-836. O.M.S-Genève. En ligne : <http://apps.who.int/medicinedocs/en/d/Js4897f/8.html>. consulté le 06 octobre 2011.
- Pardinielli, J.-L. (1992). Psychosomatique et Alexithymie. Paris, PUF.
- Selosse, J. (1972). Phénomènes grégaires chez les jeunes. Paris, Ed. du CNRS.
- Taylor, GJ., Parker, JDA &, Bagby RM. (1990). A preliminary investigation of alexithymia in men with psychoactive substance dependence. In American Journal of Psychiatry, 147 (9) : 1228-30
- Trull, T. J., & Sher, K. J. (1994). Relationship between the five-factor model of personality and Axis I disorders in a nonclinical sample. Journal of Abnormal Psychology, 103, 350-360
- Vorst, H. C., & Bermond, B. (2001). Validity and reliability of the Bermond-Vorst. Alexithymia Questionnaire. Personality and Individual Differences, 30, 413-434.

## La construction de l'autonomie cognitive par le manuel scolaire : Exemple du manuel de français de cinquième année primaire.

### Résumé

L'apprentissage est un processus long et complexe, qui exige une actualisation quasi permanente des connaissances acquises, et qui requiert une certaine autonomie cognitive de la part de l'apprenant. Dans cette étude, nous allons analyser dans quelle mesure le manuel scolaire de français de 5<sup>ème</sup> année primaire favorise la construction de l'autonomie cognitive des élèves, en s'appuyant sur une grille d'analyse qui comprend deux parties ; la première évalue si la démarche pédagogique suivie dans le manuel favorise l'autonomie cognitive des apprenants ; et la seconde si la structure et le contenu du manuel sollicitent l'utilisation de stratégies cognitives.

**Atfa MEMAI**  
**Abla ROUAG**

Faculté de Psychologie  
et des Sciences de l'Education  
Université de Constantine 2  
(Algérie)

### Introduction et problématique de recherche

Si par le passé, l'enseignement était conçu comme l'acte de transmettre des connaissances, Aujourd'hui il a pour objectif essentiel de développer l'autonomie des apprenants, de former à l'auto direction, à l'autorégulation, et d'accompagner l'utilisation des stratégies d'apprentissage. La profusion du vocabulaire émergent qui désigne les nouvelles formes d'apprentissage témoigne de cette orientation plus ou moins récente du champ de la connaissance (auto-apprentissage, auto-formation, apprentissage autodirigé (*self directed learning*), apprenance (*learning readiness*). apprendre à apprendre), orientation qui trouve sa justification dans un contexte de surcharge informationnelle, où tout un chacun est exposé à une multitude d'informations à traiter, et où le renouvellement perpétuelle des connaissances exige un apprentissage tout au long de la vie.

L'autonomie s'intègre donc dans une évolution pédagogique nécessaire et ouvre le

### ملخص

التعليم هو سيرورة مركبة وطويلة المدى تستدعي تحديث دائم ومستمر للمعارف المكتسبة، الأمر الذي يتطلب بعض الاستقلالية المعرفية من قبل المتعلم، في هذه الدراسة نقوم بتحليل إلى أي مدى يمكن للكتاب المدرسي للغة الفرنسية والخاص بالسنة الخامسة ابتدائي تعزيز الاستقلالية المعرفية للتلاميذ، معتمدين في ذلك على شبكة مراقبة متكونة من جزئين؛ الجزء الأول يُقيم إذا كان النهج التربوي المتبع في الكتاب المدرسي يعزز الاستقلالية المعرفية للمتعلمين؛ أما الثاني قد تطرقنا فيه إلى إذا كانت بنية ومضمون الكتاب المدرسي يستدعيان استخدام الاستراتيجيات المعرفية.



passage d'un enseignement de type transmissif à un enseignement autonomisant, qui place l'apprenant au cœur du processus d'apprentissage, et qui offre un environnement où tous les éléments susceptibles de favoriser la construction du savoir sont mis à la disposition de l'élève.

Le système éducatif algérien, dans sa dernière réforme a su inscrire son action en cohérence avec cet impératif d'autonomisation, puisqu'il stipule dans La loi d'orientation sur l'éducation nationale n°08-04 du 23 janvier 2008, la nécessité de *Développer l'autonomie des apprenants dans la recherche de l'information, de son traitement et de son exploitation pour trouver les réponses et les solutions aux problèmes qui se posent à eux*, et donne toute son importance à la *maîtrise des outils intellectuels et méthodologique de la connaissance facilitant les apprentissages* (p. 16).

La place et le rôle que peuvent jouer le manuel scolaire et les matériels didactiques dans ce processus d'apprentissage où l'élève est actif et constructif est cruciale, de nombreuses études ont démontré qu'une amélioration de la fourniture de manuels scolaires de bonne qualité dans les écoles a une influence positive sur les résultats scolaires (Seguin, 1989). Évidemment, dans les classes où le nombre d'élèves limite les possibilités d'interaction avec l'enseignant, le manuel scolaire prend davantage d'importance.

Lorsqu'il utilise le manuel scolaire, l'élève traite une multitude d'informations, ces contenus textuelles et iconographiques, interviennent directement sur les mécanismes de la construction, de l'organisation et de la gestion du savoir. La préoccupation de cette étude est de savoir si le contenu du manuel scolaire de français de 5<sup>ème</sup> année primaire offre les conditions les plus susceptibles de contribuer de façon significative à cette construction, si la structure du manuel, et les démarches d'apprentissage adoptées apporte aux élèves les moyens de développer leur autonomie cognitive, et si les activités qu'il propose sollicitent l'utilisation efficace des stratégies cognitives.

## **1. Cadre théorique de l'étude**

### **2.1 Le manuel scolaire**

Le manuel scolaire est un élément central dans la pratique pédagogique. De sa qualité dépend pour une grande part la valeur d'un enseignement. En effet, il est reconnu comme l'un des facteurs les plus efficaces pour améliorer la qualité de l'enseignement, particulièrement dans les pays où le système éducatif manque de moyens, et où « *le manuel est parfois la seule source écrite d'information* » (Gerard & Roegiers, 1993, p. 72).

Selon *Le Nouveau Petit Robert* (2007) un manuel scolaire est un « *ouvrage didactique présentant, sous format maniable, les notions essentielles d'une science, d'une technique, et les connaissances exigées par les programmes scolaires* », ainsi, c'est un ouvrage qui comporte la synthèse d'une matière donnée ou le résumé d'un enseignement, par opposition au livre, qui comprend souvent l'analyse et le développement d'un sujet. Ce qui le caractérise également c'est la diversité des activités d'apprentissage qu'il propose.

Selon qu'il est utilisé par les enseignants, les élèves, ou leurs parents, le manuel scolaire peut remplir différentes fonctions, pour l'élève il est un recueil de connaissances, et un guide d'apprentissage, pour l'enseignant, c'est un auxiliaire pédagogique, il constitue une précieuse aide à la gestion des cours et un réservoir d'exercices, les parents d'élèves, quant à eux, l'utilisent davantage pour le suivi des apprentissages de leurs enfants, le manuel est un outil aux fonctions multiples qui s'adresse à divers destinataires, il permet une continuité de l'enseignement en dehors de l'école, et crée un lien entre celle-ci, la famille et l'élève.

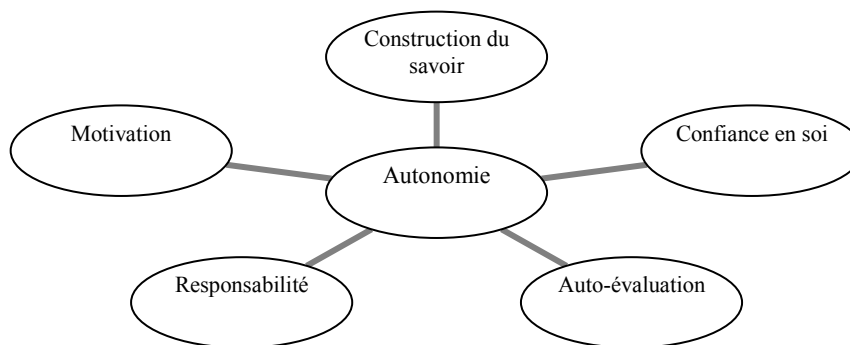
Toutefois, l'élève est le principale destinataire des auteurs de manuels, et le principal utilisateur de cet outil didactique, qui a pour fonction d'« *aider l'élève d'une part, à comprendre, à appliquer, à analyser, à synthétiser ses acquisitions, voire à inventer des données nouvelles, et, d'autre part, à évaluer ses apprentissages* » (Sprengh 1976, cité dans De Landsheere, 1982, p. 336).

Si certains contenus des manuels scolaires ont des fonctions qui sont spécifiquement orientées vers les apprentissages scolaires et leur transmission, d'autres concernent le traitement de l'information et visent à faire acquérir des savoir-faire cognitifs, comme la capacité à déduire, induire, à raisonner par analogie, à formuler des hypothèses, à décrire, comparer, distinguer l'essentiel de l'accessoire...etc., toutes ces activités intellectuelles qui permettent à l'élève d'accéder à l'autonomie cognitive.

## 2.2 L'autonomie cognitive

L'autonomie cognitive est la capacité à prendre le contrôle de son propre apprentissage. Ainsi, l'apprenant autonome est celui qui est impliqué dans la construction de ses apprentissages, c'est aussi celui qui assume la responsabilité de ses succès comme de ses échecs. Enfin, c'est un élève qui a appris à évaluer ses apprentissages et à s'auto-évaluer, car « *On ne peut prétendre être autonome tant que l'on n'arrive pas à juger par soi-même de l'adéquation d'une démarche ou de la qualité d'une production* » (Saint-Pierre, 2004, cité dans Belzil, 2010, p.51).

Pour Monique Linard (2003) « *l'autonomie est une capacité de haut niveau, cognitive mais aussi psychologique et sociale, qui implique des qualités d'attention, d'autocontrôle, d'intelligence, de confiance en soi et de relation* ». Et en effet, l'autonomie implique de nombreux paramètres, qui sont étroitement liés et qui interagissent et s'influencent réciproquement, comme la motivation et la confiance en soi, Pour faire preuve d'autonomie, l'apprenant doit avoir le sentiment de pouvoir entreprendre et réaliser un projet d'apprentissage par lui-même, tout comme il doit faire preuve de motivation, celle-ci garantie sa participation, son engagement et sa persistance dans une tâche d'apprentissage (Tardif, 1999, p.91)



**Figure 1** : Paramètres intervenant dans le processus d'autonomisation.

Pour développer efficacement l'autonomie des apprenants, ces paramètres doivent être pris en considération, aider l'élève à développer sa confiance en soi, en l'impliquant dans la construction du savoir, en le responsabilisant, et en l'amenant à évaluer ses acquis, c'est le motiver et lui montrer la voie vers l'autonomie.

Les composantes de l'autonomie cognitive sont essentiellement :

- la capacité à distinguer les informations pertinentes de celles qui ne sont qu'accessoires.
- la capacité à manipuler les données notamment en les comparant entre elles.
- la capacité à recueillir des indices et à formuler des hypothèses (sur le sens des mots, ou sur les causes d'un phénomène donné).
- la capacité à déduire des règles à partir d'un ensemble de données, d'observations et d'exemples.
- la capacité à transférer ses connaissances d'une situation à une autre.
- la capacité à évaluer soi même ses acquis et ses manques.
- la capacité à utiliser les stratégies cognitives consciemment et efficacement.

### 2.3 Les stratégies cognitives

Dans une situation d'apprentissage, l'élève se trouve au contact d'une somme de connaissances nouvelles à acquérir : un texte à analyser, un exercice à résoudre, un poème à mémoriser...etc. Pour ce faire, il va employer diverses techniques qui lui permettront de faciliter la réalisation de ces tâches. Ce sont ces techniques qu'on appelle les stratégies cognitives. Celles-ci offrent les conditions favorables à l'apprentissage. Pour Paul Cyr « *les stratégies cognitives impliquent une interaction entre l'apprenant et la matière à l'étude, une manipulation mentale et physique de cette matière et l'application de techniques spécifiques en vue de résoudre un problème ou d'exécuter une tâche d'apprentissage* » (1998, p.46).

Le concept de stratégie cognitive a été utilisé pour désigner différents comportements d'apprentissage, et cette généralisation a créé la confusion, en témoigne l'hétérogénéité des stratégies impliquées dans chacune des classifications existantes.

Dans une volonté de dépassement de cette confusion, Christian Bégin (2008) propose un cadre simplifié, une sorte de synthèse à laquelle il a abouti après avoir fait l'inventaire et la comparaison des différentes taxonomies présentées jusque là. Concernant les stratégies cognitives, l'auteur considère qu'il s'agit d'outils intellectuels mobilisés d'une part dans le traitement des informations et d'autre part pour la résolution de problèmes, il distingue ainsi entre les stratégies cognitives de traitement (sélectionner, répéter, décomposer, élaborer, organiser) et les stratégies cognitives d'exécution (évaluer, vérifier, produire, traduire "paraphraser"). (Voir annexe n°1, et n°2).

## **2. Aspects méthodologiques**

### **3.1 Outil de recherche**

Parmi les méthodes de recueil des données, la grille d'analyse est l'outil qui est le plus utilisé dans l'étude des manuels scolaires. C'est un outil pertinent pour l'analyse de contenu, il permet de structurer la collecte des données et de lui donner un sens. Selon Leray (2008) il s'agit d'« *un court document récapitulatif l'ensemble des éléments de contenu que l'on désire retracer dans le corpus retenu pour étude* » (p.22).

Nous avons élaboré notre instrument de recherche qui comprend dix (13) items énoncés sous forme de questions – que nous présentons ci-dessous – dont les réponses sont réparties sur une échelle de type Likert, avec quatre (4) possibilités de réponse. (Voir annexe n°3).

### **3.2 Corpus de recherche**

Le manuel scolaire de français de 5<sup>ème</sup> année primaire est intitulé "*Mon livre de français*", il comporte 144 pages, et se divise en quatre (4) projets, dont chacun comporte trois (3) séquences, subdivisées en neuf (9) rubriques : Oral, lecture, j'apprends en...Vocabulaire , j'apprends en ... Grammaire, j'apprends en ... Conjugaison, j'apprends en ... Orthographe, je m'entraîne à écrire, je découvre une longue histoire, évaluation.

Conçu par des auteurs algériens : un inspecteur de l'éducation nationale ; trois maîtres dans l'enseignement fondamental, et un professeur de l'enseignement fondamental, . Il a été homologué par la commission d'homologation et d'approbation de l'Institut National de recherche en Éducation (INRE) en 2010, et publié par l'Office National des Publications Scolaires (ONPS) la même année.

Chaque page du manuel est analysée, tous les éléments de son contenu textuel sont évalués en fonction des critères de la grille.

**3. Résultats et analyse des données**

Question N° 1	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
<b>Le manuel introduit-il les règles de la langue par induction ?</b>	×			

Dans le manuel de français de 5<sup>ème</sup> année primaire, les leçons sont ainsi organisées :

- Un bref passage d'un texte précédemment étudié est présenté (le choix de prendre un texte déjà étudié est judicieux car il facilite l'étude du texte et son exploitation).
- On demande à l'élève d'observer les mots soulignés ou la construction des phrases
- Quelques questions lui sont posées pour orienter son attention et guider son raisonnement et sa production d'inférences.
- La règle est explicitée (formulée parfois dans un langage difficile, elle n'en demeure pas moins très explicative)
- Des exercices d'application sont proposés

Cette démarche est résolument inductive.

Question N° 2	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
<b>Le manuel suggère-t-il la formulation d'hypothèses de sens ?</b>				×

Même dans les leçons de vocabulaire sur les synonymes (P22) et les antonymes (P124) rien n'est fait pour apprendre aux élèves à formuler des hypothèses de sens. Dans la leçon sur la préfixation (P56), il n'est aucunement expliqué à quoi servent les préfixes, il n'est pas dit qu'en plaçant un suffixe devant un mot il est possible soit d'obtenir son contraire (faire-défaire), soit d'exprimer la répétition (faire-refaire), pourtant c'est une information précieuse, et qui démultiplie les capacités lexicales des apprenants.

Question N° 3	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
<b>Le manuel demande-t-il l'utilisation du dictionnaire ou de toute autre source documentaire ?</b>			×	

Que ce soit dans les questions de compréhension ou dans les activités de vocabulaire, l'utilisation du dictionnaire n'est à aucun moment sollicitée, l'évocation de celui-ci se limite à un cours de vocabulaire intitulé « la définition d'un mot (utilisation du dictionnaire) » (P80), dans lequel est expliqué l'utilité du dictionnaire, comment les mots y sont ordonnés, et aussi il est demandé aux élèves de trouver le sens de quatre mots extraits d'un texte précédemment étudié. Un exercice similaire est reproduit quelques pages plus loin (P87). Pour compléter la fiche d'identité d'un animal, il est demandé à l'élève de chercher les informations dans le dictionnaire (P95).

Nous considérons que ce cours sur l'utilisation du dictionnaire est fort pertinent, mais seul un renvoi fréquent au dictionnaire et aux autres sources de documentation tout le long du manuel peut ancrer chez les apprenants l'habitude d'utiliser le dictionnaire, l'internet et les livres pour compléter ses connaissances.

Question N° 4	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
L'auto-évaluation est-elle initiée ?		×		

Une grille d'auto-évaluation, intitulée "grille de réécriture" est systématiquement proposée après chaque production écrite. Cette grille est composée d'une série de questions qui permettent à l'élève de vérifier qu'il a respecté les principes de base de la rédaction (construction des phrases, conjugaison et ponctuation...etc.)

Dans les autres rubriques on ne retrouve pas de grilles d'auto-évaluation, ni activités auto-évaluative.

Question N° 5	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
Le manuel demande-il de sélectionner des données en fonction de critères prédéterminés ?	×			

De nombreuses activités proposent aux élèves de relever à partir d'un texte des mots ou des phrases répondant à des critères préalablement définis (P11, P12, P21, P24, P26, P32...etc.)

Question N° 6	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
Le manuel demande-t-il de relire, de réécrire ou de répéter une procédure ?		×		

Le manuel demande quelque fois de relire des textes précédemment étudiés (P26, P45, P55, P117...etc.) dans le but de les exploiter davantage, ou d'y puiser du vocabulaire.

Question N° 7	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
Le manuel demande-t-il de décomposer un tout en ses éléments constituants ?		×		

Les seuls activités qui proposent aux élèves de décomposer un tout en ses éléments constituants, ce sont des exercices qui concernent la leçon sur la préfixation et la suffixation, où il est demandé aux élèves de décomposer les mots en séparant préfixe, radical et suffixe (P39, P73, P56).

Pour comprendre les constituants d'une phrase et comment celle-ci est construite, pour connaître les différentes parties d'un texte (introduction, développement, conclusion), et enfin pour comprendre comment les mots sont constitués avec les

préfixes, les suffixes et les radicaux, la décomposition des mots, des phrases et des textes est indispensable.

Question N° 8	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
Le manuel demande-t-il de comparer entre différents éléments ?			×	

Souvent, il est demandé aux apprenants pour asseoir leurs connaissances conditionnelles, de classer des mots ou des phrases dans des catégories. Par exemple pour distinguer entre les phrases déclaratives, interrogatives, exclamatives et impératives (P13), mais il ne leur est pas explicitement demandé de comparer entre ces différents types de phrases. Or c'est en découvrant les caractéristiques qui distinguent les différents types de phrases par un travail d'observation et de comparaison que nous apprenons à les différencier.

Question N° 9	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
Le manuel demande-t-il d'élaborer les connaissances abordées ?	×			

Dans les séquences d'apprentissage, il est fréquemment demandé aux élèves d'observer les objets d'apprentissage et d'en relever les caractéristiques. Le manuel fait souvent appel aux connaissances antérieures des élèves, il demande aux élèves de construire des phrases en utilisant les mots étudiés, de donner des exemples (P16, P19, P26, P36...etc.)

Question N° 10	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
Le manuel demande-t-il d'organiser les connaissances abordées ?			×	

Le manuel ne demande pas souvent aux élèves d'organiser les connaissances abordées, quelques exercices demandent de regrouper des mots ou des phrases selon des caractéristiques données, généralement dans des tableaux, mais les schémas, et les diagrammes sont inexploités.

Question N° 11	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
Le manuel demande-t-il de traduire (paraphraser) ?				×

Dans tout le manuel, à aucun moment il n'est demandé aux élèves de traduire des mots ou de reformuler une phrase

Question N° 12	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
<b>Le manuel demande-t-il de vérifier la validité des réponses, le respect des consignes ?</b>		×		

Dans la rubrique production écrite, une grille de réécriture comportant tous les critères exigés pour une rédaction est présentée aux élèves afin de les aider à vérifier le respect des consignes, de confirmer la présence des éléments visés.

Question N° 13	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout
<b>Le manuel demande-t-il de réaliser un travail oralement, manuellement ou par écrit (rédaction, schéma, fabrication d'un objet...)?</b>			×	

Dans le manuel, chaque séquence de chaque projet propose aux élèves de réaliser une production écrite, une autre production écrite est proposé aux élèves à la fin de chaque projet.

#### **4. Discussion**

Les résultats qui sont ressortis, après l'analyse détaillée du contenu du manuel de français de 5<sup>ème</sup> année primaire montre que :

- La démarche pédagogique suivie dans le manuel favorise dans son ensemble l'autonomie cognitive des apprenants.
- La structure et le contenu du manuel ne sollicitent pas assez l'utilisation de stratégies cognitives.

La démarche pédagogique suivie pour l'organisation des leçons de conjugaison, de grammaire et de vocabulaire est la démarche inductive, celle-ci favorise l'autonomie cognitive des élèves, puisqu'elles sollicitent la participation active de ces derniers en les impliquant dans la construction du savoir à partir de la production d'inférences. Les questions qui incitent la formulation d'inférences par les élèves sont dans la grande majorité des cas judicieuses. Les leçons sont structurées de manière très claire et répétitive.

Ceci dit, le manuel n'encourage pas l'usage du dictionnaire, et le recours aux différentes sources documentaires livresques et numériques. Il n'apprend pas aux élèves à formuler des hypothèses sur le sens des mots.

La pratique de l'auto-évaluation, même si elle n'est réservée qu'aux activités de production écrite, est un point fort dans ce manuel car elle encourage l'autonomie cognitive des apprenants.

La structure ainsi que le contenu du manuel ne sollicitent pas l'utilisation de stratégies cognitives, à l'exception de l'élaboration qui est largement exploitée. En



effet, le manuel incite les élèves à apporter des informations supplémentaires pour enrichir et consolider les connaissances, ce qui favorise la mémorisation, car « *plus les voies d'accès à une connaissance sont nombreuses, plus la personne a de possibilités de la rendre disponible au besoin* » (Tardif, 1992, p. 334).

Dans les différentes activités proposées, il n'est pas d'exercice qui implique la comparaison entre des connaissances données, pourtant nous savons l'importance de la discrimination dans l'acquisition des connaissances conditionnelles, celles-ci sont « *les connaissances responsables du transfert des apprentissages* » (Tardif, 1992, p. 53), c'est aussi une stratégie pertinente notamment pour l'apprentissage des règles de la langue, c'est en observant et comparant les données entre elles que les élèves apprennent à généraliser quand c'est possible et à discriminer lorsque c'est nécessaire.

Il n'y a pas d'activités prévues pour apprendre aux élèves à organiser les nouvelles connaissances. Or « *Plus les connaissances sont organisées chez la personne, plus elle a de probabilités de pouvoir y associer de nouvelles informations d'une façon significative et de pouvoir les réutiliser fonctionnellement* » (Tardif, 1992, p. 42), plusieurs activités peuvent contribuer à favoriser ce processus qui a pour rôle d'attribuer un ordre logique et cohérent aux nouvelles connaissances : Le réseau sémantique pour l'apprentissage du vocabulaire, les schémas et les plans pour lister les différentes étapes d'une procédure par exemple, les tableaux pour les connaissances conditionnelles...etc.

Le manuel n'invite pas assez souvent les élèves à décomposer, c'est-à-dire à défaire le tout en parties et à identifier les composantes, pourtant, la manipulation de la langue passe nécessairement par la capacité à analyser les différents composants des mots, des phrases et des textes.

À l'issue de cette analyse, nous pouvons avancer que le manuel de langue française de 5<sup>ème</sup> année présente de grandes qualités pédagogiques et didactiques, et l'autonomisation de l'élève y est prise en considération, toutefois, de grandes améliorations peuvent y être apportées, notamment concernant le développement des outils cognitifs des apprenants. Comme le souligne Tardif (1992) « *il est urgent que l'école contribue à développer chez l'élève des stratégies qui lui permettent d'interagir indépendamment avec de nouvelles informations, de les relier à ces connaissances antérieures, de les intégrer dans sa mémoire à long terme au besoin, et surtout, de les réutiliser fonctionnellement dans des contextes appropriés* » (p.298)

## **5. Conclusion**

Le manuel scolaire constitue un document privilégié pour l'apprentissage, notamment dans les premières années d'études, il accompagne l'élève dans sa scolarité, et permet une continuité de celle-ci en dehors de l'institution scolaire. Son rôle ne doit pas concerner seulement l'apprentissage de contenus relevant de la discipline, mais également porter sur le développement des compétences nécessaires au "métier d'élève".

Un manuel scolaire de qualité met à la disposition des élèves des outils, des ressources et des activités qui leur permettent de développer leur autonomie, et d'interagir avec leur environnement de manière pertinente.

### Références bibliographiques

- Bégin, C. (2008). Les stratégies d'apprentissage : un cadre de référence simplifié. *Revue des sciences de l'éducation*, Vol. 34, n°1, 47-67.
- Cyr, P. (1998). *Les stratégies d'apprentissage*. Paris : CLE international.
- De Landsheere, G. (1982). *Introduction à la recherche en éducation*. (5<sup>e</sup> éd). Paris : Armand colin-Bourrelrier.
- De Vecchi, G. & Carmona-Magnaldi. (2001). *Faire construire des savoirs*. Paris : Hachette éducation.
- Gentaz, É. & Dessus, P (dir.) (2004). *Comprendre les apprentissages : sciences cognitives et éducation*. Paris : Dunod.
- Gerard, F.M. & Roegiers, X. (1993). *Concevoir et évaluer des manuels scolaires*. Bruxelles : De Boeck Université.
- Griggs, P, Carol, R & Bange, P. (2002). La dimension cognitive dans l'apprentissage des langues étrangères. *Revue française de linguistique appliquée*, Vol. VII, 17-29.
- Huong, D-A. (2010). L'approche cognitive dans l'apprentissage des langues étrangères, sa conception et ses apports à l'acquisition des compétences linguistiques. *Synergies : Pays riverains du Mékong*, N°2, 127-139.
- Lemaire, P. (2006). *Psychologie cognitive*. (2<sup>e</sup> éd). Bruxelles : De Boeck.
- Lieury, A. (2008). *Manuel visuel de psychologie cognitive*. Paris : Dunod.
- Lieury, A. & de La Haye, F. (2009). *Psychologie cognitive de l'éducation*. (2<sup>e</sup> éd). Paris : Dunod.
- MEN (2008). Bulletin officiel de l'éducation nationale, loi d'orientation sur l'éducation nationale n° 08-04 du 23 janvier 2008.
- Nguyen-xuan, A. (1995). Les mécanismes cognitifs de l'apprentissage. *Revue française de pédagogie*, Vol. 112, 57-67.
- Onursal Ayirir, I. (2011). La cognition et les stratégies cognitives dans l'apprentissage des langues étrangères. *H.U Journal of Education*, 40 : 44-56.
- Pingel, F. (1999). *Guide UNESCO pour l'analyse et la révision des manuels scolaires*. Paris : GEI/UNESCO.
- Raynal, F. & Rieunier, A. (2007). *Pédagogie : Dictionnaire des concepts clés*. (6<sup>e</sup> éd). ESF éditions.

- Reed, K.S. (1999). *Cognition, théories et applications*. (T. Blicharski & P. Casenave-Tapie, Trad.) Bruxelles : De Boeck Université. (Œuvre originale publiée en 1996).
- Richaudeau, F. (1979). *Conception et production des manuels scolaires : Guide pratique*. Paris. UNESCO.
- Seguin, R. (1989). *L'élaboration des manuels scolaires, guide méthodologique*. Paris. UNESCO.
- Tardif, J. (1992). *Pour un enseignement stratégique : L'apport de la psychologie cognitive*. Montréal : Éditions Logiques.
- Tardif, J. (1995). Les influences de la psychologie cognitive sur les pratiques d'enseignement et d'évaluation. *Revue Québécoise de psychologie*, Vol.7. N° 2, 175-207.

**Références de corpus**

- ONPS (2010). *Mon livre de français, 5<sup>ème</sup> année primaire*. Alger : ONPS.
- ONPS (2010). *Cahier d'activités, 5<sup>ème</sup> AP*. Alger : ONPS.
- ONPS (2009). *Guide pédagogique du manuel de français 5<sup>ème</sup> AP*. Alger : ONPS.
- ONPS (2008). Programme de français de la 5<sup>o</sup> année primaire. Alger : ONPS.
- ONPS (2008). Document d'accompagnement du programme de français de la 5<sup>o</sup> année primaire. Alger : ONPS.

Annexes

Annexe 1 : Les stratégies cognitives de traitement (Bégin, 2008 p.58).

Stratégies procédures	Actions, techniques ou
Sélectionner : rechercher et identifier, par différents moyens, les informations pertinentes ou utiles que possèdent certains critères prédéterminés ou spontanés.	<ul style="list-style-type: none"> <li>- Noter ;</li> <li>- Souligner ;</li> <li>- Surligner ;</li> <li>- Encadrer ;</li> <li>- Ecrire ; etc.</li> </ul>
Répéter : reprendre ou reproduire fréquemment l'information par la même action ou procédure ou par une combinaison d'actions ou de procédures différentes.	<ul style="list-style-type: none"> <li>- Redire plusieurs fois à haute voix ;</li> <li>- Redire mentalement plusieurs fois ;</li> <li>- Réécrire plusieurs fois ;</li> <li>- Relire plusieurs fois ;</li> <li>- Réviser, etc.</li> </ul>
Décomposer : défaire le tout en parties, séparer des éléments du tout qui ont leurs caractéristiques propres ou qui sont des unités complètes en elles-mêmes.	<ul style="list-style-type: none"> <li>- Séparer en petites parties ;</li> <li>- Identifier les composantes, les caractéristiques ;</li> <li>- Défaire ou identifier en ses multiples étapes ou procédures ; etc.</li> </ul>
Comparer : rechercher des éléments ou des caractéristiques qui permettent d'établir des relations ou des rapports entre les informations.	<ul style="list-style-type: none"> <li>- Rechercher des différences ;</li> <li>- Rechercher des ressemblances ou similitudes ;</li> <li>- Rechercher des rapports de dimensions (plus grand, plus petit, égal) ;</li> <li>- Rechercher des rapports d'importance ;</li> <li>- Rechercher des rapports d'ordre ou de séquence ; etc.</li> </ul>
Élaborer : développer ou transformer l'information pour reprendre ou exprimer sous différentes formes ses principales caractéristiques ou composantes.	<ul style="list-style-type: none"> <li>- Paraphraser ;</li> <li>- Formuler des exemples ;</li> <li>- Créer des analogies ; etc.</li> </ul>
Organiser : construire un ensemble des informations ou des connaissances selon des caractéristiques ou une disposition qui permette d'en identifier ou d'en augmenter la valeur sémantique ou significative.	<ul style="list-style-type: none"> <li>- Créer ou appliquer une mnémotechnique ;</li> <li>- Construire des schémas ;</li> <li>- Construire des diagrammes ou des tableaux ;</li> <li>- Regrouper en fonction de caractéristiques ;</li> <li>- Regrouper par classes ou ensembles ; etc.</li> </ul>

**Annexe 2 : Les stratégies cognitives d'exécution (Bégin, 2008, p.59).**

<b>Stratégies procédures</b>	<b>Actions, techniques et</b>
Évaluer : poser un regard critique sur les connaissances dans le but de faire un choix, en déterminer la justesse ou la valeur.	<ul style="list-style-type: none"> <li>- Déterminer la valeur des éléments ;</li> <li>- Comparer les rapports ;</li> <li>- Estimer ;</li> <li>- Identifier l'importance relative ;</li> </ul> etc.
Vérifier : s'assurer de la qualité ou de la cohérence des informations ou des connaissances produites en fonction de critères ou d'exigences externes.	<ul style="list-style-type: none"> <li>- Identifier les caractéristiques ou les attributs des informations ou des connaissances disponibles ;</li> <li>- Confirmer la présence ou l'absence des éléments visés en lien avec les objectifs ou les critères déterminés ; etc.</li> </ul>
Produire : extérioriser ou exprimer de manière concrète les connaissances jugées pertinentes.	<ul style="list-style-type: none"> <li>- Écrire ;</li> <li>- Dire à voix haute ;</li> <li>- Dessiner ; etc.</li> </ul>
Traduire (vulgariser) : transformer une connaissance dans une autre forme, dans le but de la rendre plus explicite ou mieux adaptée à la situation ou de clarifier le sens en fonction du contexte.	<ul style="list-style-type: none"> <li>- Transformer en leur forme complémentaire (chiffre en mot ou l'inverse, symbole en mot, etc.) ;</li> <li>- Développer dans une même forme en rendant plus explicite ou plus symbolique ;</li> <li>- Ajuster la production en fonction de critères déterminés.</li> </ul>

**Annexe 3 : Grille d'analyse**

**Axe 1 - Autonomie cognitive**

Question	Tout à fait	plutôt	Plutôt pas	Pas du tout	Observations
1.1 Le manuel introduit-il les règles de la langue par induction ?					
1.2 Le manuel suggère-t-il la formulation d'hypothèses de sens ?					
1.3 Le manuel demande-t-il l'utilisation du dictionnaire ou de toute autre source documentaire ?					
1.4 L'auto-évaluation est-elle initiée ?					

**Axe 2 – Stratégies cognitives**

Question	Tout à fait	Plutôt	Plutôt pas	Pas du tout	Observations
2.1 Le manuel demande-t-il de sélectionner des données en fonction de critère(s) prédéterminé(s) ?					
2.2 Le manuel demande-t-il de répéter une lecture, une procédure ou autre ?					
2.3 Le manuel demande-t-il de décomposer un tout en ses éléments constituants ?					
2.4 Le manuel demande-t-il de comparer entre différents éléments ?					
2.5 Le manuel demande-t-il d'élaborer les connaissances abordées ?					
2.6 Le manuel demande-t-il d'organiser les connaissances abordées ?					
2.7 Le manuel demande-t-il de traduire (paraphraser) ?					
2.8 Le manuel demande-t-il de vérifier la validité des réponses, le respect des consignes ?					
2.9 Le manuel demande-t-il de réaliser un travail oralement, manuellement ou par écrit (rédaction, schéma, fabrication d'un objet...)?					

## Etude sur l'état de santé de la vie de couple chez les jeunes mariés en Algérie.

### Résumé

La présente étude porte sur les jeunes couples mariés en Algérie dont l'objectif est de saisir ce qui caractérise le plus aujourd'hui la vie conjugale des jeunes algériens mariés en nous basant bien évidemment sur les réponses des participants. Nous avons recueilli 712 questionnaires dans 48 wilayas du pays que nous avons passé sur internet. Les hommes et les femmes qui ont répondu à notre questionnaire : ont une durée entre 6 mois et 15 ans de mariage, instruits ou diplômés de l'université, issus des milieux socioculturels favorisés pour la plupart. Nous avons traité nos données avec le logiciel des statistiques SPSS, en procédant à un tri à plat de toutes les variables. Nos résultats traduisent une réalité nouvelle : des jeunes couples qui aspirent à un renouveau, et qui ont décidé de prendre de la distance par rapport à un modèle familial, qui a été décrit par beaucoup d'auteurs comme traditionaliste et archaïque. Connaître son futur partenaire avant de s'engager définitivement avec lui devient une condition sine qua non, les participants ont plutôt une image positive de leurs conjoints, trouvent leurs couples plutôt réussis, l'affectivité dans le couple est plus affirmée, la sexualité est mieux vécue...etc. tout cela dit d'une avancée significative pour le couple algérien. Mais malgré cela des difficultés persistent : tensions au sein du couple, difficulté de communication en temps de crise, manque d'ouverture à d'autres couples, infidélité au sein du couple, problèmes conjugaux liés à l'argent...etc. Tout cela pour dire que le jeune couple algérien est engagé dans une voie de transformation.

**Said Mehdi DERGUINI**

Faculté de Psychologie et des Sciences de l'Education  
Université Constantine 2  
(Algérie)

### Introduction

Une grande majorité d'hommes et de femmes aspire à vivre une harmonieuse relation de couple. Cette relation entre deux êtres peut être couronnée par un mariage. Au fil des années, cette union, le plus souvent, s'étend pour donner naissance à de nouveaux membres qui

### ملخص

تطرقنا في هذا البحث إلى الشباب الجزائريين المتزوجين وهذا في غاية معرفة ما الذي يميز هذه الحياة الزوجية بالاستعانة والعودة إلى إجابات المشاركين في هذا العمل. الإحصائي SPSS وهذا بفرز كل المتغيرات.

لقد جمعنا 712 استمارة من كل أنحاء البلد و ذلك باستعمال الانترنت ، بحيث أن الرجال والنساء الذين قبلوا بالمشاركة في هذا العمل لهم ما بين 6 أشهر و 15 سنة زواج ، هم متعلمون أو متحصلون على شهادات جامعية و ذو مستوى ثقافي لا بأس به على العموم.

تمت عملية الفرز و الدراسة للمعلومات المحصلة باستعمال البرنامج المعلوماتي الإحصائي SPSS وهذا بفرز كل المتغيرات.

ترجمت هاته النتائج حقيقة جديدة : هي أنه الشباب الأزواج يصبون إلى إرساء التغيير في حياتهم الزوجية و الابتعاد نوعا ما عن النموذج الزوجي الأبوي ، هذا الأخير الذي وصف من طرف الكثير من المؤلفين على أنه تقليدي و بدائي. لقد أصبح التعرف على شريك الحياة شرط أساسي قبل الولوج إلى الحياة الزوجية ، للشركاء نظرة إيجابية على شركائهم ، و يرون أن الحياة العاطفية أكثر انشراحا ، بما في ذلك حياتهم الجنسية ... الخ و هذا كله يعكس تغيرا معتبرا في الحياة الزوجية في الجزائر . لكن رغم هذا لا ننكر أن هناك الكثير من الصعوبات التي تبقى : التوترات العديدة في الحياة الزوجية ، عدم تمكن من الحوار في حالة بروز أزمة، نقص الانفتاح على أزواج آخرين ، الخيانة الزوجية ، الكثير من المشاكل بخصوص المال و تسييره... الخ.

كل هذا حتى نقول بأن الزوج الجزائري ، في يومنا هذا ، هو ماض في طريق تغير و تحول حقيقي.

sont les enfants et constituer une famille à part entière.

Cependant, nous cherchons à travers ce travail à explorer cette réalité humaine et décrire ce qui la caractérise aujourd'hui en Algérie chez les jeunes couples.

Les auteurs algériens qui se sont penchés sur la question ont essayé de déchiffrer les rouages de la famille algérienne en procédant par des approches plutôt sociologiques, en s'arrêtant brièvement sur le couple, sans s'y consacrer vraiment ; peut être parce qu'il n'y avait pas de vie de couple au sens où on l'entend de nos jours. L'homme et la femme fondaient certes une famille. Cependant, cette famille se retrouvait noyée dans la famille élargie et par conséquent sans beaucoup d'intimité.

Pour beaucoup d'auteurs algériens et occidentaux qui ont travaillé sur la famille algérienne, et qui ont passé des années à l'observer, et qui des fois, ont vécu à l'intérieur de cette société ont une vision d'une famille opposée au changement, qui porte dans son système

de pensée les éléments même d'une stagnation chronique ; beaucoup ont émis des critiques virulentes à son égard et n'hésitaient pas à la surnommer de famille traditionaliste. Zerdoumi. N. (1970, pp 35) écrivait que « la famille algérienne, musulmane, est demeurée immuable pendant des siècles, malgré une histoire mouvementée, non pas qu'elle ait bénéficié d'une protection religieuse ou législative particulière, mais parce que, ayant adopté une structure défensive, elle se trouvait à l'écart des causes susceptibles de provoquer son évolution. Elle portait en elle des éléments statiques, absorbant ou neutralisant les influences successives et contradictoires du cadre politico-social ».

C'est dire que la famille algérienne et le couple en particulier trouvait beaucoup de difficultés à évoluer et à se personifier de manière affirmée, cela pour dire tout le poids des traditions et des coutumes qui l'emprisonnaient dans un mode de vie de tendance archaïque. Même si certains affirment que les traditions peuvent avoir un rôle stabilisateur et sécurisant, Zerdoumi. N. (1970) insistait sur le poids de la tradition à une époque où les circonstances invitent à de nouvelles formes d'adaptation.



Une réalité du couple algérien, qui expliquerait peut être la focalisation des travaux des auteurs algériens sur la famille, fournissant des efforts pour décrire ses mécanismes et sa composition tout en omettant l'aspect couple dans cette famille, que ce soit pour les couples d'un certain âge déjà, ou même pour les jeunes couples.

Leurs attentions étaient concentrées sur cette famille élargie, composée souvent de plusieurs familles nucléaires. Bendahman. H.(1984, pp 74), expliquait que la structure du moi du maghrébin en milieu traditionnel est centrée sur les coutumes, les traditions et la codification des relations interpersonnelles. Beaucoup de psychopédagogues contemporains expliqueraient cela par une hypertrophie du moi social au détriment de la construction d'un moi personifié et émancipé, d'où la structuration d'une personnalité immature psychologiquement, fixée à une phase d'adolescence ou même d'enfance des fois. Bendahman. H. (Ibid., pp 75) explique que cela apparaît dans la ritualisation des événements marquants, où on voit que les règles et les codes sociaux sont très importants.

Cette disposition humaine a créé deux sociétés distinctes et antagonistes, la société masculine et la société féminine, qui a engendré sur le plan psychologique une méfiance réciproque qui dépasse les adages populaires sur les jugements des uns et des autres où le folklore est riche d'aperçus sur les ruses des femmes et la malveillance des hommes, Zerdoumi. N. (ibid., pp 191).

Aujourd'hui en revanche, l'évolution de la société, le changement des rapports homme-femme, le statut de la femme, son émancipation (choix du conjoint), autant de bouleversements qui imposent à la vie de couple une nouvelle façon de vivre ensemble.

Boutefnouchet. M. (1980, pp 235) explique que le principe de l'émancipation de la femme introduit un des changements les plus importants avec celui de la transformation du statut du patriarcat, dans la structure familiale traditionnelle. Toutefois, et malgré le principe d'émancipation édicté, l'attitude et la conduite observée par la femme restent toujours empreints d'effacement.

Cela nous introduit à la réalité d'aujourd'hui où nous observons effectivement une évolution dans les rapports homme femme et par conséquent dans les rapports de couple : vie indépendante par rapport à la grande famille quand c'est possible, de nouvelles valeurs, une vie affective plus affirmée, des aspirations ...

Cette dynamique d'évolution reste à vérifier sur terrain, son ampleur et son degré de propagation dans la société, car cela n'élimine en rien la présence encore de nombreux couples qui s'opposeraient encore à toute initiative de modernisation et d'ouverture à un nouveau mode de vie.

Reste aussi à délimiter la force de ces deux états antagonistes : un premier état où le couple connaît une dynamique d'évolution positive et un deuxième état de stagnation où ce dernier connaît différentes résistances intrinsèques et extrinsèques. Ce tiraillement continu entre les forces du progrès et celles du non-progrès est décrit par Arezki. D. (2004, pp 13) comme un dilemme que vivent les personnes : d'un côté la tradition, de l'autre l'aspiration à la modernité. Néanmoins, pour la majorité d'entre eux, il n'y a plus la volonté de reconstituer la société communautaire d'antan mais au

contraire une volonté collective d'émancipation sociale et de développement économique.

Certes, cette évolution est le fruit de la présence de facteurs favorisant tel: l'accès de plus en plus facile au savoir, l'amélioration du contexte socio-économique, l'ouverture et le contact avec d'autres sociétés, les mass-médias ...etc

Certains nomment cette dynamique de transformation due à l'interaction avec des facteurs extérieurs : d'acculturation ; celle-ci ne se fait pas sans bousculer une sensibilité apeurée, habituée au confort du conformisme et d'une stabilité d'apparence, mais en même temps désireuse d'une relation amoureuse plus satisfaisante et plus harmonieuse. Toualbi. N. (1984, pp 152) expliquait que l'acculturation s'assortissait régulièrement d'une sorte de brouillage intérieur, d'angoisse diffuse et parfois même de confusion identitaire. Cet état s'amplifie à mesure que les stimuli modernistes gagnent en persuasion et leur corollaire, la culpabilité, en intensité. Et c'est alors que les moyens usuels qui servaient à modérer l'impact de ce conflit, (mécanismes interculturels et rites orthodoxes) ne remplissent plus – ou pas assez – leur office.

Nous ne terminerons pas, sans nous arrêter à une réalité qui accompagne inévitablement cette dimension de couple qui est l'Amour. Cette réalité est très peu utilisée dans le jargon des auteurs algériens qui ont travaillé sur la question, alors que de plus en plus d'auteurs qui écrivent sur le couple, n'hésitent pas à mettre l'accent dessus, en essayant en même temps de la décrire avec précision tout en séparant le sain du maladif. Labonté. M-L.( 2007, pp 261) explique que pour qu'une relation de couple soit créatrice, une base d'amour solide est nécessaire en chacun des êtres qui forment le couple. Cette base vient, entre autres, de notre capacité d'intimité avec nous-mêmes.

Tout cela pour dire que nous nous intéressons au vécu des jeunes couples mariés en Algérie, aux différents indicateurs d'évolution ou de stagnation de leurs vies conjugales pour en faire une sorte de bilan de santé et pour pouvoir situer où en est le couple dans son évolution vers une vie conjugale de plus en plus harmonieuse et satisfaisante, selon l'appréciation propre des participants eux-mêmes.

Cela nous amène à nous poser les questions suivantes :

*Qu'est ce qui caractérise, le plus, aujourd'hui le rapport homme / femme au sein des jeunes couples Algériens mariés ?*

*Qu'en est-il de la qualité de sa relation ?*

### **Méthode**

Pour pouvoir répondre aux questions que nous nous sommes posés initialement, nous avons procédé à l'élaboration d'un questionnaire. Celui-ci vient, bien évidemment, après le déroulement d'une pré-enquête, car les axes de notre questionnaire sont établis en référence aux résultats de cette première. Nous avons commencé par tracer les cinq axes de notre questionnaire qui sont les mêmes items que nous avons utilisés pour classer le corpus des témoignages que nous avons recueillis dans notre pré-enquête, et qui sont les suivants :

1. Les expériences avant le mariage ;
2. La représentation du couple chez le jeune marié ;

3. Les attitudes et les comportements positifs ou négatifs ;
4. Les éléments qui ont favorisé une bonne évolution dans le couple;
5. Les éléments qui représentent un frein pour l'évolution du couple.

Puis, nous avons pris le soin d'élaborer les questions qui concernent chaque axe et les avons faites de manière à ce qu'ils constituent un ensemble cohérent. Leur nombre est de 51 questions. Ils ont été classés dans le même ordre que les axes que nous avons établis à partir des résultats de notre pré-enquête.

Nous avons choisit de travailler avec la méthode qui correspond à l'échelle de Likert. Nous avons élaboré cinq types de réponses : oui beaucoup ; oui un peu ; je ne sais pas ; non pas vraiment ; non pas du tout.

Pendant chaque participant au questionnaire aura la possibilité de cocher une seule réponse des cinq réponses qui le correspond le mieux.

Nous avons écrit dans la première page du questionnaire une brève description de notre questionnaires aux éventuels participants, où nous expliquions notre démarche et l'objectif de notre recherche, en précisant les critères de la population sur laquelle nous voulons travailler, puis nous avons insisté sur l'importance à ce que chaque participant prenne le temps suffisant pour répondre de manière juste et la plus sincère possible.

Nous avons introduit après ce passage descriptif des questions qui concernent les informations personnelles des participants et qui sont au nombre de 8 et qui sont les suivants : Sexe ; Age ; Age du conjoint (e) ; ville de résidence ; Profession ; Profession du conjoint (e) ; Durée du mariage ; nombre d'enfants.

En ce qui concerne les 51 questions. Elles ont été construites de manière à ce qu'elles soient :

- Claires et précises.
- Courtes et compréhensible au grand public.
- Qu'il y ait une cohérence dans le déroulement des questions.

Car nous avons essayé d'utiliser un langage simple ; courant : qu'utilisent les gens dans leurs vies quotidiennes ; pauvre en concepts scientifiques ; pour que le participant ne se sente pas dépaysé ou entraîné dans un terrain qu'il ne connaît pas : car cela peut lui être insécurisant.

#### **Description de la population étudiée et passation du questionnaire :**

Notre travail de recherche se penche sur les jeunes mariés algériens spécialement. Alors nous avons choisit de travailler avec les personnes qui ont entre : 6 mois et 15 ans de mariage.

Notre questionnaire a été destinataire surtout de personnes instruites et issues d'un milieu socioéconomique qui situe entre le moyen et l'élevé. Ça n'a pas été possible de toucher des personnes peu instruites, et qui représentent ce qu'on appelle : « l'Algérie profonde ». Car très peu d'entre eux utilisent internet.

Après avoir rédigé notre questionnaire, nous l'avons numérisé et introduit dans un logiciel spécifique appelé : « Google Drive ». À partir de ce logiciel, nous avons pu

créer un lien internet qui permet aux internautes d'accéder à notre questionnaire électronique et le remplir sur internet.

Nous avons bien évidemment construit deux questionnaires distincts dans deux comptes différents : l'un en arabe et l'autre en français pour donner la possibilité au plus grand nombre possible d'algériens pour y participer.

Nous avons, pendant un mois entier, diffusé et publié notre questionnaire dans un maximum de pages et de groupes Face book. Nous avons ciblé les pages et groupes qui sont susceptibles de regrouper surtout des individus mariés, algériens et assez jeunes.

Nous l'avons publié dans plus d'une centaine de pages et dans un plus grand nombre de groupes et cela de manière répétitive et quasi journalière pendant un mois. Cela pour donner la plus grande visibilité possible à notre questionnaire, et de fait pour recevoir le plus grand nombre possible de réponses. Nous avons d'un autre côté imprimé une trentaine de questionnaires que nous avons fait passer à des jeunes mariés dans les wilayas d' : Alger, Sétif, Constantine et Oued Souf. A la fin du mois, nous avons pu recueillir 800 réponses, venues des 48 wilayas du pays.

### **Traitement des données**

Nous avons reçu les réponses dans le logiciel nommé plus haut, avec lequel nous avons numérisé notre questionnaire. Nous avons préféré traiter nos données avec le Logiciel SPSS, malgré qu'on avait la possibilité d'utiliser directement les fonctionnalités du premier, car le logiciel SPSS nous donnait une plus grande palette de choix dans le traitement de ces données : tri à plat, tri croisé ...etc.

Nous avons tout d'abord exporté les réponses que nous avons recueillies dans deux comptes Gmail, à l'intérieur du premier logiciel dans chacun des deux comptes : un en arabe et l'autre en français, vers deux feuilles Microsoft Excel distinctes.

Nous avons rassemblé les réponses des deux feuilles Excel dans une seule feuille puis nous avons entrepris de traduire les réponses en arabe vers le français, pour que ça donne un tout cohérent avec des variables communes et pour que ça puisse être traité par le logiciel SPSS, qui ne traite pas les informations en arabe.

Nous avons vérifié une à une les 800 réponses que nous avons reçu pour vérifier leurs crédibilités. Nous avons après procédé à l'élimination de dizaines de réponses que nous avons trouvé ne pas répondre aux conditions de participation à notre recherche. Ce qui a fait que nous avons traité sur le logiciel SPSS : 712 réponses en procédant à un tri à plat.

### **Résultats**

Nous avons affiché une grande partie de nos résultats, qui nous semblent les plus significatifs pour répondre aux questions que nous nous sommes posés au tout début. Car nous ne pouvons exposer tous les résultats en notre possession à cause de la difficulté de tout traiter ici. Les résultats sont les suivants :

**Sexe : FEMME = 66.4 % (473) HOMME = 33.6 % (239)**

Les femmes sont plus nombreuses à accepter de répondre aux questionnaires.

**Durée du mariage :**

	Effectifs	Pourcentage		Effectifs	Pourcentage
	1	,1	6.5	1	,1
0.5	116	16,3	7,	19	2,7
1,	129	18,1	7.5	1	,1
1.5	18	2,5	8,	34	4,8
2,	99	13,9	9,	10	1,4
2.5	10	1,4	9.5	2	,3
3,	68	9,6	10,	25	3,5
3.5	3	,4	10.5	7	1,0
4,	39	5,5	11,	8	1,1
4.5	1	,1	12,	11	1,5
5,	44	6,2	13,	16	2,2
5.5	3	,4	14,	11	1,5
6,	21	2,9	15,	15	2,1
			Total	712	100,0

Plus de 50% des personnes qui ont répondu au questionnaire ont soit 2 ans de mariage ou moins, ce qui reflète une prédominance de très jeunes mariés parmi les participants.

**Nombre d'enfants :**

	Effectifs	Pourcentage		Effectifs	Pourcentage
0	346	48,6	5	5	,7
1	195	27,4	6	1	,1
2	94	13,2	8	1	,1
3	56	7,9	Total	711	99,9
4	13	1,8	Manquant	1	1
			Total	712	100,0

Presque la moitié des participants n'ont pas d'enfants, et 40% ont entre 1 et 2 enfants, ce qui montre clairement une tendance à avoir peu d'enfants ou pas du tout parmi les participants.

**Tableau de fréquences des réponses**

Questions	Oui beaucoup %	Oui un peu %	Je ne sais pas %	Non pas vraiment %	Non pas du tout %
Nous nous sommes connus d'abord avant de nous marier	56,2	26,5	4	8,6	8,3
J'ai connu d'autres hommes/femmes avant de connaître mon/ma conjoint (e)	16,0	38,1	7	23,2	22,1
Je trouve que mon couple est réussi	62,8	23,2	6,6	5,1	2,4
Je vis beaucoup de tensions dans mon couple	9,4	22,2	3,9	28,9	35,5
Ça m'arrive de penser au divorce	6,0	10,3	3,1	8,3	72,3
Dans ma vie de couple, je me réfère au	11,4	20,4	10,4	19,1	38,8

modèle de couple de mes parents					
Je sens que mon (ma) conjoint(e) m'aime	77,2	14,2	5,6	1,5	1,4
Je trouve qu'il (elle) me comprend lorsque je lui exprime mon vécu	53,2	23,6	7,4	9,6	6,2
Je trouve qu'il (elle) a le sens de la responsabilité	68,1	19,4	2,7	5,3	4,5
J'exprime facilement à mon (ma) conjoint (e) mes sentiments positifs	69,4	18,7	1,7	7,4	2,8
J'exprime facilement à mon (ma) conjoint (e) mes sentiments négatifs	48,9	29,4	3,8	13,1	4,9
J'ai une image positive de mon (ma) conjoint (e)	70,5	16,6	5,3	3,8	3,8
Nous vivons pleinement notre vie sexuelle	60,3	23,3	4,6	7,2	4,6
Je trouve qu'il (elle) est souvent déprimé (e)	5,5	18,8	8,4	29,5	37,8
Je trouve qu'Il (elle) est colérique	9,8	24,3	8,4	27,8	29,6
Je trouve qu'Il (elle) vit souvent mes suggestions comme des reproches	16,2	25,0	11,8	21,9	25,1
Je trouve qu'Il (elle) est autoritaire	15,0	20,5	8,6	19,0	36,9
Je trouve qu'Il (elle) est quelqu'un de fragile	15,6	25,6	7,9	16,7	34,3
Il (elle) ne communique pas lorsqu'on est en désaccord	22,1	25,8	5,2	17,4	29,5
Ça lui arrive qu'il (elle) soit violent (e)physiquement	5,1	7,7	3,2	7,9	76,1
Je trouve qu'Il (elle) est égocentrique	9,1	12,2	10,1	13,6	54,9
J'ai une personnalité différente de celle de mon (ma) conjoint (e)]	32,4	30,1	5,8	16,3	15,4
Nous consacrons du temps pour rencontrer ensemble d'autres couples	5,5	16,2	6,0	19,2	53,1
Nos deux familles respectent l'intimité de notre vie privée	57,6	20,1	4,9	10,3	7,2
je suis à l'aise avec la famille de mon (ma) conjoint (e)	44,9	29,8	6,0	9,3	10,0
Les émissions tv que je regarde ont influencé positivement mon comportement dans ma vie de couple	10,4	19,8	20,8	14,7	34,3
[Je trouve qu'Il (Elle) est dépendant(e) de sa mère	16,7	17,1	10,0	19,1	37,1
Je trouve qu'Il (elle) est dépendant(e) de son père	11,2	11,0	6,6	11,2	60,0
mon (ma) conjoint (e) a des relations extraconjugales	4,9	6,6	11,2	8,6	68,7
Nous sommes issus d'un milieu familial socio-culturel différent	19,8	21,6	4,9	17,1	36,5
L'argent est source de problème dans notre couple	10,1	13,8	5,6	19,7	50,8

Parmi les 51 réponses que nous avons, nous avons choisit d'afficher sur le tableau 31 réponses, qui nous semblent les plus significatives et qui répondent plus au thème de notre sujet.

Il faut dire que globalement les réponses tendent à nous montrer un visage positif du jeune couple algérien : beaucoup d'aspects positifs sont reflétés dans les réponses et peu d'aspects négatifs.

Cependant, nous représentons le résumé des résultats sous forme de liste pour faire apparaître ce qui caractérise le plus aujourd'hui la vie de couple des jeunes mariés algériens, et cela pour répondre adéquatement à la question que nous nous sommes posés au début de notre travail de recherche. Elle est comme suit :

1. Les jeunes couples ont fortement tendance à se connaître pendant une période assez longue avant de s'engager dans le mariage, et beaucoup ont connu d'autres hommes/femmes avant de s'engager définitivement avec leurs conjoints(es).

2. 7% seulement des participants ne voient pas leurs couples comme réussi, alors que plus de 15% d'entre eux pensent au divorce, et plus de 30% affirment vivre des tensions dans le couple. cela est pareillement confirmé par plus de 85% de personnes qui ont une image positive sur leurs conjoints (es).

3. Moins de 60% disent ne pas se référer au modèle parental, alors que le reste soit est dans le doute soit répond par l'affirmative, ce qui exprime qu'il y a quand même une proportion importante de mariés qui sentent encore le besoin de se référer à leurs parents. Cela ne nous étonne guère si nous trouvons la même proportion de personnes qui déclarent que leurs conjoints (es) sont dépendants(es) affectivement à leurs mères, un peu moins à leurs pères.

4. Plus de 90% des participants se sentent aimés par leurs conjoints (es), à peu près la même proportion avance que ces derniers ont le sens de la responsabilité, alors qu'ils sont un peu moins nombreux à se sentir compris et rejoints dans leurs vécus.

5. 90% déclarent avoir une capacité à exprimer leurs sentiments positifs et moins de 10% leurs sentiments négatifs. Par contre, ils sont beaucoup à affirmer qu'ils ne communiquent pas en situation de désaccord.

6. Seulement 12% affirment ne pas être satisfaits de leurs vies sexuelles.

7. 20% déclarent avoir des conjoints(es) colériques ou égocentriques alors que la tendance est vers la hausse : 40% pour ceux qui les trouvent : fragiles, autoritaires ou susceptibles. Le pourcentage de ceux qui affirment être agressés physiquement par leurs conjoints est considérable : plus de 10%.

8. Les couples algériens préfèrent rester entre eux, car seulement 20% déclarent consacrer du temps pour rencontrer d'autres couples.

9. 75% des personnes se sentent respectés par leurs belles familles dans leurs vies privées, alors que seulement 10% se sentent complètement envahis par ces dernières.

10. Entre 30% qui déclarent être influencés par les émissions TV et 20% qui ne se déclarent pas non influençables, nous pouvons dire que le couple algérien est fortement influencé par les médias.

11. Plus de 10% déclarent savoir que leur conjoint(e) a des relations extraconjugales, qui représente un taux important et confirme que ce phénomène est bien présent parmi les couples algériens et même ceux encore jeunes.

12. 30% des participants déclarent être issus de milieux socioculturels différents, ce qui traduit une capacité d'adaptation remarquable chez ces jeunes couples. Alors que 25% rendent l'argent responsable d'une partie de leurs problèmes conjugaux.

### **.Discussion**

Les résultats que nous avons recueillis après le traitement des données sont très significatifs, ils nous renseignent sur beaucoup d'éléments importants qui caractérisent la vie de couples des jeunes mariés en Algérie. Cela est bénéfique pour nous car il nous crée une sorte de paysage intérieur psychologique de l'état de santé de la vie conjugale des jeunes couples et nous met face à leurs différents aspects. Cela nous amènerait à répondre à la question que nous nous sommes posés au début : qu'est ce qui caractérise le plus, aujourd'hui, la vie de couples des jeunes mariés algériens ?

En nous mettant face à la liste des résultats que nous avons développés juste en haut, beaucoup d'éléments appellent à réflexion et demandent à être traités plus particulièrement. Il apparaît clair aujourd'hui que beaucoup de prétendants au mariage, font d'abord l'effort de rencontrer et de connaître les personnes qui sont susceptibles de les correspondre avant de s'engager officiellement. Cette expérience peut se répéter à plusieurs reprises jusqu'à ce qu'on trouve la bonne personne.

Une grande majorité affirme qu'elle trouve que son couple est globalement réussi, malgré la présence de tensions au sein du couple. Mais en comparant les pourcentages, ce qui semble contradictoire c'est qu'une partie de ces mêmes personnes disent qu'ils pensent un peu au divorce. Cela peut refléter l'état de flou et d'ambivalence dans lequel peuvent être plongés certaines personnes n'arrivant pas à bien se situer au niveau de leurs couples.

Le besoin de se référer au couple parental dépeint un manque de maturité affective et un manque d'autonomie. Cela est confirmé par la présence des mêmes pourcentages pour les personnes qui déclarent que leurs conjoints (es) sont dépendants(es) affectivement de leurs mères en premier lieu et moins de leurs pères en second lieu. Néanmoins 60% des participants qui se déclarent ne pas copier sur le modèle de leurs parents confirment les dires de Arezki. D. (2004) qui expliquait que la nouvelle génération ne comptait plus reconstituer l'ancien modèle et qu'elle aspirait à un renouveau.

Néanmoins, l'émergence d'une vie affective est clairement affirmée dans le couple, ce qui n'était pas le cas autrefois, car une très grande majorité affirme se sentir aimés et soutenus par leurs conjoints (es). Cette même majorité affirme avoir une capacité à exprimer ses sentiments positifs en premier lieu et un peu moins concernant ses sentiments négatifs ; ce qui permet d'établir une réciprocité dans l'échange, cela est important pour la stabilité et la pérennité du couple.

*Labonté. M-L. (2007, pp 261)* souligne l'importance d'une relation basée sur l'amour, elle écrit que pour qu'une relation de couple soit créatrice, une base d'amour solide est nécessaire en chacun des êtres qui forment le couple. Cette base vient, entre autres, de notre capacité d'intimité avec nous-mêmes. Je parle de l'amour qui se présente dans sa forme réelle, détachée, vivante, créatrice, de l'amour qui permet



d'explorer des dimensions inconnues échappant aux conditionnements imposées par les milieux : familial, culturel et social.

L'insatisfaction sexuelle est liée à la détresse conjugale et à une communication déficiente, cela a été vérifié dans notre étude par la correspondance des pourcentages entre ceux qui ont une difficulté à exprimer leurs sentiments, qui ne se sentent pas aimés par leurs conjoints et ceux finalement qui se sentent insatisfaits dans leurs vies sexuelles. Christensen et Heavey (1999) ont prouvé la forte comorbidité entre dysfonction sexuelle et détresse conjugale.

Parmi les réponses de nos participants : entre 20% et 40% des participants décrivent leurs conjoints(es) comme étant : fragiles, autoritaires, susceptibles ou déprimés. Cette forte proportion représente un contrepois face à cette tendance d'idéalisation que peuvent adopter plusieurs par rapport à leurs couples. Surtout si on prend en compte que seulement 75% des participants affirment n'être pas du tout violentés physiquement par leurs conjoints, sachant que les hommes représentent 33% de notre population.

Selon (Holtzworth-Munroe et al, 2002; M. P. Johnson, 1995; Lussier et al, 2008) l'agression physique moyenne ou « violence commune », est liée à la présence de conflits mal résolus dans le couple, où l'escalade mène parfois à de la violence mineure, transitoire et réciproque. Il s'agit d'un phénomène plus étudié auprès des couples en union récente.

Les couples algériens sont plutôt fermés à leurs semblables, car seulement 20% rencontrent d'autres couples. Tandis que plus de 75% se sentent plus ou moins respectés par leurs belles familles : ce qui incarne cette transition profonde qu'est en train d'opérer la famille algérienne malgré que cela ne touche pas tout le monde bien évidemment. Nos résultats correspondent bien à ceux réalisés dans une enquête menée sur des familles de l'ouest algérien réalisée durant l'année 2000 par le département de démographie de l'université d'Oran en collaboration avec le FNUAP (Fonds des Nations Unies pour les activités de population) et qui a abouti au fait que 40 % des femmes ayant divorcé, l'ont fait pour des raisons conflictuelles avec la belle famille. Cela en prenant en compte que nos résultats ne concernent pas seulement les femmes, et qu'ils touchent un milieu socio-culturel bien particulier.

Le phénomène de l'infidélité au sein du couple est bien présent en Algérie car 10% déclarent savoir que leurs conjoints(es) entretiennent des relations extraconjugales. Nous avons vérifié dans nos données que la quasi majorité des réponses provenaient des femmes, sauf quelques exceptions.

En contexte clinique, les relations extraconjugales représentent l'un des problèmes conjugaux les plus fréquents et pour lesquels les couples recherchent de l'aide professionnelle (Geiss & O'Leary, 1981; Whisman et al, 1997).

D'une autre part, les médias influencent beaucoup les jeunes couples, car le tiers des participants se sent avoir été influencé par les différents programmes de la télévision, alors que 20% sont dans le doute. Cela traduit la réalité de la grande influence qu'exercent les médias sur les gens, qu'elle soit positive ou négative.

Toutefois, Ces derniers laissent transparaître une forte capacité d'adaptation avec d'autres milieux socioculturels qui sont différents des leurs, car plus de 30% déclarent s'être mariés avec quelqu'un qui provient d'un milieu social différent. Cela traduit que l'union de ces premiers a pu se faire dans un élan de spontanéité et de naïveté.

Dans un autre volet, 25% des participants voient en l'argent un facteur de troubles dans leurs vies conjugales. Cela donne à l'argent une place quand même considérable dans la vie de couple du jeune algérien, si on émettait l'hypothèse qu'un pourcentage important du reste des couples n'ont pas d'importantes difficultés financières, de part que beaucoup sont considérés de milieux plutôt aisés [en référence à nos données : profession de la personne et de son(sa) conjoint(e)].

En nous référant à une étude menée aux états unis auprès de 156 couples et proposant une liste de 10 problèmes conjugaux a montré que les problèmes suscitant le plus de désaccord entre les conjoints étaient relatifs à la communication, aux enfants, à l'argent, aux loisirs et à la sexualité (Levenson et al, 1993). Ces résultats traduisent une ressemblance avec le cas algérien, mais font ressentir en même toute la nuance qu'il y a entre ces deux sociétés particulièrement différentes l'une de l'autre.

### **Conclusion**

A la fin de cette étude nous aimerions nous arrêter sur l'essentiel de nos résultats pour bien saisir ce qui caractérise le jeune couple marié algérien. Tout en précisant une nouvelle fois que nos questionnaires ont été destinataires de personnes plutôt instruites, pour leur plus grande majorité.

Il apparaît clairement que le temps des couples des années 70 comme le décrivait beaucoup d'auteurs algériens est définitivement révolu. Car beaucoup parmi nos intervenants ont déclaré avoir connu leurs conjoints (es) avant de se marier avec, qu'ils ont pu connaître d'autres personnes avant de tomber sur la bonne personne. Pour beaucoup, ils ont pris de la distance par rapport au modèle de couple parental. Cela ne rend pas ce dernier forcément mauvais, mais traduit plutôt des pas en avant vers plus d'autonomie et de maturité affective.

Une grande majorité accorde une place importante à l'amour dans le couple. Cela n'efface pas l'existence de tensions, mais les rend plus tolérables. Ils affirment vivre pleinement leurs vies sexuelles, mais tout en observant ce phénomène d'infidélité dans le couple qui est fort bien présent.

Beaucoup déclaraient pouvoir communiquer leurs sentiments positifs ou négatifs à leurs conjoints(es), mais d'autres signes nous montrent bien qu'il y a une réelle difficulté communicationnelle qui apparaît plus clairement dans des moments de désaccord.

Une bonne partie des participants affirment que leurs conjoints(es) peuvent être : autoritaires, susceptibles, colériques ou fragiles psychologiquement. La violence conjugale (physique) est bel et bien présente, même si elle touche une minorité, mais le taux enregistré reste élevé.

A la fin nous ajouterons qu'un nombre important des participants affirme être influencé par les médias dans sa manière de vivre sa vie conjugale ; qu'il s'est engagé avec un(e) conjoint(e) de milieu socioculturel différent et que l'argent peut être source de problèmes et de perturbations dans son couple.

Face à ce paysage humain qui représente les jeunes couples mariés en Algérie, il en ressort un état de santé psychologique qui tend vers le positif, malgré la présence de multiples difficultés.

### **Bibliographie**

1. Arezki, D. (2004), sens et non sens de la famille algérienne, Clemency, Editions Publisud.
2. Bendahman, H. (1984), personnalité maghrébine et fonction paternelle au Maghreb (œdipe maghrébin), Paris, La pensée universelle.
3. Boutefnouchet, M. (1980), la famille algérienne : évolution et caractéristiques récentes, Alger, Société Nationale d'édition et de diffusion
4. Christensen, A. & Heavey, C.I., (1999). Intervention for couples. *Annual Review of Psychology*, 50, 165-190.
5. Geiss, S. K., & O'Leary, K. D. (1981). Therapist ratings of frequency and severity of marital problems: Implications for research. *Journal of Marital and Family Therapy*, 7, 515-520.
6. Holtzworth-Munroe, A., Beak Beatty, S., & Anglin, K. (1995). The assessment and treatment of marital violence: An introduction of the marital therapist. In N. S. Jacobson & A. S. Gurman (Eds.), *Clinical handbook of couple therapy* (pp. 317-339). New York: Guilford.
7. Labonté, M.L. (2007), Vers l'amour vrai : se libérer de la dépendance affective, Paris, Editions Albin Michel.
8. Levenson, R. W., Carstensen, L. L., & Gottman, J. M. (1993). Long-term marriage: Age, gender, and satisfaction. *Psychology and Aging*, 8, 301-313.
9. Louadi, T., Negadi, G., Kouidri, M. (2000) - Enquête sur la Population et la Famille dans l'Ouest Algérien- département de démographie et FNUAP- Projet ALG /98/P08.
10. Lussier, Y., Wright, J., Lafontaine, M.-F., Brassard, A., & Epstein, N. B. (2008). L'évaluation et le traitement de la violence conjugale. In J. Wright, Y. Lussier & S. Sabourin (Eds.), *Manuel clinique des psychothérapies de couple* (pp. 445-506). Québec, Canada: Les Presses de l'Université du Québec.
11. Zerdoumi, N. (1970), enfants d'hier : l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien, Paris, Librairie François Maspero.

## Is There a Narrator in This Narrative?

### Abstract

Some narratologists insist on the fact that a narrative cannot do without a narrator that has to be distinguished from the real author. Indeed, the narrator is considered as that mediating agency whose task is to prepare the reader's entrance to the diegetic world by organizing all the necessary elements which may facilitate this entrance. This is what has been labelled *the pan-narrator theory*.

Others, on the other hand, advocate the idea that not all fictional narratives contain a fictional narrator (Köppe/Stühling 2011). Hence, they adopt something called the *no-narrator theory*. These positions lead us to raise such questions as: do all narratives contain a narrator? And if not, does the death of the narrator engender the death of the narrative?

**Myriam BOUSSAFSAF**

Department of Letters and English Language  
Faculty of Letters and Languages  
University of Constantine 1  
(Algeria)

### ملخص

يعالج هذا المقال أحد أكثر مفاهيم نظرية السرد (السرديات) إثارة للجدل، ألا وهو مفهوم الراوي.

إذ يلج عدد من الباحثين في علم السرديات على أن لا رواية دون راو؛ وعلى أنه يجب التمييز بين الراوي وكاتب النص الفعلي. فالراوي يُنظر إليه على أنه عامل وساطة تتمثل مهمته في تهيئة دخول القارئ إلى عالم السرد، وذلك من خلال نظم العناصر الضرورية لجعل هذا الدخول ممكناً. وهذا ما سمي بنظرية الراوي الجامع.

بينما يدافع البعض الآخر عن فكرة أن النصوص الروائية لا تشتمل كلها بالضرورة على راو وهو ما يسمي بنظرية اللا راوي (نظرية انعدام الراوي).

هذا التباين في الآراء يدفعنا إلى طرح الأسئلة التالية: هل لكل النصوص الروائية راو؟ وإن لم يكن الأمر كذلك، هل يؤدي موت الراوي إلى موت الرواية؟

### Introduction

In recent years, there has been an increasing amount of literature on the concept of narrator. In fact, this concept is central to the entire discipline of narrative theory (narratology). It has been commonly agreed upon the fact that whenever there is a story being told, there is a narrator telling it.

According to Michael J. Toolan, any "narrative study should analyze two components: the tale and the teller." (1) Moreover, it has been acknowledged that the borderline between fiction and non-fiction is denoted by the existence of a narrator in the text. Said differently, the speaker, in nonfictional texts, makes use of his own voice. The communication process is done directly without any *mediating voice*. However, in fictional discourses, the real author uses a speaking voice to deliver his message. This speaking voice is called the

narrator and has to be distinguished from the real, historical author. (1)

In fiction, we distinguish two elements serving the act of narration: the author and the narrator. The author is the real person located in the real world and presenting his fiction to another real person: the reader. The past decades (from 1940's) have witnessed intense researches and studies concerning the concept of the author. (2) Scholars reported that the latter is not only used to determine who is "the maker or composer of a narrative" (Prince 8), but also to find out the meaning of a text, to relate texts composed by the same author to each other, or to historical contexts which enable them set up distinctive traits related to ethics and values, style, and theme patterns.

This concept gained more ground when it was related to some theories. Some would describe the author as a genius (creativity); others would consider him as a crossing point where two or more texts would meet (textuality); and some others would claim that a text is the expression of its author's feelings and thoughts (communication). Moreover, the concept of the author is employed as a determiner of the creator's stylistic and thematic individuality and distinctiveness. Again, this concept possesses a historical importance in establishing a complete historical interpretation of the text. This is due to the fact that the author is the central tie between a narrative and its historical, linguistic and cultural contexts.

The narrator, on the other hand, is the textual *agent* located in a textual fictional world imparting his fiction to a textual entity: the narratee (diagram 1).

This is the reason why, the concept of the narrator has been the source of many complexities. In fact, in some narratives, the distinction between narrator and author becomes very problematic, especially in autobiographical fiction. Such narratives create a close connection between the real author, the narrator and the protagonist himself.



**Diagram 1**

### **What is a Narrator?**

In any **oral** narrative situation, the narrator represents that flesh-and-blood person whose task is to recount a given story. Now, things turn harder to define when this narrator becomes **textual**. In other words, how can it be possible to identify or define *who* the narrator is, when all we get is "a print on paper."

An agent, a voice, a subject, a person, an individual, a position, an authority: all these nouns are frequently used to name or to identify the narrator of a given narrative. Numerous literary studies have attempted to delineate and clarify the concept of *narrator*. The following are some definitions as expressed by some narratologists and literary scholars.

Michael J. Toolan defines the narrator as “the individual or ‘position’ we judge to be the immediate source and authority for whatever words are used in the telling.” (76)

Mieke Bal, questioning the identity and the status of the narrative agent, prefers using the pronoun ‘it’ in her attempt to define it. She emphasizes the fact that “a narrative text is a text in which a narrative agent tells a story.” (16)

Shlomith Rimmon-Kenan identifies the narrator as being that “agent which at the very least narrates and engages in some activity serving the needs of narration.” (91).

Note that in this definition, the relative pronoun *which* is used instead of *who* to draw attention to the “impersonality” of this agent. This reminds us of the position held by Mieke Bal when she considers the narrative agent as being “a linguistic subject, a function, and not a person.” (16)

Gerald Prince considers it as “the one who narrates, as inscribed in the text. There is at least one narrator per narrative, located in the same diegetic level as the narratee (3) he or she is addressing.” (66)

In the narrator entry in The Routledge Encyclopedia of Narrative Theory, James Phelan and Wayne C. Booth, on their turn, assume that despite the complexities that the concept of the narrator raises, it represents “the agent, or in less anthropomorphic terms, the agency or instance that tells or transmits everything \_ the existents, states, and events\_ in a narrative to a narratee.” (388)

Now, whether personal or impersonal, there is a consensus among literary scholars that *a narrative cannot exist without a narrator that has to be distinguished from the real author*. This is what has been called the pan-narrator theory.

Accordingly, these definitions indicate that there is a strong connection between the concept of narrator and that of narrative.

### **On the Narrator-Narrative Relationship**

All the previously mentioned definitions contain some intricacies as far as the relationship between narrator and narrative are concerned:

a. One major theoretical issue (structuralism) that has dominated narratological studies for many years insists on the importance of the narrative agent in telling the narrative. In his *Coming to Terms*, S. Chatman declares that “every narrative is by definition narrated – that is, narratively presented – and that narration [...] entails an agent even when the agent bears no signs of human personality” (115)

Thus, this agent becomes vital to the narrative itself. This will surely lead to the exclusion of visual narratives such as, film and drama, from the domain of narrative. (4) This is on the one hand.

b. On the other hand, some narratologists have subscribed to the belief that “the essence of narrative” is found “in any transmission of existents.” (5) In so believing, these theorists put an end to the narrator-narrative connection. In this case, visual narratives are included within the narrative field.

c. From another perspective, several linguistically oriented theorists (6) have advocated the so-called *no-narrator theory*.

In the ‘No-Narrator Theory’ entry in the *Routledge Encyclopedia of Narrative Theory*, Ann Banfield stated that the no-narrator theory indicates “that certain sentences of fiction do not occur in the spoken language and cannot be said to be enunciated by a narrator.” (396). She also declares that in no-narrator stories the narration is by no means “located in a distinct speaker.” (388). According to her, any text which does not contain a first-person pronoun, or any ‘linguistic sign of the speaker’ is a text which is *narratorless*. (“Unspeakable Sentences” 34-5)

In *The Logic of Literature*, Kate Hamburger shares Banfield’s position by stating that “there is only the narrating poet and his narrative acts. And only in cases where the narrating poet actually “creates” a narrator, namely the first-person narrator of a first-person narrative, can one speak of the latter as a (fictive) narrator.” (140)

Richard Walsh, on the other hand, calls for a sharp distinction between narrators and authors. Moreover, he claims that there is no qualitative distinction between narrators and characters. For him, “the narrator is always either a character who narrates or the author.” (qtd. in Logan 559)

In fact, no-narrator accounts are considered as one kind of narration; more precisely as a kind of “effaced narration in the heterodiegetic mode”. (7) (Herman et al 388)

Generally speaking, an “effaced narration” is realised by a covert (8) , absent, undramatized narrator. In this case, the narrator and the implied author seem to be one, and the narrative voice becomes objective.

It has been stated that “a covert narrator must be an inconspicuous and indistinct narrator -- a narrator who fades into the background, perhaps, one who camouflages him- or herself, who goes into hiding.” (Jahn N1.9). Said differently, in order to be and remain covert, the narrator may avoid presenting “him/herself (one could almost say: itself) as the articulator of the story or does so almost imperceptibly.” (Fludernik 22)

Moreover, Stanzel’s model of narrative situations considers three possible narrative situations: the first-person, the authorial and the figural (9) . The figural text is the one in which the narrator is an “inconspicuous presenter, silent arranger and recorder” (qtd. in Herman et al 365). Some narratologists (10) go farther by assuming that figural texts are *narratorless*.

For Gerald Prince, on the other hand, a covert narrator is a “non-intrusive, undramatized narrator” whose task consists in “presenting situations and events with a minimum amount of narratorial mediation” (17) without, and by no means, “referring to a narrating self or a narrating activity.” (1)

Hiding or becoming invisible is the distinguishing feature of a covert narrator. S/he may avoid using the first-person pronoun (I / we); s/he “tries to avoid evaluative descriptions as much as possible” (Herman and Vervaeck 87). S/he makes use of a great number of quotations, and avoids giving details about himself/herself. (11) Another hiding strategy consists in avoiding the use of “any pragmatic or expressivity markers” (Jahn N1.4). These markers are indicators of the narrator’s milieu, culture, beliefs, convictions, interests, ethics, political, philosophical and ideological attitudes towards all the events, characters, and actions in the narrative. As far as the pragmatic signals are concerned, M. Jahn states that these are related to all the expressions that signal “the narrator’s awareness of an audience” (*ibid*). In other words, since there is a communication situation the narrator (the addresser) is generally aware and conscious of his/her addressee. All these features are avoided by the narrator to remain covert. (12)

Covertness, as already stated above, brings the implied author into life, especially when the narrator is not perceptibly noticeable. In this case, the implied author is “transformed into a persona responsible for the ‘speech act’ of the narration.” (Fludernik 65)

Referring to S. Chatman’s *Story and Discourse*, Rimmon-Kenan lists, in her *Narrative Fiction*, the different signs (13) of the narrator’s overtness (and by opposition covertness). She contends that covert and overt narrators are concerned with the degrees of visibility in the text or what she labeled “degrees of perceptibility.”

In her *The Narratorial Functions*, Marie-Laure Ryan has provided a denouement to all these debates. She, first, introduces us to the notion of *narratorhood* (14). Then, she proceeds by making the concept of narrator bear three (3) distinct functions:

1. The creative (or self-expressive) function which concerns the narrator’s “activity of shaping the story as a mental representation.” By the time of Boccaccio and G. Chaucer, authors of fictional narratives tended to grant more personality to their narrators. For this to happen, they emphasized the creative function.

2. The transmissive (or the performative) function which represents “the narrator’s mode of communication.” In other words, the *mental* representation (stated in the creative function) is materialized (it is no longer mental) through the transmissive function.

3. The testimonial (or the assertive) which consists of “presenting the story as true of its reference world.” Said differently, the narrator is responsible for ‘the accuracy of the representation.’. In other words, one of the most distinctive features of early times storytelling was the use of narrators as reporters of events in a very authoritative and straightforward way. Such narrators may be found in the Bible, or in Greek mythological accounts (e.g., Homer’s *The Odyssey*). In this case, the narrators’ dominant function is the testimonial one.

According to her, narrators who perform the three functions are those *who* possess a complete narratorhood. Those *who* accomplish only one or two functions are of lesser degrees of narratorhood. A narrator without creative and transmissive functions is “an effaced heterodiegetic narrator.”



## Conclusion

Now, regarding both the degrees of perceptibility and the degrees of narratorhood, we can come to conclude that the existence of a narrator depends on the number of functions s/he fulfils. In this case, whether personal or impersonal, overt or covert, first or third person, the concept of narrator is preserved and the rest is just a question of degrees. Consequently, “a narrative without a narrator [...] seem(s) to me pure illusion.” (Genette, “Narrative Discourse Revisited” 101)

## References

- 1- On the author/narrator/ implied author distinction see, Booth (1961); Toolan (1988); Bal (1997); Rimmon-Kenan (2002); Prince (2003) Bortolussi and Dixon (2003); Herman and Vervaeck (2005) Jahn (2005); Fludernik (2009).
- 2- For more critical studies on the concept of “author” see, W.K. Wimsatt and Monroe C. Beardsley’s essays ‘*The Intentional Fallacy*’ and ‘*The Affective Fallacy*’; Roland Barthes’s ‘*The Death of the Author*’(1977[1967]); Michel FOUCAULT’s ‘*What is an Author?*’ (1979).
- 3- Here again another complexity is introduced, that of the identity and nature of the narratee. On the question see, G. Genette (1980); G. Prince (1973); S. Chatman (1978); Sh. Rimmon-Kenan (2002); M. Fludernik (2005, 2009); D. Herman (2007); Herman et al (2008).
- 4- Some narratologists including G. Genette argued that “narrative is a mode of verbal representation which involves the linguistic recounting or telling of events, rather than their performance or enactment on stage.”
- 5- Seymour Chatman defines the existents as “the objects contained in story-space [...] namely character and setting (107). For G. Prince, “existents and events are the two fundamental constituents of the story, states and events” (qtd in Herman et al 388).
- 6- Emile Benveniste, M.J. Toolan, Sh. Rimmon-Kenan, Ann Banfield, M. Fludernik,
- 7- The heterodiegetic narrator belongs to the fictional world but does not participate in the events of the story. i.e., the narration is done by a third-person narrator, as opposed to the homodiegetic narration in which the narrator is also a character.
- 8- As opposed to the overt narrator which is “one that can be clearly seen to be telling the story – though not necessarily a first-person narrator – and to be articulating her/his own views and making her/his presence felt stylistically as well as on the metanarrative level.” (Fludernik 22)
- 9- For more details consult Stanzel’s *A Theory of Narrative* (1984 [1979]).
- 10- Such as: Kate Hamburger (1973 [1957]); Emile Benveniste (1966); Ann Banfield (1982).
- 11- The majority of Ernest Hemingway’s short stories consist of a great number of quotations and dialogues such as: *The Killers*, *Hills Like White Elephants*, *The Snows of Kilimanjaro*, *Cat in the Rain to name only a few*.
- 12- As, again, opposed to the overt narrator which is referred to by the first-person pronoun and whose physical appearance, gender, life, thoughts, desires, dreams and ideological affiliations are clearly and fully portrayed.
- 13- This list comprises: the description of setting, identification of characters, temporal summary, definition of character, reports of what characters did not think or say, commentary and the use of footnotes. For a more detailed account see Rimmon-Kenan (2002) pp. 100-2.
- 14- S. Chatman’s term in *Story and Discourse* (1978).

### Works Cited

- Bal, Mieke. *Narratology: Introduction to the Theory of Narrative*. University of Toronto Press, 1997 (1985). Print.
- Banfield, Ann. *Unspeakable Sentences: Narrative and Representation in the Language of Fiction*. London: Routledge and Kegan Paul, 1982. Print.
- Barthes, Roland. "The Death of the Author." *Image, Music, Text*. NY: Hill and Wang, 1977 (1967). Print.
- Benveniste, Emile. *Problems in General Linguistics*. Trans. Mary Elizabeth Meek. Coral Gables, FL: University of Miami Press, 1971 (1966). Print.
- Booth, Wayne C. *The Rhetoric of Fiction*. Chicago: Chicago University Press, 1961. Print.
- Bortolussi, Marisa and Peter Dixon. *Psychonarratology: Foundations for the Empirical Study of Literary Response*. Cambridge: CUP, 2003. Print.
- Chatman, Seymour. *Story and Discourse: Narrative Structure in Fiction and Film*. Ithaca: Cornell UP, 1978. Print.
- \_\_\_\_\_. *Coming to Terms: The Rhetoric of Narrative in Fiction and Film*. Ithaca: Cornell UP, 1990. Print.
- Fludernik, Monika. *Towards a 'Natural' Narratology*. Routledge, 2005 (1996). Print.
- \_\_\_\_\_. *An Introduction to Narratology*. Trans. Patricia Hänsler-Greenfield and M. Fludernik. Routledge, 2009 (2006). Print.
- Foucault, Michel. "What is an Author?" in *Textual Strategies*, Ed by J.V. Harari. London: Methuen, 1979, pp. 141-160. Print.
- Genette, Gérard. *Narrative Discourse: An Essay in Method*. Trans. Jane E. Lewin. Ithaca: Cornell University Press, 1980. Print.
- \_\_\_\_\_. *Narrative Discourse: Revisited*. Trans. Jane E. Lewin. Ithaca: Cornell University Press, 1988. Print.
- Hamburger, Käthe. *The Logic of Literature*. Trans. Marilyn Rose. Bloomington: Indiana University Press, 1973 (1957). Print.
- Herman, David (ed). *The Cambridge Companion to Narrative*. Cambridge University Press, 2007. Print.
- Herman, David, Manfred Jahn and Marie-Laure Ryan (eds). *Routledge Encyclopedia of Narrative Theory*. London and NY: Routledge, 2008 (2005). Print.
- Herman, Luc and Bart Vervaeck. *Handbook of Narrative Analysis*. Nebraska, 2005 (2001). Print.
- Jahn, Manfred. *Narratology: A Guide to the Theory of Narrative*. English Department, University of Cologne. 28 May 2005. Web. 16 April 2014. <http://www.uni-koeln.de/~ame02/pppn.htm>.
- Köppe, Tilmann and Jan Stühling. 'Against pan-narrator theories', in *Journal of Literary Semantics*. 40.1 (2011): 59–80. Print.

- Logan, Peter Melville (ed.). *The Encyclopedia of the Novel*. UK: Blackwell, 2011. Print.
- Prince, Gerald. *Dictionary of Narratology*. University of Nebraska Press, 2003 (1987). Print.
- Rimmon-Kenan, Shlomith. *Narrative Fiction: Contemporary Poetics*. NY: Routledge, 2002 (1983). Print.
- Rossholm, Göran. *To Be or not to Be: On Interpretation, Iconicity, and Fiction*. Germany: Peter Lang, 2004. Print.
- Ryan, Marie-Laure. 'The Narratorial Functions: Breaking down a Theoretical Primitive', *Narrative*, 9, (2001): 149-52. Print.
- Stanzel, Franz. *A Theory of Narrative*. Trans. Charlotte Goedsche. Cambridge: Cambridge University Press, 1984 (1979). Print.
- Toolan, Michael J. *Narrative: A Critical Linguistic Introduction*. London: Routledge, 1988. Print.
- Waugh, Patricia. *Metafiction: The Theory and Practice of the Self-Conscious Fiction*. London: Methuen, 1963. Print.
- Wimsatt, William, and Monroe C. Beardsley. 'The Affective Fallacy' (1949), in D. Lodge, ed., *20th Century Literary Criticism: A Reader*. London: Longman, 1972, pp. 345-359. Print.
- \_\_\_\_\_: 'The Intentional Fallacy' (1954), in D. Lodge, ed., *20th Century Literary Criticism: A Reader*. London: Longman, 1972, pp. 334-344. Print.

## A Contrastive Rhetoric of Algerian Students' Use of Connectivity

### Abstract

As every speech community may have unique codes for oral communication, it may also have some culture-specific rhetorical patterns and organizational modes in terms of written language. Accordingly; when relying on their first language writing conventions to write in the target language, foreign language learners will face difficulties in conforming to the latter's stylistic standards, regardless to their grammatical and lexical proficiency. The present paper provides a contrastive rhetoric investigation of Algerian university students' use of connectivity across their Arabic and English writing to see whether they reach a rhetorical style closer to that of the target language, or they keep relying on their Arabic rhetorical strategies to write in English. Results revealed that students used the targeted features in a similar pattern in the two languages, and this clearly demonstrates the role of the first language in students' target language writing.

**Mokhtar HAMADOUCHE**

Department of Letters and English Language  
Faculty of Letters and Languages  
University of Constantine 1  
(Algeria)

### Introduction

The writing skill seems to be the most demanding and difficult skill to develop in comparison to the other language skills. This difficulty stems from the many aspects involved in the activity of writing, namely vocabulary, grammar, mechanics such as spelling and punctuation, as well as content and organization. What makes it more difficult for EFL learners is the fact that the English text features of organization and stylistic patterns are different from those of other languages. In other words, foreign language writers struggle not only with the target language criteria of use but also with the influence of the first language which gets in the way of effective communication and affects negatively the assessment of written

### ملخص

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على تأثير اللغة الأم في دراسة لغة أجنبية فيما يتعلق بمهارة الكتابة. يقدم هذا البحث دراسة بلاغية مقارنة (A Contrastive Rhetoric Study) لاستعمال الطلبة للربط في اللغتين الانجليزية والعربية، محاولا معرفة ما إذا كان طلبة الجامعة الذين يدرسون اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية يستعملون أدوات الربط بالطريقة الأصلية الخاصة بتلك اللغة الأجنبية، أم أنهم يواصلون الاعتماد على مهاراتهم ومكتسباتهم من اللغة الأم للكتابة بلغة أجنبية.

productions. With the emergence of contrastive rhetoric in the mid 1960s, the writing skill and the role of transfer started to gain some deserved attention in foreign language learning after being neglected for decades ago due to the long-established emphasis on teaching the spoken language.

### 1. Contrastive Rhetoric

Contrastive rhetoric is the study of how a person's first language affects his/her foreign language writing in terms of conventional norms and textual features. It also investigates the culture-writing relationship and how people from different cultural backgrounds have different rhetorical tendencies. The contrastive rhetoric hypothesis holds that language and writing are cultural phenomena; therefore, each language has its unique rhetorical conventions. As a direct consequence, the linguistic and rhetorical conventions of the first language interfere with writing in the second language (Connor, 1996; 2002). On this basis, Connor (1996) defines contrastive rhetoric as "an area of research in second language acquisition that identifies problems in composition encountered by second language writers and, by referring to the rhetorical strategies of the first language, attempts to explain them" (p. 5). In his article "*Cultural Thought Patterns in Intercultural Education*," Kaplan (1966) -to whom the birth of contrastive rhetoric is accredited- investigated the English writing of more than six hundred (600) international students and found out that each language has a unique way of paragraph development.

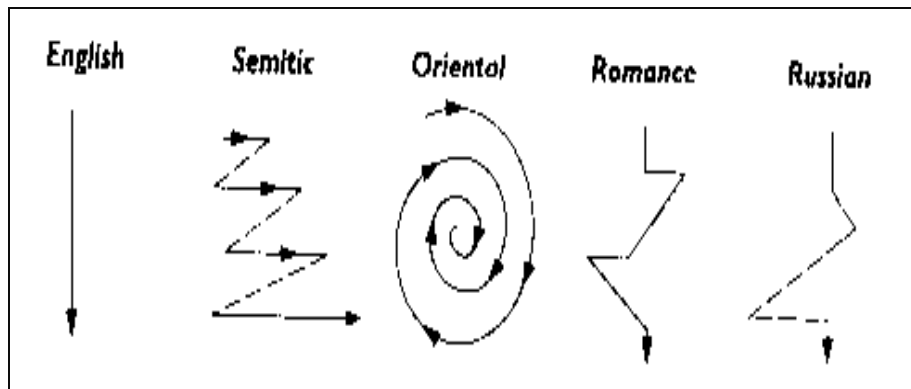


Figure 1: Rhetorical patterns of different languages (Kaplan, 1966)

According to Kaplan (1996); in English compositions, the ideas are conveyed in a straight line from the beginning to the end. In compositions written in other languages, the flow of ideas happens in various modes. For instance, in Semitic languages and because of the frequent use of parallelism, ideas occur in a zigzag line. In the Oriental pattern, the ideas are represented circularly -reflecting an indirect approach- in order to get to the main point. In the Romance and Russian patterns, there is a freedom to

Many years after Kaplan's original work in the field, the scope of contrastive rhetoric has expanded and its aim has developed. Today, contrastive rhetoric studies go beyond students' paragraphs and essays to include writing for many academic, specific

and professional purposes. Furthermore, contrastive rhetoric has become very effective in helping non-native speakers overcome cultural barriers and achieve effective communication, and “continues to contribute to our understanding of cultural differences in general as well as in the teaching of ESL/EFL writing” (Hamadouche, 2013: 183).

## 2. Connectivity

One area of difference between Arabic and English that results in many discrepancies in Arab students' written English is connectivity. Despite the significant role they play in writing, connectors are not sufficiently covered in the teaching of foreign language composition, and no reference is made to the conventional differences of use between languages. According to Shaheen (1991), connectors are crucial in combining semantic units and sentences as they “externalise basic logical relations: cause, result, and time, thus taking on a variety of functions such as tracing the development of an argument, relating a sequence of events, marking an opposition, and signalling a conclusion” (pp. 86-7).

### 2.1. The Use of “and”

Connectivity in Arabic is remarkably characterized with the frequent use of the coordinating conjunction ‘*wa*’, which is well-matched with the English connector ‘*and*’, at the expense of other joining patterns (Kaplan, 1966). English, on the other hand, relies on different markers to link the different parts of speech and to make the transition between ideas. Qaddumi (1995) maintains that “the *wa* is the most common particle used to join words, phrases, sentences and even paragraphs without altering the meaning or the beauty of the Arabic text” (p. 186). The conjunction ‘*wa*’ is also used to mark the beginning of almost every Arabic sentence or paragraph. Nevertheless, when rendering the initial ‘*wa*’ literally into ‘*and*’ -something constantly done by Arab students in their English writing- it results in an awkward piece of writing that lacks cohesion and coherence (Shaheen, 1991). To illustrate more this issue, Abu Radwan (2012) presents a literal translation of an excerpt from a political article in *Asharq-Al-Awsat* newspaper number issued on November 25<sup>th</sup>, 1994 as follows:

*And* the Yemeni minister confirmed that the government will not run any hotels or industrial institutions, and the economy will follow open market strategies. *And* he confirmed that the government declared yesterday the formation of two committees, *and* they will carry out the transformation.

(Abu Radwan, 2012: 374; original emphasis)

### 2.2. The Overall Use of Connectors

Another difference between Arabic and English in terms of connectivity is that the former relies heavily on explicit connectors while the latter favours implicit logical relations. Sometimes no connector is required in English writing; nonetheless, sentences or paragraphs may well be linked if the conjunction is assumed. This is not always the case for Arabic writing. Williams (1989) argues that “Arabic uses more multifunctional connectors than English” (p. ii). Shaheen (1991: 88) on his part sees

that coherence in English is “maintained by means of the logical relations which bind sentences [together]” whereas in Arabic, each sentence has to be linked with the following and the preceding one by means of explicit markers.

Tendencies in the use of implicit and explicit connections lead to the assumption that English writing focuses on ideas or content while Arabic writing stresses the language of the text. Sa’adeddin (1987; in Shaheen, 1991) relates this phenomenon to the linguistic personality of the Arab community claiming that “the Arabic linkage system symbolizes junction by means of lexical items which explicitly transmit the coherence of the text to native Arabic speakers, who perceive the import of the items so intuitively that they seldom think of them” (p. 89). On the other hand, the preference of implicit connections does not implicate by no means that English writing makes no use of explicit discourse markers; “English essays use [them] to signal relations between sentences and parts of texts” (Xing et al. 2008: 73). However; when the connection is lucid between parts of discourse, advanced writers of English prefer the zero connector and hence conciseness.

### ***2.3. Coordination and Subordination***

Arabic writers have a preference for coordination over subordination which is quite the opposite for native-English writers. In his original work on contrastive rhetoric, Kaplan (1966) notes that almost all ideas in Arab students’ essays were coordinately linked and that there was very little subordination. Abu Radwan (2012) stresses that “while Arabic is predominantly additive, English is basically a subordinative language” (p. 374). Accordingly, the English style is judged to be mature by the degree of subordination rather than coordination. In line with this, Koch (1987) holds that “Arabic authors use a great deal of coordination, and very little of the subordination which is so highly valued in English...writing” (p. 85).

## **3. Methodology**

### ***3.1. Participants***

Sixty (60) Algerian EFL students from the Department of Letters and English, University of Constantine 1 participated in this study. The participants were given two writing assignments in the second semester of their second-year to serve as a tool for rhetorical comparison: one in English and another in Arabic. The writing tasks were not administered until after reinforcing students’ basic writing skills studied in the first-year<sup>i</sup>, introducing to them the concept of ‘essay’<sup>ii</sup> and providing them with ample opportunities of practice and feedback during the first semester of the same academic year.

The reason behind choosing second-year students as the population under examination in the present study is because they start producing extended texts in this year, and this makes it possible to investigate writing beyond the sentence level. Furthermore; if it is necessary to address the first language influence, it should be done at an early stage of students’ learning how to write since they have many things to develop in their writing and the influence of the first language should be the last thing they need to worry about. Finally, students in their third-year will have to choose one

of three options<sup>iii</sup> within their major. During this year, the focus of the writing course and its content vary from one option to the other. Therefore, it seems more suitable to deal with second-year students throughout their general course of writing where the findings would be more generalizable.

### 3.2. Instrument and Data Collection

The participants took the writing assignments as a part of their “Written Expression” course. They were asked to write a one-page single-spaced essay so that their writing could be quantitatively compared. The topic chosen for the essay is: “*There are different ways of spending leisure time. Develop this idea providing three examples of how you spend your leisure time.*” This topic was chosen because students are supposed to have ideas on, so they would not spend the whole assignment’s time generating ideas since more interest is placed on textual features -particularly connectivity- than content itself. Students started with writing the English essay and in the next session they wrote the Arabic one on the same topic and in the same conditions.

### 3.3. Data Analysis

The paired sample *t*-test is used to investigate students’ use of the targeted features in their Arabic and English texts. The purpose of using the *t*-test is to check whether there would be a statistically significant difference or similarity in students’ expository writing regarding the use of connectivity across Arabic and English compositions. Accordingly, we set out to answer the following question: do Algerian majors of English at university level attain a rhetorical style closer to that of the target language in terms of connectivity? Or does their English writing remain indistinguishable from their writing in the first language?

## 4. Results

### *The Use of “and”*

Assignment	N	Percentage	Mean	S D
Arabic Compositions	60	59,17%	11.35	4. 26
English Compositions	60	56,37%	10.70	3. 27

***t=1.076, p=0.285***

Table 1: Frequency of occurrence of “and” in the Arabic and English compositions

The *t*-test results reveal no significant difference between the participants’ performance in the two tasks (Arabic and English compositions) with regard to the frequency of use of “and”<sup>iv</sup> (*t*=1.076, *p*=0.285). Besides, students used “and” (Arabic



sample = 59,17% / English sample = 56,37%) more than all the other connectors combined together (Arabic sample = 40,83% / English sample = 43,63%). It is not unusual that “and” was used in such a rate in Arabic compositions since it is the most commonly used conjunctive device in the Arabic language. For English compositions, however, this kind of use creates some peculiarity in writing where “and” does not carry the same various functions as in Arabic.

The secret behind the students’ overuse of “and” in their Arabic texts is that it can convey a wide range of relations among ideas. Though; in some situations, a different connector would serve the meaning better (example1). Moreover, it is often unnecessarily placed like in the beginning of a new paragraph (example2). Finally, many other connectors in Arabic are preceded by “and” resulting in expressions such as: “and but; *و لكن*”, “and as; *و كما*”, “and since; *و بما أن*”, “and even; *و حتى*”, “and if; *و إذا*”, “and because; *و لأن*”, “and that is why; *و لذلك*”, etc. (example3). Since students’ overuse of “and” on the cost of other connectors is similar in their Arabic and English compositions; it is fair to say that this habit, as a typical Arabic characteristic, is transferred from their L1 to their TL as illustrated in the following examples<sup>v</sup>:

**Example1:**

- The internet is a good space to get together with my friends and chat with them and (but) this does not prevent me from meeting new ones from different countries.

- تعتبر الانترنت فضاء جيدا للقاء الأصدقاء و التحدث معهم و (لكن) هذا لا يمنعني من التعرف على آخرين جدد من مختلف البلدان.

**Example 2:**

- And among the other ways that I prefer to spend my leisure time through is watching scientific programmes.

- و من الطرق الأخرى التي أحب قضاء وقتي بها هي مشاهدة البرامج العلمية.

**Example 3:**

- And because I like reading books and learning foreign languages, I find myself always looking for new words to learn and enrich my vocabulary.

- ولأنني أحب قراءة الكتب وتعلم اللغات الأجنبية، أجد نفسي دائما أبحث عن كلمات جديدة لأتعلمها و أثري مفرداتي.

In the students’ English compositions, twenty-four (24) other connective expressions are used along with “and” to combine ideas together. Yet, those 24 expressions all together have occurred less than “and”.

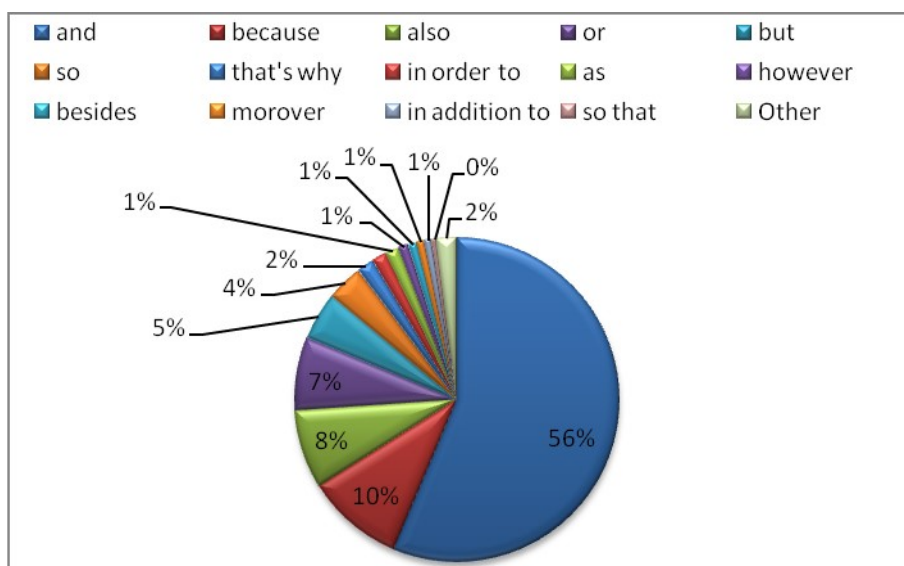


Figure 2: Distribution and percentage of connective expressions<sup>vi</sup>

Figure (2) shows the overall distribution and percentage of connective expressions. *Because* (9.75%), *also* (7.81%), *or* (7.29%), *but* (4.83%) and *so* (3.60%) take respectively the highest frequencies after *and* (56.37%). Other connective expressions are used even fewer times. In the students' sixty (60) compositions; *therefore*, *yet*, *either...or* and *although* are used three (3) times each. *For that*, *since*, *due to* and *furthermore* are used twice each. *Consequently*, *as a result* and *though* are used only once each.

***The Overall Use of Connectors***

Assignment	N	Mean	S D
Arabic Compositions	60	19.18	5.42
English Compositions	60	18.98	4.88
<b><i>t=0.244, p=0.807</i></b>			

Table 2: Frequency of occurrence of connective expressions in the Arabic and English compositions

As there is a similarity between students' Arabic and English texts in the use of "and", there is also a similarity between them in the overall use of connective expressions (*Mean* = 19.18 for Arabic compositions / *Mean* = 18.98 for English compositions). The paired sample *t*-test results (Table 2) indicates that there is no significant difference in the frequency of use of connective expressions between Arabic and English texts written by the same students ( $t=0.244, p=0.807$ ).

***Coordination vs. Subordination***

Feature	Arabic Compositions 60			English Compositions 60			
	Percentage	Mean	SD	Percentage	Mean	SD	
Coordination	86.01%	15.37	4.79	74.14%	14.72	3.69	$t=0.951$ $p=0.345$
Subordination	13.99%	2.50	2.01	25.86%	5.13	2.73	$t=6.174$ $p=0.000$

Table 3: Frequency of coordination and subordination in Arabic and English compositions

It is true that students used coordination similarly in their Arabic and English compositions ( $t=0.951, p=0.345$ ) but not subordination ( $t=6.174, p=0.000$ ). Yet, their writing remains closer to the Arabic style and very much influenced by their L1 writing strategy. This influence is reflected in the overwhelming use of coordination over subordination. Even if students used more subordination in their English texts (*Mean* = 5.13) than their Arabic ones (*Mean* = 2.50); they used coordination in a similar rate and also used more coordination than subordination in both languages.

Due to the exaggerating use of coordination, some unusual combinations of sentences have been noticed in students' writing in the two languages. In some instances, students coordinated a long list of clauses to one (example 1). In others, they made series of coordination i.e., two clauses are joined by coordination; another couple of clauses are also joined by coordination and at the same time coordinated to the first set, and so on (example 2).

**Example 1:**

- Praying is very necessary in our life because it erases our sins and strengthens our relation with Allah and adds to our good deeds and brings us closer to Heaven and keeps us away from bad deeds.

- إن الصلاة هي جد ضرورية في حياتنا لأنها تمحو ذنوبنا و تقوى صلتنا بالله عز و جل و تزيد في ميزان حسناتنا و تقربنا من الجنة و تبقينا بعيدين عن الأعمال السيئة.

#### Example 2:

- Practicing any kind of sports is enough to adjust and ameliorate our mood but for those with cultural tendencies joining clubs of poetry and writing is an important and a positive move to develop special skills and gain knowledge and get to know other cultures and concerning technology in our days it invaded all fields and areas cultural and entertaining....

- إن ممارسة أي نوع من الرياضة كفيل بتعديل و تحسين مزجنا لكن بالنسبة لذوي الميولات الثقافية فالانخراط في النوادي الخاصة بالشعر و الكتابة خطوة مهمة و ايجابية لتنمية المهارات الخاصة و اكتساب المعرفة و التعرف على ثقافات أخرى و فيما يخص التكنولوجيا في عصرنا الحالي فقد غزت جميع المجالات و الميادين منها التثقيفية و الترفيهية....

#### Conclusion

The analysis of students' compositions revealed a similarity in the use of connectivity across their first and target languages. Students used the targeted features, namely the frequent use of "and", the overall use of connective expressions as well as coordination and subordination in a similar pattern in Arabic and English. In view of the fact that the study participants wrote in English before writing in Arabic, it is illogical to consider that they transferred the specified rhetorical strategies from the target language to the first language. The only explanation that makes sense is that they originally relied on their L1 rhetorical strategies to write in the TL even before knowing that they have an Arabic essay to write.

Students' failure in the appropriate use of the target language stylistic features is mainly attributed to their unawareness of the rhetorical differences between their first and target languages. Therefore, second and foreign language instructors, especially those involved in the teaching of writing, should develop some knowledge of the cross-culture rhetorical differences; then, it is their duty to transmit this knowledge to students. Besides, they should consider intercultural differences while planning writing activities for their students and while assessing their written performance.

#### References

- Abu Radwan, A. (2012). Rhetoric transfer in L2 writing: The role of second language proficiency. *Arab World English Journal*, 3(2), 365-399.
- Connor, U. (1996). *Contrastive rhetoric: Cross-cultural aspects of second-language writing*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Connor, U. (2002). New directions in contrastive rhetoric. *TESOL Quarterly*, 36(4), 493-510.

- Hamadouche, M. (2013). Intercultural studies in the Arab world from a contrastive rhetoric perspective. *Arab World English Journal*, 2<sup>nd</sup> Special Issue on Translation, 181-188.
- Kaplan, R. B. (1966). Cultural thought patterns in intercultural education. *Language Learning*, 16, 1-20.
- Koch, B. J. (1987). Parataxis in Arabic: Modification as a model for persuasion. *Studies in Language*, 11(1), 85-98.
- Shaheen, M. (1991). Theories of translation and their application to the teaching of English/Arabic. Amman, Jordan: Dar Al – Thaqafa Library.
- Qaddumi, M. K. H. (1995). *Textual deviation and coherence problems in the writings of Arab students at the University of Bahrain: Sources and solutions*. Unpublished Doctorate Thesis. University of Nottingham: Nottingham, UK.
- Williams, M. P. (1989). *A comparison of the textual structures of Arabic and English written texts: A Study in the comparative orality of Arabic*. Unpublished Doctorate Thesis. University of Leeds, Leeds: UK.
- Xing, M., Wang, J., & Spencer, K (2008). Raising students' awareness of cross-cultural contrastive rhetoric in English writing via an e-learning course. *Language Learning & Technology*, 12(2), 71-93.

---

<sup>i</sup> In the first-year writing programme, students deal with sentence structure, writing mechanics, paragraph structure, and the different types of paragraph development.

<sup>ii</sup> The second-year writing programme is devoted to essay writing, basically the expository essay with different types of development.

<sup>iii</sup> The Department of Letters and English, University of Constantine 1 offers three options for third-year students to acquire their BA in one, and after that for the Master and the Doctorate degrees. The three options are: Language Sciences, Applied Language Studies and British and American Studies.

<sup>iv</sup> “and” refers to both *and* in English and *wa* in Arabic.

<sup>v</sup> All examples have been taken from the students’ English texts as the target of investigation of the present study and then translated literally into Arabic. The reason behind this is to show that the specified utterances make more sense in Arabic and that their use in English is due to L1 influence.

<sup>vi</sup> The connective expressions represented together are those with the lowest number of occurrences. Only the sum of them occurs; otherwise, they wouldn’t appear at all in the chart.

## The Effect of Learning Styles and Motivation on Students' Vocabulary Acquisition: The Case of Second Year LMD Students of English at the University of Constantine1

### Abstract

This research aims at establishing the importance of learning styles and motivation in second language acquisition and their effect on vocabulary acquisition as a key aspect of developing proficiency in a second language. The educational setting in which this study takes place is the Department of Foreign Languages, Faculty of Letters and English Language, University of Constantine1. The underlying hypotheses is that if teachers focus on the learners' learning styles and attempt to raise their motivation, this may help them for better vocabulary acquisition. The study consisted of administering a pre-test and a post test to control and experimental groups; a treatment of vocabulary activities was given to the experimental group. The tested sample is randomly selected from second year students of English (LMD) population. The results confirm the hypothesis and show that the learners learn nearly all the new words when teachers focus on their learning styles and raise their consciousness about how to use them and attempt to enhance their motivation while accomplishing the tasks. Some pedagogical suggestions are made for a more effective way to learn vocabulary and help teachers in their teaching through creating a motivating environment and matching their teaching methods with their learners' styles.

**Hadjer BELLOUT**

Department of Letters and English Language  
Faculty of Letters and Languages  
University of Constantine 1  
(Algeria)

### ملخص

يهدف هذا البحث إلى إظهار أهمية أساليب التعلم والرغبة في اكتساب لغة ثانية وكيف تؤثر هذه الأساليب في اكتساب المفردات وتطوير تعلم لغة ثانية. أكدت نتائج البحث أن الطلبة يتعلمون تقريبا كل الكلمات الجديدة عندما يركز الأساتذة على أساليب تعلمهم ويقومون بتوعيتهم حول كيفية الاستعمال ويحاولون تقوية رغبتهم عند القيام بالانشطات المطلوبة.

### Introduction

In the process of learning a foreign language, students learn a subject at different rates and with strikingly different levels of completeness. There are a number of factors within learners themselves that influence their ability to learn. These include affective factors, motivation, maturational factors, the learner's age, gender and social background, learning styles, and memory. Due in part to the influence of Chomskyan approaches to

language, second language acquisition (SLA henceforth) theory has focused most of its research on identifying universals rather than individual differences that influence SLA. In information processing approaches, however, memory and individual differences are seen as key variables in determining input processing. How much linguistic information feeds the system depends on cognitive capacity (memory attention), which themselves are also related to individual differences. Brown (2000) sees that personality type plays a vital role in SLA. According to him, students do not go through only a cognitive process while learning, but also through an affective one. In other words, there is a very significant correlation between personality type, motivation, and cognition (142-3). In the same scope of research and from a methodological standpoint; we will limit this study to two independent variables, field dependent and field independent (FD/FI henceforth) learning style and motivation to check their effect on the acquisition of second language (SL henceforth) vocabulary as a dependent variable of the research.

## **1. Theoretical Framework of the Study**

### **1.1. Learning Styles**

While learning, every student approaches a problem from a unique perspective. S/He learns differently because of the use of her/his own style that differentiates her/him from other learners. Learning styles have profound effects on exercises designing, teachers' instruction options, and students' performance evaluation. Claxton and Murrell (1987) state that if the teacher's instructional style and the students' learning styles "match", there is usually a productive learning environment.

#### **1.1.1. Definition of Learning Styles**

Learning styles can initially be defined in a seemingly straightforward and intuitively convincing manner. According to the standard definition, they refer to "an individual's natural, habitual, and preferred way(s) of absorbing, processing and retaining new information and skills" (Reid 1995: 8). In the enormous task of learning a second language, the most significant definition of learning styles is the one provided by Keefe (1991) who defines learning styles as:

...The characteristic cognitive, affective, and physiological behaviors that serve as relatively stable indicators of how learners perceive, interact with and respond to the learning environment....learning style is a consistent way of functioning that reflects underlying causes of behaviors (4).

Learning styles, therefore, encompass four aspects of the person: cognitive styles, i.e., preferred or habitual patterns of mental functioning, patterns of attitudes and interests that affect what an individual will pay most attention to in a learning situation; a tendency to seek situations compatible with one's own learning patterns; and tendency to use certain learning strategies and avoid others (Keefe *ibid*). The cognitive style deserves further explanation as it represents the major variable of this research.

### **1.1.2. Cognitive Style**

Dörnyei (2005) distinguished learning style and cognitive style. Cognitive styles refer to the stable, pervasive ways that learners use while processing information. They are for the most part information-processing habits. The educational importance of cognitive style may have been exaggerated; the original thrust of research concentrated on the possible interaction between individual characteristics and teaching methods. According to Troike (2006), they refer to “the individual’s preferred way of processing: i.e., of perceiving, conceptualizing, organizing, and recalling information” (86). Literally, dozens of dimensions of cognitive style have been identified. These are usually presented as dichotomies. The present research sheds light on the dichotomy which has received great attention where SLA is concerned and which leads SL acquirers to greater success. This dichotomy is field dependent (FD) and field independent (FI) (Chapelle & Green 1992) which was originally introduced by Witkin et.al (1954). In the practical part, we will discuss how this cognitive style can affect SL learners’ vocabulary acquisition for writing purposes. The characteristics of FD and FI are summarized in table 1 below.

Field Dependent	Field Independent
Global	Particular
Holistic	Analytic
Deductive	Inductive
Focus on meaning	Focus on form

As this dimension has been applied to learning, individuals who are FI are considered more particularistic and analytic. According to Chapelle and Green (1992), these learners have the ability to analyze the linguistic material (input) they are exposed to, identify its components, and then, explore relationships between these components. Separating the essential from the inessential could involve an ability to focus on form rather than on meaning. FD learners, in contrast, are likely to be less analytic (more global), and holistic – to perceive situations as whole – in processing new information, rather than being analyzable into components. They are advantageous to devote attention to meaning. Another partially related character is deductive or inductive processing. On one hand, a deductive learner, or “top-down” as discussed by Troike (ibid), begins with a prediction or rule and then applies it to interpret particular instance of input. On the other hand, an inductive or “bottom-up” learner is characterized by starting with examining input to discover some pattern and then formulates a generalization or rule that accounts for it and that may then in turn be applied deductively.

### **1.1.3. Matching Teaching and Learning Styles to Enhance Vocabulary Acquisition**

Learning styles directly contribute to vocabulary knowledge. According to Ma (2009: 166): “Learning styles are the general approaches to vocabulary learning. They affect the knowledge eventually gained.” When the learning styles of the students and



the teaching styles of the instructor match, then both the students and the instructor get the most from interaction. Students will gain more input, retain more words, and perform better when teaching styles match learning styles. Felder and Henriques (1995: 28) hold that “matching teaching styles to learning styles can significantly enhance students’ vocabulary acquisition and attitudes, especially in FL instruction. Bridging the gap between teaching and learning styles can only be achieved when teachers’ are aware of their learners’ needs, capacities, and learning style preferences in meeting these needs. By developing awareness of learning styles and providing a variety of activities to meet the needs of different learning styles, learners are motivated to learn more vocabulary and to become better learners. This is what learner development means in the context of vocabulary learning (Ma, 2009). “Vocabulary learning like other types of learning needs to be initiated, continued and completed by motivation that is essentially linked to learning styles” (ibid: 166). By employing effective teaching styles that suit learners’ styles, students can learn a considerable number of words in a reasonable period of time, which can further motivate them to learn more words by making a greater learning effort.

## **1.2. Motivation**

Motivation is a crucial aspect of teaching and learning. Pintrich, Marx, & Boyle (1993) have argued that learning and motivation are so interdependent that it is impossible to understand learning without understanding motivation. Evidence for this relationship is the strong correlation between motivation and achievement. In Moreno’s words, “motivation is the force underlying achievement” (2010: 329). Students with higher motivation to learn are said to be more likely to learn and achieve as compared to those with lower motivation to learn (McDermott, Mordell, & Stoltzfus, 2001).

### **1.2.1. Motivation and Vocabulary Acquisition**

In this section, we will focus on how motivation can affect vocabulary acquisition since it plays a significant role in language learning. Although the connection between motivation and FL vocabulary learning has not received much attention in research, different studies have identified a positive effect of motivation on different aspects of foreign language vocabulary learning (Elley 1989; Gardner and MacIntyre 1991; Laufer and Hulstijn 2001; Kim 2008). Gardner, Lalonde and Moorcroft (1985 cited in Fontecha and Gallego, 2012: 42) investigated the effect of motivation on vocabulary acquisition and came out with a result that “learners with a high motivation learned faster than those with a low motivation”. Apart from these results, a current trend of research attempts to shed light on the effect of the motivational and “cognitive load” of the task over the learners’ lexical competence. In this scope, Laufer and Hulstijn (2001) formulate “the involvement load hypothesis”, according to which, the higher level of “the cognitive and motivational load” of the task, the more effective the task will be in increasing lexical competence. Following Gardner’, Lalond’ and Moorcroft path, Kim (2008, cited in Fontecha and Gallego, 2012: 42) concludes that “the higher this cognitive motivational index is in the task, the better the results in the initial steps of vocabulary learning and retention of new words will be”. However, Schmitt (2008) claims that motivation should be approached as a dynamic factor comprising a number

of stages, and that each of these stages will affect in different ways the dynamic process of vocabulary acquisition.

### **1.2.2. Building Motivation inside Classrooms for Learning Vocabulary**

In the present work, we relied on texts as beneficial sources to get exposure to unknown words. Students may face difficulties in understanding the meaning of new words while reading so a motivating environment is required for better vocabulary acquisition. According to Staehr (2008), the teacher is the source of creating a motivating environment inside the classroom for learning more vocabulary items which can be done through the use of different motivating methods. Among these methods as stated by Staehr (ibid: 140-43), relating students' academic performance and classroom participation to specific rewards or privileges. Besides, the use of cooperative learning and task involvement may set light to the students' motivation and encourage them to challenge difficult reading passages. Through the emphasis on how reading competence may well lead to future professional success this may help to strengthen students' reading motivation. Furthermore, the teacher should make the appropriate choice of the material to be used taking into consideration the students' needs and interest which in turn may influence motivation. Another method that can be used by teachers' to increase students' motivation for the acquisition of vocabulary is the use of a variety of vocabulary games and activities. Takala (1985) claims that vocabulary activities can easily start off a pre-reading lesson. When it comes to using vocabulary activities, a pre-reading lesson should contain some if not all, of the new vocabulary. Takala (ibid) introduced a variety of vocabulary activities that have game like features and are very motivating: providing students with a few definitions corresponding to five or six vocabulary words and the students guess the word; word association; giving students a situational context and they use the vocabulary learned; students fill in a sentence using a choice from three words the teacher says. If the teacher feels that an adequate amount of practice via these recognition activities has been reached, he can opt for more challenging vocabulary games and activities that aim to reduce fear and hesitancy that is sometimes characteristic of language learners studying a language that is not their mother tongue (163). The focus on motivation, as indicated above, by Takala (ibid) and Staehr (opcit), cannot be realized without engaging the learner in cognitive activities (guess the word, word association, situational context, etc...).

### **1.3. Vocabulary Influence on Writing**

English learners need exposure to the English language in a variety of contexts. They need to see the similarities and differences of English words within and across types of texts. According to Duffy (2009: 373),

Vocabulary is strengthened by use. The more the new words are used, the more they are solidified in the mind. Vocabulary is particularly strengthened when new words are used in writing. Consequently, we should look for opportunities to have students use the new learned words in their writing.

It is through this exposure that learners will learn when and how to use words and generate sentences properly. According to Flores (2008: 9-10), writing is a process by which we transfer our knowledge, our ideas, and our vocabulary into a written form. For learners, their vocabulary knowledge of the English language and their experiences will serve as building blocks for writing. Teachers will in turn supply the context (authentic texts) as support for learners about how written English is structured and organized as a source to show how vocabulary is used in real contexts.

## **2. Research Methodology**

### **2.1. Choice of the Method:**

Since the present study is designed to establish the importance of learning styles and motivation in SL learning and to measure their effect on students' vocabulary acquisition-as a key aspect of developing proficiency- for writing purposes, this leads us to opt for an experimental method.

### **2.2. Population and Sampling**

The educational setting in which this study takes place is the Department of Letters and English Language, Faculty of Letters and Languages, Constantine1 University. A sample population of 40 learners was randomly selected from a total population of 250 Second year LMD students.

### **2.3. Data Collection and Procedure**

To achieve the research aim and attempt to confirm the hypothesis, data collection requires an experiment we led in four steps. A pre-test was organized (see appendix I) to see if the learners are capable of getting the meaning of the unknown words and of using them in their compositions even though there was no focus on their learning styles and their motivation. The test contains a text and two questions; in question 1 we asked students to explain the meaning of eight words highlighted in the text and question 2 required writing a composition about a topic designed to allow learners to re-use the words acquired from the text. Then, the sample (40 students) was divided into two groups of 20 representing experimental and control groups. In the next step, students of the experimental group were interviewed after the pre-test to see how they get the meaning of the unknown words from the text and in order to individualize them according to their learning styles. After individualizing students, we gave them some activities to acquire vocabulary corresponding to their learning styles during 6 weeks.

The treatment consisted of two types of activities; comprehension activities for FD learners to match with their needs and their learning (guessing, scanning, predicting, etc.), and for FI students, the activities focused more on details since they prefer strategies such as contrastive analysis and dividing words and phrases. The in-class activities were planned to much the needs as well as the interests of the students in the experimental group. However, with the control group, only matching items were used with their definitions as a unique activity. After two weeks break, a post-test was administered to check the capacity of retrieving the acquired words. For space constraints, we focus in the present paper only on the tests' results.

### 3. Discussion of the Results

#### 3.1. Pre-test

##### 3.1.1. Students' Answers for the Eight Words

Words	Acceptable	Not acceptable	No answer	Total N
1	28	10	2	40
2	10	30	/	40
3	04	30	06	40
4	36	04	/	40
5	03	37	/	40
6	02	38	/	40
7	08	12	20	40
8	05	35	/	40

**Table2: Students' Answers to the Eight Words**

The results obtained from the explanation of the eight words (table 2 above) show that the majority of the learners did not succeed in guessing the meaning of the words from the text.

##### 3.1.2. Composition:

The following table shows the number of words retrieved by students in their compositions.

Number of words	N	%
1 Word	04	10
2 Words	11	27.5
3 Words	20	50
4 Words	03	07.5
5 Words	02	05
Total	40	100

**Table3: Number of Words Used by Learners in their Composition**

The results show that 50% of the students recall only 3 words and use them in their composition. 15 Students re-use only 01-02 Words. The highest number of words used is 05 words but only 02 students used this amount of new vocabulary. Not far from this result, 03 students representing 7.5 % used 04 words. The results obtained from "composition" were expected since learners' learning styles have not been focused on and they are not motivated to deduce the meaning of the words from the context. Thus, effective vocabulary learning was not achieved and could not be re-used or transferred in new contexts. The scores obtained in this test form a base line against which we will measure the effect of focusing on learners' styles and raising their motivation on vocabulary acquisition.

After the results obtained in the pre-test, students of the experimental group have taken an interview. Too much field independence is noticeable from the analysis of the interview of 16 students; they pick out details very well, while being unaware of the

larger context. However, only 4 students focus on the whole context to deduce the meaning; they are field dependent learners.

### 3.2. Post test

With the help of students' opinions, we chose an authentic and interesting text (see appendix II) from which we picked up ten words which were interesting and unknown for learners. We have classified them per category as in the following table.

Nouns	Verbs	Adjectives
Debtor	Drawing	Firm
Instructions	Lending	Overdrawn
Forgery	Debit	
Specimens	Obey	

**Table4: List of Words Picked up from the Text per Category**

The two groups were given the text where the 10 words were used. Then, they were taught vocabulary for the same period of time (4h30 mns) i.e.3 sessions 1h30mns per-session. After individualizing students in the experimental group, we focused on every student's learning style and matched the teaching style with every student's learning style in order to make them deduce the meaning of the 10 words. Since we are aware of the diversity of the learners' styles, we attribute this to an over emphasis on multiple choice and fill in the blank activities and an under emphasis on comprehension based activities. The activities that we used have game like features and are very motivating. We gave the students some definitions corresponding to 5-6 words (out of the 10 words) and they had to guess the meaning of the words according to the provided definitions. We also used word association activities, multiple choice activities, and situational activities. Those vocabulary games and activities aim to reduce fear and hesitancy and raise students' motivation for better vocabulary acquisition. However, with the control group, we did not match our teaching style with the learners' styles. We were the center of teaching and we gave the students a dictionary definition of the 10 words then we relied on only one type of activity (matching words with definitions) that might or might not match with their learning styles and might or might not be a motivating activity for them. After the meaning of the words has been learned, students were given a break of two weeks before the administration of the post-test. After this break, the two groups were given the same post-test where they were asked to write a composition. The results obtained are presented in table 5 (below) and interpreted in order to show the number of words used by learners in their composition.

Students	Group 1	Group 2	$X_1^2$	$X_2^2$
S1	06	03	36	9
S2	09	03	81	9
S3	08	05	64	25
S4	07	04	49	16
S5	07	02	49	4
S6	05	06	25	36
S7	09	01	81	1
S8	04	02	16	4
S9	08	02	64	4
S10	05	05	25	25
S11	04	01	16	1
S12	06	02	36	4
S13	09	06	81	36
S14	07	05	49	25
S15	05	03	25	9
S16	08	02	64	04
S17	05	04	25	16
S18	03	03	9	9
S19	10	05	100	25
S20	03	01	9	1
Total N=20	$\bar{X}_1=6.4$	$\bar{X}_2=3.25$	$\sum X_1^2=904$	$\sum X_2^2=263$

**Table5: Number of Words Used by Students in their Writing (composition)**

### 3.3. Interpretation and Analysis of the Results

### 3.3. Interpretation and Analysis of the Results

The analysis of the results is done through the t-test for independent groups because it is the most powerful one.

Using statistical tables for 38 degree of freedom, the value of “t” required is (2.9). As the observed “t” (5.24) is greater than (2.9): thus we confirm the alternative hypothesis which means that focusing on students’ styles and enhancing their motivation increase their vocabulary acquisition. We can notice from table 5 that students in the experimental group produce high number of words in their compositions. The number of words used by the highest majority of students can be represented as follows:

$$\text{Words } 5 \leq \text{students} \leq 10 \text{ words}$$

However, students in the control group produce few words in their writing i.e. their compositions were poor in term of vocabulary. This implies that the transfer of the previously learned words is not effective. The number of words used by learners in this group can be represented as follows:

$$1 \leq \text{students} \leq 4$$

The results of the test show that the learners acquire more than half of the words, they do not know, when we focus on their styles and raise their motivation through motivating activities, and re-use them in their compositions with different degrees of attainment. Likewise, these results also confirm the research hypothesis.

**Conclusion**

We have attempted, through this paper, to shed light on two learner differences: learning styles and motivation. The two factors are interrelated, ultimately inseparable as they directly contribute to vocabulary knowledge. Learning styles are the general approaches to vocabulary acquisition; they affect the knowledge eventually gained which needs to be initiated, continued, and completed by motivation. The degree of motivation affects both the quality and quantity of the vocabulary knowledge gained. In addition, involving deep mental processing, elaboration, and association, leads to better retention of the lexical items and enhances the retrieving process of the acquired words in new context.

The results of this investigation confirm the hypothesis and show that the learners prove to have learned nearly all the new words and retrieved them successfully in their writing productions. When we focus on their learning styles and raised their awareness about how to use them, we enhance their motivation while accomplishing the task of vocabulary learning. Hence, we conclude that students' internal factors should be considered in order to improve learning efficiency. When teachers are aware of the importance of learning styles and motivation, they can provide their students with better vocabulary learning opportunities.

**References**

- Alexander, L.G. (1967). *Fluency in English : An Integrated Course for Advanced Students*. London: Longman.
- Brown, H.D. (2000). *Principles of Language Learning and Teaching*. 4<sup>th</sup>Ed. New York: Longman, 142-43.
- Claxton, C., H. and P. H. Murrell. (1987). *Learning Styles : Implication for improving educational practices*. ASHE-ERIC Report No.4. Washington, D.C: Association for the Study of Higher Education.
- Chappelle, C. and P, Green (1992). Field independence /dependence in Second Acquisition Research. *Language Learning*, 42: 47-83.
- Dornyei, Z. (2005). *The Psychology of Language Learner: Individual differences in Second Language Acquisition*. Erlbaum Associates, Inc: New Jersey.
- Duffy, G. (2009). "Using Semantic Mapping to Develop Word Meaning". *Explaining Reading: A Resource for Teaching Concept, Skills and Strategies*. 2<sup>nd</sup> Ed. Guilford Press, 373.
- Elley, W. (1989). Vocabulary Acquisition from Listening to Stories. *Reading Research Quarterly* 24.
- Felder, R. M., & E. R. Henriques, (1995). *Learning and teaching styles in foreign and second language education*. *Foreign Language Annuals*, 28.
- Fontecha, A.F and M.T, Gallego (2012). "The role of Motivation and Age in Vocabulary Knowledge. *Vigo International Journal of Applied Linguistics* Vol.9, 41-2. Spain

- Gardner, R. C, Lalonde, R.N , and R. Moorcroft.(1985). « The role of attitudes and motivation in SLL : correlation and experimental consideration » *Language Learning*, 35, 2: 42
- Gardner, R. C., & P.D. McIntyre (1991). A Students' Contribution to SLL. Part II: Affective Variables. *Language teaching* 26.
- Keefe, J. W. (1991). Assessing Student learning styles : An over view . In *Student Learning Styles and Brain Behaviour*. Reston, VA: National Association of Secondary School Principals. 4
- Kim, Y. (2008). 'The role of task-induced involvement and learner proficiency in L2 vocabulary acquisition'. *Language Learning* 58, 2.
- Laufer, B. and J. Hulstijn. (2001). 'Incidental vocabulary acquisition in a second language: the construct of task induced involvement'. *Applied Linguistics*. Vol. 22.
- Ma, Qing.(2009). *Second Language Vocabulary Acquisition*. Great Britain: Die Deutsche Bibliothek. 166
- McDermott, P., Mordell, M., & J. Stoltzfus (2001). The Organization of Student Performance in American Schools: Discipline, Motivation, Verbal learning, and non Verbal Learning. *Journal of Educational Psychology*. 93, 65.
- Moreno, R. (2010). Theories of Motivation and Affect. *Educational Psychology*. John Wiley& Sons, Inc: University of New Mexico. 329
- Pintrich, P. R, Marx, R. W., & Boyle, R.A. (1993). Beyond Cold Conceptual Change: the role of motivation beliefs and classroom contextual factors in the progress of conceptual change. *Review of Educational Research*, 63(2), 193
- Reid, J. M.( 1995). *Teaching/Learning Style in the ESL/EFL Classroom*. Boston: Heinle. 8
- Schmitt, N. (2008). "Vocabulary Acquisition." In N.Schmitt (ed).*Vocabulary in Language Teaching*. Cambridge: Cambridge Language Education.
- Staehr, L.S.(2008). "Vocabulary size and the skills of listening, reading and writing". *Language Learning Journal* 36:140-143.
- Takala, S. (1985). "Estimating students' vocabulary size in foreign language teaching". In kohonen, V.H VAN Essen and C.Klein Bratey, C.(eds). *Practice and Problems in Language Testing*. Tampere, Finland: Finish Association for Applied Linguistics.163.
- Troike, M.S. (2006). *Introduction to Second Language Acquisition*. New York: Cambridge University Press.86-87
- Witkin, H.A, et al. (1954). *Personality through Perception*. New York: Harper and Brothers.



### **Appendix I: Pre-test**

The fact that we are not sure what « intelligence » is, nor what is passed on, does not prevent us from finding it a very useful working concept, and placing a certain amount of reliance on tests which measure it.

In an intelligence test we take a sample of an individual's ability to solve puzzles and problems of various kinds, and if we have taken a representative sample it will allow us to predict successfully the level of performance he will reach in a wide variety of occupations.

This became of particular importance when, as a result of the 1944 Education Act, secondary schooling for all became law, and grammar schools, became available to the whole population. Since the number of independent foundation schools, became available could accommodate at most approximately 25 percent of the total child population of eleven-plus, some kind of selection had to be made. Narrowly academic examinations and tests were felt, quite rightly, to be heavily weighted in favour of children who had the advantage of highly-academic primary schools and academically biased homes. Intelligence tests were devised to counteract this narrow specialization, by introducing problems which were not based on specifically scholastically-acquired knowledge. The intelligence test is an attempt to assess the general ability of any child to think, reason, judge, analyse and synthesize by presenting him with situations, both verbal and practical, which are within his range of competence and understanding.

Beatrix Tudor-Hart *Learning to live* (Cited in Alexander 1967 :55)

#### **1.Vocabulary**

Explain the meaning of the following words as they are used in the passage :

Prevent, reliance, puzzles, particular, counteract, reason, judge.

#### **2.Composition**

Using the words you learned in the previous activity, write a composition (not more than two paragraphs) explaining how do you behave/think when you face a problem in life. Do you solve it by yourself or seek help/advice from someone else ?

### **Appendix II: Text**

When anyone opens a current account at a bank, he is lending the bank money, repayment of which he may demand at any time, either in cash or by drawing a cheque in favour of another person. Primarily, the banker-customer relationship is that of debtor and creditor-who is which depending on whether the customer's account is in credit or is overdrawn. But, in addition to that basically simple concept, the bank and its customer owe a large number of obligations to one another. Many of these obligations can give rise to problems and complications but a bank-customer, unlike, say a buyer of goods, can not complain that the law is loaded against him.

The bank must obey its customer's instructions, and not those of anyone else. When, for example, a customer first opens an account, he instructs the bank to debit his account only in respect of cheques drawn by himself. He gives the bank specimens of his signature, and there is a very firm rule that the bank has no right or authority to pay out a customer's money on a cheque on which its customer's signature has been forged. It makes no difference that the forgery may have been a very skilful one : the bank must recognize its customer's signature. For this reason there is no risk to the customer in the modern practice, adopted by some banks, of printing the customer's name on his cheques. If this facilitates forgery it is the bank which will lose ; not the customer.

Gordon Barrie and Aubrey L.Diamond .

*The Customer Society and the Law*

### **Appendix III: Post test**

You were in the bank and a gentleman seeks your help to withdraw an amount of money.

Write a composition of not more than three paragraphs in which you explain how would you help this gentleman.